سراج الملوك

للإمام الزاهد

أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي

٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه ووضع فهارسه

محمد فتحي أبو بكر

تقديم

دكتور شوقي ضيف

المجلد الأول

الناشر
الدار المصرية اللبنانية



الناشــر : الــدار المصريــة اللبنانيــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٣٩٦٣/ ٩٤
الترقيم الدولي : 3 - 141 - 270 - 977
جمــع : الخانجي
العنوان : ١١ ش عبد العزيز ـ تليفون : ٣٩١٥١٤٨
طبــع : المــدني
العنوان : ٦٨ شارع العباسية
تليفون : ٨٢٧٨٥١

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

لَيْسَ ٱلْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا

وَصَارَ مُهَذَّباً كَامِلاً

إِنَّمَا ٱلْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ

وَلَمْ يَصِرْ مُهَذَّباً كَامِلاً

أَبُو بَكْرٍ الطُّرْطُوشِي

تقـــديم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بقلم الدكتور شوقى ضيف

من الكتب الطريفة فى التراث الإسلامى كتاب سراج الملوك لأبى بكر الطرطوشى . المولود بطرطوشة فى الشرق الأعلى من الأندلس سنة ٤٥١ للهجرة ، وبها نشأ ، وأخذ ما عند أبيه من الفقه والعلم ، ودفعه طموحه العلمى فى شبابه إلى الهجرة منها إلى مدينة سرقسطة عاصمة الإقليم ولقاء علمائها ، ولزم من بينهم الفقيه المالكى الكبير أبا الوليد الباجى ، وأخذ عنه كتبه الكثيرة فى الفقه والخلافيات ، وأجاز له روايتها عنه ، وكان أبو الوليد قد رحل إلى المشرق وأفاد منه علمًا كثيرًا ، فرأى – وهو فى الخامسة والعشرين من عمره – أن يحاكى أستاذه فى ذلك ، فهاجر إلى المشرق سنة ٤٧٦ للهجرة ، وأدى فريضة الحج ، وأخذ يرحل فى البلاد ، فدخل البصرة وتتلمذ لعلمائها ، ودخل بغداد ، وأقام بها فترة متتلمذًا لشيوخ المدرسة النظامية بها التى أنشأها نظام الملك وزير ألب أرسلان السلجوقى وابنه ملكشاه ، وتحول إلى دمشق ودرَّس بها للطلاب ، ثم تركها واستقر بالإسكندرية ، وبها اتسعت شهرته فى علوم القرآن والفقه المالكى ومسائل الخلاف . وقصده الطلاب من كل فج ، حتى كانوا يُعَدّون بالمئات .

وكان الطرطوشى يعيش معيشة زهد وورع ، يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ولما أسرف وزير الفاطميين الأفضل بن بدر الجمالى (٤٨٧ – ٥١٥ هـ) فى الظلم والطغيان قَصَدَهُ فى القاهرة ووعظه حتى أبكاه ، ويقال إنه تلقاه لقاءً حسنًا ، غير أنه عاد فأمره أن

يظل فى الفسطاط بعيدًا عن طُلابه خشية إفسادهم على الدولة ، فظل بها إلى أن تُوفى الأفضل ، وردَّ الوزير الفاطمى الجديد المأمون البطائحى إليه حريته ، وأكرمه ، فعاد إلى الإسكندرية وإلى دروسه بها وطلابه .

وكان طغيان الأفضل الجمالى باعثًا له على تأليف كتابٍ فى وعظ الملوك والحكام ، وبيان ما ينبغى أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذى لا تصلح حياة الرعية بدونه ، والسياسة الرشيدة الجامعة لمصالحها التى لا تستقيم حياتها بدونها ، سواء فى تدبير الملك والحكم ونظامهما ، وقواعدهما السديدة فى تدوين الدواوين ، ومعاملة الجند ، وفرض الأرزاق أو الرواتب ، وسيرة الولاة والعمال ، وجباية الأموال ، أو فيما يعترى الملك والسلطان من الاضطراب ، ومن الظلم وموقف الرعية منه وسوء عاقبته ، أو فى الحروب ومكايدها وحسن تدبيرها ، أو فى صلاح الملك والسلطان بالعلم والعقل الثاقب ، والخلائق السنية التى تستقيم بها دنيا الإنسان ودينه .

وقد وزَّع الطرطوشى مباحثه فى كتابه إلى أربعة وستين بابًا وسماه : « سراج الملوك » ويقول فى مقدمته : « إنى نظرت فى سير الأمم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات فى تدبير الدول ، والتزموه من القوانين فى حفظ النحل ، فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم ، خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول ، فوجدت ذلك فى ست من الأمم ، وهم العرب ، والفُرس ، والروم ، والهند ، والسند ، والسند هند .. فنظمت ما ألْفَيْتُ فى كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعته من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، وبراعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن الذى هو بحر العلوم ، وينبوع الحكم ، ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات .. الهادى من الضلالة ، والحاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة .. » .

وهذه الكلمة لا توضح تمامًا مصادر الطرطوشى فى سراج الملوك ، حقًّا أنه يستضىء دائمًا – كما قال – بآى الذكر الحكيم ، ولكنه لم يُشر إلى مدى ما اقتبسه من الحديث النبوى وخطابة الرسول صلى الله عليه وسلم من وصايا وحِكَم جامعة ، وأيضًا فإنه لم

يفصل القول فيما أخذه عن العرب والفُرس والروم ، ويخيل إلى الإنسان أنه نَثَر أمامه كل ما أُثِرَ عن العرب فى جاهليتهم وإسلامهم من وصايا لحكمائهم وشعرائهم ، وكل ما دَوَّنوه من وصايا وُعَّاظِهم لخلفائهم وحُكامهم ، وكل ما سجلوه فى كتبهم من مثل البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبدربه ، وغير ذلك من كتب جمع طرائفها ، مع ما قَصَّهُ عن الأنبياء والزهاد وعلماء الأمة ، وما طار عن أفواههم من وصايا وحكم ، مع ما يحمل من بدائع الأخبار عن الخلفاء ــ وخاصة أبا جعفر المنصور العباسى والرشيد والمأمون ــ سوى ما يذكره من سياسة عمر بن الخطاب ، ومواعظ على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، ولم يترك كتابًا للهند مثل كليلة ودمنة ، ولا للفرس مثل التاج ، وأمثال بزرجمهر ، فى صنوف الآداب ومكارم الأخلاق ، ولا سيرة لرسولٍ مثل موسى وعيسى ويحيى بن زكريا ، ولا سيرة لفيلسوف مثل أفلاطون وأرسطا طاليس إلا انتخب من ذلك كله دررًا رائعة .

وفى الكتاب ما يُصور بدقة تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم فى سياسته لصحابته ، وتربيتهم تربية خلقية قويمة ، وفيه ما يوضح سياسة حكام العرب العظام فى تدبير شئون الحكم ، من أمثال أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبدالملك بن مروان ، وأبى جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية ، ويسوق أخبارًا طريفة عن بعض الوقائع الحربية الضخمة وحسن المكيدة فيها ، من مثل معركة الملك العادل ألب أرسلان السلجوقى مع إمبراطور دولة الروم الشرقية فى بيزنطة : رومانوس ديوجين سنة ٤٦٢ للهجرة ، وكان الجيش السلجوقى لا يزيد عن اثنى عشر ألف محارب ، فى حين كان جيش الروم فى حوالى مائتى ألف ، ووضع ألب أرسلان خطة لأسر إمبراطور الروم ، وتم له أسره سريعًا ، ونُودِىَ فى الروم أن إمبراطورهم قُتل ، فتبدد جيشه والسيوف تعمل فيه ومُزِّق كل مُمَزَّق .

ويسوق الطرطوشى ما يصور السياسة الحكيمة لوزيره ووزير ابنه ملكشاه ونظام الملك فى خبر طويل يذكر فيه كيف استمال الأعداء ، واستعمل الأكْفاء ، وأسس نهضة علمية عظيمة ، وما كان من إنشائه مدارسه النظامية المشهورة فى أنحاء البلاد ، وإنفاقه السخى على العلماء وطلاب العلم ، وبناء الرباطات للعُبَّاد والزُّهَّاد ، وكان ينفق على كل ذلك ستمائة ألف دينار سنويًّا فى جميع دولته ، من بيت المقدس إلى سمرقند ، فتم له بذلك حسن

السياسة ، وعم المشارق والمغارب ذكره . ويسوق الطرطوشي أخبارًا طريفة عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز في أثناء توليهم الخلافة ، وأنهم كانوا يتعففون في الإنفاق على أنفسهم من بيت مال المسلمين ، ويقولون إنه مال الله ، وإن اضطرتهم الضرورة إلى أخذ شيء منه رَدُّوه إليه سريعًا ، واشتهر عن عمر بن الخطاب أنه كان لا يأكل في خلافته – وقد أصبحت خيرات الأرض في العراق وإيران والشام ومصر طوع يده ، لو شاء ، وأيدي العرب – إلا ما كان يأكله قبل خلافته من خبز الشعير والزيت واللحم المقدَّد الغليظ .

ويذكر الطرطوشي أخبارًا مختلفة عن سياسة حكام الأندلس الصائبة والمخطئة ، مما لا نعثر عليه في كتب التاريخ ، من ذلك ما ذكره عن ملوك الروم المجاورين لهم في شمالي البلاد بالأندلس ، من أنه لم تكن لهم بيوت أموال ، فكانوا إذا غنموا شيئًا من المسلمين دخل سلطانهم الكنيسة وقسمه على رجاله بالقسطاس ، ويأخذ لنفسه مثل ما يأخذون ، وقد لا يأخذ شيئًا ، إذ كانوا يصطنعون الرجال ، أما سلاطين الأندلس فكانوا يَدَّخِرون الأموالَ في بيوت المال ، ويُضيعون الرجال ، والدفاع إنما يكون بالرجال لا بالأموال .

ويوصي الطرطوشي مرارًا وتكرارًا في جباية الأموال من الرعية بالرفق ، فلا يأخذ الحاكم منها إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها ، وخاصة زُرَّاع الأرض وفلاحيها ، ويقول إنه سمع بعض شيوخ الأندلس يقولون : مازال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص طالما كان الجُباة يرفقون بالفلاحين ، حتى إذا اختلف الأمر في آخر أيام المنصور ابن أبي عامر وقدَّم على الأرض جباة ظالمين يجبونها ، فأكلوا الرعايا ، واجتاحوا أموالهم ، فتهاونت وضعفت عن عمارة الأرض ، وقلَّت الجبايات ، وضعفت الأجناد ، وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ، ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملثمون المغاربة بعد نحو قرن من الزمان .

ويتحدث عن أول وقعة للمسلمين في عهد أمراء الطوائف بين المستعين بن هود ، أمير سرقسطة المتوفى سنة ٤٣٨ للهجرة ، وبين ردمير ، ملك أرجون أمام مدينة وشقة ، ويقول إن العَسْكَرَيْن كانا متكافئين ، غير أن المستعين لم يضع حُماة الرجال وكُماة الأبطال في القلب ، حتى يكونوا حصنًا للجناحين مادامت راياتهم تخفق وطبولهم تضرب ، واشتبك

العسكران منذ الصباح ، حتى إذا كان وقت العصر حمل الأعداء على جيش المستعين وصيَّروه شطرين ، وانكسر عسكر المسلمين وتفرَّق جمعهم ، وملك العدو مدينة وشقة ، وكانت أول مدينة أندلسية إسلامية سقطت فى حجر النصارى أول عهد ملوك الطوائف .
ويصف الطرطوشى وقعة بين النصارى وأهل طرطوشة رَدُّوهم فيها مدحورين لحسن ترتيب الجيش المعهود فى الأندلس ، يقول : « أُرْجَى تدبيرٍ نفعله فى لقاء عدونا (هناك) أن نقدِّم الرجَّالة بالدَّرَق الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزاريق المسنونة النافذة ، فيصفّوا صفوفهم ، ويركِّزوا مراكزهم ، ورماحهم خلف ظهورهم فى الأرض ، وصدورهم شارعةً إلى عدوهم ، وهم جاثمون فى الأرض ، وكل رجل منهم قد أُلقم الأرض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم من الدروع ، والخيل خلف الرماة ، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجَّالة عن هيآتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشَّاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم ، فأُخِذوا يَمْنَة ويسرة ، فتخرج خيل المسلمين بين الرُّماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله » .

* وجوهران أساسيان فى كتاب سراج الملوك هما : عَرْضُ سير الملوك والحكام الماضين وما أحكموه من السياسات فى قواعد الحكم وأركانه ونظمه السديدة التى دبروا بها شئون الأمم السالفة ، بحيث سادَ فيها العدل والأمن والرخاء ؛ وعَرْضُ جوانب من ينابيع الحكمة والسياسة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مع كلمات جامعة للأنبياء والخلفاء والعلماء والحكماء والوعاظ ، مما ينبغى أن يتحلى به الحكام والناس فى سلوكهم ، بحيث تطيب الحياة ويصلح المجتمع ، فلا تحاسد ، ولا تباغض ، ولا أثرة ، ولا غيبة ، ولا نميمة ، مع العفو والمغفرة عند المقدرة ، والعمل للدنيا والآخرة ، ومع الوفاء ، والحلم ، والصبر ، والعفاف ، والإنصاف ، والبر ، والتمسك بالخصال الحميدة ، والنفور من الخصال الذميمة . وَوَضَعَ ذلك كله تحت أعين الحكام فى عصره ليتخذوا منه منارات هادية فى حكمهم .. وأهدى الكتاب إلى المأمون البطائحى ، الوزير الفاطمى الذى عرف فضله ، ورد إليه حريته .

وإنما أطلت فى عرض كتاب سراج الملوك لأدل ـ بوضوح ـ على قيمته فى السياسة الرشيدة والتربية القويمة . وقد بذل الأستاذ محمد فتحى أبو بكر فى تحقيقه له جهدًا خصبًا جديرًا بكل تقدير ، فقد ظل سنتين يحقق نصوصه ، واصِلًا كَلَال الليل بكلال النهار فى تصحيحها وإصلاح ما دخل عليها من الغلط ، وخرَّج ما فيه من آى الذكر الحكيم والأحاديث النبوية ، وحاول – بكل ما استطاع – أن يزيد الصحيح فيه صحة بضبط ألفاظه بالشكل ضبطًا كاملًا ، واستيفاء الشرح فى الهوامش لما فيه من ألفاظٍ غريبة ، واستطاع أن يردَّ نسبة كثيرٍ من الأقوال إلى أصحابها الحقيقيين ، وقام بوضع علامات الترقيم فيه ، وعمل فقرات لأبوابه تيسيرًا على قارئه ، وترجم لأعلامه الكثيرين . وبذلك لم يكتف الأستاذ محمد فتحى أبو بكر بتحقيق ألفاظ سراج الملوك للطرطوشى وتصويبها ورد كثير منها إلى صورتها الأصلية ، بل أضاف إليها أيضًا فى هوامشه ما يزيدها بيانًا ووضوحًا . وألحق بالكتاب فهارس متعددة لآى القرآن الكريم فيه ، وللأحاديث النبوية ، وللأشعار ، وللأعلام الواردة فيه ، ولمصادره ومراجعه الكثيرة ، وبذلك مكَّن للانتفاع بالكتاب والإفادة منه ، وهو خليق – لذلك كله – بالشكر والثناء .

* * *

القاهرة فى ١٩٩١/٤/٢١ م

شوقى ضيف

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة المحقق »

تنويـــه :

الحمد لله الذى وسع كل شىء علماً ، وأحْصَى كل شىء عددًا ، وهو بكل شىء محيط .. سبحانه ، ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، مالك الدنيا والآخرة ، يعجز عن إدراك كُنْه حقيقته العالمون والعارفون .. تعالى عن الشبيه والنظير .. له الكمال والجلال ، والتقديس والتنزيه .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومَن اتبع هديه إلى يوم الدين ... وبعد .

فما كدت أنتهى من تحقيق كتاب « أدب الدنيا والدين » حتى قَيَّضَ الله لى عالمًا جليلاً ، له مكانته الأدبية الرفيعة فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، لَفَتَ انتباهى إلى أهميَّة كتاب « سراج الملوك » وما فى نصوصه من جوانب جمالية ، لم تَلْقَ من العناية ما يليق بها لإبرازها وتقديمها للقراء بالصورة التى تجعلهم يفيدون منها ، ويعم بها النفع ، لذا دعانى هذا العالم الكبير إلى تحقيقه وشَرْح غوامضِه .. فمكثت أكثر من عامين مُنْكَبّاً على أصوله ، إلى أن وفقنى الله تعالى إلى إخراجه بالصورة التى بين يديك ، والتى أرجو أن تكون قريبة من الكمال الممكن ، فالكمال المطلق لله وحده – عَزَّ وجَلَّ – وهو صاحب الفضل أولاً وأخيراً فى إتمام هذا العمل بالصورة التى بين يديك ..

والآن – وقبل أن أتعرض لبيان أهمية هذا الكتاب – أقدم للقارئ أولاً صورة موجزة ووافية عن كاتبه ، من حيث : نسبه ، ونشأته ، ورحلاته ومكانته العلمية ، وأساتذته ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .. إلى أن انتقل إلى جوار ربه .. وبعدها أتناول بالوصف هذا الكتاب ، والهدف من تأليفه وتنويه العلماء به ، ثم وصف مخطوطات الكتاب وطبعاته والمنهج الذى اتُّبِعَ فى تحقيقه ، والمجهود الَّذِى بُذِل فيه ، والله ولى التوفيق .

مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته [1] :

هو العالم الفقيه ، والزاهد الوَرِع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب ، القُرَشِىّ الفِهْرِ الطُّرْطُوشِىّ [2] المعروف بابن أبى رَنْدَقة [3] .

وُلد الطرطوشى فى مدينة طرطوشة سنة ٤٥٠ هـ (أو ٤٥١ هـ) ونشأ فى هذه المدينة الأندلسية الكبيرة ، ، مدينة تجارية عظيمة ، بها أسواق وعقارات وضياع ، ودرج فى

---

(١) انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ – ٢٦٥ وبغية الملتمس للضبّى ج١ ص ١٧٥ – ١٧٩ ترجمة رقم ٢٩٦ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ والصلة لابن بشكوال ج ٣ ص ٨٣٨ ، ٨٣٩ ترجمة رقم ١٢٧٧ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ – ٦٤ والمغرب فى حُلَى المغرب ج٢ ص ٤٢٤ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ٢٣ – وانظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى للدكتور جمال الشيال من ص ٥٠ – ١٠٠ و« أبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر » للدكتور الشيال ، سلسلة أعلام العرب – العدد رقم ٧٤ وقد اعتمدت على هذين المرجعين فى كتابة هذه المقدمة وأشرت إلى ذلك .. وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص ٢٢٢ – ٢٢٤ط دار المعارف ، وأعلام التصوف الإسلامى لأحمد أبو كف – ط دار الهلال ، والعروة الوثقى العدد رقم ٣٢ ص ٥٣ – ٥٦ مقال للمرحوم محمد عبد الغنى حسن .

(٢) نسبة إلى طُرْطُوشَة ، بضم الطَّاءَيْن المهملتين .. وفى معجم البلدان ونفح الطيب ، بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة ، والأول أشهر ، وبه جاءت أكثر المراجع .. وطُرْطُوشة : مدينة بالأندلس ، كانت فى آخر بلاد المسلمين ، وهى شرقىّ « بلنسية » و « قُرْطُبَة » وقريبة من البحر ، وهى مُتْقَنَة العمارة ، ومبنية على نهر « أبْرُه » . [انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ونفح الطِّيب ج ٢ ص ٢٩٦]

(٣) رَنْدَقَة ، بفتح الراء عند ابن خلكان والمقرى ، وبضم الراء عند ابن فرحون ، وهى لفظة أجنبية ، وقد فَسَّرها ابن خلكان فقال : « إنها كلمة فرنجية معناها : تعالَ هنا » .. وقد حاول أحد المؤرخين الأسبان أن يبرر تفسير ابن خلكان فقال : إن الكلمة مكونة من لفظين ، الأول بمعنى : تعالَ ، أى أقْبِلْ ، وهى مأخوذه من الفعل الفرنسى « Rendre » والثانية بمعنى : هنا ، وهى بالأسبانية « aca » فإذا جُمِعَا صارا : « Rand - aca » .

[انظر مفتاح السعادة ج١ ص ٣٩١ ووفيات الأعيان ج٤ ص ٢٦٥ وأبو بكر الطرطوشى لجمال الدين الشيال ص ١٠] .

هذه المدينة ينعم بجمالها الطبيعى الملهم .. أمَّا عن أُسرته ، فلم تذكر المراجع التى أرَّخَتْ له حرفاً واحدًا عنها ، فلا ندرى أكان أهله ذوى جاهٍ وسُلطان ؟ أم كانوا من المشتغلين بالتجارة ؟ أم كانوا من رجال العِلم ، ولذا نشأ فقيهنا عالماً ؟ أم كانوا رجالَ حَرْبٍ ، خاصة أن الأندلس كانت تضطرم فى ذلك الوقت بالفتن ، وتنتهبها الانقسامات ؟

ويروى الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » قصة عن فرد واحد من أفراد أسرته ، كان خالاً لوالدته ، يُدْعَى : ابن فرحون ، و نفهم من هذه القصة أن أسرة والدته كانت ذات جاهٍ فى « سرقسطة » ونفهم منها كذلك أن بعض أفراد هذه الأسرة كانوا من رجال الحرب الشجعان المبرزين ، فهذه القصة تتحدث عن الشجاعة الخارقة لهذا الرجل ، وكيف كان يُقَدِّره « المستعين » أبو « المقتدر » ويقربه ، ويغدق عليه العطايا ، ويعتز بشجاعته ، ويلجأ إليه فى المُلِمَّات [١] .

أمَّا عن والده ، فاسمه الوليد ، وينتهى نسبه إلى قريش ، فهو من أصل عربى واضح ، وأمَّا ما ذكرته المراجع من كونه كان يُعرف بابن أبى رندقة ، فيقول الشيال : لعله كُنى بهذه الكنية الفرنجية فى حياته لأمر لانعرفه يتصل بالمعنى الحقيقى لهذا اللفظ [٢] .

وأمَّا عن مهنته ، فلسنا نعرف عنها شيئاً كذلك ، ولعله كان عالماً ، أو من المشتغلين بالعِلم ، وأنه لهذا وجَّه ابنه هذه الوجهة التى يرضاها ، ولو كان تاجرًا ، أو يمتهن صناعة ما ، لنشأ ابنه – فى الغالب – على منواله .. وأبو بكر الطرطوشى نفسه صَرَّح فى « سراج الملوك » – عندما فكر فى الرحلة إلى المشرق لطلب العلم – أنه لم يكن يفقه شيئاً فى التجارة ، وأنه لم يحترف حرفة ما – وكان يقول : « إذا ذهبَتْ نفقتى فماذا أفعل ؟ » .. وكانت هذه أكبر مشاكله ، فقد كان يشغل باله أن تنفد هذه النفقة ، فهداه تفكيره أن يعمل حارساً للبساتين ، ليفرغ فى الليل لدراسة العلم .

---

(١) انظر سراج الملوك ، الباب الحادى والستين : فى ذكر الحروب وتدبيرها .. وأبو بكر الطرطوشى للشيال ص ٩ ، ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

واعتمادًا على ما جاء فى كتاب « سراج الملوك » من قصص وروايات عن أفراد أسرة الطرطوشى ، فإن والده كان عالماً ، وكان على شىء من الثراء ، ولذلك استطاع الطرطوشى أن يعيش فى وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وهوعالة على أهله ، يطلب العلم وهم يكفونه ، واستطاع قبل رحيله لطلب العلم أن يُزَوَّدَ بنفحة وفيرة .

رحيله لطلب العلم وأساتذته :

بدأ الإمام الطرطوشى رحله العلم فى مسجد طرطوشة الكبير ، وتلقى فيه علومه الأولى ، وتجمع المراجع على أن الطرطوشى قرأ الفرائض والحساب بوطنه ، ولم تذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين العِلْمَيْنِ . وفى صدر شبابه – وهو فى سن العشرين أو نحوها – بدأ يتتلمذ على أبى الوليد الباجى ، شيخ الأندلس وعالمها فى ذلك الوقت دون منازع ، وصَحِبَهُ فى « سرقسطة » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجازه .

وذكر المقرى فى كتابه « نفح الطيب » وابن خلكان فى « وفيات الأعيان » أن الطرطوشى قرأ الأدب على أبى محمد بن حزم بمدينة « أشبيلية » [1] ولسنا نميل إلى تصديق المقرى فى ذلك ، لأن ابنَ حزم توفى سنة ٤٥٦ هـ ولم يكن الطرطوشى فى هذه السنة قد جاوز الخامسة أو السادسة من عمره ، ولايعقل أن يرتحل الطرطوشى فى هذه السن الصغيرة إلى « أشبيلية » وأن يتتلمذ على ابن حزم ويأخذ عنه الأدب أو يُفقهه ، وربما يكون قد قرأ كتبه فى الأدب بعد ذلك بنفسه ، أو على واحد من تلاميذ ابن حزم ، ومن هنا ذُكِرَ أنه تلميذٌ لابن حزم فى الأدب .

الطرطوشى فى مكة :

وفى سنة ٤٧٦ هـ غادر الطرطوشى وطنه – وهو فى الخامسة والعشرين من عمره – ليبدأ رحلته إلى الشرق ، ولم تذكر المراجع التى أَرَّخَتْ له أىَّ طريق سَلك فى هذه الرحلة .. هل سلك طريق البحر أو طريق البر ؟ ولم تذكر أيضاً أى البلدان أو الأقطار زار فى

---

(١) انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٢٩٦ وأعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٥٣ .

طريقه .. ولكننا نلقاه فى « مكة » وقد أدّى فريضة الحج ، واستقر بها قليلاً يلقى بعض الدروس .. فقد روى مواطن من مواطنيه ، زامله فى شبابه الأول ، وتتلمذ معه فى « سرقسطة » على أبى الوليد الباجى – أنه رآه فى « مكة » ، واستمع إلى بعض دروسه هناك .. هذا المواطن هو القاضى أبو على الحسين بن محمد بن فرو الصدفى ، قال : « صحبتُه عند الباجى ، ولقيته بمكة ، وأخذت عنه أكثر السنن لأبى داود التُّسْتُرِىِّ » .

الطرطوشى فى بغداد :

ولم يمكث الطرطوشى فى مكة طويلاً ، بل استأنف رحلته واتجه إلى بغداد ، فإن مواطنه وزميله أبا على الصدفى الذى قابله فى « مكة » يستطرد فى حديثه عنه فيقول : « ثم دخل بغداد وأنا بها » .

وكانت بغداد فى ذلك الوقت مركزًا من أكبر مراكز العلم فى العالم الإسلامى ، وكانت مَحَطَّ رِحَالِ العلماء ، يفدون عليها من أقصى المشرق ومن أقصى المغرب ، فكان لأبى بكر الطرطوشى – وقد رضِيَتْ نفسه بأداء فريضة الحج – أن يرحل إليها ليستكمل دراسته ، ويتصل بعلمائها الأعلام ، ويتتلمذ عليهم ، ويأخذ عنهم .. وكان يلى أُمور الشرق فى ذلك الوقت « نظام المُلك » وزير المَلِكَيْن السلجوقيين : ألْب أرسلان ، وملك شاه .. وهو وزيرٌ عالمٌ ، يحب العلم والعلماء ، ويقربهم إليه ، ويُغدق عليهم العطايا .. وقد شهد الطرطوشى أثناء مُقامه فى بغداد آثار هذه السياسة العلمية الحصيفة التى اصطنعها لنفسه وللدولة ، وأشاد بذكرها فى « سراج الملوك » [1] .

وأخص ما يذكر به « نظام الملك » فى التاريخ أنه مُنشىء المدارس فى العالم الإسلامى ، فقد كانت المساجد إلى عصره هى معاهد العلم ، فيها تعقد حلقاته ودروسه ، فكان « نظام الملك » أول من أنشأ معاهد مستقلة للتعليم ، يتفرغ فيها الطلاب للتعليم ، والمدرسون للتدريس ، وأوقف الأوقاف الكثيرة للصرف عليها وعليهم ، وأسماها : المدارس .

---

(١) انظر « سراج الملوك » ، الباب الثامن والأربعين فى سيرة السلطان فى بيت المال .

وحملت كل مدرسة منها اسمه ، فكانت تسمى « النظامية » ، وكان أكبرها وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد ، التى بُنيت قبل وصول فقيهنا أبى بكر الطرطوشى إلى بغداد بسنوات قليلة ، وقد شهد الطرطوشى نظامية بغداد وهى فى أوج عظمتها ، وتتلمذ بها ، ووصفها ، وذكر قصة بنائها فى هذا الكتاب [1] .

وكان أول من عُيِّن للتدريس بها أبو نصر عبد السيد بن محمد الصباغ ، ثم تولى منصب التدريس بها عدد من كبار الفقهاء الشافعية ، من أمثال أبى إسحاق الشيرازى ، وأبى سعد عبد الرحمٰن بن مأمون المتولى ، وأبى بكر بن محمد بن أحمد الشاشى ، وحجة الإسلام أبى حامد الغزالى .

وبرغم أن الطرطوشى كان مالكى المذهب ، فقد تتلمذ على معظم هؤلاء الفقهاء الشافعية ، وعلى بعض فقهاء الحنابلة .. قال ياقوت فى معجم البلدان عن أبى بكر الطرطوشى : « ... دخل بغداد والبصرة فتفقه على أبى بكر الشاشى ، وأبى سعد بن المتولى ، وأبى أحمد الجُرْجانى أئمة الشافعية ، ولقى القاضى أبا عبد الله الدامغانى ، وسمع بالبصرة من أبى على التُّسْتَرىّ ، وسمع ببغداد من أبى محمد رزق الله التميمى الحنبلى ، وغيرهم » [2] .

وكان رجال هذه المدرسة جميعاً ، الذين تعاقبوا على التدريس بها ، والذين أخذ عنهم الطرطوشى ، من العلماء البارزين الذين تجمع المصادر على وصفهم بالفضل والعلم والتقوى ، والقدرة على التأليف والإنتاج . واندمج أبو بكر الطرطوشى فى هذه الحياة العلمية النشطة فى بغداد ، واستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجِلَّاء [3] .

اتجاه الطرطوشى إلى التصوف :

وفى بغداد أيضاً اتجه أبو بكر الطرطوشى إلى التصوف ، حيث كان الفكر الصوفى

---

(١) المصدر السابق ، الباب نفسه .

(٢) أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٦٠ ، ٦١ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » .

(٣) أمَّا أبو إسحاق الشيرازى فكان إمام وقته ببغداد ، وروى الطرطوشى نفسه شعراً - قاله غيره - يصف الشيرازى بالذكاء المتوقد ، قال :

تراه مِنَ الذكاء نحيف جسم ... عليه من توقده دليـل
إذا كان الفتى ضخم المعالى ... فليس يضيره الجسم النحيل

متأصلاً على يد أقطابه ، وقد درس التصوف هناك ونبغ فيه ، حتى عَدَّهُ مَن تحدث عنه من المتصوفة الزاهدين ، ولا غَرابة فى ذلك ، فإن الحياة التى كان يحياها فى بغداد ، وما شاهده فيها من زهد ، وتقشف العلماء الذين أخذ عنهم ، قد أثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فقد كانوا برغم تضلُّعهم فى الفقه والعلوم الدينية – من المتصوفة الذين يعتقدون أن الحياة نعيم زائل ، وكانوا يفرغون لحياة كلها زهد وتقشف وعبادة وذِكْر لله ، هذا بالإضافة إلى الشعر الذى سمعه من شيوخه العراقيين ، ورواه عنهم فيما بعد فى « سراج الملوك » يضرب كله المثل بالأمم الغابرة ، و ما بَنَتْ من قصور ، وما زيَّنتْ من عمائر ، وكيف انتهى كل هذا الزخرف إلى زوال [1] .

وسيلتزم الطرطوشى ، منذ يغادر العراق ، وفيما يقبل من أيامه ، هذه الحياة ، حياة الزهد والبعد عن مباهج الدنيا .

الطرطوشى فى البصرة :

زار الطرطوشى – أثناء مقامه فى العراق – مدينة البصرة ، وقضى فيها

= أما أبو بكر الشاشى فتصفه المراجع بأنه كان فخر الإسلام ، وفقيه بغداد ، وقد تتلمذ على أبى إسحاق الشيرازى ، ثم إنتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية ، وله تصانيف حسنة ، وتعين فى الفقه بالعراق بعد أستاذه أبى إسحاق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ هـ .

ووصفت المراجع أبا نصر بن الصباغ بأنه كان فقيه العراقيْين فى زمنه ، وكان يضاهى أبا إسحاق الشيرازى ، وكان ثقة صالحاً ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أيضاً أول ماافتتحت ، ولما توفى أبو إسحاق الشيرازى أُعيد للتدريس بها .

أمّا حُجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، فيصفه ابن خلكان بأنه لم يكن للطائفة الشافعية آخر عصره مثله .. والراجح أن الطرطوشى لم يتصل به ولم يأخذ عنه ، فقد عُين الغزالى للتدريس فى نظامية بغداد فى سنة ٤٨٤ هـ بعد خروج الطرطوشى منها ، ولكنَّ العالِمَيْن الكبيرين سيتقابلان معاً فى الإسكندرية ، وستنشأ بينهما خصومة علمية سيكون لها شأنها .

[أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٦٢ وأبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد ص ٢٠ ، ٢١]

(١) روى الطرطوشى – فى هذا الكتاب – حديثاً جرى بينه وبين أحد العراقيين ، هزَّ كيانه هزًّا ، قال : « وهأنذا أحكى لك أمراً أصابنى وطَيَّشَ عقلى ، وبَلْبَلَ فكرى ، وقطع نياط قلبى ، فلا يزال يراه حتى يوارينى التراب ، وذلك أنى كنتُ يوماً بالعراق ، وأنا أشرب ماءً ، فقال صاحبٌ لى – وكان له عقل : يافلان ، لعل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء قد كان إنساناً يوماً من الدهر ، فمات ، فصار تراباً ، فاتفق للفخاريِّ أن أخذ تراب القبر وضربه خزفاً ، وشواه بالنار ، فانتظم كوزاً كما ترى ، وصار آنية يُمْتَهَنُ ويُستخدَم بعد أن كان بَشَراً سَوِيًّا يأكل ويشرب وينعم ويلَذُّ ويطرب ... » .
=

وقتاً ، وتتلمذ هناك على أبي عليٍّ محمد بن أحمد التُّسْتَرىّ ، ثم يمم وجهه شطر قطر آخر ، هو الشام ، ولسنا نعلم على وجه التحديد : كم سنة بقى الطرطوشى فى العراق ، ولكننا نستطيع أن نستنتج أنه لم يقم به طويلاً ، فهو قد بدأ رحلته من المغرب سنة ٤٧٦ هـ – كما ذكرنا – فلابد إذن أنه وصل إلى العراق فى أواخر سنة ٤٧٧ هـ ، أو أوائل سنة ٤٧٨ هـ ونحن نعرف أن عددًا كبيرًا من شيوخه توفى فى المدة بين سنتى ٤٧٨ هـ و٤٧٩ هـ ، وأبو على التسترى توفى سنة ٤٧٩ هـ ، وأن الطرطوشى غادر العراق فى سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ ، وقد بلغ الثلاثين من عمره [1] .

الطرطوشى فى الشام :

دخل أبو بكر الطرطوشى الشام بعد أن أتم دراسته ، وبعد أن حَصَّلَ من العلوم ما حَصَّل ، وبعد أن بلغ من النضج الفكرى درجة تؤهله للتدريس لينفع الناس بعلمه ، وبعد أن كوَّنَ لنفسه فلسفة خاصة قوامها الزهد ، والسعى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أجمعت المراجع التى ترجمت له أنه قضى الفترة التى عاشها فى الشام يُعَلِّمُ

= هذه النظرة الفلسفية العميقة إلى الإنسان وحقيقته ومصيره : كيف خُلق ؟ ومِمَّ خُلق ؟ وكيف ينتهى ؟ وإلى أين يصير ؟.. هذه النظرة الفلسفية هزت كيانه وجَعَلَته يدرك ماوراءها من حقيقة ، فاستطرد فى حديثه يؤكدها ويحللها تحليلاً يؤكد إيمانه بها .. قال :

« فإذا الذى قاله – أى صاحبه – من الجائزات ، فإن الإنسان إذا مات عاد تراباً كما كان فى النشأة الأولى ، ثم يتفق أن يُحْفَرَ لَحْدُهُ ، ويُعْجَنَ بالماء ترابه ، فيُتخذ منه آنية فُمتهن فى البيوت ، أو لبنة فتبنى فى الجدار ، وقد يجوز أن يُغرس عند قبره شجرة ، فيستحيل تراب الإنسان شجرة وورقاً وثمرة ، فترعى البهائم أوراقها ، ويأكل الإنسان ثمرها ، فينبت منها لحمه ، ويُنشر منها عظمه ، أو تأكل تلك الثمرةَ الحشراتُ والبهائم ، فبينما كان يقتات صار قوتاً ، وبينما كان يأكل صار مأكولاً ، ثم يعود فى بطن الإنسان رجيعاً فيقذف فى بيت الرحاضة ، أو بعراً يُنبذ بالعراء ، ويجوز إذا حُفِر قبره أن تسفى الرياح ترابه فتفرقُ أجزاؤه فى بطون الأودية والتلول والوهاد ...» .

هذا الحديث الذى أُلقى إلى الطرطوشى أثناء مقامه فى بغداد ، وهذا التعليق الذى راح يحلل به الحديث ويؤكده فى « سراج الملوك » ، وهذه اللَّفتة جعلته يُكَوِّن لنفسه فلسفة خاصة بدأ يعتنقها فى ذلك الحين ، هى فلسفة الزهد والعزوف عن اللذات والشَّهَوات ، والجرأة على كل كبير فى سبيل الحق ، وفى سبيل تدعيم أوامر الله – سبحانه وتعالى – فهو ينظر إلى كل كبير بهذه النظرة التى لاترى فيه قُوَّته وسلطانه وجبروته ، ولكنها ترى فيه قيمته ومصيره ، وأنه لن يكون بعد الموت إلّا كوزاً يُشْرَبُ فيه الماء ، أو مايشبه ذلك مِمَّا تقدم !!

[انظر المرجعين السابقين]

(١) المرجعين السابقين .

الناس ، فأقبلوا عليه ، وأحبُّوه ، وأفادوا من علمه ، فَعَلا اسمه ، وبَعُدَ صيته ، وأنه عاش هناك متقشفاً عابدًا زاهدًا ، منقبضاً عن الناس ، إذا أَكَلَ أكل فى شقف من الفخار .. وكان أصحاب الحكم والسلطان .. يسعون إليه وإلى بِرّه ، ولكنه كان ينصرف عنهم ، ويشتد عليهم فى القول وإسداء النصيحة [1] .

ويبدو أن نفسه الأبيَّة ، وصراحته ، والتزامه القول الحق أثارت ضده بعض الشانئين والحاسدين من أهالى بيت المقدس ، فسعوا به لدى حاكمها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه ، واستدعاه الحاكم إليه ، فلم يَأْبَهْ لدعوته ، ورفض أن يذهب ، وراموا الغَضَّ من حاله فلم ينقصوه قُلامة ظُفر [2] .

ويذكر « الضَّبِّىُّ » فى كتابه « بُغيةَ الملتمس » أن من بين الدوافع التى دفعت الطرطوشى لزيارة بيت المقدس ، رغبته فى مقابلة أبى حامد الغزالى ، فقد فاتته رؤيته فى بغداد - كما سبق أن أشرنا - لأن الطرطوشِى ترك بغداد حوالى سنة ٤٨٠ هـ قبل أن يصل إليها الغزالى ، وقبل أن يُعَيَّنَ مدرساً بالنظامية ، فقد عُين بها سنة ٤٨٤ هـ .

وكان الغزالى فى هذه الفترة يعانى من محنة نفسية ، ويقضى وقته - سواء فى دمشق أو فى بيت المقدس - منعزلاً عن الناس فى مئذنة الجامع الأموى بدمشق ، أو فى قلل الجبال ، يتعبد وحده ، ويحاول أن يصل إلى الحقيقة عن طريق التصوف والذوق وذكر الله ، بعد أن عجز عن الوصول إليها عن طريق العقل والفلسفة ، وآراء الفقهاء ، وأصحاب المِلل والنِّحَل المختلفة .. ولم يكد الغزالى - آن ذاك - يعلم بمقصد الطرطوشى ووصوله إلى بيت المقدس ، حتى بَعُدَ وترك المدينة ، ولم يُمَكِّنْهُ من مقابلته .

---

(١) قال عنه ابن فرحون: « .. وسكن الشام مُدَّة ، ودَرَّس بها ، ولازم الانقباض والجماعة ، وبَعُد صيته هناك ، وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً ، وكان إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً ، وَرِعاً دَيِّناً ، متواضعاً متقشفاً ،مُتَقَلِّلاً ، من الدنيا ، راضياً باليسير منها ، وتقدَّمَ فى الفقه مذهباً وخلافاً .. وكان له - رحمه الله - نفسٌ أَبِيَّة ، قيل إنه كان ببيت المقدس يطبخ فى شَقَف ، وكان مُجانباً للسلطان ، مُعْرِضًا عنه وعن أصحابه ، شديداً عليهم مع مبالغتهم فى بِرِّهِ » .

(٢) المرجعين السابقين - ومعجم البلدان مادة « طرطوشة » .

وأقام الطرطوشي مُدَّة في بيت المقدس – كما ذكرنا آنفاً – ثم تركها إلى جبل لبنان ، فقضى به مدة أخرى .. ولسنا نعرف أى المدن الشامية زار الطرطوشي – غير بيت المقدس وجبل لبنان – ولكن من المرجح أنه زار دمشق وأقام بها ، وأنه طَوَّف في معظم مدن الشام الأخرى ، وأنه ذهب في تطوافه إلى أقصى الشمال ، فزار حلب ، ثم انحدر منها إلى أنطاكية في أواخر عام ٤٩٠ هـ وفي هذه السنة كانت الحملة الصليبية الأولى التي وفدت على الشرق ، واستولت على مدن الشام الشمالية الواحدة بعد الأخرى ، وظلت تحاصر مدينة أنطاكية نحو ثمانية أشهر إلى أن سقطت في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ .

وأغلب الظن أن هذا الحادث الخطير ، واستيلاء الصليبيين على سواحل الشام كلها ، وبيت المقدس في السنة نفسها ، هو الذي دفع الطرطوشي إلى ترك الشام ، وأنه غادرها منذ ذلك الحين واتجه إلى مصر ، و نزل – أول مانزل – في مدينة « رشيد » ثم غادرها إلى مدينة « الإسكندرية » حيث اتخذها مقرًّا له بعد أن قضى في الشام حوالى عشر سنوات يطوف بمدنه الكبرى ، فإنه وصل إليه حوالى سنة ٤٨٠ هـ وهو في الثلاثين من عمره – وغادَرَهُ سنة ٤٩٠ هـ – وهو في الأربعين من عمره [١] .

الطرطوشي في مصر :

تذكر المراجع أن الطرطوشي وصل إلى مصر وبها الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي الذي ولي الوزارة بعد وفاة أبيه في سنة ٤٨٧ هـ وصحب معه عابدًا يُعرف بعبد الله السايح ، تَعرَّفَ عليه في جبل لبنان أثناء إقامته هناك [٢] يقول الضَّبِّيُّ :

« وركبا الطريق إلى مصر حتى وصلا إلى رشيد ، وأقاما هناك ، فإذا – احتاجا إلى قوتٍ جمعا من حَطَبٍ أو ملح ، فباعا مايحملانه من ذلك على ظَهْرَيْهِمَا وَتَقَوَّتا بثَمَنِه .

وبقيا هناك – أى في رشيد – مدة ، إلى أن قَتَلَ العبيديُّ – صاحبُ مصر – جماعةً

---

(١) انظر المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال – المصدرين السابقين .

(٢) كان رجلاً من أولياء الله المنقطعين إلى الله تعالى ، وكان الطرطوشي يعتز بصداقة هذا المتعبد الزاهد ، فعقد النيَّة على اصطحابه معه إلى مصر ، ولكن هذا الشيخ رفض ، واحتج بأنه يعيش حيث يعيش في المباح من ثمر الأشجار ، ويأكل الحلال ، وبذلك يتمكن من التفرغ للعبادة ، ولايضمن أن يجد مكاناً آخر تتوفر فيه هذه الشروط . =

من فقهاء الإسكندرية لسبب يطول شرحه ، ولم يبق مَنْ يُشار إليه ، وسمع أهل الإسكندرية بكون الفقيه « الطرطوشي » برشيد ، فركب إليه قاضيها يستدعيه إليها » .

الطرطوشي فى الإسكندرية :

جاء وفد الإسكندرية – المكون من أعيانها ، يتقدمهم قاضى المدينة ابن حديد – إلى رشيد ، وظلوا يبحثون فيها عن أبى بكر الطرطوشي إلى أن رأوه مُقبلاً عليهم من أطراف المدينة ، وفى صحبته الشيخ الزاهد عبدالله السائح ، وكل منهما يحمل على ظهره حزمة من الحطب .. وألقى الطرطوشي ما على ظهره وجلس يستمع إلى رجال الوفد السكندرى ، فأخبروه بما وصلت إليه أحوال المدينة ومجالس العِلم بها ، وألقوا إليه رغبتهم فى أن ينتقل معهم إلى الإسكندرية ليفيدوا من علمه [1] .

= يقول الضَّبِّيُّ : « ... ثم أراد الحافظ أبو بكر – الطرطوشي – أن يقصد مصر ، فعرض على أبى محمد السائح صحبته والمشى معه ، وقال له : أنت هاهنا بمعزل ولاتلقى أحداً ولايلقاك ، وإن مِتَّ لم تجد مَنْ يُواريك ، وفى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، وحضور الجماعة فى الجمعة مالا يخفى عليك .. فقال له عبد الله : أنا هاهنا آكل الحلال ، وأعيش فى المباح من ثمر هذه الأشجار ، ولا أجد فى غير هذا الموضع من المباح ماأجد فيه » .

فالطرطوشي يلتزم بما يلتزم به المتصوفة من إقبال على الزهد والتقشف ، والعبادة وذكر الله ، ولكنه لايؤمن بما يؤمن به بعضهم من العُزْلَةِ والبعد عن الناس ، بل هو يرى أن الخير – كل الخير – فى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، لهذا لم يزل بصديقه السائح يحاوره ويحاول أن يقنعه بالرحلة معه إلى مصر ، فقال له إنه يعلم أن بمصر مدينة تُسمى « رشيد » فيها من المُباح الذى ينشد : الملح والحطب ، وأنهما يستطيعان أن يجمعا من هذين المباحين مايُمَكِّنُهُمَا من العيش .. وكان الشيخ عبد الله السائح يعلم أن صديقه « الطرطوشي » رجل فقيه ، يشتغل بالتدريس ، ويحب أن ينفع الناسَ بعلمه ، والناس تُقبل دائماً عليه ، فأعلن لصديقه خوفه أن يدفعه هذا النوع من الحياة إلى البعد عنه ومفارقته ، وبذلك يكون قد تجشم مشقة الانتقال من لبنان إلى مصر بدون مبرر .. ولكن الطرطوشي طمأنه ، وعاهده ألاَّ يفارقه أبدًا .

[انظر المصدرين السابقين] .

(1) كانت « الإسكندرية » وقتها تعيش فى حالة من الرعب والفزع شديدة ، وكانت الشعائر الدينية فيها معطلة ، وكان علماؤها مضطهدين ، لايستطيعون الجهر بالعلم أو بالقول ، لأن الغالبية العظمى منهم يتبعون المذهب المالكى ، فى حين كان المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى للدولة .

وكانت الإسكندرية أيضاً وشيكة الخروج من أزمات خطيرة ، بدأت بالمجاعة الكبرى التى حدثت فى عهد الخليفة المستنصر ، نتيجة قصور فيضان النيل سبع سنوات ، فاشتد الغلاء ، وانتشر الوباء حتى عَمَّ مصر كلها ، وانتشرت الفتن ، فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا « أمير الجيوش بدر الجمالى » ، فاستدعاه إليه ، وعينه وزيراً ، وعهد إليه بمعالجة الأزمة ، والقضاء على المشاغبين ومثيرى الفتن .

وبدأ بدر الجمالى فى سنة ٤٦٧ هـ بالبلاد الواقعة شرق فرع دمياط ، وتتبَّعَ المفسدين وقضى عليهم ، ثم انتقل إلى البحيرة والإسكندرية ، وكانت طائفة « الملحية » – وهى إحدى طوائف الجيش الفاطمى – قد أثارت الفتنة فى =

وتجددت المشكلة القديمة ، فالطرطوشى لايريد مفارقة أخيه السايح ، والشيخ الزاهد لا يريد مغادرة رشيد ، فهو فى الإسكندرية لا يستطيع أن يعيش فى الحلال ويأكل المباح كما يفعل فى رشيد ، ولكن وفد الإسكندرية لم يعجز عن إيجاد حل لهذه المشكلة .. ورحل الاثنان إلى الإسكندرية .

استقر بالطرطوشى المقام فى الإسكندرية ، واتخذها وطناً ثانياً ودار مقام ، وبدأ يُدَرِّسُ وينشر العِلْم على مذهبه – مذهب الإمام مالك – وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ، ويقرءون عليه ، ويفيدون من علمه .. ولم يلبث إلا قليلاً حتى عُرِفَ واشتهر ، واجتذب الطلاب والعلماء إلى حلقات درسه .. وتزوج بعد قليل من سيدة تقية فاضلة دَيِّنَة ، من بيت من أكبر بيوت الإسكندرية – وقت ذاك – فضلاً وعلماً وجاهاً وثروةً ، بيت بنى عوف ، فهى خالة فقيه الإسكندرية وكبير علمائها أبى الطاهر بن عوف – تلميذ

= المدينة وأعلنت العصيان ، فحاصر بدر الجمالى الإسكندرية أياماً إلى أن استولى عليها عنوة ، وقتل من « الملحية » عدداً كبيراً .

وفى سنة ٤٧٧ هـ – أى قبل وصول الطرطوشى إلى الإسكندرية بنحو ثلاثة عشر عاماً – خرج على « بدر الجمالى » ابنه الأوحد ، وانضم إلى جماعة من العسكر والعربان ، ولجأ إلى مدينة الإسكندرية وتحصن بها ، فسار إليه أبوه ، وحاصره مدة ، وألح عليه بالقتال حتى هزمه ، ودخل المدينة .

وعند موت الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧ هـ – أى قبل وصول الطرطوشى بنحو ثلاث سنوات – بادر وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، فأجلس أبا القاسم أحمد – أصغر أولاد المستنصر – على عرش الخلافة ، فغضب الابن الأكبر « نزار » وفرّ إلى الإسكندرية ، وفى صحبته ابن مصال ، أحد قواد الدولة ، وفى الإسكندرية اتصل « نزار » بالأمير « أفتكين » والى المدينة ، ووعده أنْ يوليه الوزارة إنْ هو وقف إلى جانبه ، فاستجاب « أفتكين » لدعوته ، وأقنع سكان الإسكندرية بمبايعته .

وخرج الوزير الأفضل شاهنشاه بجيش من القاهرة ، واتجه إلى الإسكندرية ، وجرت بين الفريقين حروب انتصر فيها « نزار » . وعاد الأفضل إلى القاهرة ، وقوى أمر « نزار » واستولى على بلاد الوجه البحرى .. ولكن الأفضل جهز جيشاً جديداً ، وحاصر الإسكندرية حصاراً شديداً ، فاشتد الضيق بنزار وصحبه ، فجمع ابن مصال ماله وفرَّ فى البحر إلى بلاد المغرب ، ففتَّ ذلك فى عضد « نزار » ، وانتهى الأمر بهزيمته ، ودخل الأفضل الإسكندرية ، وقبض على « نزار » ، وأرسله إلى القاهرة حيث قتله بها .

وأصاب الإسكندرية – من هذا النزاع ومن هذا الحصار والقتال – كثيرٌ من التخريب ، وانتقم الأفضل من أهلها انتقاماً شديداً لتأييدهم لنزار ، ومبايعتهم له بالخلافة .. ويبدو أن انتقامه كان عنيفاً صارماً ، حتى إنه قتل عدداً من علمائها ، لذا تعطلت الشعائر الدينية فيها ، ولم تقم الجمعة فى مساجدها .. وكان نزول الطرطوشى بالإسكندرية إثر قتل الأمير بها علماءها ، فوجد البلد عاطلاً من العلم ، فأقام بها ، وبثَّ علماً جمًّا .

[جمال الدين الشيال : المرجعين السابقين]

الطرطوشى وخليفته فيما بعد – وكانت متزوجة قبله .. فأطلقت يد الطرطوشى فى أموالها ، وتحسنت أحواله ، ووهبت له دارًا من أملاكها ، جعل سكنه معها فى الدور الأعلى ، واتخذ من الدور الأسفل مدرسة يلقى فيها دروسه ، ويستضيف فيها طلاب العلم من الغرباء الوافدين على الإسكندرية .

موعظة الطرطوشى للأفضل الفاطمى [1] :

وبعد أن استقرت الحياة بالطرطوشى فى الإسكندرية خرج لزيارة العاصمة « القاهرة » وهناك ذهب لزيارة الوزير الكبير ، صاحب السلطان الأعلى ، الملك الأفضل شاهنشاه ، وذهب لزيارته بعد أن سمع عن جبروته وقُوَّتِه وسُلطانه ، لا ليسأله منحة أو عطية ، ولا ليقدم له المديح ويشيد بذكره ، بل لينصحه نصيحة العلماء المخلصين ، وليعظه الموعظة الحسنة ، وليطلب منه الرفق بالرعية ، وإشاعة العدل بينهم ، وفَتْح قصره لكل شاكٍ أو متظلم ، ولم يكن هذا غريباً من الطرطوشى ، العالم الزاهد الجرىء ، الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، والذى لا يخاف صاحب السلطان ولا يهابه ، فهو الذى وصفه ابن فرحون بأنه كان أبِىَّ النفس ، والذى وصفه المقرى بأنه كان قوَّالاً للحق .

وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه للأفضل فى « سراج الملوك »ومما جاء فيها :

« أيها الملك .. إن الله تعالى ألزم الورى طاعتك ، فلا يكونَنَّ أحدٌ أطوعَ لله منك .. وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر ، وليس الشكر باللسان ، ولكنه بالفعال والإحسان ، قال تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا** ﴾ .

---

(١) كانت زيارة الطرطوشى للأفضل بعد أن استقر به المقام فى الإسكندرية مدة طويلة ، تزوج خلالها وأنجب .. وهذه « الموعظة » إن دلت على شىء فهى تدل على جرأة الرجل فى الحق ، وهى خير شهادة له على ذلك .

ولم يَرْوِ لنا الطرطوشى كيف تقبل « الأفضل » هذا الحديث ، وأغلب الظن أنه هزَّ كيانه هزًا ، وأنه استنكره فيما بينه وبين نفسه ، وإنْ كان قد تظاهر بقبوله قبولاً حسناً ، فإن الرجل المستبد يأنف عادة من النقد ، وتستهويه آيات المديح .

[انظر المصدرين السابقين]

واعلم أن هذا المُلْكَ الذى أصبَحْتَ فيه إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن يدك مثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خوَّلَكَ من هذه الأُمَّة ، فإن الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل ، واعلم أيها الملك أن الله تعالى قد آتَى مُلْكَ الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود – عليهما السلام – فسخَّر له الإنس والجن والشياطين والوحوشَ والبهائم ، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنُن أو أمسك بغير حساب** ﴾ فوَالله ماعدَّها نعمة كما عددتموها ، ولاحسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله تعالى ومكرًا به فقال : ﴿ **هذا من فضل ربى ليبلُوَنى أأشكر أم أكفر** ﴾ فافتح البابَ ، وسَهِّل الحجابَ ، وَانْصُر المظلوم ، أعانك الله على ماقلدك ، وجعلك كهفاً للملهوف ، وأماناً للخائف .. » .

هكذا خاطب الطرطوشى العالم الزاهد ، الملك الأفضل ذا الحَوْل والطَّوْل ، وهو فى أوج سلطانه وعظمته ، والكل يأتمرون بأمره ، حتى خليفته « الآمر » نفسه .

الطرطوشى وابن حديد :

عاد الطرطوشى إلى الإسكندرية ليستأنف سيرته الأولى ، وليفرغ للعلم والتعليم ، وتكاثر طلابه ، وأقبلوا على دروسه ، وأحبوه ، واصطنع هو لهم طريقة هى أقرب شيء إلى طرق التربية الحديثة ، فلم يقصر اجتماعاته بهم على حلقات الدرس ثم ينفضُّون من حوله ، بل كان يصحبهم ويخرج معهم فى معظم الأوقات فى رحلات خارج المدينة إلى البساتين والأماكن الخلوية ، وهناك فى الهواء الطلق يلقى دروسه أو يذاكرهم فيما حفظوه ودرسوه ، وشاقت هذه الطريقة تلاميذه ، فأقبلوا عليه ، وكثر عددهم ، حتى كان إذا خرج فى رحلة من هذه الرحلات خرج فى كوكبة لاتقل عن أربعمائة طالب .

لكن هذا الإقبال جر على الطرطوشى الوبال ، فقد ضاق به قاضى الإسكندرية ابن حديد ضيقاً شديدًا [1] فقد كان ابن حديد ينتظر من الطرطوشى عند نزوله بالمدينة أن

---

(١) كانت أسرة بنى حديد كبرى الأسرات السكندرية فى ذلك الوقت مكانة وعلماً وثروة وجاهاً ، وقد ولى منصب القضاء فى المدينة أكثر من واحد من أفرادها ، وكان منصب القاضى وقت وجود الطرطوشى بالإسكندرية =

يسعى إليه ، وأن يمدحه ، وأن يكون من حاشيته ، ولو أنه فعل هذا لأَغْدَقَ عليه ابن حديد العطايا ، وَلَيَسَّر عليه شئون الحياة جميعاً ، ولكن الطرطوشى كان من صنف آخر من الرجال ، كان رجلاً يعتدُّ برجولته ، وكان عالماً يعتز بعلمه ، وكان بعد هذا زاهدًا لا يحبذ ذلك النوع من الحياة المترفة الباذخة التى كان يحياها ابن حديد .

وربما أخذ الطرطوشى على ابن حديد بعض تصرفاته المالية وبُعْدَها عن قواعد الشرع والإسلام ، وأغلب الظن أنه أطلق لسانه يتحدث إلى الناس بهذه المآخذ المالية ، مما آلَمَ ابن حديد وآذاه .. وكان للطرطوشى أيضاً إلى جانب هذا فتاوى كثيرة يعارض بها النظم والقواعد القائمة التى تأخذ بها الدولة ، وينتقد كثيرًا من العادات السائدة فى المجتمع ، والتى تنافى الدين الإسلامى وأصوله .

لهذا جمع ابن حديد هذه المآخذ ورفعها إلى الوزيرُ الأفضل شاهنشاه ، وَبيَّنَ له خطورة هذا الرجل على الإسكندرية وأهلها ، فأرسل الأفضل إلى والى المدينة يأمره بإرسال الطرطوشى إليه [1] .

الأفضل يحدد إقامة الطرطوشى :

وفى القاهرة قابل الوزير الأفضل « الطرطوشى » مقابلة طيبة ، ولكنه أمره بالبقاء فى

= يلى فى الترتيب والمكانة منصب حاكم المدينة ، وكان يعزز هذه المكانة أنَّ قاضى المدينة كانت له – إلى جانب اختصاصاته القضائية الدينية الواسعة – اختصاصات مالية وإدارية وضرائبية كثيرة ، فكان يشرف على الأحباس – أى الأوقاف – وعلى الجوالى – أى ضريبة الجزية التى تجمع من أهل الذمَّة من يهود ونصارى – وعلى دار الضرب ، وعلى المكوس – أى الضرائب المدنية غير الشرعية – وكان يعزز هذه المكانة أيضاً أنَّ ابن حديد نفسه كان ذا ثروة طائلة ، وأنه يحيا حياة العِلْيَة من القوم ، فيفتح قصره لكل قاصدٍ ، ويكرم الناس ، ويغدق العطايا ، مما دفع الكثيرين من شعراء عصره إلى مدحه والإشادة به .. وقد وصف المقريزى فى كتابه « الخطط » تلك الحياة ، حياة البذخ والترف التى كان يحياها القاضى ابن حديد فى قصره فى الإسكندرية . [انظر جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين]

(١) لم ينس الأفضل بَعْدُ كيف ثارت الإسكندرية مع « نزار » منذ قليل ووقفت تقاومه مدة ، وهو لايريد أن يثور شيء من الشغب فى هذه المدينة ، فلو ظل هذا العالم الزاهد على سياسته هذه التى ينتقد فيها المجتمع ، وينتقد الحاكم ، وينتقد القاضى وأحكامه ، وينتقد القواعد والنظم المالية المتبعة ، فإنه سيسبب للدولة متاعب كثيرة ، وسينقص من مهابتها فى أعين الشعب ، ولذا أراد الأفضل أن يحسم الشر قبل وقوعه ، فأرسل يأمر بإحضار الطرطوشى إلى القاهرة . [انظر المرجعين السابقين]

الفسطاط ، وحدَّد إقامته فى مسجد الرَّصَد ، جنوبى الفسطاط ، ومنع الناس من الاتصال به والأخذ عنه ، وعَيَّنَ له راتباً شهرياً ، بضعة دنانير يأخذها من متحصل جزية اليهود . وسمح لخادمه بالإقامة معه .

ويبدو أنَّ الطرطوشى قضى فى اعتقاله مدة طويلة تبلغ شهورًا ، فضجر من التضييق على حُريته ، واشتد كرهه للأفضل !! تقول المراجع : « وكان الشيخ يكره الأفضل ، فلما طال مقامه به - أى بالمعتقل - ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟! اجمع لى المباح من الأرض ، فجمع له ، فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : « رميته الساعة » . فلما كان من الغد ، ركب الأفضل فقُتِل »[1] .

وانكشفت الغُمَّة عن الطرطوشى ، فقد ولى الوزارة - بعد الأفضل - المأمون البطائحى ، وكان يعلم مابين الرَّجُلَيْن ، فأفرج عن الشيخ ، وأكرمه إكراماً زائدًا ، وقرَّبه إليه[2] .

الطرطوشى والمأمون البطائحى :

وعاد الطرطوشى إلى الإسكندرية ، واستأنف حياته ونشاطه العلمى ، ولم تَنَلْ منه هذه المحنة ولم تَفُلَّ من حِدَّتِه ، فقد كانت تشغله دائماً الأمور التى كان يراها منافية للشرع والعدل ، وقد تقدم - من قبل - للأفضل يطلب تغييرها فلم يستمع إليه ، بل أبعده عن داره وحدَّدَ إقامته .

وقد خشى الطرطوشى أن تأخذ الوزير الجديد عِزَّةُ الحُكم وأُبَّهة السلطان فيسير على نهج سَلَفه ، لهذا بدأ - بعد عودته إلى الإسكندرية مباشرة - يؤلف كتاب « سراج

---

(١) معنى هذا أن الطرطوشى لما اشتد به الضيق أعلن امتناعه عن أكل شيء مما يأتيه به الأفضل ، وأمر خادمه أن يجمع له شيئاً حلالاً من المُباح من نبات الأرض ، وأَكَلَ هذا المباح ثلاثة أيام ، وقد اعتكف يصلى ويتعبد ، ويبتهل إلى الله ، فلما كان اليوم الثالث قُتِلَ الأفضل .. ومن الثابت أنه قُتل فى اليوم السابق لعيد الفطر من سنة ٥١٥ هـ ، وهذا بالتالى يحدد لنا المدة التى اعتقل فيها الطرطوشى ، فهو قد اعتقل فى أواخر سنة ٥١٤ هـ وأوائل سنة ٥١٥ هـ وظل فى الاعتقال إلى شوال سنة ٥١٥ هـ .

(٢) [د . جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين] .

الملوك » وهو كتاب فى فن السياسة والحُكم ، ومايجب أن يكون عليه الراعى والرعيَّة ، وأتم هذا الكتاب فى سنة كاملة .. وفى شوال سنة ٥١٦ هـ حمل الكتاب وسافر إلى القاهرة ليقدمه إلى الوزير الجديد « المأمون البطائحى » وليعيد النظر معه فى الأوضاع السقيمة القائمة فى الدولة ، والتى لايقرها شرع .

ولم يكد « المأمون » يسمع بوصوله – وكان بين يديه الكُتَّاب وكبار الموظفين يعرضون شئون الحكم – حتى أَمَرَ فى الحال برفع الدفاتر ، وفض المجالس ، وأمر بمد السماط ، واستدعى الفقيه لمقابلته ، فلما دخل عليه ، وقف الوزير ، ونزل من مرتبته وجلس بين يدى الطرطوشى ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ (١) .

حضر الطرطوشى لمقابلة المأمون ليقدم له كتاب « سراج الملوك » الذى ألفه باسمه ، وأهداه إليه ، و ليعرض عليه تلك الأمور المنافية للشرع ، والتى سبق أن تحدث بشأنها أيام الأفضل فلم يستمع إليه (٢) وتناقش الطرطوشى طويلاً مع المأمون فى هذه الموضوعات ، وبعدها وافق المأمون على حلٍّ وسط يرضى الطرفَين (٣) .

---

(١) لم تكن من عادة الوزير فى العصر الفاطمى أن يقوم لتحية القادم عليه مهما كانت مكانته ، ولكن المأمون لم يقنع بالوقوف لتحيَّة الطرطوشى فقط ، بل ترك مرتبته ونزل فجلس بين يديه ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ ، وهذا أكبر دليل على عظم مكانة الطرطوشى ، وما كان يحسه الوزير نحوه من تبجيل واحترام .

[انظر المصدرين السابقين]

(٢) كانت تلك الأمور تتلخص فى النظم المتبعة فى الميراث ، فقد كان القضاة فى مصر – فى العصر الفاطمى – يتبعون المذهب الشيعى الذى يقضى بأن ترث البنت كل مايترك أبوها إذا كانت وحيدة لا أخ لها ولا أخت ، ويحرم العصبة من المشاركة فى الميراث .

وكانت النظُم الوضعية المتبعة تقضى أيضاً بأن يأخذ أمناء الحكم – أى الموظفون القضائيون المشرفون على شئون الميراث – ربع العشر من أموال الأيتام عند توزيع التركة .. وكان الطرطوشى يرى فى الأمر الأول مخالفة للشرع فى نظره – أى للمذاهب السنّيّة فالمذاهب السُّنية ترى ألّا ترث البنت أكثر من نصف التركة .. وكان يرى فى الأمر الثانى ظلماً فاحشاً ، واغتصاباً لحق الأيتام ، ومن واجب الحكومة أن تحافظ على أموالهم وتصونها ، لا أن تقتطع جزءاً منها لموظفيها .

(٣) وافق المأمون على إصدار أمر للقُضاة بأن يُتبع فى الميراث مذهب الميت ، فإن كان سُنياً اتبع المذهب السنىّ ، وإن كان شيعياً اتبع المذهب الشيعى .. أما الأمر الثانى ، فقد وافق عليه الوزير منذ اللحظة الأولى ، لأنه رأى فيه إجحافاً حقيقيًّا بأموال اليتامى وحقوقهم .و صدر سجل رسمى موقع عليه من الخليفة الآمر والوزير المأمون بهذه الأوضاع الجديدة ، وأُرسل إلى القضاة فى كل أنحاء الدولة للعمل به .

ولمّا اطمأنت نفس الطرطوشى بهذا الاتفاق ، وبعد نحو شهرين من إقامته فى القاهرة ، أزمع العودة إلى الإسكندرية ، فذهب إلى الوزير يشكره ويودعه ، وتقدم إليه فى هذه المقابلة طالباً الموافقة على إنشاء مسجد جديد بالإسكندرية ، فرَحَّب الوزير بطلبه ، وكتب فى الحال إلى ابن حديد ، قاضى الإسكندرية ، يأمره بالإشراف على بناء المسجد الذى يتخيره الطرطوشى ، وأن يبالغ فى إتقانه وسرعة إنجازه ، وتكون النفقة عليه – أى على المأمون – من مال ديوانه دون مال الدولة [1] .

تلاميذ الطرطوشى :

أشاع الطرطوشى فى الإسكندرية نشاطاً علميًّا وافرًا ، وتتلمذ عليه عدد كبير من فقهاء الثغر وطلابه ، وتخرج عليه الكثيرون ، ونبغ من هؤلاء التلاميذ نفر سيكونون عُمُد الحركة العلمية وشيوخها فيما بعد ، وبرز من هؤلاء العلماء :

سند بن عنان :

واسمه بالكامل سند بنّ عنان بن إبراهيم بن حريز بن خلف الأزدىّ ، وكان من أنبغ تلاميذ الطرطوشى وأقربهم إليه ، وقد سمع منه ، ولازم حلقته سنين طويلة ، ولم يأخذ من أستاذه العلم وحده ، بل قبس من أخلاقه وفضله ، ومن فلسفة الزهد التى أخذ الطرطوشى بها نفسه . وقد أفاض العلماء فى وصفه ومدح أخلاقه وفضله وعلمه [2] .

---

(١) لقد بُنى هذا المسجد فى منطقة باب البحر ، وباب البحر كان قريباً من ميدان المنشية ، وهذا المسجد – للأسف – من المساجد التى هُدِمَتْ وتلاشت معالمها ، فلا وجود له الآن فى المدينة . وقد خلط بعض المؤرخين المُحْدَثين بين مسجد الطرطوشى الذى كان مقاماً خارج باب البحر ، وضريحه الذى أُقيم بالقُرب من الباب الأخضر ، ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الضريح زُوِّدَ بمصلى صغير ، شأنه فى ذلك شأن الأضرحَة والمشاهد فى العمارة الإسلامية .

[انظر د . الشيال : المرجعين السابقين ، وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها للدكتور عبد العزيز سالم ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ط دار المعارف] .

(٢) خلف سند بن عنان أستاذه الطرطوشى فى الجلوس فى حلقته ومدرسته فى العلوم المختلفة ، وخاصة فى فقه الإمام مالك ، وتذكر المراجع أنه أَلَّف كتاباً ضخماً فى شرح « المُدَوَّنة » وهى من أمهات الكتب فى فقه الإمام مالك ، وسماه « الطراز » وكان هذا الشرح فى ثلاثين مجلداً ، غير أنه توفى قبل إتمامه .. وقد ظل يُدَرِّسُه إحدى وعشرين سنة بعد وفاة أستاذه الطرطوشى ، وقد توفى سند بن عنان سنة ٥٤١ هـ ودُفن بالقرب من قبر الطرطوشى .. ولايزال المسجد الذى يحمل اسمه موجوداً حتى اليوم فى الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندرية .

[انظر المرجعين السابقين] .

أبو الطاهر بن عوف :

وهو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ، وينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمٰن بن عوف .. وقد كان شيخ المالكية فى مدينة الإسكندرية طوال القرن السادس الهجرى دون منازع – فقد ولد سنة ٤٨٥ هـ وتوفى سنة ٥٨١ هـ عن ست وتسعين سنة – وقد وصفه السيوطى بأنه « صدر الإسلام » وقال أبو الحسن الحميرى : « كان أبو عوف – رحمه الله – إمام عصره وفريد دهره فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله ، وعليه مدار الفتوى ، وجمع إلى ذلك الورع والزهد وكثرة العبادة ، التواضع التام ، ونزاهة النفس [(١)] .

أبو بكر بن العربى :

هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد العربى المعافريُّ الإشبيليُّ ، وُلد فى إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ . وصحب أباه فى رحلته إلى المشرق سنة ٤٨٥ هـ وكان حين ذاك فى السابعة عشرة من عمره ، وتتلمذ إبَّان هذه الرحلة على كبار علماء مصر والحجاز والشام والعراق ، ففى بغداد حضر دروس أبى حامد الغزالى ، وفى بيت المقدس لازم أبا بكر الطرطوشى – قبل انتقاله إلى الإسكندرية واستقراره بها – وتتلمذ عليه ، واستغرقت هذه الرحلة ثمانى سنوات . وفى سنة ٤٩٣ هـ ترك بغداد إلى الإسكندرية فأقام بها وقتاً ، لازم خلاله أستاذه القديم أبا بكر الطرطوشى ، فاستزاد من علمه،ووثق علاقته به . ولما اعتزم ابن العربى العودة إلى بلاده حمَّله أستاذه الطرطوشى رسالة إلى سلطان المغرب المرابطى أبى يعقوب يوسف ابن تاشفين ، قدَّم إليه فيها النصائح بأن يلتزم حدود الدين فى أوامره ونواهيه ، وأن يرعى الله فى رعيته ، وأن يفتح بابه لكل مظلمة .. ثم أوصى السلطان خيرًا بتلميذه ابن العربى ..

---

(١) كان ابن عوف ربيب الطرطوشى ، وكان الطرطوشى تزوج خالة ابن عوف هذا .. وقد شهد ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية الشيعية وقيام دولة صلاح الدين فى مصر سنة ٥٦٧ هـ وقد زار صلاح الدين الإسكندرية فى سنة ٥٧٧ هـ وحرص فى هذه الزيارة أن يحضر هو وأولاده وكبار رجال دولته دروس أبى الطاهر بن عوف ، وسمعوا عليه جميعاً « موطأ مالك » بروايته عن أستاذه الطرطوشى ، وكان صلاح الدين يُعظم ابن عوف ويراسله ويستفتيه .. وتوفى ابن عوف سنة ٥٨١ ودُفن بالإسكندرية بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف .
[انظر المرجعين السابقين] .

فأكرمه السلطان وعينه قاضياً لمدينة أشبيلية . وكانت له فى الظالمين سَوْرَة مرهوبة ثم صُرِفَ عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه [١] .

المهدى بن تومرت :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى ، البربرى الجنس ، الملقب بالمهدى ، مؤسس دولة الموحدين ، وينتمى إلى قبيلة « هرغة » إحدى قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ونشأ فى قبيلته ، ثم رحل إلى الشرق طلباً للعلم ، فانتهى إلى العراق ، ودرس بالمدرسة النظامية بعد افتتاحها، وحضر دروس أبى حامد الغزالى ، وأدى إبَّان رحلته هذه فريضة الحج ، وجاور بمكة زمناً ، وكان ورعاً تقياً منصرفاً إلى العبادة ، شديدًا على من يخالف أمر الدين ، ثم ترك مكة إلى مصر ، وقصد مدينة الإسكندرية ، واتصل فيها بأبى بكر الطرطوشى وتتلمذ عليه .. ثم أبحر إلى المغرب ، ولم يعمر طويلاً وتوفى سنة ٥٢٤ هـ . وكان عظيم الهمة ، شديد الذكاء ، فصيحاً وأديباً ، وله مؤلفات ، منها : « كنز العلوم » وكتاب « أعز ما يطلب » وقد أودع هذا الكتاب الأخير أصول دعوته ، وترجمه إلى اللغة البربرية .

وبعد .. فهذه هى حياة فقيهنا العالم الزاهد أبى بكر الطرطوشى ، وهذه هى سيرته العطرة التى استحق من أجلها أن يوصف بالزهد والورع ، والفضل والجرْأة ، وبأنه أحد الأئمة الكبار .

وهؤلاء بعض تلاميذه النوابغ الذين حملوا الراية من بعده ، وقادوا الحركة العلمية بعد انتقاله إلى جوار ربه سنة ٥٢٠ هـ [٢] وهكذا كانت سيرة العلماء ، ومنذ أن عدم

---

(١) كثر حاسدو ابن العربى وشانئوه ، ووشى به الواشون ، فقبض عليه وسُجن فى مدينة « مراكش » نحو عام ، ولما أطلق سراحه خرج قاصداً مدينة « فاس » فمات فى طريقه إليها فى سنة ٥٤٣ هـ فحُمل إليها ودُفن بها .
[انظر المرجعين السابقين] .

(٢) انتقل الطرطوشى إلى جوار ربه فى ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى =

الناس أمثال هذا الطراز النادر من العلماء أصابهم ما أصابهم .

مؤلفات أبي بكر الطرطوشي :

إن حياة أبي بكر الطرطوشي غير المستقرة لم تمنعه من التأليف ، فقد ذكرت المراجع المختلفة أنَّ له تآليف كثيرة ، وأغلب الظن أنه وضع معظم هذه المؤلفات أثناء مقامه فى الإسكندرية ، بعد أن تزوج بها وأنجب واطمأن إلى معيشة هادئة فى كنف زوجته السكندرية الصالحة [1] .

ويبدو واضحاً من قائمة المؤلفات التى ذكرتها المراجع ونسبتها إلى الطرطوشي أن الرجل كان نشيطاً مُنتجاً ، خصب الإنتاج ، وقد أحصت له اثنين وعشرين مؤلفاً ، الموجود منها تسعة والباقى مفقود ، ومن هذه المؤلفات التسعة الباقية طُبع اثنان فقط ، والسبعة الأخرى مازالت مخطوطة . وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل الخلاف والفقه ، والبعض الآخر يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم ، والمجتمع وأدواءه وأحواله ، وفيما يلى عرض تفصيلى لهذه الكتب .

مختصر تفسير الثعالبى : اختصره الطرطوشي فى كتاب خاص أثناء مقامه بالشام ، وكان يُدرسه فى المسجد الأقصى [2] وتوجد فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من الجزء الثانى من هذا المختصر .

= سنة ٥٢٠ هـ وصلى عليه ولده محمد ، وفى « الصلة » لابن بشكوال: أنه توفى فى شهر شعبان سنة ٥٢٠ هـ وفى بغية الملتمس : وصَلّى عليه ابن عوف ، ودُفن فى مقبرة « وَعْلَة » وهى مقبرة كانت قريبة من البرج الجديد ، قبلى الباب الأخضر ، الذى كان أحد أبواب الإسكندرية القديمة الهامة ، وكان يقع فى الناحية الغربية من أسوارها . [انظر المرحوم جمال الشيال : المصدرين السابقين] .

(١) إن حياة الارتحال والطلب الأولى فى الأندلس والحجاز والعراق والشام لم تتح له الفرصة للتفرغ للتأليف ، كما أن سن الأربعين التى بلغها عند نزوله الإسكندرية هى سن النضج الفكرى ، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من اطمئنانه إلى الحياة الهادئة التى لقيها فى كنف زوجته ، وهى حياة مستقرة نسبيًا ، كل هذه الأسباب ترجح أنه وضع الغالبية العظمى من مؤلفاته إبّان الحقبة التى عاشها فى الإسكندرية ، ومداها نحو الثلاثين عاماً ، ويؤكد هذا الترجيح ، تلك الملابسات والظروف التى أُلّفتْ فيها وبسببها معظم كتب الطرطوشي ، فقد كانت ظروفاً أو أحداثاً تتصل بالمدة التى قضاها فى مصر بوجه عام ، وفى الإسكندرية بوجه خاص .
[المصدرين السابقين] .

(٢) الثعالبى — أو الثعلبى — هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . قال عنه ابن خلكان : « كان أوحد زمانه فى التفسير ، وصنف التفسير الذى فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس =

الكتاب الكبير فى مسائل الخلاف [1] : وهذا الكتاب يقع فى خمسة أجزاء ، وقد ألفه بعد أن تم نضجه الفكرى فى الإسكندرية ، وأصبح أستاذًا ، ومرجعاً فى هذا العلم .

شرح رسالة الشيخ ابن أبى زيد القيروانى [2] : ومن المرجح أن يكون هذا الشرح بعض دروسه التى كان يلقيها فى المذهب المالكى فى مدينة الإسكندرية .

كتاب الأسرار : لم تذكر المراجع التى أرخت للطرطوشى وأحصت مؤلفاته هذا الكتاب ، ولكن الطرطوشى أشار إليه فى أكثر من موضع من كتابه « سراج الملوك » ويبدو من الشواهد التى ذكرها عن الكتاب ، أنه يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، وبالقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات [3] .

كتاب يعارض به كتاب الإحياء للغزالى : ذكره الحميرى فى كتابه « صفة جزيرة الأندلس » عند ترجمته للطرطوشى ، فقال : « وعاصر — أى الطرطوشى — الغزالى ، وله فى إحيائه كلام ، وكان منحرفاً عنه ، سيىء الاعتقاد فيه .. وذكره الضبى فى « بغية

= فى قصص الأنبياء » وهذا التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير هو الذى أسماه صاحبه « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » وهو الذى اختصره الطرطوشى فى كتاب خاص .

[انظر الشيال : المصدرين الأسبقين ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤] .

(١) أو : التعليقة فى الخلافيات . والخلاف كان أحد العلوم الأولى التى بدأ الطرطوشى يتلقى أصولها منذ صباه المبكر فى وطنه الأول « الأندلس » على أستاذه أبى الوليد الباجى ، والتى استزاد منها حتى أتقنها أثناء تحصيله فى بغداد والبصرة وغيرهما من مدن العراق .. وقد ورد ذكر هذا الكتاب فى نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام للزركلى ج ٧ ص ١٣٤ وغيرهما من المراجع .

(٢) هو : أبو بكر بن عبد الله بن أبى زيد ، عالم من أكبر أعلام الفقه المالكى الأوائل الذين وضعوا أسسه وقواعده ، وقد عاش فى القرن الرابع الهجرى ، وسكن القيروان مدة ، وكان إمام المالكية فى وقته وهو جامع مذهب الإمام مالك ، وشارح أقواله ، حتى لقد عرف باسم مالك الصغير .. وقد توفى سنة ٣٨٩ هـ وله تآليف كثيرة ، أهمها : الرسالة فى الفقه المالكى .. وقد شرح هذه الرسالة كثيرون من علماء المالكية ومنهم أبو بكر الطرطوشى .

[انظر الشيال ، ونفح الطيب ، الصفحة نفسها]

(٣) انظر سراج الملوك ، بداية الباب الثالث والعشرين — فى العقل والدهاء والخبث .. ونهاية الباب الثانى والستين — فى القضاء والقدر والتوكل والطلب .

الملتمس » فقال : « وله – أى للطرطوشى – كتاب كبير يعارض به كتاب الإحياء ، رأيت منه قطعة يسيرة » [(١)] .

رسالة فى تحريم جبن الروم : وهى رسالة صغيرة ألفها أثناء مقامه فى الإسكندرية ، وكانت من الأسباب التى أثارت عليه القاضى ابن حديد والوزير الأفضل [(٢)] .

---

(١) يذكر المرحوم جمال الدين الشيال أنه بحث كثيراً عن هذا الكتاب فلم يعثر له على أثر ، وإنما عثر على مايفيد أن الطرطوشى كتب رسالة لصديق له يذكر فيها أنه اجتمع – أى الطرطوشى – بالغزالى فى الإسكندرية حوالى سنة ٥٠٠ هـ ، وتحدث إليه وناقشه فى موضوعات كثيرة ، ويشير إلى رأيه فى « الإحياء » وينقده .. وللسيد محمد المرتضى الزبيدى – من كبار علماء مصر فى القرن الثامن عشر – شَرْحٌ كبير لكتاب إحياء علوم الدين يقع فى عشرة أجزاء سماه : « اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » وقد عرض فى مقدمته للعلماء السابقين الذين تناولوا إحياء الغزالى بالدراسة أو بالمدح والتقريظ ، أو بالنقد والتجريح ، وذكر من بين الناقدين العالِمَيْن المالكيين : المازرى والطرطوشى .. وعرض أولاً كلام المازرى فى الإحياء ، ثم ناقشه ورد عليه ، واستطرد فعرض لكلام الطرطوشى وقال : « هذا ملخص كلام المازرى ، وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطرطوشى ، نزيل الإسكندرية ، فذكر فى رسالته إلى أبى مظفر : « فأما ماذكرت من أمر الغزالى ، فرأيتُ الرجل وكلمتُه ، فرأيته من أهل العلم ، وقد نهضتْ به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره ، وكان على ذلك طول زمانه ، ثم بدا له البعد عن طريق العلماء ، فدخل فى غمار العمال ، ثم تصوَّف فهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحَلَّاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ؛ فلقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم فى علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، أو خبير بمعرفتها ، فسقط على أُمِّ رأسه ، وشحن كتابه بالملومات » .

هذه هى الفقرة التى نقلها المرتضى الزبيدى لعرض رأى الطرطوشى فى الغزالى وإحيائه ، ونفهم منها أن الطرطوشى لم يؤلف كتاباً فى نقد الإحياء ، وإنما كتب رسالة إلى صديق له – هو أبو مظفر – أبدى فيها رأيه فى الغزالى وكتابه .. ولم يستطع الطرطوشى ، فى أول الرسالة أن يخفى إعجابه بالغزالى ، ولكنه لم يلبث أن استدرك فقال ماقال ، يُجَرِّح الرجل وكتابه .

ولاشك أن الطرطوشى متحاملٌ ومُتَجَنٍّ على الغزالى – وتفسير هذا التحامل أنه نوع من الغيرة التى تنشأ عادة بين العلماء المتعاصرين ، فالرجلان وُلدا فى سنة واحدة ، واشتغلا بالعلم وتحصيله ودراسته فى الحقبة الأولى من حياتهما ، ثم ركنا إلى حياة الزهد والتصوف حتى عُدَّا من المتصوفة الزاهدين فى أخريات حياتهما .. والطرطوشى أدرك شهرة وذاع صيته فى الشام أولاً ثم فى الإسكندرية ثانياً – والغزالى طبق ذكره الآفاق فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وخاصة بعد تأليفه « المنقذ من الضلال » و« إحياء علوم الدين » وقد سبقته شهرته إلى الإسكندرية قبل وصوله إليها ، ولم يكن للطرطوشى وقت ذاك مؤلَّف يستطيع ان يطاول به « الإحياء » ولهذا جاء نقد الطرطوشى للغزالى وكتابه ضعيفاً متهافتاً لايزيد على أن يضم بعض الاتهامات التى لاتقوم على دليل ، وقد رد « السبكى » صاحب « طبقات الشافعية » على هذه الادعاءات وفندها واحدة واحدة [انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٨٢ – ٨٣ وأبى بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر ص ٧٨ – ٨٢ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩] .

(٢) كان الطرطوشى يفتى بتحريم الجبن الذى يأتى به النصارى الروم إلى المدينة وغيره من المأكولات التى تأتى من أوروبا ، ومعنى مقاطعة هذه المأكولات نقص إيرادات الدولة بنقصان الضرائب التى تؤخذ على هذه التجارة الواردة .. لهذا السبب وغيره أمر الوزير الأفضل القاضى ابن حديد بإرسال الطرطوشى إليه فى مصر ، وتحديد إقامته .

الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومحدثاتها) : وأغلب الظن أنه ألفه فى الإسكندرية كذلك ، وهو ينتقد فيه المجتمع الإسلامى والبدع التى انتشرت فيه ، ليثبت أن هذه البدع والمحدثات مِمَّا يتنافى مع أصول الدين والشريعة [1] .

كتاب « الفتن » : ولعله تناول فيه الفتن التى سادت العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، فقد كان العالم الإسلامى – شرقه وغربه – يجتاز مرحلة تسودها الانقسامات والفتن فى كل جزء من أجزائه .

كتاب « بر الوالدين » : وتذكر المراجع أنه عالج فيه موضوع عقوق الآباء .. وأورد فيه من الآيات والأحاديث والحِكَم والأشعار مايحث الأبناء على البر بالوالدين .

رسالة فى تحريم الغناء واللهو على الصوفية فى رقصهم وسماعهم : وتوجد منه نسخة خطية وحيدة ضمن المجموعة التى تضم كتاب البدع والحوادث فى مكتبة مدريد تحت رقم ٥٣٤١ وتشتمل على الصفحات من ١٠٤ – ١٢١ .

كتاب « تحريم الاستمناء » : وتوجد منه نسخة خطية فى مكتبة برلين تحت رقم ٤٩٨١ .

كتاب « نزهة الإخوان المتحابين فى الله : وتوجد منه نسخة خطية فى مكتبة جوتا تحت رقم ٩٠٩ .

رسالة العدة عند الكرب والشدة .

حاشية على إثبات الواجب .

وهذان الكتابان ذُكرا فى فهرس مكتبة استانبول (فى الجزء الأول) منسوبين إلى الطرطوشى .

كتاب « الدعاء » : وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (فى الجزء الثانى الصفحة رقم ٦٢١) .

كتاب النهاية فى فروع المالكية : وقد ورد ذكره أيضاً فى كشف الظنون (الجزء الثانى ، الصفحة رقم ٦٢١) .

---

(١) هذا الكتاب حُقق وتم طبعه سنة ١٩٥٩ م وقام بنشره الأستاذ/محمد الطالبى – من علماء تونس

كتاب نفائس الفنون .

اختصار كتاب أخلاق رسول الله : والأصل لأبى محمد عبدالله بن جعفر بن حيان ، وقد ذكره ابن خير فى فهرسه .

جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد : ذكره ابن خير فى فهرسه

ثلاثة أجزاء فيها الكلام فى الغنى والفقر : ذكرها ابن خير أيضاً فى فهرسه وقال : « ثلاثة أجزاء فيها الكلام فى الغنى والفقر ، تولى جمعها الفقيه أبو بكر الطرطوشى – رحمه الله – حدثنى بها القاضى أبو بكر بن العربى » .

رسالة أبى بكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين : وهى رسالة طويلة فى نحو عشر صفحات ، كتبها الطرطوشى إلى السلطان المرابطى أبى يعقوب بن تاشفين يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته ، وإشاعة العدل بين رعاياه . وقد ذكرها ابن خير فى فهرسه [1] .

المجالس : وقد ورد فى فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) بالقسم الثانى من الجزء الأول الصفحة رقم ٤٦ – علم التفسير ، وأوله : « الحمد لله الذى لايؤنسه موجود » فى مجموع ، من ورقة ١٤٧ ب إلى ٢٢١ ب .

سراج الملوك : وهو أهم كتب الطرطوشى جميعاً وأقيمها ، وهو واحد من الكتب القليلة التى وصلت إلينا ، فمعظم كتبه فُقدتْ – كما ذكرنا – وهو الكتاب الوحيد من بين هذه القلة الباقية الذى طبع أكثر من مرة ، وقد استمدَّ الطرطوشى مادته من كتب التاريخ والأدب والأسمار ، وأورد فيه من الطرائف والنوادر مايؤيد به قضاياه فى السياسة والحكم ، والإدارة ، والأخلاق ، وتدبير الممالك ، والتعامل مع الناس ، فجمع الكتاب بين مكارم الأخلاق والمروءة العربية الإسلامية ، والسلوك المستقيم .

الهدف من تأليفه : ذكرنا من قبل أن الطرطوشى ألف كتابه هذا بعد إطلاق سراحه

---

(١) هذه الرسالة كانت موجودة فى الجزء الذى لم يُنشر من مخطوطة « مفاخر البربر » وهى لمؤلف مجهول ، وقد قام المرحوم الشيال بنشر نص هذه الرسالة فى كتابه أبى بكر الطرطوشى العالم الزاهد .
[انظر المصدر السابق ص ١١١ – ١٢٣] .

من المعتقل الذى حُددت إقامته فيه فى الفسطاط ، وأنه ألفه فى الإسكندرية ، ثم قدَّمه هدية إلى الوزير المأمون البطائحى ، وكان هدفه من ذلك دعوة الوزير أن يقف موقفاً آخر من العلماء ، غير الذى كان يتبعه سلفه الأفضل ، فالعلماء هم السياج الذى يمنع الحكام من الظلم والبغى .. وقد أراد الطرطوشى من كتابه هذا أن يكون دستورًا للحكام والمحكومين على السواء ، وأن يحدد فيه حقوق الحاكم والمحكوم ، فلا يتجاوز أحدٌ من الطرفين حَدَّه ، ولايتعدى حقه ، وليدفع به الأمة الإسلامية نحو هدف فيه صلاح أمر العرب والمسلمين ، وليعلى فيه شأن القيم الخلقية التى تحث على الفضائل عن طريق الحكمة والموعظة الحسَنة .

سراج الملوك والكتب المصنفة على منواله : برغم أن الموضوع الذى عالجه الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » قد عالجه أكثر من مفكر مسلم ، فقد عالجه ابن قتيبة — المتوفى سنة ٣٣٦ هـ — فى « عيون الأخبار » وأبو الحسن الماوردى فى « الأحكام السلطانية » و« نصيحة الملوك » ، والغزالى فى كتابه « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك » [(١)] والشيزرى فى كتابه « المنهج المسلوك فى سياسة الملوك » وابن طباطبا فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية » وبرغم ذلك فإن الطرطوشى يعدمن الطلائع ، ومن رواد الفكر الإسلامى الأوائل الذين حاولوا التأليف فى علم السياسة وفن الحكم .

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى كتاب الطرطوشى « سراج الملوك » ، واعترف بأن الطرطوشى من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف فى علم الاجتماع أو العمران .. ولكنه قال : إن الطرطوشى أحسن فى تقسيم كتابه وتحديد موضوعاته ، ولكنه لم يُحسن علاج هذه الموضوعات أو التفكير فيها أو عرضها — أو على حد قوله — حَوَّم على الغرض ولم

---

(١) قارن المرحوم الشيال بين كتاب الغزالى هذا وبين « سراج الملوك » وتبين له أن منهج الرجلين واحد ، فكلاهما يمزج تفكيره الأخلاقى بتفكيره السياسى مزجاً تامًا ، وكلاهما يبدأ الفصل بتقرير المبدأ الأخلاقى تقريراً موجزاً ، ثم يورد من قصص الأقدمين وحكمهم مايبرهن به على صحة هذا المبدأ .. والغزالى أهدى كتابه للملك سلجوق ، والطرطوشى أهدى كتابه لوزير فاطمى كان يتمتع بسلطان الملك المطلق .. ولكن كتاب الغزالى موجز ، أما كتاب الطرطوشى فكتاب ضخم مفصل ، وقد تناول فيه كثيراً من الموضوعات التى لم يعرض لها الغزالى فى كتابه .. وحصيلة الطرطوشى فى « سراج الملوك » من القصص والنوادر والحكم والأخبار التاريخية والمسائل الفقهية أغنى وأوفر من حصيلة الغزالى فى كتابه « التبر المسبوك » .

[انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٩٢ ، ٩٣ وأبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد ص ٨٨ ، ٨٩] .

يصادفه ، ولاتحقق قصده ، ولا استوفى مسائله [١] .

لقد أراد ابن خلدون – بعد أن اعترف بفضل أسبقية الطرطوشى فى ارتياد هذا الموضوع – أراد أن يتعالى عليه فى الوقت نفسه ، وأن يفخر بما آتاه الله من نعمة التوفيق فى مقدمته .. وإنصافاً للطرطوشى وللحقيقة نقول : إنَّ هدف الطرطوشى من تأليف « سراج الملوك » لم يكن كهدف ابن خلدون من تأليف المقدمة ، هدفاً علمياً خالصاً ، وإنما كان هدفه فنياً ، وهو أن يؤثّر فى النفوس بالقصة يرويها ، أو بالمثل والحكمة والموعظة الحسنة ، يُلَمِّح ولايصرح ، وحقيقة أن الطرطوشى لم يكن ندًّا لابن خلدون ، ولكن العدل أن يقاس نجاح المؤلف بمقدار نجاحه فى تحقيق أهدافه التى كان يتطلع إليها عند وضع مؤلفه .

والحقيقة أن « سراج الملوك » كتاب حافل بالقصص الممتعة ، والأخبار الطريفة ، والنوادر الشائقة ، كما ضَمَّنَهُ الطرطوشى كثيرًا من تجاربه المفيدة ، ونظراته السديدة ، وآرائه القيمة ، مما يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة شاملة لمسائل الفقه والتشريع والتاريخ والأدب [٢] .

منهج الطرطوشى فى تأليف الكتاب : قسَّم الطرطوشى كتابه « سراج الملوك » إلى أربعة وستين باباً ، تتفاوت طولاً وقصرًا ، فقد يطول الباب حتى يتجاوز العشرين صفحة – من القطع الكبير – وقد يقصر حتى لايصل إلى صفحة واحدة أو بضعة أسطر .. وقد يكرر الطرطوشى أحياناً بعض العبارات أو ماسبق أن قَصَّهُ من حكايات فى أكثر من موضع فى كتابه .

---

(١) قال ابن خلدون : « وكذلك حوَّم أبو بكر الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » وبوَّبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله ، ولكنه لم يصادف فيه الرميَّة ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة . إنما يُبوِّب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار ، وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بُزر جمهر ، والموبذان ، وحكماء الهند ، والمأثور عن دانيال وهِرْمس ، وغيرهم من أكابر الخليقة .. ولايكشف عن التحقيق قناعاً ، ولايرفع بالبراهين الطبيعية حجاباً ، إنما هو نَقْلٌ وتركيبٌ شبيه بالمواعظ ، وكأنه حَوَّم على الغرض ولم يصادفه ، ولاتحقق قصده ، ولا استوفى مسائله » .

[انظر مقدمة ابن خلدون – طبيعة العمران فى الخليقة ص ٦٦ ط دار الكتاب اللبنانى – وانظر الشيال : المصدرين السابقين] .

(٢) [انظر الشيال : المصدرين السابقين] .

إن منهج الطرطوشى فى تأليف هذا الكتاب أن يبدأ الباب بتقرير المبدأ الخُلقى الذى يرى أن يتحلى به صاحب الوظيفة ، سواء أكان ملكاً أم وزيرًا أم والياً أم قاضياً ، وقد يشرح هذا المبدأ شرحاً يسيرًا ، ولكنه لايطيل ، بل يسرع بإيراد كثير من الحكم والأمثال والقصص التى تؤيد صحة هذا المبدأ ، وهو يقتبس هذه الحكم والقصص والنوادر من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن سير الأنبياء والخلفاء والصالحين ، ومن سير الملوك والحكماء السابقين من مختلف الأجناس والعصور .

إن الطرطوشى فى كتابه هذا ، واحد من المفكرين الذين لايفرقون بين السياسة والأخلاق ، بل يراهما شيئاً واحدًا متفقاً ، وهو يشبه فى هذا فلاسفة اليونان القُدامى ومفكريهم ويختلف اختلافاً كبيرًا عن فلاسفة أوربا فى عصر النهضة والعصر الحديث ، من أمثال هوبز ، ولوك ، ورسو ، وهيجل ، وماركس ، الذين كانوا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، ويفكرون فى مشاكل السياسة وموضوعاتها تفكيرًا مستقلاً عن تفكيرهم الخلقى ، وهو يشبه فى هذا أنداده من المفكرين الإسلاميين ، فهم جميعاً لم يفرقوا فى مؤلفاتهم بين السياسة والأخلاق [1] .

مخطوطات الكتاب وطبعاته :

توجد فى دار الكتب المصرية ست مخطوطات من كتاب « سراج الملوك » وبيانها كالتالى :

المخطوطة الأولى تحت رقم (٤١٤ تاريخ) ٥٢٥ ق . خط . سنة ١٠٨٢ هـ .

والثانية تحت رقم (٢٨٣٧ تصوف) ٢٢١ ق خط . سنة ١٠٨٣ هـ .

والثالثة تحت رقم (٣٢٥٦٧ ب) ١١٩ ق خط . سنة ١٠١١ هـ

والرابعة تحت رقم (١٣ اجتماع تيمور) ٢١٦ ص .

والخامسة تحت رقم (٢٧ الزكية) .

والسادسة تحت رقم (٥١ تاريخ م) .

---

(١) [الشيال : المصدرين السابقين] .

والمخطوطات الأربع الأولى تم تصويرها على « ميكروفيلم » والاثنتان الأخيرتان بهما بعض العيوب التى حالت دون تصويرهما .

كما توجد فى معهد المخطوطات العربية مخطوطة واحدة تحت رقم (٢٣١٧ – ٢١١ ق) خط نسخ ، حجم كبير ، تحت فن السياسة والاجتماع [١] .

هذا عن مخطوطات الكتاب المصرية ، وهناك مخطوطات أخرى للكتاب فى العديد مكتبات العالم العربى والأوربى أشار إليها بروكلمان وغيره . أما عن طبعات الكتاب ، فقد ذكرنا أن « سراج الملوك » هو الوحيد من بين كتب الطرطوشى القليلة التى وصلت إلينا ، والذى طُبع أكثر من مرة .. وقد قامت المطبعة الخيرية – المنشأة بالجمالية – بطبع الكتاب سنة ١٣٠٦ هـ ، أى منذ أكثر من مائة سنة .. ثم قامت المطبعة الأزهرية المصرية بطبعه على منوال الطبعة الأولى سنة ١٣١٩ هـ ، وهاتان الطبعتان متطابقتان تماماً ، وبهامش كل طبعة منهما كتاب « التبر المسبوك فى نصائح الملوك » للغزالى .. وهناك طبعة ثالثة أشار إليها الدكتور جمال الشيال فى مصادر كتابه « أبى بكر الطرطوشى – العالم الزاهد » طبعت سنة ١٩٣٥م وهى تقابل سنة ١٣٥٤ هـ ، وهذه الطبعات الثلاث هى التى وقفت عليها لهذا الكتاب ، وربما كانت له طبعات أخرى .

وقد اخترت لتحقيق هذا الكتاب أولى هذه الطبعات ، وقابلتها بأقدم المخطوطات السبع التى سبق الحديث عنها – تاريخاً – هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى سيأتى ذكرها .

وَصف نُسْخَتِي التحقيق :

أولا – وصف نسخة المطبعة الخيرية : وهى الطبعة الأولى من الكتاب ، وقد مضى على طبعها أكثر من مائة سنة ، وقد قام بتصويبها العالم الفاضل الشيخ محمد طموم – من علماء الأزهر – وبأعلى الصفحة الأولى عنوان الكتاب : « سراج الملوك ، للإمام العلّامة ، الثبت الثقة ، الحجة الفَهَّامة ، العارف بالله ، أبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكى ، رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين » .

---

(١) من الصعب على المحقق أن يحصر كل المخطوطات التى تخص الكتاب الذى يحققه على وجه الدقة ، حتى بعد أن يراجع فهارس الكتب والمخطوطات العربية ودور الكتب ، وخزائن المخطوطات فى شتى البقاع ، و ذلك لأسباب كثيرة ، منها وجود المكتبات « الخاصة » التى تحوى الكثير من نفائس المخطوطات فى البلاد العربية والإسلامية ، والتى يتوارثها أصحابها ، والتى يصعب حصرها .

وبهامشه كتاب « التبر المسبوك فى نصائح الملوك » للغزالى .. وفى وسط الصفحة الأولى – تحت عنوان الكتاب – أورد الناشر ماقاله صاحب « كشف الظنون » – حاجى خليفة – عن الكتابين قال : « سراج الملوك لأبى بكر الطرطوشى المالكى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ جمعه من سير الأنبياء وآثار الأولياء ، ومواعظ العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، ورتبه ترتيباً أنيقاً ، فما سمع به ملك إلّا استكتبه ، ولا وزير إلّا استصحبه ، يستغنى الحكيم بمدارسته عن مُباحثة الحكماء ، والملك عن مشاورة الوزراء ، وذكر فيه الأمير أبا عبدالله الأموى [الصواب : الآمرى] وأبوابه أربعة وستون باباً » .

وذكر نحو هذا عن كتاب التبر المسبوك للغزالى . وفى أسفل الصفحة ذكر « الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية ، سنة ١٣٠٦ هجرية .

هذا كله فى الصفحة الأولى .. أما فى الصفحة الأخيرة من الكتاب ، فقد جاء فيها مايلى : « الحمد لله الذى أنار قلوب هذه الأمة بسراج الحكمة ، وأنقذهم برعاة الهدى وعلماء الملة من أوشال الظلمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إمام الأنام ، وعلى آله وأصحابه ، قدوة العاملين ، ونجوم الإسلام .. أما بعد ، فيقول الواثق بالله أحمد بن مفتاح : قد تم هذا الكتاب الملقب بسراج الملوك ، وهو كتاب أسفر عن بدائع الغرر ، ومخبآت الفرائد ، ومحاسن النصائح ، وأعرب عن سعة اطلاع مؤلفه فى بابه ، حتى أقرَّ له العَلَّامَة ابن خلدون فى مقدمته بتقدمه عليه ، وغزارة حكَمه الشاسعة المرمى ، المُصيبة الغرض ، وهو وإنْ لم يكن كبير الجسم فهو كثير الفائدة ، سهل التناول ، عذب المذاق ، يغنى طالبه عن مزاولة كتب شتى ، ومراجعة أسفار عديدة ، وكفى به دليلاً هادياً ، ونبراساً فخماً ، أخذ بطرفى التاريخ والنصيحة ، وسقى بكأسى العلم والأدب ، وبالجملة ، فهو الكتاب الذى قَلَّ أن يُثار خلفه غبار ، أو يجرى معه فى مضمار ، أو يخضد شوكه ، أو ينفر طيره ، أو يُستباح حماه ، لاسيما وقد رقمت طرره ، ووشيت صفحاته بكتاب التبر المسبوك ، للعلّامة حُجة الإسلام أبى حامد الغزالى ، وهو كتاب نهج منهجاً حقاً ، وسبيلاً صدقاً ، واتَّحَد مع السراج فى مطالب كثيرة ومقاصد متنوعة ، فهما كما قيل :

(رضيعا لبان ثدى أمٍّ تحالفا بأسحم داج عوض لانفرق)

وقد بزغا فى سماء التصحيح تخفق فوقهما راية التهذيب ، وتحدوهما يد التنقيح ، لاسيما وقد اعتضدتُ على ذلك بالعالم الفاضل ، والصالح المهذب ، الأستاذ الشيخ محمد طموم ،

من علماء الجامع الأزهر ، وكان ذلك بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المُعِزِّيَّة ، على ذمة صاحبيها الفاضلين ، حضرة السيد عمر حسين الخشاب ، وحضرة السيد محمد عبد الواحد الطوبى .. ووافق تمام طبعه يوم الخميس ، الثانى عشر من شهر رجب عام ستة وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

عيوب هذه الطبعة :

وبالرغم مما قيل عن هذه الطبعة ، فإنها لم تَخْلُ من مآخذ :

أولــها : إغفال علامات الترقيم كلية .

ثانيــها : عدم توخى الدقة فى همزات الوصل والقطع .

ثالثــها : إهمال تقسيم الأبواب والفصول إلى فقرات ، وإن كان يُفصل بين كل كلامين - أحياناً - بوضع الكلمة الأولى فى الكلام الجديد بين قوسين .

رابـعها : لاتخلو من أخطاء فى اللغة والإملاء بجانب الأخطاء المطبعية التى تنتشر بها .

خامسها : بها كثير من « السقط » فى الشعر والنثر .

سادسها : لم تتحرَّ الدقة فى تحقيق أسماء الأعلام والمعلومات ، وبها الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها ، ولم يُشر إليها .

سابعها : جاءت خالية من أى تعليق أو شرح للغريب من ألفاظها وعباراتها الغامضة .

ثامنها : أهملت الضبط إهمالاً تاماً ، فجاءت كلماتها عارية من الشكل ، هذا بالإضافة الى تقارب الكلمات بعضها من بعض مما يسبب ضيقاً للقارىء بسبب تعذر القراءة .. هذا وغيره كثير مما سيلمسه القارىء بنفسه فى هوامش التحقيق من هذه الطبعة التى بين يديك .

ثانياً - وصف مخطوطة الكتاب :

هى المخطوطة المودعة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت فن السياسة والاجتماع - تحت رقم ٢٣١٧ - أحمد الثالث . وهى أقدم المخطوطات السبع التى لدينا ، وهى نسخة كاملة كُتبت سنة ٧٧٣ هـ - أى بعد وفاة الطرطوشى بنحو مائتى وثلاث

وخمسين سنة – ومن مميزاتها أنها مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، ومضبوطة بالشكل (من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{2}$ شكل) وتقع فى ٢١١ ورقة من القطع الكبير ، والورقة صفحتان ، ومسطرتها ١٩ سطرًا ، باستثناء الصفحة الثانية التى تلى العنوان ، والتى تبدأ بالبسملة ، والصفحات الأولى التى تجمع أبواب الكتاب ، فمسطرتها ١٨ سطرًا ، وعدد الكلمات فى السطر الواحد مابين ٩ إلى ١٣ كلمة ، ماعدا أسطر الشعر ، والعناوين ، وخاتمة كل باب أو فصل ، فهى تنقص عن ذلك حتى تصل إلى كلمتين فقط ، أو كلمة فى بعض الأحيان .

ومقدمة الكتاب مزدانة بزخارف بديعة على شكل دوائر وردية ، كالفواصل التى توضع بين آيات القرآن الكريم وبها أرقام الآيات ، وقد وردت هذه الزخارف كثيرًا فى ثنايا الكتاب ، خاصة فى الشعر ، لتحصر بينها أبيات الشعر ، أو نهايات الكلام فى كل باب أو فصل .. وقد تأتى هذه الزخارف على شكل مثلث بداخله نقطة ، أو على شكل مثلث مكون من ثلاث فاصلات .

كما تتميز هذه المخطوطة بأن على جوانب أو حواشى بعض صفحاتها تصويبات لبعض الأخطاء التى وردت فى تلك الصفحات ، وقد وُضع خط تحت الكلمة الخطأ فى المتن ، ثم تُصَوَّب فى الحاشية ، ويوضع بجوارها إشارة إلى صوابها ، أو كلمة « صح » .. وليس الأمر مقصورًا على تصويب الأخطاء فقط ، بل تم استدراك « السقط » الذى لم يثبته الناسخ فى المتن وأُثبت فى الحاشية أيضاً ، بعد الإشارة إلى موضعه فى المتن .

والناسخ فى هذه المخطوطة يسهل الهمزة ، فهو يرسم الفعل « جاء » هكذا « جا » بحذف الهمزة – و« أبو الدرداء » هكذا « أبو الدردَا » و« هؤلاء » « هولآ » .. الخ .. وأما الرسم الإملائى فيها ، فهو يخالف كثيراً مِمَّا اصطلح عليه العلماء حديثاً ، فعلى سبيل المثال نجد الفعل « يرضى » يُرسم فى المخطوطة هكذا « يرضا » بالألف ، و« أعلى » « أعلا » ، و« معاوية » « معويه » ، و« دينار » « دينر » ، و« سفيان » « سفين » .. الخ .

وبالمخطوطة كثير من الأخطاء النحوية والإملائية التى لم تُستدرك ، وبها أيضاً كثير من التحريفات والتصحيفات التى ترجع إلى جهل النقلة والنُّسَّاخ ، ولم يَسلم كثير من الأعلام الواردة بها من التحريف أيضاً ، نتيجة لاشتباه بعضها ببعض ، وقد أشرت إليها فى هوامش الكتاب بعد التحقق من صحتها .

والصفحة الأولى من المخطوطة تحمل عنوان الكتاب بخط جميل داخل مستطيل ، ينقسم إلى مستطيل آخر علوى بداخله حلية بها العنوان « سراج الملوك » وتحت هذا المستطيل مربع بداخله دائرة وردية مضلعة ، مكتوب بداخلها بخط جميل : « كتاب سراج الملوك والخلفاء ، ومنهاج الولاة والأمراء فى تدبير الملك والدول ، تأليف الشيخ الأجَلّ ، الإمام الزاهد أبى بكر محمد بن الملد الطرطوشى [1] رحمه الله » .

وأمّا الصفحة الثانية ، فيوجد أعلاها – وفوق البسملة – ختم دائرى صغير مكتوب بداخله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وأسفل هذا الكلام طُرَّة « طُغْراء » وقد يضع الناسخ أسفل بعض الصفحات الكلمة التى ستبدأ بها الصفحة التالية لها ..

وتحمل الصفحة الأخيرة من المخطوطة اسم الناسخ ، وتاريخ الانتهاء من كتابتها بخط نسخ صغير وكبير ، وكل سطر محصور بين دائرتين وفيها : « تم الكتاب بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه فى نهار السبت ، سابع رمضان المعظم ، سنة ثلاث وسبعين و سبعمائة .. وكتبه وذَهَّبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته محمد بن محمد بن الخطيب بن نباته ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين بِمَنِّه وكرمه ، إنه رءوف رحيم ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين » .

منهج التحقيق :

وضعت نصب عينى ، عندما بدأت فى تحقيق هذا الكتاب ، أن يفيد منه الباحثون والقراء على مختلف مستوياتهم ، لذا كلفت نفسى – لتحقيق هذا الهدف – فوق ماتطيق ، وربما كان هذا الجهد وهذا العناء الذى بذلته فى تحقيق هذا الكتاب ، والذى امتد حتى زاد على العامين ، قد لايرضى البعض ، فقد يرون فى بعض جوانبه خروجاً على قواعد التحقيق المتبعة ، والتى ترى أن كثرة التعليقات – حتى ولو كانت بغرض الشرح والإيضاح – تُعد إسرافاً قد يشغل القارئ عن النص نفسه ، ويخرج به من دائرة التحقيق إلى دائرة التأليف .. ولكننى أمام كتاب من كتب التراث التى تفتقر – بجانب تحقيقها – إلى شرح

---

(١) فى المخطوطة : « الطرطوشى » بشين بعد الراء ، وهى خطأ من الناسخ .

يزيل مابها من إبهام وغموض فى بعض ألفاظها وعباراتها ، لكى تُفْهَمَ الفهم الصحيح . وحتى يستفيد منها القارئ الآن .. لذا وضعت نصب عينى هذا الهدف ، واتبعت لتحقيقه المنهج التالى :

أولاً : رمزت إلى مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، بالرمز « م »،وإلى نسخة المطبعة الخيرية ، والتى سبقت الإشارة إليها ، بالرمز « ط » ، ثم قمت بمقابلة المطبوعة على المخطوطة ، وأثبت الفروق بينهما – فى الهامش – كما قمت بإثبات الكثير من أبيات الشعر التى وردت فى إحدى النسختين ولم ترد فى الأخرى ، وكذا العبارات والفقرات الساقطة ، مع الإشارة إلى ذلك .

ثانياً : قمت بضبط متن الكتاب كله ضبطاً كاملاً ، مساعدة للقارئ الذى يحتاج إلى ذلك ، وتقويماً للألسنة ، ودفعاً للالتباس ، خاصة أن مادة الكتاب مستمدة من القرآن والحديث والشعر والأدب ، بالإضافة إلى وجود أعلام كثيرة قد يشكل على القارئ نطقها النطق السليم ، ومعرفة ضبطها الضبط الصحيح .. وكان الدافع لى على ذلك أيضاً كثرة الأخطاء الواردة فى ضبط المخطوطة ، مما هالنى ودفع بى إلى القيام بضبط الكتاب كله ، مع عدم الإشارة فى الهوامش إلى أخطاء الضبط فى المخطوطة ، لأنها من الكثرة بحيث يصعب التعليق عليها .

وقد تطلب ذلك كثيرًا من الوقت والجهد ، خاصة فى ضبط بعض الأسماء الأعجمية غير المألوفة ، والتى لم ترد فى كتب التراجم ، هذا بالإضافة إلى صعوبة بعض العبارات والكلمات غير العربية – الفارسية والتركية وغيرهما – والتى أهمل ضبطها تماماً فى المخطوطة .. وقد راعيت فى ذلك الضبط صحة الدلالات المعجمية المختلفة للألفاظ ، ومراد المؤلف منها .

ثالثاً : قمت بشرح غريب الألفاظ والعبارات الغامضة المبهمة التى قد يجد بعض القراء صعوبة فى فهم مدلولها ، وذلك تيسيرًا عليهم وتوفيرًا لوقتهم فى البحث عنها فى المعاجم العربية .

رابعاً : حققتُ كثيرًا من الأعلام الواردة خطأً فى كلتا النسختين – المخطوطة والمطبوعة – وقمت بالتثبت من صحتها بعد الرجوع للكثير من المصادر التى تترجم

للأعلام ، وكتب الطبقات وغيرها من الكتب المذكورة فى مواضعها من الهوامش ، وفى مصادر التحقيق .. فعلى سبيل المثال ، ورد اسم « ثور بن زيد » فى كلتا النسختين مكان « ثور بن يزيد » فالأول عالم كبير ثقة ، و هو شيخ الإمام مالك ، والثانى قدريٌّ ضعيف ، وهو المراد فى موضعه .. وعلى منواله ورد الكثير .

خامساً : ترجمتُ لما يقرب من ٦٠٠ ستمائة عَلَمٍ من الأعلام الواردة فى الكتاب ترجمة موجزة ووافية فى الوقت نفسه ، بعد تصويب المحرَّف منها – وهو كثير – وقد عانيت من ذلك كثيرًا ، إذ كثيرًا مايذكر المؤلف اسماً واحدًا فقط ، أو كُنية فقط ، وقد ينطبق هذا الاسم المذكور أو الكنية على كثير من الأعلام لهم صفات مشتركة ، وكلهم وجدوا قبل عصر المؤلف ، فيكون عَلَيَّ أن أحصر كل الأسماء المتشابهة ، وأتحقق من كل واحدٍ منها حتى أصل إلى العَلَم المطلوب .. فعلى سبيل المثال أيضاً ، يذكر المؤلف فى سياق الكلام ، يقول : « ... قال النابغة .. » ولم يحدد أى نابغة من النُوابغ ؟ أهو النابغة الجعدى ؟ أم الشيبانى ؟ أم الذهلى ؟ أم الغنوى ؟ أم الحارثى ؟ أم العدوانى ؟ أم الذبيانى ؟ .. الخ .. فأقوم بالبحث عن هؤلاء النوابغ ، ثم أُحدد أى النوابغ هو ، ثم أقدمه للقارىء وأعرفه به بعد التأكد منه ، ومما نُسب إليه .

وقد أشرت فى نهاية الترجمة إلى المصادر التى ترجمت لكل علم من الأعلام ، لإفادة الباحثين الذين يهمهم ذلك .

سادساً : صَوَّبْتُ الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها أو قائليها ، والتى وردت فى كلتا النسختين أيضاً ، وأرجعتها إلى أصحابها ، بعد التأكد والتثبت من ذلك ، بالرجوع إلى كثير من مصادر وأمهات كتب التراث المعتمدة للتحقق من صحة نسبتها .. وعلى سبيل المثال أيضاً ، يقول المؤلف : « قال الصاحب « بن عباد » ... » وينسب إليه شعرًا لم يَقُلْهُ ، وإنَّما هو للشريف الرضى ، كما يأتى لشعر ينسبه للإمام علىٍّ ، قيل إنه فى فاطمة زوجته ، والصواب أنه فى عمَّار بن ياسر .. الخ .

وقد أشرت أيضاً إلى المصادر التى أثبتت صحة ذلك الذى ذهبنا إليه ، مع ذكر رقم الجزء الذى وردت فيه المعلومة ، ورقم الصفحة أيضاً ، لمن يهمه الرجوع إليها من الباحثين .

سابعاً :قمت بوضع علامات الترقيم – بأنواعها المختلفة – والتى خَلَتْ منها المخطوطة والمطبوعة ، مما يُيَسِّرُ الفهم على القارىء ، كما قمت بعمل فقرات لأبواب الكتاب كله دفعاً للملل عن القارىء ، وراعيت همزات الوصل والقطع التى أهملتها المطبوعة والمخطوطة أيضاً .

ثامناً : قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بعد أن وضعتها بين قوسين مزهرين ، كما قمت بتصويب ماورد منها خطأ على أيدى الناسخ ، أو ماخلط بينه وبين آية أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ **استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ خلط بينها وبين قوله تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين** ﴾ فالأولى هى الآية ١٥٣ من سورة البقرة ، والثانية هى الآية ٤٥ من السورة نفسها .

كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية ، وشرحت غامضها وعلَّقت عليها ، بعد أن وضعت نص الحديث بين علامتى تنصيص « » .

تاسعاً : قمت بتصويبَ الأساليب غير الصحيحة لغوياً ، وأشرت إلى ذلك فى الهامش ، كما قمت بتصويب أخطاء النحو والإملاء مراعياً قواعد اللغة ، وقواعد الإملاء الحديث ، وقمت بشرح مايحتاج إلى شرح من ذلك بأسلوب سهل بسيط يفهمه القارىء العادى بدون عناء .

عاشراً : ولمَّا كانت الفهرسة من الأمور المهمة بالنسبة للباحثين ، وبدونها لا يُستطاع الانتفاع بالكتاب ، فإننى قمت بوضع فهارس تفصيلية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والأماكن والبقاع ، ومصادر الكتاب ومحتوياته ، وذلك ليسهل على الباحث الاهتداء إلى مايريده منها .

وأرجو بهذا أن أكون قد يسرت على القارىء الكريم الإفادة من هذا الكتاب القيم ، وأن ينال رضاه .. وأدعو الله أن يتقبل منى هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويتجاوز عن زلّاتى وأخطائى ، إنه نِعم المولى ونعم النصير .

محمد فتحى أبو بكر

* * *

المكتبة أحمد الثالث   رقم التصوير ———

رقم المخطوط ٢٩٩٧

اسم الكتاب سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الملوك والأمراء

اسم المؤلف أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ٥٢٠هـ

تاريخ النسخ ٧٧٢

عدد الأوراق ٢٢٦

الملاحظات



بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الأعيان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات وما تحتوي عليه الأرضون والسموات سواء منه الجهر والإسرار ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصهم بمشيته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الحاجة بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن إدراكه إدراكاً لهم ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكراً لهم كما جعل إقرار المؤمنين بوقوف عقولهم عن الإحاطة بحقيقته إيماناً لهم لا يلزمه لم ولا يجاوزه أين ولا يلاصقه حيث ولا يحده ما ولا يعده كم ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله أي ولا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وكونه لا أمد له ولا تخالطه الأشكال والصور ولا تغيره الأيام والعصر ولا تجوز عليه المماسة والمقارنة ويستحيل عليه المحاذاة والمقابلة إن قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولاً كان له غيره علة تناهيه في الوجود و

مبدع الاعيان بلا علة لا بعالية ● بقدرته التي في الاشياء بلا امتزاج ● وصنعه
بينهما بلا علاج ● وعلة كل شيء صنعه ● ولا علة لصنعه ● فان قلت اين هو
فقد سبق المكان وجوده ● فمن اين الاين لم يبتغ وجوده الى الاين هو بعد المكان
غني بنفسه كما كان قبل خلق المكان ● فكيف يحل فيما منه بدا ● او يعود
اليه ما هو انشاه ● فان قلت ما هو فلا ماهية لوجوده ● وما موضوع السؤال
عن الجنس ● والقديم تعالى لا جنس له ● لان الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماهية
وان قلت كم هو ● فهو احد في ذاته ● متفرد بصفاته ● وان قلت متى كان
فقد سبق الوقت كونه ● وان قلت كيف هو ● فمن كيف الكيف لا
يقال له كيف ● ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغير ● وان قلت هو
فالهاء والواو خلقه ● بل الزم الكل الحدث ● كما قال بعض الاشياخ لان القدم
له ● فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه ● والذي بالاداة اجتماعه فقواها
تمسكه ● والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت ● والذي يقيمه غيره فالضرورة
تمسه ● والذي الوهم يظفر به ● فالتصوير يرتقي اليه ● ومن آواه محل ادركه اين
ومن كان له جنس طالبه كيف ● وجوده اثباته ● ومعرفته توحيده ●
تمييزه من خلقه ما تصور في الاوهام فهو بخلافه ● لا تماثله العيون ● ولا تخالطه
الظنون ● ولا تصوره الاوهام ● ولا تحيط به الافهام ● ولا يقدر قدره
الانام ● ولا يحويه مكان ● ولا يقارنه زمان ● ولا يحصره امد ● ولا يعده
عدد ● ولا يجمعه عدد ● قربه كرامته ● وبعده اهانته ● علوه من غير ترقي
ومجيئه من غير تنقل ● هو الاول والآخر والظاهر والباطن ● القريب البعيد

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا   واستبدوا بالراي دون الجليس

او صحبنا التجار عدنا الى الفقر   وصرنا الى حساب الفلوس

فلزمنا البيوت نتخذ الحبر   ونملا به وجوه الطروس

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا   من امانينا بعلق نفيس

غير ان الزمان اعني بنيه   حسدونا على حياة النفوس

[illegible]

انست الى الفرد طول عمري   فما لي في حالة من انيس

جعلت محادثي قدم نفسي   واني ذو ثرى بدل العروس

فقد استغنيت عن زمن رخي   اذا نافرت او نعل كوس

ولي عرس جديد كل يوم   بطرح الهم في بيت العروس

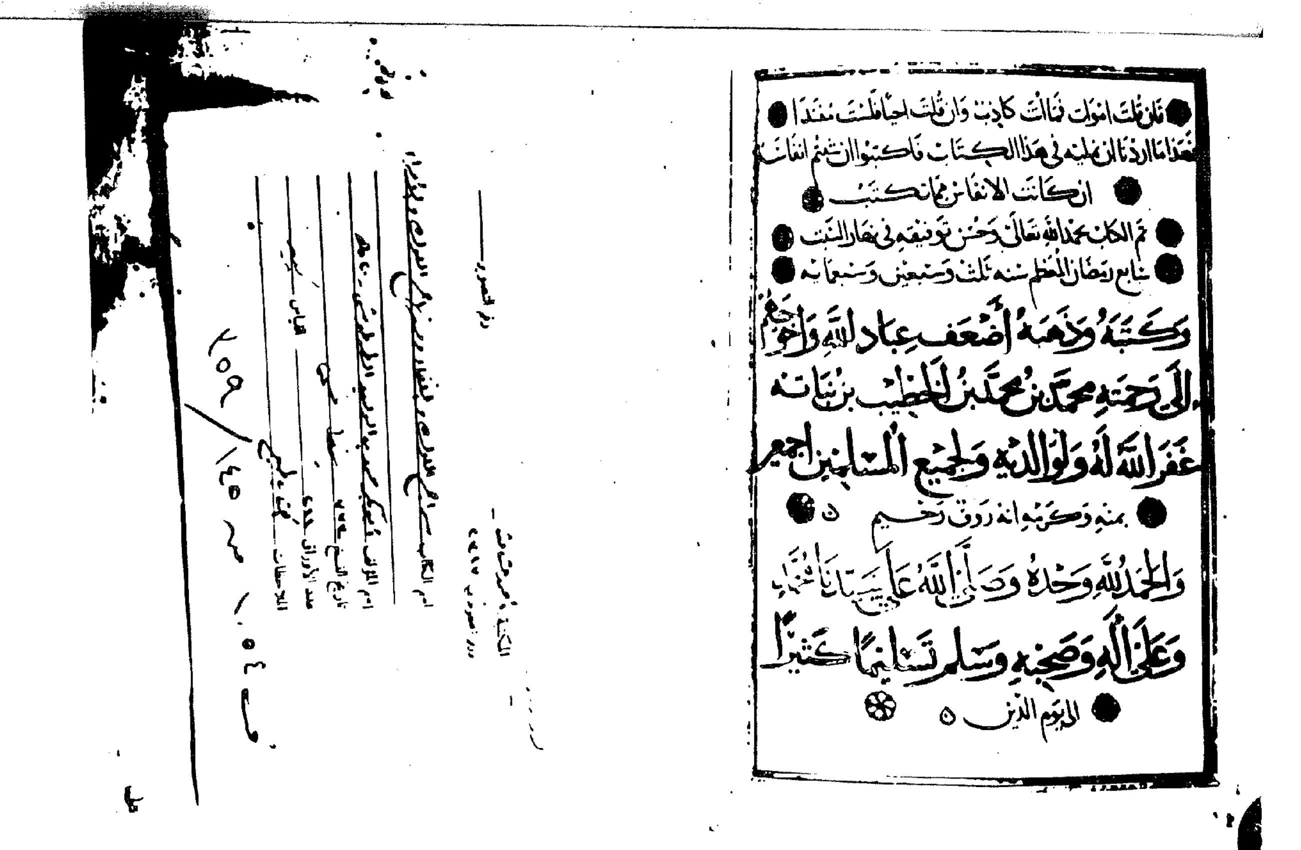
نطقي شفرتي والدرج جسمي   وهمياني فيه ابدا وكيسي

وبيتي حيث يدركني مناتي   واهلي كل ذي عقل نفيس

ولئن كان الناظمون قد وصفوا الجود وبالغوا فالغوا فلقد قصروا واجل
ممدوح من استغرق في مدحه المهدي واستبرز في تقريظه المحتفل وكيف
لا والكتاب نعم الانيس في ساعة الوحدة ... بلاد الغربة ونعم
القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعاء ملي علما وظرف حشي ظرفا وانا ملي راح
وبستان يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر هل سمعت بشجرة يؤتي
اكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تذوي
وزهر لا يتوى وثمر لا يفنى ومن لك بجليس يفيدك الشيء وخلافه والجنس وضده

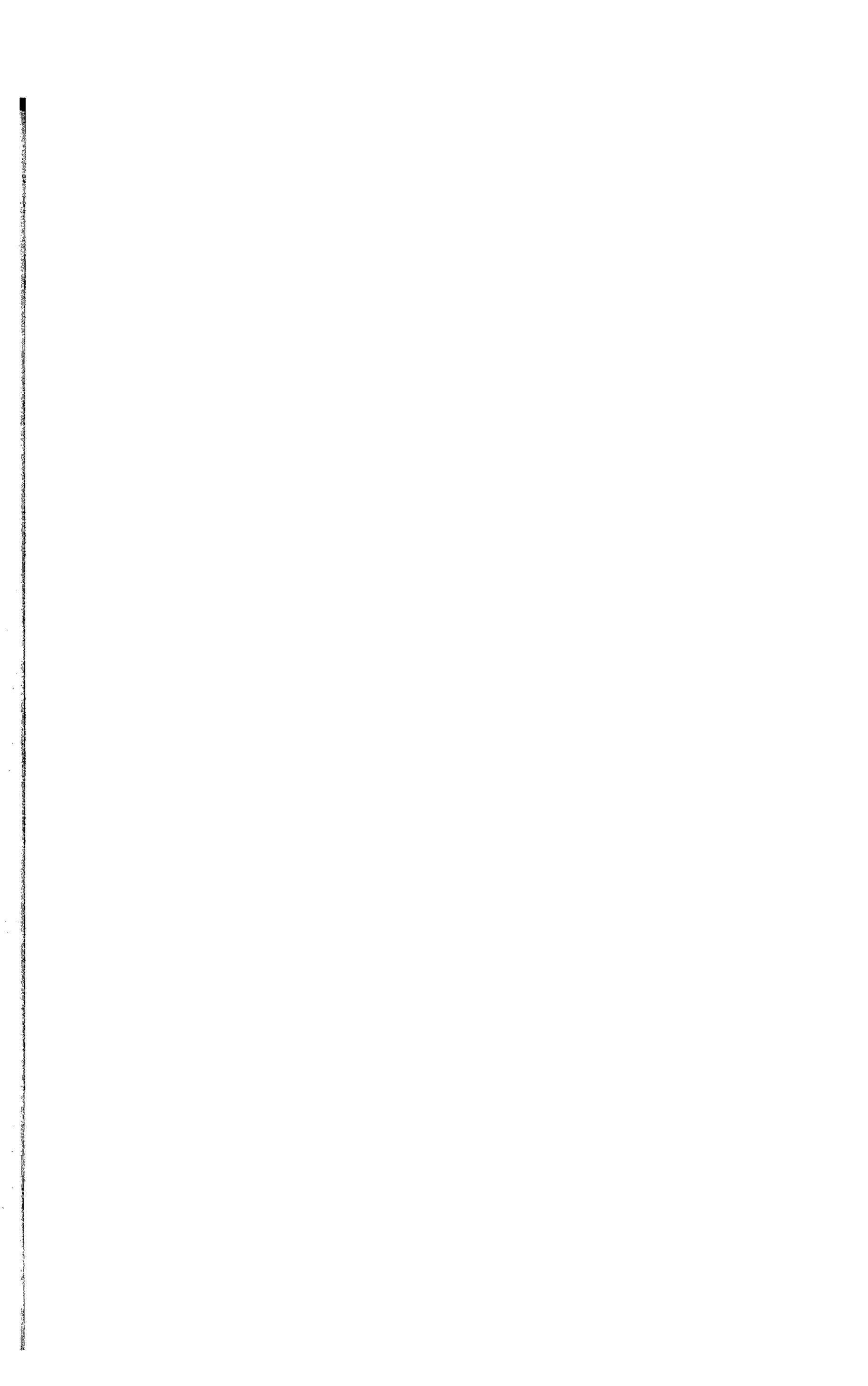
سطوعن الموتى ويرحم من الاحجار ان غضبت عليه لم يغضب وان تخطت
عليه بحث اكتم من الارض وانم من الريح والمها من الهوى والخدع من
الماء واسمع من الفلك وانطق من سحبان وائل واعيا من باقل فهل سمعتم بعلم
واحد يحلل لا يحلل كثيرة وجمع اوصافا عزيزة عز بني نابتي هذي تبدى
رومي يوناني ان وعظ اسمع وان الهاء اسمع وان ابكاك ادمع وان ضرب اوجع
عند له وتستعبد منك وتزيد لك وتستزيدك ارخص وان مزح تنزهه
نبر الاسرار وحرز الودايع وتيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم
ومونس لا ينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من انباء الاخرين فهل
سمعت في الاولين او بلغك عن احد من السالفين من جمع هذه الاوصاف
مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يرزاك شيئا من دنياك نعم الذخر والعقدة والمشتغل
والحرفة لا تعزله ورفيق لا يملك يجتنيك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك في
السفر طاعته في الحضر ان ادمت النظر اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك
وبسط لسانك وجود بنانك وفخم الفاظك ان القيته خلدا على الايام ذكرك
وان درسته رفع في الخلق قدرك وان حملته نوه عندهم باسمك سيقعد العبيد
في مقاعد السادة ويجلس السوقة في مجالس الملوك فاكرم به من صاحب
واعزز به من مرافق وقد قال فيه الاول

ناطلنا ما نمل حديثهم ... الباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... ورايا وتاديبا وعقلا وسوددا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا


فإن قلت أموت فإنك كاذب وإن قلت أحيا قلت مفندا
فهذا ما أردنا أن نمليه في هذا الكتاب فاكتبوا إن شئتم أنفاسه
إن كانت الأنفاس مما تكتب
تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه في نهار السبت
سابع رمضان المعظم سنة ثلث وسبعين وسبعمائة
وكتبه ورقمه أضعف عباد الله وأحوجهم
إلى رحمته محمد بن محمد بن الخطيب بن نباته
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين
بمنه وكرمه إنه رؤوف رحيم
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
إلى يوم الدين

سراج الملوك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ يَزَلْ وَلَايَزَالُ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ، خَالِقُ الأَعْيَانِ وَالآثَارِ [1] ، وَمُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ [2] ، الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ ، وَمَاتَنْطَوِى عَلَيْهِ الأَرَضُونَ وَالسَّمَوَاتُ ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالإِسْرَارُ .. **﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾** [3] **﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾**[4] .. خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ ، وَخَصَّهُمْ [5] بِمَشِيئَتِهِ ، وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فى خَلْقِهِمْ مُعِينٌ ، وَلَا فى تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَظَهِيرٌ [6] ، وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ [7] ، أَوْ يَسْتَظْهِرُ مَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الذُّلِّ بِمَنْ دَخَلَ تَحْتَ ذُلِّ التَّكْوِينِ ؟

ثُمَّ كَلَّفَهُمْ مَعْرِفَتَهُ ، وَجَعَلَ عِلْمَ الْعَالِمِينَ بِعَجْزِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِدْرَاكاً لَهُمْ ، وَمَعْرِفَةَ

---

(١) الأعيان : جمع عَين ، وهى الحاضر من كل شيء ، والآثار : جمع أثَر ، وهو ما خلَّفه السابقون .

(٢) يعنى : مُدْخِل وقتَ كُلٍّ منهما فى الآخر .

(٣) سَارِبٌ بالنهار : أى ظاهر بالنهار فى سِرْبِهِ ، والسِّرْبُ : الفريق مِنَ الطير والحيوان . وهذا « تضمين » من القرآن الكريم من سورة الرَّعْد – الآية العاشرة ، وسيأتى كثيراً .

(٤) سورة المُلْك – الآية ١٤ .

(٥) خَصَّهُم : اختارهم واصطفاهم وصَرَّفَهُمْ ، وفى « ط » : خَصَّصَهُم ، وهى بمعناها ، إذْ يقال : خَصَّصَ فلاناً بالشيء : خَصَّهُ به .

(٦) الظهير : الْمُعِين . والفعل يستظهر : أى يستعين .

(٧) أى : كيف يستعين الخالق – سُبحانه وتعالى – بالمخلوق الذى أوجَدَه من العَدَم بقُدْرَته و عِلْمِه ، وصَوَّره بحكمته ؟ فسبحان مَنْ قُوَّتُه فوق كل قوة ، وقُدرتُه فوق كل قُدرة ، المُتفرِّد بالعِزَّةِ والغَلَبة ، والمهيمن على كل شيء ، الكبير المتعال .

الْعَارِفِينَ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ شُكْرِهِ شُكْرًا لَهُمْ ، كَمَا جَعَلَ إِقْرَارَ الْمُقِرِّينَ بِوُقُوفِ عُقُولِهِمْ عَنِ الإِحَاطَةِ بِحَقِيقَتِهِ إِيمَاناً لَهُمْ ، لا يُلْزِمُهُ « لِمَ » (١) ، ولا يُجَاوِزُهُ « أَيْنَ » (٢) ، وَلا يُلَاصِقُهُ « حَيْثُ » (٣) ، وَلا يَحُدُّهُ « ما » (٤) ، وَلَا يَعُدُّهُ « كَمٌّ » (٥) ، وَلَا يَحْصُرُهُ « مَتَى » (٦) ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ « كَيْفٌ » (٧) ، وَلَا يَنَالُهُ « أَيٌّ » (٨) ، وَلَا يُظِلُّهُ « فَوْقٌ » ، وَلَا يُقِلُّهُ « تَحْتٌ » ، وَلَا يُقَابِلُهُ « حَدٌّ » (٩) وَلَا يُزَاحِمُهُ « نِدٌّ » (١٠) وَلَا يَأْخُذُهُ « خَلْفٌ » ، وَلَا يَحُدُّهُ « أَمَامٌ » ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ « قَبْلٌ » ، وَلَمْ

---

(١) لايلزمه « لِمَ » : أى طَلَب الْعِلَّة .

(٢) الأَين : لفظ أُطلِقَ على المحلّ الذى يُنْسَبُ إليه الجسم . يقول ابن سينا : « الأَين هو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه ، كَكَوْنِ « زيد » فى السوق » . ويقول الغزالى : « من الأين ماهو أينٌ بذاته ، ومنه ماهو مُضاف ، فالذى هو أين بذاته كقولنا : زيد فى الدار ، أو فى السوق . وماهو أينٌ بالإضافة ، فهو مثل : فوق ، وأسفل ، ويمنة ، ويسرة ، وحول ، ووسط ، ومابين ، ومايلى ، وعند ، ومع ، وعلى ، وماأشْبَه ذلك . ولكن لايكون للجسم أينٌ مضاف مالم يكن له أينٌ بذاته » أ هـ .

ونخلص من ذلك أن « الأين » هو حصول الجسم فى المكان ، أى فى الحيز الخاص به ، ويُسَمَّى هذا « أيناً حَقِيقِيًّا » .
[انظر المعجم الفلسفى للدكتور جميل صليبا نقلاً عن معيار العلم للغزالى ص ٢٠٧ ، والنجاة لابن سينا ص ١٢٨ ، ومقاصد الفلاسفة للغزالى ص ١٦٤ ط دار المعارف] .

(٣) حيث : ظرف يدل على المكان ، وقد يدل على الزمان أيضاً .

(٤) هكذا فى « ط » و « ما » هنا للتَّصَوُّر ، أو نكرة بمعنى : شىء ، والمعنى : لايُحيط به – سبحانه وتعالى – تصوُّر . وفى « م » : « لايَحُلُّه ما » أى : لاينزل به شىء – جلَّ وعَلا – مِمَّا يعترى مخلوقاته .
[انظر مقاصد الفلاسفة للغزالى ص ١١٨ ، ١١٩ ط دار المعارف] .

(٥) الكمُّ : المقدار ، وهو ما يقبل القياس . والكمُّ فى عِلْم الطبيعة مقابلٌ للكيف ، وهو من مقُولات العقل الأساسية ، ويُطلق على جميع المعانى التى يتناولها علم الحساب ، وعلم الهندسة ، وعلم الميكانيكا ، كالعدد ، والمقدار ، والامتداد ، والكُتلة ، والحركة .. الخ .
[انظر المعجم الفلسفى لصليبا ج ٢ ص ٢٤٠ ومابعدها] .

(٦) يعنى : لايحصُره زمانٌ .

(٧) الكيف : صِفَة الشىء ، وحاله ، وصورته .

(٨) أى : تعيين أو تَصَوُّر .

(٩) الحدُّ : الحاجز بين الشيئين ، وقد يُطلق الحَدُّ على اللحظة الفاصلة بين زمانين ، أو على تمام الفعل ، ونهاية العِلْم .
[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وانظر أيضاً المعجم الوسيط] .

(١٠) النِّدُّ : المِثْل والنَّظِيرُ . وفى « م » بفتح النون ، من الجود والسخاء ، يُقال ، رَجُلٌ نَدٍ : أى جَوَادٌ كريم . =

يَغِبْهُ (١) « بَعْدُ » ، وَلَمْ يَجْمَعْهُ « كُلٌّ » (٢) ، وَلَمْ يُوجِدْهُ كَانَ (٣) وَلَمْ يُفْقِدْهُ « لَيْسَ » (٤) .

وَصْفُهُ لا صِفَةَ لَهُ ، وَكَوْنُهُ لا أَمَدَ لَهُ ، وَلا تُخَالِطُهُ الأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الأَيَّامُ وَالْغِيَرُ (٥) ، وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَبَةُ (٦) ، وَتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ ، إِنْ قُلْتَ : لِمَ كَانَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْعِلَلَ ذَاتُهُ ، وَمَنْ كَانَ مَعْلُولًا كَانَ لَهُ غَيْرُهُ عِلَّةٌ يُسَاوِقُهُ (٧) فى الْوُجُودِ ، وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الأَغْيَارِ ، بَلْ لاعِلَّةَ لِأَفْعَالِهِ (٨) ، فَقُدْرَةُ اللهِ فى الأَشْيَاءِ بِلَا مِزَاجٍ ، وَصُنْعُهُ (٩) فِيهَا بِلَا عِلَاجٍ ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ ، وَلَا عِلَّةَ لِصُنْعِهِ ، فَإِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانَ وُجُودُهُ ، فَمَنْ أَيَّنَ الأَيْنَ لَمْ يَفْتَقِرْ وُجُودُهُ إِلَى أَيْنٍ ، هُوَ بَعْدَ [خَلْقِ] (١٠) الْمَكَانِ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ ، وَكَيْفَ يَحُلُّ فِيمَا مِنْهُ بَدَأَ ؟ أَوْ يَعُودُ إِلَيْهِ مَاهُوَ أَنْشَأَ ؟

= وفى « ط » : ولايزاحِمُه « عند » .. وربما يريد بها : عُنُد ، بضم العين والنون ، جمع « عَنُودٍ » وهى تفيد الكثرة ، إذْ يُقال : سحابة عَنُودة أى كثيرة المطر .

[انظر لسان العرب لابن منظور – مادة عند] .

(١) لم يغِبْهُ : لَمْ يُبعِدْهُ ويوارِه . وفى « ط » : لَمْ يُعَيِّنْهُ ، بمعنى : يُخصِّصْه . وربما كانت مُحرَّفة عن « يُغَيِّبْهُ » .

(٢) الكَلّ : هكذا وردت فى « م » بفتح الكاف ، ومن معانيها : الثِّقل . والأنسب هنا ضمها بمعنى الجميع .

(٣) لَمْ يُوجِدْهُ « كان » : أى لم يوجدهُ حَدَثٌ أو كائنٌ ، فسبحانه قَبْلَ كُلِّ الأَحداث ، وقبل كُل الكائنات ، وهو الذى أوجَدَها بإرادته ، وَلَمْ يُوجَدْ بإرادة أحد ، فهو – جَلَّ وعَلا – مَن يقول للشىء : « كُنْ » فيكون .. وكُنْ : فعل التكوين الذى يُعَبِّر عن الخلق الإلٰهى ، فما شاء الله « كان » وما لَمْ يَشَأْ « لَمْ يَكُنْ » .

(٤) أى : نَفْى .

(٥) الغِيَر : الأَحداثُ والأَحْوَال .

(٦) فى « م » : والمقارنة .

(٧) فى « م » : تُسَاوِقه .

(٨) فى « ط » : « وهو قبل جميع الأعيان بلا عِلَّة » والعِلَّة من كُلِّ شىء : سببه . وعند الفلاسفة : كل مايصدر عنه أمر آخر بالاستقلال ، أو بوساطة انضمام غيره إليه ، فهو عِلَّةٌ لِذَلك الأمر ، والأمر معلول له . وهى : علة فاعلية ، أو مادية ، أو صورية ، أو غائية .

(٩) زاد فى حاشية « م » : الأشياء ، أى : وصُنعه الأشياء .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « ط » وحاشية « م » .

وَإنْ قُلْتَ : مَاهُوَ ؟ فَلَا مَاهِيَّةَ [١] لِوُجُودِهِ ، و « ما » مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ ، وَالْقَدِيمُ – تَعَالَى – لاجِنْسَ لَهُ ، لأَنَّ الْجِنْسَ مَخْصُوصٌ بِمَعْنًى دَاخِلٍ تَحْتَ الماهِيَّةِ [٢] وَإنْ قُلْتَ : كَمْ هُوَ ؟ فَهُوَ أَحَدٌ فى ذَاتِهِ ، مُتَفَرِّدٌ [٣] بِصِفَاتِهِ ، وإنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ ، وَإنْ قُلْتَ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَمَنْ كَيَّفَ الْكَيْفَ [٤] لايُقَالُ لَهُ كَيْفَ ، وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ [٥] ، وَإنْ قُلْتَ : هُوَ ، فَالْهَاءُ ، وَالْوَاوُ خَلْقُهُ ، بَلْ أَلْزَمَ الْكُلَّ الْحَدَثَ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الأَشْيَاخِ ، لأَنَّ الْقِدَمَ لَهُ ، فَالَّذِى بِالْجِسْمِ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ [٦] يَلْزَمُهُ ، وَالَّذِى بِالأَدَاةِ اجْتِمَاعُهُ فَقُوَاهَا تُمْسِكُهُ ، وَالَّذِى يُؤَلِّفُهُ وَقْتٌ يُفَرِّقُهُ وَقْتٌ ، وَالَّذِى يُقِيمُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرُورَةُ تَمَسُّهُ [٧]، وَالَّذِى الْوَهْمُ يَظْفَرُ بِهِ [٨] فَالتَّصْوِيرُ يَرْتَقِى إلَيْهِ ، وَمَنْ آوَاهُ مَحَلٌّ أَدْرَكَهُ أَيْنٌ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جِنْسٌ طَالَبَهُ [٩]

---

(١) هكذا فى « م » . وفى « ط » : مائية ، وماهية الشىء : كُنْهُهُ وحقيقته .

(٢) فى « ط » : المائية : بالهمز .

(٣) فى « ط » : مُنْفَرِدٌ .

(٤) كَيَّفَ الشَّىْءَ : جَعَل له كيفيةً معلومة ، وكيفية الشىء : حاله وصفته ، وهى مصدر صناعى .. وقد سبق شرحها .

(٥) فى « ط » : جاز عليه النعت .

(٦) العَرَضُ : مايطرأ ويزول ، من مَرَض ونحوه . والعرب يطلقون لفظ « العَرَض » على عِدة معانٍ ترجع إلى المعنيين الآتيين :

أ – العَرَض ضد الجوهر : لأن الجوهر هو مايقوم بذاته ولايفتقر إلى غيره ليقوم به ، فالجسم جوهر يقوم بذاته ، أمّا اللَّوْنُ فهو عَرَض ، لأنه لاقيام له إلّا بالجسم . وكل مايعرض فى الجوهر من لون وطعم وذوق ولمس وغيره فهو عَرَض ، لاستحالة قيامه بذاته .

ب – العَرَض ضد الماهية : وهو مالايدخل فى تقويم طبيعة الشىء ، أو تقويم ذاته ، كالقيام والقعود للإنسان ، فهما لايدخلان فى تقويم ماهيته .

أما الفلاسفة فهم يُقَسِّمُونَ العَرَض إلى لازم ومُفارِق ، فالعَرَضُ اللازم عندهم هو مالا يمتنع انفكاكه عن الشىء ، وهو إمّا سريع الزوال – كَحُمْرَةِ الخَجَلِ وصُفْرَةِ الوَجَل – وإمّا بطىء الزوال – كالشيب والشباب . [انظر تعريفات الجرجانى والمعجم الفلسفى لصليبا ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠] .

(٧) فى « م » : أى : تلجئه الضرورة إلى الحاجة إلى غيره .

(٨) فى « ط » : والذى الوهم يطرقه .

(٩) فى « ط » : طلبه .

كَيْفَ .. وُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ ، [وَتَوْحِيدُهُ] [١] تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ .. مَا تَصَوَّرَ فِى الأَوْهَامِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ .. لا تُمَاقِلُهُ [٢] الْعُيُونُ ، وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ ، وَلَا تُصَوِّرُهُ الأَوْهَامُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الأَفْهَامُ ، وَلَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ الأَنَامُ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ ، وَلَا يَشْفَعُهُ وَلَدٌ [٣] ، وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ .. قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ ، وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَرَقٍّ [٤] ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ .. ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ [٥] .. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ ، الَّذِى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [٦] .

وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَبِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ [٧] مِنَ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ، وَالنُّعُوتِ [٨] الأَوْفَى ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٩] . وَأُومِنُ بِهِ [١٠] وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ] [١١] الْمُصْطَفَى ، وَأَمِينُهُ الْمُرْتَضَى ، أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ الْوَرَى بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، ﴿ **وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴾ [١٢] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

---

(١) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٢) لاتُمَاقِلُهُ العيون : أى لاتنظر إليه . وفى « ط » : لاتخايله ، بمعنى : لاتتمثّله ولاتتصوّره .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » جاءت كلمة « عدد » بدلاً من « ولد » وصُحِّحَت فى الحاشية .. ومعنى « لايشفعه » : أى لا يُضَمُّ مِثْلُهُ إليه .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « تَوَقُّل » بالواو .. وكلاهما بمعنى الاستعلاء والتطاول .

(٥) سورة الحديد ، من الآية الثالثة .

(٦) الآية الحادية عشرة من سورة الشورى .

(٧) فى « م » : وماشَهِدَ لِنَفْسه .

(٨) فى « ط » : والنعت الأَوْفَى .

(٩) من الآية الرابعة والخمسين من سورة الأعراف .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » وأومن بالله .

(١١) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .

(١٢) الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّى نَظَرْتُ [١] فى سِيَرِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْخَالِيَةِ ، وَمَاوَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فى تَدْبِيرِ الدُّوَلِ ، وَالْتَزَمُوهُ مِنَ الْقَوَانِينِ فى حِفْظِ النِّحَلِ [٢] ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ نَوْعَيْنِ : أَحْكَامًا وَسِيَاسَاتٍ ، فَأَمَّا الأَحْكَامُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الحَلالِ والحَرَامِ ، وَالْبُيُوعِ [٣] والأَنْكِحَةِ ، وَالطَّلاقِ وَالإِجَارَاتِ وَنَحْوِها ، والرُّسُومِ الْمَوْضُوعَةِ لَها ، وَالْحُدُودِ الْقَائِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا ، فَأَمْرٌ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ بِعُقُولِهِمْ ، لَيْسَ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا بُرْهَانٌ ، وَلَا أُنْزِلَ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ [٤] ، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَدَبُّرٍ ، وَلَا اتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا ، وَإِنَّما هِىَ صَادِرَةٌ عَنْ خَزَنَةِ النِّيرَانِ ، وَسَدَنَةِ بُيُوتِ الأَصْنَامِ ، وَعَبَدَةِ الأَنْدَادِ وَالأَوْثَانِ ، وَلَيْسَ يَعْجَزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يَضَعَ [٥] مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَمْثَالَهَا وَأَشْبَاهَهَا .

وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعُوهَا فى الْتِزَامِ تِلْكَ الأَحْكَام ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْحِمَايَةِ لَهَا ، وَتَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمَهَا ، وَإِهَانَةِ مَنِ اسْتَهَانَ بِهَا وَخَالَفَهَا ، فَقَدْ سَارُوا فى ذَلِكَ بِسِيرَةِ الْعَدْلِ ، وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَجَمْعِ الْقُلُوبِ عَلَيْهَا ، وَالْتِزَامِ النَّصَفَةِ [٦] فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَاتُوجِبُهُ تِلْكَ الأَحْكَامُ ، وَكَذَلِكَ فى تَدْبِيرِ الحُرُوبِ وَأَمْنِ السُّبُلِ ، وَحِفْظِ الأَمْوَالِ ، وَصَوْنِ الأَعْرَاضِ وَالْحُرَمِ ، كُلُّ ذَلِكَ فَقَدْ سَارُوا فِيهِ بِسِيرَةٍ جَمِيلَةٍ ، لايُنَافِى العُقُولَ شَىْءٌ مِنْهُ لَوْ كَانَتِ الأُصُولُ صَحِيحَةً ، وَالْقَوَاعِدُ وَاجِبَةً ، فَكَانُوا فى حُسْنِ سِيرَتِهِم لِحِفْظِ [٧] تِلْكَ الأُصُولِ الفَاسِدَةِ ، كَمَنْ زَخْرَفَ كَنِيفًا [٨] ، أَوْ بَنَى عَلَى مَيِّتٍ قَصْرًا مُنِيفًا [٩] .

---

(١) فى « م » .. لَمَّا نَظَرْتُ .
(٢) النِّحَلُ : جَمْعُ نِحْلَةٍ ، وتُطلق على الدين والعقيدة .
(٣) فى « ط » .. والبيوع والأحكام .
(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ليس على شىء منه برهان ، ولا أنزل الله به مِن سلطان »
(٥) فى « ط » : يصنع .
(٦) النَّصَفَة : الإنصاف .
(٧) فى « ط » : يحفظ .
(٨) الكنيف : المِرْحاض .
(٩) المُنِيف : الطَّوِيل المُرتفع ، والمشرف على غيره .

وَلَوْ لَبِسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ [١]

فجمَعْتُ مَحاسِنَ ما انْطَوَتْ [٢] عَلَيْهِ سِيَرُهُمْ ، خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ فى سِتٍّ مِنَ الأُمَمِ ، وَهُم : العَرَبُ ، وَالْفُرْسُ ، وَالرُّومُ ، وَالْهِنْدُ ، وَالسِّنْدُ ، وَالسِّنْدُ هِنْدٌ ، فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُها [٣] فَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ كَبِيرُ شَىْءٍ [٤] لبُعْدِ الشُّقَّةِ [٥] وَطُولِ الْمَسَافَةِ ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هٰؤُلاءِ مِنَ الأُمَمِ فَلَمْ يكُونُوا أَهْلَ حِكَمٍ بَارِعَةٍ ، وقَرَائِحَ نافِذَةٍ ، وَأَذْهَانٍ ثَاقِبَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ الشَّىْءُ اليَسِيرُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، فنظَمْتُ مَا أَلْفَيْتُ فى كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكَمِ [٦] البَالِغَةِ ، وَالسِّيَرِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْكَلِمَةِ اللَّطِيفَةِ ، والطَّرِيقَةِ [٧] الْمَأْلُوفَةِ وَالتَّوْقِيعِ الْجَمِيلِ ، وَالأَثَرِ النَّبِيلِ ، إِلَى مارَوَيْتُهُ وَجَمَعْتُهُ مِنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وَآثَارِ الأَوْلِيَاءِ ، وَمُرَاعَاةِ [٨] الْعُلَمَاءِ ، وحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ ، ونَوَادِرِ الخُلَفَاءِ ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ القُرْآنُ العَزِيزُ ، الَّذِى هُوَ بَحْرُ العُلُومِ ، وَيَنْبُوعُ الْحِكَمِ ، وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ ، وَمَغَاصُ الجَوَاهِرِ المَكْنُونَاتِ ، إِنِ اخْتَصَرَ فَلَمْحَةٌ دَالَّةٌ وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ [٩] ، وإِنْ أَطَالَ فَأَلْفَاظٌ بَارِعَةٌ ، وآيَاتٌ مُعْجِزَةٌ ، وَهُوَ الهَادِى مِنَ الضَّلالَةِ ، وَالحَاوِى لِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا وَفَضَائِلِ الآخِرَةِ .

---

(١) الخزُّ : أحسن الحرير وأجوده .

(٢) فى « ط » : انطوَى .

(٣) فى « م » : وحكمائها ، بالجر ، وهو خطأ ، والصواب أن يكون مرفوعاً .. وفى « ط » : وحكماؤهم ، والمناسب للسياق : « وحكماؤها » ، أى : حكماء الصين ، والثانية يمكن ان تُؤوَّل على حكماء أهل الصين ، وبذلك لايكون ثمة خطأ .

(٤) العبارة فى « ط » : « فأمَّا ملوك الصين وحكماؤهم فلم يصل إلى أرض العرب من سياساتهم شىء كثير » .

(٥) الشقة : السَّفر البعيد ، أو المسافة يَشُقُّ قَطعُهَا .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فنَظَمْتُ ماأَلْفَيْتُ فى كُتبِهم مِنَ الحكمة البالغة » وكلاهما صواب .

(٧) فى « ط » : والظَّرِيفة .

(٨) فى « ط » : وبراعة العلماء ، أى : كمال فَضْلهم وحُسن فَصاحَتهم ، أما مراعاة العلماء فهى تعنى ماحفظوه وأبقوا عليه من علم ، يقال : رَاعَى فُلانٌ الأَمْرَ مُراعاةً : إذا حَفِظَهُ وأبقَى عليه .

(٩) فى « ط » : « وإشارة خفية » .

وَرَتَّبْتُهُ تَرْتِيبًا أَنِيقًا ، وَتَرْجَمْتُهُ تَرَاجِمَ [بَارِعَةً] (١) حَاوِيَةً لِمَقَاصِدِهَا ، نَاطِقَةً بِحُكْمِهَا وَمَضْمُونِهَا ، يَلِجُ الأُذُنَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، وَيَتَوَلَّجُ التَّامُورَ (٢) مِنْ غَيْرِ اسْتِئْمَارٍ ، أَلفاظُها قَوَالِبُ لمَعَانِيهَا ، لَيْسَ أَلْفَاظُهَا (٣) إِلَى السَّمْعِ بِأَسْرَعَ مِنْ مَعانِيهَا إِلَى الْقَلْبِ ، فَانتَظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ وعَوْنِهِ [وَإِحْسَانِه] (٤) غَايَةً فِى بَابِهِ ، غَرِيبًا فِى فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ ، خَفِيفَ الْحَمْلِ (٥) ، كَثِيرَ الفَائِدَةِ ، لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ (٦) العُلَمَاءِ ، وَلا جَالَتْ فِى نَظْمِهِ أَفْكَارُ الفُضَلاءِ ، وَلَا حَوَتْهُ خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ ، فَلَا يَسْمَعُ بِهِ مَلِكٌ إِلَّا اسْتَكْتَبَهُ ، وَلَا وَزِيرٌ إِلَّا اسْتَصْحَبَهُ ، ولا رَئِيسٌ إِلَّا اسْتَحْسَنَهُ (٧) واسْتَوْسَدَهُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ عَمِلَ به مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرِّيَاسَةِ ، وجُنَّةٌ (٨) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أُولِي الأَمْرِ (٩) وَالسِّيَاسَةِ ، وَجَمَالٌ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ (١٠) وَالْمُحَاضَرَة ، وعُنْوَانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمُذَاكَرَةِ ، وسَمَّيْتُهُ « سِرَاجَ المُلُوكِ » .. يَسْتَغْنِى (١١) الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِه عَنْ مُبَاحَثَةِ الحُكَمَاءِ (١٢) وَالْمَلِكُ (١٣) عَنْ مُشَاوَرَةِ الوُزَرَاءِ .

وَاعْلَمُوا – وفَّقَكُمُ اللهُ – أَنَّ أَحَقَّ مَنْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ الْحِكَمُ ، وأُوصِلَتْ إِلَيْهِ النَّصَائِحُ ،

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .
(٢) هكذا فى « ط » .. والتَّامور والتَّأْمور ، بهمز وبغير همز ، يُطلق على القلب ، والنفس ، ويُطلق أيضاً على الصَّوْمَعة ، وعلى وزير الملك . ويَتَوَلَّج التَّامور ، أى : يدخل القلب . وفى « م » : « المأمور » بدل « التامور » والاستئمار : طلب الأمر .
(٣) فى « م » : ألفاظ .
(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » .. وفى « م » : « وأحكمته » بدل « وإحسانه » .
(٥) فى « ط » : المحمل .
(٦) فى « م » : أقدام .
(٧) فى « م » : استَجْلَسَهُ .
(٨) جُنَّة : وِقاية .
(٩) فى « م » : الإِمْرَة . أى : الإمارة .
(١٠) فى « ط » : الآداب .
(١١) فى « ط » : يستغنى به .
(١٢) فى « م » : العلماء .
(١٣) فى « ط » : والملوك .

وَحُمِلَتْ إلَيْهِ العُلُومُ ، مَنْ آتَاهُ اللهُ سُلْطَانًا فَنَفَّذَ فى الخَلْقِ حُكْمَهُ ، وَجَازَ [١] عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الأَجَلَّ [المأْمُونَ] [٢] تَاجَ الْخِلَافَةِ ، عِزَّ الإِسْلَامِ ، فَخْرَ الأَنَامِ [٣] ، نِظَامَ الدِّينِ ، خالِصَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ ، أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحمدًا الآمِرِىَّ [٤] ، أَدَامَ اللهُ لإِعْزَازِ الدِّينِ نَصْرَهُ ، وَأَنْفَذَ فى الْعَالَمِينَ بِالْحَقِّ أَمْرَهُ ، وَأَوْزَعَ كَافَّةَ الخَلْقِ شُكْرَهُ ، وَكَفَاهُمْ فِيهِ مَحْذُورَهُ وَضُرَّهُ ، فَقَدْ تَفضَّلَ اللهُ تَعالَى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ [٥] ، فَبَسَطَ فِيهِمْ يَدَهُ ، وَنَشَرَ فى مَصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَعَرَفَ الْخاصُّ والعَامُّ يُمْنَهُ وَبَرَكَتَهُ ، وتَقَلَّدَ أُمُورَ الرَّعِيَّةِ [٦] وَسَارَ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَضِيَّةٍ [٧] ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَاغِبًا فى الثَّوَابِ ، طَالِبًا سُبُلَ [٨] العَدْلِ ، وَمَنَاهِجَ الإنْصَافِ وَالْفَضْلِ ، رَغِبْتُ أَنْ أُخصَّهُ بِهَذَا الْكِتَاب ، رَجَاءَ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى ، ﴿ **يَوْمَ** [٩] **تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ ماعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا** ﴾ [١٠] .

---

(١) فى « م » : وجار .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » وهو : أبو عبد الله المأمون البطائحى .

(٣) الأنام : الخلق .

(٤) فى « م » و « ط » : الأموى ، بالواو ، وهو تحريف ، والصواب ماأثبتناه ، نسبة إلى « الآمِرِ بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى » أما المأمون فهو عبد الله محمد بن أبى شجاع بن أبى الحسن مختار ، المعروف بمحمد بن فاتك البطائحى - أو المأمون البطائحى - الذى استوزره الآمر بعد مقتل الأفضل .

[انظر مقدمة المحقق ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ - ٣٠٣ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٧٢ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٠ وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة للدكتور / أحمد سعيد سليمان ج ١ ص : ١١٣ ط دار المعارف ، وتاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم ص ١٧٣ وما بعدها] .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وقد تفضَّل الله تعالى بالحق أمره المسلمين » .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وتقلَّد فيهم أُمور الرَّعيَّة » .

(٧) فى « م » : القضية .

(٨) فى « ط » : سبيل .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : فى يوم .

(١٠) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وَلِتَذْكُرِ فَضائِلَهُ وَمَحاسِنَهُ ما بَقِىَ الدَّهْرُ ، كَمَا قِيلَ :

النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدْرِهِـمْ لَكِنَّنِى أَهْـدِى عَلَـى قَدْرِى
يَهْدُونَ مايَفْنَى وَأَهْدِى الَّذِى يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ وَالدَّهْـرِ [١]

فَإِنَّ العِلْمَ عِصْمَةُ المُلُوكِ والأُمَراءِ ، ومَعْقَلُ السَّلاطِينِ وَالوُزَرَاءِ [٢] ، لأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ ، وَيَرُدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ [٣] ، وَيَصُدُّهُمْ عَنِ الأَذِيَّةِ ، وَيُعَطِّفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ ، وَيُكْرِمُوا حَمَلَتَهُ ، وَيَسْتَبْطِنُوا [٤] أَهْلَهُ .

وهَذِهِ أَبْوَابُ الْكِتَابِ وعِدَّتُهَا [٥] أَرْبَعَةٌ وسِتُّونَ بَابًا :

البَابُ الأَوَّلُ : فِى مَواعِظِ المُلُوكِ .

البَـابُ الثَّانِى : فى مَقَامَاتِ العُلَماءِ وَالصَّالِحِينَ عَنْدَ الأُمَراءِ والسَّلاطِينِ .

البَابُ الثَّالِثُ : فِيمَا جَاءَ فى الْوُلاةِ وَالْقُضَاةِ ، وَمَا فِى ذَلِكَ مِنَ الغَرَرِ وَالْخَطَرِ .

البَابُ الرَّابِـعُ : فى مَعْرِفَةِ مُلْكِ سُلَيْمانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ][٦] وَوَجْهِ طَلَبِهِ لِلْمُلْكِ ، وَسُؤَالِهِ أَلَّا يُؤْتَاهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ .

البَابُ الخَامِسُ : فى فَضْلِ الْوُلاةِ وَالقُضَاةِ[٧] إِذَا عَدَلُوا .

البَابُ السَّادِسُ : فى أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُونٌ غَيْرُ غَابِنٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَابِحٍ .

---

(١) فى « م » : « والذِّكرِ » بدل « والدّهر » .
(٢) فى « م » جاءت الكلمتانِ : الوزراء والأمراء كُلّ منهما مكان الأخرى ، وسقطت « لأنه » بعدها .
(٣) الحِلْم : بكسر الحاء المهملة : الأَناةُ وضَبْطُ النَّفس .
(٤) يستبطنوا أهله : يتخذوهم أصحاباً وبطانة لهم . وفى « م » : « ويستَنْطِقُوا أهله » أى : يطلبوا منهم أن يتحدّثوا ليعرفوا دخائلهم وسرائرهم ، ويستفيدوا من عِلمهم .
(٥) فى « م » : « وعدتهم » . والمناسب لغة ما أثبتناه .
(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .
(٧) فى « م » : القُضَاة والولاة .

---

(١) فى « ط » : الصفات الرَّاتبة .

(٢) فى « م » : « الخلفاء » بدل « الحكماء » .

(٣) فى « ط » : « وقد اتفقت الحكماء والعلماء عليها » زائدة عما جاء فى « م » .

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة عن « ط » .
(٢) فى « ط » : وأوصافهم .
(٣) فى « ط » : لسائر .
(٤) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط »

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : معرفة الخصلة التى هى ..

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) ورد الفعل « تكونون » فى « م » و « ط » بحذف النون والصواب إثباتها .

(٥) فى « ط » : « فى سيرة السلطان فى بيت المال » وقد جاء هذا العنوان والذى سبقه كل منهما مكان الآخر .

الْبَابُ الْخَمْسُونَ : فى سِيرَةِ السُّلْطَانِ فى تَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ ، وَفَرْضِ الأَرْزَاقِ ، وَسِيرَةِ الْعُمَّالِ .

الْبَابُ الْحَادِى وَالْخَمْسُونَ : فى أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

الْبَابُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ : فى بَيَانِ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فى الْوُلَاةِ .

الْبَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ : فى بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ الَّتِى تُؤْخَذُ عَلَى الْعُمَّالِ . .

الْبَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ : فى هَدَايَا الْعُمَّالِ وَالرِّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ .

الْبَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ : فى مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ .

الْبَابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ : فى الظُّلْمِ وشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

الْبَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ : فى السِّعَايَةِ والنَّمِيمَةِ وقُبْحِهِمَا [١] .

الْبَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ : فى الْقِصَاصِ وَحِكْمَتِهِ .

الْبَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ : فى الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ .

الْبَابُ السِّتُّونَ : فى الشَّجَاعَةِ وَثَمَرَاتِها .

الْبَابُ الْحَادِى وَالسِّتُّونَ : فى الْحُرُوبِ وَتَدْبِيرِهَا .

الْبَابُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ : فى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَأَحْكَامِهِمَا .

الْبَابُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ : فى الْجَامِعِ[٢] مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ [وَحِكَايَاتِهِم] [٣] .

الْبَابُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ : يشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ مَنْثُورَةٍ [وَهُو آخِرُ الكتابِ وَكَمالُ الأَبْوَابِ] [٤] .

* * *

(١) فى « ط » : « فى السعاية والنميمة وقبحهما ، وما يئول إليه أمرهما من الأفعال الرديئة ، والعواقب الذميمة » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : وهوجَامِعٌ .

(٣) مابين المعقوفين ساقط من « م » .

(٤) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

البَــابُ الأَوَّلْ

فى مَواعِــظِ الْمُــلوكِ

لَقَدْ خَابَ [وَخَسِرَ] [١] مَنْ كَانَ حَظُّهُ [مِنَ] [٢] اللهِ الدُّنْيَا .. اعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ – وَكُلُّنَا ذٰلِكَ الرَّجُلُ – أَنَّ عُقُولَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَانَتْ كِبارًا ، إِلَّا أَنَّها مُسْتَغْرِقَةٌ [٣] بِكَثْرَةِ الأَشْغَالِ ، فَتَسْتَدْعِى [٤] مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَايَتوَلَّجُ عَلَى تِلْكَ الأَفْكَارِ ، ويَتَغَلْغَلُ فى مَكَامِنِ تِلْكَ الأَسْرَارِ ، فَتَرْفَعُ [٥] تِلْكَ الأَسْتَارُ ، وتُفَكُّ [٦] تِلْكَ الأَكِنَّةُ [٧] والأَقْفَالُ ، ويُصْقَلُ ذٰلِكَ الصَّدَأُ وَالرَّانُ ، [٨] قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ . [وَقَالَ] [٩] : ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ** ﴾ [١٠] فَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى جَمِيعَ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .
(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : مشغولة .
(٤) فى « ط » : ليستدعى .
(٥) فى « ط » ليُرفع .
(٦) فى « ط » : ويُفك .
(٧) الأكِنَّة : جمع كِنان ، بكسر الكاف ، ويُطلق على الغِطاء ، وعلى كل شىء يقى شيئاً ويستره .
(٨) الرَّان : الغطاء والحجاب الكثيف ، ويُطلق أيضاً على الصدأ الذى يعلو الشىء وعلى الدَّنس .
(٩) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » . وران على قلوبهم : أى غطى وغلب عليها . والآية بتمامها : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ماكانوا يَكْسِبُون ﴾ سورة المطففين – الآية ١٤ .
(١٠) الآية ٧٧ من سورة النساء .

الدُّنْيا (١) بأنَّهَا مَتاعٌ قَليلٌ ، وأنْتَ تَعْلَمُ أنَّك مَا أُوتِيتَ مِنْ ذٰلِكَ القَلِيلِ إلا قَلِيلًا (٢) ثُمَّ ذٰلِكَ القَلِيل إنْ تَمَتَّعْتَ بِهِ وَلَمْ تَعْصِ اللهَ فِيهِ ، فَهُو لَهْوٌ ولَعِبٌ [وزِينَةٌ] (٣) قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ **اعْلَمُوا أنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ** ﴾ (٤) ثُمَّ قَالَ ﴿ **وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (٥) فَلا تَبعْ أيُّهَا العَاقِلُ لَعِبًا قَلِيلًا يَفْنَى ، بِحَياةِ الأَبَدِ حَياةٍ [لا تَفْنَى] (٦) وشَبابٍ لا يَبْلَى ، كَمَا قَالَ الفُضَيْلُ [رَحِمَهُ الله] (٧) : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا ذَهَبًا يَفْنَى ، وكانَتِ الآخِرَةُ خَزَفًا يَبْقَى ، لَوَجَبَ أنْ نَخْتارَ خَزَفًا يَبْقى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى » فَكَيْفَ وَقَدِ اخْتَرْنَا خَزَفًا يَفْنَى عَلَى ذَهَبٍ يَبْقَى ؟! تَأمَّلْ بِعَقْلِكَ : هَلْ آتَاكَ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا آتَى سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ ، حَيْثُ آتَاهُ مُلْكَ جَمِيعِ الدُّنْيَا ، وَالإِنْسِ وَالجِنِّ [والطَّيْرِ] (٨) وَالْوَحْشِ : و ﴿ **الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴾ (٩) .

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « جميع متاع الدنيا » وماجاء فى « ط » هو المناسب للسياق ، والضمير – بعدها – يؤكد ذلك .

(٢) فى « م » : « قليل » بالرفع ، وهو خطأ . وفى « ط » « قليلا » بالنصب ، وهو الصواب ، لأن « ما » هنا نافية ، و « أُوتيتَ » فعل ماضٍ مبنى للمجهول ، والتاء نائب فاعل . و « من ذلك » جار ومجرور ، و « القليل » بدل من ذلك ، و « إلّا » للحصر ، و « قليلا » مفعول به . ومثله فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قد أُوتيتَ سُؤْلَكَ ياموسَى ﴾ بفتح اللام . وقوله تعالى : ﴿ وما أُوتيتُم من العِلْم إلّا قليلا ﴾ .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » لم تَرِدْ كلمة « اعلموا » فى أوّل الآية ، وكلمة « وزينة » فى آخرها ، والآية بتمامها : ﴿ اعلموا أنّما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ، ولَهْوٌ ، وزينة ، وتفاخُر بينكم ، وتكاثُر فى الأموال والأولاد ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكفار نباتُهُ ، ثم يَهِيجُ فَتَراه مُصْفَرا ، ثُمَّ يكون حُطَاماً ، وفى الآخرة عذابٌ شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياةُ الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [سورة الحديد – الآية ٢٠] الغيث : المطر .. يهيج: يَيْبَس ، حطاماً : فتاتاً هشيماً . الغرور : الخداع والباطل .

(٥) الآية بتمامها : ﴿ وماهذه الحياة الدنيا إلّا لَهْوٌ ولَعِب ، وإنَّ الدار الآخرة لَهِىَ الحيوانُ لو كانوا يعلمون ﴾ [سورة العنكبوت – الآية ٦٤] لهو ولعب : أى لذائذ مُتَصَرِّمة ، وخداع وعبث باطل . لَهِىَ الحيوان : أى لَهِىَ دار الحياة الدائمة الخالدة .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٧) مابين المعقوفتين ساقط من « م » . والفضيل هو : الفُضَيْل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ وهو من كبار الصوفية والعُبَّاد الصالحين . [انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ ومابعدها] .

(٨) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٩) الآية بتمامها : ﴿ فَسَخَّرْنا له الريح تجرى بأمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصاب ﴾ [سورة «ص» – الآية ٣٦] رُخاءً حيث أصاب : لَيِّنَةً أو مُنْقَادَةً حَيْثُ أراد .

ثُمَّ زَادَهُ اللهُ [تعالَى] [١] مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا ، فَقَالَ تَعالَى : ﴿ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٢] فَوَاللهِ ماعَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، ولاحَسِبَهَا رِفْعَةً ومَنْزِلَةً [٣] كَما حَسِبْتُموهَا ، بَلْ قَالَ عِنْدَ ذَٰلِكَ : ﴿ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر ﴾ [٤] وَهَذَا فَصْلُ الخِطَابِ لِمَنْ تَدبَّرَ أَنْ يَقُولَ لَهُ [رَبُّهُ] [٥] فى مَعْرِضِ المِنَّةِ : ﴿ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثُمَّ خَافَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنْ حيثُ لا يَعْلَم .

هذا وقَدْ قَالَ لَكَ وَلِسَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٦] وقال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [٧] تَأَمَّلْ بِعَقْلِكَ مَا رُوِىَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ [٨] أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ماسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ ماءٍ » [٩] . وَالَّتِى سَمْعَكَ إِلَى مَانَزَلَ بِهِ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٢) سورة «ص» – الآية ٣٩ .. هذا عَطَاؤُنا : أى هذا المُلْكُ هو عَطَاؤُنا إيَّاك ، تتصرف فيه كما تشاء . فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ : أى فتفضل بما تشاء على من تشاء ، فأَعْطِ أو احرم مَنْ تشاء ، فلَكَ مُطلَق التصرُّف .
بغير حساب : أى غَيْرَ مُحَاسَب على شىء من الأمرَيْن : الإعطاء أو المنع .

(٣) فى « م » : ولا حَسِبَها كرامة .

(٤) لِيَبْلُوَنى : لِيَخْتَبِرنى ويَمْتَحِنَنى . وهذا جزء من الآية ٤٠ من سورة النمل ، وتكملته : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فإنما يشكر لِنَفْسه ، ومَنْ كَفَر فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كريم ﴾ .

(٥) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٦) الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحِجْر .

(٧) من الآية ٤٧ من سورة الأنبياء ، ومثقالَ حَبَّة : أى وَزْنُ حَبَّة . وَالْخَرْدَلُ : نبات يُضرَب به المثل فى الصِّغَرِ ، فيقال : ماعندى خَرْدَلَةٌ من كذا .

(٨) فى « م » : « إلى مارُوِىَ » .. وفى « ط » : « عليه السلام » بدل « صلى الله عليه وسلم » .

(٩) هذا الحديث عن ابن عباس أورده أبو نعيم فى الحلية ، وقال عنه : حديث غريب من حديث الحكم عن مجاهد ، لم نكتبه إلّا من حديث عبد الكبير عن أبيه ، وقد ورد الحديث فى سنن ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب : مثل الدنيا ، عن سهل بن سعد قال : « كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بذى الْحُلَيْفَةِ ، فَإِذا هُوَ بشاة ميتة شائلة برِجْلها ، فقال : أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً على صاحِبِها ؟ فَوَالذى نفسى بيده ، لَلدُّنْيَا أهوَنُ عَلَى اللهِ مِن هذه على صاحبها ، ولَوْ كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ماسقَى كافراً منها قطرة أبداً » أ هـ . وفى الزوائد ، فى إسناده زكريا بن منظور ، وهو ضعيف ، وفيه : أن أصل المتن صحيح .

[انظر حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٠٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧] .

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ عِنْدِ اللهِ - تَعَالَى - عَلَى [نَبِيِّهِ] [١] مُحَمَّدٍ ، ﷺ ، فَقَالَ : « يا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ لَكَ : عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، واعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّك مَجْزِيٌّ بِهِ » . فانْظُرْ إلى [٢] ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْكَلِمَاتُ مِنْ صَرْعَةِ الْمَوْتِ [٣] وفِرَاقِ الأَحِبَّةِ ، والْجَزاءِ عَلَى الأَعْمَالِ ، فَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّماءِ غَيْرُهَا لَكَانَتْ كافِيَةً .

أُنْظُرْ بِفَهْمِكَ إِلَى مَارَوَاهُ الحَسَنِ [٤] ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِمنْزِلِ قَوْمٍ قَدِ ارْتَحلُوا عَنْهُ ، وإذا طَلًا [٥] مَطْرُوحٌ فَقالَ : « أترَوْنَ [٦] هٰذَا هَانَ عَلَى أَهْلِهِ » فَقالُوا : مِنْ هَوانِهِ عَلَيْهِم

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » . وفى « ط » : « عليه السلام » بدل « صلى الله عليه وسلم » .

(٢) فى « ط » فانظُرْ مااشتملت » بحذف حرف الجر .

(٣) هكذا فى « م » . وفى « ط » : « مِنْ تَصَرُّمِ العُمر » أى : ذهابه .

(٤) فى « ط » : « الحسين » تحريف .. والصواب ماأثبتناه ، فالحديث المروى هنا جاء بعدَّةِ روايات : عن ابن عباس ، وأبى هريرة، وأبى الدرداء ، وأنس بن مالك ، وأبى موسى ، وابن عمر ، وعبد الله بن ربيعة السلمى وغيرهم . والحسن قد روَى عن أبى هريرة وعن ابن عمر ، وابن عباس وأنس وغيرهم والحَسَن هو : أبو سعيد ، الحسن بن أبى الحسن يسار ، المعروف بالحسن البصرى ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من عِلْم وفقه ، وزهد وورع وعبادة، وكان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، رضى الله عنه ، وأمه « خيرة » مولاة أم سَلَمة ، زوج النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، وولد الحسن بالمدينة سنة ٢١ هـ ، ويذكرون أن أُمّه كانت رُبَّمَا غابت فيبكى الصبى فتعطيه أم سَلَمة - رضى الله عنها - ثَدْيَهَا تُعَلِّلُهُ به إلى أن تجىء أُمّه ، فَدَرَّ عليها ثَدْيُها فَشَرِبَهُ ، فَيَرَوْن أَنَّ تلك الحكمة والفصاحة التى كان يتميز بها من بَرَكَةِ ذلك .. توفى رحمه الله تعالى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

[انظر الحديث فى الحلية ج ٢ ص ١٨٩ وعلل الحديث للإمام الرازى ج ٢ ص ١٠٩ ، وسُنن الترمذى فى أبواب الزهد ج ٩ ص ١٩٨ وسُنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧ ، ومجمع الزوائد للهيثمى ج ١٠ ص ٢٨٩ ، والزهد لابن حنبل ص ٣٠ والترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ١٧٢ وانظر ترجمة الحسن فى طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥٦ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٩ وكتاب الجرح والتعديل للرازى ج ٣ ص ٤٠ ترجمة ١٧٧ وتذكرة الحُفَّاظ للذهبى ج ١ ص ٧١ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧] .

(٥) الطَّلا : بالألف والياء ، ففى اللسان : الطَّلَى : الصغير من كل شىء .. وفى المعجم الوسيط : الطَّلا : الصغير من كل شىء ، ويُطلق على الولد من الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يتشدد ، وولد الظبية .

وجاء فى حديث : « شاة » وفى حديث آخر : « سَخْلَة جَرْباء أخرجَها أَهْلُها » وفى حديث ثالث : « مَرَّ رسول الله بشاة ميتة » وفى حديث رابع « مَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ » وفى حديث خامس : « مَرَّ بِدِمْنَةِ قَوْم فيها سخلة ميتة » والدمنة آثار الناس ، وما سَوَّدوا ، وتُطْلَقُ أيضاً على المَزْبَلَة . والسَّخْلَةُ : الأنثى من ولد الضَّأْن . والجدى : الذَّكر من أولاد المَعْزِ . وأَسَكُّ : أى صغير الأُذُنَيْن .

(٦) فى « م » : « أتنظرون » بدل « أَتَرَوْنَ » .

القُوةُ فقَالَ : وَالَّذِى (١) نَفْسِى بِيَدِهِ لَلدُّنْيا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ (٢) مِنْ هٰذا عَلَى أَهْلِه ، فَجعَلَ الدُّنْيا أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجِيفَةِ المطْروحَةِ . وَقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٣): قالَ لِىَ النَّبىُّ ﷺ (٤) : « أَلا أُرِيكَ الدُّنْيا جَمِيعاً (٥) بِمَا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَأَخذَ بِيَدِى وأَتَى بِى إِلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ المدِينَةِ ، فإِذَا مَزْبَلَةٌ فِيهَا رُءُوسُ النَّاس ، وَعَذِراتٌ (٦) ، وخِرَقٌ باليَةٌ ، وعِظَامُ البَهائِمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هٰذِهِ الرُّءُوسُ كانَتْ تحْرِصُ [عَلَى الدُّنْيا] (٧) كَحِرْصِكُم ، وَتَأْمُلُ آمَالَكُم ، ثمَّ هِيَ اليَوْمَ تَسَّاقَطُ جِلْدًا بِلا عَظْمٍ ، ثُمَّ هِيَ صَائِرةٌ رَماداً رِمْدِدًا (٨) ، وَهَذِهِ العَذِرَاتُ أَلْوَانُ أَطْعِمَتِهِمْ ، اكْتَسَبُوهَا مِنْ حَيْثُ اكْتَسَبُوهَا ، وَقَذَفُوهَا (٩) فى بُطُونِهِم ، فأَصْبَحَتْ والنَّاسُ يَتَحَامَوْنَها (١٠) ، وَهٰذِهِ الْخِرَقُ [البَالِيَةُ] (١١) رِيَاشُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ ، فَأَصْبَحَتْ (١٢) وَالرِياحُ تُصَفِّقُهَا (١٣) ، وَهَذِهِ الْعِظَامُ عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِى كَانُوا يَنْتَجِعُونَ (١٤) عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلادِ ، فَمَنْ كانَ باكِياً عَلَى الدُّنْيا فَلْيَبْكِ . قَالَ : فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى اشْتَدَّ بُكَاؤُنا » (١٥) .

---

(١) فى « ط » : « قال : فَوَالذى » .

(٢) فى « م » : « لَلدُّنْيا أَهْوَنُ على أهل الله مِنْ هَوانِ هذا على أهله » .

(٣) مابين المعقوفين عن « م » .

(٤) فى « ط » : عليه السلام .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : جمعاً . والحديث مروى فى إحياء علوم الدين للغزالى فى كتاب « ذم الدنيا » ج ٣ ص ٢١٧ باختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

(٦) فى « ط » و« م »: « رءوس الناس » .. وفى الإحياء : « رءوس أناس وَعَذِرَاتٌ » .. وفى « م » : « وعليه العَذِراتُ » ، والعَذِراتُ : جمع عَذِرَةٍ وهى الغائط « البراز » .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » والإحياء : « كانت تحرص كحرصكم » .

(٨) رَمادًا رِمْدِدًا : أى كالرماد المتناهى فى الاحتراق والدِّقَّةِ .

(٩) فى « ط » : « ثم قذفوها » .

(١٠) يتحامونها : يتجنبونها .

(١١) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(١٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط »: « ثم أصْبَحَتْ » .

(١٣) تُصَفِّقُهَا : أى تُحَرِّكُها وتُقَلِّبُها .

(١٤) يَنْتَجِعُونَ عليها : أى يأتون .

(١٥) لم أقف على هذا الحديث فى كتب الحديث المعروفة ، وقد عَلَّقَ عليه الحافظ العراقى زين الدين أبو الفضل ، المتوفى سنة ٨٠٦ هـ فى كتابه : المغنى عن الأسفار فى هامش الإحياء ، بقوله : « لا أجد له أصلاً » [انظر إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨ طبعة الدار المصرية اللبنانية] .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ (١) : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِى (٢) فَقَالَ : « يَاعَبْدَ اللهِ ، كُنْ فى الدُّنيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعابِرِ سَبِيلٍ ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فى الْمَوْتَى » .. يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنْ كُنْتَ لاتَدْرِى مَتَى يَفْجَؤُكَ الأَجَلُ ، فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ الأَمَلِ ، فَإِنَّهُ يُقَسِّى الْقَلْبَ ، وَيُفْسِدُ العَمَلَ ، وَقَدْ عَيَّرَ اللهُ [تَعَالَى] (٣) أَقْوَاماً مَدَّ لَهُمْ فى الأَجَلِ ، فَقَسَتْ مِنْهُمُ القُلُوبُ ، وَطَالَ مِنْهُمُ الأَمَلُ ، فَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَانَزَلَ (٤) مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنهمْ فَاسِقُونَ** ﴾(٥) .

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مايَأْتِى بِهِ القَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِى فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِى يَحْدُثُ الكَدَرُ

---

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، أبو عبد الرحمٰن ، نشأ فى الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه - وقيل : كانت هجرته قبل هجرة أبيه - أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، وَلَمَّا قُتل عُثمان عرضَ عليه نَفَر من المسلمين أن يبايعوه بالخلافة ، فَأَبَى ، و كان - رحمه الله - كثير الصَّدَقَة ، قال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشىء من ماله قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ . وقال عنه الصحابىُّ الجليل جابر بن عبد الله : « مامنا إلّا مَنْ مالت به الدنيا ومال بها ، ماخلا عمر وابنه عبد الله » وكانت وفاته رحمه الله - سنة ٧٣هـ [انظر ترجمته فى أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٥ وانظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ٧ ص ٨٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن عمر وغيره من كتب المناقب والتراجم] .

وقد ورد هذا الحديث المروى عنه كاملاً فى أُسد الغابة ص ٣٤٤ المجلد الثالث ، وورد مُجتزءًا فى البخارى فى كتاب الرقاق ج ١١ ص ٢٣٣ وفى سنن ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب « مثل الدنيا » ج ٢ ص ١٣٧٨ وفى الترمذى فى الزهد أيضاً ، باب ماجاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل ج ٩ ص ١٩٧ ومابعدها .

(٢) فى رواية البخارى : « أخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بمنكبى » وفيه تعيين ماأُبهم فى الرواية الواردة فى الترمذى عن ليث : « أخذ ببعض جسدى » والمَنكِب ، بكسر الكاف : مُجْتَمع العَضُد والكَتِف .

(٣) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » فى الموضعين .

(٤) فى « م » : « أنزل » ولم أقف على قراءة بالهمزة ، فقد قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم : «وَمَا نَزَلَ » خفيفة ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : « وَمَا نَزَّلَ » مشددة الزاى مفتوحة النون ، ورَوَى عباس عن أبى عمرو : « وما نُزِّلَ » مرتفعة النون ، مشددة الزاى مكسورة [انظر كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد تحقيق د. شوقى ضيف ص ٦٢٦ ط دار المعارف] .

(٥) سورة الحديد - الآية ١٦ .. والبيتان بعدها وردا فى « طبقات الأولياء » لابن الملقن ، على لسان مجنون يعظ فيها الفضيل بن عياض .

[انظر المصدر المشار إليه ص ٢٦٩] .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَلْقِ إِلَيَّ سَمْعَكَ ، وَأَرْعِنِي لُبَّكَ (١) .

فَإِنْ كُنْتَ لاتَدْرِي مَتَى الموْتُ فَاعْلَمَنْ بِأَنَّكَ لَاتَبْقَى إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ

[ابن آدَمَ] (٢) ، أينَ آدَمُ أَبُو الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ؟ أَيْنَ نُوحٌ شَيْخُ المرْسَلِين ؟ أَيْنَ إِدْرِيسُ رفِيعُ [رَبِّ] العَالَمِينَ (٣) ؟ أَيْنَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ [الرَّحِيمِ] (٤) ؟ أَيْنَ مُوسَى الْكَلِيمُ مِنْ بَيْنِ [سَائِرِ] (٥) النَّبِيِّينَ والمرْسَلِينَ ؟ أَيْنَ عِيسَى رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، رَأْسُ الزَّاهِدِينَ ، وَإِمَامُ السَّائِحِينَ ؟ أَيْنَ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ [وَحَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ ، وسَيِّدُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ] (٦) ؟ أَيْنَ أَصْحَابُهُ الأَبْرَارُ الْمُنْتَجَبُونَ (٧) ؟ أَيْنَ الأُمَمُ الماضِيَةُ ؟ أَيْنَ الملُوكُ السَّالِفَةُ ؟ أَيْنَ القُرونُ الخَالِيَةُ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ نُصِبَتْ عَلَى مَفارِقِهِمُ التِّيجَانُ ؟ أَيْنَ الَّذين اعْتَزُّوا (٨) بالأَجْنَادِ وَالسُّلْطَانِ ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ السَّطْوَةِ وَالْوِلَايَاتِ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ خَفَقَتْ عَلَى رُءُوسِهِمُ الأَلْوِيَةُ وَالرَّايَاتُ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الجُيُوشَ وَالعَسَاكِرَ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ عَمَرُوا القُصُورَ وَالدَّسَاكِرَ ؟ (٩) أَيْنَ الَّذِينَ أُعْطُوا النَّصْرَ فى مَوَاطِنِ الحُرُوبِ وَالْمَوَاقِفِ ؟

---

(١) أَرْعِنِي : أمرٌ من المراعاة ، جاء فى اللسان « مادة رعى » : أَرْعِنِي سَمْعَكَ وَرَاعِنِي سَمْعَكَ : أى استَمِعْ إِلَيَّ . واللُّبُّ : العقل . والمعنى : يا أيها الرَّجل أَصْغِ إلى ما سأقوله لك ، وأَحْسِنِ الاستماعَ إِلَيَّ بعقلِك وجوارحِك .

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .

(٣) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .. ورفيع رَبِّ العالمين : أى الذى رفعه الله عَزَّ وجَلَّ إلى مكانة رفيعة .. وفى القرآن الكريم : ﴿ واذكر فى الكتاب إدريس ، إنه كان صِدِّيقاً نبياً ٭ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ [سورة مريم - الآيتان : ٥٦ ، ٥٧] .

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .

(٥) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .

(٦) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .

(٧) فى « م » : « الْمُنْتَجِبين » خطأ ، والصواب : « المُنْتَجَبون » بالرفع ، صفة ثانية لأصحابه . وَالمُنْتَجَبون : المُتَّصِفُونَ بالفضل والكَرَم .. وفى اللسان : المُنْتَجَبُ : المختار من كل شيء ، وقد انتجب فلانٌ فلانًا ، إذا استخلصه واصطفاهُ على غيره .. وفى « ط » : « المنتخبون » بالخاء المعجمة ، وهى أيضاً بمعنى الانتقاء والاختيار ، ومنها النُّخْبَة بالضم ، أى : المُنْتَخَبُون من النَّاس والمُنْتَقُون .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « اعْتَزُّوا » أى : تشرفوا وَعَدّوا أنفسهم أَعِزَّة ، وكانت لهم القوة والغَلَبة ... والأجناد : الجنود ، ويُطلق أيضاً على الأنصار والأعوان .

(٩) الدَّساكِرُ : جَمْعُ دَسْكَرَة ، وهى بناء كالقصر ، حوله بيوتٌ للأعاجم ، فيها الشراب والملاهى ، ويكون للملوك . وهى لفظة مُعَرَّبَة .

أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فى اللَّذَّاتِ والمآرِبِ [١] ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَاهُوا [٢] عَلَى الخلائِقِ كِبْرًا وعِتِيًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ رَاحُوا فى الْحُلَلِ [٣] بُكْرَةً وَعَشِيًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَلانُوا الملابِسَ أَثَاثاً وَرِيًّا [٤] ؟ [﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا** ﴾] [٥] . أَيْنَ الَّذِينَ مَلَكُوا [٦] مابَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وعِزًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ فَرَشُوا القُصُورَ خَزًّا وَبَزًّا [٧] ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ لَهُم الأَرْضُ هَيْبَةً وهَزًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا العِبادَ قَهْرًا وَلَزًّا [٨] ؟ ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْتَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** ﴾ [٩] . أَفْنَاهُمْ – وَاللهِ مُفْنِى الأُمَمِ ، وَأَبَادَهُمْ مُبِيدُ الرِّمَمِ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ القُصُورِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فى ضِيقِ [١٠] القُبُورِ ، تَحْتَ الجَنَادِلِ والصُّخُورِ ، فَأَصْبَحُوا لاتُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ [١١] ، فَعاثَ الدُّودُ فى أَبْدانِهِمْ [١٢] ، واتَّخَذَ مَقِيلاً فى أَجْسَادِهِمْ [١٣] ، فَسَالَتِ الْعُيُونُ عَلَى

---

(١) المآرب : الحاجات ، وتُطلَق على ما يبتغيه المَرْءُ ويتمنّاه .

(٢) تاهوا : أى تكبّروا وعَلَوْا .. وفى « ط » : « أسرفوا » بالسين المهملة ، أى : جاوزوا الحَدَّ ، ولعلها « أشرفوا » بالشين المعجمة ، بمعنى : نظروا إلى الخلائق مِنْ عَلٍ .

(٣) راحوا فى الحُلَل : فرحوا بالثياب الجديدة الجيدة ، وطابت لهم ، فساروا بها فى كل وقت مُتَباهِين مُفْتَخِرين .

(٤) استلانوا الملابس : عَدُّوهَا لَيِّنَةً .. أَثاثاً : الأثاث يُطلق على متاع البيت من الفِرَاش ونحوه ، وعلى الثياب ونحوها .. رِياً : أى : رِئياً ، والرِّئْيُ : حُسْنُ المَنْظَر فى البهاء والجمال والهيئة .

(٥) الآية لم ترِدْ فى « ط » وهى الآية الرابعة والسبعون من سورة مريم .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مَلَكُوا مابين الخافِقَيْن عِزاً وفخراً » . والخافقان : أُفُقا المَشْرِق والمَغْرِب .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : وقَزًّا أى : وحَرِيرًا .
والخَزُّ من الثياب ، ماتُنْسَجُ من صوف وإبْرَيْسم – أى حرير جيد – أو ماتُنْسَجُ من الحرير الخالص . والبَزُّ : متاع البيت من الثياب خاصة . وقيل : ضرب من الثياب .
[انظر لسان العرب ، مادة : بَزَزَ] .

(٨) اللَّزُّ : الشِّدَّة .

(٩) سورة مريم – الآية ٩٨ .. والرِّكْزُ : الصَّوْتُ الخَفِيُّ .

(١٠) فى « ط » : « ضنك القبور » وهى بمعنى الضيق أيضاً .

(١١) فى سورة الأحقاف الآية ٢٥ : ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم ﴾ بالياء ، إشارة إلى قوم عادٍ بعد أن أهلكتهم الريح .

(١٢) فى « ط » : « أجسادهم » . وعاثَ الدُّود فى أبدانهم ، أى : أَفْسَدَ فيها .

(١٣) فى « ط » : أبدانهم . والمعنى : أن الدُّودَ اتَّخَذَ مِنْ أجسادهم مكاناً يقيم فيه ويستريح .

الْخُلُودِ ، وامْتَلأَتْ تِلْكَ الأَفْوَاهُ بِالدُّودِ ، وَتَسَاقَطَتِ الأَعْضَاءُ ، وَتَمزَّقَتِ الْجُلُودُ ، وَتَنَاثَرَتِ اللُّحُومُ ، وتَقَطَّعَتِ الْبُطُونُ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ماجَمَعُوا ، وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَاكَسَبُوا ، أَسْلَمَكَ الأَحِبَّةُ وَالأَوْلِيَاءُ ، وَهَجَرَكَ الإِخْوانُ وَالأَصْفِياءُ ، ونَسِيَكَ القُرَبَاءُ وَالبُعَدَاء ، فَأَمْسَيْتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لأَنْشَدْتَ قَوْلَنا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى ، وَرَهَائِنِ التُّربِ والْبِلَى (١) :

مُقِيمٌ بالحَجُونِ رَهِينُ رَمْسٍ ... وأَهْلِى رَائِحُونَ بكُلِّ وَادِ (٢)

كَأَنِّى لَم أَكُنْ لَهُمْ حَبِيباً ... وَلَا كَانُوا الأَحِبَّةَ فى السَّوادِ (٣)

فعُوجُوا لِلسَّلَامِ فَإِنْ أَبَيْتُم ... فَأَوْمُوا بالسَّلام عَلَى بِعَادِ (٤)

فَإِنْ طَالَ المَدَى وَجَفَا خَلِيلٌ ... سِوَانَا فاذْكُرُوا صَفْوَ الوِدَادِ (٥)

وَذَاكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيب ... وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنادِ (٦)

فَلَوْ أَنَّا بمَوْقِفكُمْ وقَفْنَا ... سَقَيْنَا التُّربَ مِنْ مُهَجِ الفُؤَادِ (٧)

وَقَالَ مُكْرَمُ بْنُ يُوسُفَ العَابِدُ : أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِىٍّ مِنْ أَنْبِياءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ : أَنْ قِفْ عَلَى المَدَائِنِ والحُصُونِ ، فَأَبْلِغْهُمْ (٨) عَنِّى حَرْفَيْنِ : لاتَأْكُلُوا إِلَّاطَيِّباً ، ولاتَتَكَلَّمُوا إِلَّا

---

(١) فى « ط » : « فى سُكَّانِ الثَّرى » والثرى : الأرض أو التراب .. والرهائن : جمع رهينة ، وهى ماارْتُهِنَ ، ويقال : الإنسان رهينٌ أو رَهْنُ عَمَلِه ، مَأْخوذٌ به . ويعنى برهائن التُّرب والبِلَى : الأموات الذين حُبِسُوا فى التُّرب رَهْنَ الفَنَاءِ والاندثار . وفى « م » : البَلَا ، بفتحتين ، أى : البلاء ، بمعنى الشِّدَّةِ ، أو الْمِحْنَة التى تنزل بالمَرْءِ لِيُخْتَبَر بها .

(٢) الْحَجُون : جبل بأعلى مَكَّة ، عنده مدافن أهلها والرمْس : القبر .

(٣) السَّواد ، بفتح السين : يُطلق على معظم الناس ، وسواد الأمر : حاشيته ، وسواد القلب حَبَّته ، وبكسرها : المُسَارَّةُ ، وهى المناجاة ، يقال : سَارَّهُ مُسارَّةً ، أى : ناجاه وأعلمه بِسِرِّه .

(٤) فعوجوا للسلام ، أى : مُرُّوا علينا من أجل السلام . ويقال : عاجَ بالمكان : أقامَ به ، أو ألَمَّ به ومَرَّ عليه ، وهو المراد هنا . فَأَوْمُوا ، أى : أشيروا . وفى « م » : « فَارْمُوا بالسلام » أى : ألقوا به .

(٥) جَفَا خليل ، أى : نَبَا أو سَاءَ خُلُقُه . وفى « ط » : « صَفَا خليل » أى : صَدَقَ فى إخائه ومَوَدَّتِهِ . وكلا المعنَيَيْن له وجه .

(٦) يوم التنادى : يوم القيامة ، حيث يُنَادَى فِيهِ النَّاسُ للحشر . وفى سورة « غافر » – الآية ٣٢ : ﴿ ويَاقَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عليكم يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ .

(٧) مُهَج الفؤاد : دماء القلب .

(٨) فى « ط » : وَأَبْلِغْهُم .

بالحَقّ . ولَمَّا دَخلَ يَزِيدُ الرَّقاشِيُّ (١) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ قال : عِظْنِيَ يا يَزِيدُ (٢) . فقَالَ : يا أَمِيرَ المؤمنينَ ، لَيْسَ بَيْنَك وَبَيْنَ آدمَ إلاَّ أَبٌ مَيِّتٌ . فَبَكَى وقَالَ زِدْنِي [يَا يَزِيدُ] فقَال : (٣) يا أَمِيرَ المُؤمنينَ لَيْس بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ مَنْزِلٌ . فسَقَطَ مَغْشِيًّا عَليه .

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لاتَغْفَلَنْ عَنْ تَذَكُّرِ (٤) ماتَتَيقَّنُهُ مِنْ خَوْفِ الفَنَاءِ ، وتَقضِّي المسَارِّ ، وَذَهَابِ (٥) اللَّذَّاتِ ، وانْقِضَاءِ الشَّهَوَاتِ ، وبَقاءِ التَّبِعَاتِ ، وَانْقِلَابِهَا حَسَرَاتٍ ، وَأَنَّ الدُّنْيا دَارُ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَامَالَ لَهُ ، ولَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَاعَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِى مَنْ لَاعِلْمَ لَهُ ، وعَلَيْهَا يحْسُدُ مَنْ لَافِقْهَ لَهُ .. مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقِمَ ، وَمَنْ سَلِمَ فِيها هَرِمَ (٦) ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ ، حَلالُهَا حِسَابٌ ، وحَرَامُها عِقابٌ ، وَمُتَشَابِهُهَا عِتَابٌ (٧) ، مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ (٨) ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ ، وَمَنْ بَصُرَ بِهَا (٩) بَصَّرَتْهُ ، لاخَيْرُهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرُّهَا يَبْقَى ، وَلَا فِيهَا لِمَخْلُوقٍ بَقَاءٌ .

---

(١) هو : يزيد بن أبان الرَّقاشيُّ البَصْرِيُّ : أبو عَمرو الزاهد العابد .
[انظر خبره فى حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٠ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٨] .

(٢) هنا فى « ط » زيادة لَمْ تَرِدْ فى « م » وهى : « قال : ياأمير المؤمنين ، اعْلَمْ أَنَّكَ [لَسْتَ] أَوَّلَ خليفة تموت !! فبكى عُمر وقال : زِدنى يايزيد » . وما بين المعقوفتين لم ترد فى « ط » ولا يستقيم المعنى إلّا بها .

(٣) فى « م » : قال .. ومابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) فى « م » : « عن ذِكْرِ » .

(٥) المَسَارُّ : جَمْعُ مَسَرَّة ، وهى مايُفْرِحُ الإنسانَ . وتَقَضِّى المَسارّ : فَنَاؤها وانقطاعُها . وفى « ط » : و « تقضِّى المَسارِّ بذهاب اللَّذَّات » .

(٦) صَحَّ : بَرِىءَ مِنَ الْمَرَضِ .. سَقِمَ : طَال مَرَضُه .. سَلِمَ : نجا من الآفات ونحوها .. هَرِمَ : كَبِرَ وضَعُفَ .. وفى « م » : « بَرِمَ » أى : سَئِمَ وضَجِرَ .

(٧) يعنى : مايلتبس علينا فيها من الأمور غير المُمَيَّزة نُعاتَبُ عليه يوم القيامة .

(٨) ساعاها : سَابَقَهَا فى السَّعْى .. وفَاتَتْهُ ، أى : أى سَبَقَتْهُ ولَمْ يُدْرِكْها .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « نَظَرَ بها » . وبَصُرَ بالشَّىْءِ : عَلِمَ به وأَبْصَرَهُ . وَبَصَّرَتْهُ : عَلَّمَتْهُ وعَرَّفَتْهُ الْخيرَ مِنَ الشَّر .

يَا أَيُّها الرَّجُلُ ، لاتُخْدَعَنَّ كَما خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ ، فإِنَّ الذِى أَصْبَحْتَ فيهِ مِنَ النِّعَمِ إنَّما صَارَ إلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدَيْكَ بِمثْلِ مَاصَارَ إلَيْكَ ، فلَوْ بَقيَتِ الدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ ، وَلَوْ بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَم تَنْتَقِلْ إلَى الآخِرِ [١] .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ كَانتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَباً وَفِضَّةً ، ثُمَّ سُلِّمَتْ عَلَيْكَ بالْخِلافَةِ ، وأُلْقِتْ إلَيْكَ مَقالِيدَهَا ، وأَفْلاذَ كَبِدِهَا ، ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .. لا فَخْرَ فِيمَا يَزُولُ ، ولا غِنَاءَ فِيمَا لا يَبْقَى ، وَهَلِ الدُّنْيَا إلَّا كَمَا قَالَ الأَوَّلُ : قِدْرٌ تَغْلِى ، وَكَنِيفٌ يُمْلأُ [٢] ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ ... فَتَبَسَّمَتْ عَجَبًا وَلَـمْ تُبْـدِى
حَتَّى مَرَرْتُ عَلى الْكَنِيفِ فَقالَ لِي ... أَمْوَالُهُـمْ وَنَوَالُهُمْ عِنْـــدِى [٣]

وَلَقَدْ أَصابَ ابْنُ السَّمَّاكِ لَمَّا قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا بْنَ السَّمَّاكِ [٤] عِظْنِى ، وَبِيَدِهِ شَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَقَال : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هٰذِهِ الشَّرْبَةُ ، أَكُنْتَ

(١) ف « م » : لِلآخِرِ .

(٢) ف « م » : « قِدْرٌ تَغْلَا » هكذا ، أُتى بها للسَّجع – من غَلِيَتْ تَغْلَى – وهى لُغة من باب تعب .. قال أبو الأسود الدُّؤلى :

[وَلَا أَقُولُ لِقِدْرِ القَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ ... ولا أَقُول لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوق]

وما أثبتناه عن « ط » هو الفصيح والمشهور – من باب ضرب – قال تعالى فى سورة الدخان : الآية ٤٥ : ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِى فى الْبُطُونِ ﴾ [انظر المصباح – مادة غلى] والكنيف : المِرْحَاض .

(٣) النَّوالُ : النَّصِيبُ والعَطاء .

(٤) ابن السَّمَّاك : واعظ كان يعظ الخليفة هارون الرشيد ، هو والفُضَيْل بن عِيَاض ، وغيرهما من الزُّهَّادِ ، وَالصَّالِحِين ، وكان الرشيد يجلُّ العلماء ويتواضع لهم ، وله معهم قصص مشهورة فى أمهات كتب التراث العربى الإسلامى .

[انظر ذِكر بعض سيرة الرشيد مع هؤلاء العلماء والصالحين فى : الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ – ١٣٣ ط دار الكتاب العربى ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ٣٥٧ – ٣٥٩ ط دار المعارف ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ١ ص ٣٣٤ – ٣٣٦ ط دار المسيرة ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ج ٩ ص ٢٨٧ – ٢٨٩ ط مؤسسة الرسالة ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٢٤] .

تَفْدِيهَا (١) بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ خُروجُها أَكُنْتَ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا خَيْرَ فِى مُلْكٍ لا يُسَاوِى شَرْبَةً وَلَا بَوْلَةً .

أَيُّهَا (٢) الشَّابُّ ، لا تَغْتَرَّ بِشَبَابِكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الشُّيُوخُ .

يا أَيُّها الشَّابُّ ، كَمْ مِنْ جَمَلٍ فى التَّنُّور وَأَبُوهُ يَرْعَى (٣) ، وَكَمْ مِنْ طِفْلٍ فِى التُّرابِ وَجَدُّهُ يَحْيَا . وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِب ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ، [وسَلامُه] لأُسْقُفٍّ (٤) قَدْ أَسْلَمَ : عِظْنِى . قَالَ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَ اللهُ عَلَيْكَ فَمَنْ تَرْجُو ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَزِدْنِى . قَالَ : إِنْ كَانَ اللهُ مَعَكَ فَمَنْ تَخَافُ ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَزِدْنِى . قَالَ : أَحْسَبُ أَنَّ اللهَ قد غَفَرَ ذَنْبَ الْمُذْنِبِينَ (٥) ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُمْ ثوابُ الْمُحْسِنِينَ ؟ قَالَ : حَسْبِى حَسْبِى ، وَبَكَى أَرْبَعِينَ صَبَاحًا .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ صَعْصَعَةُ ، يَعْنِى عَمَّ الفَرَزْدَقِ (٦) ، عَلَى النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) هكذا فى « م » فى الموضعين .. وفى « ط » : « تفتديها » فى الموضع الأول ، و « تفتديه » فى الموضع الثانى .. وفى شذرات الذهب : « لو مُنِعْتَ هذه الشَّرْبَة ، بِكَمْ تشتريها ؟ قال : بِمُلْكِى » .. وفى الكامل : « ... بِكَمْ كُنْتَ تشتريها ؟ قال : بنصف مُلْكِى » وفَدَى وافْتَدَى بمعنى واحد .. فداه : استنقذه بمال أو غيره فخلَّصه مِمَّا كان فيه .. وافتدى الأسير : فَدَاهُ ، أو قَدَّم الفِدْيَةَ عنه .

(٢) فى « م » : ياأيها .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وأبوه فى الرِّعَاءِ » ، والرِّعاءُ والرُّعَاة ، بكسر الراء المشَدَّدَة وضمها : جَمْع راعٍ . وفى حاشية « م » جاءت كلمة « خروف » بدل « جمل » .

(٤) مابين المعقوفين عن « م » . والأُسْقُفُّ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : رئيس من رؤساء النَّصارَى فوق القِسِّيس ودُونَ المطْران .

(٥) هكذا فى « ط » وفى « م » : « أحسَبُ أَنَّ الله غفر لِلمُذْنبين » .

(٦) هناك خلاف ولَبْسٌ بين « صَعْصَعَة بن معاوية » و « صعصعة بن ناجية » وهذا الحديث ورَدَ فى أُسْد الغابة فى ترجمة صعصعة بن مُعاوية بين جِصْن ، عن الحسن البصرى . ورواه أيضاً سليمان بن حرب ، وابن المبارك عن جرير ، وقالا – مثل الحسن : صعصعة « عم الفرزدق » .. وقد وَهِمَ بعضهم فى صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، فقال : « صعصعة عم الفرزدق » ، وهو غلط ، والصحيح أنه جَدُّه – صعصعة بن ناجية بن عقال – واسم الفَرَزْدَق : هَمَّام بن غالب بن صعصعة ، وكان من أشراف بن تميم ، ووجوه بنى مجاشع ، وكان فى الجاهلية يفتدى =

وسَلَّم ، فسَمِعَهُ يَقْرَأُ ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) فقَالَ : حَسْبِي حَسْبِي ، لا أُبالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ آيَةً غَيْرَهَا .

وَقالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ لِحُمَيْدٍ الطَّوِيل (٢) : عِظْنِي ، فَقَالَ : إنْ كُنْتَ إذَا عَصَيْتَ اللهَ ظَنَنْتَ أنَّه يَراكَ فَلَقد اجْتَرأْتَ عَلى رَبٍّ عَظِيمٍ ، وَإنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ (٣) أنَّهُ لا يَراك ، فَلَقَدْ كَفرْتَ بِرَبٍّ رَحِيمٍ (٤) .

وكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٥) رَضِيَ اللهُ عَنْه ، إلَى سَلْمَانَ (٦) : إنَّما مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ

= المَوْءُودات ، وله صحبة ، والأول أُخْتُلِفَ فى صُحبته ، وقد مَدَحه الفرزدق بافتداء المَوْءودات .. جاء فى اللسان : قال الفرزدق مادحاً جَدَّهُ صعصعة بن ناجية :

وَجـدِّى الـذى مَنَع الوَائِـدات ... وَأَحْيَـا الوَلِيـدَ فَلَـمْ يُوأَدِ

والوأد : دَفْن الابنة حية عند ولادتها .

[انظر أُسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ – ٢٣ ترجمة صعصعة بن معاوية وصعصعة بن ناجية .. وانظر لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف مادة « وأد » .. وانظر شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوى ط دار الكتاب اللبنانى ج ١ ص ٢٩٣] .

(١) سورة الزلزلة – الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) هو : سليمان بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموى ، وُلِد فى دمشق سنة ٥٤ هـ ، ووليَ الخلافَة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ .. كان عاقلاً ، مُحسناً ، فصيحاً . وفى عهده فُتِحَت « جُرْجَان » و « طَبَرِسْتان » وغيرهما .. ومُدَّة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلَّا أيَّامًا .. توفى سنة ٩٩ هـ ، وأَوْصَى لِعُمر بن عبد العزيز – رضوان الله عليه – بتولى الخلافة من بعده .

[انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ط دار الجيل ص ٢٦٩ – ٢٧٢ ، والأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٠٣] .

– أما حُمَيْدٌ الطويل ، فهو : حُمَيْدُ بْنُ أبى حُمَيْد الطويل ، أبو عُبيده الخُزَاعِىُّ البَصْرِىُّ ، تابعىٌّ ، من أهل الحديث ، وُلِدَ سنة ٦٨ هـ ، ومات سنة ١٤٢ هـ وهو قائم يصلى .. واختلفوا فى اسمه ، ورجَّحَ الذهبى أنه : حُمَيْد ابن تيرويه ، وقال ابن سعد : هو ابن طرخان .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣ ، وميزان الاعتدال للذهبى ج ١ ص ٦١٠ ، ورجال صحيح البخارى للكلاباذى ج ١ ص١٧٦ ، ١٧٧ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٩] .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « تظن » .

(٤) فى « ط » : « عظيم » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « عَلِيُّ بن الحسين » وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « سليمان » . خطأ من الناسخ .. وقد كتب الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، هذا الكتاب إلى « سَلْمان الفارسى » رضى الله عنه ، قبل أيام خلافته ، يصف له الدنيا ويحذره منها .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٤٣ ط دار البلاغة ، وط دار الكتاب اللبنانى بشرح د . صبحى الصالح ص ٤٥٨] .

الحيَّة ، لَمْسُهَا لَيِّنٌ [والسُّمُّ النَّاقِعُ فى جَوْفِهَا] [١] وَيَقْتُلُ سُمُّهَا ، فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيهَا ، أَحْذَرَ ما تَكُونُ لَهَا ، فَإِنَّ صَاحِبَها كُلَّما اطْمَأَنَّ فِيها إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَ [٢] مِنها إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ [٣] :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الأَذَى والقَذَى ... ودَارُ الفَنَاءِ ودَارُ الغِيَرْ [٤]
ولَــوْ نِلْتَهَـــا بِحَذافيرِهـــا ... لَمُتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا وَطَرْ [٥]
أيامَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الْحَيَـاةِ ... وَطُولُ الحَيَاةِ عَلَيْهِ ضَرَرْ
إِذَا ماكَبِرْتَ وَبَانَ الشَّبَابُ ... فَلَا خَيْرَ فى الْعَيْشِ بَعْدَ الكِبَرْ [٦]

وَلَمَّا بَلَغَ مُرَادَهُ [٧] مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَقَتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ ، رَفَضَهَا وَنَبَذَها ، وَقَالَ : هٰذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّه عَدِيمٌ ، ومُلْكٌ لَوْلَا أَنَّه هُلْكٌ ، وغِنَاءٌ لَوْلَا أَنَّه فَنَاءٌ ، وَجَسِيمٌ لَوْلا أَنَّه ذَمِيمٌ ، ومَحمُودٌ لَوْلا أَنَّه مَفقُودٌ ، [وهَناءٌ لَوْلا أَنَّهُ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .. وفى نهج البلاغة : « لَيِّنٌ مَسُّهَا ، قاتِلٌ سُمُّها ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فيها لِقِلَّةِ مايَصْحَبُكَ منها ، وضَعْ عنك هُمومَها لِمَا أَيْقَنْتَ مِنْ فِرَاقِها ، وكُنْ آنَسَ ماتكونُ بها أَحْذَرَ ماتكونُ منها ، فَإِنْ صاحِبَها كُلَّما اطمَأَنَّ فيها إلى سرور ، أَشْخَصَتْهُ عنه إلى مَحْذُورٍ » .

[انظر المصدرين السابقين] .

(٢) أَشْخَصَ : خَرَج .

(٣) هو : إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد العَنَزِيُّ (من قبيلة عنزة) ويُكْنَى أبا إسحاق .. وأبو العتاهية لَقَبٌ له .. وهو شاعر مُكْثِرٌ ، سريع الخاطر ، وكان يجيد القول فى الزهد والمديح ، وُلِدَ سنة ١٣٠هـ فى « عين التمر » بقرب الكوفة ، ونشأ فى الكوفة ، وسكن بغداد .. كان فى بدء أمرِهِ يبيع الجِرَارَ ، فقيل له : « الجَرَّار » .

ثم اتصل بالخلفاء العبَّاسيين ، وعَلَتْ مكانَتُه عندهم . تُوفى فى بغداد سنة ٢١١ هـ ، وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٧٩١ — ٧٩٥ بتحقيق أحمد شاكر ط دار المعارف] .

(٤) القَذَى : جمع قذاةٍ ، وهي مايتكوَّن فى العين من رَمَصٍ (وَسَخ أبيض) أو تراب ونحوه .. ويُقال : هو يُغْضِى على القَذَى : إذا سكت على الذُّلِّ والضَّيْم ولم يَشْكُ .. والغِيَرُ : أحوال الدهر وأحداثه المتغيرة .

(٥) الوَطَر : الحاجةُ والبُغْيَة ، يقال : قَضَى منه وطَرَهُ : أى نال منه بُغْيَتَهُ .

(٦) بانَ الشَّبابُ : ذهَبَ وفارَقَ صاحِبَهُ .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مَنْ ذَلَّ » بدل « مراده » .

عَنَاءٌ] (١) ، وارتِفَاعٌ لَوْلا أنَّه اتِّضَاعٌ ، وعَلاءٌ لَوْلا أنَّه بَلاءٌ ، وحُسْنٌ لَوْلا أنَّهُ حُزْنٌ ، وهُوَ يَوْمٌ لَوْ وُثِقَ لَهُ بِغَدٍ .

يا أيُّها الرَّجلُ لاتَكُن كالمُنْخُل يُرْسِلُ أَطْيَبَ مَافيهِ – وَيُمْسِكُ الحُثَالَةَ ، وَاعْلَمْ أنَّ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ لايَقْبَلِ الحَقَّ ، وإنْ كَثُرَتْ دَلَائِلُهُ (٢) ، قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ • ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾(٣). وَذٰلِكَ أن كَثْرَةَ الذُّنُوبِ مانِعَةٌ مِنْ قَبُولِ الحَقِّ لِلْقُلُوبِ ، وَوُلُوجِ المَوَاعِظِ (٤) فِيها ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (٥) أَىْ : غَطَّاهَا وغَشِيَهَا ، فَلَا تَقْبَلُ خَيْرًا ، ولاتُصِيخُ لِمَوْعِظَةٍ (٦) .

جَاءَ فى التَّفْسِيرِ : إذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نُكِتَتْ فى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، ثُمَّ إذَا أُذْنَبَ نُكِتَتْ نُكْتَةٌ ، حتَّى يَسْوَدَّ القَلْبُ . وقَالَ حُذَيْفَةُ (٧) : القَلبُ كَالْكَفِّ ، فإذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ انْقَبَضَ ، وقَبَضَ أُصْبُعاً ، ثم إذَا أَذْنَبَ انْقَبَضَ ، وَقَبَضَ أُصْبُعاً أُخْرَى (٨) ، ثُمَّ كَذٰلِكَ فى الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ حتَّى يَنْقَبِضَ الكَفُّ كُلُّهُ ، ثم يَطْبَعُ اللهُ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ (٩) .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .. وفى « ط » : « وَغِنىً لولا أنه مُنىً » والغُرُور ، بفتح الغين المعجمة : كُلُّ ماغرَّ الإنسانَ من مالٍ ، أَوْ جاهٍ ، أو شيطان ونحوه .. والعديم : الزائل أو المفقود . والهُلْك : اسم من الهلاك .. والجسيم : العظيم . والمحمود : مايستوجب الحمد والثناء الجميل . والاتِّضَاعُ : الضِّعَةُ والانحطاط .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « كثرت رذائله » .

(٣) سورة البقرة – الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) فى « م » : الموعظة .

(٥) سورة المطففين – الآية ١٤ .

(٦) ولا تصيخُ : أى ، ولا تسمع .

(٧) هو الصحابىُّ الجليل حُذَيْفَة بن اليمان ، صاحب سِرِّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

(٨) فى « م » : « أُصْبُعاً آخر » والأصبع مؤنثة فى الغالب ، وقد تُذَكَّرُ [انظر المصباح – مادة صبع] .

(٩) الرَّانُ : الدَّنَسُ : ويُطلق أيضاً على الغطاء والحجاب الكثيف ، وَمَا غطَّى على القلب ورَكِبَهُ من القسوة للذَّنْبِ بعد الذنب .

وقالَ بَكْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ [١] : إذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ صَارَ فى قَلْبِهِ كَوَخْزِ الإبْرَةِ ، ثُمَّ إذَا [٢] أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوَخْزِ الإبرةِ [ثُمَّ كُلَّمَا أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوَخْزِ الإبْرَةِ] [٣] حَتَّى يَعُودَ الْقَلْبُ كالْمُنْخُلِ . وَقَالَ الحَسَنُ : [هُوَ] [٤] الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ القَلْبُ . وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ [٥] : إذَا كَانَ الْبَدَنُ سَقِيماً لَمْ يَنْفَعْهُ الطَّعامُ ، وإذَا كَانَ القَلْبُ مُغْرَماً بِحُبِّ الدُّنْيَا لَمْ تَنْفَعْهُ الْمَوْعِظَةُ ، وفِيهِ قِيلَ :

وَلَا أَرَى أَثَرًا لِلذِّكْرِ فِي خَلَدِى وَالحَبْلُ فى الصَّخْرَةِ الصَّمَّا لَهُ أَثَرُ [٦]
إذا قَسَا القَلْبُ لَمْ تَنْفَعْهُ مَوْعِظَةٌ كَالْأَرْضِ إنْ سَبِخَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ [٧]

وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا العَتَاهِيَةِ مَرَّ بِدُكَّانِ وَرَّاقٍ ، فَإذَا [٨] كِتابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ :

لَنْ تُرْجِعَ الأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْها لَهَا زَاجِرُ [٩]

---

(١) هو : بكر بن عبدالله المُزَنى البصرى ، كان عالماً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، وله روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين ، توفى – رحمه الله – سنة ١٠٨ هـ .

[انظر ترجمته فى الحلية لأبى نعيم ج ٢ ص ٢٢٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٧ ، والطبقات لابن سعد ج ٧ ص ٢٠٩] .

(٢) فى « ط » : « ثم كلما أذْنَبَ » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) الحسن : هو الحسن البصرى ، وقد سبقت ترجمته .. ومابين المعقوفتين عن « ط » .

(٥) هو : عبد الله بن شُبْرُمَة ، ويُكْنَى أَبَا شُبْرُمَة ، وكان قاضياً لأبى جعفر على سواد الكوفة .. وهو من فقهاء التّابعين ، وُلِدَ سنة ٩٢ هـ و مات سنة ١٤٤ هـ .. قال عنه حمَّاد بن زيد : « مارأيت كُوفياً أفقه من ابن شُبْرُمَة .

[انظر ترجمته فى طبقات الفقهاء لأبى إسحاق الشيرازى ص ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ط دار المعارف] .

(٦) هذا البيت عن « ط » ولَمْ يَرِدْ فى « م » .. والْخَلَدُ ، بفتحتين : البالُ والنَّفْسُ .. والصَّخرة الصَّمَّا : أى الصَّمَّاء الصلبة .

(٧) سَبِخَتِ الأَرضُ : كانت ذات نُزٍّ وَمِلْحٍ .

(٨) فى « ط » : « الوَرَّاق وإذا » والورَّاق : مُوَرِّقُ الكُتُب الذى يُوَرِّقُ ويكتب .

(٩) الغَيُّ : الانهماك فى الجهل والضلال . والزَّاجِرُ : المانع والرَّادِع .

فَقَالَ (١) : لِمَنْ هٰذا ؟ فَقِيلَ : لأَبِى نُواسٍ ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِى بِنِصْفِ شِعْرِى . وقَالَ الأَصْمَعِيُّ (٢) : إنَّ النُّعْمَانَ بْنَ امْرِىءِ القَيْسِ الأَكْبَرِ (٣) الَّذِى بَنَى الخَوَرْنَقَ ، أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرْنَقِ يَوْماً فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِىَ مِنَ المُلْكِ والسَّعَة - ونُفُوذِ الأَمْرِ ، وَإقْبَالِ (٤) الْوُجُوهِ نَحْوَهُ ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِىَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ ؟ فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَائِهِ (٥) : أَهٰذَا الَّذِى أُوتِيتَ شَىْءٌ لَمْ يَزَلْ ولَا يَزُولُ (٦) ؟ أَمْ شَىْءٌ كَانَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : بَلْ شَىْءٌ كانَ لِمَنْ قَبْلِى زَالَ عَنْهُ ، وَصَارَ إِلَىَّ ، (٧) وسَيَزُولُ عَنِّى . قالَ : فَسُرِرْتَ بِشَىْءٍ تَذْهَبُ (٨) عَنْكَ لَذَّتُهُ ، وتَبْقَى تَبِعَتُهُ ؟ قَالَ : فأَيْنَ الْمَهْرَبُ ؟ قَالَ : إمَّا أَنْ تُقِيمَ وتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ ، أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحاً وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ ، تَعْبُدُ (٩) رَبَّكَ فِيهِ ، وَتَفِرَّ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ

---

(١) فى « م » : فقيل .

(٢) الأَصْمَعِيُّ : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن علىّ بن أَصْمَع الباهلىُّ ، راوية العرب ، وأحد أئمة العِلم باللغة والشعر والبلدان ، وُلد بالبصرة سنة ١٢٢ هـ ، وكان كثير التطواف فى البوادى ، يقتبس من علومها ، ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، فيُكَافأ عليها بالعطايا الوافرة ، وكان الرشيد يسميه « شيطان الشعر » .. وقال عنه الأَخْفَش : « مارأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعى » توفى سنة ٢١٦ هـ .

[انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧٦ ط دار الثقافة ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥ ط دار المعارف ، وطبقات اللغويين والنحويين ص ١٦٧ - ١٧٤ ط دار المعارف] .

(٣) فى « ط » : « النُّعْمان الذى هو امرؤ القيس الأكبر » .

والنعمان هو : النعام بن امرىء القيس اللَّخْمِىُّ ، أبو قابوس ، من أشهر ملوك الحيرة فى الجاهلية ، وكان داهية مقداماً ، وهو ممدوح النابغة الذبيانى .

والخَوَرْنَقُ : اسم قصر بالعراق (فارسى معرَّب) .

[انظر قصته فى المُحَبَّر لابن حبيب ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ط دار الآفاق ، والأعلام ج ٨ ص ٤٣ ، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٥ وما بعدها ط دار الكتاب العربى ، والمعارف لابن قتيبة ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ ط دار المعارف ، والصحاح للجوهرى ج ٤ ص ١٤٦٨ مادة « خرنق » ط دار العلم ، ولسان العرب لابن منظور مادة « خرنق »] .

(٤) فى « م » : وَاقتَبَال .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « من حكماء أصحابه » .

(٦) فى « ط » : « لم يَزَلْ ولا يزال » .

(٧) فى « م » : « وصار إليكَ » .

(٨) فى « م » : يذهب .

(٩) فى « ط » : وتعبد .

فَمَا لِى ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لامَوْتَ فِيهَا ؛ وَشَبَابٌ لاهَرَمَ فِيهِ ، وَصِحَّةٌ لاسَقَمَ فِيها (١) وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لايَبْلَى . قَالَ : فَأَىُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى ؟ وَاللهِ لَأَطْلُبَنَّ عَيْشاً لايَزُولُ أَبَداً [وَمُلْكاً جَدِيدًا] (٢) . فَانْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَبِسَ الْمُسُوحَ (٣) ، وَسَارَ فى الأَرْضِ ، وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ ، وجَعَلا [يَسِيحَانِ وَ] (٤) يَعْبُدانِ اللهَ حتَّى ماتَا ، وَفِيه يَقُولُ عَدِىُّ بْنُ زيدٍ (٥) :

وتَبَيَّنْ رَبُّ الْخَوَرْنَقِ إذْ أَصْبَحَ ... يَوْمًا ولِلْهُدَى تَذْكِيــرُ (٦)

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ... ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً وَالسَّدِيرُ (٧)

فارْعَوَى قَلْبُـهُ وَقَـالَ فَمـا غِبْـ ... ـطَةُ حَىٍّ إلى المَمَاتِ يَصِيرُ (٨)

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى [الملُوكِ] أَنُوشِرْ ... وَانَ أَمْ أَيْـنَ قَبْلَـهُ سَابُــورُ (٩)

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « حياة لاتموت ، وشباب لايهرم ، وصحة لاتسقم » .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « الأمْسَاح » وكلاهما جمع لكلمة « مِسْح » ، والمِسْحُ : كساءٌ من شَعْر .

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من « ط » .

(٥) فى « م » : « وفيهم يقول » .. وعَدِىُّ بن زيد بن حَمَّاد : شاعر جاهلى ، كان قَرَوياً من أهل الحِيرَة ، فصيحاً ، يُحسِن العربية والفارسية ، وهو أول مَن كتب بالعربية فى ديوان « كِسْرَى » وكان نَصْرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمُّه ، وليس هو مِمَّن يُعَدُّ من الفُحول ، وقد أخذوا عليه أشياء عُيِّبَ فيها .

[انظر ترجمته فى الأغانى بتحقيق إبراهيم الأبيارى ج ٢ ص ٥١٥ – ٥٧٤ ط دار الشعب ، وشعراء النصرانية فى الجاهلية للأب لويس شيخو ج ٤ ص ٤٣٩ – ٤٧٤ ط مكتبة الآداب ، والأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ط دار العلم] .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وتَبَيَّنَ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذْ فكَّرَ ... » وفى الشعر والشعراء : « وتبين رب الخورنق إذْ أشْرَف » .

[انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٢٦ ، وكذا فى لسان العرب ج ٢ ص ١١٤٧ مادة « خَرْنَق »] . وفى الأغانى ج ٢ ص ٥٥٧ وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٥٦ : « وتذكَّر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهُدَى تفكير » .. وفى تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٨ ط دار المعارف : « وتفكر رب الخَوَرْنَق إذ أشرف وللهُدَى تبصير » .

(٧) فى الشعر والشعراء : « سرّه حاله » . ومعرضاً : أى مُتَّسِعاً . والسدير : نهر . وقيل : قصر .

(٨) هكذا فى البيت فى « م » وهو مطابق لِمَا جاء فى الأغانى ، وفى الشعر والشعراء .. وفى « ط » :

« فَارْعَوَى قلبُه وقد قال ... ماغِبْطَة حىٍّ إلى الممات يصيرُ » ..

ارْعَوى : ارْتَدَع .. والغِبْطة : حُسْنُ الحال .

(٩) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .. وماورد هنا عن « ط » وهو مطابق لما جاء فى الأغانى ، وشعراء النصرانية فى الجاهلية . وفى الشعر والشعراء ولسان العرب (مادة : كلس) : « أبو ساسان » بدل « أنو شروان » .. وسابور : من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان .

وَبَنُو الأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّ ... ومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ (١)
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فَبادَ الْـ ... ـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ (٢)

وفِيهِم يَقُولُ الأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرَ (٣) :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِى نَبَّأْتَنِى ... أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الأَعْوَادِ (٤)
مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيادِ (٥)
أَرْضُ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ ... وَالْقَصْرِ ذِى الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٦)

---

(١) بنو الأصفر : الروم . وقيل : ملوك الروم ، وقال ابن سيده : لأدرى لِمَ سُمُّوا بذلك .. وقال ابن الأثير : لأن أباهم الأول كان أصفر اللون . [انظر اللسان – مادة صفر] .

(٢) هكذا فى « ط » وهو مطابق لما جاء فى الأغانى وشعراء النصرانية .. وفى « م » : « الزمان » بدل « المنون » .. والمنون : الموت .. وقيل : الدهر .

(٣) هو : الأَسْوَدُ بن يَعْفُرَ النَّهْشَلِىُّ الدَّارمى التميمى ، ويُكْنَى أبا الجرّاح ، شاعر جاهلى من سادات تميم من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً ، نادَمَ النعمان بن المنذر ، ولمَّا أَسَنَّ كُفَّ بَصَرُهُ ، ويقال له : « أعشى بنى نَهْشَل » توفى نحو ٢٢ قبل الهجرة (نحو ٦٠٠ ميلادية) .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٣٣٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٥ ، والأغانى ج ١٣ ص ٤٥٤٧ ، وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٧٥] .

(٤) أى : لو أغفلَ الموتُ أحداً لأغفل ذا الأعواد ، وأنا ميتٌ مثله . وذو الأعواد : الذى قُرِعَت له العصا (غوىُّ ابن سلامة الأُسَيدىّ) أو (ربيعة بن مُخاشَ الأسَيدى) على خلافٍ فى ذلك .

وفى اللسان : رجلٌ أَسَنَّ ، فكان يُحمل على محفة من عود .. وقال المفضل : سبيل ذى الأعواد : يريد الموت ، وعَنَى بالأعواد : مايُحْمَلُ عليه الميت .

[انظر اللسان – مادة عود ، وانظر المُفَصَّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج ٥ ص ١٥٨ ط دار العلم والنهضة ببغداد] وهذا البيت عن « م » وهو مطابق لما جاء فى لسان العرب ، وفى المفصل ، وفى شعراء النصرانية [ج ٤ ص ٤٨١] .. وفى « ط » : « أنبأتنى » بدل « نَبَّأْتَنِى » .. وفى الأغانى ومعجم البلدان جاءت الشطرة الأولى هكذا : « وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوَ انَّ عِلْمِىَ نَافِعِى » [انظر الأغانى ج ١٣ ص ٤٥٢٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ مادة أنقرة] .

(٥) آل مُحَرِّقٍ هنا هم ملوك الحيرة ، من لخم . ومُحَرِّق الذى أُضيفُوا إليه هو امرؤُ القيس بن عمر بن عَدِىّ ، أحد ملوكهم ، ويقال له : المُحَرِّقُ الأكبر ، ولُقِّبَ به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند ، من ملوكهم ، ويقال له : المُحَرِّق الثانى ، وغيرهما .

[انظر الأغانى ج ١٣ ص ٤٨٢٨ حاشية ٥ وانظر المعارف ص ٢٤٦] .

(٦) الخَوَرْنَق : قصر من قصور الحيرة ، وقد سبق التعريف به – وهو فارسى يُطلق على بيت الضيافة « خورنكاه » بناه شخص رومى اسمه « سِنِمَّار » للنعمان بن امرئ القيس اللخمى ، وأكمله فى عشرين سنة ،=

نَزَلُوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ ... مَاءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ [١]
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا ... كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وابْنُ أُمِّ دُؤَادِ [٢]
جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيارِهِمْ ... فكأَنَّما كانُوا عَلَى مِيعادِ [٣]
فَأَرَى النَّعِيمَ وكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ ... يَوماً يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ [٤]

= فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على « سِنِمَّار » وخشى أن يَبنى مثله لغيره ، فأمر به (بسنمار) أن يُطْرَح من أعلى شُرفاته ، فضُرب به المثل وقيل : « جزاه جزاء سِنِمَّار » .. والسدير : قصر كان مابين نهر الحيرة إلى النجف . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وقال ابن الكلبى فى القصر ذى الشُّرُفات : « إنَّ العرب كانت تحج إليه » .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٦ ط دار بيروت] وورد فى الأغانى ، وفى شعراء النصرانية ، والشعر والشعراء : « أهل » بدل « أرض » .

(١) هكذا فى « م » وفى شعراء النصرانية .. وفى « ط » : « تسيل » بدل « يسيل » وفى رواية : « حَلُّوا بأَنْقَرَة » .. وفى الأغانى : « يفيض » بدل « يجىء » . وأنقرة : موضع بنواحى الحيرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن « أنقرة » التى فى شعر الأسود بن يَعْفُر هى « أنقرة » التى ببلاد الروم ، نزلتها « إياد » لمَّا نفاهم كسرى عن بلاده .

(٢) هكذا فى « م » والشعر والشعراء .. وفى « ط » : « يحبوها » بدل « تَخَيَّرها » ، و« كعب بن مالك » بدل « كعب بن مامة » تحريف .. وفى شعراء النصرانية : « أرضٌ تَوَارَثها » .

وكعب بن مامة هو : كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادى ، وكان أبوه مامة ، ملك إياد .. وكان يُضْرَبُ بكعب المثل فى الجود والكرم . قال أبو عبيدة : أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طيِّىء ، وهَرِم بن سنان . وفى الأمثال : « أكرم من أُسَيْرَىْ عَنزة » وهما : حاتم الطَّائى ، وكعب بن مامة .

وابن أُمِّ دُؤاد هو : أبو دُؤاد الشاعر الجاهلى المشهور ، جارية بن الحجاج الإيادى ، كان من وُصَّافِ الخيل المجيدين . وهذا البيت دليل على أن « سنداد » كانت منازل « إياد » .

[انظر شعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٨١ والأعلام ج ٥ ص ٢٢٩ وج ٢ ص ١٠٦ ، ومجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٧١ بتحقيق محيى الدين عبد الحميد] .

(٣) هكذا فى « م » وهو مطابق لما جاء فى الأغانى ج ٣ ص ٤٥٢٩ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ .. وفى « ط » وشعراء النصرانية : « فكأنهم » بدل « فكأنما » ، وفى المرجع الأخير : « مقر » بدل « محل » ويُرْوَى أيضاً : مكان ديارهم ، وعِراص ديارهم .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « يُدْهَى » بدل « يُلْهَى » .. تحريف من الناسخ .. وفى شعراء النصرانية ، ومعجم البلدان ، والأغانى : « فإذا النَّعِيمُ » بدل « فأَرَى النَّعِيمَ » .. وسمع علىُّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – رجلاً يتمثل بهذا البيت الأخير فقال :

﴿ كَمْ تركُوا من جَنَّاتٍ وعُيون ﴾ الآية ٢٥ من سورة الدخان [انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٦] .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ (١) : أُصِيبَ عَلَى غُمْدَانَ وَهُوَ قَصْرُ سَيْفِ بْنِ ذِى يَزَنَ (٢) بِأَرْضِ صَنْعَاءَ اليَمَنِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُلُوكِ الأَجِلَّةِ مَكْتُوبٌ (٣) بالقَلَمِ المسْنَدِ فَتُرْجِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَإِذَا (٤) هِىَ أَبْيَاتٌ جَلِيلَةٌ وَمَوْعِظَةٌ عَظِيمَةٌ :

---

(١) هو : وَهْبُ بن مُنَبِّه الأبناوى الصنعانى ، أبو عبدالله ، مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولاسيما الإسرائيليات ، ويُعَدُّ فى التَّابعين ، وأصله من أبناء الفُرس الذين بَعَثَ بهم كسرى إلى اليمن ، وأمه من « حِمْيَر » ، ويُقال إنها من أصل يهودى . وكان يزعم أنه يتقن اليونانية ، والسريانية ، والحميرية . ويُحسن قراءة الكتابات القديمة ، وُلِدَ سنة ٣٤ هـ بصنعاء ، وبها توفى سنة ١١٤ هـ .. وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وفى وفيات الأعيان ج ٦ ص٣٥ ، ٣٦ والمعارف ص ٤٥٩ وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ١ ص ٢٥١ ومابعدها ط دار المعارف ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ط دار المعرفة ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٠ ط دار المسيرة] .

(٢) فى عيون الأخبار : « قُرِئَ على قبر بالشام » .

وسيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل الحميرى ، من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم . وقيل : اسمه معدى كرب . وُلد بصنعاء سنة ١١٠ قبل الهجرة تقريباً ، ونشأ بها ، وله قصص مشهورة فى استرداد مُلْكِ اليمن من الأحباش بمساعدة كسرى .. وبعد أن انتصر عليهم اتخذ سيف بن ذى يزن « غُمْدَانَ » قصراً له ، وهو مبنى على أربعة أوجه : وجه أبيض ، ووجه أحمر ، ووجه أصفر ، ووجه أخضر . وكان ظله إذا طلعت الشمس .. يُرَى على « عَيْنَان » – اسم جبل باليمن ، بينه وبين غمدان ثلاثة أميال – وجعل فى أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون ، وجعل سقفه رخامة واحدة ، وصَيَّرَ على كل ركن من أركانه تمثال أسد ، كأعظم مايكون من الأُسْد ، فكانت الرياح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دُبره وخرجت من فمه ، فَيَسْمَعُ له زئير كزئير السباع .. وكان يأمر بالمصابيح فتسرج فى ذلك البيت ليلاً ، فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه إنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطراً .. وقال قوم : إن الذى بنى « غُمْدَان » سليمان بن داود – عليه السلام – أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء : غُمْدَان ، وَسِلْحِين ، وَبَيْنُون .

[انظر عيون الأخبار ج ٦ كتاب الزهد ص ٣٠٣ ط الهيئة العامة للكتاب ، والأعلام ج ٣ ص ١٤٩ ، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢١٠ ، ٢١١ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١ ومابعدها ط صبيح ، والمُفصَّل فى تاريخ العرب ج ٣ ص ٥٢٢ ومابعدها ، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٦٣ ومابعدها] .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مكتوباً » بالنصب ، وهذا لايصح إلّا إذا ضُمِّنَ الفعل « أُصيب » معنى « وُجِدَ » .. والمسند : خطٌّ لِحِمْيَر باليمن ، مخالف لخطنا هذا .

(٤) فى « ط » : وإذا .

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الأَجْبالِ تَحْرُسُهُم غُلِبَ الرِّجالَ فَلَمْ تَنفَعْهُمُ القُلَلُ [١]
وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ فَأُسْكِنُوا حُفَرًا يَابِئْسَ مانَزَلُوا [٢]
نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَادُفِنُوا أَيْنَ الأَسِرَّةُ والتِّيجَانُ وَالْحُلَلُ [٣]
أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الأَسْتارُ وَالْكِلَلُ [٤]
فَأَفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُم حِينَ سَاءَلَهُم تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ [٥]
قَدْ طَالَ ما أَكَلُوا يَوْماً وما شَرِبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَاكَ الأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا [٦]

قالَ شَيْخُنا [٧] قُرِئَ عَلَى القَاضِي أَبِي الوَلِيدِ البَاجِيِّ وأَنَا أَسْمَعُ لِبَعْضِ الشُّعَراءِ :

---

(١) قُلَلُ الأجبال : أعاليها ، ومفردها : قُلَّة ، بالضم ، وهى أعلى الرأس ، والسنام ، والجبل ، ويجمع « جبل » على : أَجْبَال وَجِبَالٍ وَأَجْبُلٍ .
وغُلِبَ الرجال : أى حُكِمَ عليهم بالغَلَبَة وقُهِرُوا .
[انظر القاموس المحيط للفيروزابادى والمعجم الوسيط ، مادَّتَىْ : قلل وجبل] .
(٢) هكذا فى « ط » وفى « م » :
وَاسْتُنْزِلُوا مِنْ أَعالى عِزِّ مَعْقِلِهِم وَأُسْكِنُوا حُفَرًا يابِئْسَ مانَزَلُوا
والمَعْقِلُ : المَلْجَأُ وَالحصْنُ ، جَمْعُه : مَعَاقِل .. وفى عيون الأخبار : « حُفرة » بدل « حُفَرًا » .
(٣) صارخ : صائح .. بعدما دُفِنُوا : بعد موتهم .. الأَسِرَّةُ : جمع سرير ، وهو المُضْطَجَعُ أو مايُجْلَسُ عليه .
(٤) الْكِلَل بكسر الكاف : جمع كِلَّة ، وهى سِتْر رقيق مُثَقَّبٌ يُتَوَقَّى به من البَعُوض وغيره - كالناموسية - وفى رواية : « مُنَعَّمَة » بدل « مُحَجَّبَة » .
(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فَأَفْحَصَ بدل فأفصح » .. وأفصح بمعنى بَيَّنَ وَأَوْضَح ، ويقال : فحصت عن الشىء : إذا استقصيت فى البحث عنه .. وسَاءَلَهُم : سألهم . وفى عيون الأخبار : « تقتتل » بدل « يقتتل » ، وكلاهما صواب ، لأن « الدود » اسم جنس .
(٦) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » :
قد طالَ ما أَكَلُوا يَوْماً وما نَعِمُوا فأَصْبَحُوا بَعْدَ طولِ الأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا
وفى عيون الأخبار :
وقد طال ما أكلوا دهراً ومانَعِمُوا فَأَصبَحُوا بعدَ طولِ الأَكْلِ قد أُكِلُوا
(٧) تفقه « الطُّرْطُوشى » على يد عدد من أئمة الشافعية والحنابلة ، برغم أنه مالكى المذهب ، منهم : أبو بكر الشاشى ، وأبو سعيد بن المتولى ، وأبو أحمد الجرجانى ، ولقى القاضى أبا عبد الله الدامغانى ، وسمع ببغداد من أبى محمد التميمى الحنبلى ، وغيرهم .. وأضاف ياقوت الحموى عنه أنه : صَحِبَ القاضى أبا الوليد الباجى ، وأخذ عنه مسائل الخلاف .
=

وَيْحَكِ يا أَسْمَاءُ ماشَانِى   أَضْلَلْتِنِى واللهِ مَاشَانِى (١)
الْمَوْتُ حَقٌّ فَاعْلَمِى نَازِلٌ   فَيَسِّرِى لَحْدِى وَأَكْفَانِى (٢)
قَدْ كُنْتُ ذَا مالٍ فَلا وَالَّذِى   أَعْطَانِىَ العَيْشَ وَأَغْنَانِى
مَاقَرَّتِ الْعَيْنُ بِهِ سَاعَةً   إِلَّا تَذَكَّرْتُ فَأَشْجَانِى (٣)
عِلْمِى بأَنِّى صَائِرٌ لِلْبِلَى   وَفَاقِدٌ أَهْلِى وَجِيرَانِى (٤)
وَتَارِكٌ مَالِى عَلَى حَالِهِ   نَهْباً لِشَيْطَانِ ابْنِ شَيْطَانِ
لامْرَأَةِ ابْنِى أَوْ لِزَوْجِ ابْنَتِى   يَالَكَ مِنْ غَىٍّ وَخُسْرَانِ (٥)
يَسْعَدُ فِى مَالِى وَأَشْقَى بِهِ   قَوْمٌ ذَوُو غِلٍّ وَشَنْآنِ (٦)
إِنْ أَحْسَنُوا كَانَ لَهُمْ أَجْرُهُ   وَخَفَّ مِنْ ذٰلِكَ مِيزَانِى

وَمِمَّنِ اسْتَبْصَرَ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا (٧) ، فَرَأَى عَيْبَ الدُّنْيا وفَنَاءَهَا ، وتَقَضِّيهَا وزَوَالَهَا إِبْراهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورٍ ، مِنْ [أَبْنَاءِ المُلُوكِ] (٨) مُلُوكِ خُراسَانَ ، مِنْ كُورَةِ بَلْخٍ

= وأبو الوليد الباجى هو : سليمان بن خلف بن سعد التجيبى القرطبى ، فقيه مالكى كبير ، ومن رجال الحديث ، ولد فى « باجة » بالأندلس سنة ٤٠٣ هـ ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفى دمشق وحلب مُدَّة ،وعاد إلى الأندلس ، فَوَلِىَ القضاء فى بعض أنحائها ، وتوفى بالمرية سنة ٤٧٤ هـ .

[انظر مقدمة الكتاب ، و « أبو بكر » الطرطوشى لجمال الدين الشيال ص ١٨ ومابعدها .. ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » والأعلام ج ٣ ص ١٢٥ ، والمغرب فى حُلَى المغرب لابن سعيد بتحقيق د . شوق ضيف ج ١ ص ٤٠٤ ومابعدها ، و نفح الطِّيب ج ٢ ص ٢٧٦ ومابعدها] .

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ماسانى » بدل « ماشانى » الأخيرة ، بمعنى ماساءَنى .. والشأن : الحال والأمر .. وَوَيْح : كلمة تَوَجُّعٍ وتَرَحُّمٍ ، وقيل : هى بمعنى « وَيْل » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « قرب لى » بدل « فَيَسِّرى » .. واللَّحْدُ : الشَّقُّ يكون فى جانب القبر .

(٣) قَرَّتْ : سَكَنَتْ وَاطْمَأَنَّتْ .. أَشْجَانى : أَحْزَنَنِى .

(٤) البِلَى : الفَنَاء .

(٥) الغَىُّ : الانهماك فى الضلال .. والخسران : الضياع والهلاك .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « غَيْلٍ » بدل « غِلٍّ » ، والغَيْل : الشر . والغِلُّ : الضِّغْنُ والحِقْد .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أبناء الملوك » .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .. وإبراهيم بن أدهم كان من أبناء الملوك والمياسير ، وكان سيد الزهاد ، ساح فى الأرض وتَنَسَّك واشتغل بالوعظ والعبادة ، جاور فى مكة ثم فى ديار الشام ، ومات فى حملة بَحَرِيَّة سنة ١٦١ هـ ضد البيزنطيين ، وأخباره فيها اضطراب واختلاف فى نسبه ومسكنه ومتوفاه . =

وَلَمَّا (١) زَهِدَ فى الدُّنْيَا زَهِدَ عَنْ ثَمانِينَ سَرِيرًا (٢) ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ (٣) : سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ حَتَّى صِرْتَ إِلى هٰذَا ؟ قَالَ : غَيْرُ هٰذَا أَوْلَى بِكَ . قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، لَعَلَّ اللهَ يَنْفَعُنِى بِهِ يَوْماً . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَقَالَ : وَيْحَكَ ، اشْتَغِلْ باللهِ تَعالَى . ثُمَّ سَأَلْتُه ثَالِثَةً فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ – يَرْحَمُكَ اللهُ – أَنْ تُخْبِرَنِى لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِى بِهِ (٤) فَقَالَ : كَانَ أَبِى مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ مِنَ المَيَاسِيرِ ، وَكَانَ قَدْ حُبِّبَ إِلَىَّ الصَّيْدُ ، فَبَيْنَما (٥) أَنَا رَاكِبٌ فَرَساً وَكَلْبِى مَعِى ، فَأَثَرْتُ أَرْنَباً أَوْ ثَعْلَباً ، فَحَرَّكْتُ فَرَسِى ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِى : يا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ لِهٰذا خُلِقْتَ ، وَلَا بِهٰذَا أُمِرْتَ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ، فَقُلْتُ فى نَفْسِى : لَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ ، ثُمَّ حَرَّكْتُ فَرَسِى ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً أَقْوَى مِنَ الأَوَّلِ : يا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ لهٰذَا خُلِقْتَ ، وَلَا بِهٰذَا أُمِرْتَ ، فَوَقَفْتُ مُقْشَعِرًّا [أَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، فَلَمْ أَرَ شَيْئاً ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللهُ إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَّكْتُ فَرَسِى ، فَسَمِعْتُ مِنْ قَرَبُوسِ (٦) سَرْجِى : يا إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ لِهٰذا

= [انظر خبره فى سير أعلام النبلاء جـ ٧ ص ٣٨٧ – ٣٩٦ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ – ٣٩٥ ، وج ٨ ص ٣ – ٥٨ ، وطبقات الأولياء ص ٥ – ١٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٧ – ٣٨ ، وطبقات الشعرانى ص ٦٩ ، ٧٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ط الشعب ج ١ ص ١٥٣ – ١٥٦] .

(١) الكُورَة : البقعة والناحية يجتمع فيها قُرَى ومَحَالّ .. وَبَلْخ : من أَشْهَر مُدُن خراسان وأجلّها ، وأكثرها خيراً .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٤٧٩]

(٢) السرير : سبق التعريف به ، وهو المضطجع ومايُجْلَسُ عليه ، وقد يُعَبَّر بالسرير عن المُلْك والنعمة . وفى اللسان :

وفَــارَقَ مِنْهَــا عِيشَةً غَيْدَقِيَّــةً ... وَلَمْ يَخْشَ يَوْماً أَنْ يَزُولَ سَرِيرُها

(٣) هو : إبراهيم بن بَشَّار بن محمد ، أبو إسحاق الخراسانى الصوفى ، خادم إبراهيم بن أدهم ، كان ينتسب إلى ولاء معقل بن يسار ، قَدِمَ بغداد وحَدَّث بها .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٧ ، ٤٨] .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ينفعنى » .

(٥) فى « ط » : فبينا .

(٦) القَرَبُوس : حِنْوُ السَّرج ، وهُمَا قَرَبُوسان ، مقدم السرج ومؤخره ، ويقال لهما : حِنْواء ، والجمع : قَرَابِيسُ .. والحِنْو : كل شيء فيه اعوجاج .

خُلِقْتَ ، وَلَابِهٰذا أُمِرْتَ ، فَوَقَفْتُ] (١) وقُلْتُ : هَيْهَاتَ ، جَاءَنِى النَّذِيرُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَاللهِ لاعَصَيْتُ رَبِّى ، مَا عَصَمَنِى بَعْدَ يَوْمِى هٰذَا ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى أَهْلِى ، وخَلَّفْتُ فَرَسِى ، وَجِئْتُ إِلَى بَعْضِ رُعَاةِ أَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ وكِسَاءَهُ (٢) ، وَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ ثِيَابِى ، فَلَمْ أَزَلْ أَرضٌ تُقِلُّنِى وَأَرْضٌ تَضَعُنِى ، حَتَّى ، صِرْتُ إِلَى العِرَاقِ ، فَعمِلْتُ بِها أَيَّاماً ، فَلَمْ يَصْفُ لى شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايخِ عَنِ الْحَلالِ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بالشَّامِ .

قَالَ : فَانْصَرَفْتُ إلى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : [المَنْصُورِيَّة وَهِىَ] الْمَصِّيصَةُ (٣) ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْفُ لى شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ فعَلَيْكَ بِطَرَسُوسَ (٤) ، فَإِنَّ الْمُبَاحَاتِ بِهَا ، والعَمَلَ كَثِيرٌ . قال : فَبَيْنَا أَنَا قاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ ، إِذْ جَاءَنِى رَجُلٌ فَاكْتَرانِى (٥) أَنْظُرُ لَهُ بُسْتَانًا ، فَتَوَجَّهْتُ مَعَهُ ، فَكُنْتُ فِى الْبُسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَطَلَّ (٦) وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ البُسْتَانَ لِخَادِمٍ مَانظَرْتُهُ ، (٧) فَقَعَدَ فى مَجْلِسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَاطُورُ ، فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ :

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « جُبَّةً وكِسَاءً » .. وفى طبقات الصوفية : « فصادفت راعياً لأبى يرعى الغنم ، فأخذتُ جُبَّتَهُ الصوف فَلَبِسْتُها ، ودفعتُ إليه الفرس وما كان معى » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » وهو مطابق لِمَا وَرَد فى معجم البلدان ، وفى المعارف لابن قتيبة ، وغيرهما .. وفى « م » : « المَصِّيصيَّة » ولعلها تحريف من الناسخ ، أو نسبة إلى « المَصِّيصَة » وهى قرية من قرى دمشق ، قرب بيت « لهيا » ويطلق أيضاً على مدينة أخرى على شاطىء « جيحان » من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، بالقرب من « طَرَسوس » .

[انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، والمعارف ص ٥١٤] .

(٤) طَرَسُوس : بفتح أوّله وثانيه ، كلمة أعجمية رومية ، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وكانت موطناً للزُّهَّاد والصالحين ، يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل يُنْسَبُون إليها ، منهم الحافظ محمد بن عيسى بن يزيد الطَّرَسُوسى وغيره .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨ ، ٢٩]

(٥) فى « م » : « اكْتَرانى » أى : استَأْجَرَنِى ، وَأَنْظُر له بُستاناً : أى أحفظه وأرعاه .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أَظَلَّ » أى : دَنَا أو غَشِيَنَا وأَطَلَّ : أَشْرَفَ .

(٧) فى « م » : « مانَطَرْتُه » وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ماقُمْتُ على حراسته وتَعَهُّدِه .

اذهَبْ [1] فأْتِنَا بأَكْبَرِ رُمَّانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَأَطْيَبِهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِرُمَّانٍ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رُمَّانَةً فَكَسَرَهَا ، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً ، فَقَالَ : يَا نَاطُورُ [ماهٰذا ؟] [2] أَنتَ مُنْذُ كَذَا وكَذَا فِي بُسْتَانِنَا تَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَتِنَا [وَرُمَّانِنَا] لا تَعْرِفُ الْحُلْوَ مِنَ الحامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكِهَتِكُمْ شَيْئًا ، وَمَا أَعْرِفُ الْحُلْوَ مِنَ الحامِضِ . قَالَ : فَغَمَزَ الْخَادِمُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : لَوْ كُنْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ما زَادَ عَلَى هٰذا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ حَدَّثَ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِالصِّفَةِ ، فَجَاءَ النَّاسُ عُنُقًا [3] إِلَى البُسْتَانِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ النَّاسِ اخْتَبَأْتُ [4] وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، وأَنَا هارِبٌ مِنْهُمْ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، مِثْلِ الحَصَادِ ، وَحِفْظِ الْبَسَاتِينِ ، وَالْعَمَلِ فِي الطِّينِ ، وَكَانَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرْمًا [5] فَمَرَّ بِهِ جُنْدِيٌّ فَقَالَ : أَعْطِنَا مِنْ هٰذا الْعِنَبِ ، فَقَالَ : مَا أَمَرَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِالسَّوْطِ ، فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى اللهَ ، فانْحَجَزَ الرَّجُلُ وَمَضَى .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : صَحِبْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ فَمَرِضْتُ ، فَأَنْفَقَ عَلَيَّ نَفَقَتَهُ ، فَاشْتَهَيْتُ شَهْوَةً ، فَبَاعَ حِمَارَهُ وَأَنْفَقَ [ثَمَنَهُ] [6] عَلَيَّ ، فَلَمَّا تَمَاثَلْتُ قُلْتُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ الحِمَارُ ؟ فَقَالَ : بِعْنَاهُ . فَقُلْتُ [7] : فَعَلَامَ أَرْكَبُ ؟ قَالَ : يا أَخِي عَلَى عُنُقِي . قالَ : فَحَمَلَنِي ثَلَاثَ مَنَازِلَ [8] رَحِمَهُ اللهُ . وَأَنْشَدُوا شِعْرًا :

---

(١) في « ط » : « فاذهب » . والنَّاطُور : حافظ البُسْتَانِ وحارسه
(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » في الموضعين .
(٣) عُنُقًا : جماعات .
(٤) في « ط » : اختفيتُ .
(٥) الكَرْمُ : العنب .
(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٧) في « م » : « قال : بعناه ، قُلْتُ » .
(٨) الْمَنْزِلُ وَالْمَنزِلَةُ : مَوْضِعُ النزول .

أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّ دُنْيَاكَ بَحْرٌ ... طَافِحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَأْمَنَنْهَا [١]

وَسَبِيلُ النَّجَاةِ فِيهَا مُبِينٌ ... وَهُوَ أَخْذُ الْكَفَافِ وَالْقُوتِ مِنْهَا [٢]

وَبَلَغَنِى أَنَّ بِالْهِنْدِ يَوْمًا يَخْرُجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَلَا يَبْقَى فى الْبَلَدِ بَشَرٌ مِنْ طِينٍ ، لَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ صَغِيرٌ ، وهَذَا الْيَوْمُ يَكُونُ بَعْدَ انْقِرَاضِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يَوْمٍ مِثْلِهِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ [٣] فى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، نَادَى مُنَادِى المَلِكِ : لا يَصْعَدَنَّ هٰذَا الْحَجَرَ – الْحَجَر هُنَاكَ مَنصُوب – إِلَّا مَنْ حَضَرَ فِي المَجْمَعِ الأَوَّلِ ، الَّذِى قَدْ خَلَا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الهَرِمُ الَّذِى قَدْ ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وعَمِىَ بَصَرُهُ ، وَفَنِىَ شَبَابُهُ ، وتَجِىءُ الْعَجُوزُ تَزْحَفُ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رَسْمُهَا ، وَقَدْ أَخْنَى الدَّهْرُ [٤] عَلَيْهَا ، فَيَصْعَدَانِ عَلَى الحَجَرِ الَّذِى هُنَاكَ . ويقُولُ الشَّيْخُ [الفَانِى] [٥] : حَضَرْتُ الْمَجْمَعَ الأَوَّلَ مُنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَكَانَ المِلكُ فُلَانًا ... وَيَصِفُ الْجُيُوشَ المَاضِيَةَ ، وَالأُمَمَ الخَالِيَةَ [٦] ، وكَيْفَ طَحَنَهُمُ البِلَى ، وَصَارُوا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيَقُومُ خَطِيبُهُمْ فَيَعِظُ النَّاسَ ، وَيُذَكِّرُهُمْ صَرْعَةَ الْمَوْتِ ، وحَسْرَةَ الفَوْتِ [٧] ، فَيَبْكِى الْقَوْمُ وَيَتُوبُونَ مِنَ المَظَالِمِ ، ويُكْثِرُونَ الصَّدَقَاتِ ، وَيَخْرُجُونَ عَنِ التَّبِعَاتِ [٨] ، وَيُصْلِحُونَ عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً [٩] .

---

(١) يُقال : طفَح الإناء أو النهر ، أى : امتلأ حتى فاض من جوانبه ، وطافحٌ مَوْجُه ، يعنى أنه مرتفع .. وفى « م » : « طامٍ » وهى بمعناها أيضاً . يقال : طَمَحَ الماء ونحوه ، أى : ارتفع . فلا تأْمَنَنْهَا : أى الدنيا .

(٢) فى « م » : « منير » بدل « مبين » ، وكلاهما يتضمن معنى الوضوح والإبانة .. والكفاف : ماكان على مقدار الحاجة من غير زيادة ولانقصان .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فلما اجتمع الخلائق » .. والصعيد : وجه الأرض وما ارتفع منها .

(٤) أَخْنَى عليه الدهر : طال عليه وأفسده .. وفى « م » .. أحنَى ، بالحاء المهملة ، أى : جعله معْوَجَّ الظَّهر ، أو مُنْحَنِياً كالقوس .

(٥) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٦) الأمم الخالية : أى التى بَادَتْ وَفَنِيَتْ .

(٧) الفَوْت : مامَضَى وَقْتُه وَلَمْ يُفعَل .

(٨) التَّبِعَات ، مفردها تَبِعَةٌ ، بِمَعْنَى : ظُلَامَة ، وتُطْلَق على مايطلبه المظلوم ، وهى اسم ماأُخِذَ منه ظُلْماً .

(٩) أى : يأتون بماهو نافع وصالح .

وقالَ وَهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ (١) : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبانِ سَبْعَةَ أيَّامٍ ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئاً ، فوَجَدَهُ مَشْغُولاً (٢) عَنْهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعالَى ، وَالْفِكْرِ لايَفْتُرُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيْهِ فى الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : ياهٰذَا ، قَدْ عَلِمْتُ مَاتُرِيدُ : حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، والزُّهْدُ فى الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ ، والتَّوْفِيقُ تَاجُ كُلِّ خَيْرٍ (٣) ، فَاحْذَرْ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَارْغَبْ [إِلَى رَبِّكَ] (٤) فى رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ ، وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ [فى] أَنْ يَهَبَ لَكَ (٥) تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ ؟ قالَ : كَانَ جَدِّى (٦) رَجُلاً مِنَ الْحُكَماءِ ، قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيا بِسَبْعَةِ أشْيَاءَ : فشَبَّهَهَا بِالمَاءِ الْمَالِحِ ، يَغُرُّ وَلَا يَرْوِى ، وَيضرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، [وَالْبَرْقِ الخُلَّبِ ، يَغُرُّ وَلا يَنْفَعُ] (٧) وَبِسَحَابِ الصَّيْفِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وبِظِلِّ الغَمَامِ يَغُرُّ وَيَخْذُلُ ، وبزَهْرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُ ثُمَّ يَصْفَرُّ [لَوْنُهُ] (٨) فَتَراهُ هَشِيماً ، وبِأَحْلَامِ النَّائِمِ ، يَرَى السُّرُورَ فى مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فى يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ ، وبَالعَسَلِ الْمَشُوبِ بِالسُّمِّ الذُّعَافِ (٩) يَغُرُّ وَيَقْتُلُ ..

---

(١) سبق التعريف به .. والأنسب للسياق هنا أن يُقال : « أحد الرُّهبان » بدل « بعض الرهبان » .

(٢) هكذا فى « ط » بالنصب ، وهو الصواب — مفعول « وجد » — وفى « م » : مشغول وهو خطأ .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « رأس » بدل « تاج » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » فى الموضعين .

(٥) هكذا فى « ط » وهو الأنسب .. وفى « م » : « يهبك » . والفعل « وهب » يتعدى باللام ، قال تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يشاء إناثاً ، ويَهَبُ لِمَن يشاء الذكور ﴾ وقال بعض اللغويين : لايتعدى إلى الأول بنفسه ، فلا يقال : « وَهَبْتُكَ » مالا .. والفقهاء يقولونه ، وقد يُجْعَلُ له وَجْهٌ ، وهُوَ أن يُضَمَّنْ « وَهَبَ » معنى « جَعَلَ » وهذا غير دقيق ومردود عليه فى الحاشية .

[انظر المصباح — مادة « وهب » بتحقيق د . عبد العظيم الشناوى ط دار المعارف] .

(٦) هكذا فى « ط » ، وهو الصواب .. وفى « م » : « كان أبى رجل — هكذا — من الحكماء » . فأتى بأبى بدل جَدِّى ، سهواً منه ، وستأتى بعد ذلك كلمة « جَدِّى » .. وجاءت كلمة « رجل » بالرفع ، وهو خطأ والصواب بالنصب (خبر كان) .

(٧) يَغُرُّ ، بالضم : يخدع ، يقال : غَرَّهُ : خدعه وأطمعه بالباطل .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٩) الذُّعاف والزُّعاف (بالذال والزاى) : السريع : والسُّمُّ الذُّعاف : الذى يقتل لساعته .

فَتَدَبَّرتُ هٰذِهِ الأَحْرُفَ السَّبْعَةَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ زِدْتُ حَرْفاً وَاحِدًا ، فَشَبَّهْتُهَا بِالْغُولِ الَّتِى تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَتْرُكُ مَنْ أَعْرَضَ عَنها ، فَرَأَيْتُ جَدِّى فى المَنَامِ ، فَقَالَ [١] : يَابُنَىَّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنِّى وَأَنَا مِنْكَ ، هِىَ وَاللهِ الغُولُ الَّتِى تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَها ، وتَتْرُكُ مَنْ أَعْرَضَ عَنهَا . قُلْتُ فَبِأَىِّ شَىْءٍ يَكُونُ الزُّهْدُ فى الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْيَقِينِ ، والْيَقِينُ بِالْبَصَرِ ، وَالْبَصَرُ [٢] بِالعَيْنِ ، والعَيْنُ بالفِكْرِ ، ثُمَّ وَقَفَ الرَّاهِبُ وَقَالَ : خُذْهَا مِنِّى [٣] فَلَا أَرَاكَ خَلْفِىَ إِلَّا مُتَجَرِّدًا بِفِعْلٍ دُونَ قَوْلٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

قُلْتُ : وقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِصِفَةٍ أَعَمَّ مِنْ هٰذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ سُبْحانهُ : **﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْوٌ وَزِينَةٌ وتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكَاثُرٌ فى الأَمْوالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً ، وَفى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾** [٤] . وَالكُفَّارَ هَاهُنَا : الزُّرَّاعُ ، فَكَمَا [٥] أَنَّ الزَّرْعَ يَكُونُ فى أَوَّلِ نَبَاتِهِ أَخْضَرَ [٦] ناعِماً ، اهْتَزَّتِ الأَرْضُ بِهِ بَعْدَ يُبْسِهَا ، فَجاءَتَ فى العُيُونِ كَأَمْلَحِ [٧] مايَكُونُ ، ثم يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ، أَىْ : يَكْبُرُ وَيَسْتَوِى فَيَجِفُّ وَيَحْتَرِقُ ، ويَتَكَسَّرُ [٨] أَعْلَاهُ وَيَسْتَقِلُّ سُنْبُلُهُ [٩] ثُمَّ يُدْرَسُ [١٠] فيَكُونُ حُطَاماً ، أَىْ : تِبْناً مُتَكَسِّرًا

---

(١) فى « ط » : وقال .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « بالصبر ، والصبر » . لعلها خطأ مطبعى .

(٣) فى « ط » : مِنَّا .

(٤) سورة الحديد – الآية ٢٠ . وفى « م » سقطت كلمة « الدنيا » من الآية سهوًا من الناسخ .

(٥) فى « ط » : كَمَا .

(٦) فى « م » : خَضِرًا .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « كأَحْسَن » وهى بمعناها .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ويَتَكَّس » أى : يضعف وينحنى إلى أسفل .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « بِسُنْبُلِهِ » ويستقل سُنْبُلُه : أى يرتفع ويعلو ، يقال : استقَلَّ الطائر فى طيرانه ، واستقل النبات ، واستقلت الشمس .. الخ

[انظر المعجم الوسيط مادة « قَلَّ » وغيره من المعاجم العربية]

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « يُدَاسُ » وهى بمعناها ، يقال : داسَ فلانٌ الزرع ، أو الحصيد ، أى : دَرَسَهُ ليُخرِج الحَبَّ منه .

مُتَقَطِّعاً ، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ [تَعَالَى] (١) لِبَنِي آدَمَ ، إِذْ كَانُوا أَطْفَالًا أَوَّلَ الوِلَادَةِ ، وفى حَالِ الطُّفُولِيَّةِ كَأَحْسَنِ مَرْأَى ، يُعْجِبُونَ الآبَاءَ ، وَيَفْتِنُونَ ذَوِى الأَحْلَامِ (٢) والنُّهَى ، ثُمَّ يَكْبُرُونَ فَيَصِيرُونَ شُيوخاً مُنَكَّسَةً رُءُوسُهُم ، مُقَوَّسَةً ظُهُورُهُم ، قَدْ ذَهَبَ حُسْنُهُم وَنُعُومَتُهُم ، وَفَنِىَ شَبَابُهُمْ وَجَمَالُهُم ، وذَوَتْ غَضَارَتُهُم وَنَضَارَتُهُم ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الهَرَمُ وَالشَّيْبُ (٣) ، ثُمَّ يَمُوتُونَ فَيَصِيرُونَ حُطَاماً فى القُبُورِ كالتِّبْنِ فى الجَرِينِ (٤) ، هٰذا بَعْدَ مَاوَصَفَها بِخَمْسِ صِفَاتٍ مَذْمُومَةٍ : لَعِبٍ ، وَلَهْوٍ ، وَزِينَةٍ ، وتَفَاخُرٍ ، وتَكَاثُرٍ . وَكَانَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ يُسَمِّى الدُّنْيَا (خِنْزِيرَةً) ولَوْ وَجَدُوا [لَهَا] (٥) اسْماً أَقْبَحَ مِنْهُ لَسَمَّوْهَا بِهِ ، وكَانُوا يُسَمُّونَهَا (أُمَّ دَفْرٍ) (٦) ، الدَّفْرُ : النَّتْنُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنسٍ (٧) : بَلَغَنِى أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ بَنِى إِسْرَائِيلَ رَكِبَ يَوْماً فِى زِىٍّ عَظِيمٍ ، فَتَشَرَّفَ (٨) لهُ النَّاسُ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجاً ، حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئاً مُكِبًّا عَلَيْهِ لَمْ يَلْتَفِتْ (٩) إِلَيْهِ ، ولا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَوَقَفَ المَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَىَّ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وذوى الأرحام وَالنُّهَى : أصحاب العقول .. وفى « م » : « ذوى الأرحام » أى : الأقارب .

(٣) هكذا فى « ط » . وفى « م » : « واليُبْسُ » أى : الجفاف ، وهو ضد الطراوة والرطوبة ، يقال : رجل وامرأة يبيسٌ : لاخير فيهما .. وَذَوَتْ غضارتهم ونضارتهم ، أى : ذهب حُسنهم وجمالُهم وإشراقُ لَوْنِهم .

(٤) الجَرِينُ : الجُرْنُ ، وهو الموضع الذى تُداس فيه الحبوب وتُجَفَّفُ فيه الثمار .. وفى « ط » : « الحريق » بدل « الجرين » .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .. ويعنى بالصدر الأول : آباءنا الأوَّلين .

(٦) ومنه يقال : دَفِرَ الشيءُ ، أى خَبُثَتْ رائحتُه ، ودَفِرَ الطعامُ واللحمُ : تَوَلَّدَ الدُّودُ فيه .

(٧) هو : مالك بن أنس بن مالك الأصبحيُّ الحِمْيَرىُّ ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهْل السُّنَّة ، وإليه تُنسَبُ المالكية . وُلد سنة ٩٣ هـ بالمدينة ، وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣١٦ - ٣٥٦ وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٥٣ ، ٥٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٩٨ ، ٤٩٩] .

(٨) فتشرف الناسُ ، أى : نظروا إليه من الشُّرُفات والأماكن العالية ، أو رفعوا أبصارهم ينظرون إليه .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « لم يختلف نحوه » أى : أَعْرَضَ عنه ولم ينظر إليه .

إِلَّا أَنْتَ ؟ فقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّى رَأَيْتُ مَلِكاً مِثْلَكَ ، وَكَانَ عَلَى هٰذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَمَاتَ هُوَ وَمِسْكِينٌ ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهِ فى يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فى الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا ، ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا ، ثُمَّ نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَاخْتَلَطَتْ عِظَامُهُمَا ، فَلَمْ أَعْرِفِ الْمَلِكَ مِنَ المِسْكِينِ ، فَلِذٰلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي ، وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .

ورُوِىَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيحُ فِى الجِبَالِ ، إِذْ وَافَى عَلَى غَارٍ ، [فَنَظَرَ] [١] فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الخَلْقِ [٢] مِنْ بَنِى آدَمَ ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ بِكِتَابٍ مَحْفُورٍ فِيهِ : أَنَا رُسْتُمُ المَلِكُ ، مَلَكْتُ أَلْفَ عَامٍ ، وَفَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَافْتَرَعْتُ [٣] أَلْفَ بِكْرٍ مِنْ بَنَاتِ المُلُوكِ ، ثمَّ صِرْتُ إِلَى مَاتَرَى ، فَصَارَ التُّرَابُ فِرَاشِى ، والحِجَارَةُ وِسَادِى ، فَمَنْ رَآنِى فَلا تَغُرُّه الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْنِى .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ [عَلَيْهِ السَّلامُ] [٤] ذاتَ يَومٍ مَعَ جَماعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا ارْتَفعَ النَّهارُ مَرُّوا بِزَرْعٍ قَدْ أَمْكَنَ مِنَ الفَرْكِ [٥] فقالوا : يانَبِىَّ اللهِ ، إِنَّا جِيَاعٌ فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنِ ائْذَنْ لَهُمْ فى قُوتِهِمْ [٦] ، فأَذِنَ لَهُمْ ، فتَفَرَّقُوا فى الزَّرْعِ يَفْرُكُون [٧] ويأْكُلونَ ، فَبَيْنَاهُمْ كَذٰلِكَ إِذْ جاءَ صَاحِبُ الزَّرْعِ وَهُوَ يقُولُ : زَرْعِى وَأَرْضِى ، وَرِثْتُهُ عَنْ آبائِى ، بِإِذْنِ مَنْ تَأْكُلُونَ يَاهَؤُلاءِ ؟ قَالَ : فَدَعَا عِيسَى رَبَّهُ فَبَعَثَ اللهُ [تَعالَى] [٨] جَمِيعَ مَنْ مَلَكَ تِلْكَ الأَرضِ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى سَاعَتِهِ ، فَإِذا عِنْدَ كُلِّ سُنْبُلَةٍ – مَاشَاءَ اللهُ [٩] رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ ، كُلُّهُمْ يُنَادُونَ : زَرْعِى وَأَرْضِى ، وَرِثْتُهُ عَنْ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وهو خَلْقٌ عظيم » والخَلْق : المخلوق .

(٣) فَرَعَ البِكْرَ : فَضَّ بَكارَتَها .. والأَلْفُ فى قوله : ملكت أَلْفَ عام .. كناية عن الكَثْرة لاعَلَى الحقيقة

(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٥) أمكن من الفَرْكِ ، أى : نضج .

(٦) فى « ط » : أقواتهم .

(٧) يفركون الزرعَ : يحكُّونه بأيديهم حتى يزيلوا ماعليه من القشر أو ماعَلِقَ به .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٩) فى « ط » : أو ما شاء الله .

آبَائِي .. فَفَزِعَ الرَّجُلُ مِنهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلامُ] (١) وهُوَ لايَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا عَرَفَهُ قَالَ : مَعْذِرَةً إِلَيْكَ يارَسُولَ اللهِ ، إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكَ ، زَرْعِي وَمَالِي لَكَ حَلَالٌ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ، هَؤُلاءِ كُلُّهُم قَدْ وَرِثُوا هَذِهِ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا (٢) ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهَا ، وَبِهِمْ لَاحِقٌ ، [وَيْحَكَ] (٣) لَيْسَ لَكَ أَرْضٌ وَلَامَالٌ . وقَالَ أَبُو العَتَاهِيَةِ :

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ ... وَنَعَتْكَ أَزْمِنَةٌ خُفُتْ (٤)
وَتَكَلَّمَتْ عَنْ أَوْجُهٍ ... تَبْلَى وَعَنْ صُوَرٍ سُبُتْ (٥)
وَأَرَتْكَ قَبْرَكَ فِي القُبُو ... رِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ (٦)
يَاشَامِتاً بِمَنِيَّتِي ... إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَمْ تَفُتْ (٧)
وَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الزَّمَا ... نُ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الشُّمُتْ (٨)

وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (٩) ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَأَى فَاطِمَةَ ، رَضِيَ اللهُ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٢) عَمَرَ الأرضَ وَعمَّرَها : جعلها مَعْمُورَةً .
(٣) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .. ووَيْح : كَلِمَةُ تَوَجُّع وتَرَحُّم . وقيل : هي بمعنى « ويل » وقد مَرَّت .
(٤) أَجْدَاث صُمُت : أي قبور صامتة ، مفردها : جَدَث . والنَّعْيُ : إذاعة خبر موت الميت .. وأَزْمِنَة خُفُت : أي خَفِيَّة لاتسمع لها صوتاً .
(٥) تَبْلَى : تُفْنَى . وسُبُت : ساكنة . وفي « م » : « سُكُت » أي : صامتة منقطعة عن الكلام . وفي الديوان : « شُتُت » أي : متفرقة .
(٦) في الديوان : « في الحياة » بدل « في القبور » .
(٧) المَنِيَّة : الموت . والشامت : الذي يفرح بما أصاب عَدُوَّهُ من بَلِيَّة أو مكروه ، والاسم منه : الشَّمات .
(٨) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « الشُّمات » بدل « الزمان » والشمات : مَنْ يُشْمَتُ بهم لِخَيْبَة أو بَلِيَّة (لا واحد له) .
(٩) هو : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشميُّ القُرَشِيُّ ، أبو الحَسَن ، رابع الخُلفاء الراشدين ، وأحد العَشَرة المُبَشَّرين بالجنة ، وابن عم النبي وصهره ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة ، ولد بمكة ، ورُبِّيَ في حجر النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يفارقه ، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، وبطلاً مقداماً في جميع المعارك ، ولما آخى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه قال له : أنت أخي .. وَلد سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان =

عَنْها ، مُسَجَّاةً بِثَوْبِهَا ، بَكَى حتَّى رُثِىَ [(١)] لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى عِلَلَ الدُّنْيا عَلَىَّ كَثِيرَةً   وَصَاحِبُها حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ [(٢)]
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ   وَإِنَّ الَّذِى دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ [(٣)]
وَإِنَّ افْتِقَادِى وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ   دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لا يَدُومَ خَلِيلُ [(٤)]

[وَقَالَ] [(٥)] :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِى لَيْسَ تَارِكِى   أَرِحْنِى فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أُحِبُّهُمْ   كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُم بِدَلِيلِ

= ابن عفان ، رضى الله عنه ، سنة ٣٥ هـ . وقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم ، وتَرَوَّى عَلِىٌّ الفتنة ، فتريث ، فغضبت عائشة ، وقام معها جمع كبير ، فى مقدمتهم طلحة والزبير ، وقاتلوا علياً ، فكانت وقعة « الجمل » سنة ٣٦ هـ وظفر علىٌّ بعد أن بلغت قَتْلَى الفريقين عشرة آلاف .. ثم كانت وقعة « صِفِّين » سنة ٣٧ هـ ضد معاوية بعد أن عزله علىٌّ عن ولاية الشام ، وقُتِل فيها من الفريقين سبعون ألفاً ، وانتهت بالتحكيم ، وخلع علىّ .. قُتل – كَرَّمَ الله وجهه – غيلة على يد عبد الرحمٰن بن مُلْجَم سنة ٤٠ هـ ، واختُلف فى مكان قبره ، فقيل : فى قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل بنجف الحيرة ، وقيل غير ذلك .

أمّا فاطمة ، فهى : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد ، وُلِدَتْ فى السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة ، وتزوجها علىُّ بن أبى طالب وهى فى الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر ، وتوفيت – رضى الله عنها – سنة ١١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، و ج ٥ ص ١٣٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦١ – ٨٧ وج ٢ ص ٣٩ – ٤٣] .

(١) مُسَجَّاة : مُغَطَّاة . وَرُثِىَ له ، أى : تعاطف معه الناس ورَقُّوا لَهُ .

(٢) هكذا ترتيب الأبيات الثلاثة فى « م » وكذا فى ديوان الإمام « علىّ » الذى جمعه عبد العزيز الكرم على الرواية الصحيحة ، وديوانه الذى حققه د . خفاجى .. وفى « ط » جاء البيت الثانى مكان الأول . أما فى العقد الفريد ، فقد ورد البيتان ، الثانى والثالث فقط ، وكذلك فى أعلام النساء .

[انظر العقد الفريد ج ٣ ص ١٩٨ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٣١ ، وديوان الإمام على ، لعبد العزيز الكرم ص ٩٩ ، وديوانه بتحقيق د . عبد المنعم خفاجى ص ٢٤٣] .

(٣) هكذا فى « م » وفى « ط » .. وفى الديوان ، والعقد الفريد ، وأعلام النساء : « وكُلُّ الذى » .

(٤) هكذا فى « م » و« ط » والمصادر السابقة .. وفى حاشية « م » أن الشطرة الأُولى وردت فى نسخة : « وإن افتقادى فاطماً بَعْدَ أَحْمَد » وأحمد : اسم من أسماء الرسول ، صلى الله عليه وسلم . والخليل : الصديق والصاحب .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » .. وجاءت الأبيات الخمسة فى « م » متصلة .. وفى الديوان ، وغيره من المصادر ، أن هذين البيتين الأخيرين قالهما – رضى الله عنه – بعد شهادة « عَمَّار بن ياسر » .

وَلَمَّا نَفَضَ يَدَيْهِ مِنْ تُرَابِهَا تَمَثَّلَ بِقَوْلِ بَعْضِ بَنِي ضَبَّةَ (١) :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَسْرَةً أَرَى الأَرْضَ تَبْقَى وَالأَخِلَّاءَ تَذْهَبُ (٢)

أَخِلَّايَ ! لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ ، وَلَكِنْ مَاعَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ (٣)

وَقَالَ العَتَّابِيُّ (٤) :

قُلْتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَاللَّيْلُ مُلْقٍ سُودَ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ (٥)

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أُمَيَّة » بدل « ضَبَّة » ، وهو خطأ .. والشاعر الذى قال هذين البيتين هو : الغَطَمَّشُ بن عَمْرو بن عطية من بنى شَقْرَةَ بن كعب ، من ضَبَّة ، وهو من شعراء الحماسة الشجرية ، وفى شعره رِقة . والغطمَّش يُطلق على الظالم والجائر ، وعلى كليل البصر وقد ورد فى اللسان – ط دار المعارف – ضبط شَقْرَة بضم الشين وسكون القاف ، وبفتح الشين وكسر القاف .. وفى ط بيروت – وفى معجم قبائل العرب هكذا أيضاً فى جميع صورها .. وخالَفْتُ هذا الضبط هنا حيث ورد فى الإكمال – لابن ماكولا – أن « شُقْرَة » بضم الشين وسكون القاف ، هو شُقْرَةُ بن نكرة بن لكيز بن أَفْصَى (وهو غير شاعرنا) أما « شَقِرَة » بفتح الشين وكسر القاف ، فهو : شَقِرَة بن الحارث بن تميم بن مُرّ ، وأما « شَقْرَة » بفتح الشين أيضاً وسكون القاف ، فهو : شَقْرَةُ بن نبت بن أدد .. وشَقْرَةُ بن ربيعة بن كعب من سعد بن ضَبَّة .

[انظر لسان العرب ، مادة « عتب » ط دار المعارف ، والإكمال (باب شقرة) بصورها الثلاث ج ٥ ص ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٠١ ، والأعلام ج ٥ ص ١٢٠] .

(٢) البيت فى لسان العرب :

أقولُ وقد فاضَتْ بِعَيْنِى عَبْرَةٌ أَرَى الدَّهْرَ يبقَى والأخِلَّاء تَذْهَبُ

والأَخِلَّاء : جمع خليل ، وهو الصديق ، وقد سبقت ، وفاضت دموعى : بكيتُ .

(٣) أَخِلَّاى : أصلها أَخِلَّاءَ ، وجاءت هنا بالقَصْر للضرورة ، ليثبت ياء الإضافة . أى : يأصدقائى والحِمَام : قضاء الموت وقدره . وعَتَبْتُ هنا بمعنى سَخِطْتُ أى : لَوْ أُصِبْتُمْ فى حَرْبٍ لأَدْرَكْنا بثأْرِكم وانتصرنا لكم ، ولكنَّ الدَّهْرَ لايُنْتَصَرُ منه .

[انظر اللسان مادة « عتب »]

(٤) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبى ، شاعر مُجيد ، وخطيب بليغ ، وهو من أهل قِنَّسرين بالشام ، ويتصل نسبه بعمرو بن كلثوم (الشاعر) .. قدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف ، وله رسائل مُستَحْسَنَة ، وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وتنزهاً ، وكان يلبس الصوف ويُظْهِرُ الزهد . وشغف بالمعتزلة والاعتزال ، وبالآداب الفارسية ، وله من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألفاظ ، وغيرها . توفى سنة ٢٢٠ هـ .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ – ٤٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٢١٩ – ٢٢١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٦٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٣١ ، وطبقات الشعراء ص ٢٦١ – ٢٦٣ ، ومعجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦ – ٣١ ، والأغانى ج ١٣ ص ٤٦٢١ – ٤٦٣٧ ط الشعب ، واقرأ ماكتبه عنه د . شوق ضيف فى موسوعة تاريخ الأدب العربى ج ٣ من ص ٤١٩ ومابعدها ط دار المعارف] .

(٥) فى « م » : « قُلْ » بدل « قُلْتُ » .. والفَرْقَدان : نَجْمَان فى السماء لايَفْتَرِقان ، والمراد هنا : الصاحبان =

أبقَيَا مَابقِيتُما فَسَيُرْمَى بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ

غَرَّ مَنْ ظَنَّ أنْ يَفُوتَ الْمَنَايَا وَعُرَاهَا قَلائِدُ الأعْنَاقِ (١)

كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتِّعَا بِاجْتِمَاعٍ ثُمَّ صَارَا لِغُرْبَةٍ وَافْتِرَاقِ (٢)

لايَدُومُ البَقَاءُ لِلْخَلْقِ لٰكِـ ـنْ دَوَامَ الْبَقَاءِ لِلخَلَّاقِ (٣)

وَأنْشَدَنِى بَعْضُ الأُدَباءِ (٤) :

أسْعِدَانِى يا نَخْلَتَىْ حُلْوَانِ وارْثِيَا لى مِنْ رَيْبِ هٰذا الزَّمَانِ (٥)

وَلَعَمْرِى لو ذُقْتُمَا ألَمَ الْفُرْ قَةِ أبْكَاكُمَا الَّذِى أبْكَانِى (٦)

= اللذان لايفترقان .. وسُود أكنافه : يعنى أستاره وظلاله السوداء .

(١) غَرّ : جَهِلَ الأمورَ وغَفَلَ عنها .. والمنايا : جمع مَنِيَّة ، وهى الموت .. وعُرَاها : العُرَى جمع عُرْوَة ، وهى طَوْق القلادة ، وعُرْوَة الكوز أو القميص ونحوهما : مَقْبِضُه . والقلائد ، جمع قلادة ، وهى مايُجْعَل فى العُنُق من حَلْي ونحوه .

(٢) الصَّفِيُّ : الصديق ، أو ماتصطفيه وتفضله من الناس .

(٣) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « ... لكن دوام طول البقاء للخلّاق » .

(٤) الأبيات ليست لبعض الأدباء المعاصرين للطرطوشى – رحمه الله – بل هى لمطيع بن إياس الليثى ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى فى وقت قتاله عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة ، وتزوج بها ، فَوُلِد له « مطيع » .. ومطيع من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان ظريفاً مليح النادرة ، ماجناً ، مُتَّهَماً بالزندقة ، مدح الوليد بن يزيد ونادمه فى العصر الأموى ، وانقطع فى الدولة العباسية إلى جعفر المنصور ، فكان معه إلى أن مات .. وأقام ببغداد زمناً ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦٦ هـ وأخباره كثيرة فى كتاب الأغانى وتاريخ بغداد وغيرهما من كتب الأدب .

[انظر الأغانى ج ١٣ ص ٤٧٨٨ وما بعدها ، والأعلام ج ٧ ص ٢٢٥ ، ولسان العرب ، مادة « حلا » ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٩١ ومابعدها] .

(٥) حُلوان : مدينة كبيرة عامرة بالعراق . وكان لمطيع بن إياس جارية يحبها ، فاضطر إلى بيعها ، وندم على ذلك ، وتبعتها نفسه ، فنزل « حلوان » وجلس ينتظر مستنداً إلى نخلة على العقبة ، وإلى جنبها نخلة أخرى ، فتذكر الجارية واشتاق إليها ، فأنشد هذه الأبيات ، وقد بلغت اثنى عشر بيتاً فى الأغانى .. وجاء فى اللسان والأغانى : « وابكيا لى » بدل « وارثيا لى » وفى معجم البلدان : « وابكيانى » بالنون .

[انظر المراجع السابقة]

(٦) هكذا ترتيب الأبيات فى « ط » وفى الأغانى ، وفى معجم البلدان .. وفى « م » جاء البيت الثانى مكان الثالث ، وفيها « فلعمرى » بدل « ولعمرى » .. وفى « ط » : « حرق » بدل « ألم » ، وهى بمعناها .

وَاعْلَمَا إنْ بَقِيتُمَا أَنَّ نَحْسًا سَوْفَ يَأْتِيكُمَا فَتَفْتَرِقَانِ [١]

ولمَّا سافَرَ الرَّشِيدُ إلَى « طُوسَ » [٢] وَعَكَ فى طَرِيقِهِ مِنْ حَرٍّ أَصَابَهُ ، فَقَالَ له الطَّبِيبُ : لا يُبْرِئُكَ إلَّا جُمَّارُ [٣] النَّخْلِ ، وكَانَ نُزُولُه قَرِيبًا مِنْ هَاتَيْنِ النَّخْلَتَيْنِ ، فأَمَرَ بقَطْعِ جُمَّارِ إحْدَى النَّخْلَتَيْنِ ، فَلَمَّا مُثِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَهُ بَعْضُ الجُلَسَاءِ هٰذِهِ الأَبْيَاتَ لبَعْضِ الشُّعَرَاءِ فى هَاتَيْنِ النَّخْلَتَيْنِ ، فقَالَ الرَّشِيدُ : لَوْ سَمِعْتُهُمَا مَا أَمَرْتُ بِقَطْعِهِما .

ولمَّا مَاتَ الإسْكَنْدَرُ قَالَ أرِسْطَا طَالِيسُ [٤] : أيُّهَا المَلِكُ [لَقَدْ] [٥] حَرَّكْتَنَا بسُكُونِكَ . وقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِه : كَانَ المَلِكُ أُمس أنْطَقَ مِنْهُ اليَوْمَ ، وَهُوَ [٦] الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أُمس ، فَنَظَمَهُ [٧] أَبُو العَتَاهِيَةِ فَقَال :

كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّى نَفَضْتُ تُرابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا

---

(١) هكذا البيت فى « ط » وفى « م » .. وفى الأغانى ومعجم البلدان : « أَسعِدانى وَأَيْقِنا أنَّ نَحْساً » .. وفى رواية : « سوف يلقاكما » بدل « سوف يأتيكما » [انظر المراجع السابقة]

(٢) طُوس : مدينة بخراسان ، وبها قبر هارون الرشيد .. ووَعَكَ : مَرِضَ أو أصابه التعب من شدة الألم .

(٣) الجُمَّار : قلب النخل .

(٤) الإسكندر هو : الإسكندر الأكبر « المقدونى » الملقب بذى القرنين ، وُلِدَ سنة ٣٥٦ قبل ميلاد المسيح – عليه السلام – وتوفى سنة ٣٢٤ ق . م .. كان من أعظم القُوّاد والفاتحين وأشجعهم .

أما أرِسْطاطاليس ، أو أرسطو ، فهو أستاذ الإسكندر الأكبر ومؤدبه ، وهو فيلسوف يونانى كبير ، وُلد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، وتوفى سنة ٣٢٢ ق . م .. وقد تأثرت بوادر التفكير العربى بتآليفه التى نقلها إلى العربية النقلة السرْيان ، وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب « المشائين » .

[انظر خبرهما فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٨١ ومابعدها ، ومعجم البلدان ج ١ ص ١٨٢ ومابعدها « مادة إسكندرية » والمنجد فى الأعلام ، وغير ذلك من المصادر] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) فى « م » : « وهذا » بدل « وهو » .

(٧) فى « م » : « نظمه » .. وقد نظم أبو العتاهية ستة أبيات – منها هذان البيتان – لَمَّا دُفِنَ « علىُّ بن ثابت » فوقف أبو العتاهية يبكى على قبره ويُردِّد هذه الأبيات ، وأوَّلُها :

أَلَا مَنْ لى بِأُنْسِكَ يَاأُخَيَّا وَمَنْ لى أنْ أَبُثَّكَ مالَدَيَّا

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِك بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبه نَشراً وَطَيَّا

وَكانَتْ فى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ فَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا [١]

وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرٍ : « قَهَرْنَا مَنْ قَهَرْنَا فَصِرْنا للنَّاظِرِينَ عِبْرَةً » .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُعْتَزِّ [٢] :

نَسِيرُ إِلَى الآجالِ فى كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وهُنَّ مَرَاحِلُ [٣]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كأَنَّهُ إذَا مَاتَخَطَّتْهُ الأَمَانِىُّ باطِلُ

وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فى زَمَنِ الصِّبَا فكَيْفَ بِهِ والشَّيْبُ فى الرَّأْسِ شَاعِلُ [٤]

تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بزَادٍ مِنَ التُّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ [٥]

وَلَمَّا دَخَلَ أَبو الدَّرْدَاءِ [٦] الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَالِى أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وتَجْمَعُونَ مَالَا تَأْكُلُونَ ، إنَّ

---

(١) هكذا البيت فى الديوان .. وفى « ط » : « من » بدل « فى » .. وفى « م » : « أنطق » بدل « أوْعَظ » .
[انظر الأبيات فى ديوانه ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ط دار صادر]

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ابن المتوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد العباسى: شاعر مُبْدِع ، وُلد فى بغداد سنة ٢٤٧ هـ ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، وله تصانيف كثيرة .. آلت الخلافة فى أيامه إلى المقتدر العباسى ، واستصغره القُوَّاد فخلعوه ، وأقبلوا على ابن المعتز وبايعوه بالخلافة ، ولَقَّبُوه « المرتضى بالله » ، وقيل : « المنتصر بالله » ، فأقام يوماً وليلة ، وَوُثِبَ عليه فخلعوه ، وعاد « المقتدر » فقبض عليه ، وسلمه إلى خادم له فخنقه سنة ٢٩٦ هـ ، وقيل : مات فى الحبس ، وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة وسبعة أشهر وأيام .. وللشعراء مَرَاثٍ كثيرة فيه .. وصارت خلافة ابن المعتز تُضرب مثلاً فِيمَنْ لاتطول مُدَّتُه ويسرع انقضاؤه .
[انظر ثمار القلوب لأبى منصور الثعالبى ص ١٩١ – ١٩٤ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ – ١٠١] .

(٣) المراحل : جمع مَرْحَلة ، وهى المسافة يقطعها السائر فى نحو يوم ، أو هى مابين المنزلَيْن .

(٤) فى الديوان : « والشيب فى الرأس شامل » بدل « شاعل » وكلاهما بمعنى : مُنْتَشِر .

(٥) فى الديوان « قلايل » بتسهيل الهمزة .
[انظر القصيدة فى ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ ، ٤١٣ ط دار المعارف] .

(٦) هو : عُوَيْمِرُ بن مالك [أو ابن عامر ، أو ابن زيد – فيه خلاف] ابن قيس بن أمية الأنصارىُّ الخزرجىُّ ، أبو الدرداء .. من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم . وفى الحديث : « عويمر حكيم أُمَّتى » . ولَّاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاضٍ بها .. وقال ابن الجزرى : كان أبو الدرداء من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بلا خلاف .. توفى – رحمه الله – بالشام سنة ٣٢ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٨ – ٢٢٧] .

الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا (١) ، وَأَمَّلُوا بَعِيدًا ، وَجَمَعُوا كَثِيرًا ، فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا ، وَجَمْعُهُمْ بُورًا ، وَمَسَاكِنُهُم قُبُورًا .

وَرَوَى الْجَاحِظُ (٢) قَالَ : وُجِدَ مَكْتُوبًا (٣) عَلَى حَجَرٍ : ابْنَ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَابَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ ، لَزَهِدْتَ فى طُولِ ماتَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ ، ولَرَغِبْتَ فى الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ ، وَلَقَصَّرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَحِيَلِكَ ، وَإِنَّما يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ ، لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ ، وتَبرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ ، وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ ، فَلاَ أَنْتَ فى عَمَلِكَ زائِدٌ ، ولَا إلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ (٤) : بَلَغَنِى أَنَّ امْرَأَتَيْنِ أَتَتَا عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلامُ (٥) فَقَالَتَا : يا رُوحَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ [لَنَا] (٦) أَنْ يُخْرِجَ [لَنَا] أَبَانَا ، فَإِنَّهُ هَلَكَ وَنَحْنُ غَائِبَتَانِ عَنْهُ . قَالَ : تَعْرِفَانِ قَبْرَهُ ؟ فَقَالَتَا : نَعَم . فَذَهَبَ مَعَهُمَا فَأَتَيَا قَبْرًا فَقَالَتَا : هَذَا هُوَ . فَدَعَا اللهَ ، فَأُخْرِجَ لَهُمَا ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِهِ ، فَدَعا فَرُدَّ ، ثُمَّ دَلَّتَاهُ عَلَى قَبْرٍ آخَرَ ، فَدَعَا أَنْ يَخْرُجَ ،

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « شديداً » تحريف .

(٢) فى « ط » : « الحافظ » تحريف .

والجاحظ هو : عَمْرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، من كبار أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية ، من المعتزلة ، وُلد فى البصرة سنة ١٦٣ هـ ، وكان مُشَوَّه الخِلْقة ، ومات والكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ ، وكان قد جاوز التسعين . وللجاحظ تصانيف كثيرة منها : البيان والتبيين ، والحيوان ، وسحر البيان ، والتاج - ويسمى أخلاق الملوك - والبخلاء ، وغيرها كثير ، قال عنه ابن يزداد : « وهو - أى الجاحظ - نسيج وَحْدِهِ فى جميع العلوم ، جمع بين علم الكلام ، والأخبار ، والفتيا ، والعربية ، وتأويل القرآن وأيام العرب » .

[انظر كتاب طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى - ط بيروت ص ٦٧ ومابعدها ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٢ - ٢٢٠ ، ومعجم الأدباء ج ٢ ص ٧٤ - ١١٤] .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مكتوبٌ » بالرفع . و« وجد » من الأفعال التى تنصب مفعولين .

(٤) سبق التعريف به .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « أتيا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم »

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » فى الموضعين .

فَخَرجَ [فَإِذَا هُوَ] (١) فَلَزِمَتَاهُ وَسَلَّمَتَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتَا : يانَبِيَّ اللهِ ، يَا مُعَلِّمَ الخَيْرِ ، ادْعُ اللهَ [تَعَالَى] (٢) أَنْ يُبْقِيَهُ مَعَنَا ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَدْعُو لَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ رِزْقٌ يَعِيشُ بِهِ ، ثُمَّ رَدَّهُ وَانْصَرَفَ .

وأَنْشَدَنِى بَعْضُ الأُدَباءِ :

وَا أَسَفِـــى مِنْ فِرَاقِ قَوْمٍ	هُمُ المصَابِيحُ والـحُصُونُ
وَالْمُـزْنُ والمدْنُ والـرَّواسِى	وَالْخَيْرُ والأَمْنُ والسُّكُونُ (٣)
لَمْ تَغَيَّـرْ بِنَـا اللَّيَالِــى	حَتَّى تَوَفَّتْهُـم المَنُـونُ (٤)
فَكُلُّ جَمْـرٍ لَنَـا قُلُـوبٌ	وكُـلُّ مَاءٍ لَنَـا عُيُـونُ

وَرُوِىَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا ، ومَعَهُ عَدِىُّ بْنُ زَيْدٍ ، فَمَرُّوا (٥) بِشَجرةٍ ، فقَالَ عَدِىُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا المَلِكُ ، أَتدْرِى ماتَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا (٦) تَقُولُ :

مَنْ رَآنَـا فَلْيُحَـدِّثْ نَفْسَـهُ	أَنَّهُ مُوفٍ عَلَـى قُرْبِ زَوَالِ (٧)
[وصُرُوفُ الدَّهْرِ لا يَبْقَى لَهَا	وَلِمَا تَأْتِى بِهِ صُمُّ الجِبَالِ] (٨)
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا	يَشْرَبُونَ الخَمْرَ بِالماءِ الزُّلالِ (٩)

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) المُزْن : السحاب .. يريد تشبيههم بالسحاب فى الجود . والرواسى : الجبال .

(٤) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » : « تتغير » بتاءين ، وماورد فى « م » هو الصحيح ، فبِهِ يستقيم الوزن .

(٥) هكذا فى « م » و « ط » .. والمناسب للمقام أن يقال : « فَمَرَّا » .

(٦) فى « ط » : « إنها » .

(٧) فى « ط » : « سؤال » بدل « زوال » .

(٨) هذا البيت عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(٩) الرَّكْبُ : أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب ، وهم العَشرةُ فما فوقها . والركبان : الجماعة منهم . والماء الزُّلال : العَذْب .

عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ آمِنِى دَهْرِهِمُ غَيْرِ عِجَالِ (١)
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فانْقَرَضُوا وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حالًا بَعْدَ حَالِ

قالَ : ثُمَّ جَاوَزُوا الشَّجَرَةَ فَمرُّوا (٢) بِمَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَدِىٌّ : أَيُّهَا المَلِكُ ، أَتَدْرِى ما تَقُولُ هٰذِهِ الْمَقْبَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .. قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ :

أَيَا الرَّكْبُ الْمُخِبُّونَا عَلَى الأَرْضِ الْمُجِدُّونَا (٣)
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا (٤)

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ (٥) أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لا يَتَكَلَّمَانِ ، وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِى (٦) فَجَزاكَ اللّٰهُ عَنِّى (٧) خيرًا ، فَمَا السَّبِيلُ الَّتِى تُدْرَكُ بِهَا (٨) النَّجاةُ ؟ قَالَ : تَدَعُ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ ، وتَعْبُدُ اللّٰهَ وَحْدَهُ ، قَالَ : وَفِى (٩) هَذِهِ النَّجَاةُ ؟ قالَ : نَعَمْ . فتَرَكَ (١٠) عِبَادَةَ الأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ يَوْمَئِذٍ (١١) وَأَخَذَ فى الْعِبَادَةِ وَالاجْتِهَادِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللّٰهِ [بْنُ] (١٢) المُعَلِّم : خَرَجْنَا مِنَ المدِينَةِ حُجَّاجًا ، فَلَمَّا كُنَّا

---

(١) غير عِجَال : أى مُتريِّثين .

(٢) هكذا فى « ط » بالجمع .. وفى « م » : « ثم جاوز » أى : عدى ، أو النعمان .

(٣) هكذا البيتان فى « ط » .. وفى « م » : « أيها » مكان « أيا » ، وجاءت المُخِبُّونا ، والمُجدونا ، وتكونونا – بدون ألف .. والمُخِبُّون : المُسْرِعُون ، وماجاء فى « ط » هو الصحيح ، وبه يستقيم الوزن .

(٤) فى « م » : « وكا » .

(٥) فى « م » : « عَلِمْنَا » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : تعظنى .

(٧) فى « م » : عنا .

(٨) فى « ط » : « فما السبيل الذى تدرك به النجاة ؟ » . وكلاهما صواب ، فالسبيل يُذَكَّر ويُؤَنَّث .

(٩) فى « ط » : « فى » بحذف الواو .

(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « قال : فترك » .

(١١) فى « م » : حينئذٍ .

(١٢) مابين المعقوفتين عن « ط » ..وقد ورد اسمه هكذا فى الرسالة القشيرية [ج ٢ ص ٥٨٠ – وغيرها] وورد بغير « ابن » فى طبقات الصوفية [ص ١٢٧ وغيرها] .

وهو : عبدالله بن محمد بن فَضْلَوَيْهِ المُعَلِّم .. مُحَدِّث ، وراوية ، سمع من عبدالله بن محمد بن مُنازل ، وعبد الله الرازى ، وأبى العباس الدِّينَورى ، وغيرهم .

بالرُّوَيْثَةِ [١] نَزَلْنَا ، فَوَقَفَ بِنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ [لَيْسَ] [٢] لَهُ مَنْظَرٌ وَهَيْئَةٌ فَقَالَ : مَنْ يَبْغِى [٣] خَادِمًا ؟ مَنْ يَبْغِى سَاقِيًا ؟ فَقُلْتُ : دُونَكَ هٰذِهِ القِرْبَةَ [٤] ، فَأَخَذَهَا فَانْطَلَقَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا ، حَتَّى أَقْبَلَ وَقَدِ امتَلأَتْ أَثْوَابُهُ طِينًا ، فَوَضَعَهَا كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ، ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ [٥] هذا ؟ قُلْنَا : لَا . وَأَطْعَمْنَاهُ قُرْصًا بَارِدًا ، فَأَخَذَهُ وَحَمِدَ اللهَ [تَعَالَى] [٦] وشَكَرَهُ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ وَقَعَدَ فَأَكَلَهُ أَكْلَ جَائِعٍ ، فَأَدْرَكَتْنِى عَلَيْهِ الرَّأْفَةُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ ، فَقُلْتُ [لَهُ] : قدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْكَ القُرْصُ بِمَوْقِعٍ ، فَدُونَكَ هٰذَا الطَّعَامَ . فنَظَرَ فى وَجْهِي وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : ياعَبْدَ اللهِ [٧] ، إِنَّمَا هِىَ فَوْرَةُ جُوعٍ ، فَمَا أُبَالِي بِأَىِّ شَيْءٍ رَدَدْتُهَا . فَرَجَعْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ لي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي : أَتَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ مِنْ بَنى هَاشِمٍ ، مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْن عَبْدِ المطَّلِبِ ، كَانَ يَسْكُنُ الْبَصْرَةَ [٨] فَتَابَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا ، فَتُفُقِّدَ فَما عُرِفَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا وُقِفَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَأَعْجَبَنِى قَوْلُهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُ [٩] بِهِ وَآنَسْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِى [١٠] ، فَإِنَّ مَعِىَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِى ، فَجَزَانِى خَيْرًا وَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ هٰذا لَكَانَ لِى مُعَدًّا ، ثُمَّ أَنِسَ إِلَيَّ ، فَجعَلَ يُحَدِّثُنِى فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ ، كُنْتُ أَسْكُنُ البَصْرَةَ ، وكُنْتُ ذَا كِبْرٍ شَدِيدٍ وَبَذَخٍ ، وَإِنِّى أَمَرْتُ خَادِمًا لى أَنْ تَحْشُوَ فِراشًا لِى

---

(١) الرُّوَيْثَة : موضع بينه وبين المدينة مسيرة ليلة .. وقيل : اسم مَنْهَلَة من المناهل التى بين المسجدين – يريد مكة والمدينة – والمنهلة : الموضع الذى فيه المشرب .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .. وفى « م » : « وله منظر وهيبة » وثياب رَثَّة : بالية

(٣) فى « م » : « يَبْغِ » فى الموضعين .

(٤) دونك : اسم فعل أمر بمعنى : خُذ . والقِرْبة : وعاء من جلد يُحْفَظُ فيه الماء .

(٥) أى : أتريدون غير هذا ؟

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » فى الموضعين .

(٧) فى « م » : « ياأبا عبدالله » .. وفَوْرَة الجوع : شدته .

(٨) فى « م » : « بالبَصرة » .

(٩) فى « م » : « تجمعت معه » .

(١٠) يقال : عَادَلَ بين الشيئين ، أى : وَزَنَ . وعادَلَ الشيءَ بالشيء : سواه به ، وجعله مثله قائماً مقامه . وعادَلَ فلاناً فى المَحْمَل : ركب معه . وهو المراد هنا .

مِنْ حَرِيرٍ ومِخَدَّةٍ بوَرْدٍ نَثِيرٍ (١) فَفَعَلَتْ ، وَإِنّى لَنَائِمٌ إذَا بِقُمْعِ وَرْدَةٍ قَدْ أَغْفَلَتْهُ الْخَادِمُ ، فَقُمْتُ إِلَيْها فَأَوْجَعْتُها ضَرْبًا ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِى بَعْدَ إِخْرَاجِ القُمْعِ مِنَ الْمِخَدَّةِ ، فأَتَانِى آتٍ فى مَنَامِى فى صُورَةٍ فَظِيعَةٍ ، فَهَزَّنِى وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشْيَتِكَ ، أَبْصِرْ مِنْ حَيْرَتِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يقُولُ :

يَا خَدُّ إِنَّكَ إِنْ تُوَسَّدَ لَيِّنًا ... وُسِّدْتَ بَعْد الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ (٢)

فَامْهَدْ لِنَفْسِك صَالِحًا تَسْعَدْ بِهِ ... فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إذَا لَمْ تَفْعَلِ (٣)

فَانْتَبَهْتُ فَزِعًا ، فَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِى هَارِبًا إِلَى رَبِّى .

وقَالَ عَبْدُ الواحِدِ بْنُ زَيد (٤) : ذُكِرَ لِى أَنَّ فى جَوانِبِ الأُبُلَّةِ (٥) جارِيَةً مَجْنُونَةً ، تَنْطِقُ بِالحِكْمَةِ ، فلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُها حَتَّى وَجَدْتُها فى خَرِبَةٍ (٦) جَالِسَةً عَلَى حَجَرٍ ، وَعَلَيْهَا جُبَّةُ صُوفٍ ، وهِىَ مَحْلُوقَةُ الرَّأْسِ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَىَّ ، قالَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُكَلِّمَهَا : مَرْحَبًا بِكَ يَاعَبْدَ الْواحِدِ . فقُلْتُ لها : رَحَّبَ اللهُ بِكِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لِى ، وَلَمْ تَرَنِى قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : مَا الَّذِى جَاءَ بِكَ هٰهُنَا ؟ فَقُلْتُ (٧) : جِئْتُ لِتَعِظِينِى ، فَقَالَتْ : وَاعَجَبَاهُ لِوَاعِظٍ يُوعَظُ ! ثُمَّ قالَتْ : ياعَبْدَ الوَاحِدِ ، اعْلَمْ أَنَّ العَبْدَ

---

(١) نثير : منثور .. وفى « ط » : نثر .

(٢) يخاطب « خَدَّهُ » قائلاً : إنك إن اتخذت لك فى الدنيا وسادة ناعمة ليِّنة فسوف تكون وسادتك بعد الموت حجارة صَمَّاء

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « صاعداً » بدل « صالحاً » .. فَامْهَدْ لِنَفْسِك : أى هيىء لِنَفْسِك فِراشاً من العمل الصالح فى الدنيا .

(٤) هو عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد .. شيخ الصوفية وواعظهم ، لحق الحسن البصرى وغيره ، وكان مجاب الدعوة ، وقيل : إنه صلى الغَداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، وله مواعظ وأحاديث ، وأُخِذَت عليه بعض المناكير ، ووَثَّقَهُ ابن معين .. توفى - رحمه الله - سنة ١٧٧ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧ ، والرسالة القشيرية ص ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ وغيرها ، وطبقات الأولياء ص ١٨٣] .

(٥) فى « م » : « خراب » بدل « جوانب » .. والأُبُلَّة : بَلْدَة على شاطىء دجلة بالبصرة .

(٦) هكذا فى « م » .. والْخَرِبَة وَالْخِرْبَة : موضع الخراب .. وفى « ط » : « خرابة » .

(٧) فى « م » : قلت .

إذا كانَ فى كِفايَةٍ ثُمَّ مَالَ إلَى الدُّنْيَا ، سَلَبَهُ اللهُ حَلاوَةَ الزُّهْدِ ، فَيَظَلُّ حَيْرَانَ وَالِهًا ، فَإنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ عِنْدَ اللهِ عاتَبَهُ وَحْياً فى سِرِّهِ ، فَقَالَ : عَبْدِى أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ قَدْرَكَ عِنْدَ مَلائِكَتِى وَحَمَلَةِ عَرْشِى ، وأَجْعَلَكَ دَلِيلاً لأَوْلِيَائِى وَأَهْلِ طَاعَتِى [فى أَرْضِى] فَمِلْتَ إلَى عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ [1] الدُّنْيَا وتَرَكْتَنِى ، فَوَرَّثْتُكَ بِذَلكَ الْوَحْشَةَ بَعْدَ الأُنْسِ ، وَالذُّلَّ بَعْدَ الْعِزِّ [والفَقْرَ بَعْدَ الغِنَى] [2] . عَبْدِى ، ارْجِعْ إلَى مَاكُنْتَ عَلَيْهِ أُرْجِعُ لَكَ ماكُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِكَ [قَالَ] [3] : ثُمَّ تَرَكْتَنِى وَوَلَّتْ عَنِّى ، وانْصَرَفْتُ عَنْهَا ، وبِقَلْبِى حَسْرَةٌ مِنْهَا . وَأَنْشَدُوا [4] :

إنَّكَ فى دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ   يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ العَامِلِ
أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا   يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الآمِلِ
تَعَجَّلُ الذَّنْبَ بِمَا تَشْتَهِى   وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ [5]
وَالْمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذَا غَفْلَةً   ما ذَا بِفِعْلِ الْحَازِمِ العَاقِلِ [6]

وَلَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ [7] الحِيرَةَ قِيلَ له : ها هُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ المُلُوكِ ،

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » .. وفى « م » : « غرض من أغراض الدنيا » بالغين المعجمة ، وكلاهما صواب ، فالغرض بالغين المعجمة : البُغْيَةُ والحاجة .. والعَرَضُ – بالعين المهملة : متاع الدنيا، قلَّ أو كثر .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٤) الأبيات وردت فى كتاب « أدب الدنيا والدين » للماوردى : قال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره ، فرأيته قائماً وبيده رقعة ، فقال : يامحمد ، أقرأت مافيها ؟ فقلت : هى فى يد أمير المؤمنين . فرمَى بها إلىَّ ، فإذا فيها مكتوب [وذكر الأبيات الأربعة] فلما قرأتها قال المأمون : هذا من أحكم شعر قرأته . [انظر أدب الدنيا والدين للماوردى – ط الدار المصرية اللبنانية ص ١٣٤] .

(٥) هكذا البيت فى « م » و« ط » .. وفى أدب الدنيا والدين : « تُعْجَلُ بالذَّنْبِ لِمَا تشتهى » .

(٦) ماذا : أى ما هذا .. والبيت فى المصدر السابق :

والموتُ يأتى بعد ذا « بغتة »   « ماذاك فِعْلُ » الحازم العاقل

(٧) هو : سعد بن أبى وقَّاص ، مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف القُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ ، أبو إسحاق ، الصحابى الأمير ، فاتح العراق ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عَيَّنَهُم عمر بن الخطاب للخلافة ، وأول من رَمَى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العَشَرة المُبَشَّرِينَ بالجَنَّةِ .. وُلِدَ سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وأسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدراً وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وافتتح القادسية ، ونزل أرض الكوفة فجعلها =

يُقَالُ لَها الحُرْقَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ المُنْذِرِ (١) ، وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِّ عَقَائِلِ (٢) العَرَبِ ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بِيْعَتِهَا نُشِرَتْ [عَلَيْهَا] (٣) أَلْفُ قَطِيفَةِ خَزٍّ (٤) ودِيبَاج ، وَمَعَها أَلْفُ وَصِيف وَوَصِيفَةٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ ، فَجَاءَتْ كَالشَّنِّ البَالِي (٥) ، فَقَالَتْ : ياسَعْدُ ، كُنَّا مُلُوكَ هَذَا المِصْرِ قَبْلَكَ ، يُجْبَى (٦) إِلَيْنَا خَرَاجُهُ ، ويُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ المُدَدِ ، حتَّى صَاحَ بِنَا صَائِحُ الدَّهْرِ ، فشَتَّتَ شَمْلَنَا (٧) ، وَالدَّهْرُ ذُو نوائِبَ وَصُرُوفٍ ، فَلَوْ رَأَيْتَنَا فى أَيَّامِنَا لأُرْعِدَتْ فَرَائِصُكَ [فَزَعاً] (٨) مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : ما أَنْعَمُ مَا تَنَعَّمْتُم بِهِ ؟ قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، وَكَثْرَةُ الأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

= خِطَطًا لقبائل العرب (شِبْه القطائع) وظل والياً عليها مدة خلافة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وأقرّهُ عثمان زمناً ثم عزله . توفى – رحمه الله – سنة ٥٥ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٦ – ٣٦٩ وغيرهما من المراجع] .

(١) هى : الحُرَقَة [أو حُرقه] بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس ، من بنى لخم ، شاعرة من بيت المُلْك فى قومها بالحيرة – على ثلاثة أميال من الكوفة – وقد نُسِبت إلى النعمان أربع بنات ، هن : هند : وحُرَقَة ، وحُرَيْقَة ، وعَنْقَفِير ، وتختلط أخبار هند بنت النعمان بحرقة ، وورد فى بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت أخته ، وذُكر أيضاً أن والدها النعمان زَوَّجَهَا من عَدِىِّ بن زيد ، وقد عاشت حتى أدركت الإسلام ، وكانت مُترهِّبَة ، فلم تقبل الدخول فيه ، وحتى رأت الدنيا كيف أدبرت عن أهلها .. ونظرت فى حالها بعد هلاك أبيها فذكرت ذلك فى شعرها – ومنه هذان البيتان المذكوران هنا – وذكر المسعودى أنها قالت ذلك لسعد بن أبى وقّاص ، يوم أتته فى جماعة من قومها .. وذكر القصة الواردة هنا . فأكرمها سعد ، وأحسن جائزتها .. توفيت ولها من العُمر تسعون سنة .

[انظر المُفَصَّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد على ، ج ٣ ص ٢٨٦ ومابعدها ، والأعلام ج ٢ ص ١٧٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٨ ، وأعلام النساء لكحالة ج ٥ ص ٢٥٩ – ٢٦٥] .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « قبائل » . والعقائل : جمع عقيلة ، وتُطلق على الزوجة الكريمة ، وسيدة القوم .

(٣) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « حرير » وهما بمعنى واحد .

(٥) كالشَّنِّ البالى : كالقِرْبَة المُتهالكة – كناية عن كِبَرِ سِنِّهَا .

(٦) هكذا فى « م » .. ويُجْبَى ، أى : يُجْمَعُ .. وفى « ط » : يُحملُ . والخَراج ، الإتاوَة أو الضريبة أو الجزية تُؤخَذُ من أَمْوَالِ الناسِ ، ويُؤَدُّونها كل سنة ، ولذلك سُمِّيَتْ خراجاً .

(٧) فى « م » : « مَلأَنَا » . والملأ : الجماعة ، ويُطْلَق على أشراف القوم وسراتهم أيضاً .

(٨) مابين المعقوفين عن « ط » . والفرائص : جمع فريصة ، وهى اللحم بين الكتف والصدر يرتعد عند الفزع .

وبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ والأَمْرُ أَمْرُنَا إذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ (١)
فَتَبًّا لِدُنْيَا لايَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ (٢)

ثُمَّ قَالَتْ : ياسَعْدُ ، إنَّهُ لَمْ ، يَكُنْ أَهْلُ بيْتٍ بِحَبْرَةٍ (٣) إلَّا والدَّهْرُ يَعْقُبُهُمْ عَبْرَةً ، حَتَّى يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ ، وَأَمَرَ بِرَدِّهَا ، فَلَمَّا أَرَادَتِ القِيَامَ قَالَتْ : ياسَعْدُ ، لَاأَزَالَ اللهُ عَنْكَ نِعْمَةً ، ولاجَعَلَ لَكَ إلَى لَئِيمٍ حَاجَةً ، ولاأَزَالَ عَنْ كَرِيمٍ نِعْمَةً ، وَلَا نَزَعَ (٤) عَنْ عَبْدٍ صَالِحٍ نِعْمَةً إلَّا جَعَلَكَ [اللهُ] سَبِيلاً إلَى رَدِّهَا عَلَيْهِ .

ولِبَعْضِهِمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالقَبْرَ مَسْكَنُهُ والبَعْثَ مَخْرَجُهُ (٥)
وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُـــهُ يَوْمَ الْقِيامَـةِ أَوْ نَارٍ سَتُنْضِجُـهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى به سَمِجٌ ومَا أَقَامَ عَلَيْهِ فَهْوَ أَسْمَجُـهُ (٦)
تَرَى الَّذِى اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَناً لَمْ يدْرِ أَنَّ المَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ (٧)

وَرُوِىَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ يَسِيحَانِ ، فَأَصَابَهُمَا الْجُوعُ ، وقَدِ انْتَهَيَا إلَى قَرْيَةٍ ، فَقَالَ عِيسَى لِصَاحِبِهِ : انْطَلِقْ فَاطْلُبْ لَنَا طَعَاماً مِنْ هٰذِهِ القَرْيَةِ ، وقَامَ عِيسَى يُصَلِّى ، فَجَاءَ [الرَّجُلُ] (٨) بِثَلَاثَةِ أَرْغِفَةٍ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ [انْصِرَافُ] (٩) عِيسَى ،

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » . وفى رواية : « فينا » بدل « وبينا » . و « نتنصَّفُ » بدل « ليس نُنصَفُ » وهى بمعناها ، أى : نطلب الإنصاف . والسوقة : العامّة وسواد الناس .

(٢) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى رواية : « فأُفٍّ » بدل « فَتَبًّا » والتَّبُّ : الخُسْران والهلاك .

(٣) هكذا « م » .. وفى « ط » : « خير » بدل « بحَبْرَة » ، والحبرة : السرور والنعمة . وفى رواية : « ليس من قوم بسرور وحبرة ، إلّا والدهر معقبهم حسرة » .

[انظر أعلام النساء ج ٥ ص ٢٦٢ – حاشية] .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ولا أزال » ومابين المعقوفين عن « ط » .

(٥) فى « ط » : « يدركه » بدل « مُدْرِكه » .

(٦) فى « ط » : « منه » بدل « فهو » . والسَّمِجُ : القبيح .

(٧) فى « ط » : « وطناً » بدل « سكناً » .

(٨) مابين المعقوفين عن : ط » .

(٩) مابين المعقوفين عن « ط » .

فَأَكَلَ رَغِيفاً ، فَانْصَرَفَ عِيسَى فَقَالَ : أَيْنَ الرَّغِيفُ الثَّالِثُ ؟ فَقَالَ : ما كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ، قَالَ : فَمَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا (١) حَتَّى مَرَّا بِظِبَاءٍ [تَرْعَى] (٢) فَدَعَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَبْياً مِنْهَا فَذَكَّاهُ (٣) فَأَكَلَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلظَّبْي : قُمْ بِإِذْنِ اللهِ ، فَإِذَا هُوَ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللهِ ! فَقَالَ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٤) بِالَّذِى أَرَاكَ هٰذِهِ الآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرَّغِيفِ ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ (٥) . قَالَ : فَمَضَيَا عَلَى وُجُوهِهِمَا (٦) فَمَرَّا بِنَهْرٍ عَجَّاجٍ [عَظِيمٍ] (٧) ، فَأَخَذَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ ، فَمشَى بِهِ عَلَى المَاءِ حَتَّى جَاوَزَ المَاءَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللهِ ! فقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِالَّذِى أَرَاكَ هٰذِهِ الآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرَّغِيفِ [الثَّالِثِ] (٨) ؟ قال : مَاكَانَا إِلَّا اثْنَيْنِ . فَخَرجَا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً عَظِيمَةً خَرِبةً ، وإذا قَرِيبٌ مِنْهَا لَبِنٌ ثَلاثٌ (٩) مِنْ ذَهَبٍ ، [فَقَالَ الرَّجُلُ : هٰذَا مَالٌ] فَقَالَ [عيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَجَلْ هَذَا مَالٌ ، وَاحِدَةٌ لِى ، وَوَاحِدةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ لِصَاحِبِ الرَّغِيفِ . فَقَالَ : [الرَّجُلُ] (١٠) : أَنَا صَاحِبُ الرَّغِيفِ ! فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : هِىَ لَكَ كُلُّهَا . فَفَارَقَهُ وَأَقَامَ (١١) عَلَيْهَا ، لَيْسَ مَعَهُ مَايَحْمِلُها عَلَيْهِ ، فَمَرَّ به [ثَلاثَةُ] (١٢) نَفَرٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا اللَّبِنَ ،

---

(١) هكذا فى « م » و « ط » .. والصواب : وجْهَيْهِمَا

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) هكذا فى « ط » .. وَذَكَّاهُ : ذبحه . وفى « م » : « فَذَبَحُوه فَأَكَلُوا منه » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » وفيها : « قال » بدل « فقال » .

(٥) فى « ط » : « اثنين » بدل « رغيفين » .

(٦) هكذا فى « م » و « ط » .. والصواب : وَجْهَيْهِما .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ط » ، نهر عَجَّاج ، بالتشديد ، أى : ثائر ، أو : لِمَائِهِ صوت .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .. وبعدها : « فقال » .

(٩) اللَّبِنُ : المضروب من الطين يُبْنَى به دون أن يُطْبَخ ، الواحدة : لَبِنَة .. وفى « م » : « ثلاثة » . ومابين المعقوفتين بعدها – الأولى – عن « ط » .. والأخرى عن « م » وبهذا يستقيم المعنى .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « م » فى الموضعين .

(١١) فى « ط » : « فأقام » .

(١٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .

فَقَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِوَاحِدٍ : انْطَلِقْ إِلَى القَرْيَةِ فَأْتِنَا بِطَعَامٍ ، فَذَهَبَ ، فَقَالَ أَحَدُ البَاقِيَيْنِ [لِلآخَرِ] (١) : تَعَالَ نَقْتُلْ هٰذَا إِذَا جَاءَ وَنَقْسِمْ هَذَا بَيْنَنَا ، قَالَ الآخَرُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الَّذِى (٢) ذَهَبَ يَشْتَرِى الطَّعَامَ (٣) : أَجْعَلُ فِى الطَّعَامِ سُمًّا فَأَقْتُلُهُمَا وَآخُذُ اللَّبِنَ ! فَفَعَل ، فَلَمَّا جَاءَ قَتَلَاهُ ، وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِى جَاءَ بِهِ فَمَاتَا ، فَمَرَّ بِهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَوْلَهَا مَصْرُوعُونَ (٤) فَقَالَ : هَكَذَا تَفْعَلُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا .

وَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ (٥) : — رَأَيْتُ فِى هٰذَا القَصْرِ عَجَباً : رَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ (٦) عَلَى ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ زِيَادٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٢) فى « م » : « لِلَّذِى » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) هكذا فى « م » على أنها خبر .. وفى « ط » : « مُنصَرِعين » على أنها حال .

(٥) هو : عبد الملك بن عمير اللَّخْمى الكوفى ، وكنيته أبو عمرو [وفى الميزان : عمر – خطأ] القِبْطِى القَرَسِى ، عُرِفَ بذلك لِفَرسٍ كان له اسمه القبطى .. من مشاهير التابعين وثقاتهم ، ولِىَ قضاء الكوفة بعد الشعبى ، وطال عمره حتى تجاوز المائة بثلاث سنين ، وتوفى – رحمه الله – سنة ١٣٦ هـ .

[انظر ترجمته فى المعارف لابن قتيبة ص ٤٧٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٦٠ ، ٦٦١] .

(٦) هو : الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى القُرشى ، أبو عبد الله ، السبط الشهيد ، ابن فاطمة الزهراء ، ولد فى المدينة سنة ٤ هـ ، ونشأ فى بيت النُّبُوَّة ، وإليه يُنْسَبُ كثير من الحُسَيْنِيين ، ولمَّا مات معاوية وخلَّفه ابنه يزيد تخلف الحسين عن مبايعته ، ورحل الى مكة فى جماعة من أصحابه ، فأقام فيها أشهراً ، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها ، على أن بايعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم فى جيش مُتَهَيِّئ للوثوب على الأمويين ، فأجابهم ، وخرج من مكة فى مواليه ونسائه وذراريه ، ونحو الثمانين من رجاله ، وعَلِمَ يزيد بخروجه ، فوَجَّه إليه جيشاً اعترضه فى كربلاء (بالعراق قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أُصيب فيه الحسين بجراح شديدة ، وسقط عن فرسه ، فقتله « سنان بن أنس النَّخَعِىّ » وقيل : « شمر بن ذى الجوشن » سنة ٦١ هـ وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق ، عاصمة الأمويين ، فتظاهر « يزيد » بالحزن عليه .

واختلفوا فى الموضع الذى دُفِنَ فيه الرأس ، فقيل : فى دمشق ، وقيل : فى كربلاء مع الجثة ، وقيل : إن يزيد بعث برأس الحُسين إلى عمرو بن سعيد ، نائب المدينة ، فدفنه عند أُمّه بالبقيع ، وقيل غير ذلك ، فتعددت المراقد ، وتعذرت معرفة مدفنه .

[انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢ – ٢١٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٦ – ٣٠٢ ، وتاريخ الطبرى ج ٥ ص ٣٨٢ – ٤٦٧ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٢ ص ٢٤٣] .

ابْنِ زِيَادٍ [١] بَيْنَ يَدَيِ الْمُخْتَارِ ، [٢] ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيْ

---

(١) هو : عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكان خصومه يدعونه : ابن مرجانة ، وهى أُمُّه ، والٍ فاتح من الشجعان ، وخطيب ، وُلد بالبصرة سنة ٢٨ هـ ، وكان مع والده لما مات بالعراق ، فقصد الشام ، فولّاه عمه معاوية « خراسان » سنة ٥٣ هـ فتوجَّه إليها ، ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، ففتح « راميثن » ونصف « بيكند » ، وقال أحد من كانوا معه : « مارأيت أشد بأساً من عبيد الله : لَقِينَا زَحْفٌ من التُّرك ، فرأيته يقاتل ويحمل عليهم ، فيطعن فيهم ويغيب عنا ، ثم يرفع رايته تقطر دماً » .

وأقام بخراسان سنتين ، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج واشتد عليهم . وبعد وفاة معاوية أقَرَّهُ يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب إليه : « بلغنى أن الحسين بن على قد توجَّه إلى العراق ، فَضَعِ المناظر والمسالح ، واحترس على الظن ، وخذ على التهمة ، غير ألَّا تقاتِلَ إلَّا مَنْ قاتلك ، واكتب إلىَّ فى كل مايحدث » فكانت الفاجعة بمقتل الحسين ، رضى الله عنه ، فى أيامه ، وعلى يده – كما مر بنا – ولما توفى « يزيد » سنة ٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فهرب إلى الشام ، وأقام مُدَّة قليلة ، ثم عاد يريد العراق ، فلحق به إبراهيم بن الأشتر فى جيش يطلب ثأر الحسين ، فاقتتلا ، وتفرّق أصحاب عبيد الله ، فقتله ابن الأشتر ، وذلك على شاطئ نهر الخازر ، قريباً من الموصل بخمس مراحل ، سنة ٦٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٣ ، والكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٣٧٧ – ٣٨٢ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٨١ ومابعدها و٨٦ – ٩٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٦ – ٢٨٩ وغيرها] .

(٢) المختار : هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، أبو إسحاق ، وُلد فى السنة الأولى للهجرة ، وكان من زعماء الثائرين على بنى أُمية ، وأحد الشجعان الأفذاذ ، من أهل الطائف ، انتقل منها إلى المدينة مع أبيه فى زمن عمر ، وتوَجَّه أبوه إلى العراق ، فاستُشْهِدَ يوم الجسر ، وبقى المختار فى المدينة منقطعاً إلى بنى هاشم ، وتزوَّج عبد الله بن عمر ابن الخطاب أخته « صفية بنت أبى عبيد » ثم كان مع علىٍّ بالعراق ، وسكن البصرة بعد علىٍّ ، ولَمَّا قُتِل الحسين سنة ٦١ هـ انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجَلَدهُ وحبسه ، ونفاه – بشفاعة ابن عمر – إلى الطائف ، ولمَّا مات « يزيد » بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، وقام عبد الله بن الزبير فى المدينة بطلب الخلافة ، ذهب إليه المختار وعاهده ، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نُمَيْر ، ثم استأذنه فى التَّوجُّه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ، ووصَّى عليه ، غير أنه كان أكبر همِّه – منذ دخل الكوفة – أن يقتل من قاتلوا « الحسين » وقتلوه ، فدعا إلى إمامة « محمد بن الحنفية » وقال إنه استخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سِرًّا ، فخرج بهم على والى الكوفة « عبد الله بن مطيع » فغلب عليها واستولى على الموصل ، وعظم شأنه ، وتتبع قَتَلَة الحسين ، فقتل منهم « شَمِر بن ذى الجَوْشَن » الذى باشر قتل الحسين ، و« خَوْلى بن يزيد » الذى سار برأسه إلى الكوفة ، و« عمر بن سعد بن أبى وقَّاص » أمير الجيش الذى حاربه ، ثم أرسل « إبراهيم بن الأشتر » فى عسكر كثيف إلى « عبيد الله بن زياد » الذي جهز الجيش لحرب الحسين ، فقتل « ابن زياد » وقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع فى تلك الجريمة .. وشاعت فى الناس أن « المختار » ادَّعى النبوة ونزول الوحى عليه .. وعمل « مصعب بن الزبير » وهو أمير البصرة على خضد شوكة « المختار » فقاتله .. ونشبت وقائع انتهت بحصر « المختار » فى قصر الكوفة وقتله ومن كانوا معه سنة ٦٧ هـ .

[انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٩٠ – ٢٩٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٨ ومابعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٧ – ٣٨٨ ، والأعلام ج ٧ ص ١٩٢] .

مُصْعَبِ (١) بْنِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَيْنَ يَدَىْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٢) .

وَقَالَ الأَصْمَعِىُّ (٣) : لَمَّا زَخْرَفَ الرَّشِيدُ (٤) مَجَالِسَهُ ، وَتَحَرَّمَ

---

(١) فى « ط » : « المصعب » بالألف واللام فى الموضعين ، والمشهور بغيرهما ، وهو : مصعب بن الزبير بن العوام ابن خويلد الأسدى القُرشى ، أبو عبد الله ، أحد الولاة الأبطال فى صدر الإسلام ، وُلد سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى فى تثبيت مُلكه بالحجاز والعراق ، وولَّاه عبد الله البصرة سنة ٦٧ هـ ، فقصدها وضبط أمورها وقتل المختار الثقفى ، ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعاده فى أواخر سنة ٦٨ هـ ، وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستهما . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسيَّر إليه الجيوش ، فكان مصعب يتغلب عليها ، حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعباً قُوَّادُ جيشه وأصحابه ، فثبت فيمن بقى معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، فعرض عليه الأمان وولاية العراقين مادام حياً ، ومليونَىْ درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأَبَى « مصعب » فشد عليه جيش عبد الملك فى وقعة عند دير الجاثليق ، وطعنه زائدة بن قيس السعدى - أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان - فقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك سنة ٧١ هـ ، وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام ،

[انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٥ - ١٠٨ ، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٩٣ ومابعدها ، والكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٩ وغيرها من الصفحات ، والأعلام ج ٧ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨] .

(٢) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكَم بن أبى العاص بن أمية القرشى ، أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم ، وُلد سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس فى بلاد الروم سنة ٤٢ هـ .. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعُبَّاد والصالحين ، وكان فقيهاً واسع العلم ، انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان جباراً على معانديه ، قوى الهيبة ، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابنى الزبير فى حربهما مع الحجاج الثقفى ، ونُقلت فى أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، وهو أول مَن صك الدنانير فى الإسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدراهم ، ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه ابنه الوليد فبكى ، فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ أتحِنُّ حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنا متُّ فَشَمِّرْ وَاتَّزِرْ ، والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها .. توفى - رحمه الله - بدمشق فى النصف من شوال سنة ٨٦ هـ ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة .

[البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٦ - ٧٣ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٨٨ - ٣٩١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٥] .

(٣) سبق التعريف به .

(٤) هو : هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى ، أبو جعفر ، خامس الخلفاء العباسيين فى العراق وأشهرهم ، وُلد بالرى سنة ١٤٩ هـ ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان ، ونشأ فى دار الخلافة فى بغداد ، بُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه « الهادى » سنة ١٧٠ هـ ، وازدهرت الدولة فى أيامه ، واتصلت المَوَدَّة بينه وبين « شارلمان » ملك فرنسا ، فكانا يتهاديان التحف وغيرها .. وكان الرشيد عالماً بالأدب ، وأخبار العرب ، والحديث ، =

فِيهَا (١) وزَوَّقَهَا ، وَصَنَعَ فيها طَعَاماً كَثيرًا ، أُرْسَلَ إِلَى أَبي الْعَتَاهِيَةِ ، وَقَالَ : صِفْ لَنَا مَانحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هٰذِهِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ :

عِشْ مَابَـدَا لَكَ آمِنـاً ... فِى ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصـ ... ور (٢)

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْـ ... ـتَ لَدَى الرَّوَاحِ وفى الْبُكـ ... ور (٣)

وَإِذَا النُّفُـوسُ تَقَعْقَـعَتْ ... فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّد ... ور (٤)

فَهُنَـاكَ تَعْلَـمُ مُوقِنـاً ... مَاكُـنْتَ إِلَّا فِي غُرُور

فَبَكَى هَارُونُ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى (٥) : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسُرَّهُ فَأَحْزَنْتَهُ ! فَقَالَ هَارُونُ : دَعْهُ ، فَإِنَّهُ رَآنَا فِي ضَلَالَةٍ وَعَمًى ، فَكَرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا عَمًى .

= والفقه ، وكان فصيحاً ، وله شعر أورده صاحب الديارات ، ومحاضرات مع علماء عصره .. وكان شجاعاً كثير الغزوات ، ويُلَقَّب بجبَّار بنى العباس ، وكان حازماً كريماً متواضعاً ، يحج سنة ويغزو سنة ، ولم يُرَ خليفة أجود منه ، وأخباره كثيرة جدًّا . كانت مدة ولايته ٢٣ سنة وشهرين .. توفى فى « سناباذ » من قرى « طوس » سنة ١٩٣ هـ وبها قبره .

[الاعلام ج ٨ ص ٦٢ ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥ - ١٣ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٤ وغيرها ، والكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٨٢ ، و١٢٩ - ١٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٨٦ - ٢٩٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٣٤ ومابعدها ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٧٦] .

(١) تحرَّم فيها : تحمَّى وتمنَّع

(٢) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » والديوان : « سالماً » بدل « آمناً » .

(٣) فى الديوان : « أو » بدل « وفى » .

(٤) تَقَعْقَعَتْ : تحركت واضطربت وأحدثت صوتاً . وكذلك : قَعْقَعَ السلاح : أحدث صوتاً عند تحريكه . وحَشْرَجَ : رَدَّدَ نَفَسَهُ فى حلقه ، ويُقال : حشرج المُحْتَضِرُ عند الموت ، وحشرجت روحه في صدره ، أى : أوشك أن يموت .

(٥) هو : الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ، وزير هارون الرشيد ، وأخوه فى الرضاع .. وُلد سنة ١٤٧ هـ ، وكان من أجود الناس ، استوزره الرشيد مُدَّة قصيرة ، ثم ولَّاه « خراسان » سنة ١٧٨ هـ ، فَحَسُنَتْ فيها سيرته ، قام إلى أنْ فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٧٨ هـ ، وكان الفضل عنده ببغداد ، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى ، وأخذهما معه إلى « الرقة » فسجنهما ، وأجرى عليهما الرزق ، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافة . وتوفى الفضل فى سجنه بالرقة فى المحرم سنة ١٩٣ هـ ، قال عنه ابن الأثير : « كان الفضل من محاسن الدنيا .. لَمْ يُرَ فى العالم مثله » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٧ - ٣٦ ، والطبرى ج ٨ ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، وص ٣٤١ وغيرها] .

ويُرْوَى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ [١] لَبِسَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ ، وَمَسَّ أَطْيَبَ طِيبِهِ ، وَنَظَرَ فى مِرْآتِهِ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ! وَخَرَجَ إِلَى الجُمُعَةِ ، وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنِ ؟ فَقَالَتْ [٢] :

أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ للإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ ... عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِى

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوْتُهُ يُسْمِعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ ، فَرَكِبَتْهُ الْحُمَّى ، فَلَم يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَايَسْمَعُهُ [٣] مَنْ حَوْلَه ، فصَلَّى وَرَجَعَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَسْحَبُ رِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : مَا الَّذِى قُلْتِ لِى فِى صَحْنِ الدَّارِ [وَأَنَا خَارِجٌ] ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُكَ ولا قُلْتُ [لَكَ] [٤] شَيْئًا ، وَأَنَّى لِى بِالْخُرُوجِ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ؟ فَقَالَ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، نُعِيَتْ إِلَىَّ نَفْسِى ، ثُمَّ عَهِدَ عَهْدَهُ ، وَأَوْصَى وَصِيَّتَهُ ، فَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فى قَبْرِهِ

وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِى يَزَن [٥] :

مَنْ كَانَ لا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ ... وَطِئَ التُّرَابَ بِصَفْحَةِ الْخَدِّ [٦]
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فى التُّرَابِ وَبَيْنَهُ ... شِبْرَانِ كَانَ بِغَايَةِ البُعْدِ
لَوْ بُعْثِرَتْ لِلنَّاسِ أَطْبَاقُ الثَّرَى ... لَمْ يُعْرَفِ الْمَوْلَى مِنَ العَبْدِ

---

(١) سبق التعريف به .
(٢) الشعر لموسى بن يسار ، مولى بنى تيم من قريش .
[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١ – دار الكتب العلمية] .
(٣) فى « ط » : سمعه .
(٤) مابين المعقوفتين عن « م » فى الموضعين وساقط من « ط » .
(٥) سبقت ترجمته .
(٦) فى « ط » : « بناعِمِ » بدل « بصفحة » ، وصفحة الخد : جانبه .

وَقَالَ الهَيْثَمُ بْنُ عَدِىٌّ [1] : وجَدُوا غَارًا فى جَبَلِ لُبْنَانَ زَمَانَ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ [2] ، وفِيهِ رَجُلٌ مُسَجًّى عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالرُّومِيَّةِ : أَنَا سَبَأُ بْنُ نُوَاسِ بْنِ سَبَإٍ ، خَدَمْتُ عِيصُو بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ

---

(١) هو : الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى البحترى الكوفى ، أبو عبد الرحمن ، ولد فى سنة ١١٤ هـ ، وكان مؤرخاً وعالماً بالأدب والنسب ، وأصله من « منبج » ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير ، واختص بمجالسة المنصور والمهدى والهادى والرشيد ، وروى عنهم . وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم ، فأورد فى بعض كتبه معايبهم وأظهرها ، فكُرِهَ لِذلك وطُعِنَ فى نسبه ، وقيل فيه :

إذا نَسَبْتَ عَدِياً فى بنى ثُعَلٍ فَقَدِّمِ الدَّالَ قبل العين فى النسب

ونُقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشىء ، فَحُبِسَ عدة سنين . قال ابن قتيبة وغيره عنه : إنه كان يرى رأى الخوارج . وهو عند بعض علماء الحديث من المدلِّسين ومن غير الثقات . وله الكثير من المصنفات والتآليف ، منها كتاب المثالب ، و كتاب المُعَمَّرين ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أُمَيَّة ، وكتاب من تزوج من الموالى فى العرب ، وخطط الكوفة ، وطبقات الفقهاء والمحدثين ، وتاريخ الأشراف الصغير ، و كتاب النوادر ، وغيرها . توفى فى « فم الصلح » قُرب واسط سنة ٢٠٧ هـ وقيل سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٤ و١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٦ - ١١٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٣٧ - ٥٣٩ ، وكتاب الضعفاء الصغير للامام البخارى ص ٢٤٧ ، وكتاب الضعفاء الكبير لأبى جعفر العقيلى ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وطبقات المدلسين لابن حجر العسقلانى ص ٨٦ ، وطبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٦ و ٣٤٧ وغيرهما من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥٠ - ٥٤]

(٢) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، ولد سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فوَجَّه القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وامتدت فى زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقاً ، وكان ولوعاً بالبنيان والعمران ، وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام لكُل مُقْعَد خادماً ، ورتَّب للقرَّاء أموالا وأرزاقاً ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوى إليها الغرباء . وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديداً ، وصَفَّح الكعبة والميزاب فى مكة ، وبنى المسجد الأقصى ، ومسجد دمشق الكبير ، المعروف بالجامع الأموى ، وكان نقش خاتمه « ياوليد إنك ميت » .. توفى - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ ، ودُفِن بدمشق ، ومُدة خلافته ٩ سنين و ٨ أشهر .

[الأعلام ج ٨ ص ١٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٤٢٣ وغيرها] .

[الرَّبُّ] الدَّيَّانِ [المَلِكِ] [١] الأَكْبَر ، وَعِشْتُ بَعْدَهُ عُمْرًا طَوِيلًا ، وَرَأَيْتُ عَجَبًا كَثِيرًا ، ولَمْ أَرفِيمَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ غَافِلٍ عَنِ المَوْتِ ، وَهُوَ يَرَى مَصَارِعَ آبائِهِ ، وَيَقِفُ عَلَى قُبُورِ أَحْبَابِهِ [٢] ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ لا يَتُوبُ ، وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الأَجْلَافَ الْجُفَاةَ سَيُنْزِلُونَنِي عَنْ سَرِيرِي وَيَتَمَوَّلُونَهُ [٣] وذلِكَ حِينَ يَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ ، وَتَتَأَمَّرُ الصِّبْيَانُ ، وَيَكْثُرُ الحِدْثَان [٤] فَمَنْ أَدْرَكَ هٰذَا الزَّمَانَ عَاشَ قَلِيلًا ، وَمَاتَ ذَلِيلًا .

وَيُرْوَى أَنَّ الإِسْكَنْدَرَ مَرَّ بِمَدِينَةٍ قَدْ مَلَكَهَا أَمْلَاكٌ سَبْعَةٌ وَبَادُوا ، فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ مِنْ نَسْلِ الأَمْلَاكِ الَّذِينَ مَلَكُوا هَذِهِ الْمَدِينَةَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ يَكُونُ فِى الْمَقَابِرِ . فَدَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ [٥] : مادَعاكَ إِلَى لُزُومِ الْمَقَابِرِ ؟ فَقَالَ [٦] : أَرَدْتُ أَنْ أَعْزِلَ عِظَامَ الْمُلُوكِ مِنْ عِظَامِ عَبِيدِهِمْ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ سَوَاءً . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتْبَعَنِي فَأُحْيِي بِكَ شَرَفَ آبَائِكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ ؟ قَالَ : إِنَّ هِمَّتِي لَعَظِيمَةٌ إِنْ كَانَتْ بُغْيَتِي عِنْدَكَ . قَالَ : وَمَابُغْيَتُكَ ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لا مَوْتَ فِيهَا ، وَشَبَابٌ لا هَرَمَ فِيهِ ، وَغِنًى لا يَتْبَعُهُ فَقْرٌ ، وَسُرُورٌ لا يُغَيِّرُهُ [٧] مَكْرُوهٌ . قَالَ : مَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا . قَالَ : فَانْفُذْ لِشَأْنِكَ وَخَلِّنِي [٨] أَطْلُبُ بُغْيَتِي مِمَّنْ هِيَ عِنْدَهُ ! فَقَالَ الإِسْكَنْدَرُ : هَذَا أَحْكَمُ مَنْ رَأَيْتُ .

وَرُوِيَ فِى الإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَمَا هُوَ فِى بَعْضِ سِيَاحَتِهِ إِذْ مَرَّ بِجُمْجُمَةٍ نَخِرَةٍ [٩] فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَارُوحَ اللهِ ، أَنَا « بَلْوَامُ بْنُ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » فى الموضعين .
(٢) فى « ط » : « قبر أحِبَّائه » .
(٣) فى « ط » : « سينزلونى » .. والأجلاف : جمع جِلْف ، ويُطلق على الأحمق والغليظ الجافى . ويتموَّلونه : يقتنونه ، أى : يأخذون سريره المصنوع من الذهب قُنْيَةً لهم بعد موته .
(٤) تتأمّر الصبيان : يصيرون أُمَرَاء . و الحِدْثان : صغيرو السِّنّ .
(٥) سقطت « له » من « م » .
(٦) فى « ط » قال .
(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « يعتريه » أى : يُلِمُّ به .
(٨) انفذ لشأنك أى : امضِ لحالك . وخَلِّنى : دَعْنى . وفى « م » : « حتى » بدل « خَلِّنى » .
(٩) نَخِرَة : بالية مُفَتَّتة .

حَفْصٍ » مَلِكُ الْيَمَنِ ، عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَوُلِدَ لِي أَلْفُ ذَكَرٍ ، وَافْتَضَضْتُ أَلْفَ بِكْرٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ عَسْكَرٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَافْتَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، فَمَنْ رَآنِي فَلَا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْنِي ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا كَحُلْمِ نَائِمٍ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَادَ أَهْلُهُ ، وَأَقْفَرَتْ سَاحَتُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهِدْتُهُمُ ... يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مُذْ كَانُوا وَبِالذِّمَمِ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ دِيَارٌ كَانَ يُطْرِبُهَا ... تَرَنُّمُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نُوحٍ [١] : نَزَلَ حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ شِعْبًا [٢] مِنْ شِعَابِ الْيَمَنِ ، فَتَشَاحَنُوا فِيهِ وَاخْتَلَفُوا ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ ، فَإِذَا صَائِحٌ [٣] يَصِيحُ : يَا هَؤُلَاءِ ، عَلَى رِسْلِكُمْ .. عَلَامَ الْقِتَالُ [فِيَّ] ؟ [٤] فَوَاللهِ لَقَدْ مَلَكَنِي سَبْعُونَ أَعْوَرَ ، كُلُّهُمْ اسْمُهُ عَمْرٌو .

أَيُّهَا [٥] الرَّجُلُ ، اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ [٦] ، وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ ، وَكَيْفَ بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا ، وَأُنْسِئَتْ لَهُمُ الْآجَالُ [٧] ، وَأُفْسِحَ [٨] لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآمَالِ ، وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ ، كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ [٩] الْمَنُونُ ، وَاخْتَدَعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وقد ورد اسمه فى حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٨ وفيه : « حدثنى حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبى نوح قال ... » .. ولم أقف على ترجمة مفصلة له .. وفى « م » نوزل » مكان « نزل » تحريف .

(٢) الشِّعْب ، بكسر الشين المشددة وسكون العين المهملة : الطريق ، وقيل : الطريق فى الجبل ، أو الانفراج بين الجبلين ، والجمع : شِعاب .

(٣) فى « م » : « بِصَائِح » .. وعَلَى رِسْلِكُمْ أى : اتَّئِدُوا ولا تَعْجَلُوا .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) فى « م » : يا أيها .

(٦) اعتبِرْ : أى خُذْ منهم عِبْرَة وعِظَة . والأقيال : جمع قَيْل ، وكان يُطلق على ملوك اليمن فى الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

(٧) أُنسِئَتْ لَهُم الآجال : أى أُخِّرَ مَوْتُهم ، أو : عاشوا طويلاً .

(٨) فى « ط » : وانفسح .

(٩) بِكَلْكَلِهِ : بصَدْرِهِ . وقد يُستعار – الكلكل – لِمَا ليس بجسم ، مثل قول أعرابية ترثى ابنها :

« أَلْقَى عليه الدهر كَلْكَلَهُ ... مَنْ ذا يقوم بكلكل الدهر »

وفى « م » : « كلكله » بدون باء .. والمنون : الموت .

الدَّهْرُ الْخَؤُونُ ، وَأُسْكِنُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ ، وَعَادَ الْعَيْنُ أَثَرًا [١] ، وَالْمُلْكُ خَبَرًا [٢] ، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ ، وَبَقِىَ كَدَرُهُ ، فَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ [٣] ، كَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ خَامِلاً ، وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاظِرًا ، وَكَأَنَّ الْغَيَّ أَصْبَحَ ضَاحِكًا ، وَأَدْبَرَ الرُّشْدُ [٤] بَاكِيًا ، وَكَأَنَّ الْعَدْلَ أَصْبَحَ غَائِلاً ، وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ غَالِبًا [٥] ، وَكَأَنَّ الْعَقْلَ أَصْبَحَ مَدْفُونًا ، وَالْجَهْلَ مَنْشُورًا ، وَكَأَنَّ اللُّؤْمَ أَصْبَحَ بَاسِقاً ، وَالْكَرَمَ خَاوِياً [٦] ، [وَكَأَنَّ الْوُدَّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا ، وَالْبَغْضَاءَ مَوْصُولَةً] [٧] ، وَكَأَنَّ الْكَرَامَةَ قَدْ سُلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَنُوجِىَ [٨] بِهَا الأَشْرَارُ ، وَكَأَنَّ الْخِبَّ [٩] أَصْبَحَ مُسْتَيْقِظًا ، وَالْوَفَاءَ نَائِمًا ، وَكَأَنَّ الْكَذِبَ أَصْبَحَ مُثْمِرًا ، وَالصِّدْقَ مَاحِلاً [١٠] ، وَكَأَنَّ الأَشْرَارَ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ [١١] ، وَأَصْبَحَ الأَخْيَارُ يَرِدُونَ بَطْنَ الأَرْضِ . أَمَا تَرَى الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ الطَّالِبِ ، وَتُدْبِرُ إِدْبَارَ الْهَارِبِ ، وَتَصِلُ وِصَالَ الْمَلُولِ ، وَتُفَارِقُ فِرَاقَ الْعَجُولِ [١٢] ، فَخَيْرُهَا يَسِيرٌ ، وَعَيْشُهَا قَصِيرٌ ، وَإِقْبَالُهَا خَدِيعَةٌ ، وَإِدْبَارُهَا فَجِيعَةٌ ،

---

(١) العين : الحاضر من كل شيء .. والأثر : العلامة ، أو مايخلفه السابقون . يريد : أنهم صاروا ماضياً لاذِكْرَ لهم .

(٢) فى « م » : خَرِباً .

(٣) التُّحْفَة : الطُّرْفَة . وفى الحديث : « تُحْفَةُ المؤمنِ المَوْتُ » ، أى : مايصيب المؤمنَ فى الدنيا من الأذَى ، وماله عند الله من الخير ، الذى لايصل إليه إلّا بالموت . ويُشْبِهه الحديث الآخر : « الموتُ راحة المؤمن » .
[انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ مادة « تحف » ، وانظر اللسان المادة نفسها] .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « الغبِى » بدل « الغَىّ » وفيها : « والرشيد باكياً » بدون أدبر .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وكأنَّ العدل أصبح غائراً وأصبح الجَوْرُ غالياً » .. والغالى : خلاف الرخيص .. وغائلا ، أى : فساداً وشرًّا .

(٦) باسقاً : له مكانة عالية .. والكرم خاوياً : لامَنْزِلَةَ له بين الناس .. وفى « م » : « داوياً » بدل « خاوياً » أى : هالكاً .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٨) نوجى بها الأشرار ، يعنى : يناجى بعضهم بعضاً بها ، أو لازمتهم واستولوا عليها .. وفى « ط » : « وتُوُخِّىَ » بدل « ونُوجِىَ » وهى بمعنى : وَقُصِدَ .

(٩) الخِبُّ : الخِدَاعُ والغِشُّ . وفى الحديث : « لايدخل الجنة خِبٌّ ولا خائن » أى : خادع غشاش ، بفتح الخاء وكسرها .

(١٠) ماحلاً : مُجْدِباً لاخير فيه .. وفى « م » : « قاحلاً » وهى بمعناها .

(١١) يسامون السماء : يُطَاوِلُونها .

(١٢) المَلُول : السريع المَلَل .. وفى « م » : « الملوك » بالكاف .. والعَجُول : المُسْرِعَة .

وَلَذَّاتُهَا فَانِيَةٌ ، وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةٌ ، فَاغْتَنِمْ غَفْوَةَ الزَّمَانِ ، وَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الإِمْكَانِ ، وَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ ، وَلَا تُنَافِسْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِى خَفْضِ عَيْشِهِمْ ، وَلِينِ رِيَاشِهِمْ [١] ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ ظَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ [٢] .

قَالَ الشَّاعِرُ [٣] :

رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ   عَدِمَتْهُ عَيْنُ مُغْتَرِسِهْ [٤]
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْتَمُهُ   أَقْرَبُ الأَشْيَاءِ مِنْ عُرُسِهْ

وَقَدْ قَالَ التِّهَامِىُّ [٥] :

تُنَافِسُ فِى الدُّنْيَا غُرُورًا وَإِنَّمَا   قُصَارَى غِنَاهَا أَنْ تَئُولَ إِلَى الْفَقْرِ [٦]

---

(١) الخَفض : الدَّعة وسعة العيش .. ولين الرياش : الناعم والفاخر من اللِّباس والأثاث .

(٢) الظَّعْنُ : الرحيل ، ويعنى به رحيلهم عن الدنيا .. والمُنْقَلب : العاقبة والمآل .

(٣) هو : سليمان بن مسلم بن الوليد ، الشاعر الضرير ، وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغوانى ، المشهور .. كان كأبيه شاعراً مُجيدًا ، وكان ملازماً لبشَّار بن بُرْد يأخذ عنه ، ولذا كان مُتَّهَماً بدينه – وقال الجاحظ : إنه أخو مسلم بن الوليد وليس ابنه – توفى سنة ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته فى معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ط دار الجيل ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٢ بتحقيق عبد السلام هارون] .

(٤) هكذا فى « م » و« ط » .. وفى البيان والتبيين ومعجم الأدباء : « عَدِمَتْهُ كَف » . وفى الحيوان : « فَقَدَتْهُ كف » .

(٥) هو : على بن محمد بن فهد التهامى ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تِهامة (بين الحجاز واليمن) من المجيدين ، وشعره غاية فى الحُسن . زار الشام والعراق ، وقدم القاهرة مُستخفياً ، ومعه كتبٌ من حسان بن المفرج البدوى (الطائى) أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بنى قُرَّة (قبيل عصيانهم بمصر) فعلمت به حكومة مصر ، فاعتُقِلَ وحُبِسَ فى دار البنود فى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر (وكان يُحْبَسُ فيها مَن يُرَاد قتله) ثم قُتِلَ سِرًّا فى سجنه فى تاسع جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ ، وكان دَيِّناً وَرِعاً عن الهجاء ، وهو صاحب القصيدة التى مطلعها :

حُكْمُ المنيَّةِ فى البريَّةِ جَارِى   ماهذه الدنيا بدار قَرارِ

[انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط دار الكتب المصرية ، وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ ، ٢٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ – ٣٨١ والأعلام ج ٤ ص ٣٢٧] .

(٦) قُصَارَى غناها : غاية الغِنَى فيها .

وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكْبِ سَفِينَةٍ ... نُظَنُّ وُقُوفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِى (١)

وَلِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ (٢) :

تَرُوحُ لَكَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِى غَدَتْ ... وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ (٣)

وَتَجْرِى اللَّيَالِى بِاجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ ... وَتَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ باقٍ سُرُورُهُ ... فَذَاكَ مُحَالٌ لا يَدُومُ سُرُورُ (٤)

عَفَا اللهُ عَمَّنْ صَيَّرَ الْهَمَّ وَاحِدًا ... وَأَيْقَنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فى كُتُبِ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَنَّ الْمَسِيحَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٥) اجْتَازَ بِجُمْجُمَةٍ هَائِلَةٍ عَظِيمَةٍ نَخِرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رُوحَ اللهِ ، لَوْ سَأَلْتَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَسْتَنْطِقَ هَذِهِ الْجُمْجُمَةَ ، فَعَسَى تُخْبِرُنَا بِمَا رَأَتْهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، فَفَعَلَ ، فَأَنْطَقَهَا اللهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ : يَارُوحَ اللهِ ، إِنِّى عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَاسْتَوْلَدْتُ أَلْفَ ذَكَرٍ ، وَافْتَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَصَحِبْتُ الدَّهْرَ وَاخْتَبَرْتُهُ ، وَامْتَحَنْتُ تَقَلُّبَهُ وَانْقِلَابِهِ ، فَلَمْ أَرَ [شَيْئًا] (٦) أَشَدَّ مِنْ طَالِحٍ يَلِى أَمْرَ صَالِحٍ (٧) ، وَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا الدَّهْرِ شَيْئًا أَنْفَعَ مِنَ الصَّبْرِ وَمُسَالَمَةِ أَهْلِهِ ،

---

(١) فى « ط » : والزمان « بها » بدل « بنا » .. و« تظن » بدل « نظن » .. والرَّكْب : الراكبون ، ويُطلق على العشرة فما فوق .

(٢) الأبيات وردت فى « العقد الفريد » ج ٢ ص ٢٧٩ باختلاف فى الترتيب ، واختلاف فى بعض الألفاظ مُنَبَّهٌ فى موضعه .

(٣) فى العقد الفريد .. هذا البيت ترتيبه الثانى ، وقبله : « عفا الله عَمَّنْ صَيَّرَ الهَمَّ » . والبيت الرابع جاء ترتيبه الأول .

(٤) البيت فى العقد الفريد :

وتطمع أنْ يبقى السرورُ لأهله ... وهذا مُحَالٌ أن يَدُومَ سرورُ

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « صالح يلى أَمْرَ طالح » والطالح : الفاسد من الناس .

[وَلَمْ أَرَ هَلَاكَ أَهْلِهِ] [(١)] إِلَّا فى الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ، وَوَجَدْتُ الْعِزَّ فى الرِّضَا بِالْقِسَمِ [(٢)] .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى الْعَتَاهِيَةِ : آخِرُ شِعْرٍ قَالَهُ [أَبِى] [(٣)] فى مَرَضِهِ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ [رَحِمَهُ اللّٰهُ] :

إِلٰهِى لا تُعَذِّبْنِى فَإِنِّى ... مُقِرٌّ بِالَّذِى قَدْ كَانَ مِنِّى

وَمَالِى حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِى ... وَعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ ، وَحُسْنُ ظَنِّى [(٤)]

وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِى فى الْبَرَايَا ... وَأَنْتَ عَلَىَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنِّ [(٥)]

إِذَا فَكَّرْتُ فى قُدْمِى عَلَيْهَا ... عَضَضْتُ أَنَامِلِى وَقَرَعْتُ سِنِّى [(٦)]

أُجَنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا ... وَأَقْطَعُ طُولَ عُمْرِى بِالتَّمَنِّى [(٧)]

وَبَيْنَ يَدَىَّ مِيقَاتٌ عَظِيمٌ ... كَأَنِّى قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّى [(٨)]

---

(١) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » ولايستقيم المعنى إلّا به .

(٢) القِسْم ، بكسر القاف وسكون السين المهملة ، وهى بمعنى الحظ والنصيب وجمعها : قِسَمٌ .

(٣) مابين المعقوفين ساقط من « م » فى الموضعين .

(٤) فى « ط » : « فما لى » .

(٥) هكذا البيت فى « ط » .. وفى الديوان : « فكم » بدل « وكم » وفى « م » :

وكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِى فى الخطايا ... غَفَرْتَ ، وأَنْتَ ذو فَضْلٍ ومَنِّ

(٦) فى الديوان : « نَدَمِى » بدل « قُدمى » وعَضَضْتُ أَنامِلِى وقَرَعْتُ سِنِّى : كناية عن الندم ، وبعد هذا البيت فى الديوان :

يظُنُّ الناسُ بى خَيْرًا وإنِّى ... لَشَرُّ الناس إن لم تَعْفُ عنى

وهو ساقط من « ط » .. وسيأتى فى «م » فى آخر الأبيات ، وفيه « يُعْفَ » بدل « تَعْفُ » .

(٧) الشطرة الثانية فى الديوان : « وأُفنى العمر فيها بالتَّمَنِّى » .

(٨) الشطرة الأولى فى الديوان : « وبين يَدَىَّ مُحْتَبَسٌ ثقيل » . وأراد بالمحتبس : المنسك ، يعنى : طريق الزهد والتعبد ، أى : بين منسك ثقيل الوطأة عليه ، كأنه قد دُعِىَ إليه ، ولكن الدنيا صرفته عنه .

وَلَوْ أَنِّى صَدَقْتُ اللهَ فِيهَا ... قَلَبْتُ لأَهْلِهَا ظَهْرَ الْمِجَنِّ [١]

يَظُنُّ النَّاسُ بِى خَيْرًا وَإِنِّى ... لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنِّى [٢]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس [٣] : لما وَفَدَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ [٤] عَلَى رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ [٥] : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ [٦] ؟ قَالُوا : كُلُّنَا نَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللهِ .

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الديوان : « صَدَقْتُ الزهد » بدل « صَدَقْتُ الله » .

(٢) هكذا البيت فى « م » وهو ساقط من « ط » .. وجاء ترتيبه الخامس فى الديوان . وقد أشرت إلى ذلك .

(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، صحابى جليل ، وُلد بمكة سنة ٣ قبل الهجرة ، ونشأ فى بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه الأحاديث ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم أَعْطِهِ الحكمة وعَلِّمْهُ التَّأويل » ، وقال : « لَعَسَى ألَّا يموت حَتَّى يُؤْتَى علماً ويذهب بصَرُه » فكان كما قال – صلى الله عليه وسلم – حَبْرَ الأُمَّةِ ، وله فى الصحيحين ١٦٦٠ حديثاً . وقال عنه ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وقال عمرو بن دينار : مارأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس . وكان عمر بن الخطاب إذا أُعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له : أنت لها ولأمثالها ، ثم يأخذ بقوله .. وقد شهد مع علىٍّ بن أبى طالب وقعة الجمل وصِفِّين ، وكُفَّ بصره فى آخر عُمره ، فسكن الطائف ، وتوفى بها سنة ٦٨ هـ .

[انظر نسب قريش ص ٢٦ ، ٢٧ والأعلام ج ٤ ص ٩٥] .

(٤) فى « ط » : « لَمَّا وَرَدَ عبد القيس » .. وفى البداية والنهاية : « قديمَ وفد » وعبد القيس : قبيلة عظيمة تنتسب إلى عبد القيس بن أَفْصَى بن دُعْمِى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن عدنان .. كانت ديارهم بتهامة ، ثم خرجوا منها إلى البحرين واستقروا بها .. وهم بطون كثيرة ، وظهر فيهم مشاهير .. والنسبة إليهم قيسىّ ، وعبدىّ ، وعبد قيسىّ .. وكان قدوم وفد عبد القيس على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سنة ٩ هـ ، ورَحَّبَ بهم النبى ، ودعاهم إلى الإيمان ، فآمنوا .. وقد ارْتَدَّ أهل البحرين بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ ، فأمّا عبد القيس فقاءت ، ثم أَمَدُّوا المسلمين ، و ناصروا علىَّ بن أبى طالب سنة ٣٦ هـ ، ثم اعتزلوا القتال سنة ٤٠ هـ ، ثم حاربوا فى سنوات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ مع المهلب بن أبى صفرة ، عامل الزبير . وأخبارهم كثيرة .

[انظر معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، والأعلام ج ٤ ص ٤٩ ، وانظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢١٤ – ٢٢٠ ، والأغانى ج ١٥ ص ٥٥٧١ – ٥٥٧٦] .

(٥) فى « ط » : فقال .

(٦) هو : قُسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدىّ ، من بنى إياد ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية ، ويقال : إنه أول عربىٍّ خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال فى كلامه : « أمَّا بعد » ، وكان يفد على قيصر الروم زائرًا فيكرمه ويعظمه . وهو معدودٌ من المُعَمَّرين ، وأدركه النبى ، صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، ورآه فى « عكاظ » ، وسُئل عنه بعد ذلك فقال : « إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أُمَّةً وحده » توفى سنة ٢٣ قبل الهجرة تقريباً .

قَالَ (١) : لَسْتُ أَنْسَاهُ بِعُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَاسْمَعُوا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ فَعُوا ، فَإِذَا وَعِيتُمْ فَقُولُوا ، فَإِذَا قُلْتُمْ فَاصْدُقُوا . مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ (٢) مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَاهُوَ آتٍ آتٍ . إِنَّ فِى السَّمَاءِ لَخَبَرًا ، وَإِنَّ فِى الأَرْضِ لَعِبَرًا (٣) . مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَنُجُومٌ تَمُورُ ، وَبُحُورٌ لا تَغُورُ (٤) . أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمَ حَقٍّ لا كَذِبَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ ، لَئِنْ كَانَ فِى الأَرْضِ رِضًا لَيَكُونَنَّ سَخَطًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الَّذِى أَنْتُمْ عَلَيْهِ . مَالِى أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ (٥) تُرِكُوا عَلَى [حَالِهِمْ] فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يَرْوِى شِعْرَهُ ؟ فَأَنْشَدُوهُ :

فِى الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِيـ ... ـنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّـا رَأَيْتُ مَوَارِدًا ... لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِـى نَحْوَهَـا ... تَمْضِى الأَصَاغِرُ وَالأَكَابِرْ (٦)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٩٦ ، وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ وغيرها ، والأغانى ج ١٥ ص ٥٥٧٠ - ٥٥٧٦] .

(١) فى « ط » : « قال رجل » خطأ .. والصواب ماورد فى « م » وجاء فى المصادر السابقة ، حيث إن الذى رآه هو الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى « م » : « من » بحذف الواو .

(٣) هكذا فى « ط » وفى البداية والنهاية وغيرها .. وهو الصواب .. وفى « م » : « لخبر » و « لعبر » بالرفع ، خطأ ، فاللام هنا زائدة لاعمل لها .. و « خبر وعبر » اسمان لأنَّ .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وبحر لايغور » أى : لايذهب فى الأرض . ونجوم تمور ، أى : تذهب وتجىء .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فقاموا » بدل « فأقاموا » و « أو » بدل « أم » ، والمناسب هنا « أم » بعد همزة الاستفهام .. والمُقام : الإقامة ، ومابين المعقوفين بعدها ساقط من « م » .

(٦) فى البيان والتبيين ، وفى الأغانى ، والبداية والنهاية : « يمضى » بدل « تمضى » وكلاهما صواب .

لا يَرْجِعُ الْمَاضِى إِلَيْـ ـكَ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرْ [١]
سَكَنُوا الْبُيُوتَ فَوَطِّنُوا إِنَّ الْبُيُوتَ هِىَ الْمَقَابِرْ [٢]
أَيْقَنْتُ أَنِّى لا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِ [٣] عَجَبًا : اقْتَحَمْتُ وَادِيًا فَإِذَا أَنَا بِعَيْنٍ جَارِيَةٍ [٤] وَرَوْضَةٍ مُدْهَامَّةٍ ، وَشَجَرَةٍ عَادِيَّةٍ ، وَإِذَا [أنا] [٥] بِقُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ قَاعِدٌ [٦] فى أَصْلِ الشَّجَرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْعَيْنِ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ ؟ فَكُلَّمَا وَرَدَ سَبُعٌ عَلَى صَاحِبِهِ ضَرَبَهُ بِالْعَصَا وَقَالَ : تَنَحَّ حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِى وَرَدَ قَبْلَكَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ذَعِرْتُ ذُعْرًا شَدِيدًا ، فَالْتَفَتَ إِلَىَّ وَقَالَ : لا تَخَفْ ، فَالْتَفَتُّ ، فَإِذَا [أنا] [٧] بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَاهَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ فَقَالَ [٨] : هُمَا قَبْرَا أَخَوَىَّ ، كَانَا يَعْبُدَانِ اللّٰهَ تَعَالَى مَعِى فى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَأَنَا أَعْبُدُ اللّٰهَ بَيْنَهُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ فَتَكُونَ فى جِيرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ لِى : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ [٩] ، أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ [١٠]

---

(١) هكذا البيت فى « م » و« ط » وسقط من الأغانى وأشير إليه فى الحاشية .. وفى البداية والنهاية :
« لامَنْ مَضَى يأتى إليْكَ (م) ولامِنَ الباقين غابِرْ » .
وفى البيان والتبيين :
« لايرجـع الماضى ولا يبقى من الباقين غابِـرْ »
(٢) لم يُذْكر هذا البيت فى المصادر السابقة .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « منه » .
(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « عين خَرَّارَة » وهى بمعناها ، يقال : عين خَرَّارة أى : جارية . وروضة مُدْهَامَّة ، أى : سوداء ، من شدة الخُضْرة .
(٥) مابين المعقوفتين عن « م » .
(٦) فى « م » : « قاعداً » بالنصب . وفى الأغانى ، والبداية والنهاية وغيرهما : بالرفع ، على أنها خبر ، و « إذا » هنا : حرف فُجاءَة لاعمل له .. ووردَ على العين : أشْرَفَ عليها حتى يشرب منها .
(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .
(٨) فى « ط » : « قال هما قبرا أَخَوَىَّ » .. وفى البداية والنهاية وفى الأغانى :« أَخَوَيْنِ » .
(٩) فى جيرتهم ، أى : بجوارهم .. وثكلتك أُمُّك ، أى : فقدتك . وهو دعاء بالهلاك .
(١٠) ولد إسماعيل : يعنى أُمَّةَ إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام . وفى البداية والنهاية : « أنَّ ولد إسماعيل تركوا دين أبيهم » .

تَرَكَتْ دِينَ أَبِيهَا وَاتَّبَعَتِ الأَصْنَامَ وَعَظَّمَتِ الأَنْدَادَ (١) ؟ ثُمَّ تَرَكَنِى وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرَيْنِ وَقَالَ (٢) :

خَلِيلَىَّ هُبَّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا ... أُجِدَّكُمَا ماتَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا (٣)

أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا ... كَأَنَّ الَّذِى يَسْقِى الْعُقَارَسَقَاكُمَا (٤)

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّى بِسِمْعَانَ مُفْرَدٌ ... وَمَالِى فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكُمَا (٥)

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « واتَّبعت الأضداد » .. وفى البداية والنهاية : « واتَّبعُوا الأضداد ، وعَظَّمُوا الأنداد » .

(٢) جاء فى معجم البلدان أن الذى قال هذا الشعر هو : قُسُّ بن سَاعِدَة فى خليلين كانا له وماتا – كما ورد هنا ، وفى الأغانى ، والبداية والنهاية ، وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب ، يرثى أَوْسَ بن خالد وأُنَيْساً .. وذُكِرَ أنه لعيسى بن قدامة الأَسَدى .. وقيل : إنه لرجل من بنى عامر بن صعصعة ، يقال له : الحسن بن الحارث .

[انظر الأغانى ج ٥ ص ٥٥٦٩ ومابعدها ، ومعجم البلدان ج ٣ ص١٩ ، ٢٠ مادة « راوند »] .

(٣) هكذا البيت فى « ط » ، وفى الأغانى ، والبداية والنهاية ، ومعجم البلدان .. وفى « م » : « لاتقضيان » بدل « ماتقضيان » .. وفى معجم البلدان : « نَدِيمَىَّ » بدل « خَلِيلَىَّ » .. وقد وردت الشطرة الأولى من البيت فى « م » مكسورة ، حيث سقطت منها « قد » .. وَأُجِدَّكُمَا : أى أَبِجِدٍّ منكما . ونُصِبَ هنا على المصدر . وقال سيبويه : أَجِدَّكَ : مَصْدَرٌ ، كأنه قال : أُجِدًّا منك ، ولكنه لايستعمل إلا مضافاً ، والكَرَى : النعاس .

[انظر اللسان – مادة جدد]

(٤) هكذا البيت فى « م » و« ط » و« البداية والنهاية » .. وفى الأغانى :

« جَرَى الموتُ مَجْرَى اللحمِ والعظم منكما » .

وفى معجم البلدان :

« جَرَى النوم بين العَظْم والجِلد منكما ... كأنكمـا ساقى عُقَـارٍ سقاكُمـا »

والعُقَار : الخمر

(٥) هكذا البيت فى « م » و « ط » والأغانى .. وفى البداية والنهاية : « بنَجْرَان مفرداً » بدل « بِسِمْعَان » ، « وحبيب » بدل « خليل » .

وفى معجم البلدان :

« أَلَمْ تَعْلَمـا مالى بِرَاوَنْـدَ كلِّها ... ولا بِخُزَاقٍ مِنْ صديق سِوَاكُمَا »

وسِمْعَان : اسم جبل فى ديار بنى تميم .. وَرَاوَنْد : بلدة قُرب قاشان وأصبهان .. وخُزاق : اسم موضع بعينه فى بلاد العرب .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧ مادة « خُزاق » وج ٣ ص ٢٥٠ مادة « سمعان » و ص ١٩ ، ٢٠ مادة « راوند »] .

مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ نَازِحاً ... طِوَالَ اللَّيَالِى أَوْيُجِيبَ صَدَاكُمَا [١]

أَأَبْكِيكُمَا طُولَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِى ... يَرُدُّ عَلَى ذِى غُصَّةٍ إِنْ بَكَاكُمَا [٢]

كَأَنَّكُمَا وَالْمَوتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ ... بِرُوحِيَ فِى قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا [٣]

سَلَامٌ وَتَسْلِيمٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ ... وَمَغْفِرَةُ الْمَوْلَى عَلَى سَاكِنَيْكُما [٤]

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وِقَايَةً ... لَجُدْتُ بِنَفْسِى أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا [٥]

وَفِى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ [٦] ، يَعْنِى أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ آمَنَتْ بِنَبِيِّهَا [٧] تُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهَا ، لَايُخَالِطُهَا غَيْرُهَا ، وَيُبْعَثُ قُسٌّ [٨] أَيْضاً وَحْدَهُ أُمَّةً ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ .

---

(١) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « مقيماً » بالنصب .. وفى الأغانى ، ومعجم البلدان : « أُقيم » .. وفى البداية والنهاية ، والأغانى ، ومعجم البلدان ، و « م » : « بارحاً » بدل « نازحاً » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً . يقال : بَرِحَ المكانَ : إذا فارَقَهُ ، فهو بارِحٌ . ونَزَحَ : ابتعد واغترب ، فهو نازِحٌ .

(٢) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى الأغانى : « سأبكيكما » .. وفى معجم البلدان : « وأبكيكما » و فيه : « عَوْلَةٍ » بدل « غُصَّة » .. وفى البداية والنهاية والأغانى : « لوعة » . وجميعها متقاربة فى المعنى .. فالعَوْلَةُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح . واللوعة : حُرْقَةٌ فى القلب ، وألم يجده الإنسان من حُبٍّ أو هَمٍّ أو حُزْن أو نحو ذلك . والغُصَّة : الشجا والحُزْن والهم .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط وغيرهما من المعاجم العربية] .

(٣) هكذا البيت فى « م » و « ط » والبداية والنهاية .. وفى الأغانى : « بِجِسْمِى » بدل « بِرُوحى » .

(٤) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » : « عَلَى ساكِنَاكُما » لضرورة الشعر .. وهذا البيت ومايليه لم أقف عليهما فى المصادر السابقة .

(٥) هكذا البيت فى « ط » والأغانى .. وسقط من « م » .. وفى البداية والنهاية : « فلو جُعِلَتْ نَفْسُ امرىءٍ فِدًى » .

(٦) هذا الحديث روى بأكثر من وجه .. وفى البداية والنهاية : أن هذا الحديث غريب جدًّا .

[انظر ج ٢ ص ٢١٤ – ٢٢٠]

(٧) فى « م » : برسولها .

(٨) فى « م » : « ويبعث الله قُسًّا » .

وَيُرْوَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ (١) نَامَ يَوْماً ، فَأُنْشِدَ فِي نَوْمِهِ هَذِهِ الأَبْيَاتَ (٢) :

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وَأَوْحَشَ مِنْهُ رُكْنُهُ وَمَنَازِلُهْ (٣)

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ ... تُنَادِي بِلَيْلٍ مُعْوِلَاتٍ ثَوَاكِلُهْ (٤)

فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ عَاشِرَةُ عَشْرَةٍ حَتَّى مَاتَ .

وَأَنْشَدَنِي (٥) الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ (٦) رَحِمَهُ اللهُ بِالْبَصْرَةِ هَذِهِ الأَبْيَاتَ :

---

(١) هو : محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا عبد الله ، المهدى بالله .. من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ، وُلد بإيذج (من كور الأهواز) سنة ١٢٧ هـ ، واستُخْلِف يوم مات المنصور بمكة بعهد منه سنة ١٥٨ هـ . وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهراً . وتوفى فى قرية من قُرى « ماسَبَذان » يقال لها : « الرُّذُّ » سنة ١٦٩ هـ . قيل : مات صريعاً عن دابته فى الصيد . وقيل : مات مسموماً ، وصلى عليه ابنه هارون الرشيد .. كان محمود العهد والسيرة ، مُحَبَّباً إلى الرَّعيَّة ، حسن الخَلْق والخُلُق . وكان جواداً .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٦٨ – ١٨٦ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ وغيرهما ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٩١ – ٤٠١ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ – ٣٣٥ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٤٠٠ – ٤٠٢ ، والأعلام ج ٦ ص ٢٢١] .

(٢) فى تاريخ الطبرى : أن عَلِيَّ بن يقطين قال : كنا مع المهدى بماسَبَذان ، فأصبح يوماً فقال : إنى أصبحت جائعاً ، فأُتِيَ بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخل ، فأكل منه ، ثم قال : إنى داخِلٌ إلى البَهْو ونائم فيه ، فلا تُنَبِّهُونى حتى أكون أنا الذى أنتبه . ودخل البَهْوَ فنام ، ونمنا نحن فى الدار فى الرواق ، فانتبهنا ببكائه ، فقمنا إليه مُسرعين ، فقال : أما رأيتم مارأيتُ ؟ قلنا : مارأينا شيئاً ! قال : وقف على الباب رَجُل ، لو كان فى ألف ، أو فى مائة ألف رجل ماخَفِيَ عَلَيَّ . فأنشد يقول : كأنى بهذا القصر .. الخ . وتوفى بعدها بعشرة أيام ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

[انظر الطبرى ج ٨ ص ١٧٠ ، ١٧١]

(٣) فى الطبرى والكامل فى التاريخ : « رَبْعُهُ » بدل « رُكْنُهُ » .. وفى رواية : « مَنَاهِله » بدل « منازله » ، والمنزل والمنهل بمعنى واحد .. وركنه : جانبه . ورَبْعُه : الدار وماحولها ، ويطلق أيضاً على الموضع الذى يُنْزَلُ فيه زمَن الربيع .. وبادَ : هَلَكَ .. وبعد هذا البيت :

« وصارَ عَمِيدُ القوم مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... ومُلْكٍ إلى قبر عليه جَنَادِلُه »

الجنادل : الصخور .

(٤) فى الكامل والطبرى : « تُنادى عَلَيْهِ مُعْوِلَاتٍ حَلَائِلُه » .. وفى « ط » : « يُنادى » .. مُعْوِلات : رافعات الصوت بالبكاء والصياح .. حلائله : زوجاته .. ثواكله : النساء اللاتى افْتَقَدْنَهُ .

(٥) فى « م » : وأنشدنا .

(٦) هو : على بن عبد العزيز بن الحسن الجُرْجَانى ، أبو الحسن ، قاضٍ ، من العلماء بالأدب ، وُلد بجُرْجَان ، وولى قضاءها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ماصار به فى العلوم عَلَماً ، وفى الكلام عالِماً . توفى بنيسابور سنة ٣٩٢ هـ – على الأرجح – وهو دون السبعين . ومن كتبه : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، وتهذيب التاريخ ، وتفسير القرآن ، وله ديوان شعر ورسائل مُدَوَّنة .

بِاللهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يَعْمُرُ بِاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَايَا فى جَوَانِبِه فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ (١)

وَأَنْشَدَنِى أَيْضاً :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدًا لَنْ تَذُودَ الْمَنُونَ عَنْكَ الْمَبَانِى (٢)
إِنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَىْءٍ أَبْقَى مِنَ الإِنْسَانِ (٣)

وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ (٤) عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى ارْتَكَبْتُ عَظَائِمَ (٥) الأُمُورِ جَرَاءَةً مِنِّى عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى قَدْ أَطَعْتُكَ فى أَحَبِّ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ مَنًّا مِنْكَ لا مَنًّا عَلَيْكَ . وَكَانَ سَبَبُ إِحْرَامِهِ مِنَ الْخَضْرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَوْماً نَائِماً ، فَأَتَاهُ آتٍ فى مَنَامِهِ فَقَالَ :

= [انظر نماذج من أدبه فى يتيمة الدهر للثعالبى ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٩ - ٢١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٤ ص ١٤ - ٣٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٠ ، والأعلام ج ٤ ص ٣٠٠] .

(١) العُقاب : طائر من كَواسِرِ الطَّير ، قوى المخالب .. والحَرَبُ ، بفتح الحاء والراء المهملتين : الهلاك . يقسم الشاعر أنه مَرَّ بكثير من القصور التى كانت عامرة بما يلذ من الطيبات ، ويطرب الأسماع ، فإذا به الآن يراها وقد خَيَّمَ عليها الخراب والدمار بعد أن اختطف الموت ساكنيها وبادوا .

(٢) هكذا فى « ط » ..وفى « م » : « رَفع » بدل « عنك » .

(٣) يعنى : يامَنْ تبالغ فى رَفْع البناء ، تَمَهَّلْ ، فإن ماتشيده لن يدفع عنك الموت وسترحل عنه وتتركه لغيرك .

(٤) هو : عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأبو جعفر كنيته ، وُلد سنة ٩٥ هـ واستُخْلِفَ بعد أخيه « السَّفَّاح » سنة ١٣٦ هـ ، وهو بانى مدينة بغداد ، وكان يُلَقَّبُ « أبا الدوانيق » لمحاسبته الكُتَّاب والعمال على الدوانيق (الدوانيق : جمع دَانِق ، وهو سُدس الدرهم) وكان شجاعاً مهيباً ، تاركاً للهو واللعب ، كامل العقل ، قتل خلقاً كثيراً حتى ثبت الأمر له ولولده (المهدى) وكان فيه عدل ، وله حظ من صلاة وعلم وفقه .. توفى مُحْرِماً على باب مكة فى سادس ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ، ودُفن مابين الحَجُون وبئر ميمون ، وكانت مُدة خلافته ٢٢ عاماً .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٣ - ٦١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣١٤ - ٣٢٨ ، والأعلام ج ٤ ص ١١٧] .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « الأمور العظام » .

كَأَنِّى بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وَأُوحِشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهْ (١)
وَصَارَ عَمِيدُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... إِلَى تُرْبَةٍ تُسْفَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهْ (٢)

فَاسْتَيْقَظَ مَرْعُوباً ، ثُمَّ نَامَ فَأُنْشِدَ : (٣)

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ وَانْقَضَتْ ... سِنُوكَ وَأَمْرُ اللهِ لابُدَّ وَاقِعُ (٤)

---

(١) هذان البيتان سبق التعليق عليهما فى الحديث عن « المهدى » آنفًا ، وتكاد تجمع المراجع التى أشارت إليهما – وهى كثيرة – إلى أنهما أُنْشِدا للمهدى بن أبى جعفر المنصور فى منامه – ولم أقف عليهما فى غالب المصادر التى تناولت ترجمة أبى جعفر .. وفى كتاب « أبو جعفر المنصور » لعبد السلام رستم ، المطبوع بدار المعارف ، ذكر القصة بتوسُّع ، وذكر البيتين باختلاف يسير فى ألفاظهما فقال : « قال الربيع : قام المنصور ليلة – وكان فى قصره ببغداد – فانتبه مرعوباً ، ثم عاوده النوم قليلا ، فانتبه ثانية فَزِعاً مرعوباً ، ثم مَرَّة ثالثة ، فلما انتفض فيها – نادَى : ياربيع !! .. قلت : لَبَّيْكَ ياأمير المؤمنين ، قال : لقد رأيتُ فى منامى عجباً ! رأيت كأنَّ آتياً أتانى فَهَيْنَمَ بشىء [الهينمة : الكلام الخفى] لم أفهمه ، فانتبهت فزعاً ، ثم عاودتُ النوم ، فعاودنى يقول ذلك الشىء ، ثم عاودنى يقول : حتى فهمته وحفظته ، وهو :

كأنَّ بهذا القصر قد بادَ أَهْلُهُ ... وعُرِّىَ منه أهلُه ومنازلُهْ
وصار رئيسُ القوم من بعد بهجة ... إلى جَدَثٍ تُبْنى عليه جَنادله

وما أحسبنى ياربيع إلَّا قد حانت وفاتى ، وحضر أَجَلى ، ومالى غير رَبِّى ، قم فاجعل لى غُسْلاً .. وهيىء لى آلة الحج » الخ .

وربما يكون هذا قد وقع لأبى جعفر ، فلم تثبته كثير من المراجع المعتمدة ، ثم رآه من بعده ابنه « المهدى » فأثبتته له .

[انظر المراجع السابقة ، وتاريخ الطبرى ، وأبو جعفر المنصور لعبد السلام رستم ص ١٢٨ وغيرها من المصادر] .

(٢) العميد : السيد المُعْتَمَدُ عليه فى الأمور .. وتُسْفَى عليه جنادِلُه : يُوضَعُ عليه التراب والصخور .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « قَامَ فَأَنْشَدَ » .. وفى تاريخ بغداد : « قال الربيع : بينا أنا مع أبى جعفر المنصور فى طريق مكة ، فنزل يقضى حاجة ، فإذا الريح قد ألقت إليه رُقعة فيها مكتوب :

« أبا جعفر ، حانت وفاتك وانقضت » البيت .

قال : فنادانى : ياربيع ، تنعى إلىَّ نفسى فى رقعة ؟

فقلت : لا والله ، ماأعرف رقعة ، ولا أدرى ماهى .. قال : فما رجع من وجهه حتى مات بمكة » .

وفى تاريخ الطبرى : « ذكر عيسى بن محمد ، أن موسى بن هارون حَدَّثه ، قال : لَمَّا دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة ، نظر فى صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : أبا جعفر ، حانت وفاتك وانتهت ... » وذكر البيتين .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٠٧ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٦٠] .

(٤) هكذا فى « ط » ، وتاريخ الطبرى ، وتاريخ بغداد .. وفى « م » : « لاشك » بدل « لابدَّ » .

فَهَلْ كَاهِنٌ أَعْدَدْتَهُ وَمُنَجِّمٌ   أَبَا جَعْفَرٍ عَنْكَ الْمَنِيَّةَ دَافِعُ (١)

فَقَالَ : يَارَبِيعُ (٢) ، ائْتِنِي بِطَهُورِي . فَقَامَ وَاغْتَسَلَ وَلَبَّى (٣) ، وَتَجَهَّزَ لِلْحَجِّ ، ثُمَّ قَالَ : يَارَبِيعُ ، الْقَنِي فِي حَرَمِ اللهِ تَعَالَى .

وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ بِالْبَصْرَةِ :

إِنْ كُنْتَ تَسْمُو إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا   فَانْظُرْ إِلَى مَلِكِ الْأَمْلَاكِ قَارُونِ (٤)

زَمَّ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَتَهَا   وَسَخَّرَ النَّاسَ بِالتَّشْدِيدِ وَاللِّينِ (٥)

حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنْ لَاشَيْءَ غَالِبُهُ   وَمُكِّنَتْ قَدَمَاهُ أَيَّ تَمْكِينِ (٦)

---

(١) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » ، الشطرة الأولى : « أو عددته » بدل « أَعْدَدْتُه » خطأً من الناسخ .

والبيت فى تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٠٧ :

« أَبَا جَعْفَرٍ هل كاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ   لَكَ اليومَ مِنْ حَرِّ المَنِيَّةِ مانِعُ ؟ »

(٢) هو : أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة ، كيسان ، وُلد سنة ١١١ هـ ، وكان من موالى بنى العباس ، ومن العقلاء الموصوفين بالحزم ، اتخذه أبو جعفر المنصور حاجباً ، ثم اتخذه وزيراً ، وكان مَهيباً ، ويحسن إدارة الشئون ، عاش إلى خلافة المهدى العباسى ، وهو الذى بايعه وخلع عيسى بن موسى ، وحظى عنده .. توفى سنة ١٦٩ هـ ، وقيل فى أول سنة سبعين ومائة .

[انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٤ ، والأعلام ج ٣ ص ١٥] .

(٣) الطَّهُور : مايتطهر به من ماء ونحوه .. لَبَّى : قال : لبيك اللهم لبيك .

(٤) تسمو : تطمح .. وقارون : رجل من قوم موسى ، كان كافراً ومتكبراً .. مُفَاخِراً بأمواله .. خسف الله به وبداره الأرض .. ويُضْرَب به المثل فى الغِنَى . وقد وردت قصته فى القرآن الكريم ، فى سورة القصص – الآيات ٧٦ – ٨٢ .

(٥) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » حُذفت الشطرة الثانية من هذا البيت ، وَجِيءَ بدلها بالشطرة الثانية من البيت الثالث الذى يليه هكذا :

زَمَّ الأمورَ فأعطته مَقادَتها   ومُكِّنَتْ قدماه أى تمكين

زمَّ الأمورَ : مَلَكَ نواصيها فانقادت له .

(٦) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » حُذِفَت الشطرة الأولى من هذا البيت .. وحُذِفَت الشطرة الثانية من البيت الثانى ، والشطرة الأولى من البيت الثالث . وبهذا جاءت الأبيات فى « م » ثلاثة أبيات ، وليس أربعة كما فى « ط » .

رَاحَتْ عَلَيْـهِ الْمَنَايَـا رَوْحَـةً تَرَكَتْ   ذَا الْمُلْكِ وَالْعِزِّ تَحْتَ الْمَاءِ وَالطِّينِ (١)

وَأَنْشَدَنِى أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ بِبَغْدَادَ :

لِمَنْ أَبْنِى لِمَنْ أَسِمُ الْمَطَايَا   لِمَنْ اسْتَأْنِفُ الشَّىْءَ الْجَدِيدَا (٢)

إِذَا مَاصَارَ إِخْوانِى رُفَاتاً   وَصِرْتُ لِفَقْدِهِمْ فَرْدًا وَحِيدَا (٣)

أُعَايِنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُولٌ   وَأَشْكَالِى قَدِ اعْتَنَقُوا اللُّحُودَا (٤)

وَمِمَّنْ زَهِدَ فِى الدُّنْيَا وَأَبْصَرَ عُيُوبَهَا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، أَبُو عِقَال عَلْوَانُ بْنُ الْحَسَنِ ، مِنْ بَنِى الأَغْلَبِ ، وَهُمْ مُلُوكُ الْمَغْرِب ، وَكَانَ ذَا نِعْمَةٍ وَمُلْكٍ ، وَلَهُ فُتُوَّةٌ ظَاهِرَةٌ (٥) ، فَتَابَ إِلَى رَبِّه ، وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ رُجُوعاً فَاقَ نُظَرَاءَهُ ، فَرَفَضَ الْمَالَ وَالأَهْلَ ، وَهَجَرَ الْبِنَاءَ وَالْوَطَنَ (٦) ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَبْلَغاً أَرْبَى فِيهِ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ ، وَعُرِفَ بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ ، وَكَانَ عَالماً أَدِيباً ، قَدْ صَحِبَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ سَحْنُونَ (٧) وَسَمِعَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ ، فَصَحِبَ رَجُلاً يُكْنَى أَبَا هَارُونَ الأَنْدَلُسِىَّ ، مُنْقَطِعاً مُتَبَتِّلاً إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فَلَمْ يَرَ مِنْهُ كَبِيرَ (٨) اجْتِهَادٍ فِى الْعَمَل ، فَبَيْنَا أَبُو عِقَالٍ يَتَهَجَّدُ فِى

---

(١) يعنى أنَّ هذا المُلْك والعِزّ والنعيم الذى كان فيه ذهب فى غمضة عين ، حين خسف الله به وبداره الأرض .

(٢) المطايا : الدواب التى تُمتَطَى وتُركَب . وأسِمُهَا ، أى : أُعَلِّمُها بعلامات تميزها .. وفى « م » : « أسْمِى » أى : أطْلُب .

(٣) الرُّفات : الحُطام ، والفُتات من كل ماتكسَّر وَاندَقَّ .

(٤) هكذا البيت فى « ط » .. يريد .. أنه بعد أن رحل أصحابه وإخوانه من الدنيا ، يرى نفسه غريباً بين جيل يخالف جيله فى كثير من طبائعه وسجاياه .. وفى « م » : « أعانِقُ مَعْشَرًا لَهُمُ شكوك » .

(٥) الفتوة : الشباب بين طَوْرَيِ المراهقة والرجولة ، وتُطلق أيضاً على النجدة ، وعلى المسلك الذى ينمّى خُلُق الشجاعة والنجدة فى الفتى .

(٦) فى « م » : « فرفض الأهل والمال والوطن » .

(٧) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّنوخى ، المُلَقّب بسَحْنُون ، قاضٍ وفقيه ، انتهت إليه رياسة العِلم فى المغرب .. كان زاهدًا ، لايهاب سُلطاناً فى حق يقوله .. وكان رفيع القَدْرِ ، عفيفاً ، أبِيَّ النَّفْس ، ولُقِّب « سحنون » باسم طائر بالمغرب يسمونه سحنوناً لِحِدَّةِ ذِهْنِه وذكائه .. وكانت ولادته أول ليلة من شهر رمضان سنة ١٦٠ هـ وتوفى فى يوم الثلاثاء لتسع خَلَوْنَ من رجب سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والأعلام ج ٤ ص ٥] .

(٨) فى « م » : « كثير » بدل « كبير » .

بَعْضِ اللَّيَالِي وَأَبُو هَارُونَ نَائِمٌ إِذْ غَالَبَهُ النَّوْمُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ : يَا نَفْسُ ، هَذَا عَابِدٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ ، يَنَامُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَلَوْ أَرَحْتُ نَفْسِي [سَاعَةً كَانَ خَيْرًا] (١) فَوَضَعَ جَنْبَهُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ شَخْصاً ، فَتَلَا عَلَيْهِ : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَايَحْكُمُونَ** ﴾ (٢) ، فَاسْتَيْقَظَ فَزِعاً ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ ، فَأَيْقَظَ أَبَا هَارُونَ وَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللهِ ، هَلْ أَتَيْتَ كَبِيرَةً قَطُّ ؟ قَالَ : لَايَابْنَ أَخِي ، وَلَا صَغِيرَةً عَنْ (٣) تَعَمُّدٍ وَالْحَمْدُ للهِ . فَقَالَ أَبُو عِقَالٍ : لِهَذَا تَنَامُ أَنْتَ وَلَايَصْلُحُ لِمِثْلِي إِلَّا الْكَدُّ وَالاجْتِهَادُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ وَلَزِمَ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ ، وَحَجَّ مِرَارًا ، وَأَرْبَى عَلَى عُبَّادِ الْمَشْرِقِ (٤) . وَكَانَ يَعْمَلُ بِالْقِرْبَةِ (٥) عَلَى ظَهْرِهِ بِقُوتِهِ ، وَمَاتَ بِمَكَّةَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنَةَ سِتٌّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَصْحَبُهُ يَوْماً : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . فَقَالَ لَهُ (٦) بَعْدَ الْجَهْدِ بِهِ . حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ إِنْ كَانَ (٧) لَكَ شَهْوَةٌ أَخْبِرْنِي بِهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَشْتَهِي أَنْ آكُلَ رَأْساً . قَالَ : فَاشْتَرَيْتُ لَهُ رَأْسَيْنِ وَلَفَفْتُهُمَا فِي رُقَاقٍ (٨) وَجِئْتُهُ بِهِمَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ : هَلْ طَابَ لَكَ الرَّأْسَانِ ؟ قَالَ : لا ، مَاهُوَ إِلَّا أَنْ فَتَحْتُهُمَا فَإِذَا هُمَا مَحْشُوَّانِ دُودًا ، لَيْسَ فِيهِمَا الْبَتَّةَ لَحْمٌ إِلَّا الدُّودُ ، فَأَتَيْتُ الرَّآسَ (٩) فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَطْرَقَ مُتَعَجِّباً (١٠)

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢١ . وقد وردت الآية بتمامها فى « م » .. وفى « ط » وقف عند قوله تعالى : « الصالحات » وقال : إلى آخر الآية .

(٣) فى « م » : « على » بدل « عن » .

(٤) وأَرْبَى على عُبّاد المشرق : أى زاد عليهم وفاقهم فى العبادة .

(٥) فى « م » : بالقربة .

(٦) « له » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) فى « م » : « كانت » وكلاهما صواب .

(٨) أى : فى شىء رقيق . أو : فى خبز رُقَاق .

(٩) الرَّآس : بائع رءوس الحيوان .

(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : مُعْجَباً ، أى : حَمَلَهُ هذا الأمر على العَجَب منه .

ثُمَّ قَالَ : مَاظَنَنْتُ أَنَّ فى زَمَانِنَا أَحَدًا يُحْمَى عَنِ الْحَرَامِ هَذِهِ الْحِمَايَةَ ، تِلْكَ الرُّءُوسُ كَانَتْ مِنْ غَنَمٍ انْتَهَبَهَا بَعْضُ الْعُمَّالِ ، ثُمَّ أَعْطَانِى رَأْسَيْنِ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْغَنَمِ ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا أَبَا عِقَالٍ فَأَكَلَهُمَا ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ الرَّآسُ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَارَبِّ ، ما كَانَ يَسْتَحِقُّ عَبْدُكَ أَبُو عقَالٍ مِثْلَ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ يَارَبِّ فَضْلُكَ وَكَرَمُكَ ، فَلَكَ عَلَىَّ يَارَبِّ أَلَّا آكُلَ طَعَاماً بِشَهْوَةٍ أَشْتَهِيهَا حَتَّى أَلْقَاكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَكَانَتْ لَهُ أُخْتٌ مُتَعَبِّدَةٌ ، فَلَمَّا مَاتَ لَحِقَتْ قَبْرَهُ بِمَكَّةَ وَبَكَتْ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الأَبْيات [١] :

لَيْتَ شِعْرِى مَاالَّذِى عَايَنْتَهُ ... بَعْدَ دَوْمِ الصَّوْمِ مَعْ نَفْيِ الْوَسَنْ [٢]

مَعْ عُزُوفِ النَّفْسِ عَنْ أَوْطَارِهَا ... وَالتَّخَلِّى عَنْ حَبِيبٍ وَسَكَنْ [٣]

يَاشَقِيقاً لَيْسَ فى وَجْدِي بِهِ ... عِلَّةٌ تَمْنَعُنِى عَنْ أَنْ أَجَنْ [٤]

وَكَمَا تَبْلَى وُجُوهٌ فى الثَّرَى ... فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنْ [٥]

وَرُوِىَ [٦] أَنَّ رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فى أَرْضٍ ، فَأَنْطَقَ اللهُ لَبِنَةً مِنْ جِدَارِ تِلْكَ الأَرْضِ ، فَقَالَتْ [٧] : إِنِّى كُنْتُ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ ، مَلَكْتُ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مِتُّ وَصِرْتُ رَمِيماً [٨]

---

(١) فى « م » : « وكتبت هذه الأبيات على قبره » .

(٢) ليت شعرى : ليتنى أعلم .. عاينته : رأيته رأى العين . نفى الوسن : امتناع النوم ، والنُّعاس . وتُطلق أيضاً على الحاجة .

(٣) عزوف النفس عن أوطارها : انصرافها عن مآربها ومتطلباتها . وفى « م » : « وَوَطَن » بدل « وسَكَن » ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ياشقيقٌ » بالرفع ، وكلاهما صحيح .. ووَجْدِى به : حُزْنى عليه .. عِلَّة : مرض أو سبب .

(٥) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « وجوهاً » بالنصب . ولعله خطأ من الناسخ . و« تَبْلَى » بدل « يبلى » أى : يفنى ويندثر .

(٦) فى « م » : ويُروَى .

(٧) فى « م » : فقال .

(٨) الرميم : البالى من كل شيء .

أَلْفَ سَنَةٍ ، فَأَخَذَنِي خَزَّافٌ وَاتَّخَذَنِي (١) خَزَفاً ، ثُم أَخَذَنِي وَضَرَبَنِي لَبِناً ، وأَنا فى هذا الْجِدَارِ [مُنْذُ] (٢) كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، فَلِمَ تَتَنَازَعَانِ فى هَذِهِ الأَرْضِ ؟

وَلِبَعْضِهِمْ (٣) :

أَلَا حَيِّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا   لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا (٤)
إِذَا مَاتَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ   تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لايَمَلُّ التَّقَاضِيَا (٥)
حَنَتْكَ اللَّيَالِي بَعْدَ مَا كُنْتَ مُدَّةً   بِمَسْوَى العصا لَوكُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا (٦)

وَمِنْ أَعْجَبِ مَارُوِيَ فى الإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، أَنَّ ابْنَةً مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تَزَهَّدَتْ فى الدُّنْيَا [وَتَابَتْ] (٧) وَخَرجَتْ مِنْ مُلْكِهَا ، فَفُقِدَتْ ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ ، وَلَاعُلِمَ لَهَا أَثَرٌ ، وَكَانَ هُنَاكَ دَيْرٌ لِلْمُتَعَبِّدِينَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ ، فَأَبْصَرُوا مِنْهُ مِنَ الاجْتِهَادِ وَالْجِدِّ فى الْعَمَلِ ، وَمُلَازَمَةِ الأَوْرَادِ ، وَمُوَاصَلَةِ الأَعْمَالِ مَافَاقَ بِهِ جَمِيعَ مَنْ فى الدَّيْرِ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مَاشَاءَ اللهُ تَعَالَى إِلى أَن انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَوَافَاهُ حِمَامُهُ ، فَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ (٨) فَحَزِنَ لَهُ أَهْلُ الدَّيْرِ مِنَ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ وَالْمُنْقَطِعِينَ ، وَأَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ (٩) ، ثُمَّ أَخَذُوا فى

---

(١) الخَزَّاف : بائع الخزف أو صانعه . والخَزَف : ماعُمِلَ من الطين وشُوِىَ بالنار فصار فخَّارًا . واللَّبِنُ : مايُعْمَلُ من الطين ويُبْنَى بِهِ ، واحدته : لَبِنَةٌ .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) من هنا إلى نهاية الأبيات الثلاثة عن « م » ولم ترد فى « ط » .. والأبيات لأبى حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ : الهيثم بن الربيع بن زرارة من بنى نمير بن عامر ، شاعر فصيح من أهل البصرة ، ومن مُخَضْرَمِى الدولتين الأموية والعباسية ، مدح خلفاء عصره فيهما ، وقيل فى وصفه : كان أَهْوَجَ (به لوثة) جباناً ، بخيلاً ، كذَّاباً .. توفى سنة ١٨٣ هـ . وقيل : مات فى آخر خلافة المنصور ١٥٨ هـ . وقال البغدادى : توفى سنة بضع وثمانين ومائة .
[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأغانى ج ١٧ ص ٦١٣٢ - ٦١٣٧ ، وطبقات الشعراء ص ١٤٣ - ١٤٦ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٧٤ ، ٧٧٥]

(٤) المغانى : المنازل التى كان بها أهلوها ، ثم رحلوا عنها .. وهكذا ورد البيت والذى يليه فى « م » ، والأغانى ج ١٧ ، وطبقات الشعراء ص ١٤٤ .. أمَّا فى الشعر والشعراء ص ٧٧٥ ففيه : « من بعد الحبيب » بدل « من أجل الحبيب » .

(٥) تَقَاضَى المَرْءَ ، طَلَبَهُ أو أَفْنَاه .

(٦) يعنى بهذا البيت أن الأيام والليالى تجعل الإنسان مَحْنِىَّ الظَّهْرِ والقامة ، بعدما كان مثل العصا فى الاستقامة والاستواء ، وقد يُراد به غير ذلك . وهذا البيت لم يَرِد فى المصادر السابقة ، ولم أقف عليه .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٨) الحِمَامُ : قَضَاءُ المَوْتِ وقَدَرُه .. وقَضَى الفَتَى نحبه : مات .

(٩) أَذْرَوْا عليه الدموع : أَسَالُوها .

غَسْلِهِ ، فَإِذَا [١] هُوَ امْرَأَةٌ ، فَفَحَصُوا [٢] عَنْ أَمْرِهِ ، فَإِذَا هِيَ بِنْتُ الْمَلِكِ ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِعْجَاباً بِهِ ، وَتَعْظِيماً لَهُ [٣] ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ : مَاذَا يُحْدِثُونَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَلَّا يَدْفِنُوهَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكُفِّهِمْ ، فَغَسَّلُوهَا وَكَفَّنُوهَا وَجَهَّزُوهَا وَصَلَّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكُفِّ وَالسَّوَاعِدِ ، كُلَّمَا ضَجِرَ وَاحِدٌ جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ يَحْمِلُ ، وَكُلُّ مَنِ انْقَطَعَ فِي الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ بَلِيَتْ ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ ، فَدُفِنَتْ حِينَئِذٍ [٤] ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا .

وَكَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، مِمَّا يَلِي أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ ، رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، بَلَغَ [٥] فِي التَّخَلِّي مِنَ الدُّنْيَا مَبْلَغاً عَظِيماً ، وَاعْتَزَلَ الْخَلْقَ ، وَالْتَزَمَ [٦] قُلَلَ الْجِبَالِ وَالسِّيَاحَةَ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى ، فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ [٧] فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُودٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ ، وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَاحَوَتْهُ مِنَ

---

(١) فى « ط » : « وإذا » فى الموضعين .

(٢) فى « م » : « ففحصوا » أى : تبيَّنوا .

(٣) سقطت « له » من « م » وكذلك : « فى أمره » بعدها .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثم أجمعوا أمرهم على ألَّا يدفنوه تحت الثرى ، وأن يحملوه فوق أكُفِّهم ، فغسَّلُوه وكفَّنُوه وصلَّوا عليه ، ثم أقبلوا يحملونه على الأكُفِّ والسواعد ، كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل ، وكل مَنِ انقطع من الدير لعبادة الله تعالى جعل يحمل معهم إلى أن بَلِيَ وتقطعت أوصاله مع طول الزمان فَدُفِنَ حينئذ » .

(٥) فى « ط » : قد بَلَغَ .

(٦) التزمَ الأمْرَ أو الشىء : أوْجَبَهُ على نفسه .. وفى « م » : لَزِمَ ، وهى بمعناها ، يقال : لَزِمَ الشىء : تَعَلَّق به .

(٧) هو المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود ، مؤسس دولة آل هود : من ملوك الطوائف فى الأندلس ، وكان مقيماً فى « تُطَيْلَة » ومعدوداً من كبار الجند ، فلما اضطرب أمر الأمويين استولى عليها سنة ٤١٠ هـ وتلقب « المستعين بالله » ومَلَكَ « لارْدَة » ثم « سَرَقُسْطه » سنة ٤٣١ هـ ، وانتظم له الأمر ، وضخم مُلكه ، فقسَّم بلاده على أبنائه ، فجعل لكلٍّ منهم ولاية ، وكانوا خمسة ، واستمر إلى أن مات سنة ٤٣٨ هـ . ومن أبنائه المستعين بالله أحمد بن يوسف بن أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، رابع ملوك الدولة الهودية ، والمتوفى سنة ٥٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٣ وج ٣ ص ١٣٢] .

الْبَيْضَاءِ وَالْحَمْرَاءِ ، وَأَحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَمْثَالِهَا ، وَنَفَائِسِ الأَعْلَاقِ [١] ، وَالْجَوَارِي ، وَالْحَشَمِ ، وَالأَجْنَادِ ، وَالْكُرَاعِ [٢] وَالسِّلَاحِ ، فَأَقَامُوا فِى ذَلِكَ أَيَّاماً ، فَلَمَّا انْقَضَتْ [٣] قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مُلْكاً ، وَلَكِنَّهُ [٤] يُعْوِزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ ، إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ [٥] عَلَيْهَا فَفِيهَا نِظَامُ مُلْكِكَ ، وإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ لاشَيْءَ [٦]. قَالَ : وَمَاتِلْكَ الْخَصْلَةُ ؟ قَالَ تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ [٧] غِطَاءً عَظِيماً حَصِيناً قَوِيًّا ، وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ تَكُبُّهُ [٨] عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لايَجِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ مَدْخَلاً إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ : سُبْحَانَ اللهِ ! أَوَ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ الْعِلْجُ [٩] : يَاهَذَا ، أَتَفْتَخِرُ بِأَمْرٍ تَتْرُكُهُ غَدًا ؟ وَمِثَالُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِما [١٠] يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ فِى النَّوْمِ .

وَيُرْوَى [١١] أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا وَقَالَ : انْظُرُوا مَنْ عَابَ مِنْهُ شَيْئاً فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِى هَذَا الْقَصْرِ عَيْبَيْنِ [١٢] ، قَالَ : وَمَاهُمَا ؟ قَالَ : يَمُوتُ الْمَلِكُ وَيَخْرُبُ الْقَصْرُ ، قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَرَكَ الدُّنْيَا .

---

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة التي يتعلق بها القلب .
(٢) الكُرَاعُ : اسم يجمع الخيل والسلاح .
(٣) فى « م » : انقضى .
(٤) فى « م » : « ولكنك » .. ويعوزك: ينقصك ، أو تحتاج إليه .. والخَصْلة : خُلُق فى الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة .
(٥) فى « م » : « اقْتَدَرْتَ » ، وكلاهما بمعنى واحدٍ .
(٦) فى « م » : « شبه لاشىء » .
(٧) فى « م » : « فتضع » .
(٨) تكُبُّه : تُلقيه .
(٩) العِلْجُ : كل جافٍّ شديدٍ من الرجال . وبعض العرب يطلقونه على كل مَنْ يخالف دين الإسلام ، وعلى الرجل الضخم من كُفَّار العجم . ويطلق على الكفار مطلقاً .
(١٠) فى « م » : بِمَنْ .
(١١) فى « م » : وَرُوِىَ .
(١٢) فى « م » : « فقال له : فى هذا القصر عيبان » .

وَمِنْ عَجَائِبِ أَخْبَارِ الْخَضِرِ [١] عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالُوا : سُئِلَ الْخَضِرُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] [٢] عَنْ أَعْجَبِ شَىْءٍ رَأَيْتَهُ فى الدُّنْيَا فى طُولِ سِيَاحَتِكَ ، وَكَثْرَةِ خَلَوَاتِكَ ، وَقَطْعِكَ الْقِفَارَ وَالْفَلَوَاتِ . قَالَ [٣] : أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُهُ أَنِّى مَرَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ لَمْ أَرَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ : مَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ قَالُوا [٤] : سُبْحَانَ اللهِ ! مَايَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا مَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ، وَمَازَالَتْ كَذَلِكَ مِنْ عَهْدِ الطُّوفَانِ ، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَعَبَرْتُ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا [٥] هِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، وَإِذَا رُعَاةُ غَنَمٍ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ الْمَدِينَةُ الَّتِى كَانَتْ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : سُبْحَانَ اللهِ : مَا يَذْكُرُ [٦] آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ قَطُّ كَانَتْ هَاهُنَا مَدِينَةٌ . فَغِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مَوْضِعُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ [٧] بَحْرٌ ، وَإِذَا غَوَّاصُونَ يُخْرِجُونَ مِنْهُ شِبْهَ الْحِلْيَةِ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْغَوَّاصِينَ : مُنْذُ كَمْ كَانَ [٨] هَذَا الْبَحْرُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! مَايَذْكُرُ [٩] آباؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ الطُّوفَانَ . ثُمَّ غِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا [١٠] ذَلِكَ الْبَحْرُ قَدْ غَاضَ مَاؤُهُ [١١] ، وَإِذَا مَكَانُهُ غَيْضَةٌ مُلْتَفَّةٌ بِالْقَصَبِ وَالْبَرْدِىِّ وَالسِّبَاعِ ، وَإِذَا صَيَّادُونَ يَصِيدُونَ

---

(١) هو : عبد صالح ، وقيل نبىٌّ مُعَمَّر ، وهو صاحب موسى ، عليه السلام ، الذى لقيه بمجمع البحرين ، وحدثت بينهما أحداث عجيبة ذُكِرَتْ فى القرآن الكريم فى سورة الكهف (الآيات من ٦٠ - ٨٢) ويُضْرَبُ به المثل فى العِلْم والحكمة .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) فى « م » : « فقال » .

(٤) فى « م » : « فقالوا » .

(٥) فى « ط » : « وإذا » .

(٦) فى « ط » : « مايُذرِكُ » .

(٧) فى « م » : « اللبنة » بدل « المدينة » .

(٨) سقطت « كان » من « م » .

(٩) فى « ط » : « مايدرك » .

(١٠) فى « ط » : « وإذا » .

(١١) غاض ماؤه ، أى : نزل فى الأرض وغاب فيها . والغَيْضَة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف . وفى « م » : الغيطة ، بالطاء ، وهى : المنخفض الواسع من الأرض .

السَّمَكَ فى زَوَارِقَ صِغَارٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْبَحْرُ الَّذِى كَانَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! مَايَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ كَانَ هَاهُنَا (١) بَحْرٌ . فَغِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ (٢) ، فَإِذَا هُوَ مَدِينَةٌ عَلَى حَالَتِهَا (٣) الأُولَى ، وَالْحُصُونُ وَالْقُصُورُ وَالأَسْوَاقُ قَائِمَةٌ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْغَيْضَةُ الَّتِى كَانَتْ هَاهُنَا ؟ وَمَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ فَقَالُوا : سُبْحَانَ اللهِ ! مَايَذْكُرُ أَحَدٌ (٤) إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ عَلَى حَالِهَا مُنْذُ بَعَثَ اللهُ الطُّوفَانَ . فَغِبْتُ عَنْهَا (٥) نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا عَالِيهَا سَافِلُهَا ، وَهِىَ تَدْخِنُ بِدُخَانٍ شَدِيدٍ ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَاعِيًا فَسَأَلْتُهُ : أَيْنَ الْمَدِينَةُ الَّتِى كَانَتْ هَاهُنَا ؟ وَمَتَى حَدَثَ هَذَا الدُّخَانُ ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! مَايَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ هَكَذَا مُنْذُ كَانَ . فَهَذَا أَعْجَبُ شَىْءٍ رَأَيْتُهُ فى سِيَاحَتِى فى الدُّنْيَا . فَسُبْحَانَ مُبِيدِ الْعِبَادِ ، وَمُفْنِى الْبِلَادِ ، وَوَارِثِ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا . [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِىِّ الْعَظِيمِ] (٦) .

قَالَ الشَّاعِرُ (٧) :

قِفْ بِالدِّيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ ... تَبْكِى الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا (٨)

كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بِهَا أُسَائِلُ مُخْبِرًا ... عَنْ أَهْلِهَا، أَوْنَاطِقًا، أَوْ مُشْفِقَا (٩)

---

(١) فى « ط » : « هاهُنا قطّ » .

(٢) فى « م » : « الموضع » .

(٣) فى « ط » : « حاله » .

(٤) فى « م » : « مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا » .

(٥) فى « م » : « فغبت نحوًا » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) فى « ط » : « قال » والأبيات الثلاثة بعدها وردت فى « حلية الأولياء » (ج ١٠ ص ٣٤٨) فى ترجمة أبى محمد الجريرى .. وفى تاريخ بغداد (ج ٤ ص ٤٣٣) .. وطبقات الصوفية (ص ٢٦٤) .

(٨) هكذا البيت فى « م » و « ط » وطبقات الصوفية والحلية .. وفى تاريخ بغداد : « نبكى » بالنون .

(٩) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى المصادر الثلاثة السابقة وردت « صادقاً » بدل « ناطقاً » .

فَأَجَابَنِى دَاعِى الْهَوَى فى رَسْمِهَا فَارَقْتَ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ الْمُلْتَقَى (١)

وَسَمِعْتُ بِالْعِرَاقِ مُنْشِدًا يُنْشِدُ (٢) :

أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِى قَدْ دَثَرَا كَانَ عَيْنًا ثُمَّ أَضْحَى أَثَرَا
أَيْنَ سُكَّانُكَ مَاذَا فَعَلُوا خَبِّرًا عَنْهُمْ سُقِيتَ الْمَطَرَا
وَلَقَدْ نَادَى مُنَادِيهِمْ لَنَا رَحَلُوا وَاسْتَوْدَعُونِى عِبَرَا

وَمِنَ الشِّعْرِ الْمُسْتَحْسَنِ فى هَذَا البَابِ (٣) قَوْلُ القَائِلِ :

رُبَّ وَرْقَاءٍ هَتُوفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فى فَنَنِ (٤)
ذَكَرَتْ إِلْفًا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِى (٥)
فَبُكَائِى رُبَّمَا أَرَّقَهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرَّقَنِى (٦)
فَإِذَا تُسْعِدُنِى أُسْعِدُهَا وَإِذَا أُسْعِدُهَا تُسْعِدُنِى (٧)

---

(١) هكذا فى « م » و « ط » والمصادر السابقة ، ماعدا الحلية ، فقد جاءت كلمة « رمسها » بدل « رسمها » ، والأخيرة أنسب فى المعنى ، وأصل الرَّمْس : التراب الذى يُحْثَى على القبر ، أو مايُدْفَنُ وتُسَوَّى عليه الأرض . أما الرسم ، فهو الأثر الباقى من الدار بعد أن عَفَتْ ودَرَسَتْ .

(٢) من هنا إلى آخر الأبيات الثلاثة الآتية عن « م » ، ولم ترد فى « ط » .

(٣) فى « ط » : « فى هذه الأبيات » بدل « فى هذا الباب » .

(٤) الوَرْقاء : الحمامة ، وقد شبه بها ابن سينا النفس حيث قال :

هَبَطَتْ إليكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتمنع

وهَتُوف : وصف للمبالغة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، أى : كثيرة الهُتاف والهديل .. والشجو : الحزن يقال : شجاه تذكر الإلف : شَوَّقَهُ وهَيَّج حُزْنَه . والفَنَن : غُصن الشجرة ، جمعه : أفنان .

[انظر إحياء علوم الدين للغزالى ج ٢ ص ٣٢٥ ط الدار المصرية اللبنانية .. وحياة الحيوان الكبرى للدميرى ج ٢ ص ٤١٦ ط مصطفى الحلبى ، وكتاب التعريفات للجرجانى ص ٣٢٥ مادة : ورقاء] .

(٥) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وعند الدميرى : « وَخِدْناً صالحاً » وكلاهما بمعنى واحدٍ تقريباً ، فالإِلْف : المألوف والمحبوب .. والخِدْن : الصديق .

(٦) أَرَّقَها : جعلها لاتنام .

(٧) هكذا البيت فى « م » و « ط » ولم يرد فى المرجعين السابقين .
وتسعدنى : تعاوننى ، يُقال : أَسْعَدَتِ النَّائحةُ الثَّكْلَى : أعانتها على البكاء والنَّوح .

وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِى (١)
غَيْرَ أَنِّى بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهْىَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِى (٢)

وَنَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْعُبَّادِ إِلَى بَابِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ شَيَّدَهُ وَأَتْقَنَهُ وَزَوَّقَهُ ، فَقَالَ : بَابٌ جَدِيدٌ (٣) وَمَوْتٌ عَتِيدٌ ، وَنَزْعٌ شَدِيدٌ ، وَسَفَرٌ بَعِيدٌ .

وَلَمَا ثَقُلَ (٤) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَأَى غَسَّالًا يَلْوِى بِيَدِهِ ثَوْبًا ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ غَسَّالًا لاأَعِيشُ إِلَّا بِمَا أَكْتَسِبُهُ (٥) يَوْمًا فَيَوْمًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَازِمٍ (٦) ، فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى جَعَلَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَانَحْنُ فِيهِ (٧) وَلَانَتَمَنَّى عِنْدَهُ مَاهُمْ فِيهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٨) : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وَنَفْسٍ لاتَشْبَعُ ، وَقَلْبٍ لايَخْشَعُ ، وَعَيْنٍ لاتَدْمَعُ ، هَلْ يَتَوَقَّعُ (٩) أَحَدُكُمْ مِنَ

---

(١) هكذا البيت فى « م » و« ط » .. وعند الدميرى وفى الإحياء ورد هكذا :

« ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى »

(٢) الجَوَى : اشتداد الوَجْد : من عِشْق أو حُزْن .

(٣) فى « ط » : « حديد » بالحاء المهملة .. وموت عتيد ، أى : مُهَيَّأٌ وحاضِرٌ .

(٤) ثَقُلَ : اشتد مرضه .

(٥) فى « ط » : « أكسبه »

(٦) هو : أبو حازم المدنى ، سلمة بن دينار ، ويقال له : الأعرج .. كان عالِمَ المدينة وفقيهها ، وقاضيها وشيخها ، وكان زاهداً عابداً ، كبير القَدْر ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه ، فقال : « إنْ كانَتْ له حاجة فليأت ، وأمّا أنا فما لى إليه حاجة » . وقال هشام لأبى حازم : ماالنجاة من هذا الأمر ؟ (يعنى المُلْك) قال : « هَيِّن .. لا تأْخُذَنَّ شيئاً إلّا من حِلّه ، ولاتضعه إلّا فى حقه » .

ومناقب أبى حازم كثيرة .. توفى – رحمه الله – سنة ١٤٠ هـ

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٩ – ٢٥٩ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، والأعلام ج ٣ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٩] وقال ابن كثير [فى البداية والنهاية ج ٩ ص ٧٢] :

« لما احتضر عبد الملك ، أَمَر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فُتِحَت سمع قَصّارًا بالوادى (القصّار : مُحَوِّر الثياب ومبيضها) فقال : ياليتنى كنتُ قَصَّاراً أعيش من عمل يدى ، فلما بلغ سعيدبن المُسَيِّب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولانفر إليهم » والجدير بالذكر أن أبا حازم سمع سعيد بن المسيب وأخذ عنه .

(٧) فى « م » : « جعلهم عند الموت يتمنون » .

(٨) فى « م » : « وقال الرسول عليه السلام » .

(٩) فى « م » : « مايتوقع » ، و« هل » هنا بمعنى « ما » .

الدُّنْيَا إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا ؛ أَوْفَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا [١] ، أَوِ الدَّجَّالَ ، وَالدَّجَّالُ [٢] شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ » [٣] .

وَقَالَ عِيسَى [٤] عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَوْحَى اللهُ [تعالى] [٥] إِلَى الدُّنْيَا : « مَنْ خَدَمَنِي فَاخْدِمِيهِ ، وَمَنْ خَدَمَكِ فَاسْتَخْدِمِيهِ [٦] يَا دُنْيَا تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلَوْلِي لَهُمْ فَتَفْتِنِيهِمْ » [٧] .

وَقَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ [٨] : يَابْنَ آدَمَ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ تُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ [٩] ، وَيَنْقُصُ عُمْرُكَ وَأَنْتَ لاتَحْزَنُ ، تَطْلُبُ مَايُطْغِيكَ ، وَعِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، لابِقَلِيلٍ تَقْنَعُ ولا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ .

---

(١) هَرَماً مُفَنِّداً : كِبَراً وضَعْفاً فى الرأى .

(٢) فى « م » : « فالدجال » .

(٣) الحديث رُوِىَ مُجتزءاً فى صحيح مسلم – بشرح النووى – فى باب الذكر بعد الصلاة ج ٥ ص ٨٧ ، ورواه النَّسَائى مجتزءاً أيضاً فى سُننه ، فى كتاب الاستعاذة ج ٨ ص ٢٥٤ ومابعدها ، بشرح جلال الدين السيوطى ، وأورده الترمذى فى صحيحه مجتزءاً فى أبواب الدعاء ج ١٣ صفحات متفرقة – وابن ماجه فى سننه ج ١ ص ٩٢ ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب – عن مسلم والترمذى والنسائى – وفيه : « قطعة من حديث » ج ١ ص ١٢٤ ط الدار المصرية اللبنانية ، وأبو نعيم فى الحلية عن عبدالله بن عمرو ، ج ٤ ص ٣٦٢ .. وورد الحديث كاملاً فى أدب الدنيا والدين للماوردى ص ١٤٤ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٤) فى « م » : عيسى بن مريم .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٦) فاستخدميه أى : اتخذيه خادماً .

(٧) هكذا فى « ط » وتَمَرَّرِى .. ولا تَحْلَوْلِى : أى صيرى مُرَّةً ولاتكونى ذات حُسن وحلاوة .. وفى « م » : « مُرِّى على أوليائى ولاتحلى لهم » أى : اذهبى عنهم وتجاوزيهم .

(٨) هكذا فى « م » والحلية ، والمغنى ، والرسالة القشيرية .. وفى « ط » : مُؤَرِّق بالهمز ، وهو : مُوَرِّق بن المُشَمْرِج (بالجيم المعجمة) .. وفى الحلية : مُشَمْرِخ (بالخاء المعجمة) العِجْلى .. كان زاهداً وتقياً وَرِعاً ، وكان يقول : « لو كان الناس يرون فينا مايرى قومنا لما قعدوا إلينا » . وكان يتلطف فى إدخال الرفق على إخوانه ، يضع عندهم ألف درهم ، فيقول : أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم .. ثم يرسل إليهم : أنتم فى حِلٍّ منها .. وله أحاديث عن عدد من الصحابة ، منهم : أبو ذَرٍّ ، وسلمان الفارسى ، رضى الله عنهما .

[انظر الحلية لأبى نعيم ج ٢ ص ٢٣٤ – ٢٣٧ ، والمغنى فى أسماء الرجال ص ٢٤٣ ، والرسالة القشيرية ص ٥٠٣] .

(٩) فى « ط » : « يُؤْتَى برزقك وتحزن » .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ (١) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بَعْضِ خُطَبِهِ (٢) : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الأَيَّامَ تُطْوَى ، وَالأَعْمَارَ تَفْنَى ، والأَبْدَانَ فى الثَّرى تَبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ يَتراكَضَانِ تَرَاكُضَ الْبَرِيدِ (٣) ، يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلِقَانِ (٤) كُلَّ جَدِيدٍ ، وَفى ذَلِكَ عِبَادَ اللهِ (٥) . مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَّبَ فى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ ، كُلَّمَا ازْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا ازْدَادَ عَطَشًا ، وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ ، فى أَسْفَلِهِ (٦) السُّمُّ الذُّعَافُ ، فَلِلذَّائِقِ (٧) مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ ، وَلَهُ فى أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الذُّعَافُ ، وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ (٨) الَّتِى تُفْرِحُهُ فى مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ ، وَكَالْبَرْقِ الَّذِى يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا (٩) وَيَبْقَى رَاجِيهِ (١٠) فى الظَّلَامِ مُقِيمًا، وَكَدُودَةِ الإِبْرَيْسَمِ (١١) الَّتِى لَايَزْدَادُ الإِبْرَيْسَمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا إِلَّا ازْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بُعْدًا ، وَفِيهِ قَالَ القَائِلُ (١٢) :

---

(١) فى « م » : « النبى » .
(٢) فى « ط » : « خطبته » .
(٣) يتراكضان تراكض البريد ، أى : يُسرعان كإسراع الدَّابَّةِ التى تحمل البريد .
(٤) يُخلِقَانِ : يُبْلِيَان .
(٥) أى : ياعبادَ الله .
(٦) هكذا فى « م » و « ط » ، والصواب : أسفلها ، لأن الكأس مؤنثة .
[انظر اللسان والوسيط وغيرهما من المعاجم مادة كأس] .
(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « السُّمُّ ، للذائق » ولم ترد فيها كلمة « الذُّعاف » . والسم الذعاف : الذى يقتل من ساعته .
(٨) فى « ط » : « وكالأحلام للنائم » .
(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وشداً » لامعنى لها .
(١٠) أى : الذى يُؤَمِّلُ أن يعود ليسير فى ضوئه . وفى « ط » : « رائيه » .
(١١) أى : كدودة الحرير « القز » ويُضرَبُ بها المثل فيمن يضر نفسه وينفع غيره ، فيقال : « مافلان إلَّا دودة قز » وقد مَثَّل بعض الحكماء ابن آدم ، بدود القز ، لايزال ينسج على نفسه من جهله حتى لايكون له مُخلِّصٌ ، فيقتل نفسه ، ويصير القز لغيره ، وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه ، لأنَّ القز يلتف عليه ، فيروم الخروج عنه فيشمس ، وربما غُمِزَ بالأيدى حتى يموت ، لئلا يقطع القز صحيحاً ، فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى أهلكه أهله وماله ، وتنعم ورثته بما شقى هو به .
[انظر الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٤٨٧ ، وثمار القلوب للثعالبى ص ٤٣٤] .
(١٢) هو : أبو الفتح البُسْتى ، على بن محمد بن الحسين . وُلد فى « بُسْت » قرب سجستان ، وإليها نسبته ، كان شاعر عصره وكاتبه ، وكان من كُتَّاب الدولة السامانية فى خراسان .. مات غريباً فى بلدة « أوزجند » ببخارى ، سنة ٤٠٠ هـ أو ٤٠١ هـ .
=

كَدُودٌ كَدُودِ الْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ مَاهُوَ نَاسِجُهُ (١)

وَمِثَالُ مَنْ يَسْتَعْجِلُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيُعْرِضُ عَنِ الدَّارِ الآخِرَةِ ، مِثَالُ رَجُلَيْنَ لَقَطَا مِنَ الأَرْضِ حَبَّتَىْ عِنَبٍ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَعَلَ يَمُصُّ الْحَبَّةَ الْتِذَاذًا بِهَا ، ثُمَّ بَلَعَهَا ، وَأَمَّا الآخَرُ فَزَرَعَ الْحَبَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ زَمَانٍ الْتَقَيَا ، فَأَمَّا الَّذِى زَرَعَ الْحَبَّةَ [وَجَدَهَا] (٢) قَدْ صَارَتْ لَهُ كَرْمًا ، وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَفَكَّرَ الآخَرُ فِى صُنْعِهِ فِى الْحَبَّةِ فَوَجَدَهَا قَدْ صَارَتْ عَذِرَةً ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَىْءٌ (٣) إِلَّا الْحَسْرَةَ عَلَى تَفْرِيطِهِ ، وَالْغِبْطَةَ (٤) لِصَاحِبِهِ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى نَبِىٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ (٥) : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِى فِى حَضْرَةِ الْقُدْسِ فَكُنْ فِى الدُّنْيَا وَحِيدًا فَرِيدًا ، مَهْمُومًا وَحْشِيًّا ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيْرِ الْوَحْدَانِىِّ الَّذِى يَظَلُّ فِى الأَرْضِ الْفَلَاةِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ رُءُوسِ الشَّجَرِ ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْعُيُونِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ وَلَمْ يَأْوِ مَعَ الطَّيْرِ اسْتِئْنَاسًا بِرَبِّهِ .

وَلِبَعْضِهِمْ :

كَمْ لِلْحَوَادِثِ مِنْ صُرُوفِ عَجَائِبٍ وَنَوَائِبٍ مَوْصُولَةٍ بِنَوَائِبِ (٦)

= [انظر الدميرى – المرجع السابق ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٦ – ٣٧٨] .

(١) كَدُودٌ : يعمل بجد واجتهاد ، ولايتوانى فى عمله ، والكدود من الرجال : الذى لاينال خيره إلا بعُسر . وقبل هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُولَ حياته مُعَنًّى بِأَمْرٍ لايزال يُعَالِجُهْ

[الدميرى – المرجع الأسبق] .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) فى « م » : « شيئا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع . اسم « ليس » .

(٤) الغِبطة : أن يتمنى المَرْءُ مِثْلَ ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه . وتُطلق على حُسن الحال والمسرة أيضاً .

(٥) فى « م » : « من الأنبياء » .

(٦) عجائب ونوائب ، صُرِفَتا هنا لضرورة الشعر . وصروف عجائب : أحداث عجيبة غريبة .

وَلَقَدْ تَقَطَّعَ مِنْ شَبَابِكَ وَانْقَضَى   مَالَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَيْكَ بِآيِبِ [(١)]
تَبْغِى مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا   يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ

وَقَالَ [(٢)] مَالِكُ بْنُ أَنسٍ : بَلَغَنِى أَنَّ عِيسَى [(٣)] عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ قَدْ خَرِبَتْ حُصُونُهَا ، وَجَفَّتْ أَنْهَارُهَا ، وَتَشَعَّثَ [(٤)] شَجَرُهَا ، فَنَادَى : يَاخَرَابُ [(٥)] ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ نَادَى : يَاخَرَابُ ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ [فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ] [(٦)] فَنُودِىَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : بَادُوا وَتَضَمَّنَتْهُمُ الأَرْضُ ، وَعَادَتْ أَعْمَالُهُمْ قَلَائِدَ فى أَعْنَاقِهِمْ [(٧)] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ [(٨)] .

قَالَ مَالِكٌ : سُئِلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ عَادٍ يُقَالُ لَهَا « هَرْثَمَة » : أَىُّ عَذَاب اللهِ رَأَيْتِ أَشَدُّ ؟ قَالَتْ : كُلُّ عَذَابِ اللهِ شَدِيدٌ ، وَسَلَامُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَى [(٩)] لَيْلَةٍ لَارِيحَ فِيهَا ، ولَقَدْ رَأَيْتُ الْعِيرَ تَحْمِلُهَا الرِّيحُ [(١٠)] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ [(١١)] : كَانَ طَعَامَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْعُشْبُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَبْكِى

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « أحسبُه » بدل « أعلمه » . بآيب : براجع .
(٢) فى « م » : قال .
(٣) فى « م » : عيسى بن مريم .
(٤) تشعث شجرها : تفرّق أو تلبّد .
(٥) فى « م » : « ياخَرِب » فى الموضعين ، أى : ياموضع الخراب .
(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .
(٧) فى « م » : « رقابهم » بدل « أعناقهم » .
(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » الجملة فيها اضطراب من الناسخ ، وسقط منها : « فبكى » .
(٩) سقطت « على » من « م » والسياق يستدعيها .
(١٠) فى « م » : الرياح .
(١١) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكى ، مولى بنى مخزوم ، تابعى ، عالم وفقيه ، ومُفَسر من أهل مكة ، وُلد سنة ٢١ هـ وأخذ التفسير عن ابن عباس ، وله أقوال وغرائب فى العلم والتفسير تُستَنْكَر ، وسُئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب من اليهود والنصارى . وفى الحلية وسير أعلام النبلاء وغيرهما من المراجع ، الكثير من ذلك . واختلفوا فى تاريخ وفاته مابين سنة ١٠٠ هـ إلى سنة ١٠٨ هـ ، والراجح أنه توفى فى سنة ١٠٤ هـ .
[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ – ٤٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٦٦ – ٤٦٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٥٨ ، وكتاب التاريخ الكبير للبخارى ج ٧ ص ٤١١ – ٤١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٢ ، ٤٣ ، والحلية ج ٣ ص ٢٧٩ – ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٨] .

مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى مَا لَوْ كَانَ الْقَارُ عَلَى عَيْنَيْهِ لَخَرَقَهُ (١) ، وَلَقَدْ كَانَتِ الدُّمُوعُ اتَّخَذَتْ (٢) مَجْرًى فى وَجْهِهِ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِسُقْرَاطَ (٣) الْحَكِيمِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : قُمْ ، فَقَامَ غَيْرَ مُرْتَاعٍ مِنْهُ وَلَا مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَمَا (٤) تَعْرِفُنِى ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنِّى (٥) أَرَى فِيكَ طَبْعَ الدَّوَابِّ ، فَهِىَ تَرْكُضُ بِأَرْجُلِهَا (٦) . فَغَضِبَ وَقَالَ : أَتَقُولُ لِى هَذَا وَأَنْتَ عَبْدِى ؟ فَقَالَ لَهُ سُقْرَاطُ : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ عَبْدِى . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لأَنَّ شَهَوَاتِكَ (٧) قَدْ مَلَكَتْكَ ، وَأَنَا أَمْلِكُ (٨) الشَّهَوَاتِ . فَقَالَ (٩) : أَنَا الْمَلِكُ ابْنُ الأَمْلَاكِ السَّادَةِ ، أَمْلِكُ مِنَ الْبِلَادِ كَذَا ، وَمِنَ الأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ كَذَا . قَالَ (١٠) : أَرَاكَ تَفْخَرُ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى الحلية ج ٣ ص ٢٩٠ : « حتى لو كان القار على عينيه لحرقه » ، وفى الحاشية : « لخرقه » ، وفى « ط » : « لأَخْرَقَهُ » .

(٢) فى « م » : « لو كان الدمع اتخذ » .

(٣) فيلسوف وحكيم يونانى من أثينا ، ولد سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، فى عصر كثرت فيه أضاليل السوفسطائيين ، وهم طائفة من الفلاسفة ، زعموا أن الموجودات خيالات لاحقيقة لها ، واستخدموا الجدل فى التغرير والتضليل ، حتى خلعوا بعض الناس عن عقائدهم ، فتصدى لهم سقراط ، وكان من أَلَدّ أعدائهم ، وفنّد أباطيلهم بفلسفته العالية ، وحججه القوية .. وكان سقراط يمتاز بنبل أخلاقه وشهامته ، وكان زاهداً فى الدنيا ، قليل المبالاة بها ، عزوفاً عنها ، ومن أقواله وحِكَمِهِ المشهورة : « النفس جامعة لكل شىء ، فَمَنْ عرف نفسه ، عرف كل شىء ، ومَن جهلَ نفسه جهل كل شىء » . وقال : « لو سكت من لايعلم لسقط الاختلاف » . وقال : « لاتكون كاملاً حتى يأمنك عدوك ، فكيف بك إذا كنت لايأمنك صديقك » . وقد وصلت تعاليمه إلينا عن طريق تلاميذه ، خاصة « أفلاطون » و « أكسانوفان » و « أرستوفان » أو عن طريق « أرسطو » الذى وُلد – على الأرجح – بعد وفاة سقراط بحوالى ١٣ عاماً .. توفى سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، بعد أن تحالف عليه أعداؤه أمام الحكام ، واتهموه بإفساد الشباب وعدم اعتقاده فى آلهة المدينة ، فَحُكِمَ عليه بشرب السُّمِّ فى السجن » .

[انظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى ج ٥ ص ١٨٠ – ١٩٦ والموسوعة الفلسفية ص ٢٥٦ – ٢٦٢] .

(٤) فى « ط » : ما .

(٥) فى « ط » : ولكنْ .

(٦) فى « م » : برجلها .

(٧) فى « ط » : شهوتك .

(٨) فى « ط » : ملكت .

(٩) فى « م » : « قال : فأنا الملك » .

(١٠) فى « م » : فقال .

عَلَىَّ بِمَا لَيسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا سَبِيلُكَ أَنْ تَفْخَرَ عَلَىَّ بِنَفْسِكَ [١] ، وَلَكِنْ تَعَالَ نَخْلَعْ ثِيَابَنَا ، وَنَلْبَسْ جَمِيعًا ثَوْبًا مِمَّا فِى النَّهْرِ [٢] وَنَتَكَلَّمْ ، فَحِينَئِذٍ [٣] يَتَبَيَّنُ الْفَاضِلُ مِنَ الْمَفْضُولِ . فَانْصَرَفَ الْمَلِكُ خَجِلًا .

وَهَأَنَا أَحْكِى لَكَ أَمْرًا أَصَابَنِى ، طَيَّشَ عَقْلِى ، وَبَلْبَلَ حَزْمِى ، وَقَطَّعَ نِيَاطَ قَلْبِى ، وَلَا يَزَالُ [٤] مِرْآةً لِى حَتَّى يُوَارِيَنِى التُّرَابُ ، وَذَلِكَ أَنِّى كُنْتُ يَوْماً بِالْعِرَاقِ وَأَنَا أَشْرَبُ مَاءً ، فَقَالَ لِى صَاحِبٌ لِى ، وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ : يافُلَانُ ، لَعَلَّ هَذَا الْكُوزَ الَّذِى تَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ كَانَ [٥] إِنْسَاناً يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ ، فَمَاتَ فَصَارَ تُرَاباً ، فَاتَّفَقَ لِلْفَخَّارِىِّ أَنْ أَخَذَ تُرَابَ الْقَبْرِ وَضَرَبَه [٦] خَزَفاً ، وَشَوَاهُ بِالنَّارِ فَانْتَظَمَ كُوزًا كَمَا تَرَى ، وَصَارَ آنِيَةً تُمْتَهَنُ وَيُسْتَخْدَمُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بَشَرًا سَوِيًّا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْعَمُ وَيَلَذُّ وَيَطْرَبُ ، فَإِذَا الَّذِى قَالَهُ مِنَ الجَائِزَاتِ [٧] ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ عَادَ تُرَاباً كَمَا كَانَ فِى النَّشْأَةِ الأُولَى ، ثُمَّ قَدْ يَتَّفِقُ أَنْ يُحْفَرَ لَحْدُهُ ، وَيُعْجَنَ بِالْمَاءِ تُرَابُهُ ، فَيُتَّخَذَ مِنْهُ آنِيَةٌ تُمْتَهَنُ [٨] فِى الْبُيُوتِ ، أَوْلَبِنَةٌ فَتُبْنَى فِى الْجِدَارِ ، أَوْ يُطَيَّنَ [٩] بِهِ سَطْحُ الْبَيْتِ ، أَوْ يُفْرَشَ فِى الْبَلَدِ [١٠] فَيُوطَأَ بِالأَقْدَامِ ، أَوْ يُجْعَلَ طِيناً عَلَى الْجِدَارِ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُغْرَسَ [١١]

---

(١) فى « م » : « تفخر بنفسك » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مِنْ ماء فى هذا النهر » وما ورد فى « م » أوضح .

(٣) فى « ط » : « إذ يتبين » .

(٤) فى « ط » : « فلا يزال » .. وطَيَّشَ عقلي ، أى : جعله يضطرب وينحرف عن التفكير القويم . وبَلْبَلَ حَزمى ، أى : شتَّتَهُ وبَدَّدَهُ ونياط القلب : عِرق يُعَلَّق به القلب إلى الرِّئتين .

(٥) فى « ط » : قد كان .

(٦) فى « م » : « فَصَيَّرَهُ » بدل « وضربه » وهى هنا بمعناها .

(٧) من الجائزات : مِن الأمور التى يمكن أن تحدث .

(٨) فى « ط » : « فَتُمْتَهَنُ » بمعنى : تُستَخْدَم .. وفى « م » : « فيتخذ آنية » .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أو طين » .

(١٠) فى « م » : « البيوت » بدل « البلد » .

(١١) فى « م » : « يفرش » تحريف من الناسخ .

عِنْدَ قَبْرِهِ شَجَرَةٌ ، فَيَسْتَحِيلَ [١] تُرَابُ الإنْسَانِ شَجَرَةً وَوَرَقاً وَثَمَرَةً ، فَتَرْعَى الْبَهَائِمُ أَوْرَاقَهَا ، وَيَأْكُلُ الإنْسَانُ ثَمَرَهَا ، فَيَنْبُتُ مِنْهَا لَحْمُهُ ، وَيَنْشَرُ مِنْهَا عَظْمُهُ [٢] ، أَوْتَأْكُلُ تِلْكَ الثَّمَرَةَ [٣] الْحَشَرَاتُ وَالْبَهَائِمُ ، فَبَيْنَمَا [٤] كَانَ يَقْتَاتُ ، صَارَ قُوتاً ، وَبَيْنَا [٥] كَانَ يَأْكُلُ صَارَ مَأْكُولاً ، ثُمَّ يَعُودُ فى بَطْنِ الأَرْضِ [٦] رَجِيعاً ، فَيُقْذَفُ فى بَيْتِ الرُّحَاضَةِ [٧] ، أَوْ بَعْرًا يُنْبَذُ بِالْعَرَاءِ ، وَيَجُوزُ إِذَا حُفِرَ قَبْرُهُ أَنْ تُسْفِىَ [٨] الرِّيَاحُ تُرَابَهُ ، فَتَتَفَرَّقَ أَجْزَاؤُهُ فى بُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَالتُّلُولِ [٩] وَالْوِهَادِ . أَلَيْسَ فى هَذَا مَا أَذْهَلَ [١٠] الْعُقُولَ ، وَطَيَّشَ الْحُلُومَ [١١] ، وَمَنَعَ اللَّذَّاتِ ، وَهَانَ عِنْدَهُ مُفَارَقَةُ الأَهْلِينَ وَالْمَالِ [١٢] ، وَاللُّحُوقَ بِقُلَلِ الْجِبَالِ ، وَالأُنْسُ بِالْوُحُوشِ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ . أَلَيْسَ فى هَذَا مَاصَغَّرَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا [١٣] ؟ أَلَيْسَ فى هَذَا مَاحَقَّرَ الْمُلْكَ عِنْدَ مَنْ عَظَّمَهُ ، وَالْمَالَ عِنْدَ مَنْ جَمَعَهُ ؟ أَلَيْسَ فى هَذَا مَازَهَّدَ فى اللَّذَّاتِ ، وَسَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ [١٤] ؟ //

---

(١) عبارة : « فيستحيل تراب الإنسان شجرة » عن « ط » وسقطت من « م » سهواً من الناسخ .. ومعنى فيستحيل : فيتحَول .

(٢) فى « م » : « ويَنْشَرُ عَظْمه » بالراء المهملة ، غير « يُنْشز » بالزاى المعجمة التى بمعنى : يُركَّب .

(٣) فى « م » : الثمرات .

(٤) فى « م » : « فبينا » بحذف « ما » الزائدة أو المصدرية .

(٥) فى « م » : « وبينما » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « بطن الإنسان » .. والرَّجيعُ الرَّوْث .

(٧) الرُّحَاضَةُ : الغُسَالَةُ ، وهى مايخرج من الشىء بالغَسْل .. وفى « م » : « فَقُذِفَ » بدل « فيقذف » .

(٨) تُسْفِى : تنقل .

(٩) فى « م » : « والتِّلال » وكلاهما صواب ، جمع تل ، وهو ما ارتفع من الأرض عمَّا حوله . والوهاد : الأرض المُنخفضة .

(١٠) فى « م » : أَذْهَبَ .

(١١) الحُلُوم والأحلام : العقول . جمع حِلْم .

(١٢) فى « م » : والأموال .

(١٣) جملة : « أليس ... مافيها » عن « ط » وسقطت من « م » .

(١٤) سَلَّى عن الشهوات : صرف عنها . يقال : سَلَّاهُ عن كذا وأَسْلَاهُ : جعله يسلو وينسى .

وَقَالَ مِسْعَرٌ (١) : كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لايَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُنْتَظِرٍ غَدًا وَلَيْسَ مِنْ أَجَلِهِ . إِنَّكُمْ (٢) لَوْ أَبْصَرْتُمُ الأَجَلَ وَمَسِيرَهُ ، لأَبْغَضْتُمُ الأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

وَلَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي النُّونِ (٣) – وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الأَنْدَلُسِ – قَصْرَهُ ، وَأَنْفَقَ فِيهِ بُيُوتَ أَمْوَالِهِ (٤) جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِى الأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنْ صَنَعَ فِيهِ بِرْكَةَ مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ (٥) ، وَبَنَى فِى وَسَطِهَا قُبَّةً ، وَسَاقَ (٦) الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ حَتَّى عَلَا

---

(١) سقط الاسم من « ط » .. وفى « م » : « قال مِسْعَر : كَمْ كَمْ » مكررة . ومِسْعَرٌ هوَ : مِسْعَرُ بنُ كِدَام بن ظُهَيْر ، أبو سلمة الهلالى الكوفى الأحول ، من ثقات أهل الحديث ، كان يقال له : « المصحف » لِعِظَمِ الثقة بما يرويه . وكان تقياً ورعًا ، قال عنه ابنه محمد بن مِسْعَر : كان أبى مسعر لاينام إلى أن يقرأ نصف القرآن .. وقال ابن المبارك ، أو غيره :

مَنْ كان مُلْتَمِساً جليسًا صالحاً ... فَلْيَأْتِ حَلْقَةَ مِسْعَرِ بْنِ كِدَام
فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا ... أَهْلُ العَفَافِ ، وَعِلْيَةُ الأَقْوامِ

توفى – رحمه الله – بمكة سنة ١٥٣ هـ على الأرجح .
[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٨ – ١٩٠ ، والحلية ج ٧ ص ٢٠٩ – ٢٧٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٨١ وفيها (كُدَام) بضم الكاف ، والصواب ما أثبتناه (بالكسر) ، والأعلام ج ٧ ص ٢١٦] .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ومنتظر غداً لايدركه ، لو أبصرتم » .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ابن ذى يزن » خطأ ، والأول هو الصواب .
وهو : يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن عامر بن ذى النون الهوّارى الأندلسى ، أبو زكريا المأمون ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب « طليطلة » وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ ، وامتدت أيامه فى المُلْك خمساً وعشرين سنة ، وكان عاكفاً على اللَّذَّاتِ والخلاعة .. وكان بينه وبين ابن هود « سليمان بن محمد » صاحب « سَرَقُسْطَة » خلاف ، وقامت حروب بينهما ، واستنصر ابن ذى النون بالأسبان ، وكانوا يتحيَّنون الفرصة للتوغل فى بلاد الأندلس ، فأرسلوا جيشاً أغار على « سرقسطة » وغيرها من بلاد ابن هود . ولجأ ابن هود – هو الآخر – إلى فريق آخر من الأسبان ، وبعث إليهم بأموالٍ وهدايا ، فأرسلوا جيشاً إلى ثغر « طليطلة » أفنى حُمَاته . واستمرت هذه الحال من سنة ٤٣٥ هـ إلى أن مات ابن هود سنة ٤٣٨ هـ ، وطمع الأسبان فى بلاد الفريقين .. وقاتل ذو النون أيضاً جاره ابن الأفطس ، صاحب « بطليوس » ، وحالف المعتضد ابن عبَّاد على احتلال « قرطبة » فهاجمها ذو النون ، فاستغاثت بالمعتضد ، فنقض الحلف ، وأَبْعَدَ ذا النون عنها ، واحتلها ، وفى سنة ٤٥٨ هـ استولى ذو النون على بلنسية ، وقضى على دولة آل عامر ، واستتبَّ له شرق الأندلس ، وازداد أمره قوة بعد موت المعتضد ابن عباد سنة ٤٦٠ هـ ، ولم تَطُلْ حياته بعده ، ومات بطليطلة سَنَة ٤٦٠ هـ فى السنة نفسها .
[انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والمغرب لابن سعيد ج ٢ ص ١٣ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، والأعلام ج ٨ ص ١٣٨] .

(٤) فى « ط » : الأموال .

(٥) فى « ط » : بحرة .

(٦) فى « م » : « وَسِيقَ » بالبناء للمجهول .

عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ (١) ، عَلَى تَدْبِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ ، وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوالَيْهَا ، مُحِيطاً بِهَا ، مُتَّصِلًا (٢) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَكَانَتِ (٣) الْقُبَّةُ فى غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكَناً لايُفْتَرُ (٤) ، وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا ، فَرُوِىَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَتَبْنِى بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا ... بَقَاؤُكَ فيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ (٥)

لَقَدْ كَانَ فى ظِلِّ الأَرَاكِ كِفَايَةٌ ... لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ (٦)

فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (٧) .

وَوَجِدَ مَكْتُوباً عَلَى قَصْرٍ قد بَادَ أَهْلُهُ وَأَقْفَرَتْ مَنَازِلُهُ :

هَذِى مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهِدْتُهُمُ ... فى خَفْضِ عَيْشٍ نَفِيسٍ مَالَهُ خَطَرُ (٨)

صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا ... إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ (٩)

ولِلصَّاحِبِ أَيْضاً (١٠) :

---

(١) فى « م » : « إلى رأس القصر » .

(٢) فى « م » : متصل .

(٣) فى « م » : وكانت .

(٤) فى « ط » : « سَكْباً » ، والسَّكْبُ : الهَطَلَانُ الدائم من المطر وغيره ، ويقال : ماء سَكْبٌ ، وفَرَسٌ سَكْبٌ : سَرِيع الجَرَيان . والسكن ، بالنون : كل ماسَكَنْتَ إليه ، واستأنَسْتَ به . وسكناً لايُفْتَرُ ، أى : سكناً تطمئن إليه النفس ولا تَمَلُّ منه .

(٥) هكذا فى « ط » وفى المستطرف للأبشيهى ج ٢ ص ٦١٠ .. وفى « م » : « مقامك » بدل « بقاؤك » وهى بمعناها .

(٦) فى « م » : « تقتضيه » ، والأراك : شَجَرٌ يُتَّخَذُ منه السواك .

(٧) أى : مات .

(٨) خَفْضُ العيش : سهولته ولينه .

(٩) هكذا فى « ط » وفى المستطرف ج ٢ ص ٦١٠ وغيرهما .. وفى « م » : « صائحات » بدل « نائبات » .

(١٠) من أول قوله : وللصاحب .. إلى نهاية الأبيات الثلاثة بعده عن « م » وساقط من « ط » .. والأبيات الثلاثة ليست للصاحب كما هو مذكور هنا ، بل هى للشريف الرَّضِىِّ ، وقد وردت فى ديوانه وفى الكثير من المصادر منسوبة إليه .

والشريفُ الرَّضِىُّ هو: محمد بن الحسين بن موسى العلوى ، ذى الحسبين ، وهو من أهل الفضل والأدب ، والعِلْم والذكاء ، وحِدَّة الخاطر من صِغَرِه ، وُلِد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ وتوفى بها سنة ٤٠٦ هـ ودُفن فى داره بمسجد =

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمُ　　　وَطُلُولُهَا بِيَدِ الْبِلَى نَهْبُ (١)
فَوَقَفْتُ حَتَّى عَجَّ مِنْ لَغَبٍ　　　نِضْوِى وَعَجَّ بِعَذْلِىَ الرَّكْبُ (٢)
وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِى فَمُذْ خَفِيَتْ　　　عَنْهَا الطُّلُولُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ (٣)

وَلَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا صِفِى نَفْسَكِ لَمَا عَدَتْ هَذَا الْبَيْتَ :

وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ　　　عَلَى الْمَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ (٤)

وَرُوِىَ أَنَّ الْحَجَّاجَ (٥) قَالَ فِى خُطْبَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مَابَقِىَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْبَهُ بِمَا

= الأنباريين بالكرخ ، وقد خَرِبَتِ الدار ، ودَرَسَ القبر .. ومَرَّ بعض الأدباء بداره وقد أَخْنَى عليها الزمان وذهبت بهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحُسْن الشَّارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان ، وطوارق الحدَثَان ، وتمثَّل بهذه الأبيات الثلاثة للشريف الرضى ، فَمَرَّ به شخص فسمعه ينشد الأبيات ، فقال : هل تعرف هذه الدار لِمَنْ ؟ قال : لا . قال : هذه الدار لقائل هذه الأبيات ! فتعجب مِنْ حُسْن الاتفاق .
[انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤ – ٤٢٠ ، وديوان الشريف الرضى ج ١ ص ١٤٥ ط مؤسسة الأعلمى ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠ ، وإنباه الرواة ج ٣ ص ١١٤ ، ١١٥ ، ويتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ٢٩٧ – ٣١٥ ط المطبعة الحنفية بدمشق ، والأعلام ج ٦ ص ٩٩] .

(١) هكذا البيت فى « م » وفى الديوان .. وفى وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ : « وقفتُ » بدل « مَرَرْتُ » . والنَّهْبُ ، بالفتح ، الغرض المعرض للإصابة .. وبالضَّمِّ بِمَعْنَى : مَنْهُوبَة أو مُنْتَهَبَة .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى الديوان :

« فَوَقَفْتُ حَتَّى « ضَجَّ » مِنْ لَغَبٍ　　　نِضْوِى « وَلَجَّ » بِعَذْلِىَ الرَّكْبُ »

والشطرة الثانية من البيت فى الديوان متطابقة لِمَا جاء فى الوفيات .
عَجَّ : رفع صوته وصاح .. وضَجَّ مثلها .. والنِّضْوُ : البعير المهزول .. ولَجَّ بَعَذْلِىَ الرَّكْبُ ، أى : تمادَى الرَّاكبون فى خصومتى ، وأَبَوْا أن ينصرفوا . أو : تمادَوْا فى رفع أصواتهم بمعاتبتى ولومى ، ممَّا سببَتْهُ لهم من التعب والإعياء . وفى الوفيات والشذرات : « فبكيتُ » بدل « فوقفتُ » .

(٣) هكذا البيت فى « م » ، وفى الديوان ، وفى الشَّذَرات .. وفى الوفيات : « عَنِّى » بدل « عنها » والطُّلول والأطلال : جمع طَلَلٍ ، وهو : مابقى شاخصاً من آثار الديار ونحوها .

(٤) فُروج الأصابع : فتحاتها وفى رواية : ماعَدَتْ ماوصفها به أبو نواس بقوله :

« إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ　　　له عَنْ عَدُوٍّ فى ثياب صديق »

[انظر المستطرف ج ٢ ص ٦١٠] .

(٥) هو : أبو محمد الحجَّاج بن يوسف بن الحَكم الثقفى – نسبة إلى ثقيف ، قبيلة كبيرة مشهورة فى الطائف – وُلد سنة ٤٠ هـ ، ونشأ فى الطائف بالحجاز ، وانتقل إلى الشام ، فلحق بروح بن زنباع ، نائب عبد الملك =

مَضَى مِنْهَا [١] . وَلَوْ أُعْطِيتُ مَامَضَى مِنَ الدُّنْيَا بِعِمَامَتِي هَذِهِ مَاقَبِلْتُهُ ، فكيفَ آسَى عَلَى مَابَقِيَ مِنْهَا ؟

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ مَثَلاً لِابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَخِلَّاء [٢] ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِأَحَدِهِمْ : قَدْ كُنْتَ لِي خَلِيلاً [٣] مُكْرَماً مُؤْثَرًا ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِ اللهِ [تَعَالَى] [٤] مَاتَرَى ، فَمَاذَا [٥] عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا أَمْرُ اللهِ غَلَبَنِي عَلَيْكَ ، لاأَسْتَطِيعُ أَنْ أُنَفِّسَ كَرْبَكَ ، وَلَكِنْ هَاأَنَذَا [٦] بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَخُذْ مِنِّي زَادًا يَنْفَعُكَ . ثُمَّ يَقُولُ لِلثَّانِي : قَدْ كُنْتَ عِنْدِي آثَرَ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنْ أَمْرِ اللهِ [تَعَالَى] مَاتَرَى ، فَمَا [٧] عِنْدَكَ ؟ قَالَ : هَذَا أَمْرُ اللهِ غَلَبَنِي عَلَيْكَ ،

= ابن مروان ، فكان فى عديد شرطته ، ثم مازال يظهر حتى قلّده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بجيش قوى كبير ، وقتل عبد الله ، وفرق جموعه ، فولّاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق ، والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد فى ثمانية أو تسعة رجال على النجائب ، فقمع الثورة ، وثبتت له الإمارة عشرين سنة ، وبنى مدينة واسط – بين الكوفة والبصرة – وكان سَفّاكاً سفّاحاً للدماء باتفاق معظم المؤرخين .. قال عبد الله بن شَوْذَب ، مارؤى مثل الحجاج لمَنْ أطاعه ، ولامثله لمن عصاه .. وقال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت أفصح من الحسن (البصرى) والحجاج . وقال ياقوت فى معجم البلدان : « ذُكِرَ الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء ، فغضب وقال : إنما تذكرون المساوئ ! أوَ ماتعلمون أنه أول من ضَرب درهماً عليه ، لا إلٰه إلّا الله ، محمد رسول الله ؟ وأول مَنْ بنَى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام ؟ وأول من اتخذ المحامل ؟ وأن امرأة من المسلمين سُبِيَتْ فى الهند فنادت ، ياحَجّاجاه ! فاتصل به ذلك ، فجعل يقول : لبيكِ لبيك ! وأنْفَقَ سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة ؟ » . ومما يؤخذ على الحجاج قتله العالم التقى الورع سعيد بن جبير (من التابعين) قال الإمام أحمد ابن حنبل : « قتل الحجاج سعيدًا وماعلى وجه الأرض أحد إلّا وهو مفتقر إلى علمه » . ودعا سعيد بن جبير الله بألّا يسلط الحجاج على أحد بعده .. فعاش بعده أياماً ، ومات بواسط سنة ٩٥ هـ وأُجرى على قبره الماء فاندرس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩ – ٥٤ ، ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٧ – ٣٥٠ ، وأخباره كثيرة فى كتب الأدب والتاريخ ، كالطبرى ج ٦ ط دار المعارف ، والكامل لابن الأثير ، ومروج الذهب للمسعودى ، والعقد الفريد وغيرها] .

(١) فى « ط » : « أشبه مِمَّا مَضَى مِنَ الماءِ بالماء » .

(٢) الأخِلّاء : جمع خليل ، ويُطلق على الصديق الخالص ، والخِلُّ والخليلُ واحِدٌ .

(٣) فى « م » : خِلًا .

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من « م » فى الموضعين .

(٥) فى « م » : فما عندك ؟

(٦) فى « ط » : هاأنا .

(٧) فى « م » : فماذا .

وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنَفِّسَ كَرْبَكَ ، وَلَكِنْ سَأَقُومُ عَلَيْكَ فى مَرَضِكَ ، فَإِذَا مُتَّ أَتْقَنْتُ غَسْلَكَ ، وَجَوَّدْتُ كُسْوَتَكَ ، وَسَتَرْتُ جَسَدَكَ وَعَوْرَتَكَ . وَقَالَ لِلثَّالِثِ : قَدْ نَزَلَ بِى مِنْ أَمْرِ اللهِ [تَعَالَى] (١) مَاتَرَى ، وَكُنْتَ أَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَىَّ ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : إِنِّى قَرِينُكَ وَحَلِيفُكَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، أَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ حِينَ تَدْخُلُهُ ، وَأَخْرُجُ مَعَكَ حِينَ تَخْرُجُ مِنْهُ (٢) ، وَلَا أُفَارِقُكَ أَبَدًا . فَقَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الأَوَّلُ مَالُهُ ، وَالثَّانِى أَهْلُهُ ، وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ

وَلَمَّا لَقِىَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ (٣) الْحَسَنَ الْبَصْرِىَّ قَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ لِقَاءَكَ ، فَعِظْنِى . فَقَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَاكَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَاكَانُوا يُمَتَّعُونَ** ﴾(٤) فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا سَعِيدٍ (٥) ، فَقَدْ وَعَظْتَ أَحْسَنَ مَوْعِظَةٍ .

وَاعَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِالنَّشْأَةِ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى الأُولَى ! وَاعَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ (٦) لِلشَّاكِّ فى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ ! وَاعَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سقطت « منه » من « م » .

(٣) هو : ميمون بن مهران ، أبو أيوب الرَّقّى ، عالم من القضاة ، وُلِدَ سنة ٣٧ هـ ، وكان مَوْلىً لامرأة بالكوفة فأعتقته ، فنشأ بها ، واستوطن الرَّقَّة – من بلاد الجزيرة الفراتية – فكان عالم الجزيرة وسيدها ، واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها . وكان كاتباً لعمر ومؤدباً لأولاده .. وقال ولده عمرو : سمعت أبى يقول : وددتُ أنَّ أُصبعى قُطِعَت من هاهنا وأنى لَمْ آلِ لا لعمر بن عبد العزيز ولالغيره .، ويُرْوَى أنه صلى فى سبعة عشر يوماً سبعة عشر ألف ركعة .ـ توفى – رحمه الله – سنة ١١٧ هـ وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ ، والمُحَبَّر لابن حبيب ص ٤٧٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٨٢ – ٩٧] .

(٤) سورة الشعراء – الآيات : ٢٠٥ – ٢٠٧ .

(٥) أى : يا أبا سعيد ، وهى كنية الحسن البصرى .

(٦) سقطت « كل العجب » من « م » .

بِالنُّشُورِ [١] وَهُوَ يَمُوتُ فى [٢] كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَحْيَا ! وَاعَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ ! [٣] وَاعَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُخْتَالِ الْفَخُورِ وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً ، وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ لايَدْرِى مايُفْعَلُ بِهِ !

وَرُوِىَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] [٤] : جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ فى أَرْبَعٍ : وَاحِدَةٌ لِى ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَمَّا الَّتِى لِى ، فَتَعْبُدُنِى [٥] لاتُشْرِكْ بِى شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّتِى لَكَ ، فَاعْمَلْ مَاشِئْتَ ، فَإِنِّى أُجْزِيكَ بِهِ ، وَأَمَّا الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ ، فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَىَّ الإِجَابَةُ ، وَأَمَّا الَّتِى بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَكُنْ لَهُمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا لَكَ [٦] .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أُوتِينَا مَا أُوتِىَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُؤْتَوْا ، وَعُلِّمْنَا مَاعُلِّمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُعَلَّمُوا ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى فى الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فى الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فى الْغِنَى وَالْفَقْرِ .

وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلى عَائِشَةَ [٧] رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنِ اكْتُبِى لِي كِتَاباً تُوصِينِى

---

(١) فى « م » : « بالموت والنشور » .

(٢) سقطت « فى » من « م » .

(٣) الغُرور ، بفتح الغين المعجمة ، كل ماغرَّ الإنسان من مالٍ ، أو جاه ، أو شهوة ، أو شيطان . والمراد بدار الغرور : الدنيا .

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من « م » .. وجِماعُ الخير : أَصْلُه .

(٥) فى « م » : « فأن تعبدنى فلا تشرك » .

(٦) سقطت « لك » من « م » والسياق يتطلب وجودها ، للمقابلة بين « لهم » و« لك » .

(٧) هو : معاوية بن أبى سفيان ، صخر بن حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، القُرَشِىُّ الأموىُّ ، مؤسس الدولة الأمويَّة فى الشام ، وأحد دهاة العرب الكبار .. كان فصيحاً ، حليماً وقوراً ، وُلِدَ بمكة سنة ٢٠ قبل الهجرة ، وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ ، وصار من كُتَّاب الوحى .. ولمَّا وَلِىَ أبو بكر الخلافة ، ولَّاه قيادة جيش تحت إمْرةِ أخيه يزيد بن أبى سفيان ، فكان على مقدمته فى فتح مدينة صيدا ، وعرقة ، وجُبيل ، وبيروت . ولمَّا ولى « عمر » جعله والياً على الأردن ، ورأى فيه حزماً وعلماً ، فولَّاه دمشق بعد موت أميرها (يزيد أخيه) ، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها ، وجعل ولاة أمصارها تابعين له .. وقُتل عثمان ، فَوَلِىَ « على بن أبى طالب » فَوَجَّه لفوره بعزل معاوية ، وعلم معاوية بالأمر ، قبل وصول البريد ، فنادَى بثأر عثمان ، واتهم علياً بدمه .. =

فِيهِ وَلَاتُكْثِرِى [١] عَلَىَّ . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ [٢] ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ يَقُولُ : « مَن الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ ، وَالسَّلَامُ » .

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجِمٍ [٣] عَلِيًّا رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أُدْخِلَ [٤] مَنْزِلَهُ فَاعْتَرَتْهُ غَشْيَةٌ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا] [٥] فَقَالَ : أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ ، وَالرَّغْبَةِ

= ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علىٍّ ، وانتهى الأمر بإمامة معاوية فى الشام ، وإمامة علىٍّ بالعراق . ثم قُتل علىٌّ ، وبُويع بعده ابنه الحَسَن ، فسَلَّم الخلافة لمعاوية سنة ٤١ هـ . ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة ، فعهد بها إلى ابنه « يزيد » ، ومات معاوية فى دمشق سنة ٦٠ هـ بعد أن بلغت فتوحاته المحيط الأطلنطى ، وفتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ٤٣ هـ ، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو ، وفى أيامه فُتح كثير من جزائر اليونان والدردنيل ، وحاصر القسطنطينية برًّا وبحرًا سنة ٤٨ هـ ، وضُربت فى أيامه دنانير عليها صورة أعرابى متقلد سيفاً ، وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول : هذا كِسْرَى العرب .

• أمّا عائشة فهى: عائشة بنت أبى بكر الصِّدِّيق ، أُمّ المؤمنين ، وأفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تُكْنَى : « أم عَبْد » وُلِدَت سنة ٩ قبل الهجرة ، وتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية بعد الهجرة ، وكانت أَحَبَّ نسائه إليه ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم . روى عنها ٢٢١٠ أحاديث ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢٦٢ وج ٣ ص ٢٤٠] .

(١) فى « م » : « ولاتعجلى تكثرى عَلَىَّ » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فكتبت إليه عائشة ، رضى الله عنها ، أمَّا بعد » .

(٣) هو : عبد الرحمٰن بن مُلْجَم المُرادِى الحميرى ، فاتك ثائر ، من أشداء الفُرسان ، أدرك الجاهلية ، وهاجر فى خلافة عمر بن الخطاب ، وقرأ على مُعَاذ بن جبل ، فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة .. شهد فتح مصر وسكنها ، وكان من شيعة علىٍّ ، رضى الله عنه ، وشهد معه « صِفِّين » ثم خرج عليه ، واتفق مع « الْبُرْك » و« عمرو بن بكر » على قتل علىٍّ ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة ، وتعهد « البرك » بقتل معاوية ، وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتعهد ابن مُلْجَم بقتل علىٍّ ، واستعان برجل يدعى « شبيباً الأشجعى » فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كَمُنا خلف الباب الذى يخرج منه علىٌّ لصلاة الفجر ، فلما خرج ، ضربه « شبيب » فأخطأه ، فضربه ابن مُلجم فأصاب مقدم رأسه ، فنهض مَنْ فى المسجد ، فحمل عليهم بسيفه ، فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رَمَى بها عليه ، وحمله وضرب به الأرض ، وقعد على صدره .. وفَرَّ « شبيب » ، وتوفى « علىٌّ » رضى الله عنه من أثر الجرح ، وفى اليوم الثالث لوفاته أُحْضِرَ ابن مُلْجَم وأُجْهِزَ عليه ، وكان ذلك سنة ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٣٩ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٣ – ٤٠ ، ونهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٥٩٣ ، ٥٩٤]

(٤) فى « ط » : دخل .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » .

فى الآخِرَةِ ، وَالزُّهْدِ فى الدُّنْيا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَىْءٍ فَاتَكُمَا مِنْهَا ، اعْمَلَا الْخَيْرَ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً . ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا [١] وَقَالَ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَإِنِّى أُوصِيكَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ ، وَتَوْقِيرِهِمَا ، وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا ، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ : أُوصِيكُمَا بِهِ خَيْرا ، فَإِنَّهُ أَخُوكُمَا [٢] وَابْنُ أَبِيكُمَا ، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا [٣] كَانَ يُحِبُّهُ فَأَحِبَّاهُ .

ثُمَّ قَالَ : يَابَنِىَّ ، أُوصِيكُمْ [٤] بِتَقْوَى اللهِ فى الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فى الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فى الْغِنى وَالْفَقْرِ ، وَالْعَدْلِ [٥] فى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ ، وَالْعَمَلِ فى النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللهِ فى الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ .

يَابَنِىَّ ، مَاشَرٌّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ بِشَرٍّ ، وَلَاخَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ حَقِيرٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ .

يَابَنِىَّ ، مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِىَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْرًا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَنِيهِ [٦] ، وَمَنْ نَسِىَ خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ،

---

(١) هو : ولده محمد بن على بن أبى طالب ، المعروف بابن الحنفية (نسبة إلى أُمِّه خَوْلَة بنت جعفر الحنفية) يُنسب إليها تمييزًا له عن الحسن والحسين ، ابْنَى فاطمة الزهراء بنت النبى ، صلى الله عليه وسلم . وكان يقول : « الحسن والحسين أفضل منى ، وأنا أعلم منهما » وكان واسع العلم ، شجاعاً ، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته .. توفى - رحمه الله - بالمدينة ، وقيل : بالطائف .

(٢) فى « م » : « فإنه شَيْفُكُما » .

(٣) فى « م » : أباه .

(٤) فى « م » : « ثم قال له : بُنَىَّ أوصيك » .

(٥) فى « م » : « على » بدل « فى » .

(٦) فى « م » : بيته .

وَمَنْ خَالَطَ الأَنْذَالَ اُحْتُقِرَ ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ [١] ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السُّوءِ لايَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِباً صَالِحاً يَغْنَمْ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اُتُّهِمَ ، وَمَنْ لايَمْلِكْ نَفْسَهُ نَدِمَ ، وَمَنْ مَزَحَ اُسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ [٢] .

يَابُنَيَّ ، الأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ .

يَابُنَيَّ ، الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فى الصَّمْتِ ، إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، وَوَاحِدَةٌ [٣] فى تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ .

يَابُنَيَّ ، زِينَةُ الْفَقِيرِ الصَّبْرُ ، وَزِينَةُ الْغَنِيِّ الشُّكْرُ [٤] .

يَابُنَيَّ لاشَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَامَعْقِلَ [٥] أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ . الْحِرْصُ مِفْتَاحُ الْمَقْتِ [٦] ، وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ . التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ النَّدَمِ . بِئْسَ [٧] الزَّادُ لِلْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ . طُوبَى [٨] لِمَنْ أَخْلَصَ للهِ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ [٩] ، وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ ، وَأَخْذَهُ وَتَرْكَهُ ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ ، وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ .

---

(١) من أول قوله : « وَمَنْ يصحب » إلى قوله : « نَدِمَ » عن « ط » وساقط من « م » .
(٢) فى « م » : « من قَلَّ وَرَعُهُ مات قلبُه ودخل النار » .
(٣) فى « ط » والواحدة .
(٤) الجملتان من أول قوله : « يَابُنَيَّ » إلى قوله : « الشكر » عن « م » وساقط من « ط » .
(٥) المَعْقل : المَلْجأ والحِصْنُ .
(٦) هكذا فى « م » وبعدها : « ومطية النَّصَبِ التعبُ » . والنَّصَب : التعب . وفى « ط » : « الحِرْصُ مفتاحُ التعب ، ومطيَّةُ النَّصَب » .
(٧) فى « م » : « شَرُّ الزَّاد للمعاد » .
(٨) فى « ط » : « فطُوبَى » أى : هنيئاً لهم وحُسْناً ، وتُطلق على كل مُستطاب فى الجنة ، من بقاء بلا فناء ، وعِزٍّ بلا زوال ، وغِنًى بلا فقر .
(٩) فى « م » : « عَمَلَهُ وعلمه » .

وَرُوِىَ أَنَّ (١) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ (٢) أَنَّهُ لَمَّا طُعِنَ دَعَا بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ طَعْنَتِهِ ، فَقَالَ : اللّٰهُ أَكْبَرُ ، فَجَعَلَ جُلَسَاؤُهُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْهَا كَفَافاً كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا (٣) . لَوْ أَنَّ لِيَ الْيَوْمَ مَاطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ عُمَرَ (٤) غُشِىَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ فَرَفَعْتُهُ (٥) فى حِجْرِى ، فَقَالَ : ضَعْ رَأْسِىَ بِالأَرْضِ لَعَلَّ اللّٰهَ يَرْحَمُنِى ، فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالتُّرَابِ وَقَالَ : وَيْلٌ لِعُمَرَ ، وَيْلٌ لأُمِّهِ إِنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ . فَقُلْتُ :

---

(١) فى « ط » : « وروى عن » .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نُفَيْل القُرَشِىُّ العَدَوِىُّ ، أبو حَفْص ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لُقِّب بأمير المؤمنين ، وُلِدَ سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وكان شجاعاً حازماً ، وصحابياً جَليلاً ، ويُضْرَبُ بعدله المثل .. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وشهد الوقائع مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبى بكر سنة ١٣ هـ بعهدٍ منه .. وفى أيامه تم فتح الشام والعراق ، وافْتُتِحَتْ القُدس والمدائن ، ومصر ، والجزيرة ، حتى قيل : انتصب فى مُدّته اثنا عشر ألف منبر فى الإسلام ، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجرى ، وكانوا قبله يؤرخون بالوقائع ، واتخذ بيت مالٍ للمسلمين ، وأول من دَوَّنَ الدواوين فى الإسلام ، وجعلها على الطريقة الفارسية لإحصاء أصحاب الأعطيات ، وتوزيع المرتبات عليهم .. وكان يطوف فى الأسواق منفرداً ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم .. وكتب إلى عُمَّاله : « إذا كتبتم لى فابدءوا بأنفكسم » وكان إذا نزل به الأمر المُعضِل دعا الشبان فاستشارهم ، يبتغى حِدَّة عقولهم ، وكان أول مافعله لما ولِىَ الخلافة أنْ رَدَّ سبايا أهل الرِّدَّة إلى عشائرهِنَّ ، وقال: كرهتُ أن يصير السَّبْىُ سُبَّةً على العرب .. لَقَّبَهُ النبى ، صلى الله عليه وسلم بالفاروق ، وكَنَّاه بأبى حفص .. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غيله بخنجر فى خاصرته وهو فى صلاة الصبح سنة ٢٣ هـ . وعاش بعد الطعنة ثلاث ليالٍ .. وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٤٥ ٤٦ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ ، ومابعدها ، وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٢٨ ومابعدها وغيره من الأجزاء ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٧ ومابعدها وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الخلفاء ص ١٢٥ – ١٧١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٨ – ٥٥] .

(٣) سقطت « فيها » من « م » .. والكَفافُ ، بالفتح : مقدار الحاجة من غير زيادة ولانقص . والمراد هنا : أن يخرج من الدنيا لاعليه ولا له .

(٤) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد سبق التعريف به فى أول الباب .. وفى « م » : « ولما حَضَرَ عمر غُشِى » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فوضعتها فى حجرى » والرأس مُذَكَّر .. والحِجْر ، بكسر الحاء وفتحها : الحِضْن .

وَهَلْ حِجْرِى (١) وَالأَرْضَ إِلَّا سَوَاءٌ يَا أَبَتَاهُ ؟ فَقَالَ : ضَعْ رَأْسِي بِالأَرْضِ لاأُمَّ لَكَ كَمَا آمُرُكَ ، فَإِذَا قَضَيْتُ (٢) فَأَسْرِعُو بِى إِلَى حُفْرَتِى ، فَإِمَّا (٣) هُوَ خَيْرٌ تُقَدِّمُونِى إِلَيْهِ ، أَوْ شَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ بَكَى . فَقُلْتُ (٤) لَهُ : مَايُبْكِيكَ ؟ قَالَ : خَبَرُ السَّمَاءِ ، لاأَدْرِى إِلَى جَنَّةٍ يُنْطَلَقُ بِى أَوْ إِلَى نَارٍ (٥) .

وَلَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (٦) الْوَفَاةُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِى فَقَصَّرْتُ ، وَنَهَيْتَنِى فَعَصَيْتُ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتَ (٧) ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ ، وَإِنْ عَاقَبْتَ فَمَا ظَلَمْتَ ، أَلَا إِنِّى أَشْهَدُ أَنْ لاإِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ قَضَى رَحِمَهُ اللهُ (٨) .

---

(١) فى « ط » : « فَخِذِى » بدل « حِجْرِى » .
(٢) قَضَيْتُ ، أى :مِتُّ .
(٣) فى « ط » : « فى » بدل « إلى » .. و « إنما » بدل « فإما » .
(٤) فى « ط » : فَقِيل .
(٥) فى « م » : « أم إلى نارٍ » .
(٦) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم الأموى القرشى ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، خامس الخلفاء الراشدين ، وأمُّه أمُّ عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وُلد بالمدينة سنة ٦١ هـ أو ٦٣ هـ – وقيل : ولد بحُلْوَان (قرية مصرية) وكان أبوه أميراً عليها – ونشأ بالمدينة ، و تلقى العِلم بها ، ووليَ إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، ووليَ الخلافة بعهد منه سنة ٩٩ هـ فبُويع فى مسجد دمشق ، وسكن الناس فى أيامه . ومنع – رحمه الله – سَبَّ عليِّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، (وكان مَن تقدمه من الأمويين يسبُّونه على المنابر) ، ولم تَطُلْ مُدَّتُه ، حيث توفى – بدير سمعان من حمص – سنة ١٠١هـ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً .. وكان نقش خاتمة « عمر يؤمن بالله » ، وكان – رحمه الله – قبل توليه الخلافة يبالغ فى التنعم ويفرط فيه ، ثم هجر كل ذلك بعد أن ولى الخلافة ، وعاشَ حياة كلها زهد وتقشف وورع وتقوى ، وشغله آجل العيش عن عاجله ، وكان للرعية أمْناً وأماناً .. قال عنه أنس ، رضى الله عنه : « ماصليت خلف إمام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز » وأخباره فى عَدْله وحُسْن سياسته كثيرة .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٥٣ – ٣٥٣ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ – ٢٩٣ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٠١ – ٣٠٣ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٣ – ١٣٥ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ١٢٢ ، وكتاب دول الإسلام للذهبى ج ١ ص ٦٩ – ٧١ ، والمُحَبَّر ص ٢٧ ، ٢٨ ، والطبرى ج ٦ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ وغيرهما ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٦ ، ١٥١ – ١٥٨ وغيرها من الصفحات] .
(٧) أنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتَ ، أى : أنعمت عَلَيَّ نعمة زائدة عمَّا أستحقه .. وبضم التاء من « أفضلتُ » يكون المعنى : أنعمتَ عَلَيَّ فأبقيتُ وأمسكتُ .. والأول هو الأنسب للسياق .
(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثم قَضَى نَحْبَه » .

وَلَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ (١) الْوفَاةُ ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا ، وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ (٢) . وَتَرَكَ لَكُمْ مَاجَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَاحَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ (٣) ؟

وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ (٤) فِى مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُفْرَشَ لَهُ

---

(١) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، وُلد فى دمشق سنة ٧١ هـ وبُويع بالخلافة فيها بعد وفاة أخيه « يزيد » سنة ١٠٥ هـ ، وخرج عليه زيد بن على بن الحسين سنة ١٢٠ هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فَوَجَّه إليه مَن قتله وفَلَّ جَمْعه ، ونشبت فى أيامه حرب هائلة مع خاقان التُرك فيما وراء النهر انتهت بمقتل الخاقان واستيلاء العرب على بعض بلاده .. واجتمع فى خزائنه من المال مالم يجتمع فى خزانة أحد من ملوك بنى أمية فى الشام ، وكان حسن السياسة يقظاً فى أمْرِه ، يُباشر أعماله بنفسه ، وكان حليماً ذا رأى وحزم . توفى فى ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٦ - ٢٩٩ ، ودول الإسلام ص ٧٤ وغيرها ، والطبرى ج ٧ ص ٢٥ ومابعدها ، وص ٣٥ - ٣٧ ، والكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٩٢ وصفحات أخرى متفرقة من هذا الجزء] .

(٢) فى « م » و« ط » : « بالبُكا » بدون همز .

(٣) فى « م » : « يُغْفَرْ لَهُ » .

(٤) هو : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، أبو العباس ، سابع الخلفاء العباسيين ، وأحد أعاظم الملوك فى سيرته وعلمه وسعة مُلكه .. وُلد سنة ١٧٠ هـ وكان أفضل رجال بنى العباس حزماً وعلماً وعزماً ودهاءً وهيبة ، ولَمْ يَلِ الخلافة من بنى العباس أعلم منه ، وكان فصيحاً مُفَوَّهاً ، وكان يقول : معاوية بِعَمْرِه (يعنى عمرو بن العاص) وعبد الملك بِحَجَّاجِه (يعنى الحجّاج بن يوسف الثقفى) وأنا بنفسى .. ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ ونفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر . وكان يُقال : لبنى العباس فاتحة ، وواسطة ، وخاتمة ، فالفاتحة : السَّفَّاح . والواسطة : المأمون . والخاتمة : المعتضد .. وكان معروفاً بالتشيُّع ، وقد حمله ذلك على خلع أخيه « المؤتمن » والعهد بالخلافة إلى « على الرضا بن موسى الكاظم » وزَوَّجه ابنته ، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة ، فاشتد ذلك على بنى العباس ، وخرجوا عليه ، وبايعوا إبراهيم بن المهدى ، فخرج لقتاله ، غير أن الرِّضا مات فى سنة ٢٠٣ هـ . واختفى المهدى لمدة ثمانى سنين .. وفى عهد المأمون تمت ترجمة الكثير من كتب العلم والفلسفة ، وكان يتحف ملوك الروم بالهدايا ، سائلاً أن يَصِلُوه بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون ، وأرسطو طاليس ، وأبقراط ، وغيرهم ، فاختار لها مَهَرَةَ التراجمة .. وفى عصره ظهرت محنة خَلْق القرآن ، وأظهر القول بخلقه ، وتفضيل « علىٍّ » على أبى بكر وعمر ، فاشمأزّت النفوس منه ، وكاد البلد يفتتن ، فكفَّ عن ذلك .. توفى المأمون سنة ٢١٨ هـ وكان له من العمر ٤٧ سنة وعدة أشهر ، ودُفِن بِطَرَسُوس . ومن أقواله : لو عرف الناس حُبِّى للعفو لتقربوا إلىَّ بالجرائم .. وقال يحيى بن أكثم : مارأيت أكرم من المأمون ، بِتُّ عنده ليلة ، فأخذه سُعَالٌ ، فرأيته يَسُدُّ فاه بِكُمِّ قميصه حتى لاأنتبه ..

=

جُلُّ الدَّابَةِ (١) وَيُبْسَطَ عَلَيْهِ الرَّمَادُ ، وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهِ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ وَهُوَ يَقُولُ (٢) : يَامَنْ لَايَزُولُ مُلْكُهُ ، ارْحَمْ مَنْ يَزُولُ مُلْكُهُ (٣) .

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ (٤) ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، مَرَّ عَلَى طَائِرٍ وَاقِعٍ عَلَى شَجَرَةٍ (٥) ، فَقَالَ : طُوبَى لَكَ يَاطَائِرُ ، تَطِيرُ فَتَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ ، وَتَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرِ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَاعِقَابٌ ، يَالَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ إِلَى جَنْبِ طَرِيقٍ (٦) ، فَمَرَّ عَلَيَّ بَعِيرٌ فَأَخَذَنِي فَلَاكَنِي (٧) ، ثُمَّ ازْدَرَدَنِي ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَعْرًا (٨) وَلَمْ أَكُ بَشَرًا .

= [انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ - ٣٩٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣ - ١٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩ ، والطبرى ج ٨ ص ٥٢٧ و ٣٨٩ و ٥٦٤ ومابعدها وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ صفحات متفرقة]

(١) جُلُّ الدَّابَّة : ماتُغطَّى به الدَّابَّة لِتُصَان .. بفتح الجيم وضمها .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « يتضرع ويقول » بسقوط الفعل « يبكى » والضمير « هو » .

(٣) فى « م » : « مَنْ قد زال مُلْكه » .

(٤) هو : عبدالله بن أبى قحافة ، عثمان بن عامر بن كعب التَّيمى القُرَشىُّ ، أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، وُلد بمكة سنة ٥١ قبل الهجرة ، وكان سيداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها ، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش .. حَرَّمَ على نفسه الخمر فى الجاهلية فلم يشربها ، ثم كانت له فى عصر النُّبُوَّة مواقف كبيرة ، فشهد الحروب ، واحتمل الشدائد ، وبذل الأموال ، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، سنة ١١ هـ ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة ، وافتتحت فى أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، واتفق له قواد أمناء ، كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وأبى عبيدة بن الجرّاح ، والعلاء بن الحضرمى ، ويزيد بن أبى سفيان ، والمثنى بن حارثة .. وكان - رحمه الله - موصوفاً بالحلم ، والرأفة بالعامة ، وكان خطيباً لَسِناً ، وشجاعاً بطلاً ، ولُقِّبَ بالصِّدِّيق لتصديقه النبى ، صلى الله عليه وسلم فى خبر الإسراء .. توفى - رضى الله عنه - سنة ١٣ هـ ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر .. كُتب عنه الكثير ، وأُفْرِدَتْ له الصفحات الطوال فى مناقبه .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٠٢ ، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣ - ١٢٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨ - ٣٨ وغيرها] .

(٥) « على شجرة » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٦) فى « م » : الطريق .

(٧) فى « م » : « على بعير فلاكنى » أى : مَضَغَنِى .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثم ازْدَرَدَنى بعراً » لاتصح . وازدَرَدَنى : بَلَعنى .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ (١) اللهِ : أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، تِبْنَةً مِنَ الأَرْضِ فَقَالَ : يَالَيْتَنِى كُنْتُ مِثْلَ هَذِهِ التِّبْنَةِ ، يَالَيْتَنِى لَمْ تَلِدْنِى أُمِّى ، يَالَيْتَنِى كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (٢) : وَدِدْتُ أَنِّى طَائِرٌ فِى مَنْكِبِى رِيشٌ . وَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : يَالَيْتَنِى كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَالَيْتَنِى إِذَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ .

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : عاصم بن عبيد الله – وكلاهما من حَفَدة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فالأول هوعاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، والثانى هو : عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو من رواة الحديث ، ولكنهم ضَعَّفُوهُ .. وقد جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عُمَرَ أخذ تبنةً من الأرض فقال : ليتنى كُنْتُ هذه التبنة ، ياليتنى لم أكُ شيئاً ، ليت أُمِّى لَمْ تَلِدْنى » وعبد الله هذا هو : عبدالله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة الأموى ، أبو عبد الرحمٰن ، أميرٌ فاتح ، وُلِدَ بمكة على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سنة ٤ هـ ، وكان شجاعاً سخياً ، وَصُولاً لقومه ، وَلِىَ البصرة فى أيام عثمان سنة ٢٩ هـ ، وكان مُحِباً للعمران ، اشترى كثيراً من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعاً . وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة (فى الحجاز) وأجرى العين وسقى الناس الماء .. وهو الذى وجه جيشاً إلى « سجستان » فافتتحها صُلحاً ، وافتتح عامَّة فارس وخراسان وكابل .. وقُتِلَ عثمان وهو على البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة ، ولم يحضر وقعة صفين .. ولَّاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته ، ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة .. ومات بمكة سنة ٥٩ هـ على الأرجح ، ودُفِن بعرفات .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٥٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ١٥١ ، والحيوان للجاحظ ج ١ ص ٧٨ « حاشية »]

(٢) هو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذَلِىُّ ، أبو عبد الرحمٰن ، صحابىٌّ جليل ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلا وقُرباً من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين ، وصاحب سره ، ورفيقه فى حِلِّه وترحاله وغزواته .. يدخل عليه فى كُل وقت ، ويمشى معه .. نظر إليه عمر بن الخطاب يوماً وقال : « وعاء مُلِيءَ عِلْماً » .. وَلِىَ بعد وفاة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان فتوفى فيها سنة ٣٢ هـ عن نحو ستين عاماً .. وكان قصيرًا جدًّا يكاد الجلوس يوارونه .. وكان يحب الإكثار من التطيب ، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مَرَّ من طيب رائحته .. له ٨٤٨ حديثاً .. وأورد الجاحظ فى البيان والتبيين خطبة له ، ومختارات من كلامه .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٤ – ٣٩٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤٢ – ٣٤٤ وغيرها فى عامة الأجزاء ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ وغيرها] .

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ [(١)] : لَوَدِدْتُ أَنِّى رَمَادٌ تَسْفِينِى [(٢)] الرِّيَاحُ فى يَوْمٍ عَاصِفٍ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ [(٣)] : يَالَيْتَنِى كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ وَتُؤْكَلُ ثَمَرَتِى وَلَمْ أَكُ بَشَرًا .

وَرُوِىَ [(٤)] عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : « كُنْ فى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » [(٥)] .

وَرُوِىَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِقَبْرٍ ، فَقَالَ : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا [(٦)] : قَبْرُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ [(٧)] ،

---

(١) هو : عِمْرَانُ بن عبيد بن خلف ، أبو نُجَيْد الخُزاعِيُّ ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ ، وغزا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غزوات ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة .. بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم فى الدين ، وولى قضاءها ، وتوفى بها سنة ٥٢ هـ . وهو مِمَّن اعتزل حرب « صفين » وكان مُجابَ الدعوة .. وله فى كتب الأحاديث ١٣٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠] .

(٢) تسفينى الرياح ، أى : تذْرُونى وتحملنى .. وفى « ط » : « فَتَنْسِفُنِى » .

(٣) أبو الدرداء ، هو الصحابى عويمر بن مالك . وقد سبق التعريف به .. وتُعضد ، أى : تُقطع .

(٤) من هنا إلى آخر الحديث عن « م » ولم يرد فى « ط » .

(٥) الحديث رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كن فى الدنيا كأنك غريب » عن عبدالله بن عمر ، باختلاف يسير فى لفظه ، والحديث مُوَجَّهٌ له ، وآخره : « وخُذْ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » .

[انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج ١١ ص ٢٣٣ .. وقوله : « وعُدَّ نفسك من أصحاب القبور » زادها الليث فى روايته ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً . وأخرجه أيضاً ابن المبارك فى الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون] .

(٦) فى « ط » : فقالوا .

(٧) فى « م » : « الأرثّ » بالثاء المثلثة ، خطأ من الناسخ . وخبَّاب هو : خَبَّابُ بن الأَرَتِّ بن جَنْدَلَة التميمىُّ ، أبو يحيى ، أو أبو عبدالله ، صحابىٌّ ، وهو عربى لحقه سباء فى الجاهلية فَبِيع بمكة ، وكان يعمل السيوف بها ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان سادس ستة فى الإسلام ، وهو أول مَنْ أظهر إسلامه .. استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه ، فصبر ولم يُعْطِ الكُفَّارَ ما سألوا ، إلى أن كانت الهجرة ، فهاجر ، وشهد بدراً وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ونزل الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ ، وهو أول مَنْ دُفِنَ بظهر الكوفة مِنَ الصحابة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٠١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ – ١١٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤٣ – ١٤٧ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤] .

فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا ، أَسْلَمَ رَاغِباً ، وَهَاجَرَطَائِعاً ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتُلِيَ فِى جِسْمِهِ آخِرًا (١) ، أَلَا وَلَنْ يُضِيعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . ثُمَّ مَضَى ، فَإِذَا قُبُورٌ (٢) ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ . طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ (٣) ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ تَعَالَى (٤) . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ ، وَأَمَّا الدِّيَارُ فَقَدْ سُكِنَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِّمَتْ ، هَذَا (٥) خَبَرُ مَاعِنْدَنَا ، فَمَا خَبَرُ مَاعِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ (٦) وَقَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنَا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى (٧) .

* * *

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وَابْتُلِيَ فى جسمه وعاش مجاهدًا آخرًا » .
(٢) فى « م » : « فإذا قبرٌ آخر » .
(٣) فى « م » : « وقنع بالكفاف ، وعمل للحساب » .
(٤) فى « م » : « عن الله عز وجل » .
(٥) فى « ط » : فهذا .
(٦) فى « م » : « فقال : أما إنهم فقال » . والتكرار هنا سهو من الناسخ .
(٧) فى « م » : « وجدنا خيرَ الزّاد التقوى » .

البَابُ الثَّانِي
فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ
عِنْدَ الأُمَرَاءِ وَالسَّلاطِينِ

دَخَلَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (١) عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَلَيْهِ شَمْلَةٌ وَمِدْرَعَةُ صُوفٍ (٢) فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ (٣) اقْتَحَمَتْهُ عَيْنُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَهْ يَا أَحْنَفُ (٤) ، فَقَالَ الأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ

---

(١) هو : الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَين المُرّى ، السعدى ، المِنقَرى ، التميمى ، أبو بحر ، سيد تميم ، وأحد العظماء الدهاة ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين ، يُضرَبُ به المَثَل فى الحِلْم ، وُلِدَ فى البَصرة سنة ٣ قبل الهجرة ، وأدرك النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يَرَهُ ، ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة فى المدينة ، فاستبقاه عمر ، فمكث عاماً ، وأَذِنَ له ، فعاد إلى البصرة .. وكتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى ، أمّا بعد ، فَأْدْنِ الأحنف وشاوِرْهُ ، واسمعْ منه .. الخ . وشهد الفتوح فى « خراسان » واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صِفّين مع « علىٍّ » ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الأحنف فى الجواب ، فَسُئِلَ معاوية عن صبره عليه فقال : هذا الذى إذا غَضِبَ ، غَضِبَ له مائة ألف ، لايدرون فِيمَ غضب .

وولى الأحنف خراسان ، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير « أمير العراق » فوفد عليه بالكوفة ، فتوفى فيها وهو عنده سنة ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٣ — ٤٢٥ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وغيرها فى سائر الأجزاء ، والبيان والتبيين ، وكلماته وأخباره وخطبه متفرقة فى سائر أجزائه ، وفى كثير من كتب الأدب والتاريخ] .

(٢) الشَّمْلَةُ : شُقّةٌ من الثياب ذات خمل يُتَوَشَّحُ بها ويُتَلَفَّع . والمِدْرَعَةُ : ثوب من صوف ، أو جُبّة مشقوقة المُقَدَّم .

(٣) مَثَلَ بين يديه : قام بين يديه مُنْتَصِباً .

(٤) هكذا فى « م » .. وسقطت « بأحنف » من « ط » ومَهْ : اسم فعل أمر مبنى على السكون ، ومعناه : اكْفُفْ .

الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَدَدٌ يَسِيرٌ ، وَعَظْمٌ كَسِيرٌ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ (١) ، وَاتِّصَالٍ مِنَ الذُّحُولِ (٢) فَالْمُكْثِرُ مِنْهَا قَدْ أَطْرَقَ ، وَالْمُقِلُّ مِنْهَا قَدْ أَمْلَقَ (٣) ، وَبَلَغَ بِهِ الْمِخْنَقَ (٤) ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْعِشَ الْفَقِيرَ ، وَيُجْبِرَ الْكَسِيرَ (٥) ، وَيُسَهِّلَ الْعَسِيرَ ، وَيَصْفَحَ عَنِ الذُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ (٦) ، وَيَأْمُرَ بِالْعَطَاءِ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ، وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ (٧) أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ يَعُمُّ (٨) وَلَا يَخُصُّ ، وَيَدْعُو الْجَفَلَى وَلَا يَدْعُو النَّقَرَى (٩) ، إِنْ أُحْسِنَ إِلَيْهِ شَكَرَ ، وَإِنْ أُسِيءَ إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الرَّعِيَّةِ عِمَادًا يَدْفَعُ عَنْهُمُ الْمُلِمَّاتِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمُ الْمُعْضِلَاتِ (١٠) . فَقَالَ (١١) مُعَاوِيَةُ : هَا هُنَا يَا أَبَا بَحْرٍ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (١٢) .

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٣) : لَمَّا حَجَّ الْمَهْدِيُّ قَالَ : لَابُدَّ لِى مِنْ سُفْيَانَ ، فَوَضَعُوا لِى

---

(١) هكذا فى « ... » .. وفى « ط » : « تتابع المُحول » أى : تتابع الجَدْب وانقطاع المطر .

(٢) الذُّحول : حقاد ، جمع ذَحْلٍ . ويقال : طلب بِذَحْلِهِ ، أى : بثأره .

(٣) أَطْرَقَ : أمال رأسَهُ إلى صدره وسكت .. وأَمْلَقَ : افتقر واحتاج .. وفى « م » : « أبلق » بالباء ، ومعناها لايناسب السياق .

(٤) المِخْنَقُ : الرقبة . ويريد به هنا شِدَّة الضيق .

(٥) يجبر الكسير : يكفيه حاجته .

(٦) يريد : يصفح عن الحاقدين والثائرين ، ويزيل ماحَلَّ بهم من جَدْبٍ وقَحْط بعطاياه .

(٧) فى « ط » : « وتزول اللأْوَاء » واللأواءُ : الضَّنْكُ وضِيقُ المعيشة .

(٨) يُقال : فلان يَعُمُّ القَوْمَ بالعطية : أى : يشملهم .. وفى « ط » : « يغمر » .

(٩) الجَفَلَى : الجماعة من الناس . يريد : يدعوهم جميعاً من غير تخصيص . والنَّقَرى : الدعوة الخاصة ، لأناس بعينهم .

(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « يدفع عنهم المعضلات ، ويكشف عنهم المُلِمَّات » والمُعْضِلات : المسائل المُشْكِلَة التى لايُهْتَدَى لِوَجْهِها .. والمُلِمَّات : النَّوازِل الشديدة من شدائد الدهر .

(١١) فى « م » : ثم قال .

(١٢) سورة محمد – من الآية ٣٠ .. وَلَتَعْرِفَنَّهُم فى لحن القول ، أى : بِفَحْوَى وأسلوب كلامهم .

(١٣) هو : سُفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مُضَر ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث ، وُلِدَ سنة ٩٧ هـ فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، ونشأ بالكوفة ، وكان ثقة مأموناً ثبتاً ، كثير الحديث .. وكان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والفتوى .. سكن مكة والمدينة ، وكان يقول: قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب بيوت وعباء .. وتوارَى من « المهدى » بمكة ، ولم يظهر إلّا لأهل العِلم ، وله مع المهدى أخبار أورَدَتْها كُتب الأدب والطبقات وغيرها .

الرَّصَدَ [١] حَوْلَ الْبَيْتِ ، فَأَخَذُونِى بِاللَّيْلِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَدْنَانِي ، ثُمَّ قَالَ : لأَىِّ شَىْءٍ لاتَأْتِينَا فَنَسْتَشِيرَكَ فى أَمْرِنَا [٢] ، فَمَا أَمَرْتَنَا مِنْ شَىْءٍ صِرْنَا إِلَيْهِ ، وَمَانَهَيْتَنَا عَنْ شَىْءٍ انْتَهَيْنَا عَنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَنْفَقْتَ فى سَفَرِكَ هَذَا ؟ قَالَ : لاأَدْرِى ، لى أُمَنَاءُ وَوُكَلَاءُ . قُلْتُ : فَمَا عُذْرُكَ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ ؟ لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا حَجَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : كَمْ أَنْفَقْتَ [٣] فى سَفَرِنَا هَذَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِينَارًا فَقَالَ [٤] : وَيْحَكَ ، أَجْحَفْنَا بِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

وَقَالَ الزُّهْرِىُّ [٥] : مَاسَمِعْتُ بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ رَجُلٌ [٦] عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْمَعْ مِنِّى أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحُ دِينِكَ

= قال القعقاع بن حكيم : « كنت عند المهدى ، وَأُتِىَ بسُفيان الثورى ، فلما دخل عليه سَلَّمَ تسليم العامَّة ، ولم يسلم تسليم الخِلافة ، والربيع قائم على رأسه ، مُتَّكِىء على سيفه [يرقب أمره] فأقبل المهدى بوَجْه طَلْق وقال له : ياسفيان ، تفرُّ منا هاهنا وهاهنا ، وتظن أنَّا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ فقد قدرنا عليك الآن .. أفما تَخْشَى أنْ نَحْكُمَ فيك بِهَوانا ؟

قال سفيان : إنْ تحكم فِىَّ يحكم فيك ملك قادر يُفَرِّقُ بين الحق والباطل .

فقال له الربيع : ياأمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ أتأذن لى أن أضرب عنقه .

فقال له المهدى : اسكُتْ ويلك !! مايريد هذا وأمثاله إلَّا أنْ نقتلهم فنشقى بسعادتهم .. اكتبوا بِعَهْدِه على قضاء الكوفة ، عَلَى ألَّا يُعْتَرَضَ عليه فى حُكْم .. فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ، ورمى به فى « دِجْلَة » وهرب ، فَطُلِبَ فى كل بلد فَلَمْ يوجَد .. توفى – رحمه الله – بالبصرة سنة ١٦١ هـ متوارياً من السلطان .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٦ – ٣٩١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧١ – ٣٧٤ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٣ – ٢٠٧ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٦ – ٣٩٣ ، وج ٧ ص ٣ – ١٤٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥١ – ١٧٤] .

(١) الرَّصَدُ : الرُّقَباء ، جمع راصِد .

(٢) فى « م » : أمورنا .

(٣) فى « م » : أنفقنا .

(٤) فى « ط » : « قال » .. وقوله: أجحفنا ببيت مال المسلمين ، أى : اشتد ضَرَرُنَا به ، وذهبنا بأمواله .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى . وسيأتى التعريف به فى آخر هذا الباب .

(٦) فى « م » : « من كلام رجل تكلَّم به » .

وَمُلْكِكَ ، وَآخِرَتِكَ وَدُنْيَاكَ . قَالَ : لاتَعِدْ أَحَدًا عِدَةً وَأَنْتَ لا تُرِيدُ إِنْجَازَهَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ مُرْتَقًى سَهْلٌ[١] إِذَا كَانَ الْمُنْحَدَرُ وَعْرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأَعْمَالَ جَزَاءٌ ، فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٌ [٢] فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

وَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ السَّمَّاكِ عَلَى هَارُونِ الرَّشِيدِ قَالَ لَهُ : عِظْنِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ لِخِلَافَتِهِ فِى عِبَادِهِ غَيْرَكَ ، فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِمَا رَضِىَ اللهُ [٣] بِهِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ أَوْلَى [٤] النَّاسِ بِذَلِكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ طَلَبَ فَكَاكَ رَقَبَتِهِ فِى مُهْلَةٍ مِنْ أَجَلِهِ ، كَانَ [٥] خَلِيقًا أَنْ يَعْتِقَ نَفْسَهُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ ذَوَّقَتْهُ الدُّنْيَا حَلَاوَتَهَا بِرُكُونٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، أَذَاقَتْهُ الآخِرَةُ مَرَارَتَهَا بِتَجَافِيهِ عَنْهَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَاشَدْتُكَ اللهَ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَقَدْ دُعِيتَ إِلَيْهَا وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُحَاسَبُ وَحْدَكَ ، وَإِنَّكَ لا تَقْدَمُ إِلَّا عَلَى نَادِمٍ مَشْغُولٍ ، وَلَا تخْلُفُ إِلَّا مَفْتُونًا مَغْرُورًا ، وَإِنَّكَ وَإِيَّانَا فِى دَارِ سَفَرٍ ، وَجِيرَانِ ظُعُنٍ [٦] .

وَلَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، اسْتَحْضَرَ أَبَا حَازِمٍ فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ : فِيمَ أَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فِى الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرٌ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ . قَالَ : وَمَاذَاكَ ؟ قَالَ : لاتَأْخُذِ الأَشْيَاءَ إِلَّا بِحَقِّهَا [٧] ، وَلَا تَضَعْهَا إِلَّا فِى أَهْلِهَا . قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللهُ مِنَ الأَمْرِ مَا قَلَّدَكَ . قَالَ : عِظْنِى يَا أَبَا

---

(١) فى « م » : « سهلاً » بالنصب ، والصواب بالرفع ، صفة لمُرتقى ، التى وقعت فاعلاً .
(٢) فى « ط » : « والدَّهْرُ تارات » والتارات : المَكاره ، جمع تِرَة .
(٣) فى « م » : « رَضِىَ به » .
(٤) فى « م » : « وأولى » .
(٥) فى « م » : « وكان » .. ولايصح العطف هنا .
(٦) جيران ظُعُن : مُرْتَحِلِين .
(٧) فى « م » : « إلّا بِحِلّها » .

حَازِمٍ [١] . قَالَ [٢] : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْكَ بِمِثْلِ مَاصَارَ إِلَيْكَ .. ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَزِّهْ رَبَّكَ فِى عَظَمَتِهِ عَنْ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَنْتَ سُوقٌ فَمَا نُفِقَ عَنْكَ [٣] حُمِلَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّهُمَا شِئْتَ .. قَالَ : فَمَا لَكَ لاتَأْتِينَا ؟ قَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِإِتْيَانِكَ ؟ إِنْ أَدْنَيْتَنِى فَتَنْتَنِى ، وَأَنْ أَقْصَيْتَنِى أَحْزَنْتَنِى ، وَلَيْسِ عِنْدِى مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ . قَالَ : فَارْفَعْ إِلَيْنَا [٤] حَوَائِجَكَ . قَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ [٥] مِنْكَ عَلَيْهَا ، فَمَا أَعْطَانِى مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَامَنَعَنِى مِنْهَا رَضِيتُ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى [٦] : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [٧] فَمَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ كَثِيرِ مَا قَسَمَ اللهُ ، أَوْ يَزِيدَ فِى قَلِيلِ مَاقَسَمَ اللهُ ؟ قَالَ : فَبَكَى سُلَيْمَانُ بُكَاءً شَدِيدًا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : أَسَأْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو حَازِمٍ : اُسْكُتْ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، بَعَثَ إِلَيْهِ [٨] بِمَالٍ ، فَرَدَّهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهِ مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِى ؟

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ : خَرَجَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُ قَرْعَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا ، فَإِذَا أَنَا بِهِ

---

(١) فى « م » : « أبا حازم » . ووردت القصة بكاملها فى حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٣٤ – ٢٣٧ بتصرف .
(٢) فى « م » : فقال .
(٣) فى « م » : « عندك » بدل « عنك » .. إنما أنت سوق ، أى : أنت مثل السوق التى يباع فيها .
(٤) فى « م » : إلىَّ .
(٥) فى « م » : « أحَقُّ وأقْدَر » .
(٦) فى « م » : « عَزَّ وجَلَّ » .
(٧) سورة الزخرف – من الآية ٣٢ .
(٨) فى « م » : « بعث له » .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ، قَدْ حَاكَ [١] فِي نَفْسِي شَيْءٌ لايُخْرِجُهُ إِلَّا عَالِمٌ .. أُنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . قُلْتُ لَهُ : هَاهُنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ [٢] . قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ أَتَيْتُكَ . قَالَ : جِدَّ [٣] لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ [٤] عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَاعَبَّاسُ [٥] اقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَقَالَ [٦] : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَانْظُرْ لِي رَجُلاً أَسْأَلُهُ . فَقُلْتُ [٧] : هَاهُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ [٨] ، قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ

---

(١) حاك : رسخ .. فى « م » : « حال » باللام ، وهى بمعنى : غاب .

(٢) هو : سفيان بن عُيَيْنَة بن ميمون الهلالى الكوفى ، أبو محمد ، مُحَدِّثُ الحَرم المَكِّيّ ، كان عالماً ناقداً ، وزاهداً عابداً ، وُلد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ ، وسكن مَكة ، وكان حافظاً ثقة ، واسع العِلم ، ذا رأى راجح ، كبير القَدْر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب عِلم الحجاز .. توفى – رحمه الله – بمكة ودُفِنَ بها سنة ١٩٨ هـ . وحج سبعين حجة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٥ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٢٧٠ – ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ – ١٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ – ٣٩٣] .

(٣) جِدَّ ، أى : اجتهد .. وفى « م » : خُذْ .

(٤) سقطت « له » من « م » وبعدها : « فقال : نعم » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ياعباسى » وهو : العباس بن الفضل بن الربيع .

(٦) فى « م » : « فقال له » .

(٧) فى « م » : قلت .

(٨) فى « م » : « هشام » بالشين المعجمة : تحريف . وعبد الرزّاق هو : عبد الرزّاق بن همّام بن نافع الحميرى ، أبو بكر الصنعانى ، من حُفّاظ الحديث الثقات .. من أهل صنعاء ، ولد سنة ١٢٦ هـ ، وكان يحفظ نحو سبعة عشر ألف حديث ، وقيل : مارحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مثلما رحلوا إليه .. وروى عنه أئمة الإسلام فى ذلك العصر ، ومنهم سُفيان بن عُيَيْنَة ، وهو من شيوخه ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم .. توفى – رحمه الله – فى شوال سنة ٢١١ باليمن .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٠٩ – ٦١٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧] .

أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : جِدَّ (١) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ (٢) : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ (٣) ، اقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّى صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَانْظُرْ (٤) لِي رَجُلاً أَسْأَلُهُ ، فَقُلْتُ (٥) : هَاهُنَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ (٦) . قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَإِذَا (٧) هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى غُرْفَةٍ (٨) يَتْلُو آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وَيُرَدِّدُهَا (٩) ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ (١٠) ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَالِي وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ! أَمَا عَلَيْكَ طَاعَتُهُ (١١) ؟ فَقَالَ : أَوَلَيْسَ قَدْ رُوِىَ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ؟ فَنَزَلَ فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ ارْتَقَى الْغُرْفَةَ فَأَطْفَأَ السِّرَاجَ ، ثُمَّ الْتَجَأَ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْغُرْفَةِ ، فَجَعَلْنَا نَجُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا ، فَسَبَقَتْ كَفُّ الرَّشِيدِ كَفِّى إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَوْهِ (١٢) مِنْ كَفٍّ ما أَلْيَنَهَا إِنْ نَجَتْ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى !

---

(١) فى « م » : خُذْ .

(٢) سقطت « له » من « م » .

(٣) فى « ط » : ياعباسى .

(٤) فى « م » : انْظُرْ .

(٥) فى « م » : قلتُ .

(٦) هو : الفُضَيْل بن عِيَاض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على ، أحد الأقطاب ومن أكابر العُبّاد الصالحين ، وَلد بخراسان بكورة « أبِيوَرْد » سنة ١٠٥ هـ ، وقَدِمَ الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تَعبَّد وانتقل إلى مكة وجاوَرَ بها إلى أن مات سنة ١٨٧ هـ وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥٣ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ – ١٣٩ ، والرسالة القشيرية ج ص ٦٢ – ٦٤ ، وطبقات الصوفية ص ٦ – ١٤ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ ، وطبقات الأولياء ص ٢٦٦ – ٢٧١ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٧ – ٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣١٦ – ٣١٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ وفيها قال عنه هارون الرشيد : مارأيتُ فى العلماء أهيب من مالك ولا أوْرَع من الفضيل] .

(٧) فى « ط » : وإذْ .

(٨) فى « م » : غرفته .

(٩) فى « م » : « وهو يرددها » .

(١٠) فى « م » : « فقرعتُ عليه الباب » .

(١١) فى « ط » : طاعة .

(١٢) أَوْهِ ، بسكون الواو وكسر الهاء : كلمة تقال عند التَّوجُّع .. وفى « ط » : « أَوّاه » .

قَالَ : فَقُلْتُ فى نَفْسِي لَيُكَلِّمَنَّهُ (١) اللَّيْلَةَ بِكَلَامٍ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبٍ تَقِيٍّ . فَقَالَ : جِدَّ (٢) لِمَا جِئْنَا لَهُ يَرْحَمُكَ اللهُ . قَالَ : وَفِيمَ جِئْتَ ؟ حَطَبْتَ (٣) عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَمِيعُ مَنْ مَعَكَ حَطَبُوا عَلَيْكَ ، حَتَّى لَوْ سَأَلْتَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ الْغِطَاءِ عَنْكَ وَعَنْهُمْ (٤) أَنْ يَحْمِلُوا عَنْكَ شِقْصًا (٥) مِنْ ذَنْبٍ مَافَعَلُوا ، وَلَكَانَ أَشَدُّهُمْ حُبًّا لَكَ أَشَدَّهُمْ هَرَبًا مِنْكَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ [رَحِمَهُ اللهُ] (٦) لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ (٧) ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدِ ابْتُلِيتُ بِهَذَا الْبَلَاءِ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَعَدَّ الْخِلَافَةَ بَلَاءً ، وَعَدَدْتَهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةً ، فَقَالَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللهِ (٨) فَصُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَلْيَكُنْ

---

(١) فى « م » : لَتُكَلِّمَنَّهُ .

(٢) فى « م » : خُذْ .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « حَمَلْتَ » بدل « حَطَبْتَ » و « حملوا » بدل « حطبوا » .. وحطبَ علَى فُلان : سَعَى به .

(٤) المراد بانكشاف الغطاء : وضوح الحقيقة ماثلة أمام العين يوم القيامة ، تلك الحقيقة التى كان الإنسان غافلاً عنها فى الدنيا ، وفيها يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هذا ، فكشفْنَا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ سورة « ق » - الآية ٢٢ .

(٥) الشِّقْصُ : الشيء اليسير .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٧) **الأول** : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم . توفى - رحمه الله - سنة ١٠٦ هـ .

والثانى : محمد بن كعب القُرَظِى ، حليف الأوس ، أبو حمزة المدينىّ ، من التابعين .. وكان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً ، وكان مُحَدِّثاً ثقة .. توفى - رحمه الله - سنة ١٠٨ هـ وقيل سنة ١١٧ هـ وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة .

والثالث : رجاء بن حَيْوَةَ بن جَرْوَل الكندى ، أبو المقدام ، شيخ أهل الشام فى عصره ، ومن الوُعَّاظ الفصحاء العلماء ، وكان ملازماً لعمر بن عبد العزيز فى عهدى الإمارة والخلافة ، وهو الذى أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر .. توفى - رحمه الله - سنة ١١٢ هـ .

[انظر رجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٦٧٥ ، والحلية ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٨ وج ٣ ص ٢١٢ - ٢٢١ وج ٥ ص ١٧٠ - ١٧٧ ، وطبقات الشعرانى ج ٢ ص ٣٨ ، والأعلام ج ٣ ص ٧١ و١٧] .

(٨) فى « م » : « عذاب الله تعالى » .

بِضَارِكَ فِيهَا الْمَوْتُ ، وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ غدًا ، فَلْيَكُنْ كَبِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَكَ أَبًا ، وَأَوْسَطُهُمْ عِنْدَكَ أَخًا [١] ، وَأَصْغَرُهُمْ وَلَدًا ، فَبِرَّ أَبَاكَ ، وَارْحَمْ أَخَاكَ ، وَتَحَنَّنْ عَلَى وَلَدِكَ . وَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ : إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ غَدًا فَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِينَ مَاتُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لَهُمْ مَاتَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، ثُمَّ مَتَى شِئْتَ مُتَّ ، وَإِنِّى لأَقُولُ لَكَ هَذَا ، وَإِنِّى لأَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزِلُّ [٢] الأَقْدَامُ ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللهُ - مِثْلُ هَؤُلَاءِ [٣] الْقَوْمِ مِمَّنْ يَأْمُرُكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : ارْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَابْنَ أُمِّ الرَّبِيعِ ، قَتَلْتَهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقُ بِهِ أَنَا ؟ ثم أَفَاقَ فَقَالَ : زِدْنِى .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَغَنِى أَنَّ عَامِلاً لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ سَهَرًا [٤] فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَخِى ، اذْكُرْ سَهَرَ أَهْلِ النَّارِ فِى النَّارِ ، وَخُلُودَ الأَبْدَانِ [٥] فَإِنَّ ذَلِكَ يَطْرُدُ [٦] بِكَ إِلَى رَبِّكَ نَائِماً وَيَقْظَانَ [٧] ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمُكَ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ ، وَيَنْقَطِعَ [٨] الرَّجَاءُ مِنْكَ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ لَهُ : خَلَعْتَ قَلْبِى بِكِتَابِكَ ، لَاوَلِيتُ لَكَ وِلَايَةً أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللهَ تَعَالَى . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِى .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْعَبَّاسَ ، عَمَّ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَهُ فَقَالَ :

---

(١) فى « م » : « فاجعل كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم أخاً » .

(٢) فى « م » : « تَزِلُّ فيه » .

(٣) فى « ط » : « مثل هذا القوم مَنْ يأمرك » .

(٤) سقطت « سهراً » من « م » هى و« ابن عبد العزيز » بعدها .

(٥) فى « ط » : « وخلود الأبد » .

(٦) يَطْرُد : يُرسل .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « يقظاناً » لاتصح ، ممنوعة من الصرف .

(٨) فى « ط » : « ومنقطَع » .

يَارَسُولَ اللهِ ، أَمِّرْنِي عَلَى إِمَارَةٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ [١] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : يَاعَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لاتُحْصِيهَا ، إِنَّ الإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ . فَبَكَى هَارُونُ الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي يَرْحَمُكَ اللهُ [٢] .

قَالَ : يَاحَسَنَ الْوَجْهِ ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ [٣] اللهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِيَ هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [٤] : مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعْم ، دَيْنٌ لِرَبِّي لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَالْوَيْلُ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، والْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ يُلْهِمْنِي حُجَّتِي . قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي دَيْنَ الْعِبَادِ . قَالَ : إِنَّ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمَرَنِي أَنْ أُصَدِّقَ وَعْدَهُ ، وَأُطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ** [٥] **إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [٦] . فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، خُذْهَا فَأَنْفِقْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى سَبِيلِ [٧] النَّجَاةِ وَتُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ، سَلَّمَكَ اللهُ وَوَفَّقَكَ ؟ ثُمَّ صَمَتَ فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي هَارُونُ : إِذَا دَلَلْتَنِي عَلَى رَجُلٍ فَدُلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ .

---

(١) فى « م » : « فقال النبىُّ » .

(٢) فى « م » : « يرحمك الله تعالى » وبعدها : « فقال » .

(٣) فى « م » : « نسلك » تحريف من الناسخ .

(٤) فى « م » يقول .

(٥) هكذا فى « ط » وفى القرآن الكريم .. وفى « م » : « الإنس والجن » .

(٦) سورة الذاريات ، الآيات من : ٥٦ – ٥٨ .

(٧) فى « ط » : « على النجاة » .

وَرُوِىَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ (١) دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ (٢) : يَا هَذَا ، أَمَا تَرَى (٣) مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ ؟ فَلَوْ قَبِلْتَ هَذَا الْمَالَ فَفَرَّجْنَا بِهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانَ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبِرَ نَحَرُوهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ . مُوتُوا يَا أَهْلِى جُوعاً وَلَا تَذْبَحُوا فُضَيْلاً . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ قَالَ : أَدْخُلْ ، فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ . قَالَ : فَدَخَلْنَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِنَا الْفُضَيْلُ خَرَجَ وَجَلَسَ عَلَى التُّرَابِ عَلَى السَّطْحِ ، فَجَاء (٤) هَارُونُ الرَّشِيدُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ ، فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ (٥) كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ : يَاهَذَا ، قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَانْصَرِفْ يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَانْصَرَفْنَا .

وَوَعَظَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ (٦) الْمَنْصُورَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ أَحَدًا ، فَلَا تَجْعَلْ فَوْقَ شُكْرِ اللهِ شُكْراً (٧) .

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (٨) عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَرَأَ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ

---

(١) أى : من نساء الفضيل بن عياض .

(٢) فى « م » : « فقالت : ياهذا » .

(٣) فى « ط » : « قد ترى » .

(٤) سقطت : « فجاء هارون الرشيد » من « م » وفيها : « فجلس هارون إلى جنبه ، فجعل يكلمه ولايجيبه » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فبينا كذلك » .

(٦) فى « م » و« ط » : « شبة » تحريف ، والصواب ما أثبتناه « شيبة » . وقد وردت هذه الموعظة فى تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٥ .

وهو : شبيبُ بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى الأهتمى ، أبو مَعْمر ، أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخو المساكين .. من أهل البصرة ، وكان لَسِناً فصيحاً ، قَدِم بغداد فى أيام المنصور ، فاتصل به ، وبالمهدى من بعده ، وكان كريماً عليهما ، أثيراً عندهما . توفى سنة ١٧٠ هـ .

[انظر تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٤ – ٢٧٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥٨ – ٤٦٠ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٦٢ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ ، ٤٧ وغيرهما ، والأعلام ج ٣ ص ١٥٦] .

(٧) فى « م » : « فوق شكرك شكراً » .

(٨) فى « ط » : « عُمر » خطأً .. وهو : عَمْرو بن عبيد بن باب ، التيمى بالولاء ، أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره .. كان تقياً ورِعاً ، وكان من المحدِّثين ، وأحد الزهاد المشهورين ، وكان تلميذاً للحسن البصرى إلى أن انفصل عن أصحاب الحسن مع واصل بن عطاء ، وهو يجيد الوعظ ، ثم لايخشى فى وعظه خليفة أو أميراً =

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[(١)] لِمَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعَالِهِمْ ، فَاتَّقِ اللهَ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ بِبَابِكَ [(٢)] نِيرَاناً تَأَجَّجُ ، لايُعْمَلُ فِيهَا بِكِتَابِ اللهِ وَلَابِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٣)] ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا [(٤)] وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ [(٥)] ، أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ عُمَّالُكَ أَنَّهُ لايُرْضِيكَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَدْلُ لَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لايُرِيدُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بنِ مُجَالِدٍ [(٦)] : أُسْكُتْ فَقَدْ غَمَمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو [(٧)] : وَيْلَكَ يَابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ، أَمَا كَفَاكَ أَنَّكَ خَزَنْتَ نَصِيحَتَكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَنْصَحُهُ ، اتَّقِ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِ اتَّخَذُوكَ سُلَّماً إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِكِ بِالْقُرُونِ ، وَغَيْرُكَ يَحْلِبُ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً .

= وكان يحتقر عطاياهم ، ويعلو بنفسه على نفوسهم ، وينفذ بموعظته إلى قلوبهم فيبكيهم ، ثم يلحُّون عليه فى أن يغشى مجالسهم فيأبى .. وأخباره مع المنصور كثيرة ، وقد وُلد سنة ٨٠ هـ وتوفى بِمُرَّان – قرب مكة – سنة ١٤٤ هـ وقد رثاه المنصور ، ولَمْ يُسْمَع بخليفة رَثَى مَنْ دونه سواه ، وكان يقول فيه :

« كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد »

وفى العلماء من يراه مبتدعاً ، وتركوا أحاديثه . وقال عنه ابن حبان : « كان من أهل الورع إلى أن أحدث ما أحدث » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٦٦ – ١٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٠ – ٤٦٢ ، وطبقات المعتزلة ص ٣٤ وغيرها ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٣ ، وكتاب الضعفاء الكبير للعقيلى ج ٣ ص ٢٧٧ – ٢٨٦ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ – ٢٨٠ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١] .

(١) الآيات من أول سورة « الفجر » إلى الآية ١٤ .

(٢) فى « م » : « شابك – أو شبابك » وكلاهما تحريف من الناسخ ، باعتبار مابعدها .

(٣) سقطت « صلى الله عليه وسلم » من « ط » .

(٤) اجترحوا : ارتكبوا – أو اكتسبوا من الجرائم والموبقات .

(٥) فى « ط » : « فلا تصلح دنياهم إلا بفساد آخرتك » .

(٦) فى « ط » : « سَلمان » خطأ .. والصواب : « سليمان » وهو : سليمان بن مجالد ، مولى أبى جعفر المنصور .

(٧) فى « م » : « فقال عمرو » .

وَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ (١) لِلْمَنْصُورِ فى بَعْضِ كَلَامِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَرِيدَةٌ يَابِسَةٌ يَسْتَاكُ (٢) بِهَا ، وَيَرْدَعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣) فَقَالَ : يَامُحَمَّدُ ، ماهَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ؟ اقْذِفْهَا لا تَمْلأْ قُلُوبَهُمْ رُعْباً ، فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ ، وَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ (٤) دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدْشَةٍ خَدَشَهَا أَعْرَابِياً مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ (٥) ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تُكَسِّرُ قُرُونَ رَعِيَّتِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنَ النَّارِ نُشِرَ (٦) عَلَىٰ مَا فى الأَرْضِ لَاجْتَثَّهُ (٧) ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنُوباً (٨) مِنَ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَا فِي الأَرْضِ لَاجْتَثَّهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْ سَلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُسَلْسَلُ (٩) فِيهَا وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عُنُقِهِ (١٠) ؟ .

---

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعى ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، إمام الديار الشاميَّة فى الفقه والزهد ، وُلد فى بعلبك سنة ٨٨ هـ ، ونشأ فى البقاع .. قال عنه صالح بن يحيى فى تاريخ بيروت : كان الأوزاعى عظيم الشأن بالشام ، وكان أمره فيهم أعزَّ مِن أمر السلطان ، وعُرِض عليه القضاء فامتنع . وكان لايخاف فى الله لَوْمة لائم ، يقول الحق ولايخاف سطوة العظائم .. وكان المنصور يعظمه ويصغى إليه ويجلُّه .. توفى - رحمه الله - سنة ١٥٧ هـ وقبره فى قرية على باب بيروت يُقال لها « حَنْتُوس » .

[انظر حلية الأولياء ج ٦ ص ١٣٥ - ١٤٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٨ - ١٨٣ ، والمعارف ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٢٠] .

(٢) يستاك بها : يتخذ منها سواكاً ينظف فمه وأسنانه به .

(٣) « عليه السلام » لم ترد فى « م » .

(٤) المراد بالمغفور له ماتقدم من ذنبه وماتأخر : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٥) فى « ط » : « من غير تعمُّد » .

(٦) فى « م » : « صُبَّ » بدل « نُشر » والثانية هى المناسبة للمقام .

(٧) فى « م » : « لأجَتَّهُ » فى الموضعين .

(٨) الذَّنُوب : الدَّلْو .

(٩) فى « م » : يسلُك فيها ، أى : يدخل وينفذ .

(١٠) فى « م » : « على عاتقه » . والعاتق : مابين المَنْكِب والعُنق .

وَدَخَلَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ (١) : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالإِحْسَانِ (٢) مَنْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالإِنْصَافِ مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ (٣) بِالْقُدْرَةِ ، فَاسْتَدِمْ مَا أُوتِيتَ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةِ مَاعَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

وَرُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الأَمِيرُ ، أَتَتْ عَلَى النَّاسِ سِنُونَ ثَلَاثٌ : أَمَّا الأُولَى فَأَكَلَتِ اللَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَأَذَابَتِ الشَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَهَاضَتِ (٤) الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكَ فُضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ للهِ فَاقْسِمْهَا بَيْنَ عِبادِهِ (٥) ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلِمَ تَحْصُرُهَا (٦) عَلَيْهِمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ (٧) اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . فَأَمَرَ هِشَامٌ بِمَالٍ فَقُسِّمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : أَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ مِثْلُ (٨) هَذَا ؟ قَالَ : لَايَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ الْمَالِ . قَالَ : لَاحَاجَةَ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لأَئِمَةِ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اُذْكُرْ لِمُقَامِي هَذَا مُقاماً (٩) لَايَشْغَلُ اللهُ عَنْكَ كَثْرَةُ مَنْ يُخَاصِمُ مِنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تَلْقَاهُ (١٠) بِلَا ثِقَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَابَرَاءَةٍ مِنَ الذَّنْبِ : فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ (١١) ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ وَعُمَرُ يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ ، ثُمَّ قَالَ : مَاحَاجَتُكَ ؟ قَالَ : عَامِلُكَ أَخَذَ مِنِّي اثْنَيْ عَشَرَ (١٢)

---

(١) سقطت « له » من « م » .
(٢) فى « م » : « بالإنسان » .
(٣) فى « م » : « مَنْ بُسِطت يداه » .
(٤) هاضَتِ العَظْمَ : أضعفته وألانته .
(٥) فى « م » : عباد الله .
(٦) فى « م » : تحصرهم .. لاتصح . وتحصرها : تمنعها عنهم .
(٧) فى « م » : إنَّ .
(٨) فى « م » : « أَكُلُّ المسلمين له مثل هذا المال ؟ » .
(٩) سقطت « مقاماً » من « ط » .
(١٠) فى « م » : « يوم القيامة » .
(١١) استردَّهُ الكلامَ : سأله أن يُرَدِّدَهُ عليه .. وفى « م » : « فجعل يَرُدُّهُ » بدل « يُرَدِّده » خطأ من الناسخ .
(١٢) سقطت « اثنى » من « م » .

أَلْفَ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَلَا تَكْتُبُونَ لَهُ حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْهِ مَالُهُ (١) ؟ .

وَلَمَّا دَخَلَ زِيَادٌ (٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : يَا زِيَادُ ، أَلَا تَرى مَا ابْتُلِيتُ (٣) بِهِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ فَقَالَ زِيَادٌ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ شَعْرَةً (٤) مِنْكَ نَطَقَتْ ، مَابَلَغَتْ كُنْهَ مَا أَنْتَ فِيهِ (٥) ، فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فى الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ بِكَ غَدًا وَقَدْ سُئِلْتَ عَنْ هَذِهِ الْخَلائِقِ أَجْمَعَ ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنينَ (٦) ، كَيْفَ حَالُ رَجُلٍ لَهُ خَصْمٌ أَلَدُّ ؟ قَالَ : سَيِّءُ الْحَالِ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَهُ (٧) خَصْمَانِ أَلَدَّانِ ؟ قَالَ : أَسْوَأُ الْحَالَةِ (٨) . قَالَ : فَإِنْ كَانُوا ثَلاثَةً ؟ قَالَ : لايَهْنِئُهُ عَيْش (٩) قَالَ : فَوَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ (١٠) مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا وَهُوَ خَصْمُكَ . قَالَ (١١) : فَبَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى (١٢) تَمَنَّيْتُ أَنْ لا أَكُونَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ (١٣) : كُنْتُ أَرَى شَيْخاً يَدْخُلُ عَلَى الْمَأْمُونِ فى السَّنَةِ مَرَّةً

---

(١) فى « م » : « اكتبوا له حتى يُرَدُّ عليه » .. وسقطت « ماله » منها .

(٢) هو : زياد العبدى .. انظر مادار بينهما فى البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٣) فى « م » : « إلى ما ابتليتُ » .

(٤) فى « م » : « كل شعرة » .

(٥) أى : حقيقة ما أنت فيه .

(٦) من أول قوله : كيف بك .. إلى هنا عن « م » .. ولم يرد فى « ط » .

(٧) فى « م » : « فإن كان خصْمَان » .

(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أسوأ لحاله » .. وفى البداية والنهاية : « أسوأ حالاً » .

(٩) أى : لايَلَذُّ له عيش .

(١٠) فى « ط » : « ماأحد » وسقطت « صلى الله عليه وسلم » بعدها من « م » .

(١١) سقطت « قال » من « م » .

(١٢) سقطت « حتى غُشِيَ عليه » من « ط » .

(١٣) مِن أول هذه الفقرة عن « م » ولم تَرِد فى « ط » .. ويحيى هو : يحيى بن أكثم بن محمد بن قَطَن التيمى الأُسَيْدى المروزى ، أبو محمد : قاضٍ رفيع القَدْرِ ، عالى الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفى ، حكيم العرب .. وُلد بِمَرْو سنة ١٥٩ هـ ، واتصل بالمأمون أيام مُقامه بها . فولَّاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ. =

وَاحِدَةً ، وَكَانَ يَخْلُو بِهِ خَلْوَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا ، وَلَا يَرَى لَهُ أَثَرًا ، وَلَا يَقْدَمُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ لَنَا الْمَأْمُون : وَاأَسَفَى عَلَى فَقْدِ صَدِيقٍ مَسْكُونٍ إِلَيْهِ ، مَوْثُوقٍ بِهِ ، تُلْقَى إِلَيْهِ الْعُجَرُ وَالْبُجَرُ (١) ، وَتُقْتَبَسُ مِنْهُ الْفَوَائِدُ وَالدُّرَرُ . قُلْنَا : وَمَنْ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَا كُنْتَ تَرَى شَيْخاً يَأْتِينَا فِى الْفَرْطِ (٢) وَنَخْلُو بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ إِبَّانِهِ (٣) ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ قُضِىَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : اللهُ يَمُدُّ فِى عُمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا فِى ذَاكَ ؟ قَالَ : كَانَ صَدِيقِى بِخُرَاسَانَ ، وَكُنْتُ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ اسْتِرَاحَةَ الْمُكَاتِبِ (٤) بِالْوَلَدِ الْبَارِّ الْمَحْبُوبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْتَمِدُّ مِنْهُ رَأْيًا أُقَوِّمُ بِهِ أَوَدَ الْمَمْلَكَةِ (٥) ، وَأَصِلُ بِهِ إِلَى رِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ – فِى السِّيَاسَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَآخِرُ مَاقَالَهُ لِى عِنْدَ وَدَاعِهِ أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا اسْتَشَنَّ (٦) مَابَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ فَابْلُلْهُ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا يَاصَاحِبَ الْخَيْرِ ؟ قَالَ : بِالاقْتِدَاءِ بِهِ فِى الإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، كَمَا تُحِبُّ الإِحْسَانَ مِنْ حَاشِيَتِكَ إِلَى وَلَدِكَ .. وَاللهِ مَا أَعْطَاكَ اللهُ الْقَدْرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا

= ثم قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لايقدمون ولايؤخرون فى شيء إلا بعد عرضه عليه .. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد .. وكان – مع تقدمه فى الفقه وأدب القضاء – حسن العِشْرة ، حلو الحديث ، لذا استولى على قلب المأمون حتى أمَرَ بألّا يُحْجَب عنه ليلاً ولا نهاراً .. وله غزوات وغارات ، منها : أن المأمون وجَّهَهُ سنة ٢١٦ إلى بعض جهات الروم ، فعاد ظافِراً .. وكان يُتَّهَمُ بأمور شاعت عنه وتناقلها الناس فى أيامه ، وتداولها الشعراء ، وأنكرها – بعده – الإمام أحمد بن حنبل .. ولمَّا مات المأمون وولِىَ المعتصم ، عزله عن القضاء ، فلزم بيته ، وآل الأمر إلى المتوكل ، فَرَدَّه إلى عمله ، ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ .. وتوفى بالرَّبذة – من قُرى المدينة – سنة ٢٤٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٧ – ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩١ – ٢٠٤ ، وثمار القلوب ص ١٥٦ – ١٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٦١ ، ٢٦٢] .

(١) الْعُجَرُ وَالْبُجَرُ : الأسرار والمعايب .. وفى اللسان : أفضيتُ إليه بِعُجَرِى وبُجَرِى ، أى : بعيوبى وأمرى كلّه .

(٢) الفَرْط : الحين ، ويقال للرَّجُل تلقاه بعد أيام : إنَّما تلقاه فى الفَرْطِ .

(٣) عن إبَّانِهِ : عن وقتِهِ وزمانِهِ الذى يأتى فيه .

(٤) المُكاتِبُ : السيِّد .

(٥) أُقوِّم به أَوَدَ المملكة : أُزيلُ اعوجاجها .

(٦) اسْتَشَنَّ : جَفَّ ويَبِسَ .

لِتصبِرَ عَلَى إحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ بِالشُّكْرِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ ، وَالتَّغَمُّدِ لِسَيِّئَاتِهِمْ [١] ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَوْجَهُ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ إِيَّامُكَ أَيَّامَ عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ ، وَإِحْسَانٍ وَإِشْفَاقٍ ، وَرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ ؟

مَنْ لِى يَايَحْيَى بِمِثْلِ هَذَا القَائِلِ ؟ وَأَنَّى لِي مَنْ يُذَكِّرُنِى مَا أَنَا إِلَيْهِ صَائِرٌ [٢] ؟ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ [٣] لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا سُوقٌ [٤] ، فَمِنْهَا خَرَجَ النَّاسُ بِمَا رَبِحُوا فِيهَا لآخِرَتِهِمْ ، وَخَرَجُوا بِمَا يَضُرُّهُمْ ، فَكَمْ مِنْ قَوْمٍ غَرَّهُمْ مِثْلُ الَّذِى أَصْبَحْنَا فِيهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مُرْمِلِينَ [٥] لَمْ يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا لِلآخِرَةِ ، فَاقْتَسَمَ مَالَهُمْ مَنْ لايَحْمَدُهُمْ [٦] ، وَصَارُوا إِلَى مَنْ لا يَعْذِرُهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى الَّذِى تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فَقَدِّمْهُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِ ، وَانْظُرْ إِلَى الَّذِى تَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَابْتَغِ بِهِ الْبَدَلَ [٧] حَيْثُ يَجُوزُ الْبَدَلُ ، وَلاتَذْهَبَنَّ إِلَى سِلْعَةٍ قَدْ بَارَتْ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، افْتَحِ الأَبْوَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانْصُرِ الْمَظْلُومَ .

وَحَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَىْ بَعْضِ الْمُلُوكِ فَأَغْلَظَ لَهُ السُّلْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنْتَ كَالسَّمَاءِ ، إِذَا أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ فَقَدْ قَرُبَ خَيْرُهَا . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَلَمَّا احْتَاجَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِى عَامِرٍ مَلِكُ الأَنْدَلُسِ [٨] أَنْ يَأْخُذَ أَرْضاً مُحْبَسَةً

---

(١) أى : بالتَّسَتُّر على ماكان منها .
(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « ط » المشار إليه آنفاً .
(٣) هو : محمد بن كعب القُرَظِىُّ . وقد مرت ترجمته .
(٤) فى « م » : « سوق من الأسواق » .
(٥) مُرْمِلِين : نَفِدَ زادُهُم وافتقروا .
(٦) أى : مَنْ لايثنى عليهم ويجازيهم ويقضى حقهم .
(٧) البَدَلُ : الخَلَفُ والعِوَض .
(٨) هو : محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد .

وَيُعَاوِضُ (١) عَنْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، اسْتَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فى قَصْرِهِ ، فَأَفْتَوْا بِأَنَّهُ لايَجُوزُ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْوُزَرَاءِ مَشْهُورًا بِالْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَقُولُ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : يَامَشْيَخَةَ السُّوءِ ، يَامُسْتَحِلِّى أَمْوَالَ النَّاسِ ، يَا آكِلِى أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً ، يَاشُهَدَاءَ الزُّورِ ، يَا آخِذِى الرُّشَا ، وَمُتْلِفِى (٢) الْخُصُومَ ، وَمُلْقِحِى الشُّرُورَ (٣) ، ومُلْبِسِى الأُمُورَ (٤) ، وَمُلْتَمِسِى الرِّوَايَاتِ لَدَى أَتْبَاعِ (٥) الشَّهَوَاتِ ، تَبًّا لَكُمْ (٦) وَلآرَائِكُمْ ، فَهُو – أَعَزَّهُ اللهُ – وَاقِفٌ (٧) عَلَى فُسُوقِكُمْ قَدِيماً ، وَخَوْنِكُمْ لِأَمَانَاتِكُمْ ، مُغْضٍ عَنْهُ ، صَابِرٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ احْتَاجَ إِلَى دِقَّةِ نَظَرِكُمْ فى حَاجَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فى دَهْرِهِ فَلَمْ

= الخضراء ، ولد سنة ٣٢٦ هـ ، وقدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع ، وكانت له هِمَّة لم تزل ترتقى من شىء إلى شىء حتى استُخْلِفَ على قضاء كورة « رية » ثم عُهِدَ إليه بوكالة السيدة « صُبْح » – أم هشام المؤيد – فَوَلِىَ النظر فى أموالها وضياعها ، وعظمت مكانته عندها . ووليَ الشرطة ، والسِّكة ، والمواريث ، وأُضيف إليه القضاء بإشبيلية . ولما مات المُستنصر الأموى كان « المؤيد » صغيراً ، وخِيفَ الاضطراب ، فضمن ابن أبى عامر لأم المؤيد سكون البلاد ، واستقرار المُلك لابنها ، فقام بشئون الدولة ، وغزا وفتح ، ودامت له الإمرة ٢٦ سنة ، غزا فيها بلاد الإفرنج ٥٦ غزاة لم ينهزم له فيها جيش .. وكانت الدعوة على المنابر فى أيامه للمؤيَّد (وهو محتجب عن الناس) والمُلك لابن أبى عامر ، لم يضطرب عليه شىء منه أيام حياته لِحُسْن سياسته ، وعِظَم هيبته .. قال عنه المستشرق رينو Reinaud : « جال غُزاةُ المسلمين تحت رايات المنصور فى قشتالة ، وليون ، ونابارة ، وأراغون ، وكتلونية ، إلى أن وصلوا إلى غاشقونية Gascogne وجنوبى فرنسا .. وجاست خَيْلُهُ فى أماكن لم يكن خفق فيها عَلَمٌ إسلامىٌّ من قبل ، وسقطت فى أيدى المسلمين مدينة شانتياقب Santiago من جليقية Galice وهى أقدس معهد مسيحى فى أسبانيا » .

توفى – رحمه الله – سنة ٣٩٢ هـ فى إحدى غزواته بمدينة « سالم » ولايزال قبره معروفاً فيها .

[الأعلام ج ٦ ص ٢٢٦ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٣٨٢ – ٤٠٦ ، والمُغرب فى حُلَى المغرب ج ١ ص ١٩٩ – ٢٠٣] .

(١) أرضاً مُحَبَّسَةً : موقوفة .. ويُعَاوِض عنها : يُعطى بدلاً منها .

(٢) الرُّشا : جمع رِشْوَة .. ومُتْلِفى الخصوم : مُهلِكيهم .. وفى « م » : « مُلَقِّنى » .

(٣) ومُلْقِحِى الشرور : حامليها .

(٤) ومُلْبِسى الأمور ، أى : تجعلونها مختلطة حتى لاتُعْرَف حقيقتها .

(٥) فى « ط » : « لأَتْبَاع » .. ومُلْتَمِسى : طالبى .

(٦) تَباً : دعاء عليهم بالهلاك والخسران .

(٧) هكذا فى « ط » بالرفع على أنها خبر للضمير « هو » العائد على أمير المؤمنين .. وفى « م » : « واقفاً » . لاتصح .

تُشفِعُوا [١] إرَادَتَهُ ، مَا كَانَ هَذَا ظَنَّهُ بِكُمْ . وَاللهِ لَيُعَارِضَنَّكُمْ ، وَلَيَكْشِفَنَّ سُتُورَكُمْ ، وَلَيُنَاصِحَنَّ الإِسْلَامَ فِيكُمْ . وَأَفْحَشَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا وَنَحْوِهِ ، فَأَجَابَهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ ضَعِيفُ الْمُنَّةِ [٢] فَقَالَ : نَتُوبُ إِلَى اللهِ مِمَّا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَسْأَلُهُ [٣] الإِقَالَةَ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ زَعِيمُ الْقَوْمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَيُّوَيْهِ ، وَكَانَ جَلْدًا [٤] صَارِماً ، فَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ : مِمَّ نَتُوبُ يَاشَيْخَ السُّوءِ ؟ نَحْنُ بُرَآءُ مِنْ مَتَابِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْوَزِيرِ فَقَالَ : يَاوَزِيرُ ، بِئْسَ الْمُبَلِّغُ أَنْتَ ، وَكُلُّ ما [٥] نَسَبْتَهُ إِلَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ صِفَتُكُمْ مَعَاشِرَ خَدَمِهِ [٦] ، فَأَنْتُمُ الَّذِينَ تَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَتستَحِلُّونَ ظُلْمَهُمْ بِالإِخَافَةِ [٧] ، وَتَتَحَيَّفُونَ مَعَايِشَهُمْ بِالرُّشَا وَالْمُصَانَعَةِ [٨] ، وَتَبْغُونَ فى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا نَحْنُ [٩] فَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَاتِنَا وَلَا كَرَامَةَ ، لَايَقُولُهَا لَنَا إِلَّا مُتَّهَمٌ فى الدِّيَانَةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَامُ الْهُدَى ، وَسُرُجُ [١٠] الظُّلْمَةِ ، بِنَا يَتَحَصَّنُ الإِسْلَامُ ، وَيُفَرَّقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَتُنَفَّذُ الأَحْكَامُ ، وَبِنَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ ، وَتُثْبَتُ الْحُقُوقُ ، وَتُحْقَنُ الدِّمَاءُ ، وَتُستَحَلُّ الْفُرُوجُ ، فَهَلَّا إِذْ [١١] عَتَبَ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ لَاذَنْبَ لَنَا [١٢]

---

(١) فى « م » : تشفعوا : من الشفاعة .
(٢) المُنّة : القُوّة .
(٣) الإقالة : الصفح والتجاوز .
(٤) جَلْدًا : قويًا .
(٥) فى « م » و « ط » : « كلما » .. وإذا رُسِمت هكذا فإنها تفيد الشرط ، ولاشرط هنا .. وإنما « ما » هنا اسم موصول بمعنى « الذى » ويجب فصلها عن « كل » .
(٦) أى : يامعاشِرَ خَدَمِه .. ومعاشر : جمع مَعْشَر ، ويُطلق على كل جماعة أمْرُهم واحد .
(٧) فى « ط » : « بغير الحق » بدل « بالإضافة » .
(٨) تَتَحيّفُون : تَظْلِمُون وتَجورون .. والمُصانعة : كناية عن الرُّشوة والمُخادَعة والمُداراة .
(٩) فى « م » : « فأمّا » .
(١٠) سُرُج : مصابيح .
(١١) فى « م » : « إذا » .. و « إذْ » هى الأنسب للمقام هنا ، لأنها ظرف للدلالة على الزمن الماضى بمعنى « حين » .
(١٢) فى « ط » : « لاذنب فيه لنا » .

فِيهِ ، وَقَالَ بِالْغَيْظِ مَاقَالَهُ ، تَأَنَّيْتَ لِإِبْلَاغِنَا رِسَالَتَهُ بِأَهْوَنَ مِنْ إِفْحَاشِكَ (١) ، وَعَرَّضْتَ لَنَا بِإِنْكَارِهِ حَتَّى فَهِمْنَا مِنْكَ فَأَجَبْنَاكَ عَنْهُ (٢) بِمَا يَصْلُحُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِهِ ، فَكُنْتَ تَرِينُ (٣) عَلَى السُّلْطَانِ وَلَاتُفْشِي سِرَّهُ ، وَتَسْتَحْيِينَا (٤) بِمَا اسْتَقْبَلْتَنَا بِهِ ؟ فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لايَتَمَادَى عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فِينَا ، وَلَا يَعْتَقِدُ هَذَا الْمُعْتَقَدَ فِي صِفَاتِنَا ، وَأَنَّهُ سَيُرَاجِعُ بَصِيرَتَهُ فِي إِيثَارِنَا وَتَعْزِيزِنَا ، فَلَوْ كُنَّا عِنْدَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ (٥) الَّتِي وَصَفْتَهَا عَنَّا ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ ، لَبَطَلَ عَلَيْهِ كُلُّ (٦) مَاصَنَعَهُ وَعَقَدَهُ مِنْ أَوَّلِ خِلَافَتِهِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَمَا ثَبَتَ (٧) لَهُ كِتَابٌ مِنْ حَرْبٍ وَلَا سِلْمٍ ، وَلَا شِرَاءٍ وَلَا بَيْعٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَاحَبْسٍ ، وَلَا هِبَةٍ ، وَلَا عِتْقٍ ، وَلَاغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِشَهَادَتِنَا (٨) ، هَذَا مَاعِنْدَنَا وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ قَامُوا مُنْصَرِفِينَ ، فَلَمْ يَكَادُوا يَبْلُغُوا بَابَ الْقَصْرِ إِلَّا وَالرُّسُلُ تُنَادِيهِمْ ، فَأُدْخِلُوا الْقَصْرَ (٩) ، فَتَلَقَّاهُمُ الْوُزَرَاءُ بِالْإِعْظَامِ ، وَرَفَعُوا مَنَازِلَهُمْ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ مِمَّا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِمْ ، وَقَالُوا (١٠) لَهُمْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ فَرْطِ مَوْجِدَتِهِ (١١) ، وَيَسْتَجِيرُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَزْغَتِهِ (١٢) الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى الْجَفَاءِ عَلَيْكُمْ ،

---

(١) الإفحاش : القبيح من القول أو الفعل .. وعرَّضْتَ لنا : نقلْتَ لنا إنكارَهُ بالتلميح والإشارة – وليس صراحة .

(٢) فى « م » : « ففهمْناه منك ، وأجبناه عنك » .

(٣) هكذا فى « ط » .. وتَرِينُ ، أى : تَحْجُبُ وتدارى .. وفى « م » :
« نكتب مزمرة على السلطان ولانفشى سِرُّه » وهذا لايصح ، إذْ يقال : زَمَر بالحديث : أذاعه وأفشاه .. وهذا يناقض قوله : « ولا نفشى سره » بعدها .

(٤) فى « م » : « وَسَتجيبُنا » .. وتَسْتَحْيِينا : تجعلنا نستحى منك ونخجل .

(٥) فى « م » : « الحالة » .

(٦) فى « م » : « كلما » وقد سبق التعليق عليها .

(٧) فى « ط » : « يثبت » .

(٨) فى « م » : « بشهاداتنا » .

(٩) فى « م » : « إلى القصر » وكلاهما صواب .

(١٠) فى « م » : « وقال » سهو من الناسخ . والمناسب للسياق : وقالوا .

(١١) مَوْجِدَته : غضبه .

(١٢) نَزْغَةُ الشيطان : إفساده وتحريشه وإغراؤه .

وَيُعْلِمُكُم أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ، وَهُوَ مُسْتَبْصِرٌ [١] فى تَعْظِيمِكُمْ وَقَضَاءِ حُقُوقِكُم ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنكُمْ بِمَا تَرَوْنَ مِنْ صِلَتِهِ وَكِسْوَتِهِ عَلَامَةً لِرِضَاهُ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنكُمْ بِمَالٍ [٢] . فَدَعُوا لَهُ وَقَبَضُوا مَا أَمَرَ لَهُمْ ، وَانْصَرَفُوا غَالِبِينَ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ .

وَلَمَّا نَظَرَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ [٣] إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ [٤] يَجُرُّ أَذْيَالَهُ وَيَتَبَخْتَرُ فى أَثْوَابِ خُيَلَائِهِ ، نَادَاهُ أَنِ ارْفَعْ مِنْ ثِيَابِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : أَوَ مَا تَعْرِفُنِى ؟ قَالَ لَهُ مَالِكٌ : بَلَى أَنِّى أَعْرِفُكَ ، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ [٥] قَذِرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعَذِرَةَ [٦] .

---

(١) مُستبصِرٌ : أى : ذو بصيرة وفِطْنَة .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ماتَرَوْنَ مِن صِلَة وكسوة عامة » وسقط منها : « وقد أمر لكل واحدٍ منكم بمال » .

(٣) هو : مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى ، من رواة الحديث ، وكان عالماً زاهداً ، كثير الورع ، تقياً ، لايأكل إلّا مِنْ كسبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة .. توفى – رحمه الله – بالبصرة سنة ١٣١ هـ . ومن أقواله : « إنَّ الصِّدِّيقين إذا قُرِئَ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة » .

[انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٥٧ – ٣٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

(٤) هو : المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة ، ظالم بن سراق بن صبح الأزدى ، العتكى ، أبو سعيد : أمير ، جَوَاد ، قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق .. وُلد فى « دَبَا » سنة ٧ هـ ونشأ بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيه فى أيام عمر ابن الخطاب ، ووَلِىَ إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وفُقِئَتْ عينه بسمرقند ، وانتدب لقتال الأزارقة ، وكانوا قد غلبوا على البلاد ، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف فى خراجه تلك السنة ، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاماً ، لقى فيها منهم الأهوال ، وأخيراً تم له الظفر بهم ، فقتل منهم كثيرين ، وشرَّد بقيتهم فى البلاد ، ثم وَلَّاهُ عبد الملك ابن مروان ولاية « خراسان » فقدمها سنة ٧٩ هـ ، وبها توفى سنة ٨٣ هـ . وهو أول مَنِ اتَّخذَ الركب من الحديد ، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب .. وأخباره كثيرة فى كتب التاريخ التى تتحدث عن بنى أُمَيَّة ، أو عن حروب الخوارج .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٥٠ – ٣٥٩ ، والمُحَبَّر لابن حبيب ص ٢١٦ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣٩٩ ، ٤٠٠] .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وآخِرُك نطفة قذرة » .. وماورد فى « ط » هو الصحيح .. ومَذِرة : فاسدة ، كريهة الرائحة .. والجيفة : جثة الميت إذا أنتنت .

(٦) العَذِرَة : الغائط (البِرَاز) .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُبَيْدِ اللهِ الْعُمَرِيِّ [١] : هَذَا هَارُونُ الرَّشِيدُ فى الطَّوَافِ قَدْ أُخْلِى لَهُ الْمَسْعَى ، فَقَالَ لَهُ : لاجَزَاكَ اللهُ عَنِّى خَيْرًا ، كَلَّفْتَنِى أَمْرًا كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا . ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ [٢] : يَا هَارُونُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ : لَبَّيْكَ يَاعَمُّ ، قَالَ : كَمْ تَرَى هَا هُنَا مِنْ خَلْقِ اللهِ ؟ فَقَالَ : لايُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ [عَزَّ وَجَلَّ] [٣] . فَقَالَ : اعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْئَلُ عَنْ خَاصَّةِ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ [٤] تُسْئَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ؟ قَالَ : فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا [٥] يُعْطُونَهُ مِنْدِيلًا مِنْدِيلًا لِلدُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ [٦] : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُسْرِعُ فى مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجْرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ [٧] أَسْرَعَ فى مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَيُقَالُ ، إِنَّ هَارُونَ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ [٨] : إِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَحُجَّ [٩] فى كُلِّ عَامٍ ، وَمَا يَمْنَعُنِى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عُبَيْدُ اللهِ الْعُمَرِىُّ .

وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ] دَخَلَ [١٠] عَلَى عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ : يَاعُمَرُ ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ [١١] : إِيهٍ أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ . [وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ] [١٢] . فَقَالَ

---

(١) هو : عبيد الله بن عبد الله العمرى ، من الزُّهَّاد الصالحين .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٢٦] .

(٢) فى « » : « فقال : ياهارون » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) فى « ط » : واحد .

(٥) فى « ط » : فجعل .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثم قال له : والله » .

(٧) فى « ط » : فيمن .

(٨) فى « م » : « إنَّ هارون بعد ذلك كان يقول » .

(٩) فى « م » : « أحب أحج » .

(١٠) فى « م » : « الحسن محمد » ومابين المعقوفتين ساقط منها .

(١١) فى « م » : « فقال عمر » .. وإيه : اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود ، فإذا نوَّنتها كانت للاستزادة من حديث أو عمل مَّا .

(١٢) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

الْحَسَنُ : مَنْ إِذَا رَضِىَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فى بَاطِلٍ ، وَمَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ (١) إِذَا قَدِرَ لَمْ يَتَنَاوَلْ مَالَيْسَ لَهُ .

وَلَمَّا وَلِىَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلَافَةَ وَفَدَ عَلَيْهِ (٢) الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ (٣) غُلَامٌ لِلْكَلَامِ ، وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ (٤) : لِيَنْطِقْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ ولِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَحَ اللهُ عَبْدًا (٥) لِسَاناً لَافِظًا ، وَقَلْباً حَافِظاً ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ مِنْ سَمِعَ خِطَابَهُ ، وَلَوْ أَنَّ الأَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فى الأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ . فَقَال (٦) : صَدَقْتَ ، قُلْ مَابَدَا لَكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَفْدُ تَهْنِئَةٍ لَاوَفْدُ مَرْزِئَةٍ (٧) ، وَقَدْ أَتَيْنَاكَ لِمَنِّ اللهِ الَّذِى مَنَّ عَلَيْنَا بِكَ ، وَلَمْ يُقْدِمْنَا (٨) إِلَيْكَ رَغْبَةٌ وَلَارَهْبَةٌ ، أَمَّا الرَّغْبَةُ فَقَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا (٩) ، وَأَمَّا الرَّهْبَةُ فَقَدْ أَمِنَّا جَوْرَكَ بِعَدْلِكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : عِظْنِى يَاغُلَامُ . فَقَالَ الْغُلَامُ (١٠) : أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ نَاساً (١١) غَرَّهُمْ حِلْمُ اللهِ عَنْهُمْ ، وَطُولُ أَمَلِهِمْ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَزَلَّتْ (١٢) بِهِمُ الأَقْدَامُ ، فَهَوَوْا فى النَّارِ ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ حِلْمُ اللهِ عَنْكَ ، وَطُولُ أَمَلِكَ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ ، فَتَزِلَّ (١٣) بِكَ قَدَمُكَ

---

(١) تكررت « من » فى « م » سهواً من الناسخ .
(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وفدت الوفود » وسقطت منها كلمة « الخلافة » قبلها .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فقدم غلام منهم » .
(٤) فى « م » : « فقال عمر » .
(٥) فى « م » : العبد .
(٦) فى « م » : « قال عمر » .. وسقط منها : « هذا منك » قبلها .
(٧) يعنى : جئنا من أجل التهنئة ، لا من أجل نيل العطايا .
(٨) فى « م » : لم .
(٩) فى « م » : « أتينا منك إلى بلادنا » .
(١٠) فى « م » : « فقال : أصلح » .
(١١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « إنَّ ناساً مِنَ الناس » .
(١٢) فى « ط » : فنزلت .
(١٣) فى « م » : فيزل .

فَتَلْحَقَ بِالقَوْمِ ، فَلَا جَعَلَكَ اللهُ مِنْهُمْ ، وَأَلْحَقَكَ بِصَالِحِي هَذِهِ الأُمَّةِ ، ثُمَّ سَكَتَ . فَسَأَلَ عُمَرُ الْغُلَامَ عَنْ سِنِّهِ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ [١] ، فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لاعِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ [٢] ، وَكَانَ لا يُبَالِي مَالَبِسَ : مَالَكَ لا تُجِيدُ الْمَلْبُوسَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا يَرْفَعُ الرَّجُلَ [٣] أَدَبُهُ وَعَقْلُهُ ، لا حِلْيَتُهُ وَحُلَّتُهُ ، لَحَى [٤] اللهُ امْرَأً يَرْضَى أَنْ تَرْفَعَهُ [٥] هَيْئَتُهُ وَجَمَالُهُ ، لَا وَاللهِ ، حَتَّى يُشَرِّفَهُ أَصْغَرَاهُ : لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ . وَيَعْلُو بِهِ أَكْبَرَاهُ : هِمَّتُهُ وَلُبُّهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ [٦] وَهُوَ مَلِكٌ ، وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا رَأْيٍ وَعَقْلٍ ، احْتَقَرَتْهُ عَيْنَاهُ [٧] لِدَمَامَتِهِ ، فَقَالَ : لأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ [٨] .

---

(١) فى « م » : عنه .

(٢) فى « م » : « قول العَتَّابى » .. وهو : كلثوم بن عمرو التغلبى . وقد سبق التعريف به .

(٣) فى « م » : « المرء » بدل « الرجل » .

(٤) لَحَى الله : قَبَّحَ ولَعَنَ .

(٥) فى « م » : يرفعه .

(٦) هو : ضَمْرَة بن جابر النَّهْشَلى ، من بنى دارم : شاعر جاهلى ، من الشجعان الفرسان ، كان اسمه « شقة بن ضَمْرَة » فسَمَّاه النعمان « ضمرة » .. والمنذر الذى جاء هذا المَثَل على لسانه هو : المنذر بن ماء السماء اللَّخْمِىُّ ، ثالث المناذرة من ملوك الحيرة ، وماء السماء ، أُمُّه ، سُمِيت بذلك لِحُسْنِها وجمالها .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٦ وج ٧ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٦٨ وج ٥ ص ٣٥٨ ، ومجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٢٩ – ١٣١ ، وتمثال الأمثال لأبى المحاسن الشيبى ج ١ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦] .

(٧) فى « م » : عينه .

(٨) المُعَيْدِى : منسوب إلى مَعَدِّ بن عدنان ، وقد نسبوه بعد أن صَغَّروه وخَفَّفُوا منه الدَّال .. وهذا القول من المنذر صار مثلا يُضْرَبُ لِمَنْ خَبَرُهُ خيرٌ من مَرْآهُ .

[انظر المصادر السابقة] .

فَقَالَ ضَمْرَةُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ (١) ، إِنَّ الْقَوْمَ لَيْسُوا بِجُزُرٍ (٢) تُجْزَرُ ، إِنَّمَا (٣) الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا نَطَقَ نَطَقَ بِبَيَانٍ ، وَإِذَا قَاتَلَ قَاتَلَ بِجَنَانٍ (٤) ، وَالرِّجَالُ لا تُكَالُ بِالْقُفْزَانِ ، وَلَا تُوزَنُ بِالْقَبَّانِ (٥) . فَأُعْجِبَ الْمُنْذِرُ بِكَلَامِهِ .

وَرُوِىَ أَنَّ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ (٦) كَانَ (٧) فى طَرِيقِ مَكَّةَ فى يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَنَزَلُوا ، فَضُرِبَتْ (٨) لَهُمُ الْخِيَامُ وَالظِّلَالُ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ الْمُبَرَّدُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِرَاعٍ ، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ (٩) فَأَبَى وَقَالَ : إِنِّى صَائِمٌ . قَالَ (١٠) لَهُ رَوْحٌ : فى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ (١١) ؟ قَالَ : أَفَأَدَعُ (١٢) أَيَّامِى تَذْهَبُ بَاطِلًا ؟ قَالَ (١٣) رَوْحٌ : لَقَدْ ضَنَنْتَ (١٤) بِأَيَّامِكَ يَارَاعِىَ إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ .

وَرُوِىَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَىْ سُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّى

---

(١) أَبَيْتَ اللَّعْنَ : من تحية الملوك فى الجاهلية ، ومعناها : أَبَيْتَ أن تأتِىَ ماتُلْعَنُ عليه .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : بِجَزُورٍ ، وَالْجَزُور : مايصلح لأن يُذْبَح من الإبل ، وجمعها : جُزُرٌ .. وتُجْزَرُ : تُذْبَح .

(٣) فى « م » : وإنما .

(٤) الجَنَانُ : القلب .

(٥) القُفْزَانُ : جمع قَفِيز ، وهو مكيال كان يُكال به قديماً والقَبَّان : الميزان ذو الذراع الطويلة .

(٦) هو : رَوْحُ بنُ زِنباع بن رَوْح بن سلامة الجذامى ، أبو زُرْعة ، أمير فلسطين أيام يزيد بن معاوية ، وسيد اليمانية فى الشام وقائدها وخطيبها .. قال مسلم بن الحجاج : له صحبة .. وذكره أبو حاتم وأبوه فى التابعين .. وقال ابن منده وأبو نعيم : لاتصح له صحبة .. ولأبيه – زنباع – رؤية .. وكان عبد الملك بن مروان يقول عنه : « جمع رَوْحٌ طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز » .. وله مع عبد الملك وغيره أخبار كثيرة .
[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وثمار القلوب ٥٤٦ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٦ ، ٣٥٨ وغيرهما] .

(٧) فى « ط » وكان .

(٨) فى « م » : « وضُرِبَتْ » أى : نُصِبَتْ وأُقِيمت .

(٩) فى « م » : « إلى الطَعام فَأَبَاه » .

(١٠) فى « م » : فقال .

(١١) فى « م » : « فى مثل هذا اليوم الحارِّ تصوم ؟ » .

(١٢) فى « م » : « فارغ » تحريف من الناسخ .

(١٣) فى « م » : « فقال » .

(١٤) فى « م » : « ظننت » تحريف .

مُكَلِّمُكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وَرَاءَهُ مَاتُحِبُّ إِنْ قَبِلْتَهُ . قَالَ : هَاتِ يَا أَعْرَابِيُّ . قَالَ (١) : سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرِسَتْ بِهِ الأَلْسُنُ أَدَاءً (٢) لِحَقِّ اللهِ ، وَلِحَقِّ أَمَانَتِكَ : إِنَّهُ قَدِ اكْتَنَفَكَ (٣) رِجَالٌ أَسَاءُوا الاخْتِيَارَ لأَنْفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ ، وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللهَ فِيكَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ (٤) بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَأَعْظَمُ النَّاسِ غَبْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ نَصَحْتَ ، وَأَرْجُو أَنَّ اللهَ سَيُعِينُنَا (٥) عَلَى مَا قَلَّدَنَا ، وَقَدْ جَرَّدْتَ لِسَانَكَ فَهُوَ سَيْفُكَ . فَقَالَ (٦) : أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ لَكَ لا عَلَيْكَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ (٧) : حَجَّ الْحَجَّاجُ فَنَزَلَ بَعْضَ الْمِيَاهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَدَعَا بِالْغَدَاءِ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : أُنْظُرْ مَنْ يَتَغَدَّى مَعِي ، وَإِسْأَلْهُ عَنْ بَعْضِ الأَمْرِ ، فَنَظَرَ نَحْوَ الْجَبَلِ ، فَإِذَا (٨) هُوَ بِرَاعٍ بَيْنَ سَخْلَتَيْنِ (٩) نَائِمٍ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : ائْتِ الأَمِيرَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اغْسِلْ يَدَكَ وَتَغَدَّ مَعِي . فَقَالَ : دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : اللهُ تَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَصُمْتُ . قَالَ : فِي

---

(١) فى « م » : فقال .

(٢) سقطت كلمة « أداء » من « م » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « إنك قد اكتنفتك » وكلاهما صواب .

(٤) فى « م » : دنياك .

(٥) فى « م » : سيُعِين .

(٦) فى « م » : « وهو سيفك ، قال : » .

(٧) هو : سعيد بن أبى عَرُوبة مِهْران ، مولى بنى عدى ، البصرى ، أبو النَّضْر : حافظ للحديث .. لم يكن فى زمانه أحفظ منه .. وله مصنفات .. قال الذهبيُّ : « إمام أهل البصرة فى زمانه ، لكنه تغيَّر بأَخَرَة ، ورُمِىَ بالقَدَرِ » توفى سنة ١٥٦ هـ وقيل ١٥٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٨ ، وميزان الاعتدال ص ١٥١ – ١٥٣ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٥] .

(٨) فى « ط » : وإذا .

(٩) السَّخْلة : الذكر والأنثى من وَلَدِ الضَّأْنِ والمعز ساعة يُولد .. وفى « م » : « بين شَمْلتين » .. والشملة : كساء من صوف أو شَعر .. وقد سبق شرحها .

هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ [١] غَدًا . قَالَ : إِنْ ضَمِنْتَ لِيَ الْبَقَاءَ إِلَى الْغَدِ ! [٢] . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ [٣] تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِآجِلٍ لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ طَعَامٌ [٤] طَيِّبٌ . قَالَ : لَمْ تُطَيِّبْهُ أَنْتَ وَلَا الطَّبَّاخُ ، وَلَكِنْ طَيَّبَتْهُ [٥] العَافِيَةُ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِكِيسٍ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ [٦] ، فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ [٧] وَانْصَرَفَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ [٨] فَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ : إِنَّ الْكِيسَ بِخَاتَمِهِ ، وَقَالَ الرَّسُولُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : إِنَّ مَلِكًا كَانَ يَفْتِنُ النَّاسَ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأُتِيَ بِرَجُلٍ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ مَكَانَهُ وَهَالَهُمْ أَمْرُهُ ، فَرَاوَدَهُ [٩] عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ [١٠] ، فَرَقَّ لَهُ صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ [١١] : أَنَا آتِيكَ بِجَدْيٍ تَذْبَحُهُ مِمَّا [١٢] يَحِلُّ لَكَ أَكْلُهُ ، فَإِذَا [١٣] دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ خِنْزِيرٍ

---

(١) فى « م » : ونصوم .
(٢) فى « ط » : « إلى غَدٍ » والمعنى : إن ضمنت لى البقاء إلى غَدٍ أفطر اليوم .
(٣) فى « م » : كيف .
(٤) سقطت كلمة « طعام » من « ط » .
(٥) فى « ط » طيَّبه .
(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « بعث بكيس فيه خمسمائة درهم ، وقيل : دينار » وسقط منها : « إلى مالك ابن أنس » قبلها .
(٧) النُّسُك : بضمَّتين ، أو بِضَم فسكون : كل حق لله تعالى .
(٨) يعنى : بغداد .
(٩) فى « م » : فراودوه .
(١٠) سقطت « فلم يفعل » من « م » .
(١١) فى « م » : « قال : هأنا » .
(١٢) فى « ط » : بما .
(١٣) فى « م » : « وإذا دعا الملك بلحم الخنزير فكُلْهُ ، فَأَتى صاحب شرطة الملك بلحم ذلك الجدى ، فجعل صاحب الشرطة يغمزه أن يأكل فأبى » .

أَتَيْتُكَ بِهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ الْمَلِكَ ، فَدَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَى صَاحِبُ الشُّرْطَةِ بِذَلِكَ الْجَدْيِ ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَجَعَلَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَغْمِزُهُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ قَالَ : مَامَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَهُوَ اللَّحْمُ الَّذِى ذَبَحْتَهُ أَنْتَ (١) ؟.. أَظَنَنْتَ أَنِّى جِئْتُ (٢) بِغَيْرِهِ ؟ قَالَ : لا ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَلَكِنِّى خِفْتُ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ بِى ، فَإِنْ أُكْرِهُوا عَلَى أُكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ (٣) قَالُوا : قَدْ أَكَلَهُ فُلانٌ فَيَسْتَنُّ بِى ، فَأَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَقُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ .

وَرُوِىَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ (٤) : يَا كَعْبُ ، خَوِّفْنَا . قَالَ : أَوَ لَيْسَ فِيكُمْ كتابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا كَعْبُ ، وَلَكِنْ خَوِّفْنَا . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ ، لَوْ وَافَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا لازْدَرَيْتَ عَمَلَهُمْ مِمَّا تَرَى ، فَنَكَسَ (٥) عُمَرُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ : يَاكَعْبُ ، خَوِّفْنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مَنْخِرِ (٦) ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ ، وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ ، لَغَلَى دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا ، فَنَكَسَ (٧) عُمَرُ ثُمَّ

---

(١) فى « م » : « الذى أنت ذبحته » .

(٢) فى « م » : « جئتك » .

(٣) فى « ط » : « أكل الخنزير » .

(٤) هو : كعب بن ماتع بن ذى هجن الحِمْيَرِىُّ ، أبو إسحاق ، تابعىٌّ .. كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقَدِمَ المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسُّنَّة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حِمْصَ ، وتوفى سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان – رضى الله عنه – عن مائة وأربع سنين .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ – ٣٩١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، والمعارف ص ٤٣٠] .

(٥) فى « م » : فَانْكَسَ .

(٦) المَنْخِر : ثقب الأنف .

(٧) فى « م » : فانكس .

أفَاقَ فَقَالَ : يَا كَعْبُ ، زِدْنَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَزْفِرُ [١] زَفْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَبْقَى [٢] مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، حَتَّى يَخِرَّ إِبْرَاهِيمُ [٣] خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ : يَارَبِّ لا أَسْأَلُكَ [٤] الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي .

وَاسْتَأْذَنَ أَبُو دُهْمَانَ [٥] عَلَى بَعْضِ الأُمَرَاءِ [٦] فَحَجَبَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : إِنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِى صَارَ إِلَيْكَ قَدْ كَانَ فِى يَدَىْ [٧] غَيْرِكَ ، فَأَمْسَوْا وَاللهِ حَدِيثًا ، فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَتَحَبَّبْ إِلَى عِبَادِ اللهِ بِحُسْنِ الْبِشْرِ ، وَلِينِ الْجَانِبِ ، وَتَسْهِيلِ الْحِجَابِ ، فَإِنَّ حُبَّ عِبَادِ اللهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللهِ ، وَبُغْضَهُمْ مَوْصُولٌ بِبُغْضِهِ ، لأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ [٨] ، سَيِّدُ الْعُبَّادِ فِى زَمَانِهِ ، عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ ،

---

(١) زَفَرَ : أخرج نَفَسَهُ بعد مَدِّه إيّاه .. ويقال : زَفَرَت النّار : سُمِعَ لاتّقادِها صَوْتٌ .

(٢) فى « م » : فما .

(٣) سقطت « إبراهيم » من « م » .

(٤) فى « م » : « إنى لا أسألك » .

(٥) هو: أبو دُهْمان الغَلَّابِيّ ، شاعر من شعراء البصرة ، ممن أدرك دَوْلَتَىْ بنى أُمَيَّة وبنى العباس ، ومدح المهدى ، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة .

[انظر ترجمته وبعض أخباره وأشعاره فى الأغانى ج ٢٦ ص ٨٩٨٥ – ٨٩٨٧ والورقة لابن الجرَّاح ص ٦٦ – ٦٩ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٠] .

(٦) فى البيان والتبيين أنه : سعيد بن سَلْم ، والقصة مروية على لسانه وهو : سعيد بن سَلْم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، وكان والياً على أرمينية .. وكان عالماً بالحديث والعربية ، ولكنه لا يبذل نفسه للناس .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٤ ، ٧٥ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٤٠ ، وانظر القصة فى الجزء نفسه ص ٢٠٠ ، ٢٠١] .

(٧) هكذا فى « م » وفى البيان والتبيين .. وفى « ط » : يد .

(٨) هو : محمد بن واسع بن جابر الأزدى البصرى ، وكان مع قتيبة بن مسلم بخراسان فى جنده .. وكان فقيها وَرِعاً ، ومن ثقات أهل الحديث .. وكان لا يُقَدَّمُ عليه أحد فى زمانه فى زهده وعبادته .. توفى سنة ١٢٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٧ وفيها توفى سنة ١٢٠ هـ . والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٣] .

أَمِيرِ الْبَصْرَةِ (١) ، وَكَانَ ثَوْبُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : مَاهَذِهِ الشُّهْرَةُ يَا بْنَ وَاسِعٍ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَاسِعٍ : أَنْتُمْ شَهَرْتُمُونَا ، هَكَذَا كَانَ لِبَاسُ مَنْ مَضَى ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ طَوَّلْتُمْ ذُيُولَكُمْ ، فَصَارَتِ السُّنَّةُ بَيْنَكُمْ بِدْعًا وَشُهْرَةً .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ ، وَهُوَ الأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ (٢) فَقُلْتُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ عَلَى نَحْوِ مَا سَلَّمْتُ رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَكْرَمَ إِكْرَامًا جَزِيلًا ، وَأَمَرَنِى بِدُخُولِ مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَنِى بِالْجُلُوسِ فِيهِ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَلَّكَ مَحَلًّا عَالِيًا شَامِخًا ، وَأَنْزَلَكَ مَنْزِلًا شَرِيفًا بَاذِخًا ، وَمَلَّكَكَ طَائِفَةً مِنْ مُلْكِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِى حُكْمِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ أَحَدٍ فَوْقَ أَمْرِكَ ، فَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَوْلَى بِالشُّكْرِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَلْزَمَ الْوَرَى (٣) طَاعَتَكَ ، فَلَا يَكُونَنَّ (٤) أَحَدٌ أَطْوَعَ للهِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالشُّكْرِ (٥) ، وَلَيْسَ الشُّكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَلَكِنَّهُ بِالْفَعَالِ (٦) وَالإِحْسَانِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ (٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْمُلْكَ الَّذِى أَصْبَحْتَ فِيهِ (٨) إِنَّمَا صَارَ

---

(١) هو : بلال بن أبى بُرْدَة ، عامر بن أبى موسى الأشعرى ، أمير البصرة وقاضيها ، كان راوية فصيحاً أديباً .. ولّاه خالد القسرى سنة ١٠٩ هـ فأقام إلى أن قَدِمَ يوسف بن عمر الثقفى سنة ١٢٥ هـ فعزله وحبسه ، فمات سجيناً .. وكان ثقة فى الحديث ، ولَمْ تُحْمَدْ سيرته فى القضاء .. وكان يقول : إنَّ الرَّجُلَيْنِ ليختصمان إلىَّ فأجد أحدهما أخفَّ على قلبى فأقضى له ! .. توفى نحو سنة ١٢٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٨٢ ، والمعارف ص ٢٦٦ ، ٣٩٨ وغيرهما من الصفحات] .

(٢) فى « م » : « دخلت على الأفضل ابن أمير الجيوش ، وهو ملك مصر » .. وهو : أحمد بن بدر الجمالى ، أبو القاسم شاهنشاه ، الملقب بالملك الأفضل ، وزير ، وُلِدَ بعكا سنة ٤٥٨ هـ وخلف أباه فى إمارة الجيوش المصرية ، وهو أرمنى الأصل ، داهية ، ذا رأى ، جيد السياسة ، وَطَّد دعائم المُلك للآمر بأحكام الله العُبيدى صاحب مصر ، ودبّر شئون دولته ، فنقم عليه أمراً فَدَسَّ له مَنْ قتله على مقربة من داره فى القاهرة سنة ٥١٥ هـ ، وكانت مدة ولايته ثمانياً وعشرين سنة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٣] .

(٣) الوَرَى : الخَلْق .

(٤) فى « م » : « فلا يكون » .

(٥) هذه الجملة عن « ط » وسقطت من « م » .

(٦) فى « م » : « بالفعل » والفِعْلُ والفَعَالُ بمعنى واحد .

(٧) سورة سبأ – من الآية ١٣ .

(٨) فى « م » : « هذا الذى أصبحتَ فيه من المُلك » .

إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ [١] مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا خَوَّلَكَ [٢] مِنْ هَذِهِ الأُمَّة ، فَإِنَّ اللهَ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] [٣] سَائِلُكَ عَنِ النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ [٤] . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [٥] وَقَالَ [تَعَالَى] [٦] : ﴿ **وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا . وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [٧] .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] فَسَخَّرَ لَهُ الإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ، وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالبهائم ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ [٨] ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ [٩] : ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [١٠] . فَوَاللهِ مَاعَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ تَكُونَ [١١] اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ **هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ**

---

(١) هكذا فى « م » : .. وفى « ط » : « خارج عن يدك مثل » .

(٢) خَوَّلَكَ : أعطاك إِيَّاه بِفَضْلِهِ .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) النَّقِير : قَدْر النُّقْرة فى ظهر النواة .. والقِطْمِير : القشرة الرقيقة على النواة .. والفتيل : قدر الخيط الذى فى شِقّ النواة . ويُضرب بها جميعاً المثل فى الشىء الصغير أو الضعيف .. جاء فى القرآن الكريم – فى سورة النساء – الآية ١٢٤ : ﴿ ولا يُظْلَمُون نقيراً ﴾ وفى سورة فاطر – الآية ١٣ : ﴿ ما يَمْلِكُون مِن قِطْمِير ﴾ وفى سورة النساء – الآية ٤٩ : ﴿ ولا يُظْلَمُون فتيلا ﴾ .

(٥) سورة الحِجْر – الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » فى الموضعين .

(٧) سورة الأنبياء – الآية ٤٧ .

(٨) انظر الآية ٣٦ من سورة « ص » .. أى : جعلنا له الريح لَيِّنَة مُنقادة حيث أراد .

(٩) « له » عن « ط » .

(١٠) سورة « ص » – الآية ٣٩ .

(١١) فى « م » : يكون .

أَكْفُرُ ﴾ [١] ... فَافْتَحِ الْبَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانْصُرِ الْمَظْلُومَ ، أَعَانَكَ اللهُ عَلَى مَاقَلَّدَكَ [٢] ، وَجَعَلَكَ كَهْفًا لِلْمَلْهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْخَائِفِ .

ثُمَّ أَتْمَمْتُ الْمَجْلِسَ بِأَنْ قُلْتُ : قَدْ دَوَّخْتُ الْبِلَادَ [٣] شَرْقًا وَغَرْبًا ، فَما اخْتَرْتُ مَمْلَكَةً تَزَوَّجْتُ فِيهَا وَوُلِدَ لِي غَيْرَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ أَنْشَدْتُ شِعْرًا :

وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا ... حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ

وَكَتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : أَنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، إِنْ أَجَبْتَ عَنْهَا صِرْتُ لَكَ تِلْمِيذًا [٤] : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ ؟ وَمَتَى تَضِيعُ أُمُورُ النَّاسِ ؟ وَبِمَ [٥] تُتَلَقَّى النِّعْمَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ثَلَاثَةٌ : الْبَرُّ [٦] يَكُونُ فِى سُلْطَانِ الْفَاجِرِ [٧] ، فَهُوَ الدَّهْرَ حَزِينٌ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ ، وَالْعَاقِلُ يَكُونُ فِى تَدْبِيرِ الْجَاهِلِ ، فَهُوَ الدَّهْرَ مَغْمُومٌ [٨] ، وَالْكَرِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى اللَّئِيمِ ، فَهُوَ الدَّهْرَ خَاضِعٌ لَهُ ذَلِيلٌ [٩] .

وَتَضِيعُ أُمُورُ النَّاسِ إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسِّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لا يَسْتَعْمِلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لا يُنْفِقُهُ .

---

(١) انظر الآية ٤٠ من سورة النمل ..
(٢) ف « م » : « على نصر المظلوم » .
(٣) دَوَّخْتُ البلادَ ، أي : سِرْتُ فيها حتى عرفتها ، ولمْ تَخْفَ عَلَيَّ طُرُقُها .
(٤) ف « م » : « صِرْتُ تلميذاً لك » .
(٥) ف « م » : « وَبِمَا » والمعهود أن ألف « ما » الاستفهامية تُحْذَفُ إذا سُبِقَتْ بحرف جر .
(٦) البَرُّ : الصالح من الناس .. يقال : بَرَّ فلانٌ : صَلح ، ضد فَجَرَ ، فهو بَرٌّ .
(٧) ف « ط » : « سلطان فاجر » .
(٨) ف « م » : « متعوب مغموم » وقوله « متعوب » لا يصح اسم مفعول ، لأن الفعل من الثلاثي : تَعِبَ تَعَباً ، فهو « تَعِبٌ » ، وإذا عَدَّيْتَه بالهمزة قلت : أَتْعَبْتُهُ فهو « مُتْعَبٌ » .. وفى اللسان : لا يقال : مَتْعُوب .
[انظر لسان العرب والمصباح المنير والمعجم الوسيط وغيرها من المعاجم مادة « تعب »] .
(٩) ف « م » : « خاضع منه » وسقطت منها كلمة « ذليل » .

وَتُتَلَقَّى النِّعْمَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ شُكْرِهِ ، وَلُزُومِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ . فَصَارَ تِلْمِيذًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : حَجَّ (١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَا عَلَى عَقَبَةِ عُسْفَانَ (٢) نَظَرَ سُلَيْمَانُ إِلَى السُّرَادِقَاتِ (٣) قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يا عُمَرُ (٤) ، كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى دُنْيَا عَرِيضَةً يأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَأَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا ، الْمَأْخُوذُ بِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا (٥) كَذَلِكَ إِذْ طَارَ غُرَابٌ مِنْ سُرَادِقِ (٦) سُلَيْمَانَ ، فِى مِنْقَارِهِ كِسْرَةٌ ، فَصَاحَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَايَقُولُ هَذَا الْغُرَابُ ؟ قَالَ عُمَرُ : مَا أَدْرِى مَايَقُولُ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِعِلْمٍ . قَالَ : أَخْبِرْنِى . قَالَ : هَذَا غُرَابٌ طَارَ مِنْ سُرَادِقِكَ (٧) فِى مِنْقَارِهِ كِسْرَةٌ ، أَنْتَ بِهَا مَأْخُوذٌ ، وَعَنْهَا مَسْئُولٌ ، مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ ، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجَتْ . قَالَ : إِنَّكَ لَتُخْبِرُنَا بِالْعَجَائِبِ (٨) ! قَالَ : أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : مَنْ عَرَفَ اللهَ كَيْفَ عَصَاهُ ؟ وَمَنْ عَرَفَ الشَّيْطَانَ

---

(١) فى « م » : « لَمَّا حَجَّ » . ويحيى بن سعيد هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارىُّ النَّجَّارىُّ ، أبو سعيد ، قاضٍ من أكابر أهل الحديث من أهل المدينة . ولِيَ القضاء بالمدينة فى زمن بنى أُمَيَّة ، ولَّاه يوسف بن محمد الثَّقفى أيّام الوليد بن عبد الملك ، وكان من اختصاص الولاة تعيين القضاة (واستمر ذلك إلى أن استُخلِفَ أبو جعفر المنصور ، فجعله للخلفاء) ورحل إلى العراق فى العهد العباسى ، فوَلِّىَ قضاء « الحيرة » وتوفى بالهاشمية – فى العراق – سنة ١٤٣ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠١ – ١٠٦ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ١٣٧ – ١٣٩ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٩١ – ٧٩٢ ؛ ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٢] .

(٢) عُسْفَان ، بالضَّمِّ ، مَنْهَلَةٌ مِنْ مَناهِلِ الطريق بين الجُحْفَةِ ومكة ، وهى من مكة على مرحلتين . والمنهلة : المنزل فى المفازة على طريق المسافرين يوجد به الماء .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٢] .

(٣) السُّرادِقات : جمع سُرادِق ، وهو كل ما أحاط بشىء من حائط أو مضرب ، ويُطلق أيضاً على الفسطاط يجتمع فيه الناس لعُرس أو مأتم ونحوهما – وضُرِبَت : أُقيمت .

(٤) فى « م » : « فقال : ياعمر » .

(٥) فى « م » : هو .

(٦) فى « ط » سُرادقات .

(٧) فى « ط » : سُرادقاتك .

(٨) فى « م » : « إنك لتجىء بالعجب » .

كَيْفَ أَطَاعَهُ ؟ وَمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَهْنِيهِ الْعَيْشُ (١) ؟ قَالَ : لَقَدْ غَثَّثَ عَلَيْنَا (٢) ما نَحْنُ فِيهِ . ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ وَسَارَ .

وَيُرْوَى أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ خَرَجَ فى جِنَازَةٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَنَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ وُقُوفًا ، فَقَالَ : مَاهَذَا ؟ قَالُوا (٣) : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يُذَكِّرُ النَّاسَ (٤) . فَقَالَ لِوَصِيفٍ مَعَهُ : اذْهَبْ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقُلْ لَهُ يَرْتَفِعُ إِلَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، فَجَاءَ الْوَصِيفُ فَأَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى مَالِكٍ ، فَصَاحَ بِهِ مَالِكٌ : مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَأَجِيئَهُ فِيهَا ، فَإِنْ تَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَجِيءْ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ . فَلَمَّا دَفَنُوا مَيِّتَهُمْ قَامَ بِلَالٌ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى حَلْقَةِ مَالِكٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا (٥) نَزَلَ ، وَنَزَلَ مَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي إِلَى الْحَلْقَةِ حَتَّى جَلَسَ ، فَلَمَّا رَآهُ مَالِكُ [بْنُ دِينَارٍ] (٦) سَكَتَ فَأَطَالَ السُّكُوتَ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، ذَكِّرْنَا . فَقَالَ : مَا نَسِيتَ شَيْئًا فَأُذَكِّرُكَ (٧) بِهِ . قَالَ : فَحَدِّثْنَا . قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ .. قَدِمَ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فَدَفَنَّاهُ فى هَذِهِ (٨) الْجَبَّانَةِ ، ثُمَّ أُتِينَا بِزِنْجِيٍّ فَدَفَنَّاهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، أَتَدْرِي مَا الَّذِي جَرَّأَكَ عَلَيْنَا ، وَمَا الَّذِي أَسْكَتَنَا (٩) عَنْكَ ؟ لِأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ (١٠) مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا ، أَمَا وَاللهِ لَوْ أَخَذْتَ مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا مَا اجْتَرَأْتَ عَلَيْنَا (١١) هَذِهِ الْجُرْأَةَ .. قَالَ مَالِكٌ : فَأَفَادَنِي (١٢) هَذَا الْحَدِيثُ عِلْمًا ، أَلَا فَاتَّقُوا دَرَاهِمَهُمْ .

---

(١) فى « م » : عيش .
(٢) غثث علينا : أفسدت علينا ما نحن فيه . وفى « م » : « غثيت » .
(٣) فى « م » : فقالوا .
(٤) يُذَكِّرُ الناسَ : يعظُهُمْ .. والوصيف : الخادم .
(٥) فى « ط » : « دنا منه » .
(٦) مابين المعقوفين ساقط من « م » .
(٧) فى « م » : « فقال : نسيت شيئاً فأذكُرك هو ؟ » .
(٨) فى « م » : « إلى هذه » .
(٩) فى « م » : سكّتني .
(١٠) فى « م » : « لم تأكل » .
(١١) فى « م » : علي .
(١٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فأفاد » وسقط منها « قال مالك » .

وَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ (١) عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ (٢) : يَا بْنَ شِهَابٍ ، مَاحَدِيثٌ يُحَدِّثُنَا بِهِ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : وَمَاهُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : حَدَّثُونَا أَنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّةً كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ . قَالَ : كَذَبُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَبِيٌّ خَلِيفَةٌ أَقْرَبُ إِلَى اللهِ ، أَمْ خَلِيفَةٌ لَيْسَ بِنَبِيٍّ ؟ قَالَ : بَلْ نَبِيٌّ خَلِيفَةٌ . قَالَ : فَأَنَا أُحَدِّثُكَ [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] (٣) بِمَا لا تَشُكُّ فِيهِ : قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٤) . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا (٥) وَعِيدُ اللهِ لِنَبِيٍّ خَلِيفَةٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِخَلِيفَةٍ غَيْرِ نَبِيٍّ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنَّ النَّاسَ لَيَغُرُّونَنَا (٦) عَنْ دِينِنَا .

وَرَوَى زِيَادٌ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ وَإِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ (٧)

---

(١) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهريُّ ، من بني زُهْرَةَ بن كلاب ، من قريش ، تابعي من أهل المدينة ، وُلِدَ سنة ٥٨ هـ .. وهو أول مَنْ دَوَّنَ الحديث ، وواحد من كبار الحفاظ والفقهاء ، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث ، نصفها مسند .. وعن أبي الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ، ويكتب كل ما يسمع .. نزل الشام واستقر بها .. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمَّاله : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسُّنَّة الماضية منه . توفي - رحمه الله - بِشَغْب - آخر حَدِّ الحجاز وأول حد فلسطين - سنة ١٢٤ هـ . وفي تاريخ مولده ووفاته اختلاف .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ - ١١٣] .

(٢) في « م » : قال .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) سورة « ص » - الآية ٢٦ .

(٥) في « ط » : فهذا .

(٦) أي : إن الناس يخدعوننا ويجعلوننا نجهل أمر ديننا .. وفي « م » : « ليغرونا » .

(٧) أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي ، وقد مرت ترجمته .. وابن طاووس هو : عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمذاني ، من عُبَّاد أهل اليمن وفقهائهم المشهورين ، ومن رجال الحديث الثقات ، وكان أبوه (طاووس بن كيسان) من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية الحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجُرْأة على وعظ الخلفاء والملوك ، وسار ابنه عبد الله على منواله .. وروى عنه .. توفي عبد الله سنة ١٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ وج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ٢٣ - ٢٣] .

فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ (١) ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى فُرُشٍ قَدْ نُضِّدَتْ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْطَاعٌ (٢) قَدْ بُسِطَتْ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَلَاوِزَةٌ (٣) بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ يَضْرِبُونَ الأَعْنَاقَ ، فَأَوْمَأَ (٤) إِلَيْنَا أَنِ اجْلِسَا ، فَجَلَسْنَا ، فَأَطْرَقَ عَنَّا طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالْتَفَتَ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ : حَدِّثْنَا عَنْ أَبِيكَ (٥) قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي مُلْكِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجَوْرَ فِي حُكْمِهِ » . فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً ، قَالَ مَالِكٌ : فَضَمَمْتُ ثِيَابِي مَخَافَةَ أَنْ يَنْضَحَنِي بِدَمِهِ ، فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً حَتَّى اسْوَدَّ مَابَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَابْنَ طَاوُوسٍ ، نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ (٦) ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ (٧) ، ثُمَّ قَالَ : مَايَمْنَعُكَ أَنْ تُنَاوِلَنِيهَا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تَكْتُبَ بِهَا مَعْصِيَةً فَأَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا . فَلَمَّا (٨) سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ : قُومَا عَنِّي . قَالَ ابْنُ طَاوُوس : ذَلِكَ مَاكُنَّا نَبْغِي مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ مَالِكٌ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ لابْنِ طَاوُوسٍ فَضْلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٩) .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ (١٠) : سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَن

---

(١) هكذا فى « ط » .. فى فى « م » : « لَمَّا بعثَ أبو جعفر إلى مالك بن أنس وابن طاووس فدخلا عليه » .

(٢) نُضِّدَت : وضعت بطريقة مُنسقة .. والأنطاع : جمع نِطْع ، وهو بساط من الجلد يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(٣) الجَلَاوِزَةُ : جَمْع جِلْوَز ، وهو الشُّرطيُّ الضَّخم الشجاع .

(٤) هكذا فى « ط » : وأَوْمَأَ أى : أشار .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ورفع رأسه إلى ابن طاووس قال : حَدِّثْنى عن أبيك » .

(٦) الدَّواة : المِحْبَرة .

(٧) هكذا فى « ط » .. ولم تتكرر هذه الجملة فى « م » .

(٨) فى « م » : « قال : فلما » .

(٩) من أول قوله : قال مالك .. إلى آخر الجملة عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(١٠) فى « م » : « الحورانى » تحريف .. وهو : أبو الحسين أحمد بن أبى الحوارى .. اسمه ميمون .. من الزاهدين الوَرِعين من أهل دمشق ، صَحِبَ أبا سليمان الدَّارانى وغيره .. وكان الجنيد يقول : « أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام » ويُرْوَى أنه طلب العِلْمَ ثلاثين سنة ، فلما بلغ حمل كتبه إلى البحر فأغرقها وقال : ياعِلْمُ ، لَمْ أفعل بكَ هذا هواناً بك ، ولا استخفافاً بحقك ، بل كنتُ أطلبك لأهتدى بك إلى ربى ، والآن استغنيتُ عنك . ومِنْ حِكَمِهِ : « لا دليل على الله سواه » و « إذا حَدَّثَتْك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك بتركها عند إقبالها فذاك » . وكان أبوه وأخوه محمد بن أبى الحوارى وابنه ، كُلهم من العارفين الوَرِعين أيضاً .. توفى – رحمه الله – سنة ٢٣٠ هـ .

=

ابْنِ السَّمَّاكِ (١) قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونُ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، أَخَذَ حَرَسِيَّانِ بِضَبْعِيَّ فَأَعْجَلَانِي فى دِهْلِيزِ الْقَصْرِ (٢) ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَاعَةِ (٣) لَقِيَنِى خَصِيَّانِ ضَخْمَانِ (٤) فَأَخَذَانِى مِنَ الْحَرَسِيَّيْنِ ، فَأَعْجَلَانِى فى قَاعَةِ الْقَصْرِ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى الْبَهْوِ الَّذِى هُوَ فِيهِ ، فَتَلَقَّانِى خَصِيَّانِ دُونَهُمَا ، فَأَخَذَانِى فَأَعْجَلَانِى فى الْبَهْوِ ، فَقَالَ لَهُمَا هَارُونُ : ارْفُقُوا بِالشَّيْخِ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَرَّ بِى يَوْمٌ مُنْذُ وَلَدَتْنِى أُمِّى أَتْعَبُ فِيهِ مِنْ يَوْمِى هَذَا ، فَاتَّقِ اللّٰهَ فى خَلْقِهِ ، وَاحْفَظْ مُحَمَّدًا فى أُمَّتِهِ ، وَانْصَحْ لِنَفْسِكَ فى رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ لَكَ مَقَامًا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ تَعَالَى أَنْتَ فِيهِ أَذَلُّ مِنْ مَقَامِى هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَاتَّقِ اللّٰهَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَخْذِ اللّٰهِ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ كَيْتَ وَكَيْتَ (٥) قَالَ : فَاضْطَرَبَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَى مُصَلًّى بَيْنَ يَدَىْ فِرَاشِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا ذُلُّ الصِّفَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ ذُلَّ الْمُعَايَنَةِ ؟ قَالَ : فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ . فَقَالَ يَحْيَى (٦) لِلْخَصِيَّيْنِ : أَخْرِجُوهُ فَقَدْ أَبْكَى أَمِيرَ

= [انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٥ – ٣٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٥ ، وطبقات الصوفية ص ٩٨ – ١٠٢ وكُنيته فيها : أبو الحسن ، والذى أثبتناه أجمعت عليه المراجع ، وانظر طبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٢] .

(١) من وُعَّاظ هارون الرشيد . وقد مرت ترجمته .

(٢) الحَرَسِيَّان : مثنى ، مفرده : الْحَرَسِيُّ ، وهو واحد الحَرَس ، ويُطلق على الجُند الذين يُرتَّبُونَ لِحِفْظِ الحاكم وحراسته .. بِضَبْعِيَّ : الضَّبْعُ : مابين الإبط إلى نصف العَضُد من أعلاها ، وهما ضَبْعَان .. فَأَعْجَلانى فى دِهليز القصر : فأسرعا بى فى حناياه ومنعطفاته ، والدِّهليز ، بالكسر : يُطلق على المدخل بين الباب والدار .

(٣) فى « م » : « باب القصر » .

(٤) لفظة « خَصِيَّانِ » عن « ط » .. و « ضَخْمان » عن « م » وساقطة من « ط » .. وفى « م » : « خصمان » بالميم ، بدل « خصيان » تحريف .. وخَصِيَّان : مثنى ، مفرده : خَصِيٌّ ، وهو الذى استُؤْصِلَتْ خُصْيَتَاهُ وَجُبَّ ذَكَرُهُ ، أى : قُطِع .

(٥) كَيْتَ وَكَيْت : وقد تُكسَرُ التاء فيقال : كان فى الأمر كيتِ وكيتِ ، أى : كذا وكذا ، وهى كناية عن القصة والأحدوثة ، ولا تستعملان إلّا مكررتين .

(٦) هو : يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، أبو الفضل ، سيد بنى بَرْمَك وأفضلهم ، وهو مؤدب هارون الرشيد ومُعلمه ومُربيه .. رَضَع الرشيد من زَوْجة يحيى مع ابنه الفضل ، فكان يدعوه : ياأبى ! وأَمَّرهُ المهدى سنة ١٦٣ هـ – وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره – أن يلازمه ، ويكون كاتباً له ، وأكرمه بمائة ألف درهم ، وقال : هى معونة لك على السفر مع هارون .. ولَمَّا وَلِيَ هارون الخلافة دفع هارون خاتمة إلى يحيى وقلده أمره ، فبدأ يعلو شأنه ، واشتهر يحيى بجوده وحُسن سياسته ، واستَمَرَّ إلى أن نكبَ الرَّشيد البرامكة ، فقبض عليه وسجنه فى الرَّقة إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ فقال الرشيد : مات أعقل الناس وأكملهم .. وقد ندم الرشيد على ما كان منه فى أمر البرامكة ، وتحسَّر على ما فَرَط منه فى أمرهم .

=

الْمُؤْمِنِينَ . ثم دَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : عِظْنِى وَأَوْجِز . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ الَّذِى أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ بِهِ لَحَقِيقٌ [عليك] (١) أَنْ تُحِبَّ مَايُحِبُّ ، وَتَبْغُضَ مَا أَبْغَضَ ، فَوَاللهِ ، لَقَدْ أَحَبَّ اللهُ دَارًا وَأَبْغَضْتَهَا ، وَأَبْغَضَ دَارًا وَأَحْبَبْتَهَا ، كَأَنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافَ رَبِّكَ ، أَوْ أَرَدْتَ سِوَاهُ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الَّذى فى يَدِكَ لَوْ بَقِىَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، فَكَذَلِكَ لا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِكَ ، فَاتَّقِ اللهَ فى خِلَافَتِهِ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أُمَّتِهِ (٢) .

وَدَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ النُّسَّاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ (٣) ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ تُحِبُّ اللهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَاللهِ فى حُبِّكَ إِيَّاهُ ، إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ إِذًا مَاعَصَيْتَهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ (٤) :

تَعْصِى الإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِى فى الْمَقَالِ بَدِيعُ (٥)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ (٦)
فى كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ ... مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ (٧)

= [انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢١٩ – ٢٢٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٢٨ – ١٣٢ ، ومعجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥ – ٩ ، والمعارف ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وغيرها من كتب التاريخ كالطبرى ، والكامل لابن الأثير ، والبداية والنهاية] .

(١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٢) فى « م » : « واحفظ محمداً فى أُمَّته » .

(٣) فى « م » : « وعليك السلام أيها المَلك » .

(٤) الشعر لمحمود الورَّاق .

(٥) فى « م » : « هذا لَعَمْرك » . وفى مُلحق الإحياء ج ٥ ص ٣٢١ ط الدار المصرية : « فى الفعال » بدل « فى المقال » .. وفى العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٨ : « هذا محال فى القياس بديع » .

(٦) فى العقد الفريد :

« لو كنت تُضْمِرُ حُبَّهُ لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مطيع »

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « لِفَقْدِ ذاك » بدل « لشُكر ذاك » . وفى العقد الفريد :

« فى كُلِّ يوم يبتليك بنعمة ... منه وأنت بشكر ذاك مُضِيعُ »

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ (١) عَنْ أَبِيه قَالَ : قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ (٢) أَبِى طَالِبٍ الْهَاشِمِىِّ ، وَالِى الْمَدِينَةِ : احْذَرْ أَنْ يَأْتِىَ رَجُلٌ غَدًا (٣) لَيْسَ لَهُ فى الإِسْلَامِ نَسَبٌ (٤) ولا أَبٌ ، وَلَا جَدٌّ ، فَيَكُونُ أَوْلَى بِرَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، كَمَا كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَوْلَى بِنُوحٍ وَلُوطٍ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٥) مِنْ زَوْجَتَيْهِمَا ، أَوْ كَمَا (٦) كَانَتْ زَوْجَةُ نُوحٍ وَلُوطٍ (٧) أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ مِنْ زَوْجَتِهِ .. مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ، وَمَنْ أَسْرَعَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُبْطِئْ بِهِ نَسَبُهُ .

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ السَّرِىِّ (٨) : بَيْنَمَا الْحَجَّاجُ جَالِسٌ فى الْحِجْرِ (٩) إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَجَعَلَ يَطُوفُ ، فَوَكَلَ بِهِ بَعْضَ مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ (١٠) : إِذَا خَرَجَ مِنْ طَوَافِهِ فَأْتِنِى بِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ (١١) أَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ

---

(١) هو : زيد بن أسلم العدوى ، أبو عبد الله العمرى ، فقيه ومفسر من أهل المدينة ، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، واستقدمه الوليد بن يزيد فى جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مُستفتيًا فى أمرٍ ، وكان ثقة كثير الحديث ، وكانت له حلقة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم . توفى – رحمه الله – سنة ١٣٦ هـ .

[الأعلام ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧ وتذكرة الحُفاظ ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩٨] .

(٢) هكذا فى « م » وهو الصواب .. وفى « ط » : « عبد الله بن أبى طالب » .. وسقط منها « جعفر » .. وكثيراً ما يُسْقِطُ الكاتب اسماً أو أكثر من تراجم الأعلام حين تزيد على الجد الثالث .

[انظر أولاد جعفر بن أبى طالب فى جمهرة أنساب العرب ص ٦٨ ، ٦٩ وانظر نسب قريش ص ٤٢٩ ، ٤٣٠] .

(٣) فى « م » : « احذر أن تجيء غداً رجل » وتجيء ، بالتاء : تحريف .

(٤) فى « ط » نِسْبَة .

(٥) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « زوجيهما ، وكما كانت » .

(٧) فى « م » : « لوط ونوح » .

(٨) هو : بِشْر بن السَّرِىّ الأَفْوَه ، أبو عمرو البصرى ، ثم المَكِّىّ الواعظ ، رُمِىَ بالتَّجهُّم واعتذر وتاب ، كان ثقة ثبتاً صاحب مواعظ . مات سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة .

[انظر طبقات الصوفية ص ٩٧ ، وميزات الاعتدال ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨] .

(٩) الحَجَّاج هو : الحجاج بن يوسف الثقفى . وقد مَرَّ التعريف به . والحِجْرُ : ماحواه الحطيم ، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(١٠) فى « م » : قال .

(١١) سقطت « من طوافة » من « م » .

الْيَمَنِ . قَالَ : أَفَلَكَ عِلْمٌ بِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ : لَقَدْ تَرَكْتُهُ أَبْيَضَ ، بَضًّا سَمِينًا ، طَوِيلًا عَرِيضًا . قَالَ : وَيْلَكَ ، لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ : قَالَ فَعَمَّهْ ؟ (١) قَالَ : عَنْ سِيرَتِهِ وَطُعْمَتِهِ (٢) . قَالَ : فَأَجْوَرُ السِّيَرِ ، وَأَخْبَثُ الطُّعَمِ ، وَأَعْدَى الْعُدَاةِ عَلَى اللهِ وَأَحْكَامِهِ . قَالَ (٣) : فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وَقَالَ : وَيْلَكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَخِي ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَأَنْتَ أَمَا عَلِمْتَ (٤) أَنَّ اللهَ رَبِّي ، وَاللهِ لَهُوَ أَمْنَعُ لِي مِنْكَ (٥) أَكْثَر مِنْ مَنْعِكَ (٦) لِأَخِيكَ ؟! قَالَ : أَجَلْ ، أَرْسِلْهُ يَا غُلَامُ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ (٧) : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَاجَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِيمَا بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَيْسُوا مِنْ قُرَيْشٍ (٨) ، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ (٩) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي فُلَانٍ ؟ قَالَ : أَشْرَارٌ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَشْرَارٍ . قَالُوا (١٠) : سَلْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ –

---

(١) أي : فَعَمَّ تسألني . والهاء للسكت .

(٢) الطُّعْمَةُ ، بالضَّمِّ : وَجْه الكسب والرزق ، وكُل مايُطْعَم .. وبكسر الطَّاء : الجهة التي منها يُرْتَزَق .

(٣) سقطت « قال » من « م » .

(٤) في « ط » : « أفأنت ما علمت » .

(٥) في « ط » : « لي منك » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : أكثر منك .

(٧) هو : عبد الملك بن قُرَيْب ، أبو سعيد الأصمعي ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر .. وقد سبقت ترجمة وافية عنه .

(٨) في « ط » : لقُريش .

(٩) هو : محمد بن عبد الرحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، من بني عامر بن لؤي ، من قريش ، أبو الحارث ، تابعي ، من رواة الحديث من أهل المدينة ، وكان يفتي بها ، ويُشَبَّه بسعيد بن المُسَيَّب .. ولد سنة ٨٠ هـ وكان من أَوْرَع الناس وأفضلهم في عصره .. دخل على أبي جعفر المنصور – الخليفة العباسي – الذى نحن بصدده الآن ، وقال له : الظُّلم فاشٍ ببابك ! وسُئل الإمام أحمد عنه وعن الإمام مالك ، فقال : ابن أبي ذئب أصلح في بدنه وأَقْوَم بالحق من مالك عند السَّلاطين .. وقيل : كان يرى القَدَر ، وهجره مالك من أجله .. وقد نفى عنه القَدَر الواقديُّ .. توفي سنة ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٨٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٢٠ ، والمعارف ص ٤٨٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٢] .

(١٠) في « م » : فقالوا .

وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ــ قَالَ : مَاتَقُولُ فِى الْحَسَنِ ؟ قَالَ : يَأْخُذُ بِالإِحْنَةِ (١) ، وَيَقْضِى بِالْهَوَى . فَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ لَرَمَاكَ بِدَاهِيَةٍ ، وَنَعَتَكَ بِشَرٍّ ! قَالَ : مَا تَقُولُ فِيَّ ؟ قَالَ : اعْفِنِى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لابُدَّ أَنْ تَقُولَ : قَالَ : إِنَّكَ لا تَعْدِلُ فِى الرَّعِيَّةِ ، وَلَا تَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ . فَتَغَيَّرَ (٢) وَجْهُ أَبِى جَعْفَرٍ ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، صَاحِبُ الْمُوصِلِ ، وَقَالَ : طَهِّرْنِى (٣) بِدَمِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ (٤) لَهُ ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ : اقْعُدْ يَابُنَيَّ ، فَلَيْسَ فِى دَمِ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ طَهُورٌ ، ثُمَّ تَدَارَكَ ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ الْكَلَامَ فَقَالَ : دَعْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ... بَلَغَنِى أَنَّكَ رُزِقْتَ ابْنًا صَالِحًا بِالْعِرَاقِ –يَعْنِى المَهْدِىَّ (٥) – قَالَ : أَمَا إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَيَصُومُ (٦) الْيَوْمَ الْبَعِيدَ مَابَيْنَ الطَّرَفَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ فَخَرَجَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَا وَاللهِ مَاهُوَ بِمُسْتَوْثِقِ الْعَقْلِ ، وَلَقَدْ قَالَ بِذَاتِ نَفْسِهِ .

وَدَخَلَ أَبُو النَّضْرِ سَالِمٌ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ (٧) عَلَى عَامِلٍ لِلْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ

---

(١) الإِحْنَةُ : الحِقْدُ والضِّغْنُ .

(٢) فى « م » : « قال : فَتَغَيَّرَ » .

(٣) فى « م » : « فقال : طَهِّرْنِى » يعنى : اجعلنى طاهراً ونقياً من الدَّنَس .

(٤) فى « ط » : قال .

(٥) فى « م » : بالمَهْدِىِّ .

(٦) فى « م » : « لَلصَّوَّام » . ويعنى باليوم البعيد ما بنى الطرفين : اليوم فى فصل الصيف الحار ، حيث يطول النهار عنه فى فصل الشتاء .

(٧) هكذا فى « م » وسائر المراجع ، بالضاد المعجمة ، وهو الأرجح الغالب .. أمّا فى « ط » فالبصاد المهملة . وفى الكامل لابن الأثير : أبو نصر ، بالصاد المهملة أيضاً وبغير الألف واللام .

وهو : سالم بن أبى أمية ، مولى عمر بن عبد الله بن معمر القُرَشِىُّ التَّيمىّ ، من تابعى أهل المدينة ، ومن الصالحين ، كان يغدو على عمر بن عبد العزيز ويعظه .. وله أحاديث فى الصحيحين ، وكان ثقة حَسَن الحديث .. توفى – رحمه الله – بالمدينة سنة ١٢٩ هـ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٧٦ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

لَهُ : يَا أَبَا النَّضْرِ ، إِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَفِيهَا ، وَلَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ إِنْفَاذِهَا ، فَمَاذَا تَرَى ؟ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابُ اللهِ قَبْلَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَيُّهُمَا اتَّبَعْتَ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .

* * *

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا جاءَ فى الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ
وَمَا فِى ذَلِكَ مِنَ الْغَرَرِ وَالْخَطَرِ [1]

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ ، إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فى الأَرْضِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [2] . جَاءَ فى التَّفْسِيرِ : مِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى أَنْ يَحْضُرَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَتَوَدُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِلَّذِى لَكَ مِنْهُ خَاصَّةٌ ، وَبِهَذِهِ الْخَصْلَةِ سُلِبَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] [3] مُلْكَهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا] : كَانَ الَّذِى أَصَابَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ جَرَادَة امْرَأَتِهِ [4] ، وَكَانَتْ مِنْ أَكْرَمِ نِسَائِهِ عَلَيْهِ ، تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ مَعَ غَيْرِهِمْ ،

---

(1) الغُرَرُ ، بِضَمِّ الغين المُعْجَمة : الشرف والسيادة .. وبفتحها : التعريض لِلْهَلَكة .

(2) سورة « ص » – الآية ٢٦ .

(3) مابين المعقوفين عن « ط » فى الموضعين .

[انظر قصة فتنة سليمان عليه السلام ، وكيفية سَلْبِ مُلْكِهِ عند تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة « ص » فى تفسير الكشّاف للزمخشرى ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وقصص الأنبياء للنجار ص ٣٢٣ – ٣٣١ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حَجَر ج ٦ ص ٤٥٩ ، وتفسير الفخر الرازى ج ٢٦ ص ٢٠٧ – ٢٠٩ ، وغيرها من كتب التفسير والأثر] .

(4) فى « م » : « امرأته جَرادَة » وهى : جرادة بنتُ غُولانَ ، وكان أبوها ملكاً مجوسياً على جزيرة « صيدون » – أو صيدا – وكان جبّارًا عظيمَ الشأن .. قتله سليمان ، واصطفى ابنته « جرادة » لنفسه ، وكانت رائعة الجمال فأسلمت وظهرت بمظهر المرأة الصالحة ، فأَحَبَّها وتزوّجها ، وكان لا يرقأ لها دمع على مقتل أبيها .

[انظر قصتها مع سليمان فى المراجع السابقة .. وقد أفرد لها الأستاذ / محمد أحمد برانق قصة فى مجموعة قصص الأنبياء ط دار المعارف ، تحت عنوان « سليمان وملك الجزائر » تحت رقم ١٤] .

فَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِأَهْلِ « جَرَادَة » فَيَقْضِى لَهُمْ ، فَعُوتِبَ [١] حِينَ لَمْ يَكُنْ هَوَاهُ فِيهِمْ وَاحِدًا .

وَمِنْ ذَلِكَ آيَةُ الْمُلُوكِ الَّتِى أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِى السَّلَاطِينِ لِمَا اقْتَضَتْهُ مِنَ السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الَّتِى فِيهَا بَقَاءُ الْمَمَالِكِ [٢] وَثُبُوتُ الدُّوَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [٣] . ثُمَّ سَمَّى الْمَنْصُورِينَ ، وَأَوْضَحَ شَرَائِطَ النَّصْرِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [٤] . فَضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ لِلْمُلُوكِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرَائِطَ [٥] كَمَا تَرَى ، فَمَتَى [٦] تَضَعْضَعَتْ قَوَاعِدُهُمْ ، وَانْتَقَضَ [٧] عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِهِمْ ، أَوْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ أَوْ بَاغٍ [٨] ، أَوْ حَاسِدُ نِعْمَةٍ ، أَوِ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ ، أَوْ رَأَوْا أَسْبَابَ الْغِيَرِ [٩] فَيَلْجَئُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَجِنُّوا [١٠] مِنْ سُوءِ أَقْدَارِهِ بِإِصْلَاحِ مَابَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ [سُبْحَانَهُ] [١١] بِإِقَامَةِ الْمِيزَانِ وَالْقِسْطِ [١٢] الَّذِى شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، وَرُكُوبِ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ الَّذِى قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَإِظْهَارِ شَرَائِعِ الدِّينِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَالْأَخْذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْقَوِيِّ عَنِ

---

(١) فى « م » : فَعُوقِبَ .

(٢) فى « م » : الْمُلْك .

(٣) سورة الحج – الآية ٤٠ .

(٤) سورة الحج – الآية ٤١ .

(٥) فى « م » : « وشَرَطَ الشَّرائِطَ » .

(٦) فى « ط » : فَمَن .

(٧) هكذا فى « م » بالضاد المعجمة . ويقال : انتقَضَ القومُ على السلطان : خرجوا عليه وخلعوا طاعته .. وفى « ط » : « انتقص » بالصاد المهملة .

(٨) فى « ط » : « أَوْ بَاغٍ فِتْنَةً » .

(٩) فى « م » : « أَوْ أسباب الغِيَرِ » . والغِيَرُ : الأحوالُ والأحداث المتغيرة .

(١٠) يستجِنُّوا : يَستَتِرُوا .. وفى « م » : « يَستَحْيُوا » مِنَ الحياء .

(١١) مابين المعقوفتين عن « م » .

(١٢) فى « ط » : « القسط » بدون واو العطف ، ومعناه : العَدل .

الضَّعِيف ، وَمُرَاعَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَمُلَاحَظَةِ ذَوِى الْخَصَاصَةِ [١] وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخَلُّوا بِشَىْءٍ مِنَ الشَّرَائِطِ الْأَرْبَعِ الَّتِى شُرِطَتْ فِى النَّصْرِ .

رُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] قَالَ : « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْإِمَامُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا [٣] ، وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ [٤] رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [٥] . فَجَعَلَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّ نَاظِرٍ فِى حَقِّ غَيْرِهِ رَاعِيًا لَهُ ، وَاللَّفْظُ مَأْخُوذٌ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْمُرَاعَاةِ ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لِرِعَايَةِ غَيْرِهِ مَنْ يَأْكُلُهُ ، فَهُوَ الْهَلَاكُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَرَاعِى الشَّاةِ يَحْمِى الذِّئْبَ عَنْهَا ... فَكَيْفَ إِذَا الذِّئَابُ لَهَا رِعَاءُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ [٦] فِى الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنِ امْرِئٍ يَلِى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَهِدْ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ » [٧] .

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ومُدَاحَضَةِ ذَوِى الخصاصة » أى : والبحث عن أصحاب الحاجة من الفقراء .

(٢) فى « م » : « أنَّ الرَّسُول عليه السلام » .

(٣) سقطت « وولدها » من « م » .

(٤) فى « ط » : كُلكُم .

(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الجمعة ج ٢ ص ٦ ط الشعب وفى الجنائز ج ٢ ص ١٠٠ ، وفى الاستقراض ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٨ وفى العتق ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ وفى كتاب الوصايا ج ٤ ص ٦ ، وفى كتاب النكاح ج ٧ ص ٧٤ ، ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٣ بشرح النووى ، ورواه الترمذى فى صحيحه فى كتاب الجهاد ج ٧ ص ١٩٨ بشرح ابن العربى .

(٦) هو : الإمام مُسلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيْرى ، أبو الحسين ، أحد أئِمَّة الحُفَّاظ ، وأعلام المُحَدِّثين ، وُلد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وأشهر كتبه « صحيح مسلم » جمع فيه اثنى عشر ألف حديث ، كتبها فى خمس عشرة سنة ، وهو أحد الصحيحين المُعَوَّل عليهما عند أهل السُّنة فى الحديث ، توفى - رحمه الله - بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٠ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٨٨ - ٥٩٠] .

(٧) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٥ ولفظه : « مامِنْ أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يَجْهَدُ لهم وينصح ، إلَّا لَمْ يَدْخُلْ معهم الجنة » .

=

وَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ (١) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَامِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ [تَعَالَى] رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » (٢) .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سَمُرَةَ (٣) قَالَ : قَالَ لِى (٤) رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَاعَبْدَ الرَّحْمٰنِ (٥) ، لاتَسْأَلِ الإِمَارَةَ (٦) ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا (٧) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ (٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكُمْ

= ورواه أيضاً فى كتاب الإيمان ، والرواية هى الرواية .. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٦ بشرح النووى .

(١) هو : مَعْقِل بن يَسار بن عبد الله المُزَنِىُّ ، صحابى ، أسلم قبل الحُدَيْبِيَة ، وشهد بيعة الرضوان ، وسكن البصرة ، وإليه يُنْسَبُ نهر « مَعْقِل » الذى بها . وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ تقريباً ، ودُفِنَ بالبَصرة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧١ ، وأُسْد الغابة ج ٥ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣] .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .. والحديث فى أُسْدِ الغابة : « مامن عبد يسترعيه الله رَعِيَّة ، يموت يوم يموت غاشاً لرعيته إِلَّا حرَّم الله عليه الجنة » . أخرجه الثلاثة .

[انظر ج ٥ ص ٢٣٣ .. وقد رُوِى فى مسلم بالرواية التى ذُكرت آنفاً عن مَعْقِل بن يسار ، وكلا الروايتين فى مسلم] .

(٣) هو عبد الرحمٰن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس القُرَشِىُّ ، أبو سعيد ، صحابىٌّ ، من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مُؤْتة ، وسكن البصرة ، وافتتح « سجستان وكابل » وغيرهما .. ووَلِىَ « سجستان » وغزا « خُراسان » ففتح بها فتوحاً ، ثم عاد إلى البصرة فتوفى بها سنة ٥٠ هـ ، وقيل : سنة ٥١ هـ .. وإليه تُنْسَب سِكَّة « سَمُرَة » بالبصرة .. وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة ، أو عبد كُلال ، فسمَّاه الرسول صلى الله عليه وسلم « عبد الرَّحمٰن » .

[انظر ترجمته فى أسد الغابة ج ٣ ص ٤٥٤ – ٤٥٦ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٤٣٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٠٢ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧] .

(٤) هكذا فى « م » وفى صحيح مسلم .. وقد سقط الجار والمجرور « لى » من « ط » .

(٥) هكذا فى « ط » وفى صحيح مسلم .. وفى « م » : « ياعبد الرَّحمٰن بن سَمُرَة » .

(٦) هكذا فى « ط » وفى صحيح مسلم .. وفى « م » : « لا تسأَل عَنِ الإمارة » .

(٧) انظر الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب الإمارة ، باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها ج ١٢ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ بشرح النووى .. والبخارى فى كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ، وسنن النسائى ج ٨ ص ٢٢٥ بشرح جلال الدين السيوطى .

(٨) هو : عبد الرحمٰن بن صخر الدَّوْسِىُّ ، وأبو هريرة لَقَبُه ، صحابى ، وكان من أكثر الصحابة حفظاً =

سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعْمَتِ [١] الْمُرْضِعَةُ ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ » [٢] .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ، [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] [٣] قُلْتُ : أَمِّرْنِي يَارَسُولَ اللهِ [٤] ، قَالَ : « إِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ [٥] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » [٦] .

= للحديث وراوية له .. وُلد سنة ٢١ قبل الهجرة ، ونشأ يتيماً ضعيفاً ، وقَدِم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأسلم سنة ٧ هـ ، ولزم صحبه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور مع النبي حيث دار ، وَرَوَى عنه ٣٥٧٤ حديثًا ، نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابى وتابعى .. ووَلِى إِمْرَةَ المدينة مُدَّةً ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه لَيِّنَ العريكة ، مشغولاً بالعبادة ، فعزله ، وأراده بعد زمن على العمل ، فَأَبَى ، وكان أكثر مقامه بالمدينة ، وبها توفى سنة ٥٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٦ – ٣٨٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٦١] .

(١) هكذا فى « م » و « ط » وسنن النسائى .. وفى صحيح البخارى « فَنِعْمَ » . وقد ضرب صلى الله عليه وسلم المُرضِعَة مثلاً للإمارة ، وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطِمة مثلا للموت الذى يهدم عليه لَذَّاته ، ويقطع منافعها دونه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ط الشعب ، وأخرجه النسائى فى سُننه فى آخر كتاب البيعة ، فيما يكره من الحرص على الإمارة ج ٧ ص ١٦٢ ، وفى كتاب آداب القُضاةِ ، باب ترك استعمال من يحرص على القضاء ج ٨ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ بشرح السيوطى] .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .. وأبو ذَرٍّ هو : جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَة بن سفيان بن عبيد الغفارىُّ ، من كبار الصحابة ، قديم الإسلام ، أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يُضْرَب به المَثَل فى الصِّدق ، ولم يكن تأخذه فى الحق لَوْمَة لائم ، وهو أول من حَيَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام .. هاجر بعد وفاة النبىِّ صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن تُوفِىَ أبو بكر وعمر وَوَلِيَ عثمان ، فسكن دمشق ، وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فشكاه معاوية (وكان والى الشام) إلى عثمان (الخليفة) فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، فَقَدِمَها ، واستأنف نشر رأيه فى تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فأمره عثمان بالرِّحلة إلى « الرَّبَذَة » – من قُرى المدينة – فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ . وكان كريماً لا يخزن من المال قليلاً ولا كثيراً ، وَلَمَّا مات لم يكن فى داره ما يُكَفَّنُ به .. روَى له البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٦ – ١٧٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٩ – ٢٣٧ ، وأُسْد الغابة ج ١ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ وج ٦ ص ٩٩ – ١٠١ ، والمعارف ص ٢٥٢ ، ٢٥٣] .

(٤) أَمِّرْنِى : اجْعَلْنِى أميرًا .. وفى صحيح مُسلم : « أَلا تَسْتَعْمِلُنِى » وهىَ بمعناها .

(٥) فى رواية مسلم « خِزْىٌ وندامة » .

(٦) انظر الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة أبى ذر ج ٤ ص ٢٣١ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ [١] أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً [٢] لِهَذَا الأَمْرِ ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ » [٣] .

وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً [٤] ثُمَّ لَمْ يَحُطْهُمْ بِنُصْحِهِ كَمَا يَحُوطُ أَهْلَ بَيْتِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بَعَثَ إِلَى عَاصِمٍ [٥] يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبَى ، وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِالْوَالِي فَيُوقَفُ [٦] عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَيَأْمُرُ اللهُ

---

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، وُلِدَ بِبُخارَى سنة ١٩٤ هـ وقام برحلة طويلة فى طلب الحديث ، فزار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث ، اختار منها فى صحيحه ماوثق بِرُوَاته ، وهو أول مَنْ وَضَع فى الإسلام كتاباً على هذا النحو .. وأقام فى « بُخَارَى » فتعَصَّب عليه جماعة وتناولوه ، بِأَلْسِنَتِهِم ، فخرج من « بُخَارَى » إلى « خَرْتَنْك » - إحدى قُرَى سمرقند - وفيها وَافَتْهُ مَنِيَّتُهُ سنة ٢٥٦ هـ . وكان - رحمه الله - حُجَّة فى الحفظ ومعرفة الأسانيد ، وكتابه فى الحديث من أوثق الكتب السِّتَّة المعول عليها فى الحديث .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤ - ٣٦ ، وطبقات الحُفَّاظ ص ٢٥٢ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٨ - ١٩١] .

(٢) هكذا فى « ط » وفى البخارى .. وفى « م » : « كَرَاهَةً » .

(٣) الحديث هنا مُجْتَزَأ ، ورواه البخارى كاملاً فى كتاب المناقب ج ٤ ص ٢٣٨ ط الشعب ، وفى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٤ ط دار المعرفة .

(٤) فى « م » : « مامِنْ والٍ يلى عشرة من أمر المسلمين شيئاً » .

والحديث فى سنن الدَّارِمِى : « مامِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عُنقه ، أطلقه الحق أو أَوْبَقَه » .

[انظر سنن الدارمى ، كتاب السِّيَر ، بابٌ فى التشديد فى الإمارة ج ٢ ص ٢٤٠ ط دار إحياء السُّنَّة] .

(٥) هو : عاصِمُ بنُ سفيان الثقفى ، صحابىٌّ ، وكان يسكن المدينة .. والحديث مَرْوِىٌّ فى « أُسْد الغابة » عن حَشْرَج بن نُبَاته ، عن هشام بن حبيب ، عن بِشْر بن عاصم عن أبيه .. وَقَدْ ضُعِّفَ حَشْرج وجُرِّح .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والضعفاء الكبير للعُقَيْلى ج ١ ص ٢٩٧ ، وكتاب الضعفاء الصغير للبخارى ص ٧٩ ، ٨٠] .

(٦) فى « م » : « فَيُقْذَف » .

سُبْحَانَهُ (١) الْجِسْرَ فَيَنْتَفِضُ (٢) انْتِفَاضَةً ، فَيَزُولُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْهُ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ [تَعَالَى] (٣) الْعِظَامَ فَتَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا (٤) ، ثُمَّ يُسَائِلُهُ ، فَإِنْ كَانَ للهِ تَعَالَى طَائِعاً (٥) أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ (٦) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ للهِ عَاصِياً خَرَقَ بِهِ الْجِسْرَ فَيَهْوِى (٧) بِهِ فِى جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفاً » . فَقَالَ عُمَرُ : سَمِعْتَ مِنَ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَالَمْ أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ سَلْمَانُ وَأَبُو ذَرٍّ (٨) حَاضِرَيْنِ ، فَقَالَ سَلْمَانُ :

---

(١) فى « م » : « تعالى » بدل « سبحانه » .

(٢) فى « م » : ينتفض .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٤) فى « م » : أماكنها .

(٥) فى « م » : مطيعاً .

(٦) كِفْلَيْن : ضِعْفَيْن .

(٧) فى « م » : فهَوَى .

(٨) أبو ذَرّ الغِفَارِىُّ جُنْدُبُ بن جُنَادة .. مرت ترجمته .. وسَلْمَانُ هو : سَلْمَانُ الفارسىُّ ، أبو عبد الله ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسابق الفُرْس إلى الإسلام ، صَحِبَ النبى صلى الله عليه وسلم وخَدَمَه ، وحَدَّثَ عنه ، وكان لبيباً حَازِماً ، من عقلاء الرجال وعُبَّادِهِم ونُبلائهم ، وكان يُسمى نفسه : سلمان الإسلام .. وأصله من مجوس أصبهان ، عاش عُمْرًا طويلًا ، واختلفوا فيما كان يُسَمَّى به فى بلاده .. وقالوا : نشأ فى قرية « جيان » ورحل إلى الشام فالمُوصِل ، فنَصِيبِين ، فعمورية ، وقرأ كُتُبَ الفُرْسِ والرُّوم واليهود ، وقصد العرب ، فلقيه رَكْبٌ من بنى « كَلْب » فاستخدموه ، ثم استعبدوه وباعوه ، فاشتراه رجلٌ من « قُرَيْظَة » فجاء به إلى المدينة .. وعَلِمَ سلمان بخبر الإسلام ، فقصد النبى بقباء ، وسمع كلامه ، ولازمه أياماً وأبى أن يتحرَّر بالإسلام ، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه ، فأظهر إسلامه .. وكان قَوِىَّ الجسم ، صحيح الرأى ، عالماً بالشرائع وغيرها ، وهو الذى دَلَّ المسلمين على حفر الخندق فى غزوة الأحزاب ، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار ، كلاهما يقول : سلمان مِنّا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَلْمَانُ مِنَّا أهل البيت » . وكان - رحمه الله - بَحْرًا لا ينزف . وجُعِلَ أميرًا على المدائن ، فأقام فيها إلى أن تُوفِىَ سنة ٣٦ هـ ، وكان إذا خرج عطاؤه تَصَدَّق به . وكان ينسج الخوص ، ويأكل خبز الشعير من كسب يده .

[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٥ - ٥٥٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٨٥ - ٢٠٨ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، والتاريخ الكبير للإمام البخارى ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٣ - ١٧١ ، وكتاب دول الإسلام ج ١ ص ٣١ والمعارف ص ٢٧٠ ، ٢٧١] .

إى وَاللهِ يَاعُمَرُ ، وَمَعَ السَّبْعِينَ سَبْعُونَ (١) خَرِيفاً فى وَادٍ يَلْتَهِبُ الْتِهَاباً . فَقَالَ عُمَرُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ قَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَبَ اللهُ أَنْفَهُ وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بالأَرْضِ .

وَرُوِىَ أَنَّ الْعَبَّاسَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٢) قَالَ : أَمِّرْنِى يَارَسُولَ اللهِ فَأُصِيبَ وَأَسْتَرِيشَ (٣) . فَقَالَ لَهُ : « يَاعَبَّاسُ ، يَاعَمَّ النَّبِىِّ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لاتُحْصِيهَا . أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الإِمَارَةِ ؟ أَوَّلُهَا مَلامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ ، وآخِرُهَا حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤) فى السُّنَنِ : جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبِى

---

(١) هكذا فى « م » على أنها مبتدأ مؤخر .. وفى « ط » : « سبعين » أى : مقدار سبعين ، فكلاهما صواب .

(٢) مابين المعقوفين عن « ط » فى الموضعين .. والعَبَّاسُ هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، عَمُّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن أكابر قُرَيش فى الجاهلية والإسلام ، وجَدُّ الخلفاء العباسيين ، وُلِدَ سنة ٥١ قبل الهجرة .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصفه : « هذا بقية آبائى ، أجود قريش كفاً ، وأوصلها » وكان مُحسناً لقومه ، سديد الرَّأى ، واسع العقل ، مولعاً بإعتاق العبيد ، كارهاً للرِّق ، اشترى ٧٠ عبداً وأعتقهم .. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة « حُنَيْنٍ » فكان مِمَّنْ ثبت حين انهزم الناس .. وشهد فتح مكة . وعَمِىَ فى آخر عمره .. وكان إذا مَرَّ بعمر فى أيام خلافته تَرجَّل عمر إجلالاً له ، وكذلك عثمان .. توفى – رحمه الله – فى المدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع .

[انظر ترجمته فى أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٤ – ١٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨ – ١٠٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢١٠ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٦٢] .

(٣) فأُصيب وأَستَرِيش : أنال خيرًا وأُصلح حالى .

(٤) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدى السجستانى ، أبو داود ، إمام أهل الحديث فى زمانه ، وكان من العلماء العاملين ، أصله من سجستان ، وُلد سنة ٢٠٢ هـ وطَوَّف البلاد ، وكتب عن العراقيين ، والخراسانيين ، والشاميين ، والمصريين . قال عنه الحافظ موسى بن هارون : خُلِقَ أبو داود فى الدنيا للحديث ، وفى الآخرة للجَنَّة ، وما رأيت أفضل منه – توفى – رحمه الله – سنة ٢٧٥ هـ .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٩ ص ٥٥ – ٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٩١ – ٥٩٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، والأعلام ج ٣ ص ١٢٢ ، وطبقات الفقهاء ص ١٧٢] .

عَرِيفٌ [١] عَلَى الْمَاءِ ، وَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ [٢] أَنْ تَجْعَلَ لِى الْعِرَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « الْعُرَفَاءُ فِى النَّارِ » [٣] .

وَرَوَى السَّاجِىُّ [٤] عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] [٥] قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الإِمَامُ الْجَائِرُ » [٦] . وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ [٧] : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ مِنْ وَالٍ وَلَاقَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتَى [٨] بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَىِ اللهِ سُبْحَانَهُ [٩] عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ تَنْشُرُ الْمَلَائِكَةُ سِيرَتَهُ فَيَقْرَءُونَهَا [١٠] عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ، فَإِنْ كَانَ عَادِلًا [١١] نَجَّاهُ اللهُ [تَعَالَى] بِعَدْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْتَفَضَ بِهِ

---

(١) فى « م » : « عريفاً » بالنصب ، وهو خطأ ، والصواب بالرفع .. والعَرِيفُ : القَيِّمُ بأمْرِ القوم ، وَسيِّدُهم .

(٢) هكذا فى « م » وهو مطابق لما ورد فى رواية أبى داود .. وفى « ط » : « وإنى أسألك » .

(٣) الحديث هنا مجتزأ ، وقد رواه أبو داود مُطَوَّلاً فى كتاب الخراج والإمارة ، بابٌ فى العِرَافة ، وآخره : قال : « إنَّ العِرَافَةَ حَقٌّ ، ولابُدَّ للناسِ مِنَ العُرَفاء ولكنَّ العُرَفاء فى النار » .

[انظر سنن أبى داود ج ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٤) هو : أبو يحيى ، زكريا بن يحيى بن عبد الرحمنْ الساجى ، من الحفاظ الثقات ، ومُحَدِّث البصرة فى عصره ، وُلد سنة ٢٢٠ هـ وتوفى سنة ٣٠٧ هـ عن نحو تسعين سنة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٦١٠ ، وطبقات الفقهاء ص ١١٤] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « م » .. وأبو سعيد الخدرىُّ هو : سعد بن مالك بن سنان الخُدْرى الأنصارى ، ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ، وهو مشهور بكنيته .. كان من مُلازِمى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وروَى عنه ١١٧٠ حديثاً ، وغزا معه ١٢ غزوة ، وتوفى فى المدينة سنة ٧٤ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٦٩ — ٣٧١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وج ٦ ص ١٤٢ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٣٢] .

(٦) الحديث أخرجه أبو نعيم فى الْحِلْيَة فى الجزء العاشر ص ١١٤ .

(٧) فى « ط » : « رضى الله عنه » .. وقيل : كَرَّم الله وجهه لأنه نشأ فى الإسلام ، ولم يسجد لِصَنَمٍ قط .

(٨) فى « م » : « إلَّا يُؤْتَى به » .

(٩) فى « م » : « عَزَّ وَجَلَّ » .

(١٠) فى « م » : « فيقرءوها » . وكلاهما صواب .

(١١) فى « م » : « عَدْلاً » .. وما بين المعقوفتين بعدها ساقط من « ط » .

الصِّرَاطُ انْتِفَاضَةً صَارَ بَيْنَ كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مَسِيرَةُ سَنَةٍ ، ثُمَّ يَنخَرِقُ بِهِ الصِّرَاطُ ، فَمَا يَلْقَى قَعْرَ جَهَنَّمَ إِلَّا بُحِرِّ وَجْهِهِ » (١) .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ القَاضِيَ يَزِلُّ فِى مَزْلَقَةٍ (٣) أَبْعَدَ مِنْ عَدَنٍ فِى جَهَنَّمَ » (٤) . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقَاضِى الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ (٥) شِدَّةِ الْحِسَابِ عَلَى مَاقَضَى حَتَّى يَوَدَّ (٦) أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِى تَمْرَةٍ » (٧) .

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فَمَا يَلْقَى قَعْرَ النَّارِ إِلَّا بِحُرِّ وَجْنَتِهِ » .. ويقال للرَّجُل : حُرُّ الوجه ، أو سهل الوجه ، إذا لم يكن ظاهِرَ الوَجْنَة . والوَجْنَة : ما ارتفع من الخدَّيْن .

(٢) هو : مُعَاذ بن جَبَل بن عَمرو بن أوس الأنصارى ، الخزرجى ، أبو عبد الرحمٰن ، صحابى جليل ، وكان أعلم الأمّة بالحلال والحرام ، وهو أحد السِّتَّة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أسلم وهو فَتىً ، وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبى طالب ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهَد كلها ، مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبعثه الرسول بعد غزوة « تبوك » قاضياً ومُرْشِدًا لأهل اليمن ، وأرسل معه كتاباً إليه يقول فيه : « إنى بعثت لكم خير أهلى » ، فبقى فى اليمن إلى أن توفى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وولى أبو بكر ، فعاد إلى المدينة .. ثم كان مع أبى عبيدة بن الجَرَّاح فى غزو الشام .. ولَمَّا أصيب أبو عبيدة (فى طاعون عَمْوَاس) استخلف مُعَاذاً .. وأقَرَّه « عُمر » . ومات معاذ بهذا الطاعون سنة ١٨ هـ ، ودُفِنَ بناحية الأردن . وله ١٥٧ حديثاً وكان – رحمه الله – من أحسن الناس وجهاً ، ومن أسْمَحِهِم كَفاً ، ومن كلام عمر : « لولا معاذ لهلك عمر » يُنَوِّهُ بِعِلْمه .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٩٤ – ١٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٢٨ – ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٤] .

(٣) فى « ط » : « لَيَزِلُّ » أى : تنزلق قَدَمُهُ .. فى مَزْلَقَةٍ : فى موضع لا تثبت عليه قَدَمٌ – وهذا إذا كان غير عادل فى قضائه – وَعَدَنَ : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٤) هذا الحديث لم أقف عليه .

(٥) هكذا فى « م » وفى السُّنَن الكُبرَى للبَيْهَقِى ، وفى العِلَل المُتَنَاهِيَة لابن الجَوْزى .. وفى « ط » : « فى » .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مايَوَدُّ » وسقط منها : « عَلَى ماقَضَى » وفى البيهقى « مايتمنى ... قط » .. وفى العِلَل المتناهية : « ما يتمنى ألَّا يكون قَضَى بين اثنين فى تمرة قط » .

(٧) الحديث أخرجه البيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٦ ، والهيثمى فى موارد الظمآن – باب ماجاء فى الأمراء ص ٣٧٦ ، وابن الجَوْزى فى العِلَل المتناهية ، فى كتاب الأحكام والقضايا ج ٢ ص ٧٥٥ وص ٥٦ وقال : هذا حديث لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال العقيلى : عمران بن حطان – راوى هذا الحديثِ عن عائشة – لا يُتَابَعُ على حديثه .. وقال الذهبى – فى ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣٥ – مُعَلِّقاً على هذا الحديث ، وعلى قول العُقَيْلى : « كان الأَوْلَى أن يلحق الضَّعْفُ فى هذا الحديث بصالح أو بِمَنْ بعده – يعنى : صالح بن سرج ، وهو الذى رَوَى الحديث عن عمران – فإن عِمْران صَدُوقٌ فى نفسه .. وقال العجلى : تابعى ثقة .. وقال قتادة : كان لا يُتَّهَم فى الحديث .

وَرَوَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْن سَمُرَةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ (١) فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، خِرْ لِى (٢) . فَقَالَ : اقْعُدْ فِى بَيْتِكَ .

وَرُوِىَ (٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَيَوَدُّنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثُّرَيَّا (٤) وَلَمْ يَكُونُوا أُمَرَاءَ عَلَى شَىْءٍ ، وَكَمْ مِنْ مُتَخَوِّلٍ (٥) فِى مَالِ اللهِ ، وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ غَدًا » (٦) .

وَفِى الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِى لاتَنَالُهُمَا (٧) شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ ظَالِمٌ غَشُومٌ ، وَغَالٍ فِى الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ » .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٨) : مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤَمَّرُ عَلَى عَشَرَةٍ إِلَّا جِىءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا (٩) نَجَّاهُ عَمَلُهُ أَوْ أَهْلَكَهُ (١٠) . وَقَالَ طَاوُوسٌ (١١) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ

---

(١) فى « ط » : يستعمله .

(٢) أى : اخْتَرْ لى .

(٣) فى « م » : « وفى الحديث » .

(٤) الثريا : مجموعة من النجوم فى صورة الثور ، وكَلِمَة « النجم » عَلَمٌ عليها .

(٥) مُتَخَوِّل : مُتَعَهِّد .

(٦) الحديث أخرجه البيهقى بمعناه فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٧ ، وابن حبان فى صحيحه فى كتاب السِّيَر ج ٧ ص ٩ عن أبى هريرة ، مع اختلاف يسير فى لفظه ، وموارد الظمآن للهيثمى ، باب ما جاء فى الأمراء ص ٣٧٥ .

(٧) فى « م » : ينالهما .

(٨) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٩) مغلولاً : مُقَيَّدًا بطوق من حديد .

(١٠) الحديث رواه البيهقى فى سننه فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٦ وآخره : « حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » .. وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى الدَّرْدَاء : « مامِنْ وَالِى ثلاثةٍ إِلَّا لَقِىَ اللهَ مَغْلُولة يمينُه ، فكَّهُ عَدْلُه أو غَلَّهُ جَوْرُهُ » .

(١١) هو : طاووس بن كَيْسَان الخَوْلانىُّ ، أبو عبد الرحمٰن ، أحد الأعلام التابعين ، كان فقيهاً جليل القَدْر ، نبيه الذِّكْر ، وراوِيَة للحديث ، وُلد سنة ٣٣ هـ ، وكانت فيه جُرْأة على وعظ الخُلفاء والملوك .. تُوفى حاجاً بالمُزْدَلِفَة – أو بمِنًى – سنة ١٠٦ هـ ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك ، وكان حاجًّا فى تلك السَّنَة .. وكان – رحمه الله – يأبى القُرْبَ من الملوك والأمراء . قال أبو عُيَيْنَه : مُتَجَنِّبُو السلطان ثلاثة : أبو ذرٍّ ، وطاووس ، والثورى .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣ – ٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٠٩ – ٥١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠ وطبقات الفقهاء ص ٦٥ ، وللمعارف ص ٤٥٥] .

الْمَلِكِ : هَلْ تَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) ؟ مَنْ أَشْرَكَهُ اللهُ فى مُلْكِهِ فَجَارَ فى حُكْمِهِ . فَاسْتَلْقَى سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَبْكِى ، وَمَازَالَ يَبْكِى حَتَّى قَامَ عَنْهُ جُلَسَاؤُهُ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ أُمَرَاءُ فَجَرَةٌ ، وَقُرَّاءُ كَذَبَةٌ ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ ، وَعُلَمَاءُ فَسَقَةٌ ، وَعُرَفَاءُ ظَلَمَه (٢) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ (٣) : مَا ازْدَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْباً إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا ، وَلَا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ (٤) ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا كَثُرَ حِسَابُهُ .

وَفِى الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فى النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فى الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ فى النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِعِلْمٍ فَجَارَ فَهُوَ فى النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فى الْجَنَّةِ » (٥) . رَوَاهُ بُرَيْدَةُ (٦) عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

(١) فى « م » : « يوم القيامة غداً ؟ قال سليمان : قال طاووس .. » .

(٢) فَسَقَة : جَمْعُ فاسق ، وهو العاصى .. وظَلَمَة : جمع ظالم .

(٣) هو : عُبيد بن عُمَير بن قتادة اللَّيْثى ، وكُنْيَتُه : أبو عاصم ، مُحَدِّثٌ ثقة ، ومن كبار تابعى أهل مكة .. كان عابدًا واعظًا .. توفى - رحمه الله - سنة ٦٨هـ تقريباً .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٦٦ - ٢٧٩ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٤٩٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧ ، والمعارف ص ٤٣٤] .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ولا كثر أتباعه إلا كثر شيطانه » .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه فى سُنَنه فى كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٦ ، والبيهقى فى سُننه ، فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وأبو داود فى سُنَنه ، فى كتاب الأَقْضِيَة ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، والحافظ شمس الدين الحنبلى فى « المُحَرَّر » فى أول كتاب القضاء ج ٢ ص ٦٣٧ ط دار المعرفة .

(٦) فى « م » : « يزيد » تحريف .

وبُرَيْدَةُ هو : بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى ، من أكابر الصحابة ، أسلم قبل « بَدْرٍ » ولَمْ يشهَدْها ، وشهد خَيْبَر ، وفتح مكة ، واستعمله النبى ، صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه .. سكن المدينة ، ثم انتقل إلى البصرة ، ثم إلى « مَرْو » ومات بها سنة ٦٣هـ . له ١٦٧ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٥٠ ، وأُسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٢ ، ورجال صحيح مسلم ج١ ص ٩٧] .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ [١] : جَاءَ صِبْيَانٌ إِلَى عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ [٢] يَتَخَايَرُونَ [٣] إِلَيْهِ فِي أَلْوَاحِهِمْ ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ وَلَا أَتَوَلَّى حُكْماً أَبَدًا [٤] . وَتَخَايَرَ غِلْمَانٌ [٥] إِلَى ابْنِ عُمَرَ [٦] فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى [٧] كِتَابَتِهِمْ وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ ، وَلَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ .

وَالْمُصَنِّفُونَ يُرْسِلُونَ فِي كُتُبِهِمْ حَدِيثاً مَرْفُوعاً رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَدِمَ إِلَى الْقَضَاءِ [٨] فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » [٩] .

وَفِي أَخْبَارِ الْقُضَاةِ أَنَّ قَاضِياً قَدِمَ إِلَى بَلَدٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَبَلَغَكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « مَنْ جُعِلَ قَاضِياً [١٠] فَقَدْ ذُبِحَ

---

(١) هو : أبو بكر محمد بن سيرين البصرى ، الأنصارى بالولاء ، إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة ، وكان أصَمَّ .. تابعى ، وُلد بالبصرة سنة ٣٣ هـ ونشأ بها ، وكان يعمل بَزَّازًا ، وهو من أشراف الكُتَّاب ، تفقَّه ، وروَى الحديث ، واشتهر بالوَرَع وتعبير الرُّؤيا ، واستكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مَوْلًى لأنس . وتوفى – رحمه الله – بالبصرة سنة ١١٠ هـ . ويُنسَبُ إليه كتاب « تعبير الرُّؤيا » و « مُنتخب الكلام فى تفسير الأحلام » .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٦ ص ١٥٤ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٦٣ – ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨١ – ١٨٣ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٣١ – ٣٣٨ ، وطبقات الفقهاء ص ٩٢ ، ٩٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، والمعارف ص ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

(٢) هو : عُبيدة بن قيس (أو عَمرو) السَّلْمانى المُرادى ، تابعى ، أسلم باليمن أيام فتح مكة ، ولم يَرَ النبى ، ﷺ . وكان عريفَ قومه . وهاجر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، وحَضَر كثيرًا من الوقائع – وتفقه وروى الحديث ، وكان يوازى « شريحاً » فى القضاء . وقد روَى عنه ابن سيرين ، والشعبى ، والنخعى ، وغيرهم . توفى – رحمه الله – سنة ٧٢هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١٩٨ ، والمعارف ص ٤٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) يتخايرون إليه : يتحاكمون إليه أيُّهم أَخْيَرُ .

(٤) كلمة « أبداً » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٥) فى « ط » : « غلامان » . خطأ .

(٦) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد مرت ترجمته .

(٧) فى « م » : « فى » بدل « إلى » .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « قَدِمَ للقضاء » . أى : اجترأ عليه ، أو رَضِىَ به .

(٩) رواه أبو داود فى أول كتاب الأقضية عن أبى هُرَيْرَة ، وأوله : « مَنْ وَلِىَ القضاء .. » . وفى رواية : « مَنْ جُعِلَ قاضياً بين الناس » ج ٣ ص ٢٩٧ . وأخرجه البيهقى فى سُننه ، فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٦ وأخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية ج ٢ ص ٧٥٦ وابن ماجه فى كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٤ وغيرهم .

(١٠) هكذا فى فى « م » .. وفى « ط » : « مَنْ قَدِمَ للقضاء » .

بِغَيْرِ سِكِّينٍ ؟ » . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَبَلَغَكَ أَنَّ أُمُورَ النَّاسِ (١) ضَائِعَةٌ فى بَلَدِنَا فَجِئْتَ تُجْبِرُها ؟ قَالَ : لا . قَالَ أَفَأَكْرَهَكَ (٢) السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَاشْهَدْ أَنِّى لا أَطَأُ لَكَ مَجْلِسًا ، وَلَا أُؤَدِّى عِنْدَكَ شَهَادَةً أَبَدًا .

وَرُوِىَ أَنَّ أَبَابَكْرٍ الصِّدِّيق ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ فى بَعْضِ خُطَبِهِ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ ، زَهَّدَهُ اللهُ فى مَالِهِ ، وَرَغَّبَهُ فِيمَا فى يَدِ غَيْرِهِ ، وَأُشْرِبَ قَلْبُهُ الإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَسْخَطُ الكَثِيرَ (٣) ، جَذِلُ الظَّاهِرِ (٤) ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ (٥) ، وَنَضَبَ عُمْرُهُ (٦) ، وَمُحِىَ ظِلُّهُ (٧) حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وَأَقَلَّ عَفْوَهُ .

وَذُكِرَ السُّلْطَانُ لِأَعْرَابِىٍّ فَقَالَ : وَاللهِ لَئِنْ عَزُّوا فى الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَقَدْ ذُلُّوا فى الآخِرَةِ بِالْعَدْلِ ، وَبِقَلِيلٍ فَإِنْ رَضُوا عَنْ كَثِيرٍ (٨) بَاقٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّدَمُ حِينَ (٩) لايَنْفَعُ النَّدَمُ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى مَرْيَمَ (١٠) : حَجَّ قَوْمٌ فَمَاتَ صَاحِبٌ لَهُمْ بِأَرْض فَلَاةٍ (١١) فَلَمْ

---

(١) فى « م » : « أمور المسلمين » .

(٢) فى « م » : فأكرهك .

(٣) أُشْرِبَ قلبُه الإشفاق : ادَّعَى ماليس فيه .. ويَسْخَطُ الكثير : يمنعه ، ولمْ يَرْضَهُ ، ومنه الحديث : « إنَّ الله يسخط لكم كذا » أى : يكرهُهُ لكم ، ويمنعكم منه ، ويعاقبكم عليه .

[انظر لسان العرب – مادة : سخط] .

(٤) جَذِل : فَرِح .

(٥) وَجَبَتْ نَفْسُه : أعْيَتْ وتعبتْ .

(٦) نَضَبَ عُمْره : نَفِدَ .

(٧) مُحِىَ ظِلُّهُ : ماتَ .

(٨) فى « م » : « من كثير » .

(٩) فى « م » : « حيث » بدل « حين » .

(١٠) لم أقف على ترجمة مفصلة له .. وذكر الذهبى – فى ميزان الاعتدال ج٤ ص ٥٩٦ – أنه : « أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم ، لا بُرَيْدَةَ بن أبى مريم ، ولا يزيد بن أبى مريم ، ولا سعيد بن أبى مريم ، فالثلاثة ثقات » اهـ . وهذا يوحى بأن الأول (أبو بكر) غير ثقة .

(١١) أرض فَلاة : أرض واسعة مُقْفِرة .

يَجِدُوا مَاءً ، فَأَتَاهُمْ رَجُلٌ ، فَقَالُوا : دُلَّنَا عَلَى الْمَاءِ . قَالَ : احْلِفُوا لِى ثَلَاثاً (١) وَثَلَاثِينَ يَمِيناً أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ (٢) صَرَّافاً وَلَا مَكَّاساً وَلَا عَرِيفاً وَأَنَا (٣) أَدُلُّكُمْ عَلَى الْمَاءِ . فَحَلَفُوا لَهُ ثَلَاثاً (٤) وَثَلَاثِينَ يَمِيناً ، فَدَلَّهُمْ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ (٥) : عَاوِنَّا عَلَى غُسْلِهِ . فَقَالَ (٦) : احْلِفُوا لِى ثَلَاثاً (٧) وَثَلَاثِينَ يَمِيناً – كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ – فَحَلَفُوا لَهُ ، فَأَعَانَهُمْ عَلَى غُسْلِهِ ، ثُمَّ قَالُوا : تَقَدَّمْ وَصَلِّ عَلَيْهِ . قَالَ : لا ، حَتَّى تَحْلِفُوا لِى أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ يَمِيناً – كَمَا تَقَدَّمَ – (٨) فَحَلَفُوا لَهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ الْتَفَتُوا فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا ، وَكَانُوا (٩) يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (١٠) : قَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِىٌّ ، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ » (١١) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَالَ لِى رَسُولُ اللّٰهِ (١٢) صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَيَّامٍ (١٣) : « اعْقِلْ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثلاثة » خطأً ، لأن السياق يستدعى تذكير العَدَدِ ، لأن المعدود « يمين » مؤنث .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « لم يكن فيكم » أى : الميت .

(٣) هكذا فى « م » .. وزاد فى « ط » : « ولا بَرِيدًا – ويُروَى : وَلَا عَرَّافاً – فأنا ... » .
الصَّرَّاف : الصَّيْرَفِىُّ والنَّقَّاد ، وهو المُسْتَأْمَنُ على أموال الخزانة ، يقبض ويصرف مايُستَحق .
والمَكَّاس : الذى يُحصِّل المَكوس (الضرائب) من التجار .
والبريد : الرسول . والعَرَّاف : المُنَجِّم أو الكاهن .. أما العريف فقد سبق شرحه .

(٤) فى « م » : « ثلاثة » خطأً .

(٥) فى « م » : « قالوا : عَاوِنَّا » بدون « ثم » .

(٦) فى « م » : « قال » .

(٧) فى « م » : « ثلاثة » . خطأً .

(٨) هكذا فى « م » و « ط » بزيادة « يمين » عمَّا تقدم .. وسقطت من « ط » عبارة : « فحلفوا له » .

(٩) فى « ط » : « وكان » .

(١٠) هو الصحابى عبد الله بن مسعود – وقد مرت ترجمته .

(١١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ، فى « باب أئمة الظُّلم والجور وأئمة الضلالة » . وجملة : وممثل من الممثلين لم ترد فيه ، وقال : رواه الطبرانى ، وفيه ليث بن أبى سليم ، وهو مُدَلِّس ، وبقية رجاله ثقات .
[انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٩] .

(١٢) فى « م » : الرسول .

(١٣) فى « ط » : « ست أيام » والصواب « ستة » .

يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ [١] . ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِى الْيَوْمِ السَّابِعِ قَالَ : أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِى أَمْرِ سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا [٢] أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ ، وَلَاتَسْأَلَنَّ أَحَدًا [٣] وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ ، وَلَا تُؤْوِيَنَّ أَمَانَةً [٤] وَلَاتُؤْوِيَنَّ يَتِيماً ، وَلَاتَقْضِيَنَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ » [٥] .

وَقَالَ أَبُوذَرٍّ أَيْضاً : قَالَ لِى رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّى [٦] أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِى ، وَإِنِّى أَرَاكَ ضَعِيفًا ، فَلَا [٧] تَتَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَلِيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » [٨] .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا قَالَ [٩] : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ، أَلَاتَسْتَعْمِلُنِى ؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِى وَقَالَ [١٠] لِى : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْىٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِى عَلَيْهِ فِيهَا » [١١] .

وَرَوَى عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللهِ [١٢]

---

(١) أى : فى الأيام الستة .

(٢) فى « ط » : « فإذا » .. وفى نص الحديث ، فى البيان والتعريف : « فى سرائرك » بدل « فى أمر سِرِّك » .

(٣) فى البيان والتعريف : « ولا تسألْ أحدًا شيئاً » .

(٤) فى البيان والتعريف : « ولا تَقْبِضْ أمانةً » .

(٥) الحديث أخرجه ابن حمزة الحسينى فى « البيان والتعريف » وأخرجه أحمد عن أبى ذرٍّ - رضى الله عنه - وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .

[انظر المصدر السابق ص ١٨٧ ، ١٨٨] .

(٦) « إِنِّى » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) فى « ط » وفى نص الحديث : « لا » .

(٨) فى نص الحديث : « ولا تَوَلَّيَنَّ » . والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢١٠ ، والحافظ شمس الدين الحنبلى فى « المحرر » ج ٢ ص ٦٣٨ ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(٩) سقطت « قال » من « ط » .

(١٠) فى « م » : « وقال : يا أبا ذرٍّ » .. وفى صحيح مسلم : « ثم قال : يا أبا ذرٍّ » .

(١١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(١٢) فى « م » : النبى .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْيَمَنِ وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ ، فَقُلْتُ (١) : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ شُيُوخٍ ذَوِى أَسْنَانٍ (٢) ، وَلَا عِلْمَ لِى بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هَادٍ (٣) قَلْبَكَ وَلِسَانَكَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الآخَرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَقْضِى » (٤) .. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ نَهَى أَبَا ذَرٍّ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ عَلِيًّا بِالقَضَاءِ مَعَ مَافِيهِ مِنَ التَّغْرِيرِ [وَمَعَ مَافِيهِ مِنَ الخَطَرِ ؟] (٥) ، وَمَارُوِىَ بِأَنَّ (٦) مَنْ قُدِّمَ لِلْقَضَاءِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ ؟ وَفِيهِ الْبُعْدُ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَالتَّيَمُّنُ بِمُشَاهَدَتِهِ (٧) ، وَتَعَلُّمُ سُنَنِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَشِيَمِهِ (٨) ؟ وَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ : الْمُثُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكَوْنُ (٩) بِحَضْرَتِهِ ، وَمُشَاهَدَتُهُ (١٠) وَالصَّلَاةُ خَلْفَهُ ، أَوِ الْقَضَاءُ فِى غَيْبَتِهِ مَعَ الْبُعْدِ عَنْهُ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا نَهَى أَبَا ذَرٍّ لِمَعْنًى فِيهِ يَقْصُرُ بِهِ عَنْ رُتْبَةِ الْقَضَاءِ ، مِمَّا كَانَ ضِدُّهُ فِى عَلِيٍّ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (١١) [مِنَ اسْتِجْمَاعِ شَرَائِطِ الْقَضَاءِ ، وَقُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَاهُ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ لِعَلِيٍّ : إِنَّ اللهَ هَادٍ قَلْبَكَ . وَقَالَ لأَبِى ذَرٍّ : إِنِّى أَرَاكَ ضَعِيفًا] ثُمَّ قَالَ فِى آخِرِهِ : « إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِى عَلَيْهِ فِيهَا » فَاسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنِ (١٢) اسْتَجْمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ قَوِيًّا عَلَى إِنْفَاذِهِ ، لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ النَّهْيِ .

---

(١) فى « م » : « فقال » . خطأ من الناسخ .

(٢) ذوى أسنان ، أى : كبار ، ذوى حنكة وخبرة .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « هادى » بالياء .. وفى نص الحديث : « سيهدى » .

(٤) الحديث رواه البيهقى فى سُننه ، فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٨٦ وأبو داود فى سُننه ، فى كتاب الأقضية ، باب كيف القضاء ج ٣ ص ٣٠٠ ط الدار المصرية .

(٥) مابين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .. والتغرير : حَدَاثَةُ السِّنِّ – كناية عن عدم الدراية بالأمور .

(٦) فى « م » : أنَّ .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : بالمشاهدة .

(٨) فى « ط » : « بالمشاهدة » .. والشِّيَم : جمع شيمة ، وهى الطبيعة والجِبِلَّةُ التى خُلِقَ الإنسان عليها .

(٩) الكَوْن بحضرته : الوجود معه .

(١٠) فى « ط » : ومشاهده .

(١١) جملة « رضى الله عنه » عن « ط » .. ومابين المعقوفتين بعدها عن « م » وساقط من « ط » .

(١٢) فى « م » : « على مَن » .

وَمِمَّا يُعَدُّ ضَعْفًا عَنِ الْقَضَاءِ طَلَبُهُ إِيَّاهُ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ عَوَاقِبَهُ ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمُتَسَرِّعَ إِلَى الأَمَانَةِ [1] بِالْجَهْلِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** [2] **وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾ [3] . أَيْ : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِى النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِى الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِى الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَلَمْ يَقْضِ بِهِ وَجَارَ فِى الْحُكْمِ فَهُوَ فِى النَّارِ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِى النَّارِ » [4] . قُلْتُ : فَهَذَانِ الرَّجُلَانِ ضَعِيفَانِ عَنْ رُتْبَةِ الْقَضَاءِ : أَحَدُهُمَا بِغِشِّهِ [5] وَظُلْمِهِ ، والآخَرُ بِجَهْلِهِ .

وَقَدْ عَابَتْ جَهَلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ « طَالُوتَ » فَقَالُوا : ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ** ﴾ [6] فَعَابُوهُ بِخَصْلَتَيْن : الْفَقْرِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ [7] الْمَمْلَكَةِ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ [8] : ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ [9] . فَبَيَّنَ شُرُوطَ الْوِلَايَاتِ [10] وَالْمَمَالِكِ ، وَأَنَّهَا

---

(١) فى « م » : الأمانات .

(٢) هكذا الآية فى « ط » .. وهى الصواب .. وفى « م » : « أن يَحْمِلْنَهَا وحَمَلَها » وسقطت منها : « وأشْفَقْنَ منها » .

(٣) سورة الأحزاب – الآية ٧٢ .

(٤) الحديث رواه أبو داود فى كتاب الأقضية ، باب فى القاضى يُخطىء ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، وابن ماجه فى كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ج ٢ ص ٧٧٦ ط المكتبة العلمية ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب إثم مَنْ أفْتَى أو قضَى بالجهل ج ١٠ ص ١١٦ ورواه غيرهم .

(٥) فى « م » : بفسقه .

(٦) سورة البقرة – من الآية ٢٤٧ . وأنَّى يكون .. الخ أى : كيف يكون ملكاً علينا وهو فقير وضيع النَّسَب ؟

(٧) السِّبْطُ مِنَ اليهود ، كالقبيلة من العرب .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « النبى ﷺ » .. ونَبِيُّهُم هو : صموئيل (أو شمعون) .

(٩) فى « م » : « الآية » وهى الآية السابقة نفسها من سورة البقرة ، وزادَهُ بَسْطَة ، أى : سَعَةً وامتدادًا وفضيلة .

(١٠) فى « م » : الولاية .

تَفْتَقِرُ (١) إِلَى الْعِلْمِ الَّذِى بِهِ يُحْكَمُ ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الَّتِى بِهَا تُنَفَّذُ (٢) الأَحْكَامُ ، دُونَ مَاظَنَّهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : الْقَضَاءُ فى غَيْبَتِهِ أَوِ الْحُضُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكَوْنُ فى حَضْرَتِهِ ، فَالْجَوابُ : أَنَّ أَوَامِرَهُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٣) فَرْضٌ ، يُعْصَى بِتَرْكِهِ ، وَالْكَوْنَ فى حَضْرَتِهِ مُسْتَحَبٌّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَلَا يُعْصَى (٤) بِتَرْكِهِ ، فَعَلِمْنَا بِهَذَا أَنَّهُ إِنَّمَا بَعَثَ عَلِيًّا [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٥) لِلْقَضَاءِ لأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سُكْنَاهُ بِحَضْرَتِهِ ، لأَنَّهُ مُبَلِّغٌ عَنْهُ إِلَى الْخَلَائِقِ شَرِيعَتَهُ الَّتِى بَعَثَهُ اللهُ بِهَا (٦) ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فى ذَلِكَ ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ أَوْجَبَ الْجَنَّةَ لِمَنْ قَضَى بِالْحَقِّ .

* * *

(١) فى « م » : « أنها مفتقرة » .
(٢) فى « م » : ينفذ .
(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٤) فى « ط » : « لا يُعْصَى » .
(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٦) فى « م » : « بعثه الله تعالى فيها » .

البَابُ الرَّابِعُ

فى بَيَانِ مَعْرِفَةِ [1] مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَجْهِ طَلَبِهِ الْمُلْكَ وَسُؤَالِهِ أَنْ لايُؤْتَى لأَحِدٍ مِنْ بَعْدِهِ

قَالَ [2] : ﴿ هَبْ لِى مُلْكاً لايَنْبَغِى لأَحَدٍ مِن بَعْدِى ﴾ ، فَطَلَبَ الْمُلْكَ ، ثُمَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ لا يُؤتَى مُلْكَهُ أَحَدٌ مِنْ [3] بَعْدِهِ ، وَكَانَ ظَاهِرُهُ يُؤْذِنُ بِالْبُخْلِ . وَالْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ مِنْ وُجُوهٍ ، أَحَدُهَا : أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ هَذَا بَعْدَ أَنْ سَلَبَهُ اللهُ تَعَالَى [4] مُلْكَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهِ ، فَحِينَ طَلَبَ الْمُلْكَ كَانَ مَلِكاً ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْمُلْكُ الَّذِى جَدَّدْتَهُ لِى ، هَبْهُ لِى عَلَى صِفَاتٍ لا أَعْصِيكَ فِيهَا [5] فَتَسْلُبَنِى إِيَّاهُ وَتُعَاقِبَنِى . يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَدَأَ بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً ﴾ أَىْ : مُلْكاً لاأَعْصِيكَ [6] فِيهِ فَتُؤَاخِذَنِى ، وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فى معرفة » .

(٢) هكذا فى « ط » .. والقائل هو : سليمان ، عليه السلام .. والآية بتمامها فى سورة « ص - ٣٥ » : « قال : ربِّ اغفر لى وهَبْ لى مُلْكاً لاينبغى لأحدٍ من بَعْدِى ، إنك أنت الوَهَّاب » .. وفى « م » : « فإن قال لنا قائل : أليس سليمان بن داود ، عليه السلام ، قال ... » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : بأن لايُؤتى مثله أحدًا » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » . وقد أشرنا من قبل إلى قصة سَلْبِ مُلْكِ سليمان ، عليه السلام .

(٥) فيها ، أى : فى الصفات .. وفى « م » : « لا أعصيك فيه » أى : فى المُلْك .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وهَبْ لى مُلْكاً لا أعصيك فيه » .

حِسَابٍ ﴾ (١) ، فكَأَنَّهُ أُجَابَ دُعَاءَهُ فَقَالَ : تَصرَّفْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنْ أَعْطَيْتَ أُجِرْتَ ، وَإِنْ أَمْسَكْتَ فَلَا تَبِعَةَ (٢) عَلَيْكَ فِيهِ . وَهَذَا تَخْصِيصٌ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ (٣) السَّلَامُ ، وَلَمْ يُخَصَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ سِوَاهُ ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ (٤) : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لايَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَمَعْنَاهُ (٦) : لا أُسْلَبُهُ فِي بَاقِي عُمْرِي فَيَصِيرَ لِغَيْرِي كَمَا سُلِبْتُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِي . وَقِيلَ : لاتُسَلِّطْ (٧) عَلَيَّ فِيهِ شَيْطَاناً مِثْلَ الَّذِي (٨) قَدْ سَلَّطْتَ عَلَيَّ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ عِلْماً لَهُ (٩) عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ آيَةً لِنُبُوَّتِهِ ، وَعِلْماً عَلَى مُعْجِزَتِهِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ (١٠) : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مَلِكاً ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ لايَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ تَسْخِيرَ الرِّيَاحِ وَالطَّيْرِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَابَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾ (١١) إِلَى آخِرِ الآيَةِ . وَقِيلَ : إِنَّ

---

(١) سورة « ص » – الآية ٣٩ .

(٢) التَّبِعَة : العاقبة .

(٣) فى « ط » : « عليهما » .

(٤) فى « ط » : « قال للخلائق » .

(٥) سورة الْحِجْر – الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وأمّا قوله : لاينبغى لأَحَدٍ ، فقال عطاء : معناه ... » .

(٧) فى « م » : « يُسَلِّط » . لاتصح .

(٨) فى « م » : « مِثْل ماسَلَّطْتَ » .

(٩) سقطت « له » من « ط » .

(١٠) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى ، البلخى ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، وأصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحَدَّث بها .. وهو مُتَّهَم ، متروك الحديث .. قال عنه ابن حبّان : « كان يأخذ من اليهود والنصارى من عِلْم القرآن الذى يوافق كُتُبهم ، وكان يُشَبِّهُ الرَّبَّ بالمخلوقات ، وكان يكذب فى الحديث » اهـ .
– توفى بالبصرة سنة ١٥٠ هـ .

[انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥٥ – ٢٥٧ ، والجرح والتعديل للرازى ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٠ – ١٦٩ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣ – ١٧٥ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٨١] .

(١١) الآية بتمامها فى سورة « ص – ٣٦ » : ﴿ فَسَخَّرْنَا له الرِّيحَ تجرى بأمره رُخاءً حيثُ أصاب ﴾ رُخاءً : لَيِّنَةً .. أصاب : أراد .

سُلَيْمَانَ كَانَ مُلْكُهُ فى خَاتِمِهِ ، وَلِهَذَا ذَهَبَ مُلْكُهُ بِذَهَابِ خَاتِمِهِ ، فَقَالَ : ﴿ **لايَنبَغِى لأَحَدٍ مِن بَعْدِى** ﴾ يَعْنِى : اجْعَلْ مُلْكِى فى نَفْسِى لا فى خَاتِمِى ، حَتَّى لايَمْلِكَهُ أَحَدٌ غَيْرِى ، فَإِنَّ إِبْلِيس لَمَّا أَخَذَ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ ، تَحَوَّلَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ إِلَى إِبْلِيسَ ، وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ يَحْكُمُ فِيهِ ، حَتَّى أَنْكَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُ ، وَكَانَ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ [(١)] : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مُلْكَ النَّفْسِ وَقَهْرَ الْهَوَى ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَارَوَى سَلَامَانُ الشَّعْبَانِيُّ [(٢)] قَالَ : بَلَغَنِى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ مُلْكِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَخَشُّعاً للهِ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » [(٣)] .

وَزَادَ غَيْرُهُ : إِنَّمَا أَرَادَ مُلْكَ النَّفْسِ وَقَهْرَهَا لِئَلَّا يَفْتَتِنَ بِالْمَمْلَكَةِ ، وَلِهَذَا قَدَّمَ سُؤَالَ الْمَغْفِرَةِ عَلَى طَلَبِ الْمَمْلَكَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْوُعَّاظِ : إِنَّمَا أَرَادَ : حَتَّى أَنْتَقِمَ لآدَمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ ، حَيْثُ كَانَ سَبَبًا فى إِخْرَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فى صَحِيحِهِ [(٤)] أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٥)] قَالَ : « إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَتَفَلَّتُ عَلَيَّ [(٦)] الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِى ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمْكَنَنِى مِنْهُ

---

(١) هو : عَمرو بن عثمان بن كُرَب ، أبو عبد الله المَكِّيُّ .. صُوفِيٌّ عالم بالأصول ، من أهل مكة ، له مصنفات فى التصوف ، وأجوبة لطيفة فى العبارات والإشارات .. زار أصبهان ، ومات ببغداد – وقيل بمكة – سنة ٢٩٧ هـ على الأرجح .

[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٣ – ٢٢٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٠ – ٢٠٥ ، والرسالة القُشَيْرية ج ١ ص ١٣٢ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٩١ – ٢٩٦ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١ ، ٨٢] .

(٢) أهملته كتب التراجم والأعلام المعروفة ، ولم أقف عليه .

(٣) فى « ط » : « الله تَعالَى » .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان** ﴾ ج ٦ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ من فتح البارى .. ورواه أيضاً فى كتاب التفسير ، باب ﴿ **هب لى مُلْكاً لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾ ج ٨ ص ٤٥٦ .. والراوى لهما : أبو هريرة .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) العِفْريت : المتمرد من الإنس أو الجن .. ويَتَفَلَّتُ عَلَيَّ : يعرض لى فلتة ، أى : بغتة .. وفى « م » : « يتقلب » تحريف .

فصَرَعْتُه ⁽¹⁾ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُروا ⁽²⁾ إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : ﴿ **هَبْ لِى مُلْكاً لايَنْبَغِى لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى** ﴾ فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئاً » ⁽³⁾ .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ **اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ ⁽⁴⁾ ، قُلْتُ : يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ ⁽⁵⁾ الآيَةِ أَنَّ مَنْ حَصَلَ ⁽⁶⁾ بَيْنَ يَدَىْ مَلِكٍ لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ ، أَوْ أُمَّةٍ لا يَعْرِفُونَ فَضْلَهُ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ إِبْرَازَ فَضْلِهِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ عَلَى مَكَانِهِ وَمَا يُحْسِنُهُ ، دَفْعًا لِلشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ ، فَيُجْعَلُ فى مَكَانِهِ ⁽⁷⁾ . وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الأُمُور فى يَدِ الْخَوَنَةِ وَاللُّصُوصِ ، وَمَنْ لا يُؤَدِّى الأَمَانَةَ ، وَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَدَاءَ الأَمَانَةِ مَعَ الْكِفَايَةِ ⁽⁸⁾ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنَبِّهَ السُّلْطَانَ عَلَى أَمَانَتِهِ وَكِفَايَتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِىِّ : مَنْ كَمُلَتْ فِيهِ آلاتُ الاجْتِهَادِ ⁽⁹⁾ ، وَشُرُوطُ الْقَضَاءِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنَبِّهَ السُّلْطَانَ عَلَى مَكَانِهِ ، وَيَخْطُبَ خُطْبَةَ الْقَضَاءِ ⁽¹⁰⁾ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الأَمْرُ فى يَدِ ⁽¹¹⁾ مَنْ لا يَقُومُ بِهِ .

* * *

(١) لفظة « فصرعته » لم ترد فى نص حديث البخارى .

(٢) هكذا فى صحيح البخارى وغيره .. وفى « ط » : « حتى يصبح فتنظرون » .. وفى « م » : « حتى نصبح فتنظرون » . والسارية : العمود .

(٣) خاسئاً : صاغرًا ذليلاً .

(٤) سورة يوسف – الآية ٥٥ .

(٥) سقطت « هذه » من « ط » .

(٦) حَصَلَ : ثَبَتَ .

(٧) فى « ط » مَكانَة .

(٨) الكفاية : الاستغناء عن الغير .

(٩) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مَنْ كَمَلَ فيه الاجتهاد » . وكَمَلَتْ ، بفتح الميم : تَمَّتْ .. وبضمها : ثبتت فيه صفات الكمال .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وَيخطِبُ خطَّةَ القضاء » أى : يطلبها .

(١١) فى « ط » : « فى يَدَىْ » . انظر إلى الشروط التى يصح معها أن يُقَلَّدَ الإنسان القضاء فى كتاب « الأحكام السُّلطانية » للماوردى – الباب السادس فى ولاية القضاء ص ٥٩ – ٦٨ ط دار الفكر .

الْبَابُ الْخَامِسُ
فى فَضْلِ الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ [1] إِذَا عَدَلُوا

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [2] . يَعْنِى : لَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقَامَ السُّلْطَانَ فى الْأَرْضِ ، يَدْفَعُ الْقَوِىَّ عَنِ الضَّعِيفِ ، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، لَأَهْلَكَ الْقَوِىُّ الضَّعِيفَ ، وَتَوَاثَبَ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَلَا يَنْتَظِمُ لَهُمْ حَالٌ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ ، فَتَفْسُدُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا . ثُمَّ امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بِإِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [3] يَعْنِى : فى إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَيَأْمَنُ النَّاسُ بِهِ فَيَكُونُ فَضْلُهُ عَلَى الظَّالِمِ كَفَّ يَدِهِ عَنِ الْمَظْلُومِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ أَمَانُهُ وَكَفُّ يَدِ الظَّالِمِ عَنْهُ [4] .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ » [6] .

---

(١) فى « م » : القُضَاة والولاة .

(٢) سورة البقرة – من الآية ٢٥١ .

(٣) من الآية والسورة السابقة .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وفضله على المظلوم كَفُّ يَدِ الظالم عنه » .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) رواه ابن ماجه كاملا فى كتاب الصيام ، باب فى « الصائم لا تُرَدُّ دعوته » .. وتكملته : « ودَعْوَةُ المظلوم يرفَعُها الله دون الغَمام يوم القيامة ، وتُفْتَحُ لها أبواب السماء ، ويقول : بِعِزَّتى لأَنْصُرَنَّكَ ولو بعد حين » .
[انظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٧] .

وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ (١) قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فى ظِلِّهِ يَوْمَ لاظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فى عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ (٢) ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فى اللهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ (٣) ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّى أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لاتَعْلَمَ شِمَالُهُ مَاتُنْفِقُ (٤) يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » (٥) .

وَرَوَى كَثِيرُ بْنُ مُرَّةَ (٦) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فى أَرْضِهِ ، يَأْوِى إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الإِصْرُ (٨) وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ » (٩) .

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٢) فى « م » : « .. فى المسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه » .

(٣) سقطت « عليه » من « ط » .

(٤) فى « م » : ما أنفقت .

(٥) الحديث أخرجه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب الأذان ، باب « مَنْ جلس فى المسجد ينتظر الصلاة » . [انظر فتح البارى ج ٢ ص ١٤٣] .. وأخرجه أيضاً فى كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وغيرهما .. وأخرجه مالك فى مُوَطّئه فى كتاب الشَّعَر ، باب ماجاء فى المتحابين فى الله ج ٢ ص ٩٥٢ ، ٩٥٣ ط دار الكتاب اللبنانى .. وأخرجه الحافظ شمس الدين الحنبلى فى « المحرر » ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .. والترمذى فى صحيحه ، فى أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ بشرح ابن العربى ، والنسائى فى سننه فى كتاب آداب القُضَاة – الإمام العادل ج ٨ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بشرح جلال الدين السيوطى .

(٦) هو : كثير بن مُرّة الحَضْرَمىُّ الحِمْصِىُّ .. كان إماماً طَلَّابَةً للعِلْم ، أدرك سبعين بدريًّا ، وحَدَّث عن مُعَاذ ، وأبى الدَّرداء ، وعبادة بن الصامت وطبقتهم .. وحَدَّث عنه خالد بن معدَّان ، ومكحول ، وسليم بن عامر ، وغيرهم .. وقال عنه النَّسائى : لابأسَ به .

[انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، وطبقات الحُفّاظ ص ٢٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٥٧] .

(٧) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٨) الإصْر : الإثم والعقوبة .

(٩) فى « علل الحديث » للإمام الرازى قال : « سألت أبى [الإمام أبى حاتم الحنظلى] عن حديث رواه خالد بن خداش ، عن أبى عون بن أبى رُكبة ، عن غيلان بن جرير ، عن أنس قال : قال رسول الله ، ﷺ : « السلطان ظِلُّ الله فى الأرض » قال أبى : هذا حديث مُنْكَر ، وابن أبى ركبة مجهول .. وقد أورد الميدانى هذا الحديث مجتزءًا فى الباب الثلاثين ، فى نُبَذٍ من كلام النبى ، ﷺ ، قال : « السلطان ظِلُّ الله فى أرضه ، يأوى إليه كُلّ =

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ (١) قَالَ : « لَعَمَلُ الإِمَامِ العَادِلِ فى رَعِيَّتِهِ يَوْمًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ فى أَهْلِهِ مِائَةَ سَنَةٍ » ، أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً (٢) .

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ (٣) : « لَيَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ رَجُلٍ فى بَيْتِهِ سِتِّينَ سَنَةً » .
وَقَالَ مَسْرُوقٌ (٤) : لِأَنْ أَقْضِىَ يَوْماً بِالْحَقِّ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَغْزُوَ سَنَةً فى سبيل الله (٥) .

= مظلوم » .. وأورده الأبشيهى فى المُستطرَف ، فى الباب الرابع عشر ، عن عمر ، رضى الله عنه ، قال : قلتُ للنبى ، ﷺ : أخبِرْنى عن هذا السلطان الذى ذلّت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ماهو ؟ قال : « ظل الله فى الأرض ، فإذا أحسن فله الأجر ، وعليكم الشكر ، وإذا أساء فعليه الإصْرُ ، وعليكم الصبر » .. وكذا ورد منسوباً إلى كعب الأحبار [فى ص ٢٠٠ من المرجع نفسه] : « سُئِلَ كعب الأحبار عن السلطان ، فقال : « ظل الله فى أرضه ، مَنْ ناصحه اهتدى ، ومَنْ غشَّهُ ضَلّ » .. وورد أيضاً فى الصفحة نفسها منسوباً إلى حُذيفَة بن اليمان ، رضى الله عنه : « لاتسبُّوا السلطان ، فإنه ظل الله فى الأرض ، به يقوم الحق ، ويظهر الدين ، وبه يدفع الله الظلم ، ويهلك الفاسقين » . وأورده الماوردى فى كتابه « نصيحة الملوك » فى الفصل الأول ، ولم ينسبه ، بل قال : « .. وكذلك قيل : السلطان ظل الله فى الأرض » .

[انظر علل الحديث ج ٢ ص ٤٠٩ ، ومجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٤٨٨ والمُستطرَف ج ١ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ (الباب الرابع عشر) ، ونصيحة الملوك للماوردى ص ٧٤] .

(١) فى « م » : « رَوَى » .. ويرفعه : ينسبه إلى قائله ، وهو : النبى ﷺ ..

(٢) رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب بأكثر من رواية ، وبتصرف يسير فى ألفاظه ج ٣ ص ١٦٧ ط الدار المصرية .. وفى العقد الفريد ج ١ ص ١٠ فى كتاب اللؤلؤة فى السلطان .. والماوردى فى نصيحة الملوك ص ٣٦٠ وأورده البيهقى فى سننه الكبرى ، باب فضل الإمام العادل ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة** » [ج ٨ ص ١٦٢] .

(٣) هو : قيس بن سعد بن عُبَادَة بن دُلَيْم الأنصارىُّ الخَزْرَجِىُّ المَدَنِىُّ ، صحابىٌّ ، وابن صحابىٍّ ، كان من النبىِّ ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان صاحب لواء النبى ﷺ فى بعض مغازيه ، وكان كريماً ، ومن ذوى الرأى .. صحب عليًّا فى خلافته ، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ . وحارب فى « صِفِّين » مع عَلِىٍّ ، ثم كان مع الحسن بن على ، حتى صَالَحَ معاوية ، فرجع إلى المدينة ، وتوفى بها سنة ٦٠ هـ . وقيل : توفى فى أول ولاية عبد الملك بن مروان .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٢ - ١١٣ والمحبر ص ١٥٥] .

(٤) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى ، الوادعى ، أبو عائشة ، تابعى ثقة ، من أهل اليمن ، وكان أبوه شاعرًا .. قَدِمَ المدينة فى أيام أبى بكر ، رضى الله عنه ، وسكن الكوفة ، وشهد حروب علىٍّ ، كَرَّمَ اللهُ وجهه ، وكان أعلم بالفُتْيا من شُرَيْح (القاضى) وشُرَيْح أبصرُ منه بالقضاء .. ولَقِىَ عُمَرَ بن الخطّاب فقال له : ما اسمُك ؟ قال : مسروق بن الأجْدَع . فقال عمر : إن الأجدع شيطان ، بل أنت ابن عبد الرحمٰن ، فكان يُعْرَف بذلك .. توفى - رحمه الله - سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٣٢] .

(٥) من أول قوله : « وقال مسروق » : إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

وَرُوِىَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ (١) ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ (٢) ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُصْعَبِ ابْنِ شُرَحْبِيلَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ صَفْوَانَ (٣) ، قَالُوا لِسَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ (٤) : « لَقَضَاءُ يَوْمٍ بِالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاتِكَ عُمْرَكَ » .

وَسَيَتَّضِحُ لَكَ صِحَّةُ هَذِهِ الأَقْوَالِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا نَالَتْهُ الرَّعِيَّةُ مِنَ الصَّلَاحِ بِصَلَاحِ السُّلْطَانِ . وَاعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ (٥) - أَنَّ الإِنْسَانَ أَعَزُّ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَاهَا (٦) قَدْرًا ، وَأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً ، وَبِالسُّلْطَانِ صَلَاحُ الإِنْسَانِ ، إِذًا فَهُوَ أَعَزُّ أَعْلَاقِ (٧) الدُّنْيَا وَأَعَمُّهَا نَفْعًا وَبَرَكَةً (٨) ، وَلِذَلِكَ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى دَارَيْنِ : دَارَ الدُّنْيَا ، وَدَارَ الآخِرَةِ . ثُمَّ كَانَ (٩) السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدَّارَيْنِ ، فَأُخْلِقَ بِشَخْصٍ يَعُمُّ نَفْعُهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، وَيَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ أَنْ يَكُونَ شَرَفُهُ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً ، كَمَا كَانَ قَدْرُهُ فِى الْعُقُولِ جَسِيمًا (١٠) ، وَمَقَامُهُ عِنْدَ اللهِ كَرِيمًا ، كَمَا كَانَ نَفْعُهُ لِلْعِبَادِ (١١) عَمِيماً ، وَعَلَى قَدْرِ عُمُومِ

---

(١) هو : سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف (الصحابى) وأُمُّه بنت سعد بن أبى وَقَّاص . كان قاضى المدينة (زمن هشام) وتوفى بها سنة ١٢٧ هـ وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .
[انظر المعارف ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٢) هو : أبو سَلَمة بن عبد الرحمٰن بن عوف ، واسمه : عبد الله ، كان فقيهاً يُحْمَل عنه الحديث .. توفى - رحمه الله - سنة ٩٤ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . ويقال : توفى سنة ١٠٤ هـ .
[انظر المصدر السابق ، وانظر طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٤٤] .

(٣) هو : محمد بن صفوان بن عبد الله بن أمية بن خلف الجُمَحِى .. وَلِىَ قضاء المدينة سنة ١٠٦ هـ .
[انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٦١ والكامل فى التاريخ ج٤ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .

(٤) سعيد بن سليمان : عالم ، مُحَدِّث ، وردت له ترجمة فى كتاب الجرح والتعديل للرازى ، وقد روى عن أبيه (سليمان بن زيد بن ثابت) ورَوَى عنه الزهرى ، ومالك بن أنس ، وعقيل . توفى - رحمه الله - سنة ١٣٢ هـ .
[انظر الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٥ ترجمة ١٠٣] .

(٥) فى « م » : « أعَزَّك الله » .

(٦) فى « ط » : وأغلاها .

(٧) أعْلاق : نفائس .

(٨) فى « ط » : « وأعَمّها بَرَكة » .

(٩) فى « ط » : « ثم لَمَّا كان » .

(١٠) جسيماً : ذا مكانة عالية .

(١١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « كان نفعه عميماً » .

الْمَنفَعَةِ تَشْرُفُ الأَعْمَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ النِّعْمَةِ تَكُونُ الْمِنَّةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَعَمُّ خَلْقِ اللهِ نَفعاً ؟ فَهُمْ أَجَلُّ خَلْقِ اللهِ قَدْرًا لأَنَّهُمْ تَعَاطَوْا إِصْلَاحَ الْخَلَائِقِ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، كَذَلِكَ سُلْطَانُ اللهِ فِى الأَرْضِ ، هُوَ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ فِى إِصْلَاحِ الْخَلَائِقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى فِنَاءِ الرَّحْمٰنِ (١) ، وَإِقَامَةِ دِينِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوَدِهِمْ (٢) .

وَلَيْسَ فَوْقَ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَنْزِلَةٌ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، فَاتَّخِذْ عِظَمَ قَدْرِ السُّلْطَانِ [عِنْدَكَ] (٣) حُجَّةً للهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِكَ ، وَنَاصِحْهُ (٤) عَلَى قَدْرِ مَانَفَعَكَ . وَلَيْسَ نَفْعُهُ مَقْصُورًا عَلَى عُجَالَةٍ (٥) مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا يَحْبُوكَ بِهَا (٦) ، وَلَكِنْ صِيَانَةُ جُمْجُمَتِكَ وَحِفْظُ (٧) حَرِيمِكَ ، وَحِرَاسَةُ مَالِكَ عَنِ الْبُغَاةِ ، أَعَمُّ نَفعاً لَكَ إِنْ عَقَلْتَ (٨) . وَلَيْسَ للهِ [فِى الأَرْضِ] (٩) سُلْطَانٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ شَرَائِطَ الْعَدْلِ وَمَوَاثِيقَ الإِنْصَافِ ، وَشَرَائِعَ الإِحْسَانِ .

وَكَمَا أَنَّهُ لَيسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ رُتْبَةٌ ، كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الشِّرِّيرِ الْجَائِرِ (١٠) رُتْبَةٌ لِشِرِّيرٍ ، لأَنَّ شَرَّهُ يَعُمُّ ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ الأَوَّلِ يَعُمُّ ، وَكَما أَنَّ بِالسُّلْطَانِ العَادِلِ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُنَالُ الزُّلْفَى (١١) إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالْفَوْزُ بِجَنَّةِ

---

(١) فِنَاء الرَّحمٰن : ساحته ورِحَابه – جَلَّ وعَلَا .

(٢) تقويم أَوَدِهم : إزالة اعوجاجهم ، وإصلاح حالهم .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) أى : قَدِّم له النُّصح .

(٥) العُجَالَة : مايُعَجَّل مِنَ الشىء .

(٦) يَحْبُوك بها : يختصك بها .

(٧) فى « ط » : « وصيانة حريمك » .. ويريد بصيانة جُمْجُمتك : حِفظ نَفْسِك وحمايتها .

(٨) إنْ عَقَلْتَ : إنْ أدرَكْتَ الأشياء على حقيقتها .. وفى « م » : « إنْ قَدَرْتَ » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(١٠) فى « م » : « الشرير الجبار » .

(١١) الزُّلْفَى : القُرْبَى والمنزلَة .

الْمَأْوَى ، كَذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ الْجَائِرِ تَفْسُدُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُقْتَرَفُ الْمَعَاصِى وَالآثَامُ ، وَتُورِثُ دَارُ الْبَوَارِ (١) ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِى رَعِيَّتِهِ ، فَأَقَامُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَتَعَاطَوُا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ ، فَمَاتَ الْبَاطِلُ ، وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْجَوْرِ ، وَانْتَعَشَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ ، فَأَرْسَلَتِ السَّمَاءُ غَيْثَهَا (٢) ، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ بَرَكَاتِهَا ، وَنَمَتْ تِجَارَاتُهُمْ ، وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ (٣) ، وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ ، وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ (٤) ، وَرَخُصَتْ أَسْعَارُهُمْ ، وَامْتَلأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ ، فَوَاسَى الْبَخِيلُ (٥) ، وَأَفْضَلَ الْكَرِيمُ (٦) ، وَقُضِيَتِ الْحُقُوقُ ، وَأُعِيرَتِ الْمَوَاعِينُ ، وَتَهَادَوْا فُضُولَ الأَطْعِمَةِ وَالتُّحَفِ ، فَهَانَ الْحُطَامُ لِكَثْرَتِهِ (٧) ، وَذَلَّ بَعْدَ عِزَّتِهِ ، فَتَمَاسَكَتْ عَلَى النَّاسِ مُرُوءَاتُهُمْ ، وَانْحَفَظَتْ عَلَيْهِمْ أَدْيَانُهُمْ .

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ (٨) لَكَ أَنَّ الْوَالِى مَأْجُورٌ عَلَى مَايَتَعَاطَاهُ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ ، وَمَأْجُورٌ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ (٩) النَّاسُ بِسَبَبِهِ ، وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ انْتَشَرَ الْجَوْرُ فِى الْبِلَادِ ، وَعَمَّ الْعِبَادَ ، فَرَقَّتْ أَدْيَانُهُمْ (١٠) ، وَاضْمَحَلَّتْ مُرُوءَاتُهُمْ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِى ، وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ ، فَضَعُفَتِ النُّفُوسُ (١١) ، وَقَنَطَتِ الْقُلُوبُ (١٢) ، [فَمَنَعُوا الْحُقُوقَ ، وَتَعَاطَوُا

---

(١) دار البوار : دار الهلاك (جهنم) .
(٢) الغيث : المطر .. وفى « م » : « غياثها » أى : ما أُغِيثَ به .
(٣) زَكَتْ زُروعهم : نَمَتْ وزادَتْ .
(٤) دَرَّتْ أرزاقهم : كَثُرَتْ وزاد خيرها .
(٥) وَاسَى البخيلُ : أعْطَى من ماله .
(٦) أَفْضَلَ الكريمُ : زاد فى إحسانه .
(٧) الحُطامَ : متاع الدنيا .
(٨) فى « ط » : « تَبَيَّن » .
(٩) مأجور على مايتعاطاه : سينال جزاء ماتناوله وقام به من عَمَلٍ فى الدنيا عند ربه .
(١٠) جَارَ : ظَلَم .. رَقَّتْ أديانهم : ضعفت عقائدهم .. اضْمَحَلَّتْ : تلاشَتْ .
(١١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وذهبت أديانهم ، وتضعضعت النفوس » أى : ضَعُفَتْ وَذَلَّتْ .
(١٢) قَنَطَتِ القلوب : يَئِسَتْ أَشَدَّ اليَأْس .

الْبَاطِلَ] (١) ، وَبَخَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ ، (٢) فَرُفِعَتْ مِنْهُمُ الْبَرَكَةُ ، وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غَيْثَهَا (٣) ، وَلَمْ تُخْرِجِ الْأَرْضُ رَيْعَهَا (٤) وَنَبَاتَهَا ، فَقَلَّ فِى أَيْدِيهِمُ الْحُطَامُ ، فَقَنَطُوا ، وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ ، وَتَنَاحَرُوا (٥) عَلَى الْمَفْقُودِ ، فَمَنَعُوا الزَّكَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ ، وَبَخِلُوا بِالْمُوَاسَاةِ الْمَسْنُونَةِ ، وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ ، وَتَنَازَعُوا الْمِقْدَارَ اللَّطِيفَ ، وَتَجَاحَدُوا الْقَدْرَ الْخَسِيسَ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْأَيْمَانُ الْكَاذِبَةُ ، وَالْخَتْلُ فِى الْبَيْعِ (٦) ، وَالْخِدَاعُ فِى الْمُعَامَلَةِ ، وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ فِى الْقَضَاءِ وَالاقْتِضَاءِ ، وَلَايَمْنَعُهُ مِنَ السَّرِقَةِ إِلَّا الْعَارُ ، وَمِنَ الزِّنَى إِلَّا الْحَيَاءُ ، فَيَظَلُّ أَحَدُهُمْ عَارِياً مِنْ (٧) مَحَاسِنِ دِينِهِ ، وَمُتَجَرِّدًا عَنْ جِلْبَابِ مُرُوءَتِهِ ، وَأَكْثَرُ هَمِّهِ قُوتُ دُنْيَاهُ ، وَأَعْظَمُ مَسَرَّاتِهِ أَكْلَةٌ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ (٨) . وَمَنْ عَاشَ كَذَلِكَ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (٩) .

قَالَ (١٠) وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : إِذَا هَمَّ الْوَالِى بِالْجَوْرِ (١١) ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللهُ النَّقْصَ فِى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ : فِى الأَسْوَاقِ ، وَالزَّرْعِ ، وَالضَّرْعِ (١٢) ، وَكُلِّ شَىْءٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِالْخَيْرِ وَالْعَدْلِ ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللهُ الْبَرَكَةَ فِى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ كَذَلِكَ .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .
(٢) بخسُوا المكيال : نَقَصُوه وعَابُوه .. وَجَوَّزُوا الْبَهْرَج : قَبِلُوهُ ولَمْ يَرُدُّوه . والبَهْرَج : الباطل .. وفى « م » : « وروَّجُوا البَهرَج » أى : زَيَّنُوا الباطل وجعلوه يروج .
(٣) فى « م » : غياثها .
(٤) الرَّيْعُ : الزيادة والنماء .
(٥) تناحَرُوا : تشاحُّوا وحَرَصُوا .. وبالزاى المعجمة : تدافعوا وتقاتلوا .. وفى « ط » : « تأخروا عن المفقود » .
(٦) الخَتْل : الخديعة . وفى « م » : « الحِيَل » . وهى بمعناها .
(٧) فى « ط » : « عارياً عَنْ » .
(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أعظم مَسَرَّاتِهِ هذا الحُطام » .
(٩) فى « ط » : ظاهرها .
(١٠) فى « م » : وقال .
(١١) فى « م » : « بالظلم » .. والجور والظلم بمعنى واحد .
(١٢) أصل الضَّرْع : مَدَرُّ اللبن ، لكل ذاتِ ظِلْفٍ أو خُفٍّ .. والمراد به هنا : الماشية . وفى « م » : « والزروع والضروع » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : تَهْلِكُ الْعَامَّةُ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ، وَلَاتَهْلِكُ الْخَاصَّةُ بِعَمَلِ الْعَامَّةِ ، وَالْخَاصَّةُ هُمُ الْوُلَاةُ ، وَفِى هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ [١] : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصَّةً** ﴾ [٢] .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ [٣] : إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَتَفْسَدُ بِفَسَادِ الْوَالِى وَتَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ [٤] .
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ لأَبِى جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ : إِنِّى لَأَعْلَمُ رَجُلًا إِنْ صَلَحَ صَلَحَتِ الأُمَّةُ .
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ خَرَجَ يَسِيرُ فى مَمْلَكَتِهِ مُسْتَخْفِيًا [٥] ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ لَهُ بَقَرَةٌ ، فَرَاحَتِ الْبَقَرَةُ [٦] ، فَحَلَبَتْ لَهُ قَدْرَ حِلَابِ [٧] ثَلَاثِينَ بَقَرَةً ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ ، وَحَدَّثَ [٨] نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا ، فَلَمَّا رَاحَتْ [٩] مِنَ الْغَدِ حَلَبَتْ عَلَى النِّصْفِ مِمَّا حَلَبَتْ بِالأَمْسِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَابَالُ حِلَابِهَا نَقَصَ ؟ أَرَعَتْ فى غَيْرِ مَرْعَاهَا بِالأَمْسِ [١٠] ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنْ أَظُنُّ مَلِكَنَا هَمَّ [١١] بِأَخْذِهَا فَنَقَصَ لَبَنُهَا ، فَإِنَّ

---

(١) فى « م » : تعالى .
(٢) سورة الأنفال — من الآية ٢٥ .
(٣) هو الوليد بن هشام بن معاوية بن عقبة المُعَيْطى ، مُحَدِّث ثقة ، وَثَّقَهُ ابن معين ، والعجلى ، والأوزاعى ، وابن حبَّان . رَوَى عن معدان ، وروى عنه الأوزاعى .. وكان من القادة الغُزاة ، قاد الصَّوائف أيام الوليد .. وَوَلِى أبوه الطائف .
[انظر حلية الأولياء ج ٥ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١١٥ ، والبداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٠ ، والكامل فى التاريخ ج٤ ص ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٣١٦] .
(٤) فى « م » : « لتصلح بصلاح الوالى ، وتفسد بفساده » .
(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مُسْتَخْفٍ بمكانه » .. والصواب : « مُستخفياً » بالنصب على الحال .
(٦) راحَت البقرة : أوَتْ بعد الغُروب إلى مُرَاحِها ، أى : مأواها .
(٧) الحِلَابُ : اللَّبَنُ (تسمية بالمصدر) .
(٨) فى « م » : « وهَمَّت نفسُه » .
(٩) فى « ط » : « رَاحَت عليه » .
(١٠) « بالأمس » عن « ط » وسقطت من « م » .
(١١) فى « م » : « أنَّ مَلِكَنَا » .

الْمَلِكُ إِذَا ظَلَمَ ، أَوْ هَمَّ بِالظُّلْمِ ذَهَبَتِ الْبَرَكَةُ . فَعَاهَدَ الْمَلِكُ اللهَ ــ سُبْحَانَهُ ــ فى نَفْسِهِ أَنْ لا يَأْخُذَهَا ، فَرَاحَتْ مِنَ الْغَدِ فَحَلَبَتْ حِلَابَ ثَلَاثِينَ بَقَرَةً ، فَتَابَ الْمَلِكُ وَعَاهَدَ رَبَّهُ لَأَعْدِلَنَّ مَابَقِيتُ .

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فى أَرْضِ الْمَغْرِبِ أَنَّ السُّلْطَانَ بَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً لَهَا حَدِيقَةٌ فِيهَا الْقَصَبُ الْحُلْوُ ، وَإِنَّ قَصَبَةً مِنْهَا تَعْصِرُ قَدَحًا ، فَعَزَمَ عَلَى أَخْذِهَا مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَاهَا وَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، ثُمَّ أَنَّهَا عَصَرَتْ قَصَبَةً فَلَمْ تَبْلُغْ نِصْفَ قَدَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ الَّذِى كَانَ يُقَالُ ؟ فَقَالَتْ [١] : هُوَ الَّذِى بَلَغَكَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السُّلْطَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَخْذِهَا مِنِّى فَارْتَفَعَتْ بَرَكَتُهَا . فَتَابَ السُّلْطَانُ وَأَخْلَصَ للهِ نِيَّتَهُ أَنْ [٢] لا يَأْخُذَهَا أَبَدًا ، ثُمَّ أَمَرَهَا [٣] فَعَصَرَتْ ، فَجَاءَ مِلْءَ الْقَدَحِ .

وَحَدَّثَنِى بَعْضُ الشُّيُوخِ مِمَّنْ كَانَ يَرْوِى الْأَخْبَارَ بِمِصْرَ ، قَالَ : كَانَ بِصَعِيدِ مِصْرَ نَخْلَةٌ تَحْمِلُ عَشَرَةَ أَرَادِبَ تَمْرًا [٤] ، وَلَمْ يَكُنْ [٥] فى الزَّمَانِ نَخْلَةٌ تَحْمِلُ نِصْفَ ذَلِكَ ، فَغَصَبَهَا السُّلْطَانُ ، فَلَمْ تَحْمِلْ فى ذَلِكَ الْعَامِ شَيْئًا ، وَلَا تَمْرَةً وَاحِدَةً . قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ : قَالَ لِى شَيْخٌ مِنْ أَشْيَاخِ الصَّعِيدِ : أَعْرِفُ هَذِهِ النَّخْلَةَ فى الْغَرْبِيَّةِ [٦] تَجْنِى عَشَرَةَ أَرَادِبَ ــ سِتِّينَ وَيْبَةً [٧] ــ وَكَانَ صَاحِبُهَا يَبِيعُهَا فى سِنِينِ الْغَلَاءِ ، كُلَّ وَيْبَةٍ بِدِينَارٍ . قَالَ الشَّيْخُ ــ رَحِمَهُ اللهُ [٨] : وَشَهِدْتُ أَنَا بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَالصَّيْدُ فى

---

(١) فى « م » : « قالت » .
(٢) فى « م » : « فى أن لا » .
(٣) هكذا فى « ط » .. وسقطت « ثم أمرها » من « م » .
(٤) هكذا – بالنَّصب – فى « ط » .. وفى « م » : « عشرة أرادب تمرٍ » بالجر .. وكلاهما صواب ، فتمييز الكيل والوزن والمساحة يجوز فيه النصب ، والجر بالإضافة ، أو بمِنْ .
(٥) فى « م » : « ثم لم يكن فى الزمان مِثالُه » .
(٦) لعَلّه يريد « الغربية » التى تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، وأُطلق عليها هذا الاسم لوقوعها غربى فرع النيل الشرقى .
[انظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى – القسم الثانى ج ٢ ص ٨] .
(٧) الْوَيْبَةَ : كَيْلَتَانِ . والإِرْدَبُّ : ستُّ وَيْبَاتٍ .
(٨) فى « ط » : « رضى الله عنه » .

الْخَلِيجِ مُطْلَقٌ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالسَّمَكُ فِيهِ يَغْلِى الْمَاءُ بِهِ كَثْرَةً ، وَيَصِيدُهُ [١] الأَطْفَالُ بِالْخِرَقِ [٢] ، ثُمَّ حَجَرَهُ الْوَالِى وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ صَيْدِهِ ، فَذَهَبَ السَّمَكُ ، حَتَّى لايَكَادُ يُرَى فِيهِ إِلَّا الْوَاحِدَةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَهَكَذَا تَتَعَدَّى سَرَائِرُ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمُهُمْ وَمَكْنُونُ [٣] ضَمَائِرِهِمْ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ [٤] .

وَرَوَى أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ فِى كُتُبِهِمْ ، قَالُوا : كَانَ النَّاسُ إِذَا أَصْبَحُوا فِى زَمَانِ الْحَجَّاجِ فَتَلَاقَوْا [٥] ، يَتَسَاءَلُونَ : مَنْ قُتِلَ الْبَارِحَةَ ؟ وَمَنْ صُلِبَ ؟ وَمَنْ جُلِدَ ؟ وَمَنْ قُطِعَ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .. وَكَانَ الْوَلِيدُ [٦] صَاحِبَ ضِيَاعٍ وَاتِّخَاذِ مَصَانِعَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ فِى زَمَانِهِ عَنِ الْبُنْيَانِ وَالْمَصَانِعِ [وَالضِّيَاعِ] [٧] ، وَشَقِّ الأَنْهَارِ ، وَغَرْسِ الأَشْجَارِ .. وَلَمَّا وَلِىَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ [٨] – وَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ – كَانَ [٩] النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ فِى الأَطْعِمَةِ الدَّقِيقَةِ [١٠] ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِى الأَنْكِحَةِ وَالسَّرَارِى ، وَيَعْمُرُونَ مَجَالِسَهُمْ بِذِكْرِ ذَلِكَ .. وَلَمَّا وَلِىَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [١١] كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ : كَمْ

---

(١) فى « م » : « وتصيده» .

(٢) الْخِرَقُ : جمع خِرْقَة ، وتُطلق على القطعة من الثياب المُمَزَّقة .

(٣) السَّرائر : جمع سَرِيرَة ، وهى مايُكْتَمُ ويُسَرُّ .. والعزائم : جمع عزيمة ، وهى مايُعْزَمُ عليه ، ويُراد فِعْلُه .. والمكنون : المستور .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « إنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ ، وإن شَرٌّ فَشَرٌّ » وكلاهما له وجه فى اللغة .

(٥) فى « ط » : « يتلاقون » . والحَجَّاج هو : الحجاج بن يوسف الثقفى . وقد سبقت ترجمته .

(٦) هو الوليد بن عبد الملك . وقد مَرَّت ترجمته .

(٧) مابين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٨) سبقت ترجمته .

(٩) فى « ط » : فكان .

(١٠) فى « م » : الرقيقة .

(١١) سبقت ترجمته .

تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَكَمْ وِرْدُكَ [١] فى كُلِّ لَيْلَةٍ ؟ وَكَمْ يَحْفَظُ فُلَانٌ ؟ وَمَتَى يَخْتِمُ ؟ وَكَمْ يَصُومُ [٢] مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

* * *

(١) الْوِرْدُ : النصيب من القرآن أو الذِّكر .
(٢) فى « ط » : تصوم .

البَابُ السَّادِسُ

فى أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُونٌ غَيْرُ غَابِنٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَابِحٍ

اعْلَمْ أَنَّ [1] السُّلْطَانَ خَطَرَهُ عَظِيمٌ ، وَبَلِيَّتَهُ عَامَّةٌ ، وَقَدْ يَطْرُقُهُ [2] مِنَ الآفَاتِ وَيَحْتَوِشُهُ [3] مِنَ الأُمُورِ الْمُهْلِكَاتِ مَايَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِى لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللهِ [تَعَالَى] [4] مِمَّا حَمَلَهُ ، وَيَشْكُرَهُ عَلَى مَاعَصَمَهُ ، لايَهْدَأُ [5] فِكْرُهُ ، وَلَاتَسْكُنُ خَوَاطِرُهُ ، وَلَايَصْفُو قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لُبُّهُ ، الْخَلْقُ فى شُغْلٍ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِمْ . وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا وَهُوَ يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ . وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَدْبِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَإِيالَةِ ضَيْعَتِهِ [6] ، وَتَقْدِيرِ مَعِيشَتِهِ ، وَهُوَ مَدْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ [7] جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكُلَّمَا رَتَقَ فَتْقًا مِنْ حَوَاشِى مَمْلَكَتِهِ انْفَتَقَ [8] آخَرُ ، وَكُلَّمَا رَمَّ مِنْهَا شَعَثًا [9] رَثَّ

---

(1) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « اعلموا – أرشدكم الله – أن » .

(2) يطرقه : يطبق عليه ويأتيه .. وفى « م » : « تطرُقه » .

(3) يَحْتَوِشُه : يحيط به .. وفى « م » : « واحتوشته » .

(4) مابين المعقوفتين عن « م » .

(5) فى « ط » : لا تهدأ .

(6) إيالة ضيعته (بالياء) : حُكمها وتدبير أمورها .. وفى « ط » : « إنالَة » – بالنون – أى : مايصيب منها .

(7) فى « م » : بسياسة .

(8) رَتَق فَتْقاً : سَدَّهُ وأصْلَحَهُ .. الحواشى : الجوانب والأطراف . انفتق : انشق وانفصل .

(9) فى « م » : « رَمَّ شعثاً » . والشَّعث : ماتفرق من الأمور .. ورَمَّ : أصلح .. ورَثَّ : فسد .

آخرُ ، وَكُلَّمَا قَمَعَ عَدُوًّا أَرْصَدَ لَهُ أَعْدَاءً (١) ، إِلَى سَائِرِ مَايُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ (٢) ، وَنَصْبِ الوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ ، وَبَعْثِ الْجُيُوشِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَاسْتِجْبَاءِ الأَمْوَالِ ، وَدَفْعِ الْمَظَالِمِ ، ثُمَّ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا وَاحِدَةً ، وَأَنَّهُ يُرْزَأُ (٣) مِنَ الدُّنْيَا قُوتَهَا كَمَا يُرْزَأُ (٤) آحَادُ الرَّعَايَا ، ثُمَّ يُسْأَلُ (٥) غَدًا عَنْ جَمِيعِهِمْ وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ ، فَيَالِلهِ ، وَيَا لَلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ رَضِيَ أَنْ يَنَالَ [مِنَ الدُّنْيَا] رَغِيفًا وَيُحَاسَبُ (٦) عَلَى آلَافِ آلَافِ رَغِيفٍ (٧) ، وَيَأْكُلُ فِى مِعًى وَاحِدٍ وَيُحَاسَبُ عَلَى آلَافِ آلَافِ مِعًى (٨) ، وَيَتَمَتَّعُ (٩) بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَيُحَاسَبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مِنَ الأَنْفُسِ !.. وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ فِى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، يَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ ، وَيَرِيحُ أَسْرَارَهُمْ (١٠) ، وَيُجَاهِدُ عَدُوَّهُمْ ، وَيَسُدُّ ثُغُورَهُمْ ، وَيُدَافِعُ مُقَاوِيَهُمْ وَمُنَاصِبَهُمْ (١١) وَيَعْصِى رَبَّهُ فِيهِمْ ، وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ ، وَيَرْكَبُ نَهْيَهُ (١٢) مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَيَقْتَحِمُ جَرَاثِيمَ جَهَنَّمَ (١٣) عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِمْ ، ثُمَّ تَجِدُهُمْ لَهُ قَالِينَ (١٤) ، وَعَنْهُ غَيْرَ رَاضِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ

---

(١) أى : ظهر له أعداء يرقبونه .

(٢) فى « ط » : خصوماته .

(٣) فى « م » : « وإنما يُرْزَأ » .. أى : يصيب وينال .

(٤) فى « م » : « مثلما يُرْزَأ » .

(٥) هكذا فى « ط » .. وهنا فى « م » : « ثم يُسْأَل ويتمتع بنفس واحدة ، ويحاسب على آلافِ آلافٍ من جنسه » . وسيأتى .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » .. وفى « ط » : « ويُحَاسَب منها » .

(٧) « رغيف » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٨) فى « م » : « آلاف آلاف من الأنفس » سهو من الناسخ .. وسيأتى بعد ذلك .. والمِعَى : المصير ، واحد المُصْرَان ، وجمعه : أمعاء .

(٩) فى « ط » : ويستمتع .

(١٠) يَرِيحُ أسرارهم : يتشممها ويبحث عنها .. ويُرِيح أسرارهم : بضم ياء المضارعة (من أَرَاح) : يَرُدُّها عليهم .

(١١) فى « ط » : « لا يُدافع مُنَاوِئَهُمْ » أى : مُنَاوِئَهُم .. يريد : مَنْ يُعَادِيهم .. ومقاويهم : مُغَالِبُهُم فى القُوَّة .. ومُنَاصِبُهُم : مَنْ يُظْهِرُ لهم العَدَاوَة ويقيمها .

(١٢) يَرْكَبُ نَهْيَهُ : يفعل ويقترف ما نَهَى الله عنه .

(١٣) يقتحم جراثيم جهنم : يُلقى بنفسه فيها من غير رَوِيَّة .. والجرثومة : الأصل .

(١٤) قَالِينَ : مُبْغِضِينَ .

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ لَمْ يَرْضَ عَاقِلٌ بِهَذِهِ مَنْزِلَةً (١) ، وَلَا اخْتَارَهَا لَبِيبٌ مَرْتَبَةً ، وَكُلُّ مَاذَكَرْتُهُ فِى هَذَا الْبَابِ أَحْكَمَهُ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) فِى كَلِمَةٍ فَقَالَ : « ما لَكُمْ وَلِلْأُمَرَائِى ؟ لَكُمْ صَفْوُ أَمْرِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ » .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ مَعَ الرَّعِيَّةِ كَالطَّبَّاخِ مَعَ الْأَكَلَةِ : لَهُ الْعَنَاءُ (٣) وَلَهُمُ الْهَنَاءُ ، وَلَهُ الْحَارُّ وَلَهُمُ الْقَارُّ (٤) ، طَلَبَ لِقَوْمِهِ الرَّاحَةَ فَحَصَلَ عَلَى التَّعَبِ ، وَطَلَبَ لَهُمُ النَّعِيمَ فَأَخْطَأَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٥) ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا (٦) : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . وَفِى الْحَدِيثِ : « سَاقِى الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا » .

وَكَانَ بَعْضُ سَلَاطِينِ الْمَغْرِبِ (٧) يَسِيرُ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ (٨) إِذْ نَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ ، فَقَالَ لِوَزِيرِهِ : أَتُحِبُّ (٩) أَنْ أُرِيَكَ ثَلَاثَ طَوَائِفَ : طَائِفَةً لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَطَائِفَةً لا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، وَطَائِفَةً دُنْيَا بِلَا آخِرَةٍ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا (١٠) الَّذِينَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَهَؤُلَاءِ التُّجَّارُ ، يَكْسِبُونَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَلَا يُؤْذُونَ أَحَدًا . وَأَمَّا الَّذِينَ لا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، فَهَؤُلَاءِ الشُّرَطُ

---

(١) فى « م » : المَنْزِلَة .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) فى « م » : « له الغِناء » بالغين المعجمة ، أى : عدم الاحتياج للطعام الذى يُعِدُّه .

(٤) الحارُّ : السَّاخِن ، والمراد به هنا : الشِّدَّة .. والقارُّ : البارد ، والمراد به هنا : الشيءُ الهَيِّنُ ... ومنه قول ابن عمر لابن مسعود البدرىّ : « بَلَغَنِى أنك تفتى ، وَلِّ حَارَّها مَنْ تَوَلَّى قارَّها » ومعناه : وَلِّ شَرَّها مَنْ تَوَلَّى خيرها ، ووَلِّ شَدِيدَتَها مَنْ تولَّى هَيِّنَتَها . [انظر لسان العرب ـــ مادة : قرر] .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب ، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطئوا الصراط المستقيم » .

(٦) فى « م » : قال .

(٧) فى « م » : « السلاطين المغرب » تحريف .

(٨) فى « م » : « الوَزَعَةُ » أى : العسكر ، أو الجنود الذين يَكُفُّونَ الناس عن الإقدام على الشرّ .

(٩) فى « م » : أَتُرِيد .

(١٠) سقطت « أمَّا » من « ط » .

وَالْخَدَمَةُ (١) الَّذِينَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَهُمْ دُنْيَا (٢) بِلَا آخِرَةٍ ، فَأَنَا وَأَنْتَ وَسَائِرُ السَّلَاطِينِ .

فَحَقٌّ عَلَى جَمِيعِ الْوَرَى أَنْ يَمُدُّوا السُّلْطَانَ بِالْمُنَاصَحَاتِ (٣) ، وَيَخُصُّوهُ بِالدَّعَوَاتِ ، وَيُعِينُوهُ عَلَى سَائِرِ (٤) الْمُحَاوَلَاتِ ، وَيَكُونُوا (٥) لَهُ أَعْيُنًا نَاظِرَةً وَأَيْدِيًا بَاطِشَةً ، وَجُنَنًا وَاقِيَةً (٦) ، وَأَلْسِنَةً نَاطِقَةً ، وَقَوَادِمَ تُنْهِضُهُ ، وَقَوَائِمَ تُقِلُّهُ (٧) . وَهَيْهَاتَ مِنْهُ السَّلَامَةُ ، وَأَنَّى لَهُ بِالسَّلَامَةِ (٨) ؟ وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَاطِينِ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : « اعْلَمُوا أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْجَنَّةَ لا يَجْتَمِعَانِ » .

قَالَ شَيْخُنَا — رَحِمَهُ اللهُ — وَحَدَّثَنِى رَجُلٌ (٩) لَهُ قَدْرٌ قَالَ : أَرْسَلَ إِلَىَّ السُّلْطَانُ أَنْ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ ، وَكَانَ قَدْ أَرَادَهَا لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَأَبَيْتُ ذَلِكَ ، وَرَاجَعْتُ الرُّسُلَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لِى نَاصِحٌ مِنْهُمْ : خُذِ الْأَمْرَ مُقْبِلاً (١٠) فَإِنَّهُ لاحِيلَةَ لَكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَخَافُ فِى الدُّنْيَا عَارًا ، وَلَا فِى الْآخِرَةِ نَارًا ، فَفَارَقْتُهَا .

وَرُوِىَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِىَ الْخِلَافَةَ أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ فِى حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ (١١) .

---

(١) الشُّرَطُ : حَفَظَةُ الأمن وأعوان السلطان (جمع شُرْطَة) .. والخَدَمَةُ : الجَمْعُ ..

(٢) فى « م » : الدنيا .

(٣) من أول قوله « فَحَقٌّ » إلى هنا ، عن « ط » وساقط من « م » .. والوَرَى : الخَلْق .

(٤) فى « م » : « فى سائر » .

(٥) فى « م » : « ويكونون » . خطأً .. والصواب حذف النون — معطوف على منصوب .

(٦) جُنَنًا وَاقِيَةً : أستارًا تَقِى الإنسان وتحميه ، جمع « جُنَّة » .. وفى « م » : « جُنُبًا » جمع « جَنِيب » وهو : الطائع المُنْقَاد .

(٧) القوادمُ : الريشات الكبار فى مقدم جناح الطائر تساعده على الطيران .. والقوائم : الأرجل .. تُقِلُّهُ : تحمله وترفعه .

(٨) هيهات : بعيد .. وَأَنَّى : ومِنْ أين ؟

(٩) فى « م » : شيخ .

(١٠) مُقْبِلاً : قاصِدًا إليه ومُرَحِّبًا به .

(١١) من الآية ٧٨ من سورة الكهف .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ (١) الرَّشِيدُ لَقِيَهُ عُبَيْدُ اللهِ الْعُمَرِيُّ (٢) فِى الطَّوَافِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَارُونُ ! قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمُّ . قَالَ : كَمْ تَرَى هَا هُنَا مِنَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ : لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ . فَقَالَ : اعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةِ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ (٣) تُسْأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ . فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا يُعْطُونَهُ مِنْدِيلًا (٤) لِلدُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللهِ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُسْرِعُ فِى مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجْرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَسْرَعَ فِى مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟

وَيُقَالُ : إِنَّ هَارُونَ كَانَ يَقُولُ : وَاللهِ ، إِنِّى لَأُحِبُّ (٥) أَنْ أَحُجَّ كُلَّ سَنَةٍ (٦) ، وَمَا يَمْنَعُنِى إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ (٧) يُسْمِعُنِى مَا أَكْرَهُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : قَرَأْتُ فِى بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : مَنْ أَحْمَقُ مِنَ السُّلْطَانِ ؟ وَمَنْ أَجْهَلُ مِمَّنْ عَصَانِى ؟ وَمَنْ أَعَزُّ مِمَّنِ اعْتَزَّ (٨) بِى ؟ أَيَا رَاعِىَ السُّوءِ دَفَعْتُ إِلَيْكَ غَنَمًا سِمَانًا صِحَاحًا (٩) فَأَكَلْتَ اللَّحْمَ ، وَشَرِبْتَ اللَّبَنَ ، وَائْتَدَمْتَ بِالسَّمْنِ (١٠) ، وَلَبِسْتَ الصُّوفَ ، وَتَرَكْتَهَا عِظَامًا تُقَعْقِعُ ، وَلَمْ تَأْوِ الضَّالَّةَ ، وَلَمْ تُجْبِرِ الْكَسِيرَ (١١) .. الْيَوْمَ أَنْتَقِمُ لَهَا مِنْكَ .

* * *

---

(١) سقطت « هارون » من « م » .
(٢) من الزُّهَّاد الصالحين ، وتوفى فى عهد هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .
(٣) « واحد » عن « ط » .. وسقطت من « م » .
(٤) فى « ط » : « منديلاً منديلاً » .
(٥) فى « ط » : أُحب .
(٦) فى « م » : « فى كل سنة » .
(٧) فى « م » : من ولد « عُمَير » . تحريف .. والصواب ما أثبتناه .
(٨) فى « م » : « ومَنْ أَعْزُّ مِمَّنِ اغْتَرَّ بى ؟ » .
(٩) فى « م » : « غَنَمًا صِحاحًا سِمانًا » .
(١٠) ائْتَدَمْتَ بِالسَّمْنِ : أَكَلْتَ خُبْزَكَ بِهِ .
(١١) يُقال : جَبَرَ العَظْمَ الكَسِيرَ : أَخَذَ فى سبيل إصلاحه .

البَابُ السَّابِعُ
فى بَيَانِ الْحِكْمَةِ فى كَوْنِ السُّلْطَانِ فى الأَرْضِ

اعْلَمُوا ــ أَرْشَدَكُمُ اللهُ ــ أَنَّ فى وُجُودِ السُّلْطَانِ فى الأَرْضِ حِكْمَةً للهِ تَعَالَى عَظِيمَةً ، وَنِعْمَةً عَلَى الْعِبَادِ جَزِيلَةً ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَبَلَ الْخَلْقَ [1] عَلَى حُبِّ الانْتِصَافِ ، وَعَدَمِ الإِنْصَافِ ، وَمَثَلُهُمْ بِلَا سُلْطَانٍ مَثَلُ الْحِيتَانِ [2] فى الْبَحْرِ ، يَزْدَرِدُ [3] الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ ، فَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُمْ أَمْرٌ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُمْ مَعَاشٌ ، وَلَمْ يَهْنَئُوا [4] بِالْحَيَاةِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْقُدَمَاءِ : لَوْ رُفِعَ السُّلْطَانُ مِنَ الأَرْضِ مَاكَانَ للهِ فى أَهْلِ الأَرْضِ مِنْ حَاجَةٍ .

وَمِنَ الْحِكَمِ الَّتِى فى إِقَامَةِ السُّلْطَانِ [5] أَنَّهُ مِنْ حِجَجِ اللهِ [تَعَالَى] [6] عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ ، لأَنَّهُ كَمَا لَايُمْكِنُ اسْتِقَامَةُ أُمُورِ [7] الْعَالَمِ

---

(١) فى « م » : « الخلائق » .. وجَبَل الله الخلْق : خلَقَهم وطبَعَهم .
(٢) فى « م » : « الحوت » .
(٣) يَزْدَرِد : يبتلع .
(٤) فى « م » : « لمْ يستقر لهم أمْرٌ فى معاش ، ولَمْ يتهنَّوا » .
(٥) فى « م » : « فى السُّلطان » .
(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٧) فى « م » : « أمْر » .

وَاعْتِدَالُهُ بِغَيْرِ مُدَبِّرٍ يَنْفَرِدُ بِتَدْبِيرِهِ ، كَذَلِكَ لايُتَوَهَّمُ وُجُودُهُ وَتَرْتِيبُهُ ، وَمَافِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَدَقَائِقِ الصَّنْعَةِ بِغَيْرِ خَالِقٍ خَلَقَهُ ، وَعَالِمٍ أَتْقَنَهُ ، وَحَكِيمٍ دَبَّرَهُ .

وَكَمَا لَا يَسْتَقِيمُ سُلْطَانَانِ فِى بَلَدٍ وَاحِدٍ لا يَسْتَقِيمُ إِلٰهَانِ لِلْعَالَمِ ، وَالْعَالَمُ بِأَسْرِهِ فِى سُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى ، كَالْبَلَدِ الْوَاحِدِ فِى يَدِ سُلْطَانِ الأَرْضِ ، وَلِهَذا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالتَّفَرُّدِ ، وَلَا يَصْلُحُ الآخَرُ إِلَّا بِالْمُشَارَكَةِ [١] ، وَهُمَا : الْمُلْكُ ، وَالرَّأْىُ ، فَكَمَا [٢] لا يَسْتَقِيمُ الْمُلْكُ بِالشَّرِكَةِ [٣] لا يَسْتَقِيمُ الرَّأْىُ بِالانْفِرَادِ بِهِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ الْقَاهِرِ لِرَعِيَّتِهِ ، وَالرَّعِيَّةِ [٤] بِلَا سُلْطَانٍ ، مِثَالُ بَيْتٍ فِيهِ سِرَاجٌ مُنِيرٌ وَحَوْلَهُ فِئَامٌ مِنَ الْخَلْقِ [٥] يُعَالِجُونَ صَنَائِعَهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ طُفِىءَ السِّرَاجُ ، فَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ [٦] لِلْوَقْتِ ، وَتَعَطَّلَ جَمِيعُ مَا كَانُوا فِيهِ ، فَتَحَرَّكَ الْحَيَوَانُ الشِّرِّيرُ ، وَخَشْخَشَ الْهَامُ [٧] الْخَسِيسُ ، فَدَبَّتِ الْعَقْرَبُ مِنْ مَكْمَنِهَا [٨] ، وَفَسَقَتِ الْفَارَةُ [٩] مِنْ جُحْرِهَا ، وَخَرَجَتِ الْحَيَّةُ مِنْ مَعْدِنِهَا [١٠] ، وَجَاءَ اللِّصُّ بِحِيلَتِهِ ، وَهَاجَ الْبُرْغُوثُ مَعَ حَقَارَتِهِ ، فَتَعَطَّلَتِ الْمَنَافِعُ ، وَاسْتَطَارَتْ [١١] فِيهِمُ الْمَضَارُّ . كَذَلِكَ السُّلْطَان [١٢] إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِرَعِيَّتِهِ ، كَانَتِ الْمَنْفَعَةُ بِهِ عَامَّةً ، وَكَانَتِ الدِّمَاءُ فِى أَهْلِهَا مَحْقُونَةً ،

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « لا يصلح أحدهما بالتفرُّدِ ، ولا يصلح الآخر بالمُشارَكة » بسقوط أداة الاستثناء « إلّا » فى الموضعين ، والسِّياق يتطلب وجودها .

(٢) فى « م » : وكما .

(٣) فى « م » : « بالمشركة » . تحريف .

(٤) فى « م » : وَرَعِيَّة .

(٥) فى « م » : « فيام من الناس » . بتسهيل الهمز . والفئام : الجماعة من الناس .

(٦) فقبضوا أيديهم : فأمسكوا عن العمل .

(٧) خشخش : صَوَّت .. والهام : جمع هامَة ، وهى طير صغير من طيور الليل .. وفى « م » : « الهوام » .

(٨) دَبَّتْ العقربُ من مَكْمَنِهَا : خرجَتْ وسارَتْ من المكان الذى تتوارى فيه .

(٩) فَسَقَتِ الفارةُ : خَرَجَتْ .

(١٠) مَعْدِنها : مكانها وموضعها .

(١١) استطارت : فَشَتْ وانتشرَتْ .

(١٢) سقطت كلمة « السلطان » من « ط » .

وَالْحُرَمُ (١) فى خُدُورِهِنَّ مَصُونَةٌ ، وَالأَسْوَاقُ عَامِرَةٌ ، وَالأَمْوَالُ مَحْرُوسَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الفَاضِلُ ظَاهِرًا ، وَالْمَرَافِقُ حَاصِلَةً ، وَالْحَيَوَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالدَّعَارَةِ خَامِلاً (٢) .

وَإِذَا (٣) اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ دَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَلَوْ جُعِلَ ظُلْمُ السُّلْطَانِ (٤) حَوْلاً فى كِفَّةٍ ، [ثُمَّ جُعِلَ فَسَادُ الرَّعِيَّةِ وَمَظَالِمُهُمْ وَهَرْجُهُمْ فى سَاعَةٍ ــ إِذَا اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ ــ فى كِفَّةٍ] (٥) كَانَ هَرْجُ سَاعَةٍ أَعْظَمَ (٦) وَأَرْجَحَ مِنْ ظُلْمِ السُّلْطَانِ حَوْلاً ، وَكَيْفَ لَا ، وَفِى زَوَالِ السُّلْطَانِ ، أَوْ ضَعْفِ شَوْكَتِهِ (٧) سُوقُ أَهْلِ الشَّرِّ ، وَمَكْسَبُ الأَجْنَادِ ، وَنِفَاقُ أَهْلِ الْعِيَارَةِ وَالسُّوقَةِ وَاللُّصُوصِ وَالْمَنَاهِبَةِ (٨) . وَقَالَ الْفُضَيْلُ (٩) : جَوْرُ سِتِّينَ سَنَةً خَيْرٌ مِنْ هَرْجِ سَاعَةٍ (١٠) .

وَلَا يَتَمَنَّى زَوَالَ السُّلْطَانِ إِلَّا جَاهِلٌ مَغْرُورٌ ، أَوْ فَاسِقٌ يَتَمَنَّى كُلَّ مَحْذُورٍ ، فَحَقِيقٌ عَلَى كُلِّ رَعِيَّةٍ أَنْ تَرْغَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فى إِصْلَاحِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْ تَبْذُلَ لَهُ نُصْحَهُ ، وَتَخُصَّهُ بِصَالِحِ دُعَائِهَا ، فَإِنَّ فى صَلَاحِهِ (١١) صَلَاحَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ (١٢) ، وَفِى فَسَادِهِ فَسَادَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ : إِذَا (١٣) اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أُمُورُ السُّلْطَانِ

---

(١) فى « م » : « فالحُرَم » .. والخُدورُ : جمع خِدْرٍ ، ويُطلَق على كل ما يُوارِى الإنسان من بيتٍ ونحوه .

(٢) فى « م » و « ط » جاءت الكلمات الثلاث : « ظاهرًا ، وحاصلة ، وخاملاً » بالرفع .. وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى « م » : فإذا .

(٤) فى « ط » : « الناس » . ولا تصح فى هذا المقام .. والحَوْل : السَّنة .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .. والهَرْجُ : الفتنة والاضطراب .

(٦) فى « م » : « أعظم وأكثر وأرجح » .

(٧) شَوْكَته : قُوَّته وبأسه .

(٨) أهْلُ العِيَارَة : الذين يَسْعَوْنَ بين الناس بالإفساد .. والسُّوقة : الرَّعِيَّةُ وأوساط الناس .. والمناهبة : الذين يسطون على ما ليس لهم ويأخذونه قهرًا وغَلَبَةً .

(٩) هو : الفُضَيْل بن عياض . وقد مَرَّتْ ترجمته .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « سَنة » .

(١١) فى « م » : « صلاح » بدل « صلاحه » تحريف من الناسخ .

(١٢) سقطت كلمة « البلاد » من « م » .

(١٣) فى « م » : إنْ .

فَأَكْثِرُوا حَمْدَ اللهِ تَعَالَى وَشُكْرَهُ ، وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْهُ مَاتَكْرَهُونَ ، وَجِّهُوهُ إِلَى مَا تَسْتَوْجِبُونَهُ بِذُنُوبِكُمْ ، وَتَستحِقُّونَهُ بِآثَامِكُمْ ، وَأَقِيمُوا عُذْرَ السُّلْطَانِ (١) لانْتِشَارِ الأُمُورِ عَلَيْهِ ، وَكَثْرَةِ مَا يُكَابِدُهُ مِنْ ضَبْطِ جَوَانِبِ الْمَمْلَكَةِ ، واسْتِئْلَافِ الأَعْدَاءِ ، وَإِرْضَاءِ (٢) الأَوْلِيَاءِ ، وَقِلَّةِ النَّاصِحِ ، وَكَثْرَةِ التَّدْلِيسِ وَالطَّمَعِ (٣) .

وفى كِتَابِ التَّاجِ (٤) : هُمُومُ النَّاسِ صِغَارٌ ، وَهُمُومُ الْمُلُوكِ كِبَارٌ ، وَأَلْبَابُ الْمُلُوكِ مَشغُولَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأَلْبَابُ السُّوقَةِ مَشْغُولَةٌ بِأَيْسَرِ شيءٍ ، وَالْجَاهِلُ مِنْهُمْ يَعْذِرُ نَفْسَهُ مَعَ (٥) مَاهُوَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّاحَةِ (٦) ، وَلَا يَعْذِرُ سُلْطَانَهُ مَعَ شِدَّةِ مَاهُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْنَةِ (٧) ، وَمِنْ هُنَاكَ يُعِزُّ اللهُ سُلْطَانَهُ وَيُرْشِدُهُ وَيَنْصُرُهُ . وَعَنْ هَذَا قَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَجَمِ : لا تَسْتَوْطِنَنَّ (٨) إِلَّا بَلَدًا فِيهِ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ ، وَقَاضٍ عَادِلٌ ، وَسُوقٌ قَائِمَةٌ ، وَطَبِيبٌ عَالِمٌ ، وَنَهْرٌ جَارٍ .

* * *

(١) أى : التمِسُوا له الأعْذَارَ .

(٢) فى « م » : « وإرصاد » . تحريف .

(٣) التدليس : الخِدَاع .. وفى « م » : « المُدَلِّس والطامع » .

(٤) ذكر ابن قُتَيبة فى كتابة « عيون الأخبار » كتاب التَّاج ، ولم ينسبه إلى صاحبه ، وأغلب الظن أنه الكتاب الذى ترجمه ابن المقفع عن الفارسيَّة ، وهو كتاب من كُتب الفُرْس التى تذكر سِيَرَ مُلوكهم ، وتروى أخبارهم ومآثِرَهُم ونُظُمِ الحُكْم عندهم .. وهذا الكتاب غير كتاب التاج ، لابن الراوندى — المتوفى سنة ٣٠١ ، وكتاب التاج المنسوب للجاحظ ، والتاج لأبى عبيدة ..

[انظر كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لكاتب جلبى ج ٢ ص ٢٦٨ ط الآستانة ، وعيون الأخبار (كتاب السلطان) ص ٥ والجاحظ — حياته وآثاره ، للدكتور الحاجرى ط المعارف ص١٥١ — ١٥٥] .

(٥) فى « م » : « عند » بدل « مع » .

(٦) فى « م » : « الرسلة » بدل « الراحة » .. والرِّسْلُ : اللِّينُ والرِّفق .

(٧) فى « م » : « المئونة » . وكلاهما بمعنًى واحِدٍ .

(٨) لا تَستَوْطِنَنَّ ، أى : لا تتَّخِذْ وطنًا .. وفى « م » : « لا توطنن » أى : لا تنزل به .

البَابُ الثَّامِنُ

فى مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ

قَالَ [١] حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : مَثَلُ مَضَارِّ السُّلْطَانِ فى جَنْبِ مَنَافِعِهِ ، مَثَلُ الْغَيْثِ الَّذِى هُوَ سُقْيَا [٢] اللهِ تَعَالَى ، وَبَرَكَاتُ السَّمَاءِ ، وَحَيَاةُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ يَتَأَذَّى بِهِ الْمُسَافِرُ ، وَيَتَدَاعَى [٣] لَهُ الْبُنْيَانُ ، وَتَكُونُ فِيهِ الصَّوَاعِقُ ، وَتَدِرُّ سُيُولُهُ فَتُهْلِكُ [٤] النَّاسَ وَالدَّوَابَّ وَالذَّخَائِرَ ، وَيَمُوجُ لَهُ الْبَحْرُ فَتَشْتَدُّ بَلِيَّتُهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخَلْقَ - إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى فى الأَرْضِ الَّتِى أَحْيَا [٥] ، وَالنَّبَاتِ الَّذِى أَخْرَجَ ، وَالرِّزْقِ الَّذِى بَسَطَ [٦] ، وَالرَّحْمَةِ الَّتِى نَشَرَ - أَنْ يُعَظِّمُوا نِعْمَةَ [٧] رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا [٨] ، وَيَلْغُوا ذِكْرَ خَوَاصِّ الأَذِيَّةِ الَّتِى دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخَلْقِ .

---

(١) فى « م » : « قالت » . وكلاهما صواب .. وهذا الباب ورد فى يتيمة ابن المقفع التى تشتمل على محاسن الآداب . .

[انظر ثمار القلوب ص ١٩٩] .

(٢) الغيث : المطر .. والسُّقيا : الاسم من السَّقْي .

(٣) يتداعى : يتصدع .

(٤) فى « م » : فهلك .

(٥) فى « م » : أحياها .

(٦) فى « م » : بَسَطَهُ .

(٧) فى « ط » : رحمة .

(٨) فى « م » : « يشكرونها » . خطأ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ الرِّيَاحِ الَّتِى يُرْسِلُهَا اللهُ تَعَالَى نَشْرًا (١) بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ ، وَيَجْعَلُهَا لِقَاحًا لِلثَّمَرَاتِ ، وَرَوَاحًا لِلْعِبَادِ يَتَنَسَّمُونَ مِنْهَا (٢) ، وَيَتَقَلَّبُونَ (٣) فِيهَا ، وَتَجْرِى بِهَا مِيَاهُهُمْ ، وَتَقِدُ بِهَا نِيرَانُهُمْ ، وَتَسِيرُ بِهَا فى الْبَحْرِ أَفْلَاكُهُمْ ، وَقَدْ تَضُرُّ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فى بَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ ، وَتَخْلُصُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَشْكُرُهَا الشَّاكِرُونَ ، وَقَدْ يَتَأَذَّى (٤) بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يُخْرِجُهَا (٥) ذَلِكَ عَنْ مَنْزِلَتِهَا مِنْ قَوَامِ عِبَادِهِ (٦) ، وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ (٧) الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ (٨) جَعَلَ اللهُ [تَعَالَى] (٩) حَرَّهُمَا وَبَرْدَهُمَا صَلَاحًا لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ ، وَنِتَاجًا لِلْحَبِّ (١٠) وَالثَّمَرِ ، يَجْمَعُهُمَا الْبَرْدُ بِإِذْنِ اللهِ [تَعَالَى] ، وَيُخْرِجُهُمَا (١١) الْحَرُّ بِإِذْنِ اللهِ ، فَتَنْضَجُ (١٢) عَلَى اعْتِدَالٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِمَا . وَقَدْ يَكُونُ الأَذَى فى حَرِّهِمَا وَبَرْدِهِمَا وَسُمُومِهِمَا وَزَمْهَرِيرِهِمَا (١٣) ، وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لايَنْسَبَانَ إِلَّا (١٤) إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَقَدْ غَمَرَ صَلَاحُهُمَا أَذِيَّتَهُمَا .

---

(١) نشرًا : طيِّبة .

(٢) فى « ط » : ويتنسَّمون .

(٣) فى « ط » : ينقلبون .

(٤) فى « م » : ويتأذَّى .

(٥) فى « ط » : « ولا يزيلها » .

(٦) فى « ط » : « عبادته » .. والقَوَام : العَدْل .

(٧) فى « م » : مَثَل .

(٨) فى « م » : « الذى » لا تصح هنا .

(٩) ما بين المعقوفتين عن « م » فى الموضعين .

(١٠) فى « م » : « للأنعام والحَبِّ » .

(١١) فى « م » : ويخرجها .

(١٢) فى « ط » : فينضج .

(١٣) فى « م » : « وسمايمها وزمهريرها » . تحريف من الناسخ .. والسموم : الريح الحارَّة .. والزمهرير : شدة البرد .

(١٤) فى « ط » : « لاينسبان إلى الصلاح والخير » .. وسقطت من العبارة أداة الاستثناء « إلَّا » ولا يستقيم المعنى إلَّا بها .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ [١] اللَّيْلِ الَّذِى جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى سَكَنًا وَلِبَاسًا [٢] وَنَوْمًا وَرَاحَةً وَسُبَاتًا [٣] ، وَقَدْ يَسْتَوْحِشُ لَهُ [٤] أَخُو الْفَقْرِ ، وَيُسَارِعُ فِيهِ أَهْلُ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ ، وَاللُّصُوصُ ، وَتَعْدُو فِيهِ السِّبَاعُ ، وَتَنْتَشِرُ [٥] فِيهِ الْهَوَامُ ، وَذَوَاتُ الْحُمَةِ [٦] وَالسُّمُومِ الْقَاتِلَةِ . ثُمَّ لا يَنْسَى الْعِبَادُ نِعَمَ اللهِ [تَعَالَى] [٧] عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ [٨] صَغِيرُ ضَرَرِهِ بِكَبِيرِ نَفْعِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ [٩] النَّهَارِ الَّذِى جَعَلَهُ اللهُ [تَعَالَى] [١٠] ضِيَاءً وَنُورًا وَنُشُورًا وَاكْتِسَابًا وَانْتِشَارًا ، وَقَدْ تَكُونُ [١١] فِيهِ الْحُرُوبُ وَالْغَارَاتُ ، وَالتَّعَبُ وَالنَّصَبُ ، وَالشُّخُوصُ [١٢] وَالْخُصُومَاتُ ، فَتَسْتَرِيحُ الْخَلْقُ مِنْهُ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ [١٣] الْعِبَادُ نِعْمَةَ اللهِ [تَعَالَى] [١٤] عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وَهَكَذَا كُلُّ جَسِيمٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَكُونُ ضَرَرُهُ خَاصًّا ، وَنَفْعُهُ عَامًّا ، فَهُوَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَفْعُهُ خَاصًّا فَهُوَ بَلَاءٌ عَامٌّ ، وَلَوْ كَانَتْ نِعَمُ الدُّنْيَا صَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ ، وَمَيْسُورُهَا مِنْ غَيْرِ مَعْسُورٍ ، لَكَانَتِ الدُّنْيَا [١٥] هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي لا تَعَبَ فِيهَا وَلَا نَصَبَ .. وَقَدْ قَالَ [١٦] الشَّاعِرُ :

لا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ ... فَالْغَيْثُ لا يَخْلُو مِنَ الْعَيْبِ [١٧]

* * *

(١) فى « م » : مِثَال .   (٢) لباساً ، أى : ساترًا لكم بِظُلْمَتِهِ كاللِّبَاس .
(٣) سُبَاتًا : سكنًا وراحة لأبدانكم .   (٤) يستوحش له ، أى : لا يأنس به .
(٥) فى « م » : « ينتشر » وكلاهما صواب .
(٦) ذات الحُمَة : الحشراتُ السَّامَّة التى لها إبرة تضرب بها ، كالعقرب ونحوها .
(٧) ما بين المعقوفتين عن « ط » .   (٨) يَرْزَأُ : يُصيب .
(٩) فى « م » : مثل .   (١٠) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(١١) فى « م » : يكون .
(١٢) النَّصَبُ : الإعياءُ والتَّعب .. والشُّخُوص : السَّعْى .
(١٣) فى « م » : تَنْسَ .   (١٤) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(١٥) فى « م » : « لكانت هى » .   (١٦) فى « م » : وقال .
(١٧) وفى رواية : « لا يخلو مِنَ العيث » أى : من الفساد ..
والبيت لأبى فتح البُسْتِى .
[انظر ثمار القلوب للثعالبى ص ٦٥٦ ومجمع الحكم والأمثال فى الشعر العربى ص ٦٢٥] .

البَابُ التَّاسِعُ

فى بَيَانِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مَنْزِلَةَ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا صَفَتِ الرُّوحُ مِنَ الْكَدَرِ سَرَتْ إِلَى الْجَوَارِحِ سَلِيمَةً ، وَسَرَتْ [١] فى جَمِيعِ أُجْزَاءِ الْجَسَدِ ، فَأَمِنَ الْجَسَدُ مِنَ الْغِيَرِ ، فَاسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ وَالْحَوَاسُّ ، وَانْتَظَمَ أَمْرُ الْجَسَدِ ، وَإِنْ تَكَدَّرَتِ الرُّوحُ أَوْ فَسَدَ مِزَاجُهَا ، فَيَاوَيْحَ الْجَسَدِ [٢] ، فَتَسْرِى إِلَى الْحَوَاسِّ وَالْجَوارِحِ كَدِرَةً ، مَنْحَرِفَةً [٣] عَنِ الاعْتِدَالِ ، فَأَخَذَ كُلُّ عُضْوٍ وَحَاسَّةٍ بِقِسْطِهِ مِنَ الْفَسَادِ ، فَمَرِضَتِ الْجَوَارِحُ وَتَعَطَّلَتْ ، فَتَعَطَّلَ نِظَامُ الْجَسَدِ ، وَجَرَّ [٤] إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِثَالُ النَّارِ ، وَمِثَالُ الْخَلْقِ مِثَالُ الْخَشَبِ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُعْتَدِلًا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى النَّارِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَأَوِّدًا [٥] احْتَاجَ إِلَى النَّارِ لِيُقَامَ [٦] أَوَدُهُ فَيُعْدَلُ عِوَجُهُ ، فَإِنْ أَفْرَطَتِ [٧] النَّارُ احْتَرَقَ الْخَشَبُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ أَوَدُهُ ، وَإِنْ

---

(١) فى « م » : وَجَرَتْ .

(٢) فى « م » : « أجزاء الجسد » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وهى مُنحرفة » .

(٤) وجَرَّ إلى الفساد : أدّى إليه .. وفى « م » : « جَرَى » أى : أسرع .

(٥) مُتَأَوِّدًا : مِعْوَجًّا .. والأَوَدُ : الاعْوِجَاجُ .

(٦) فى « م » : لِيُقيم .

(٧) فى « م » : « وإنْ أفْرطَ » .

قَصُرَتِ (١) النَّارُ لَمْ يَلِنِ الْخَشَبُ لِقَبُولِ الاعْتِدَالِ ، فَيَبْقَى مُتَأَوِّدًا ، وَإِذَا كَانَتِ النَّارُ مُعْتَدِلَةً اعْتَدَلَ الْخَشَبُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ فى أَطْوَارِهِ ، إِنْ أَفْرَطَ (٢) أَهْلَكَ الْخَلْقَ ، وَإِنْ فَرَّطَ لَمْ يَسْتَقِيمُوا ، وَإِنِ اعْتَدَلَ اعْتَدَلُوا .

وَمِثَالُهُ أَيْضاً مِثَالُ عَيْنٍ خَرَّارَةٍ فى أَرْضٍ خَوَّارَة (٣) ، فَإِنْ حَلَا مَشْرَبُهُ وَعَذُبَ طَعْمُهُ وَسَلِمَتْ مِنَ الْكَدَرِ وَالْفَسَادِ أَوْصَافُهُ ، اخْتَلَجَ (٤) فى الأَرْضِ فَابْتَلَعَتْهُ صَافِياً صِرْفاً ، ثُمَّ شَرِبَتْهُ عُرُوقُ الأَشْجَارِ فَاغْتَذَتْ بِهِ كَذَلِكَ ، فَغَلُظَتْ سُوقُهَا ، وَفَرَعَتْ أَغْصَانُهَا ، وَامْتَدَّتْ أَفْنَانُهَا (٥) ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا ، وَأَبْرَزَتْ أَزْهَارَهَا ، ثُمَّ قَذَفَتْ ثِمَارَهَا فَجاءَتْ عَلَى أَتَمِّ طَبِيعَتِهَا كُبْرًا وَطَعْماً ، وَلَوْناً وَرَائِحَةً ، فَتَقَوَّتَ (٦) بِهَا الْعِبَادُ ، وَأَكَلَتْ حُظُوظَهَا (٧) الْبَهَائِمُ وَالْحَشَرَاتُ ، وَسَقَطَ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَأَحْرَزَ كُلٌّ مِنها قُوتَهُ (٨) ، وَاسْتَقَامَ النِّظَامُ ، وَإِنْ كَانَ فى حَوَاشِى الأَرْضِ مَايَدُقُّ (٩) عَنِ الإِنْبَاتِ وَالنَّفْعِ ، وَيُكْدِى (١٠) عَنِ الزَّكَاةِ وَالرَّيْعِ ، أَوْكَانَ (١١) فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ مَايَبْرُزُ حَمْلَهُ وَيَقِلُّ رَيْعُهُ ، أَعْطَى كُلُّ ذَلِكَ الغَايَةَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَطْلَعَ مَافِى قُوَاهُ ، وَلَمْ يُغَادِرْ مُمْكِنًا إِلَّا وَفَّاهُ

وَإِنْ كَانَ فى الْعَيْنِ كَدَرٌ أَوْفَسَادٌ أَوْ مِلْحٌ ، شَرِبَتْهَا الأَشْجَارُ كَذَلِكَ ، فَفَسَدَ مِزَاجُهَا ، وَأَضَرَّ الْجُزْءُ الْفَاسِدُ بِالطَّيِّبِ ، فَرَقَّتْ سُوقُهَا ، وَضَعُفَتْ أَغْصَانُهَا ، وَتَغَيَّرَتْ أَوْرَاقُهَا ،

---

(١) فى « م » : قَصَّرَ .
(٢) أَفْرَطَ : جاوزَ الحَدَّ فى قَوْل أو فِعْل .. وفَرَّط : قَصَّرَ وتَهَاوَن .
(٣) عين خَرَّارَة : جَارِيَة .. وأرض خَوَّارة : لَيِّنَة سَهْلَة .
(٤) اختلج : تحرك .. وفى « م » : « تَخَلَّج » . وهما بمعنى واحد .
(٥) سُوقها : سيقانها .. فَرَعَتْ : طالت وعَلَتْ .. أَفْنَانُهَا : أغصانها .. والفَنَنُ : الغُصْنُ المستقيم .
(٦) تَقَوَّتَ بالشَّىْء : أَكَلَهُ .
(٧) حُظوظها : نصيبها .
(٨) فى « م » : « فَأَحْرَزَ منها كُلُّ واحدٍ قُوتَه » .
(٩) يَدُقُّ : يصغر .. ويقال : الإبل ترعَى دِقَّ الشجر ، أى : ما دَقَّ منه وخَسَّ .
(١٠) يُكْدِى : يقِلُّ خيره ، وينقطع عطاءه .
(١١) فى « م » : « لو كان فيه » .

وَقَلَّتْ أَزْهَارُهَا وَثِمَارُهَا ، وَدَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَجَاءَتِ الثَّمَرَةُ وَهِىَ نَزْرٌ قَدْرُهَا [١] ، رَدِىءٌ طَعْمُهَا ، كَاسِفٌ لَوْنُهَا [٢] ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ النَّقْصِ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِثْلَ مَادَخَلَ [مِنَ الْمَنَافِعِ] [٣] عَلَيْهِمْ فى الأُولَى ، وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ [٤] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « إِنَّ الْحَشَرَاتِ لَتَمُوتُ فى أَجْحِرَتِهَا [٥] هُزَالاً بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » يَعْنِى : إِذَا كَثُرَتِ الْمَعَاصِى فى الأَرْضِ ، حَبَسَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا ، وَمَنَعَتِ الأَرْضُ نَبَاتَهَا ، فَهَلَكَ الْهَوَامُ وَالْحَشَرَاتُ وَالدَّوَابُّ .

* * *

---

(١) يعنى : صغيرة الحجم .

(٢) كاسفٌ لونها ، أى : ذهب وتغيّر لونها المعهود .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٤) فى « م » : رسول الله .

(٥) فى « م » : « جُحْرِها » .

البَابُ العَاشِرُ

فى بَيَانِ مَعْرِفَةِ خِصَالٍ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهَا فِيهَا نِظَامُ الْمُلْكِ وَالدُّوَلِ

وَهِيَ ثَلاثَةٌ : اللِّينُ وَتَرْكُ الْفَظَاظَةِ [١] ، وَالْمُشَاوَرَةُ ، وَأَنْ لا يُسْتَعْمَلَ عَلَى الأَعْمَالِ وَالْوِلَايَاتِ رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لِهَا ، وَلِمَا عَلِمَ اللهُ تَعَالَى مَافِيهَا مِنَ انْتِظَامِ أَمْرِ الْمِلَّةِ [٢] ، واسْتِقَامَةِ الأَمْرِ ، نَصَّ عَلَيْهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ .

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ مِنْ أَسَاسِ الْمَمَالِكِ [٣] ، وَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُلُوكِ : اثْنَتَانِ نَزَلَتَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَوَاحِدَةٌ قَالَهَا الرَّسُولُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا الإِلٰهِيَّةُ فَقَالَ [٤] اللهُ تَعَالَى : **﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فى الأَمْرِ ﴾** [٥] وَفى الآيَةِ إِشَارَتَانِ : إِحْدَاهُمَا [٦] : أَنَّ الْفَظَاظَةَ تُنَفِّرُ الأَصْحَابَ وَالْجُلَسَاءَ ، وَتُفَرِّقُ الْجُمُوعَ وَالْحَشَمَ [٧] ، وَإِنَّمَا الْمَلِكُ مَلِكٌ بِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَشَمِهِ

---

(١) الفظاظة : القسوة والشدّة .

(٢) فى « م » : « انتظام المِلّة » .

(٣) فى « م » : المَمْلكة .

(٤) فى « م » : « فقد قال » .

(٥) سورة آل عمران — من الآية ١٥٩ .

(٦) فى « م » : وإحداهما .

(٧) فى « م » : «تُنَفِّرُ الأصحاب والحَشَم والجُلَساء والأولياء ، وتُفرق الجموع والخدم» .

وَأَتْبَاعِهِ [١] ، وَأَخلِق بِخَصْلَةٍ [٢] تُنَفِّرُ الأَوْلِيَاءَ ، وَتُطْمِعُ الأَعْدَاءَ ، فَقَمَنٌ بِكُلِّ سُلْطَانٍ رَفْضُهَا ، وَالاحْتِرَازُ مِنْ سُوءِ مَغَبَّتِهَا [٣] ، وَلْيَكُنْ [٤] كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٥] .

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ جَالِساً مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالُوا : هَذَا الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَجَبْتُكَ .. دَلَّ الأَثَرُ عَلَى أَنَّهُ مَا اسْتَأْثَرَ بِشَرَفِ الْمَجْلِسِ ، وَلَا بَايَنَهُمْ [٦] بِزِيٍّ ، وَلَا مَقْعَدٍ .

وَقَدْ يَبْلُغُ بِاللِّينِ مَالَا يَبْلُغُ بِالْغِلْظَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرِّيَاحَ تَهُونُ [٧] أَصْوَاتُهَا فَيَتَدَاخَلُ لَهَا [٨] الشَّجَرُ ، وَتَنْعَطِفُ الأَفْنَانُ وَالأَغْصَانُ ، وَفِي الْفَرْطِ [٩] تَتَكَسَّرُ الأَغْصَانُ ؟ وَالْمَاءُ بِلِينِهِ فِى أُصُولِ الشَّجَرِ يَقْلَعُهَا مِنْ أَصْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَّةُ مَعَ صُعُوبَتِهَا وَسُمِّهَا وَتَغَيُّبِهَا فِى جُحْرِهَا تُرْقَى بِالْكَلَامِ حَتَّى تُسْتَعْطَفَ فَتَخْرُجَ ، فَالإِنْسَانُ أَحْرَى أَنْ يُسْتَمَالَ بِلِينِ الْقَوْلِ وَحُسْنِ الْمَنْطِقِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَقِمَ مِمَّنْ يُسِيءُ إِلَيْكَ فَكَافِئْهُ بُكُلِّ كَلِمَةِ سُوءٍ قَالَهَا [١٠] كَلِمَةً جَمِيلَةً وَحُسْنَ ثَنَاءٍ عَلَيْهِ .

---

(١) فى « م » : « وأتباعه وحشمه » .

(٢) أَخلِق بِخَصْلَة .. الخ يعنى : جدير بهذه الخصلة أن تُنَفِّرَ الأتباع والأنصار ، وتجعلهم يُعرضون عنه .. ويقال : أَخْلِقْ به ، وما أَخْلَقَهُ أن يَفعَلَ كذا ، أى : ما أَجْدَرَهُ وأَوْلَاه .

(٣) فَقَمَنٌ بكل سُلطان .. الخ .. أى : جدير بكل حاكم أن يَتَحصَّن من سوء عاقبتها .

(٤) فى « ط » : وَلْتَكُنْ .

(٥) سورة الشعراء – الآية ٢١٥ .. واخفض جناحك ، أى : أَلِنْ جانِبَكَ وتواضع .

(٦) دَلَّ الأَثَر ، يعنى : هذا الخبر المروى .. ولا بايَنَهُم ، أى : ولا خالَفَهُم .. وفى « ط » : « ولا فاتهم » . وهى بمعناها .

(٧) تَهُونُ أَصْوَاتُها : تصير خفيفة هَيِّنَة .. وفى « م » : « تهول » باللام ، أى : تصير مخيفة مُفزعة .. وهذه لا تصح ، والأولى هى المناسبة للمقام .

(٨) فى « م » : « بها » بدل « لها » .

(٩) الفَرْط : تَجاوُز الحَدّ .. ويعنى به : اشتداد الرياح وتجاوز حدها فى الشدة .

(١٠) فى « م » : « بكل كلمة قالها جميلة » .

وَالإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فى الأَمْرِ ﴾ ، فَإِذَا قِيلَ لَنَا : كَيْفَ يُشَاوِرُهُمْ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ وَإِمَامُهُمْ ، وَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُشَاوَرَتُهُ ، وَأَنْ لايَفْصِلُوا أَمْرًا دُونَهُ ؟ قُلْنَا : هَذَا أَدَبٌ أَدَّبَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) بِهِ ، وَجَعَلَهُ مَأْدُبَةً لِسَائِرِ الْمُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ ، لِمَا عَلِمَ اللهُ تَعَالَى مَافِى الْمُشَاوَرَةِ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ مَعَ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَتِهِ فى الأُمُورِ ، فَإِنَّ نُفُوسَ الْجُلَسَاءِ وَالنُّصَحَاءِ وَالْوُزَرَاءِ تَصْلُحُ عَلَيْهِ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَتَخْضَعُ عَنْوَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، شِرْعَةً لِنَبِيِّهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) ، وَلِذَوِى الإِمْرَةِ (٣) مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٤) ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ فى غَزْوَةٍ (٥) فَأَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنْ كَانَ هَذَا بِأَمْرِكَ فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ ، وَإِنْ كَانَ (٦) غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَنْزِلٍ . فَسَمِعَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : ارْتَحِلُوا .

---

(١) هكذا فى « م » .. وقد كرر الناسخ الجار والمجرور « به » .. وفى « ط » : « أَدَّبَ الله تعالى نبيَّه عليه السلام » .

(٢) فى « ط » : عليه السلام .. والشِّرْعَةُ : المذهب والطريق المستقيم .

(٣) فى « م » : « الأَمرِ » أى : الحال والشأن . والإمرة : الإمارة .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٥) هى غزوة « بدر » حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل ، فقال له الحُباب بن المنذر (وليس سعدًا كما سيأتى) : « يا رسول الله ، أهذا منزل أَنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدم منه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .. فقال الحباب : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، ثم نبنى عليه حَوْضًا فنملؤه ماءً ، فنشرب ولا يشربون (يعنى الكفار) . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد أشَرْتَ بالرأى » .. وقبل أيضاً نصيحة سعد بن معاذ فى الغزوة نفسها حينما أشار ببناء عريش له ، صلى الله عليه وسلم ، لكى يشرف منه على المعركة ويوجهها .. فعمل الرسول بنصيحته وأثنى عليه .. وفى « م » : « غزوة تبوك » .. لَعَلَّهُ وَهمٌ من الناسخ ، فلم يستشر الرسول (ﷺ) سعدًا فى تبوك ، بل استشار عمر بن الخطاب حينما أقام المسلمون مُدَّة عشرين يومًا بها ، ولم يلقوا جموع الروم ، فأشار عمر بالرجوع إلى المدينة ، وعمل الرسول بمشورته .

[انظر غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ص ١٥ ، وص ١٦٥ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها ، وج ٥ ص ٣ وما بعدها ، وصور من حياة الرسول ص ٣٠٨ وما بعدها ، وص ٥٥٦ وما بعدها وغير ذلك من كتب السيرة المشهورة والتاريخ] .

(٦) فى « م » : يكن .

وَمِنْ أَقْبَحِ مَايُوصَفُ بِهِ الرِّجَالُ – مُلُوكاً كَانُوا أَوْ سُوقَةً – الاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَتَرْكُ الْمُشَاوَرَةِ – وَسَنَعْقِدُ لِلْمُشَاوَرَةِ بَاباً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَالْخصْلَةُ الثَّالِثَةُ ، مَارَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، اسْتَعْمِلْنِي [1] . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] : « إِنَّا لانَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ » . وَالسِّرُّ فِيهِ : أَنَّ الْوِلَايَاتِ أَمَانَاتٌ ، وَتَصَرُّفٌ فِى أَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَالتَّسَرُّعُ إِلَى الأَمَانَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْخِيَانَةِ ، وَإِنَّمَا يَخْطُبُهَا مَنْ يُرِيدُ أَكْلَهَا ، وإِذَا [3] ائْتُمِنَ خَائِنٌ عَلَى مَوْضِعِ الأَمَانَاتِ كَانَ كَاسْتِرْعَاءِ [4] الذِّئْبِ عَلَى الْغَنَمِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْخَصْلَةِ تَفْسُدُ قُلُوبُ الرَّعَايَا عَلَى مُلُوكِهَا ، لأَنَّهُ إِذَا اهْتُضِمَتْ حُقُوقُهُمْ ، وَأُكِلَتْ أَمْوَالُهُمْ ، فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالدُّعَاءِ وَالتَّشَكِّي ، وَذَكَرُوا سَائِرَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ، فَكَانُوا كَالْبَيْتِ السَّائِرِ الَّذِى أَنْشَدْنَاهُ [5] :

وَرَاعِى الشَّاةِ يَحْمِى الذِّئْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا ذِئَابُ [*]

فَإِذَا [6] خَانَ أَهْلُ الأَمَانَاتِ ، وَفَسَدَ أَهْلُ الْوِلَايَاتِ ، كَانَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ [7] :

بِالْمِلْحِ يُصْلَحُ مَايُخْشَى تَغَيُّرُهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغِيَرُ [8] ؟

وَقَالَ آخَرُ :

---

(١) فى « م » : « اسْتَعْمِلْنِى عَلَى عَمَل » .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) فى « م » : فإذا .

(٤) فى « م » : « كانَ كَمَنِ استَرْعَى » .

(٥) فى « م » : « أنشدناه أولاً » .. وقد مَرَّ البيت فى الباب الثالث .

(*) الشطرة الثانية من هذا البيت ، فى الباب الثالث : « فكيف إذا الذئاب لها رعاء » .

(٦) فى « م » : وإذا .

(٧) فى «م» : «كما قيل» .

(٨) الْغِيَرُ : الأحوال والأحداث المتغيرة .

ذِئْبٌ تَرَاهُ مُصَلِّيــــاً فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعْ (١)
يَدْعُـو وَجُـلُّ دُعَائِـهِ مَا لِلْفَرِيسَةِ مَا تَقَعْ (٢)
عَجِّلْ بِهَا يَاذَا الْعُلا إِنَّ الْفُؤَادَ قَدِ انْصَدَعْ (٣)

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ التَّصَدِّى لِلأَمَانَةِ ، وَخُطْبَةُ الْوِلَايَةِ . وَرُوِىَ (٤) عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَكُونَ الزَّكَاةُ مَغْرَماً ، وَالأَمَانَةُ مَغْنَماً » (٦) . فَحِينَئِذٍ يَدْعُو عَلَيْهِ الضَّعِيفُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ ، وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ (٧) الشِّرِّيرُ ، وَيُخَامِرُ عَلَيْهِ الْقَوِىُّ (٨) ، وَيَقْبُحُ ثَنَاؤُهُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ ، وَيَتَمَنَّوْنَ الرَّاحَةَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا (٩) سِوَاهُ .

* * *

(١) فى « م » : « خَلَوْتَ به » بدل « مَرَرْتَ به » .
(٢) وَجُلُّ دُعائه : مُعْظَم دعائه .. وفى « م » : « دعاه » .. ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) انْصَدَع : انْشَقَّ .. وفى « م » : « انْقَطَع » .
(٤) فى « م » : رُوِىَ .
(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .
(٦) أخرجه الترمذى فى أبواب الفتن ، عن أبى هريرة ، مُجْتَزءًا من حديث طويل ، أَوَّلُه : « إذا اتُّخِذَ الفَىْءُ دُوَلاً ، والأمانة مَغْنَمًا ، والزَّكَاةُ مَغْرَمًا .... فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ... » .
[انظر صحيح الترمذى ج ٩ ص ٥٩] .
(٧) ويَقْعُدُ له بالمراصد ، أى : يجلس له على الطريق برقبة (لكى يحميه) .. والمراصد : جمع مَرْصَد ، وهو طريق الرَّصْدِ والارتقاب .
(٨) يُخامِرُ عليه القَوِىُّ : يستره ويحميه من الناس .
(٩) لها : للولاية .

البَابُ الْحَادِى عَشَرَ

فى بَيَانِ مَعْرِفَةِ [1] الْخِصَالِ الَّتِى هِىَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَاثَبَاتَ لَهُ دُونَهَا

فَأَوَّلُ الْخِصَالِ وَأَحَقُّهَا بِالرِّعَايَةِ الْعَدْلُ الَّذِى هُوَ قِوَامُ الْمُلْكِ [2] ، وَدَوَامُ الدُّوَلِ ، وَأُسُّ [3] كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، سَوَاءٌ كَانَتْ نَبَوِيَّةً أَوْ إِصْلَاحِيَّةً .. اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ - أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَدْلِ ، [4] ثُمَّ عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ النُّفُوسِ تَصْلُحُ عَلَى الْعَدْلِ ، بَلْ تَطْلُبُ الإِحْسَانَ ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَدْلِ [5] فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى ﴾ [6] . فَلَوْ وَسِعَ الْخَلْقَ الْعَدْلُ مَاقَرَنَ اللهُ بِهِ [7] الإِحْسَانَ ، فَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ حَتَّى يُزَادَ عَلَى الْعَدْلِ ، كَيْفَ يَصْلُحُ إِذَا لَمْ يَبْلُغْ بِهِ الْعَدْلُ ؟ .

وَالْعَدْلُ مِيزَانُ اللهِ [تَعَالَى] [8] فى الأَرْضَ ، الَّذِى بِهِ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِىِّ ،

---

(١) فى « م » : فى معرفة .

(٢) قِوَامُ المُلْكِ : عِمَادُه ونظامه .

(٣) فى « م » : « وأساس » .. والأُسُّ والأساس واحد .

(٤) فى « م » : « العدل والإحسان » .

(٥) فوق العدل ، أى : يعلو عليه .. وبعدها فى « م » : « فقال تعالى » .

(٦) سورة النحل - من الآية ٩٠ .

(٧) فى « م » : « ما قَرَنَ به » .

(٨) ما بين المعقوفتين عن « م » .

وَلِلْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ الْمِيزانِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ فَقَطْ ، بَلْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ أَيْضًا ، فَمَنْ أَزَالَ مِيزَانَ اللهِ الَّذِى وَضَعَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْوَالِى (١) أَنَّ الْمُلْكَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ ، فَرَأْسُهُ أَنْتَ (٢) ، وَقَلْبُهُ وَزِيرُكَ ، وَيَدَاهُ أَعْوَانُكَ ، وَرِجْلَاهُ رَعِيَّتُكَ ، وَرُوحُهُ عَدْلُكَ ، وَمَابَقَاءُ جَسَدٍ بِلَا رُوحٍ ، وَإِذَا أَرَدْتَ ذِرْوَةَ الْعَدْلِ فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ : كَبِيرٌ ، وَصَغِيرٌ (٣) ، وَوَسَطٌ .. فَاجْعَلْ كَبِيرَهُمْ أَباً ، وَوَسَطَهُمْ أَخاً ، وَصَغِيرَهُمْ ابْنًا (٤) ، فَبِرَّ أَبَاكَ ، وَأَكْرِمْ أَخَاكَ ، وَارْحَمِ ابْنَكَ (٥) ، فَإِنَّكَ وَاصِلٌ بِذَلِكَ إِلَى بِرِّ اللهِ وَكَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ (٦) الْمَلِكِ يُوجِبُ الاجْتِمَاعَ عَلَيْهِ ، وَجَوْرُهُ يُوجِبُ الافْتِرَاقَ عَنْهُ .. عَدْلُ (٧) الْمَلِكِ حَيَاةُ رَعِيَّتِهِ . وَفِى مَنْثُورِ الْحِكَمِ : سُلْطَانٌ جَائِرٌ أَرْبَعِينَ عَاماً (٨) خَيْرٌ مِنْ رَعِيَّةٍ مُهْمَلَةٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّهَارِ .. إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ (٩) فِيمَا قَرُبَ مِنْهُ صَلَحَ لَهُ مَابَعُدَ عَنْهُ .. فَضْلُ الْمُلُوكِ فى الإِعْطَاءِ ، وَشَرَفُهَا فى الْعَفْوِ ، وَعِزُّهَا فى الْعَدْلِ .. عِدَّةُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ النُّصَحَاءِ ، وَثَبَاتُ نِيَّاتِ الأَعْوَانِ ، وَإِقَامَةُ سُوقِ الْعَدْلِ .. أَفْضَلُ الأَزْمِنَةِ أَزْمِنَةُ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ .

---

(١) فى « م » : « أيها الملك » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » وقع اضطراب فى هذه الجملة من الناسخ ، إذْ وضع كلمات مكان أُخرى ، فلم يستقم المعنى .

(٣) فى « م » : « صغير وكبير » .

(٤) فى « م » : ولَدًا .

(٥) فى « م » : وَلَدَك .

(٦) فى « م » : « عندك » بدل « عَدْل » تحريف .

(٧) فى « م » : وعَدْل .

(٨) فى « م » : سَنَة .

(٩) فى « م » : « إذا صَلَحَ المَلك » .

ثُمَّ الْعَدْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ (١) إِلٰهِىٌّ جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] (٢) عَنِ اللهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِى مَايُشْبِهُ الْعَدْلَ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الإِصْلَاحِيَّةُ (٣) الَّتِى هَرِمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَنَشَأَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ . وَبَعِيدٌ أَنْ يَبْقَى سُلْطَانٌ ، أَوْ تَسْتَقِيمَ رَعِيَّةٌ فِى حَالِ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ بِلَا عَدْلٍ قَائِمٍ ، وَلَاتَرْتِيبٍ لِلْأُمُورِ ثَابِتٍ ، فَذَلِكَ مَالَا يَجُوزُ وَلَايُمْكِنُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِى أَوَّلِ الْكِتَابِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٤) سُلِبَ مُلْكُهُ حِينَ جَلَسَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ لأَحَدِهِمَا خَاصَّةٌ بِسُلَيْمَانَ ، فَقَالَ فِى نَفْسِهِ : وَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِخَاصَّتِى (٥) فَأَقْضِى لَهُ ، فَسَلَبَهُ اللهُ تَعَالَى مُلْكَهُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّهِ . فَاجْعَلِ الْعَدْلَ رَأْسَ سِيَاسَتِكَ فَتَسْقُطُ عَنْكَ جَمِيعُ الآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ لِلسِّيَاسَةِ ، وَتَقُومُ لَكَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ الَّتِى تَقُومُ بِهَا الْمَمْلَكَةُ .

قَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ (٦) . وَأَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلُومٍ (٧) . وَسُلْطَانٌ ظَلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (٨) : إِذَا كَانَ الإِمَامُ عَادِلاً فَلَهُ الأَجْرُ وَعَلَيْكَ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا فَعَلَيْهِ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ .. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَحْرُزَانِ الْمُلْكَ . وَاتَّفَقَ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَقَالُوا : الْمُلْكُ بِنَاءٌ ، وَالْجُنْدُ أَسَاسُهُ ، فَإِذَا قَوِىَ الأَسَاسُ دَامَ الْبِنَاءُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الأَسَاسُ انْهَارَ الْبِنَاءُ .

---

(١) سقطت « قِسْمٌ » من « م » .

(٢) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) الإصلاحية : التى تأتى بما هو نافع ، وتزيل الفساد .. وفى « م » : « الاصطلاحية » . وتعنى : ما اتفقوا وتعارفوا عليها .. وهَرِمَ عليها : كَبِرَ وضَعُف .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٥) فى « م » : لِصَاحِبِى .

(٦) مَطَر وابل : شديد القَطْر .

(٧) أسَدٌ حَطُومٌ : عنيف ، يأتى على كل شىء .. وسُلطان ظَلُوم : جَارَ وجَاوَزَ الحَدَّ فى الظُّلْم .

(٨) هو : الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود .. وقد مرت ترجمته .

فَلَا سُلْطَانَ إِلَّا بِجُنْدٍ ، وَلَا جُنْدَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا مَالَ إِلَّا بِجِبَايَةٍ ، وَلَا جِبَايَةَ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، وَلَا عِمَارَةَ إِلَّا بِعَدْلٍ . فَصَارَ الْعَدْلُ أَسَاساً لِسَائِرِ الْوِلَايَاتِ (١) .

فَأَمَّا الْعَدْلُ النَّبَوِيُّ [فَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِيهِ] (٢) أَنْ يَجْمَعَ السُّلْطَانُ إِلَى نَفْسِهِ حَمَلَةَ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ حُفَّاظُهُ وَرُعَاتُهُ وَفُقَهَاؤُهُ ، وَهُمُ الأَدِلَّاءُ (٣) عَلَى اللهِ [تَعَالَى] وَالْقَائِمُونَ بِأَمْرِ اللهِ ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ، وَالنَّاصِحُونَ لِعِبَادِ اللهِ . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٤) أَنَّ النَّبِيَّ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قَالُوا : لِمَنْ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : لِلّٰهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

فَاتَّخِذْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ شِعَارًا ، وَالصَّالِحِينَ دِثَارًا (٥) ، فَتَدُورُ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَ نَصَائِحِ الْعُلَمَاءِ ، وَدَعَوَاتِ (٦) الصُّلَحَاءِ ، وَأَخْلِقْ بِمُلْكٍ يَدُورُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ أَنْ تَقُومَ عُمُدُهُ (٧) ، وَيَطُولَ أَمَدُهُ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ فَرَّقَهُمُ (٨) اللهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَاصْطَفَاهُمْ بِخَالِصِ مَعْرِفَتِهِ ، فَقَالَ ، جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ** ﴾ (٩) ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ ، وَثَلَّثَ بِأُولِي الْعِلْمِ ، وَهُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] (١٠) الْمُوَقِّعُونَ عَنِ اللهِ [تَعَالَى] ، لِأَنَّ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « الأساسات » بدل « الولايات » .
(٢) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .. وفى « ط » : « فأن » مكان « أن » .
(٣) الأَدِلَّاءُ : جمع دَليل ، وهو المُرْشِد . وما بين المعقوفين – بعدها – عن « ط » .
(٤) ما بين المعقوفين عن « م » فى الموضعين .
(٥) الشِّعَارُ : مَاوَلِيَ الجَسَد من الثِّياب ، وهو كناية عن شدة الالتصاق والقُرْب .. والدِّثار : ما يتدثَّر به الإنسان من كساءٍ أو غيره ، ويُلْبَسُ فوق الشِّعار .. وفى حديث الأنصار ، قال النبى ، صلى الله عليه وسلم : « أنتم الشِّعارُ والنَّاسُ الدِّثار » أى : أنتم الخاصَّةُ والبطانة ، يَصِفُهُم ، صلى الله عليه وسلم بالمَوَدَّة والقُرْب .
(٦) فى « م » : ودَعْوَة .
(٧) فى « م » : « يَقُوم عَمُودُه » .
(٨) فى « م » : « وقد قَرَنَهُم » .
(٩) سورة آل عمران – من الآية ١٨ .
(١٠) ما بين المعقوفين عن « ط » فى الموضعين .

الأَنْبِيَاءَ (١) لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَفِى تَعْظِيمِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ امْتِثَالٌ لأَمْرِ (٢) اللهِ تَعَالَى ، وَتَعْظِيمٌ لِمَنْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ . وَيَجِبُ تَرْفِيعُ مَجَالِسِهِمْ ، وَتَمْيِيزُ مَوَاضِعِهِمْ عَمَّنْ سِوَاهُمْ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ (٣) . وفِيهِ اسْتِمَالَةُ قُلُوبِ الرَّعِيَّةِ ، وَخُلُوصُ نِيَّاتِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ ، وَاجْتِمَاعُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ [وَتَوْقِيرِهِ] (٤) ، فَوَاجِبٌ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ لَا يَقْطَعَ أَمْرًا دُونَهُمْ ، وَلَا يَفْصِلَ حُكْماً إِلَّا بِمُشَاوَرَتِهِمْ ، لأَنَّهُ فى مُلْكِ اللهِ يَحْكُمُ ، وَفِى شَرِيعَتِهِ يَتَصَرَّفُ ، وَأَقَلُّ الْوَاجِبَاتِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يُنْزِلَ نَفْسَهُ مَعَ اللهِ مَنْزِلَةَ وِلَاتِهِ مَعَهُ ، أَلَيْسَ إِذَا خَالَفَ وَالِيهِ أَمْرَهُ وَمَا رَسَمَهُ لَهُ مِنَ الأَحْكَامِ عَزَلَهُ وَعَاقَبَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ ؟ وَإِذَا امْتَثَلَ أَوَامِرَهُ ، وَازْدَجَرَ مِنْ زَوَاجِرِهِ حَلَّ مِنْهُ مَحَلَّ الرِّضَاءِ ؟ فَوَاعَجَباً لِمَنْ يَغْضَبُ عَلَى وَالِيهِ إِذَا خَالَفَهُ ، ثُمَّ لا يَخَافُ سَطْوَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ إِذَا خَالَفَهُ !

فَهَذِهِ طَرِيقُ إِقَامَةِ الْعَدْلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالسِّيَاسَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِوُجُوهِ الْمَصْلَحَةِ ، الآخِذَةِ لأَزِمَّةِ التَّدْبِيرِ (٥) ، السَّالِمَةِ مِنَ الْعُيُوبِ ، الْمُمَهِّدَةِ لاسْتِقَامَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ . وَكَمَا أَنَّ الْمَلِكَ الْحَازِمَ لا يَتِمُّ حَزْمُهُ إِلَّا بِمُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ وَالأَخْيَارِ ، كَذَلِكَ لا يَتِمُّ عَدْلُهُ إِلَّا بِاسْتِفْتَاءِ الْعُلَمَاءِ الأَبْرَارِ ، وَقَدْ وَقَّعَ الْمَأْمُونُ فى قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ مِنْ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ (٦) : « يَاعَمْرُو ، اعْمُرْ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا » .

---

(١) فى « م » : « عليهم السلام » .

(٢) فى « م » : « امتثال أمر الله » .

(٣) سورة المجادلة – من الآية ١١ .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٥) فى « م » : « الأخذ » بدل « الآخِذة » تحريف .. وأَزِمَّةُ التدبير : مِلاكُها وقِوَامُها ، جمع زِمام .

(٦) هو : عَمْرُو بنُ مَسْعَدَةَ بن سعد بن صُول ، أبو الفضل الصُّولِىُّ ، وزير المأمون ، وأحد الكُتَّاب البُلَغاء ، كان يُوَقِّعُ بين يَدَىْ جعفر بن يحيى البرمكى فى أيام الرشيد ، واتصل بالمأمون ، فرفع مكانته وأغناه .. وكان جوادًا مُمَدَّحًا نبيلاً .. توفى فى أَذَنَة (أَطَنَه) بتركيا سنة ٢١٧ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٥ – ٤٧٨ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ١٢٧ – ١٣١ وفيه : أن وفاته كانت سنة ٢١٤ هـ] .

وَفِى إِشَاعَةِ الْعَدْلِ قُوَّةُ الْقَلْبِ (١) ، وَطِيبَةُ النَّفْسِ ، وَلُزُومُ الْيَقِينِ ، وَأَمَانٌ مِنَ الْعَدُوِّ . وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ الْهُرْمُزَانُ (٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ حَاجِبًا وَلَا بَوَّابًا ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ فِى الْمَسْجِدِ . فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِياً مُتَوَسِّدًا كَوْماً مِنَ الْحَصْبَاءِ (٣) وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وَقَدْ جَمَعَ الْحَصْبَاءَ فِى مَسْجِدِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَدْ وَضَعَ أَحَدَ جَانِبَىْ رِدَائِهِ (٥) عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاعِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَكَتَبَ عَامِلُ حِمْصَ (٦) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَنَّ مَدِينَةَ حِمْصَ قَدْ تَهَدَّمَتْ وَاحْتَاجَتْ إِلَى إِصْلَاحٍ (٧) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : حَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ ، وَنَقِّ طُرُقَهَا مِنَ الْجَوْرِ ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ حُرِمَ الْعَدْلَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَا خَيْرَ لِلنَّاسِ فِى سُلْطَانِهِ (٨) . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ (٩) : مَا شَيَّتُ الْمَأْمُونَ فِى بُسْتَانٍ ، وَالشَّمْسُ عَنْ يَسَارِى وَالْمَأْمُونُ

---

(١) فى « م » : « قوام القلب » .

(٢) هو : تُرْملة مَلِكُ « خُوزِسْتان » .. جِيءَ به أسيرًا إلى عُمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ولَمْ يكن فى منزله ، فمازال المُوَكَّل به « بالهُرمزان » يقتفى أثر عمر حتى عثر عليه فى بعض المساجد نائمًا مُتَوَسِّدًا دِرَّتَهُ ، فلما رآه « الهُرمزان » قال : « هذا - والله - المُلْكُ الهَنِىءُ ، عَدَلْتَ فأَمِنْتَ فَنِمْتَ ! والله ، إِنِّى قد خَدَمْتُ أربعةً من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان ، فما هِبْتُ أحَدًا هيبتى لصاحب هذه الدِّرَّة » . ولَمَّا أسلم ، سَمَّاه عُمر « عُرْفطة ذو الثُّدَيَّة » .. قُتِلَ يوم مقتل عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، سنة ٢٣ هـ .. قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب هو وبنت أبى لؤلؤة المجوسى - الذى طعن عمر - وجُفَيْنَة (رجل أعجمى) .

[انظر المعارف لابن قُتَيْبَة ص١٨٧ و٤٢١ ، وثمار القلوب للثعالبى ص ٨٦] .

(٣) فى « م » : « الحَصَا » فى الموضعين .. والحصا والحصباء : صغار الحجارة .. والدِّرَّةُ : السَّوْطُ يُضْرَبُ به .

(٤) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٥) فى « م » : « إحدى جانبى رِدَاه » .. والجانب : الشِّقُّ والناحية .

(٦) حِمْصُ : مدينة مشهورة بين دمشق وحَلَب .. تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ ، وهى ممنوعة من الصرف (التنوين) للعلمية والعُجْمَة .

(٧) فى « م » : « انهدَمَتْ واحتاجتْ إلى الصَّلاح » .

(٨) فى « م » : « فلا خير له » .. وسقطت كلمة « خير » الثانية من « ط » .

(٩) يحيى بن أكثم : قاضى قضاة بغداد على أيام المأمون ، وقد سبقت ترجمته .

فى الظِّلِّ ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَقَعَتِ الشَّمْسُ أَيْضاً عَلَىَّ ، فَقَالَ لِىَ الْمَأْمُونُ : تَحَوَّلْ مَكَانِى وَأَتَحَوَّلُ مَكَانَكَ حَتَّى تَكُونَ فِى الظِّلِّ كَمَا كُنْتُ ، وَأَقِيكَ الشَّمْسَ كَمَا وَقَيْتَنِى ، فَإِنَّ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَعْدِلَ الرَّجُلُ عَلَى بِطَانَتِهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعَدْلُ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى ، فَعَزَمَ عَلَىَّ [١] فَتَحَوَّلْتُ .

وَكَانَ يُقَالُ : لَيسَ شَىْءٌ أَبْعَدَ مِنْ بَقَاءِ مُلْكِ الْغَاصِبِ .. وَقِيلَ لِلإِسْكَنْدَرِ : لَوْ أَكْثَرْتَ مِنَ النِّسَاءِ حَتَّى يَكْثُرَ نَسْلُكَ وَيَحْيَا ذِكْرُكَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا يُحْيِى الذِّكْرَ الأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ ، وَالسِّيرَةُ الْحَمِيدَةُ ، وَلَا يَحْسُنُ بِمَنْ يَغْلِبُ الرِّجَالَ أَنْ تَغْلِبَهُ النِّسَاءُ .. وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَنِ اتَّخَذَ الْعَدْلَ سُنَّةً كَانَ لَهُ أَحْسَنَ جُنَّةٍ [٢] ، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ حُلَّةَ الْعَدْلِ ، اسْتَكْمَلَ زِينَةَ الْفَضْلِ [٣] . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ [٤] : إِنَّ الإِمَامَ الْعَادِلَ لَيُسْكِتُ الأَصْوَاتَ عَنِ اللهِ ، وَإِنَّ الإِمَامَ الْجَائِرَ لَتَكْثُرُ مِنْهُ الشِّكَايَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى . وَقَالَ الْحَكِيمُ : لا يَزَالُ السُّلْطَانُ مُمْهَلاً [٥] حَتَّى يَتَخَطَّى إِلَى أَرْكَانِ الْعِمَارَةِ وَمَبَانِى الشَّرِيعَةِ ، فَحِينَئِذٍ يُرِيحُ اللهُ [تَعَالَى] [٦] مِنْهُ .

وَقَالُوا : لا تَظْلِمِ الضُّعَفَاءَ فَتَكُونَ مِنْ لِئَامِ الأَقْوِيَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَمِيرٌ بِلَا

---

(١) عَزَمَ عَلَىَّ : أَمَرَنِى وشَدَّدَ عَلَىَّ .

(٢) فى « م » : « أَحْصَنَ جُنَّةً » . والجُنَّةُ : كُلُّ ماوَقَى الإنسان من سلاح وغيره .

(٣) فى « م » : « رتبة الفضل » . والرتبة : المنزلة والمكانة .

(٤) هو : عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذَلِىُّ ، أبو عبد الله – ابن أخى عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم – كان مفتى المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة فيها ، ويُعَدُّ من أعلام التَّابعين ، لقى خلقًا كثيرًا من الصحابة ، وسمع من ابن عباس ، وأبى هريرة ، وعائشة ، وغيرهم .. وهو مؤدِّبُ عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه .. قال عُمر : « لأنْ يكون لى مجلس من عبيد الله ، أَحَبُّ إِلىَّ مِنَ الدُّنيا » .. وقال عنه ابن سعد : كان ثقة عالمًا ، فقيهًا ، كثير الحديث والعلم بالشعر ، وله شعر جيد ، أورد أبو تمام قطعة منه فى « الحماسة » . وأورد أبو الفرج الأصبهانى كثيرًا منه فى الأغانى .. توفى – رحمه الله – بالمدينة سنة ٩٨ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١٥ ، ١١٦ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٤٢] .

(٥) مُمْهَلاً : مَتْرُوكاً لَمْ يُعَجَّلْ بالعقاب .. وفى « ط » : « مُهْمَلاً » .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « م » .. ويُريح الله منه : يأخذه أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِر ، فيريح الرعية من ظُلمه وجَورِه .

عَدْلٍ ، كَغَيْمٍ بِلَا مَطَرٍ ، وَعَالِمٌ بِلَا وَرَعٍ ، كَأَرْضٍ بِلَا نَبَاتٍ . وَشَابٌّ بِلَا تَوْبَةٍ ، كَشَجَرٍ بِلَا ثَمَرٍ . وَغَنِيٌّ بِلَا سَخَاءٍ كَقُفْلٍ بِلَا مِفْتَاحٍ [١] . وَفَقِيرٌ بِلَا صَبْرٍ ، كَسِرَاجٍ [٢] بِلَا ضَوْءٍ . وَامْرَأَةٌ بِلَا حَيَاءٍ ، كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ . وَقَالَ كِسْرَى [٣] : اتَّفَقَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعِ خِصَالٍ : أَنَّ الطَّعَامَ لا يُؤْكَلُ إِلَّا عَلَى شَهْوَةٍ ، وَالْمَرْأَةَ لا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَى زَوْجِهَا ، وَالْمَلِكَ لا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةَ لا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ بِعَدْلِهِمْ يَعْدِلُ مَنْ دُونَهُمْ ، وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا [٤] كَانَ نَافِذًا غَيْرَ مَرْدُودٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : رُمْ مَا شِئْتَ بِالإِنْصَافِ وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظَّفَرِ بِهِ [٥] . وَالظُّلْمُ أَدْعَى شَيْءٍ إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ ، أَوْ تَعْجِيلِ نِقْمَةٍ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : شَرُّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ ، وَشَرٌّ مِنْ هَذَا [٦] الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ . وَمَتَى أَرَادَ السُّلْطَانُ حُسْنَ الصِّيتِ [٧] ، وَجَمِيلَ الذِّكْرِ ، فَلْيُقِمْ سُوقَ الْعَدْلِ ، وَإِنْ أَحَبَّ الزُّلْفَى [٨] عِنْدَ اللهِ وَشَرَفَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَلْيُقِمْ سُوقَ الْعَدْلِ ، وَإِنْ أَحَبَّهُمَا جَمِيعًا فَلْيُقِمْ سُوقَ الْعَدْلِ . وَالَّذِي [٩] يَخْلُدُ بِهِ ذِكْرُ الْمُلُوكِ عَلَى غَابِرِ الدُّهُورِ ، عَدْلٌ وَاضِحٌ ، أَوْ جَوْرٌ فَاضِحٌ ، هَذَا يُوجِبُ لَهُ الرَّحْمَةَ ، وَهَذَا يُوجِبُ لَهُ اللَّعْنَةَ .

* * *

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « كقفل بلا ملح » وستأتى بعد ذلك عند قوله : « كطعام بلا ملح » حيث سقطت الجملتان منها ، سهوًا من الناسخ .

(٢) السِّراج : المِصْبَاح .

(٣) هو : كِسْرَى أنو شِرْوان بن قُباذ ، من ملوك العجم ، ويُضرَبُ به المثل فى العدل ، وُلِدَ النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه ، لتسع سنين خَلَتْ مِن مُلْكه ، وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بذلك ، فقال : « وُلِدْتُ فى زَمَنِ المَلِكِ العادل » .. وكان سائر الأكاسرة ظَلَمَة فَجَرَة .. ظل مُلْكُه قائمًا سبعاً وأربعين سنة وسبعة أشهر .
[انظر المعارف ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، وثمار القلوب ص ١٧٨ ، ١٧٩] .

(٤) فى « م » : « قالوا فعلوا » بدون « أو » .

(٥) رُمْ : أُطْلُبْ .. زعيم : كفيل .. الظَّفَر : الفَوْز .

(٦) فى « م » : « وشر منه » .

(٧) فى « م » : « بُعْدَ الصِّيت » والصِّيت : الذِّكْرُ الحَسَن .

(٨) الزُّلْفَى : القُرْبَى والمنزلة .

(٩) فى « م » : « الذى » بدون عطف ، والسياق يستدعيه .

(فصل)

فَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِى مِنَ الْعَدْلِ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الإِصْلَاحِيَّةُ [(١)] ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا عَلَى الْجَوْرِ فَيَقُومُ بِهَا أَمْرُ الدُّنْيَا ، وَكَأَنَّهَا تُشَاكِلُ مَرَاتِبَ الإِنْصَافِ [(٢)] عَلَى نَحْوِ ما كَانَتْ عَلَيْهِ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ فى أَيَّامِ الْفُرْسِ ، وَكَانُوا كُفَّارًا بِاللهِ تَعَالَى ، يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالنِّيرَانَ [(٣)] ، وَيَتَّبِعُونَ هَوَاجِسَ [(٤)] الشَّيْطَانِ ، فَوَضَعُوا [(٥)] بَيْنَهُمْ سُنَنًا ، وَأَسَّسُوا لَهُمْ أَحْكَامًا ، وَأَقَامُوا لَهُمْ مَرَاتِبَ فى النَّصَفَةِ [(٦)] بَيْنَ الرَّعَايَا ، وَاسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجَاتِ ، وَتَوْظِيفِ الْمُكُوسِ [(٧)] عَلَى التِّجَارَاتِ ، كُلُّ ذَلِكَ بِعُقُولِهِمْ عَلَى وُجُوهٍ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا مِنْ بُرْهَانٍ [(٨)] ، بَيْدَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ ، مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٩)] ، فَمِنْهَا

---

(١) فى « م » : « الاصطلاحية » .
(٢) فى « م » : « وكأنه يُشاكِلُ مراتبَ الإنصاف » .. يُشاكل : يشابه ويُماثل .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « كفارًا يعبدون النيران » .
(٤) الهواجس : كل ما يخطر بالبال من خواطر ووساوس .
(٥) فى « م » : « فتواضعوا » أى : فاتفقوا على وَضْع .. والسُّنن : الطرائق والأخلاق ، جمع سُنَّة .
(٦) النَّصَفَة : الإنصاف .
(٧) استِجْبَاءُ الخراج : جَمْعُه .. والمكوس : الضرائب .
(٨) فى « م » : « ولا نصَب عليها برهانًا » أى : ولا أقامَ عليها دليلاً .
(٩) فى « م » : « نبيّه صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزة » .

مَا أَقَرَّتْهُ فِى نِصَابِهِ (١) ، وَمِنْهَا مَا نَسَخَتْهُ وَأَبْطَلَتْ حُكْمَهُ ، فَعَادَتِ الْحِكْمَةُ البَالِغَةُ إِلَى أَمْرِ (٢) اللهِ تَعَالَى ، وَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ، وَبَطَلَ ما سِوَاهُ .

وَكَانَ مُلْكُهُمْ مَحْفُوظًا بِرِعَايَاتِهِمْ لِلْقَوَانِينِ (٣) الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَهُمْ ، فَانْقَطَعَ بِذَلِكَ حَبْلُ الهَمَلِ (٤) ، فَكَانُوا (٥) يُقِيمُونَ بِهَا وَاجِبَ الْحُقُوقِ ، وَيَتَعَاطَوْنَ بِهَا مَا لَهُمْ وَ [ما] عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ هَذَا (٦) كَانَ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ الْكَافِرَ الْحَافِظَ لِشَرَائِطِ السِّيَاسَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ (٧) أَبْقَى وَأَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ الْمُؤْمِنِ الْعَدْلِ فِى نَفْسِهِ ، الْمُضَيِّعِ لِلسِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَالْجَوْرُ الْمُرَتَّبُ أَبْقَى مِنَ الْعَدْلِ الْمُهْمَلِ ، إِذْ لا شَىْءَ أَصْلَحُ لأَمْرِ السُّلْطَانِ مِنْ تَرْتِيبِ الأُمُورِ ، وَلَا شَىْءَ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ إِهْمَالِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ دِرْهَماً يُؤْخَذُ مِنَ الرَّعِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الإِهْمَالِ وَالْخُرْقِ (٨) – وَإِنْ كَانَ عَدْلًا – أَفْسَدُ لِقُلُوبِهَا (٩) مِنْ عَشَرَةٍ تُؤْخَذُ مِنْهَا سِيَاسَةً عَلَى زِمَامٍ مَعْرُوفٍ ، وَرَسْمٍ مَأْلُوفٍ ، وَإِنْ كَانَ جَوْرًا ، فَلَا يَقُومُ السُّلْطَانُ لأَهْلِ الإِيمَانِ ، وَلَا لأَهْلِ الْكُفْرَانِ (١٠) إِلَّا بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ النَّبَوِىِّ ، وَمَا يُشْبِهُ الْعَدْلَ مِنَ التَّرْتِيبِ الاصْطِلَاحِىِّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ (١١) : الْمُلُوكُ ثَلَاثَةٌ : مَلِكُ دِينٍ ، وَمَلِكُ حَزْمٍ ، وَمَلِكُ هَوًى ..

---

(١) فى « م » : « ما أَقَرَّهُ فى نصابه » . والنِّصَاب : الأَصْل .

(٢) فى « ط » : « إلى الله تعالى » .

(٣) فى « م » : « برعايتهم القوانين » .

(٤) الهَمَل : الإهمال .. وفى « م » : « المَهَل » أى : التقدم فى الخير . والأول هو المراد .

(٥) فى « م » : « وكانوا » .

(٦) فى « م » : « وعن هذا » وسقطت « إن » بعدها . و [ما] زيادة لم ترد فى « م » و « ط » .

(٧) فى « م » : « الاصطلاحية » .

(٨) الخُرْق ، بضم الخاء المعجمة : الجهل والحُمق .

(٩) فى « م » : « أَفْسَد قُلوبَها » .

(١٠) فى « م » : « الكُفر » بدل « الكُفران » .

(١١) هو : عبد الله بن المُقَفَّع ، وأصله من الفُرْس ، وَوُلِد فى العراق سنة ١٠٦ هـ وكان مجوسيًا ، وكان اسمه « روزبة » قبل إسلامه ، ويُكتنى بأبى عَمْرو ، فلما أسلم تسمَّى بعبدالله ، وتَكَنَّى بأبى محمد ، وأمَّا المُقَفَّعُ – أبوه – فاسمه المبارك ، ولُقِّبَ بالمقفع لأن الحجَّاج ضربه فتقفَّعَتْ يده ، أى تشنَّجت . وهو من أئمة الكُتاب ، وأول من =

فَأَمَّا مَلِكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ [١] لأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ دِينَهُمْ كَانُوا رَاضِينَ [٢] ، وَكَانَ السَّاخِطُ فِيهِمْ [٣] بِمَنْزِلَةِ الرَّاضِي . وَأَمَّا [٤] مَلِكُ الْحَزْمِ فَيَقُومُ بِهِ الأَمْرُ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الطَّعْنِ وَالسُّخْطِ ، وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الذَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ . وَأَمَّا مَلِكُ الْهَوَى فَلِعْبُ سَاعَةٍ وَدَمَارُ دَهْرٍ [٥] .

وَلَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ نَزَلَ بِهِ صَمَمٌ ، فَأَصْبَحَ مُسْتَرْجِعًا [٦] مُهْتَمًّا بِأُمُورِ الْمَظْلُومِينَ ، وَأَنَّهُ لا يَسْمَعُ اسْتِغَاثَتَهُمْ ، فَأَمَرَ مُنَادِيَهُ أَنْ لا يَلْبَسَ أَحَدٌ فى مَمْلَكَتِهِ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومٌ [٧] ، وَقَالَ : لَئِنْ مُنِعْتُ سَمْعِى لَمْ أُمْنَعْ بَصَرِى ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ ظُلِمَ لَبِسَ ثَوْباً أَحْمَرَ وَوَقَفَ تَحْتَ قَصْرِهِ فَكَشَفَ [٨] عَنْ ظُلَامَتِهِ . قَالَ شَيْخُنَا : وَأَخْبَرَنِى أَبُو الْعَبَّاسِ الْحِجَازِيُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ الصِّينَ ، بِسِيرَةٍ عَجِيبَةٍ غَرِيبَةٍ لِمُلُوكِهَا فِى سِيَاسَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلْبَيْتِ الَّذِى يَكُونُ فِيهِ الْمَلِكُ نَاقُوساً مَوْصُولًا بِسِلْسِلَةٍ ، وَطَرَفُ السِّلْسِلَةِ فى خَارِجِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَيْهَا أُمَنَاءُ لِلسُّلْطَانِ وَحَفَظَةٌ ، فَيَأْتِى الْمَظْلُومُ فَيُحَرِّكُ

= عُنِىَ فى الإسلام بترجمة كتب المنطق .. ترجم كتب أرسطوطاليس الثلاثة فى المنطق للمنصور العباسى .. وترجم عن الفارسية كتاب « كليلة ودمنة » وهو أشهر كتبه ، وأنشأ رسائل غاية فى الإبداع ، منها : الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، واليتيمة ، وغيرها .. اُتُّهِمَ بالزندقة ، فقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية المهلبى سنة ١٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥١ – ١٥٥ ، وثمار القلوب ص ١٧٦ وص ١٩٩ ، ٢٠٠ وغيرها من الصفحات] .

(١) فى « م » : « إذا قام » .

(٢) فى « م » : « راضيين » بياءين ، وهو مخالف لقواعد اللغة – انظر الفيصل فى ألوان الجموع ص ١١ – وقد ورد هذا النص فى « الأدب الكبير » – ص ٧٣ ط بيروت – تحت عنوان « المُلْك ثلاثة » باختلاف يسير فى الأسلوب .

(٣) فى « ط » : « فيه » .

(٤) فى « م » : « فأمَّا » .

(٥) أى : أنَّ المُلْكَ الذى يقوم على اللَّهْوِ والهَوَى لا يُكتَبُ له الدوام ، وسرعان ما يهلك ويُدَمَّر .

(٦) هكذا فى « م » .. ومُسْتَرْجِعًا ، أى : قَالَ : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون » .. وفى « ط » : « متوجعًا » .

(٧) فى « م » : « إلاَّ مظلومًا » . وكلاهما له وجه فى اللغة ، فالأول مرفوع على البدلية ، والآخر منصوب على الاستثناء .

(٨) فى « ط » : « فيكشف » .. والظُّلامَة : ما يطلبه المظلوم .

السِّلْسِلَةَ ، فَيَسْمَعُ الْمَلِكُ صَوْتَ النَّاقُوسِ ، فَيَأْمُرُ بِإِدْخَالِ الْمَظْلُومِ ، فَكُلُّ مَنْ حَرَّكَ السِّلْسِلَةَ تُمْسِكُهُ تِلْكَ الْحَفَظَةُ حَتَّى تُدْخِلَهُ (١) عَلَى السُّلْطَانِ .

* * *

(١) فى « م » : يَدْخل .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فى التَّصِيصِ عَلَى الْخِصَالِ الَّتِى زَعَمَ الْمُلُوكُ أَنَّهَا أَزَالَتْ دَوْلَتَهُمْ وَهَدَمَتْ سُلْطَانَهُمْ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، احْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ أَنْ تَكُونَ خَبِيرًا بِأُمُورِ عُمَّالِكَ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ يَفْرُقُ [1] مِنْ خِبْرَتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ ، وَالْمُحْسِنُ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ بِهِ قَبْلَ [2] أَنْ يَأْتِيَهُ ثَوَابُكَ .. قَالَ [3] أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَازَالَ أَمْرُ بَنِى أُمَيَّةَ مُسْتَقِيماً حَتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتْرَفِينَ [4] ، فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ – مِنْ عَظِيمِ شَأْنِ الْمُلْكِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ – قَصْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَإِيثَارَ اللَّذَّاتِ ، وَالدُّخُولَ فى مَعَاصِى اللهِ وَمَسَاخِطِهِ ، جَهْلاً مِنْهُمْ بِاسْتِدْرَاجِ اللهِ تَعَالَى ، وَأَمْناً لِمَكْرِهِ ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ [تَعَالَى] [5] الْعِزَّ ، وَنَقَلَ عَنْهُمُ النِّعْمَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَرْوَانَ [6] وَمَرْوَانُ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَرْوَانَ الْحِمَارِ ، وَهُوَ

---

(١) يَفْرُق : يشتد خوفُه .

(٢) فى « م » : « بعلمك قبل » .

(٣) فى « م » : وقال .

(٤) أفضى أمْرُهم : وصَلَ وانتَهى .. والمُتْرَفِينَ : المُنعَّمِين .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « عبيد الله » – وهو أخو عبد الله بن مروان بن محمد – والمُرَادُ هنا الأول ، حيث إنَّ عُبيد الله هلَكَ بعد مقتل أبيه قَتْلاً وعطشًا ، والقصة التى وردت هنا جاءت على لسان أخيه عبد الله ، =

آخِرُ مُلُوكِ بَنِى أُمَيَّةَ ، قُتِلَ فى أرْضِ مِصْرَ فى كُورَةِ بُوصِيرَ [١] : لَمَّا زَالَ مُلْكُنَا وَهَرَبْتُ إِلَى أَرْضِ النُّوبَةِ [٢] فِيمَنِ اتَّبَعَنِى [٣] مِنْ أَصْحَابِى ، فَسَمِعَ مَلِكُ النُّوبَةِ بِخَبَرِى ، فَجَاءَنِى ، فَقَعَدَ عَلَى الأَرْضِ وَلَمْ يَقْعُدْ عَلَى فِرَاشٍ افْتَرَشْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَقْعُدُ عَلَى ثِيَابِنَا ؟ قَالَ : لا . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لأَنِّى مَلِكٌ ، وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ رَفَعَهُ . ثُمَّ قَالَ لِى : لِمَ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَهِىَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَطَئُونَ الزَّرْعَ بِدَوابِّكُمْ وَالْفَسَادُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَسْتَعْمِلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَتَلْبَسُونَ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ فَقُلْتُ : زَالَ عَنَّا الْمُلْكُ ، فَقَلَّ أَنْصَارُنَا ، وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الأَعَاجِمِ دَخَلُوا دِينَنَا ، وَلَنَا عَبِيدٌ وَأَتْبَاعٌ فَعَلُوا ذَلِكَ عَلَى كُرْهٍ مِنَّا . فَأَطْرَقَ مَلِيًّا يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ وَيَنْكُتُ فى الأَرْضِ [٤] ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ

= وقد أوردها ابن العماد فى شذرات الذهب عندما فرَّ ، ثم عُثر عليه وسُجن ، وحَدَّثَ بِهَا أبا جعفر المنصور .. وعبد الله هذا هو عبدالله بن مروان بن محمد الأموى ، وهو من بقايا بنى أُمية فى الشام ، شهد وقائع الكارثة وزوال دولتهم فى أيام أبيه سنة ١٣٢ هـ . وفرَّ عبد الله بن مروان من عبد الله بن على العباسى (عم السَّفَّاح) إلى بلاد النوبة ، ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث فى فلسطين – وقيل فى جَدَّة – فأُخِذَ وسُجن فى بغداد ، ومات نحو سنة ١٧٠ هـ فى أيام الرشيد .

أمَّا أبوه مروان بن محمد ، فقد لُقِّب بالحِمَار – أو حمار الجزيرة – لجرأته وصبره فى الحروب .. وقيل غير ذلك . واشتهر بمروان الجَعْدى ، نسبة إلى مؤدبه جَعْد بن درهم ، وكانت مدة خلافته ـــ إلى أن بُويع السَّفَّاح ـــ خمس سنين وشهرًا .. وإلى أن قُتِلَ : خمس سنين وعشرة أشهر .. وله غزوات وفتوحات ، وحروب كثيرة مذكورة فى كتب التاريخ .

[انظر الأعلام ج٤ ص١٣٧ ، وج ٧ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والإمامة والسياسة ج ٢ صفحات متفرقة ، وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٧٤ – ٧٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٧ حوادث سنة ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ حوادث السنوات نفسها التى عند الطبرى ، ودول الإسلام للذهبى ج ١ ص ٨٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٨٣ – ١٨٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(١) فى « م » : « كَرَّة » أى : الحملة التى قُتِلَ فيها ، اسم مَرَّةٍ من الكَرّ .. والكُورَة : الصُّقْع ، أو البقعة التى يجتمع فيها قُرًى ومحالٌ . وبُوصِير : اسم لأربع قُرًى بمصر ، والتى قُتِلَ فيها مروان بن محمد هى : بوصير قُورِيدُس ، أو بُوصير الأشمونين .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(٢) فى « م » : « الصين » . تحريف من الناسخ .

(٣) فى « م » : « تَبِعَنى » .

(٤) أى : يُؤَثِّر فيها بعُودٍ أو نحوه ، يفكر كأنما يُحَدِّث نفسه .. ومَلِيًّا : طويلاً .

اللهِ (١) ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكْتُمْ ، فَسَلَبَكُمُ اللهُ الْعِزَّ بِذُنُوبِكُمْ ، وَللهِ فِيكُمْ نِقْمَةٌ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا ، وَأَخَافُ أَنْ يَحِلَّ بِكُمُ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِبَلَدِى فَيُصِيبَنِى مَعَكُمْ ، وَإِنَّمَا الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَتَزَوَّدُوا مَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ وَارْتَحِلُوا عَنْ بَلَدِى ، فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا (٢)...

وَسُئِلَ بُزُرْجَمِهْرُ (٣) : مَابَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ (٤) صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ، بَعْدَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَشِدَّةِ (٥) الأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ لأَنَّهُمْ قَلَّدُوا كِبَارَ الأَعْمَالِ صِغَارَ الرِّجَالِ . وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَوْتُ أَلْفٍ مِنَ الْعِلْيَةِ أَقَلُّ ضَرَرًا مِنَ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السَّفِلَةِ (٦) . وَفِى الأَمْثَالِ : إِنَّ زَوَالَ الدُّوَلِ بِاصْطِنَاعِ السَّفِلِ (٧) . وَقَالَ الشَّافِعِىُّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (٨) : أَظْلَمُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ اللَّئِيمُ : إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبَهُ ، وَأَنْكَرَ مَعَارِفَهُ ، وَاسْتَخَفَّ بِالأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِى الْفَضْلِ .

---

(١) فى « م » : « ما حَرَّمَ الله عليكم » .

(٢) جملة : « فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا » عن « ط » ولم تُرِدْ فى « م » .

(٣) اسم فارِسِىٌّ مُرَكَّبٌ من جُزْأين : « بُزُرْج » وهو معرب : بزرك ، أى : عظيم .. و « مِهر » بمعنى : شمس .. والفُرْس تقدم الوصف على الموصوف فيكون التركيب على النَّسَق العربى : « عظيم كالشمس » .. وكان بُزُرْجَمِهر من حُكماء الفُرْس ، ووزيرًا لأنوشِرْوَان .

[انظر أدب الدنيا والدين ، صفحات متفرقة ، وص ٣٥ (حاشية) ط الدار المصرية اللبنانية ، وإعجام الأعلام ص ٧٣ ، ٧٤] .

(٤) آل ساسان : ملوك الفُرْس .

(٥) فى « م » : « وشباب الأركان » .

(٦) السَّفِلَةُ وَالسُّفْلَةُ : أسافِلُ الناس وغَوْغاؤهم .

(٧) الاصطناع : الاختيار .

(٨) فى « م » : « رحمه الله » .. والشافعى هو : الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القُرَشى المُطَّلِبى ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّةِ ، وإليه نسبة الشافعية كافة .. وُلِدَ فى غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ . ومات أبوه شابًّا ، فنشأ يتيمًا فى حجْرِ أُمِّه .. وحُمِلَ من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين . ونشأ بها .. وكان من أحذق قريش بالرَّمْى ، يصيب من عشرة أسهم عشرة أو تسعة .. ثم أقبل على العربية والشعر ، فبدع فى ذلك وتقدم .. ثم حُبِّبَ إليه الفقه والحديث ، فَسَادَ أهل زمانه .. وأفتى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكيًّا مُفْرِطًا .. وله تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب « الأم » فى الفقه .. زار بغداد مرتين ، ثم قصد إلى مصر سنة ١٩٩ ، وتوفى بها سنة ٢٠٤ هـ وقبره معروف ويُزار .

=

[وَسُئِلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ بَعْدَ زَوَالِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِى سَلَبَكَ مُلْكَكَ ؟ قَالَ : إِعْطَاؤُنَا مَنْ بَطَرَ وَطَغَى ، وَرَفْعُ عَمَلِ الْيَوْمِ لِغَدٍ] (١) . وَسُئِلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ بَعْدَ أَنْ سُلِبُوا مُلْكَهُمْ (٢) : مَا الَّذِى سَلَبَ عِزَّكُمْ ، وَهَدَمَ مُلْكَكُمْ ؟ فَقَالَ : شَغَلَتْنَا لَذَّاتُنَا عَنِ التَّفَرُّغِ لِمُهِمَّاتِنَا ، وَوَثِقْنَا بِكُفَاتِنَا (٣) فَـآثَرُوا مَرَافِقَهُمْ عَلَيْنَا ، وَظَلَمَ عُمَّالُنَا رَعِيَّتَنَا (٤) فَانْفَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ لَنَا ، وَتَمَنَّوُا الرَّاحَةَ مِنَّا ، وَحُمِلَ عَلَى أَهْلِ خَرَاجِنَا (٥) فَقَلَّ دَخْلُنَا ، وَبَطَلَ عَطَاءُ عَبِيدِنَا (٦) فَزَالَتِ الطَّاعَةُ مِنْهُمْ لَنَا ، وَقَصَدَنَا عَدُوُّنَا ، فَقَلَّ نَاصِرُنَا . وَكَانَ أَعْظَمَ مَازَالَ بِهِ مُلْكُنَا اسْتِتَارُ الأَخْبَارِ عَنَّا ، [ثُمَّ أَنَّا وَلَّيْنَا أَكْبَرَ الأَعْمَالِ لأَصْغَرِ الْعُمَّالِ ، فَـآلَ أَمْرُنَا إِلَى مَا آلَ] (٧) .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَسْرَعُ الْخِصَالِ فِى هَدْمِ السُّلْطَانِ ، وَأَعْظَمُهَا وَأَسْرَعُهَا فِى إِفْسَادِهِ وَتَفْرِيقِ الْجَمْعِ عَنْهُ : إِظْهَارُ الْمُحَابَاةِ (٨) لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ ، وَالْمَيْلُ إِلَى قَبِيلَةٍ دُونَ قَبِيلَةٍ ، فَمَتَى أَعْلَنَ بِحُبِّ قَبِيلَةٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ قَبَائِلَ . وَقَدِيمًا قِيلَ : الْمُحَابَاةُ مَفْسَدَةٌ (٩) . وَقَالَ

= [انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥ — ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ — ٧٣ والتاريخ الكبير للبخارى ج١ ص٤٢ والأعلام ج ٦ ص ٢٦ ، ٢٧ وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ٣٦١ – ٣٦٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩ – ١٢ ومعجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨١ – ٣٢٧ وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٣ وطبقات الشافعية (الذى يلى طبقات الشيرازى) ص ١٨٥ – ١٨٨ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٣ – ١٦٩ وغيرها من كتب التراجم] .

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « بعد زوال مُلْكِه » .

(٣) كُفَاتُنا : مَنْ يقومون مَقامنا .

(٤) من أول قوله : « فآثروا » إلى قوله « رعيتنا » عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) حُمِلَ على أهل خراجنا ، أى : أُثْقِلَ عليهم . والخراج : الجزية أو الإتاوة التى تُؤخذ من أموال الناس .

(٦) بَطَلَ عطاء عبيدنا ، أى : ذهب وضاع .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٨) فى « م » : « عن إظهاره للمحاباة » . والمحاباة : المسامحة ، وإعطاء الشىء بدون عوض ، مأخوذ من : حَبَوْته ، إذا أعطيتَهُ .

(٩) المَفْسَدَةُ : الضَّرَرُ .. يقال : هذا الأمر فيه مَفْسَدَةٌ لكذا ، أى : فيه فَسَادُهُ .

مَهْبُوذُ الْمُوبَذَانُ (١) : مِنْ زَوَالِ السُّلْطَانِ (٢) تَقْرِيبُ مَنْ يَنْبَغِى أَنْ يُبَاعَدَ ، وَمُبَاعَدَهُ مَنْ يَنْبَغِى أَنْ يُقَرَّبَ ، وَحِينَئِذٍ حَانَ أَوَانُ الْغَدْرِ . وَقِيلَ لِمَلِكٍ بَعْدَ ذَهَابِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِى أَذْهَبَ مُلْكَكُمْ ؟ قَالَ : ثِقَتِى بِدَوْلَتِى ، وَاسْتِبْدَادِى بِمَعْرِفَتِى ، وَإِغْفَالِى (٣) اسْتِشَارَتِى ، وَإِعْجَابِى بِشِدَّتِى ، وَإِضَاعَتِى الْحِيلَةَ فى وَقْتِ حَاجَتِى (٤) وَالتَّأَنِّى عِنْدَ الْعَجَلةِ (٥) .

وَلَمَّا أُحِيطَ بِمَرْوَانَ الْجَعْدِىِّ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِى أُمَيَّةَ ، قَالَ : لَهْفَاهُ (٦) عَلَى دَوْلَةٍ مَانُصِرَتْ ، وَكَفٍّ مَا ظَفِرَتْ (٧) ، وَنِعْمَةٍ مَا شُكِرَتْ ! فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ « نُسَيْلٌ » ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ أَشْرَافِ الرُّومِ : مَنْ أَغْفَلَ الصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَالْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ ، وَالْخَفِىَّ حَتَّى يَظْهَرَ ، أَصَابَهُ مِثْلُ هَذَا .. وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَا الَّذِى أَذْهَبَ مُلْكَ (٨) بَنِى مَرْوَانَ ؟ قَالَ : تَحَاسُدُ الأَكْفَاءِ (٩) ، وَانْقِطَاعُ الأَخْبَارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَرَ (١٠)

---

(١) المُوبَذَانُ : فقيه الفُرْسِ ، وحاكم المجوس .. وفى لسان العرب : المُوبَذُ : القاضى .. والمُوبَذان للمجوس ، كقاضى القضاة للمسلمين .

[انظر اللسان ـــ مادة موبذ ، والعقد الفريد ج ١ ص ٢٩٤] .

(٢) فى « م » : « من علامة زوال السلطان » .

(٣) الإغفال : تَرْك الشىء إهمالاً من غير نسيان .. وفى « م » : « واستغفال » وهو ترَقُّبُ الغَفْلَة .

(٤) فى « ط » : « وقت حاجتى » بدون « فى » .

(٥) فى « م » : « عند عَجَلَتِى » . والعَجلة : السرعة .

(٦) فى « م » : « يا لَهْفَاه » .

(٧) كَفّ ما ظَفِرَتْ : ما نالت ، أو : ما غلبت .

(٨) فى « م » : بِمُلْك .

(٩) الأَكْفَاء : جمع كُفْء ، وهو المُماثِل والنظير .

(١٠) فى « ط » : « زيد بن عمر » خطأً .. وهو : يزيد بن عمر بن هُبَيْرة ، أبو خالد ، من بنى فزارة ، أمير ، وقائد ، ومن ولاة الدولة الأموية ، وُلد سنة ٨٧ هـ ، وأصله من الشام ، وَلِىَ « قِنَّسْرِين » للوليد بن يزيد ، ثم جُمِعَتْ له ولاية العراقين « البصرة والكوفة » سنة ١٢٨ هـ فى أيام مروان بن محمد ، واستفحل أمر الدولة العباسية فى زمن إمارته ، فقاتل أشياعها مُدَّة ، وتغلبت جيوش « خُراسان » على جيوشه ، فرحل إلى واسط وتحصَّنَ بها ، فَوَجَّه « السَّفَّاحُ » أخاه « المنصور » لحَربه ، فمكث المنصور زمنًا بواسط يقاتله حتى أعياه أمره ، فكتب له بالأمان والصُّلح . وأمضى « السَّفَّاح » الكتاب ، فرضِىَ ابن هُبيرة وأطاع ، وأقام بواسط ، وعمل أبو مسلم الخراسانى على الإيقاع به ، فنقض « السَّفَّاحُ » عهده له ، وبعث إليه مَنْ قتله بقصر « واسط » سنة ١٣٢ هـ .. وكان سَخِيًّا ، جسيمًا ، خطيبًا ، وفيه حَسَدٌ .. وكان أبو جعفر المنصور يقول : « لا يعز مُلْك هذا فيه » .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣١٣ – ٣٢١] .

كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَضَعَ (١) مِنْ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ (٢) ، وَكَانَ لا يَمُدُّهُ بالرِّجَالِ ، وَلَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ مَا يَرِدُ (٣) عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَصْرُ بْنُ سَيَّار قَالَ (٤) :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ (٥)

---

(١) يَضَعُ منه : يُذِلُّه ويحطُّ مِنْ قَدْرِه .

(٢) هو : نصر بن سيَّار بن رافع بن حَرِّى بن ربيعة الليثى الكنانى ، أمير من الدُّهاة الشجعان ، وكان من الخطباء الشعراء .. كان شيخ مُضَر بخراسان ، ووالى « بَلْخ » ثم وَلِىَ إمْرَة خُراسان سنة ١٢٠ هـ . وقويت الدعوة العباسية فى أيامه ، فكتب إلى بنى مروان بالشام يحذرهم وينذرهم ، فلم يَأْبَهُوا للخطَر ، فصار يدبر الأمور إلى أنْ أعْيَتْهُ الحيلة ، وتغلَّب أبو مسلم على « خُراسان » فخرج نصر بن سيَّار من « مَرْو » سنة ١٣٠ هـ ورحل إلى « نيسابور » فسَيَّر أبو مسلم إليه « قَحْطَبَة بن شَبِيب » فانتقل نصر إلى « قومس » وكتب إلى ابن هبيرة – وهو بواسط – يطلب منه مددًا ومعونة ، وكتب إلى مروان بن محمد – وَهو بالشام – وأخذ يتنقل منتظرًا النجدة إلى أنْ مَرِضَ فى مَفَازَةٍ بين الرَّىِّ وهمذان ، ومات بِسَاوة سنة ١٣١ هـ .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٧ صفحات متفرقة ، والكامل فى التاريخ ج ٤ وغيرهما من كتب التاريخ المشهورة ، وانظر الأعلام ج ٨ ص ٢٣ . وفى المُحَبَّر لابن حبيب ص ٢٥٥ أنه حُصِرَ بمرو ثلاث سنين – انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ وص ١٥٨ ، ١٥٩] .

(٣) فى « م » : « سلطان » .. وفى « ط » بعدها : « ما يُورَد » .. وما يَرِدُ ، أى : يبلغه ويوافيه .

(٤) هذه الأبيات من شعره ، وقد كتبها ليزيد بن عمر بن هُبيرة عندما بدأت الفتنة تطل برأسها ، وبدأ العباسيون التحرك فى « خراسان » بقيادة أبى مسلم الخراسانى للانقضاض على الدولة الأموية .. وقد وردت هذه الأبيات فى البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٨ ، وفى تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٦٩ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٣ ، وفى عيون الأخبار ، كتاب الحرب ، ص ١٢٨ .

(٥) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى العقد الفريد : « ويوشك أن يكون له ضِرامُ » .. وفى الطبرى :

أرى بين الرماد وَمِيضَ جَمْرٍ ... فأَحْجِ بأنْ يكونَ لَهُ ضِرَامُ

وفى الكاملَ :

أرَى بين الرماد وميض نارٍ ... وأخشى أن يكون له ضِرَامُ

وفى البيان والتبيين :

أرى خَلَلَ الرماد وميض جمر ... فيُوشك أن يكون له اضطِرَامُ

وفى عيون الأخبار :

أرَى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضِرَامُ

وَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكُو وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ [١]
فَقُلْتُ تَجَاهُلًا : يَالَيْتَ شِعْرِى أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ ! [٢]

وَكَانَ الْعَبَّاسِيُّونَ يُؤَسِّسُونَ لِدَوْلَتِهِمْ ، وَلَا تَصِلُ أَخْبَارُهُمْ إِلَى بَنِى أُمَيَّةَ حَتَّى اسْتَفْحَلَ [٣] أَمْرُهُمْ ، وَضَعُفَ أَمْرُ بَنِى أُمَيَّةَ .. وَسُئِلَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْدِىُّ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِى أُمَيَّةَ : مَا الَّذِى أَضْعَفَ مُلْكَكَ بَعْدَ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَثَبَاتِ الْأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : الاسْتِبْدَادُ بِرَأْيِى ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَىَّ كُتُبُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنْ أُمِدَّهُ بِالْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فِى نَفْسِى : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأَمْوَالِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَسَادِ الدَّوْلَةِ قِبَلَهُ [٤] ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تَنْتَقِضَ [٥] عَلَىَّ خُرَاسَانُ .. فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ مِنْ خُرَاسَانَ .

* * *

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « بالعودين يُذْكَا » ..
وفى الطبرى :

فَإِنَّ النَّار بِالعُودَيْنِ تُذْكَى وَإِنَّ الحَرْبَ مَبْدَؤُها الكلام

وفى الكامل « مبدؤها كلام » .
وفى عيون الأخبار بعد هذا البيت :

فَإِن لَمْ يُطْفِهَا عُقَلاء قَوْمٍ يكونُ وَقُودَهَا جُثَثٌ وهامُ

(٢) هكذا البيت فى « م » و « ط » ..
وفى الطبرى وابن الأثير ، وعيون الأخبار ، والبيان والتبيين :
« فقلتُ مِنَ التعجُّبِ ليت شعرى » .
وفى البيان والتبيين بعد هذا البيت :

فَإِنْ كانوا لِحِينِهِمُ نِيَامًا فَقُلْ : قُومُوا فَقَد طَالَ المَنَامُ

(٣) استفحل : تفاقَمَ واشتد .. وفى « م » : « استحفل » تحريف من الناسخ .
(٤) القِبَلُ : الجهة أو الناحية .
(٥) وهيهات أن تنتقض عَلَىَّ خُراسان أى : مِنَ المُستبعد أن يخرج أهلها عَلَىَّ ويخلعوا طاعتى .

الْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ
فِى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِى زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ(*)

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَابِ دَوَامُ الْمُلْكِ مَعَ الْكِبْرِ وَالإِعْجَابِ .. اعْلَمُوا أَنَّ الْكِبْرَ وَالإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ وَيُكْسِبَانِ الرَّذَائِلَ ، لأَنَّ الْكِبْرَ (١) يَكُونُ بِالْمَنْزِلَةِ ، وَالْعُجْبَ (٢) يَكُونُ بِالْفَضِيلَةِ ، وَالْمُتَكَبِّرَ يُجِلُّ نَفْسَهُ (٣) عَنْ رُتْبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالْمُعْجَبُ يَسْتَكْثِرُ فَضْلَهُ عَنِ اسْتِزَادَةِ الْمُتَأَدِّبِينَ (٤) ، وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النُّصْحِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .

وَالْكِبْرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَكُلُّ كِبْرٍ ذَكَرَهُ اللهُ فِى الْقُرْآنِ فَمَقْرُونٌ بِالشِّرْكِ ، وَلِذَلِكَ (٥) قَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : « أَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ ، وَالْكِبْرِ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَغْضَبُ (٦) مِنْهُمَا » . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ

(*) فى « ط » : « الصفات الراتبة التى زعم الحكماء أنها لا تُدَامُ معها مملكة » .

(١) فى « م » : الكبير .

(٢) العُجْب : الكِبْر والزَّهْو .

(٣) يُجِلُّ نفسَه : يُعَظِّمُها .

(٤) أى : يُعِدُّ نفسه مِنَ الفضل بحيث يمنعه ذلك من زيادة العلم والأدب مِنْ ذويه .

(٥) فى « م » : وكذلك .

(٦) فى « م » : « فإنه يغضب منهما » .. وفى أدب الدنيا والدين : « فإن الله يحتجب منهما » .

[انظر أدب الدنيا والدين للماوردى ، الفصل الأول : فى مجانبة الكِبْر والإعجاب ص ٢٨٥ – ٢٩١ ط الدار المصرية اللبنانية] .

بَابَكَ (١) : مَا الْكِبْرُ إِلَّا فَضْلُ حُمْقٍ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُهُ أَيْنَ يَذْهَبُ بِهِ ، فَصَرَفَهُ إِلَى الْكِبْرِ .. وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَا تَكَبَّرَ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ (٢) يَجِدُهَا فِى نَفْسِهِ .. وَلَمْ تَزَلِ الْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى (٣) الْكِبْرَ وَتَأْنَفُ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَتًى كَانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا مِنْ خَصَاصَةٍ ... وَلَكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبْرُ (٤)

وَنَظَرَ أَفْلاطُونُ (٥) إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّى مِثْلُكَ فِى ظَنِّكَ ، وَأَنَّ أَعْدَائِى مِثْلُكَ فِى الْحَقِيقَةِ .. قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : قَدْ (٦) يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ مُعْظَمِ النَّقَائِصِ ، فَرُبَّ فَقِيرٍ سَادَ قَوْمَهُ ، وَرُبَّ أَحْمَقَ سَادَ قَبِيلَتَهُ ، مِنْهُمُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ (٧)

---

(١) هكذا بالراء المهملة فى « ط » .. وفى « م » : « أَزْدَشِير » بالزاى المعجمة ، وسقط منها « ابن بابك » .. وكلاهما صواب ..

وهو : أَرْدَشِيرُ بنُ بَابَك بن ساسان الأكبر ، ويُلقَّب بساسان الأصغر .. أول مَنْ جمع أمر أُمَّة الفُرس بعدما تفرقت على يد الإسكندر إلى ملوك طوائف ، يملك كل ملك ناحية من البلاد ، وكان هو أحد هؤلاء الملوك .. وله كتاب فى حُسْن السيرة يُضْرَب المثل به ، وتقتبس الملوك منه . ومن أقواله : « إذا رَغِبَ المَلِكُ عن العَدْل رغبت الرعية عن الطاعة .. ولاصلاح للخاصة مع فساد العامة .. ولا عِمَارة إلّا بعدل وحُسن سياسة .

وكلمة « أَرْدَشِير » مكونة من كلمتين : « أَرْد » بمعنى : دقيق و « شير » بمعنى : حليب .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٣ وما بعدها ، وثمار القلوب ص ١٧٨ وإعجام الأعلام ص ٦٢] .

(٢) الذِّلَّة : المهانة .

(٣) تَتَحامى : تتجنب .

(٤) الخصَاصَة : الفقر والحاجة وسوء الحال .

(٥) أفلاطون : من نوابغ المفكرين والحكماء ، ومن مشاهير فلاسفة اليونان ، ولد سنة ٤٢٧ قبل الميلاد تقريبًا ، وهو تلميذ « سقراط » ومُعَلِّم « أرسطو » ، ومن مؤلفاته كتاب « الجمهورية » و « المحاورات » . توفى سنة ٣٤٧ قبل الميلاد .

[انظر ترجمته وفلسفته فى كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى سلسلة نوابغ الفكر العربى ط دار المعارف] .

(٦) فى « م » : وقد .

(٧) هو : الأَقْرَعُ بن حابِس بن عِقال المُجَاشِعى الدارِمّى التيمىّ ، صحابىٌّ ، ومن سادات العرب فى الجاهلية ، قَدِمَ على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد « دارم » من تميم ، فأسلموا ، وشهدوا حُنينًا وفتح مكة والطائف . وسكن المدينة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ورحل إلى « دومة الجندل » فى خلافة أبى بكر ، وكان مع خالد بن الوليد فى أكثر وقائعه حتى اليمامة ، واستُشْهِد بالجُوزجان سنة ٣١ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٥ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١٢٨ – ١٣٠ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ والمعارف ص ٣٤٢] .

الَّذِى قَالَ فِيهِ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ الأَحْمَقُ الْمُطَاعُ » [١] .

قَالُوا : وَلَا يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ الْكِبْرِ ، وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَسْلُبُ السِّيَادَةَ . وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [٢] . فَقَرَنَ الْكِبْرَ بِالْفَسَادِ وَمُنِعَا مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ [٣] : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [٤] . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا رَأَيْتُ مُتَكَبِّرًا إِلَّا تَحَوَّلَ دَاؤُهُ فِىَّ ، يَعْنِى أَنِّى أَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكِبْرَ يُوجِبُ الْمَقْتَ ، وَمَنْ مَقَتَهُ رِجَالُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ حَالُهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَتْهُ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ [٥] . وَمَنْ كَرِهَهُ الْحُمَاةُ تَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ . وَأَمَّا الإِعْجَابُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى الاسْتِبْدَادِ بِالرَّأْىِ [٦] وَتَرْكِ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ .

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب ، وفى المعارف لابن قتيبة ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أطلق هذا عَلَى « عُيَيْنَة ابن حِصْن » وكان فى الجاهلية من الجرّارين ، ويقود عشرة آلاف ، دعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يَبْعد ، ولم يدخل فيه ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى أريد أن أدنو من جوارك فَوادِعْنِى ، فوادَعَهُ ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المُدة انصرف هو وقومه إلى بلادهم ، وقد أَسْمَنُوا وأَلْبَنُوا ، وسمن الحافر ، فأغار عُيينة بذلك الحافر على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الحارث بن عوف : بئس ما جزيتَ به محمدًا أسمَنْت فى بلاده ثم غزوته !

فقال : هو ما ترى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « الأحمق المطاع » .

وكان عُيينة من الأعراب الأجلاف ، ثم أسلم ، وارتد حين ارتدَّتِ العرب ، وبعث به خالد بن الوليد مُقيدًا إلى أبى بكر فى المدينة ، فكان صبيان المدينة يقولون : يا عدو الله ، أكفرتَ بعد إيمانك ؟ وله مع الرسول وأبى بكر وعمر وعثمان مواقف ذكرتها كتب السيرة والتاريخ تدل على غلظته وجفائه .

[انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ ، والمعارف ص ٣٠٢ – ٣٠٤] .

(٢) سورة القصص – الآية ٨٣ . ولم ترد فى « ط » : « والعاقبة للمتقين » .

(٣) فى « ط » : « جَلَّ وعزَّ » .

(٤) سورة الأعراف – من الآية ١٤٦ .

(٥) غَصَّ بالماء : وقف فى حَلْقِه فلم يكد يُسيغه .

(٦) « بالرَّأى » عن « م » وساقطة من « ط » .

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِى لا تَقُومُ مَعَهَا الْمَمْلَكَةُ : الْكَذِبُ ، وَالْغَدْرُ ، وَالْخُبْثُ ، وَالْجَوْرُ . وَالسُّخْفُ [١] . وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : سِتُّ خِصَالٍ لا تُغْتَفَرُ مِنَ السُّلْطَانِ : الْكَذِبُ ، وَالْخَلْفُ [٢] ، وَالْحَسَدُ ، وَالْحِدَّةُ ، وَالْبُخْلُ ، وَالْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَّابًا لَمْ يُوثَقْ بِوَعْدِهِ وَلَا بِوَعِيدِهِ ، فَلَمْ يُرْجَ خَيْرُهُ ، وَلَمْ يُخَفْ شَرُّهُ ، وَلَا بَهَاءَ لِسُلْطَانٍ لا يُرْهَبُ .. وَقَالَ الْحُكَمَاءُ : خَرَابُ الْبِلَادِ وَفَسَادُ الْعِبَادِ مَقْرُونَانِ بِإِبْطَالِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مِنَ الْمُلُوكِ .

وَالْكَذِبُ أَسْقَطُ الأَخْلَاقِ ، وَأَغْلَبُ شَيْءٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأَحْرَى أَنْ لا يَنْزِعَ عَنْهُ لِضَرَاوَتِهِ . وَقِيلَ لأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَمْ تَكْذِبْ ؟ قَالَ : لَوْ تَعَزَّزْتُ [٣] بِهِ مَا تَرَكْتُهُ . وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْفُحْشِ ، وَضَرْبٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتِعْذَابُ الْمُنَى ، وَهُوَ أَضْغَاثُ فِكْرِ الْحَمْقَى [٤] وَمِنْ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى صَاحِبِهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِكَذْبَةٍ [٥] طَائِحَةٍ نُسِبَتْ إِلَيْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا ... نَةِ بَعْضُ مَا يُحْكَى عَلَيْهِ [٦]
فَإِذَا سَمِعْتَ بِكَذْبَةٍ ... مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ [٧]

وَقَالَ غَيْرُهُ [٨] :

---

(١) السُّخْفُ : النقص .
(٢) الخلْفُ ، بفتح الخاء المعجمة : السَّقْطُ والردىء من القول . وفى الأمثال : « سَكَتَ أَلْفًا ونطَقَ خَلْفًا »
(٣) تعزَّزْتُ : صِرْتُ عزيزًا .
(٤) أضْغاثُ فِكْرِ الحَمْقَى : اختلاط واضطراب أفكارهم .
(٥) فى « ط » : « كَذْبَة » اسم مَرة من الكَذِب . وطائحة : منتشرة هاهنا وهاهنا .
(٦) فى أدب الدنيا والدين للماوردى : وفى عيون الأخبار « مِنَ البَلِيَّة » .
(٧) هكذا فى « م » وفى أدب الدنيا والدين .. وفى « ط » : « وإذا » وفى عيون الأخبار : « مهما » .
[انظر أدب الدنيا والدين الفصل الخامس ، فى الصدق والكذب ص ٣١٨ ط الدار المصرية اللبنانية وانظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤] .
(٨) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمى ، أبو الحسن ، فقيه شافعى ، وشاعر ، كان ضريرًا ، سافر إلى بغداد ومدح فيها الخليفة المعتز .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٩ – ٢٩٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠] .

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنُمُّ وَلَيْسَ فِى الْكَذَّابِ حِيلَهْ [(١)]
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو لُ فَحِيلَتِى فِيهِ قَلِيلَهْ

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى [(٢)] : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ [(٣)] . وَأَمَّا الْحَسَدُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَسُودًا لَمْ يُشَرِّفْ أَحَدًا [(٤)] . وإِذَا ضَاعَتِ الأَشْرَافُ هَلَكَتِ الأَتْبَاعُ ، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى أَشْرَافِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا [(٥)]

وَأَمَّا الْبُخْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا [(٦)] كَانَ بَخِيلاً لَمْ يُنَاصِحْهُ أَحَدٌ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوِلَايَةُ إِلَّا بِالْمُنَاصَحَةِ [(٧)] . وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَبْخَلَ ، لأَنَّ بُيُوتَ الأَمْوَالِ فى يَدَيْهِ .

وَأَمَّا الْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا [(٨)] كَانَ جَبَاناً اجْتَرأَ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ ، وَضَاعَتْ ثُغُورُهُ .

وَإِذَا كَانَ حَدِيدًا غَضُوبًا [(٩)] وَالْقُدْرَةُ مِنْ وَرَائِهِ هَلَكَتْ رَعِيَّتُه وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْضَبَ ، لأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أُسْقُفُّ [(١٠)] نَجْرَانَ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ [فَكَلَّمَهُ بِشَىْءٍ أَغْضَبَهُ] [(١١)] ضَرَبَ وَجْهَهُ بِالْقَضِيبِ فَأَدْمَاهُ ، فَقَالَ الأُسْقُفُّ : إِنَّ

---

(١) فيمَنْ يَنُمُّ : أى فى الذى يرفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد .
(٢) فى « م » : « وقال تعالى » .
(٣) سورة النحل – من الآية ١٠٥ . وتمام الآية : « أولئك هُمُ الكاذبون » . وفى « م » : « الخاسرون » خطأ من الناسخ .
(٤) أى : لَمْ يُعَظِّمْ أحدًا .
(٥) السَّرَاةُ : الأشراف ، جمع سَرِىٌّ ، وهو جمع لا يكاد يوجد له نظير ، لأنه لا يجمع « فَعِيل » عَلَى « فَعَلَة » .. وفى اللسان : السَّراة : اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيبويه ، قال : والدليل على ذلك قولهم : سَرَوات . وقولهم : قوم سَرَاةٌ ، جمع سَرِىٌّ ، جاء على غير قياس ، والقياس : سُرَاةٌ ، مثل : قُضَاة ، ورُعَاة ، وعُرَاة .
(٦) فى « ط » : فإذا .
(٧) سقطت أداة الاستثناء « إلاَّ » من « م » سهوًا من الناسخ ، ولا يصح المعنى إلاَّ بها .
(٨) فى « ط » : فإذا .
(٩) حديدًا غَضُوبًا : شديدًا كثير الغضب .
(١٠) الأُسقُفّ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : رئيس من رؤساء النصارى فوق القِسِّيس ودون المطْران .
(١١) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

شَاءَ الأَمِيرُ أَخْبَرْتُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا يغْضَبُ بَعْدَهَا (١) . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : لايَنْبَغِى لِلإِمَامِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا وَمِنْهُ يُلْتَمَسُ الْحِلْمُ ، وَلَا جَائِرًا وَمِنْهُ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ .

وَقَالَ الأَوْزَاعِى (٢) : يَهْلِكُ السُّلْطَانُ بِالإِعْجَابِ وَالاحْتِجَابِ ، فَأَمَّا الإِعْجَابُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، وَأَمَّا الاحْتِجَابُ فَهُوَ أَوْحَى (٣) الْخِلَالِ فى هَدْمِ السُّلْطَانِ ، وَأَسْرَعُهَا خَرَاباً لِلدُّوَلِ ، لِأَنَّهُ (٤) إِذَا احْتَجَبَ السُّلْطَانُ [سَاعَةً] (٥) فَكَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، لأَنَّ الْحَجْبَةَ مَوْتٌ حُكْمِيٌّ ، فَتَعْبَثُ بِطَانَتُهُ بِأَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ وَحَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، لأَنَّ الظَّالِمَ قَدْ أَمِنَ أَنْ لا يَصِلَ الْمَظْلُومُ إِلَى السُّلْطَانِ . وَمُعْظَمُ مَا رَأَيْنَا فى أَعْصَارِنَا ، وَسَمِعْنَا عَمَّنْ سَمِعْنا مِنْ دُخُولِ الْفَسَادِ عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ حَجْبَتِهِمْ عَنْ مُبَاشَرَةِ الأُمُورِ ، فَلَا تَزَالُ (٦) الرَّعِيَّةُ ذَا سُلْطَانٍ وَاحِدٍ مَا وَصَلُوا إِلَى سُلْطَانِهِمْ ، فَإِذَا احْتَجَبَ فَهُنَاكَ سَلَاطِينُ كَثِيرَةٌ .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَغْرُورُ ، احْتَجَبْتَ عَنِ الرَّعِيَّةِ بِالْحِجَابِ وَالأَبْوَابِ ، وَجَعَلْتَ دُونَهُمْ بُرُوجاً (٧) مُشَيَّدَةً ، وَحَظَائِرَ بِالْحِجَارَةِ وَالْمَاءِ وَالطِّينِ مَانِعَةً ، وَبَابُ اللهِ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ ، لَيْسَ هُنَاكَ حَاجِبٌ (٨) وَلَا بَوَّابٌ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا** ﴾ (٩) . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَيْسَ بَيْنَ أَنْ يَمْلِكَ السُّلْطَانُ رَعِيَّتَهُ أَوْ تَمْلِكَهُ إِلَّا الْحَزْمُ وَالتَّوَانِى ، وَكَمَالُهُ أَمْرَانِ : شِدَّةٌ (١٠) فى غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَلِينٌ فى غَيْرِ امْتِهَانٍ .

---

(١) فى « ط » : « قال : قُلْ . قال : لا تغضب بعدها » .
(٢) الأوزاعِيُّ : هو عبدالرحمن بن عمرو ، إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد ، وقد مرت ترجمته .
(٣) أَوْحَى الخِلَال : أَسْرَعُ الخِصَال .
(٤) فى « ط » : فإنه .
(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٦) فى « ط » : « ولا تزال » .
(٧) فى « م » : « جبالا » . والبروج : الحصون ، جمع بُرج ، ويُطلق على البناء العالى الذاهب فى السماء .
(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « لا حاجب » .
(٩) سورة الفرقان ــ من الآية ٥٧ .
(١٠) فى « م » : « سعة شدّة » .

وَسُئِل بُزُرْ جِمَهْر : أىُّ الْمُلُوكِ أَحْزَمُ ؟ فقَالَ [١] : مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزْلَهُ ، وَقَهَرَ لُبُّهُ هَوَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ ضَمِيرِهِ فِعْلُهُ ، وَلَمْ يَخْتَدِعْهُ [٢] رِضَاهُ عَنْ حَظِّهِ ، وَلَا غَضَبُهُ عَنْ كَيْدِهِ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : زَوَالُ الدُّوَلِ فى اصْطِنَاعِ السُّفَّلِ [٣] ، وَمَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَقَالُوا : مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقَظَةِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفَظَةِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ [٤] : أَحْسَنُ مَا وَجَدْتُ فى طِرَازِ الْحِكَمِ مِنَ الْبَلَاغَةِ : الْبُخْلُ وَالْجَهْلُ مَعَ التَّوَاضُعِ خَيْرٌ مِنَ السَّخَاءِ وَالْعِلْمِ مَعَ الْكِبْرِ ، فَيَالَهَا حَسَنَةً غَطَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ ! وَيَالَهَا سَيِّئَةً غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ !

* * *

---

(١) فى « م » : قال .

(٢) يختدعه : يخدعه .

(٣) فى « م » : « باصطناع » . والسُّفَّل : الجهلاء والسُّقَّاط من الناس وأراذلهم ، جمع « سافل » .

(٤) هو : يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، مؤدب هارون الرشيد ، وقد مرت ترجمته .

البابُ الرَّابِعَ عَشَرَ

فى الخِصَالِ المَحْمُودَةِ فى السُّلْطَانِ

وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ عَلَيْهَا فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إنْ قَصَرَتْ قُوَّتُكَ عَنْ عَدُوِّكَ فَتَخَلَّقْ بِالأَخْلاَقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِى لَيْسَ لِعَدُوِّكَ مِثْلُهَا ، فَإِنَّهَا الكَافِيَةُ (١) مِنَ الْغَارَةِ الشَّعْوَاءِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ (٢) : صِفْ لِى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٣) فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرَعِيَّتِهِ ، عَادِلاً فى قَضِيَّتِهِ ، عَارِيًا مِنَ الْكِبْرِ ، قَبُولًا لِلْعُذْرِ ، سَهْلَ الْحِجَابِ ، مَصُونَ الْبَابِ ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقاً بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ لِلْقَوِىِّ ، وَلَا بِجَافٍ لِلْقَرِيبِ .

وَقَالُوا : الْمَنْفَعَةُ (٤) تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ ، وَالْمَضَرَّةُ تُوجِبُ الْبِغْضَةَ (٥) ، وَالْمُخَالَفَةُ تُوجِبُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْمُتَابَعَةُ تُوجِبُ الأُلْفَةَ ، وَالصِّدْقُ يُوجِبُ الثِّقَةَ ، وَالأَمَانَةُ تُوجِبُ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فإن الكفاية » . لا تصح .. والغَارة الشَّعْوَاء : المنتشرة الفاشية .

(٢) هو : صعصعة بنُ صُوحَان بن حَجَر بن الحارث العبدى ، أسلم على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يَرَهُ ، وصغر عن ذلك ، وكان سيدًا من سادات قومه عبدالقيس ، وُلِدَ فى « دارين » قرب القطيف ، وكان خطيبًا فصيحًا ، لَسِنًا ، دَيِّنًا ، فاضِلاً ، شهد « صفِّين » مع علىٍّ رضى الله عنه ، وله مع معاوية مواقف . وهو مِمَّن سَيَّره عثمان إلى الشام . توفى رحمه الله سنة ٥٦ هـ عن نحو ٧٠ عامًا ودُفن فى البحرين ، وقيل : مات بالكوفة .
[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٠٥] .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) فى « م » : « قالوا فالمنفعة » .

(٥) البِغْضَةُ ، بكسر الباء المعجمة : شِدَّةُ البُغْض .

الطُّمَأْنِينَةَ ، وَالْعَدْلُ يُوجِبُ اجْتِمَاعَ الْقُلُوبِ ، وَالْجَوْرُ يُوجِبُ الْفُرْقَةَ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاعَدَةَ ، وَالانْبِسَاطُ يُوجِبُ الْمُؤَانَسَةَ ، وَالانْقِبَاضُ يُوجِبُ الْوَحْشَةَ ، وَالْكِبْرُ يُوجِبُ الْمَقْتَ ، وَالتَّوَاضُعُ يُوجِبُ الْمِقَةَ [1] ، وَالْجُودُ يُوجِبُ الْحَمْدَ ، وَالْبُخْلُ يُوجِبُ الْمَذَمَّةَ ، وَالتَّوَانِى يُوجِبُ التَّضْيِيعَ ، وَالْجِدُّ يُوجِبُ رَجَاءَ الأَعْمَالِ ، وَالْهُوَيْنَى تُوجِبُ الْحَسْرَةَ [2] ، وَالْحَزْمُ يُوجِبُ السُّرُورَ ، وَالتَّغْرِيرُ [3] يُوجِبُ النَّدَامَةَ ، وَالْحَذَرُ يُوجِبُ الْعُذْرَ ، وَإِصَابَةُ التَّدْبِيرِ تُوجِبُ بَقَاءَ النِّعْمَةِ ، وَبِالتَّأَنِّى تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ ، وَبِلِينِ كَنَفِ [4] الْمُعَاشَرَةِ تَدُومُ الْمَوَدَّةُ ، وَبِحِفْظِ الْجَانِبِ تَأْنَسُ النُّفُوسُ ، وَبِسَعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ .

وَالاسْتِهَانَةُ تُوجِبُ التَّبَاعُدَ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ [5] ، وَعَدْلُ الْمَنْطِقِ يُوجِبُ الْجَلالَةَ [6] ، وَبِالنَّصَفَةِ تَكْثُرُ الْمُوَاصَلَةُ [7] ، وَبِالإِفْضَالِ يَعْظُمُ الْقَدْرُ ، وَبِصَالِحِ الأَخْلاقِ تَزْكُو [8] الأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ [9] ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ يَكْثُرُ [10] أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ ، وَبِالرِّفْقِ وَالتُّؤَدَةِ [11] تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرَمِ ، وَبِتَرْكِ مَالا يَعْنِيكَ يَتِمُّ لَكَ الْفَضْلُ .

---

(١) الْمِقَةُ : المَحَبَّة .
(٢) فى « م » : « يُوجب الحسرة » . والهُوَيْنَى هنا بمعنى المهانة والذِّلَّة ، وهى تصغير « الهُونَى » .
(٣) التَّغْرِيرُ : التَّعَرُّض للهلَكة .
(٤) الكَنَفُ : جانب الشئ .
(٥) فى « م » : « تكثر الهيبة » .
(٦) فى « م » : « وبعَدْلِ المنطق تُحَبُّ الجلالة » .
(٧) أى : وبالإنصاف يكثر الإحسانُ والوِصَالُ .
(٨) تزكو : تزيد وتنمو .
(٩) المُؤَنُ : الأقوات . واحتمال المُؤَن : تقديم الكفاية منها لِمَن يحتاج إليها . والسؤدد : السيادة والمجد والشرف .
(١٠) فى « ط » : تكثر .
(١١) فى « م » : « وبالرِّفق والتودُّد » .

وَاعْلَمْ أَنَّ السِّيَاسَةَ تَكْسُو أَهْلَهَا الْمَحَبَّةَ ، وَالْفَظَاظَةَ تَخْلَعُ عَنْ صَاحِبِهَا [١] ثَوْبَ الْقَبُولِ . وَمِنْ صِغَرِ الْهِمَّةِ الْحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى النِّعْمَةِ ، وَالنَّظَرُ فِى الْعَوَاقِبِ نَجَاةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَحْلُمْ [٢] نَدِمَ ، وَمَنْ صَبَرَ غَنِمَ ، وَمَنْ سَكَتَ سَلِمَ ، وَمَنْ خَافَ حَذِرَ [٣] ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ ، وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ ، وَمَعَ التَّأَنِّى السَّلَامَةُ .

زَارِعُ الْبِرِّ [٤] يَحْصُدُ السُّرُورَ .. صَاحِبُ الْعَاقِلِ مَغْبُوطٌ [٥] .. صَدِيقُ الْجَاهِلِ تَعِبٌ [٦] .. إِذَا جَهِلْتَ فَاسْأَلْ ، وَإِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدَمْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَاقْلِعْ [٧] ، وَإِذَا أَفْضَلْتَ فَاكْتُمْ [٨] ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَأَجْمِلْ [٩] ، وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَجْزِلْ [١٠] ، وَإِذَا غَضِبْتَ [١١] فَاحْلُمْ .. مَنْ بَدَأَكَ بِبِرِّهِ فَقَدْ شَغَلَكَ بِشُكْرِهِ .. الْمُرُوآتُ كُلُّهَا تَبَعٌ لِلْعَقْلِ .. الرَّأْىُ تَبَعٌ لِلتَّجْرِبَةِ .. الْعَقْلُ أَصْلُهُ التَّثَبُّتُ ، وَثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ .. وَالتَّوْفِيقُ أَصْلُهُ الْعَقْلُ ، وَثَمَرَتُهُ النُّجْحُ [١٢] ، وَالتَّوْفِيقُ وَالاجْتِهَادُ زَوْجَانِ ، فَالاجْتِهَادُ [١٣] سَبَبٌ ، وَالتَّوْفِيقُ يَنْجَحُ بِالاجْتِهَادِ [١٤] ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ**

---

(١) فى « م » : « تخلع صاحبها » .
(٢) يَحْلُمُ : يسكن ويتأنى عند الغضب .
(٣) حَذِرَ : تيقَّظَ واستَعَدَّ .
(٤) فى « م » : « زارع الصبر » .
(٥) مَغْبُوطٌ : حالُهُ حَسَنَة يَغْبِطُه الناسُ عليها .
(٦) فى « م » : « متعوب » لا تصح . وقد سبق التعليق عليها .
(٧) فَاقْلِعْ : أى فكُفَّ عن الأمر الذى جعلك تندم .
(٨) أفضَلْتَ : أى أحْسَنْتَ إلى إنسان .
(٩) فَأَجمِلْ : أى فأحْسِنْ .
(١٠) أجزِلْ : أوْسِعْ وأكْثِرْ .
(١١) فى « م » : عصيت .
(١٢) النُّجْحُ : النجاح .
(١٣) فى « م » : والاجتهاد .
(١٤) فى « ط » : الاجتهاد .

سُبُلَنَا﴾ [١] . فَالأَعْمَالُ [٢] كُلُّهَا تَبَعٌ لِلْمَقْدُورِ .

وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعِ كُتُبٍ .. مِنَ التَّوْرَاةِ : مَنْ قَنَعَ شَبِعَ . وَمِنَ الزَّبُورِ [٣] : مَنْ سَكَتَ سَلِمَ . وَمِنَ الإِنْجِيلِ : مَنِ اعْتَزَلَ نَجَا [٤] . وَمِنَ الْقُرْآنِ : **﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [٥] .

الْحِلْمُ شَرَفٌ ، وَالصَّبْرُ ظَفَرٌ [٦] ، وَالْمَعْرُوفُ كَنْزٌ ، وَالْجَهْلُ سَفَهٌ ، وَالأَيَّامُ دُوَلٌ ، وَالدَّهْرُ غِيَرٌ [٧] ، وَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَمَأْخُوذٌ بِعَمَلِهِ .. اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يُكْسِبُ الْحَمْدَ .. أَكْرِمُوا الْجَلِيسَ يَعْمُرْ نَادِيكُمْ .. أَنْصِفُوا مِنْ نُفُوسِكُمْ يُوثَقْ بِكُمْ .. إِيَّاكُمْ وَالأَخْلاَقَ الدَّنِيئَةَ ، فَإِنَّهَا تُضَيِّعُ الشَّرَفَ ، وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ .. نَهْنَهَةُ الجَاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جَرِيرَتِهِ [٨] .. رَأْسُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقَالَهَا .

وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : لا تُحَمِّلْ بَطْنَكَ مَالاَ تُطِيقُ [٩] ، وَلَا تَعْمَلْ عَمَلًا لا يَنْفَعُكَ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِإِمْرَةٍ [١٠] ، وَلَا تَثِقْ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ .

* * *

(١) سورة العنكبوت – من الآية ٦٩ .
(٢) فى « ط » : والأعمال .
(٣) الزَّبُورُ : الكتاب المَزْبُور ، أى الذى أُتْقِنَتْ كِتابتُه ، وغلب على صُحف داود عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وآتينا دَاوُدَ زبورًا ﴾ . « سورة النساء – من الآية ١٦٣ » .
(٤) فى « م » : « مَنْ سكت نجا » .
(٥) سورة آل عمران – من الآية ١٠١ . وفى « ط » : « ومَن اعتصَمَ » . مخالف للآية .
(٦) ظَفَرٌ : فَوْزٌ ونَوالٌ .
(٧) الأيامُ دُوَلٌ : تدور وتنتقل من حالٍ إلى حال . وغِيَرُ الدهر : أحوالُه وأحداثُه المُتَغيِّرة أيضًا .
(٨) النَّهْنَهَةُ : الصِّياح والزَّجْر . والجريرة : الجناية والذنب .
(٩) فى « م » : « لاتُحمِّل ظَنَّك ما لا يطيق » .
(١٠) فى « م » : بامرأة .

البَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ

فِيمَا يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ .. وَهِيَ الطَّاعَةُ (*)

قَالَ مَلِكُ فَارِسَ لِمُوبَذَانِ مُوبَذَ : مَا شَيْءٌ وَاحِدٌ يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ : الطَّاعَةُ . قَالَ : فَمَا مِلَاكُ الطَّاعَةِ (1) ؟ قَالَ : التَّوَدُّدُ إِلَى الْخَاصَّةِ ، وَالْعَدْلُ عَلَى الْعَامَّةِ . قَالَ : صَدَقْتَ . الأَمَانَةُ مَعْقِلُ (2) الطَّاعَةِ ، وَالطَّاعَةُ زِينَةُ الْمُلْكِ (3) . وَكَانَ يُقَالُ : طَاعَةُ السُّلْطَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجهٍ : عَلَى الرَّغْبَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ ، وَالدِّيَانَةِ .. وَلَمَّا دَخَلَ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ (4) عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ حِمْيَرٍ (5) قَالَ لَهُ : يَا سَعْدُ ، مَا صَلَاحُ الْمُلْكِ ؟

(*) فى « م » : « فى بيان معرفة السلطان .. وهى الطاعة » .

(1) فى « م » : « ملال » تحريف .. وَمِلَاكُ الطاعة ، بفتح الميم وبكسرها : قِوامُها وخلاصتها .

(2) المَعْقِل : الملجأ والحِصْن ، وجَمعُه : مَعَاقِل .

(3) فى « م » : « زينة المِلَّة » . والمِلَّة : الشريعة أو الدين .

(4) هو : سعد العشيرة بن مَذْحج — وفى الأعلام : ابن مالك — بن أُدَد ، من كهلان ، من القحطانية ، من رجالات العرب فى الجاهلية ، وبنوه عِدَّةُ بُطون : الحكم ، وصعب ، وجُعْفِىّ ، وزيد الله ، وتَيْمَرة ، وجسر ، وعائذ الله . وسُمِّىَ « سعد العشيرة » لأنه كان يركب ومعه أبناؤه ، وأبناء أبنائه ، وهم نحو مائة رجل ، فإذا سُئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتى .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٦ ، والمعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وثمار القلوب ص ١٠٤] .

(5) حِمْيَر : أبو قبيلة من اليمن ، وهو حِمْيَرُ بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَانَ . وقيل : هو من ملوك اليمن فى الجاهلية ، وإليه تنتمى القبيلة ، ومدينة « ظفار » كانت له .

[انظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط مادة : حمر .. ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧] .

قَالَ : مَعْدِلَةٌ شَائِعَةٌ ، وَهَيْبَةٌ وَازِعَةٌ [١] وَرَعِيَّةٌ [٢] طَائِعَةٌ . فَإِنَّ فى المَعْدِلَةِ حَيَاةَ الأَنَامِ ، وَفِى الْهَيْبَةِ نَفْىَ الظُّلَامِ ، وَفِى طَاعَةِ الرَّعِيَّةِ التَّأَلُّفَ [٣] وَالإِلْتِيَامَ .

طَاعَةُ الأَئِمَّةِ فَرْضٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ [٤] طَاعَةَ السُّلْطَانِ مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللهِ .. اتَّقُوا اللهَ بِحَقِّهِ [٥] ، وَالسُّلْطَانَ بِطَاعَتِهِ [٦] . مِنْ إِجْلَالِ اللهِ [تَعَالَى] [٧] إِجْلَالُ السُّلْطَانِ – عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا .. الطَّاعَةُ تُؤَلِّفُ شَمْلَ الدِّينِ ، وَتُنَظِّمُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ .. عِصْيَانُ الأَئِمَّةِ يَهْدِمُ أَرْكَانَ الْمِلَّةِ . أَوْلَى النَّاسِ بِطَاعَةِ السُّلْطَانِ وَمُنَاصَحَتِهِ أَهْلُ الدِّينِ وَالنِّعَمِ وَالْمُرُوآتِ ، إِذْ لا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ [٨] ، وَلَا تَكُونُ النِّعَمُ وَالْحُرَمُ مَحْفُوظَةً إِلَّا بِهِ .. الطَّاعَةُ مِلَاكُ الدِّينِ .. الطَّاعَةُ مَعَاقِلُ [٩] السَّلَامَةِ ، وَأَرْفَعُ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ الطَّرِيقَةُ الْمُثْلَى ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى قِوَامُ الأُمَّةِ [١٠] ، وَقِيَامُ السُّنَّةِ بِطَاعَةِ الأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ [١١] مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ .. طَاعَةُ الأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وَحِرْزٌ [١٢] لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا .

وَلَيْسَ لِلرَّعِيَّةِ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَى الأَئِمَّةِ فى تَدْبِيرِهَا ، وَإِنْ سَوَّلَتْ لَهَا أَنْفُسُهَا ، بَلْ عَلَيْهَا الانْقِيَادُ ، وَعَلَى الأَئِمَّةِ الاجْتِهَادُ .. بِالطَّاعَةِ تَقُومُ الْحُدُودُ ، وَتُؤَدَّى الْفَرَائِضُ ، وَتُحْقَنُ

---

(١) المَعْدِلَة ، بكسر الدال وفتحها : العدل والاستقامة . ووازعةٌ : زاجِرَةٌ ومانعة .
(٢) فى « م » : « رغبة » بدل « رعية » تحريف .
(٣) التَّألُّف : استمالة القلوب بالمَوَدَّة والإحسان . وفى « م » : « التأليف » أى : الاجتماع والتَّحابّ .
(٤) « كما أنَّ » عن « ط » .
(٥) فى « م » : لِحَقِّه .
(٦) فى « م » : لِطاعَته .
(٧) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٨) فى « م » : « إلاَّ بسلطان » .
(٩) فى « ط » : « معاقد » أى : منازل : جمع مَعْقِد .
(١٠) أى : عِمَاد الأُمَّة ونظامها يقومان على ما يُسْتَمْسَكُ به ويُعْتَصَمُ من أُمور العقيدة المُحْكَمة والدين الحنيف .
(١١) فى « ط » : « الطَّاعة عِصْمَة » .
(١٢) فى « م » : « وجَوْر » تحريف .

الدِّمَاءُ ، وَتُأْمَنُ السُّبُلُ (١) .. الإِمَامَةُ (٢) عِصْمَةٌ لِلْعِبَادِ ، وَحَيَاةٌ لِلْبِلَادِ ، أَوْجَبَ اللهُ لِمَنْ خَصَّهُ بِفَضْلِهَا وَحَمَّلَهُ أَعْبَاءَهَا (٣) الطَّاعَةَ ، فَقَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ (٤) .. طَاعَةُ الأَئِمَّةِ هُدًى لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِنُورِهَا ، وَمَوْئِلٌ (٥) لِمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا .. الْخَارِجُ (٦) مِنَ الطَّاعَةِ مُنْقَطِعُ الْعِصْمَةِ ، بَرِيءٌ مِنَ الذِّمَّةِ ، مُبَدِّلٌ بِالْكُفْرِ النِّعْمَةَ (٧) .. طَاعَةُ الأَئِمَّةِ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، وَدِينُهُ الْقَوِيمُ ، وَجُنَّتُهُ الْوَاقِيَةُ ، وَكِفَايَتُهُ العَالِيَةُ .

إِيَّاكُمْ وَالْخُرُوجَ عَنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَحْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا غِشَّ الأَئِمَّةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالإِخْلَاصِ وَالنَّصِيحَةِ .. مَا مَشَى قَوْمٌ إِلَى سُلْطَانٍ لِيُذِلُّوهُ إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا .. الطَّاعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْمَحَبَّةِ .. طَاعَةُ الْمَحَبَّةِ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الْهَيْبَةِ .. لِلرَّعِيَّةِ عَلَى السُّلْطَانِ الاسْتِصْلَاحُ لَهُمْ ، وَالتَّعَهُّدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحُسْنُ السِّيرَةِ فِيهِمْ ، وَالْعَدْلُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ ، وَحَقُّ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ (٨) الطَّاعَةُ ، وَالاسْتِقَامَةُ ، وَالشُّكْرُ . وَالْمَحَبَّةُ بِالرَّعِيَّةِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّاعِي مَا لَيْسَ بِالرَّاعِي مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ .. لَوْلَا الرُّعَاةُ هَلَكَتِ الرَّعِيَّةُ ، وَلَوْلَا الْمُسِيمُ هَلَكَتِ السَّوَائِمُ (٩) .

* * *

---

(١) فى « م » : « ويأمل » باللام . تحريف . والسُّبُل : الطُّرُق ، جمع سبيل ، ويُطلق على الطريق المسلوك .
(٢) فى « م » : « الطاعة » بدل « الإمامة » .
(٣) فى « م » : « خصَّه فَضْلها ، وحمَّله عِبْأها » .
(٤) سورة النساء ــ من الآية ٥٩ .
(٥) مَوْئِل : مَلْجأ .
(٦) فى « م » : « الخروج » .
(٧) الصواب لُغةً أن يقال : « مُبَدِّل الكُفْرَ بالنعمة » فالباء تدخل على المتروك .
(٨) فى « م » : « على الرَّعِيَّة » .
(٩) المُسِيمُ : الرَّاعى .. والسوائم : جمع سائمة ، وتُطْلَقُ على الإبل والماشية التى تُرْسَلُ للرَّعْي ولا تُعْلَف . وفى « م » : « ولولا المُسِيمُ هَلَكَ السُّوَّامُ » .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ
فِى مِلَاكِ أُمُورِ السُّلْطَانِ

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَحْرُزَانِ الْمُلْكَ (١) . وَقَالَ زِيَادٌ (٢) : مِلَاكُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : الشِّدَّةُ عَلَى الْمُذْنِبِ ، وَالْمُجَازَاةُ لِلْمُحْسِنِ ، وَصِدْقُ الْقَوْلِ . وَلَمَّا غَزَا سَابُورُ ذُو الأَكْتَافِ (٣) مَلِكَ الرُّومِ ، وَأَخْرَبَ بِلَادَهُ ، وَقَتَلَ جُنْدَهُ ، وَأَفْنَى بَطَارِقَتَهُ (٤) قَالَ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ وَأَخْرَبْتَ ، فَأَخْبِرْنِى ، مَا الأَمْرُ الَّذِى تَشَبَّثْتَ (٥) بِهِ حَتَّى قَوِيتَ عَلَى مَا أَرَى ، وَبَلَغْتَ فِى السِّيَاسَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ

---

(١) يَحْرُزَان المُلْكَ : يصونانه ويحفظانه .

(٢) هو : زياد بن أبيه ، أمير من الدُّهاة ، ومن القادة الفاتحين ، من أهل الطَّائف . اختلفوا فى اسم أبيه ، فقيل : عبيد الثقفى ، وقيل : أبو سفيان ، وأُمّه سُمَيَّة ، جارية الحارث بن كَلَدة الثقفى .. أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وأسلم ، فى عهد أبى بكر ، وكان كاتبًا للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبى موسى الأشعرى أيام إمْرَته على البصرة ، ثم ولاَّه علىٌّ بن أبى طالب إمْرَةَ فارس ، ولَمَّا توفى علىٌّ امتنع زياد على معاوية ، وتحصن فى قلاع فارس . وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبى سفيان) فكتب إليه بذلك ، فقدم زياد عليه ، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى ، وولّاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، فلم يزل فى ولايته إلى أن توفى سنة ٥٣ هـ . وكان خطيبًا فصيحًا . وأخباره كثيرة فى كتب التاريخ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٣ والمعارف ص ٢٨٨ وغيرها من الصفحات ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧] .

(٣) هو : سابور بن هرمز ، و « ذو الأكتاف » لقبٌ له ، وقيل : لُقِّبَ بذلك لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب . ولد سنة ٣١٠ ميلادية وتوفى سنة ٣٧٩ م .

[انظر ترجمته فى المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٦ – ٦٥٩] .

(٤) فى « م » : « بَطارِكَتَهُ » بالكاف . وكلاهما صواب .

(٥) فى « م » : « شثت » تحريف من الناسخ .

مَلِكٌ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُضْبَطُ [١] الأَمْرُ بِمِثْلِهِ أَدَّيْتُ إِلَيْكَ الْخَرَاجَ ، وَصِرْتُ كَبَعْضِ الرَّعِيَّةِ فِى الطَّاعَةِ لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ سَابُورُ : إِنِّى لَمْ أَزِدْ فِى السِّيَاسَةِ عَلَى ثَمَانِ خِصَالٍ : لَمْ أَهْزِلْ فِى أَمْرٍ وَلَا نَهْىٍ ، وَلَمْ أُخْلِفْ فِى وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ [٢] ، وَوَلَّيْتُ أَهْلَ الْكِفَايَةِ ، وَأَثَبْتُ عَلَى الْعَنَاءِ لا عَلَى الْهَوَى ، وَضَرَبْتُ لِلأَدَبِ لا لِلْغَضَبِ ، وَأَوْدَعْتُ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ جُرْأَةٍ ، وَالْهَيْبَةَ مِنْ غَيْرِ ضَغِينَةٍ [٣] ، وَعَمَمْتُ بِالْقُوتِ [٤] ، وَمَنَعْتُ الْفُضُولَ [٥] . فَأَذْعَنَ لَهُ ، وَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَرَاجَ .

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ [٦] بِسِيرَتِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّى أَيْقَظْتُ رَأْيِى وَأَنَمْتُ هَوَاىَ ، وَأَدْنَيْتُ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ فِى قَوْمِهِ ، وَوَلَّيْتُ الْحَرْبَ الْحَازِمَ فِى أَمْرِهِ ، وَقَلَّدْتُ الْخَرَاجَ الْمُوفِىَ لأَمَانَتِهِ [٧] ، وَقَسَمْتُ لِكُلِّ خَصْمٍ مِنْ نَفْسِى قَسْماً يُعْطِيهِ حَظًّا [٨] مِنْ نَظَرِى وَلَطِيفِ عِنَايَتِى ، وَصَرَفْتُ [٩] السَّيْفَ إِلَى الْبَطِرِ [١٠] وَالْمُسِىءِ ، فَخَافَ الْمُذْنِبُ صَوْلَةَ الْعِقَابِ [١١] ، وَتَمَسَّكَ الْمُحْسِنُ بِحَظِّهِ مِنَ الثَّوَابِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ [١٢] : إِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصِّناً لِسِرِّهِ ، بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُعْرَفَ مَا فِى

---

(١) فى « م » : « ما يضبط » .

(٢) الوَعْدُ : يستعمل فى الخير والشر . وقيل : الوعد يُستعمل فى الخير ، لأنه حاصل عن كرم ، والوعيد فى الشر ، لأنه حاصل عن غضب .

(٣) ضغينة : حقد .

(٤) عَمَمْتُ : شَمِلْتُ . يقال : عَمَّ القومَ بالعطية : شَمِلَهُم .

(٥) الفُضُول : جمع فَضْل ، وهو الزيادة . وأذْعَنَ : انقادَ .

(٦) فى « م » : « يكتب إليه » .

(٧) قلّدتُ الخراج المُوفِىَ لأمانته : فَوَّضْتُ أمْرَهُ لِلَّذِى يُؤَدِّى حَقَّه ويوفيه .

(٨) قسمْتُ قَسْمًا : خَصَّصْتُ جُزءًا .. والحَظُّ : النصيب .

(٩) صَرَفْتُ السيفَ : رَدَدْتُهُ عن وجهه .. وفى « ط » : « وصُرِفَ » .

(١٠) البَطِر : الذى ينكر الحقَّ ولم يقبله .

(١١) صَوْلَةُ العِقاب : شِدَّتُه .

(١٢) هو : أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى البصرى ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ، وُلِدَ بالبصرة سنة ١١٠ هـ ، واستقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ ، وقرأ عليه أشياء من كُتبه .

=

نَفْسِهِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْوُزَرَاءِ ، مَهِيبًا [١] فى أَنْفُسِ العَامَّةِ ، مُكَافِئاً بِحُسْنِ الْبَلَاءِ ، لا يَخَافُهُ الْبَرِىءُ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْمُجْرِمُ [٢] ، كَانَ خَلِيقاً لِبَقَاءِ مُلْكِهِ .

* * *

= قال عنه الجاحظ : « لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم منه » . وكان شعوبيًّا .

وقال ابن قتيبة : « كان يبغض العرب ، وصنَّف فى مثالبهم كتبًا ، وكان مع سعة علمه ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه » . وكانت وفاته بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٢٧٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٥ – ٢٤٣ ، وإنباه الرواة ج ٣ ص ٢٧٦ – ٢٨٧ ، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢ – ٢٥٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٤ – ١٦٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ، ٢٥] .

(١) مَهِيبًا : مُعَظَّمًا .

(٢) فى « م » : « الظالم المجرم » .

الْبَابُ السَّابِعَ عَشَرَ
فِى خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ

أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ كَانَ شِرْكَةً (١) بَيْنَ الرَّعَايَا ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ [فِيهِ] (٢) قِسْطُهُ ، لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ، لا يَطْمَعُ الْقَوِىُّ فِى حَيْفِهِ (٣) ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ . كَانَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَأْخُذُ بِيَدِ الأَمَةِ حَتَّى يَقْضِىَ حَاجَتَهَا (٤) .

وَفِى حِكَمِ الْهِنْدِ : أَفْضَلُ السُّلْطَانِ ، مَنْ أَمِنَهُ الْبَرِىءُ وَخَافَهُ الْمُجْرِمُ . وَشَرُّ السُّلْطَانِ ، مَنْ خَافَهُ الْبَرِىءُ وَأَمِنَهُ الْمُجْرِمُ . وَقَالَ عُمَرُ لِلْمُغِيرَةِ (٥) لَمَّا وَلَّاهُ الْكُوفَةَ :

---

(١) فى « م » : شُكْرَهُ .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .. وقسطُه : حظُّه ونصيبه .

(٣) « فى حَيْفِهِ » عن « ط » وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ . والحَيْف : الجَوْرُ والظُّلم .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « تأخذ بيده الأَمَةُ مِنْ إماءِ المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى تقضى حاجتها » . والأَمَة : المرأة المملوكة ، خلاف الحُرَّة .

(٥) عمر ، هو : عمر بن الخطاب . وقد سبقت ترجمته ..

والمغيرة هو : المُغيرة بن شُعْبَة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أبو عبدالله ، أحد دُهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، صحابىٌّ ، وكان يُقال له : « مغيرة الرأى » . وُلد فى الطَّائف سنة ٢٠ قبل الهجرة ، وغادرها فى الجاهلية مع جماعة من بنى مالك ، فدخل الإسكندرية وافدًا على المقوقس ، وعاد إلى الحجاز ، فلما ظهر الإسلام تردَّدَ فى قبوله ، ثم أسلم سنة ٥ هـ . وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، وشهد القادسية ونهاوند وهمذان ، وغيرها . ولَّاه عمر بن الخطاب على البصرة ففتح عدة بلاد ، وعزله ، ثم ولَّاه الكوفة ، وأقرَّه عثمان على الكوفة ، ثم عزله ، ولما حدثت الفتنة بين علىٍّ ومعاوية اعتزلها المغيرة ، وحضر مع الحكَمَيْن . ثم ولَّاه معاوية الكوفة ، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج٧ ص٢٧٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، والمحبر ص ١٨٤ والمعارف ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

يَا مُغِيرَةُ ، لِيَأْمَنْكَ الأَبْرَارُ ، وَلِيَخفْكَ (١) الْفُجَّارُ . وَفِي حِكَمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : شَرُّ الْمَالِ مَالٌ لا يُنفَقُ مِنْهُ ، وَشَرُّ الإِخْوَانِ الْخَاذِلُ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيءُ ، وَشَرُّ الْبِلَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ (٢) خِصْبٌ وَلَا أَمْنٌ ، وَخَيْرُ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجِيَفُ لا مَنْ أَشْبَهَ الْجِيفَةَ وَحَوْلَهَا (٣) النُّسُورُ . وَعَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَالُوا : سُلْطَانٌ تَخَافُهُ الرَّعِيَّةُ خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَخَافُهَا . وَفِي الأَمْثَالِ العَامَّةِ : رَهَبُوتٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ رَحَمُوتٍ (٤) . وَكَانَ يُقَالُ : شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَالْبُخْلُ عِنْدَ الإِعْطَاءِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثَلاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ (٥) : جَارٌ مُلازِمٌ ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا ، وَامْرَأَةٌ إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا لسَنَتْكَ (٦) ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا . وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدْكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلَكَ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : مَتَى أَضِلُّ وَأَنَا أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ (٧) : إِذَا مَلَكَتْكَ أُمَرَاءُ ، إِنْ أَطَعْتَهُمْ أَذَلُّوكَ ، وَإِنْ عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ (٨) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : السُّلْطَانُ سُوقٌ ، مَا نَفَقَ (٩) عِنْدَهُ أُتِيَ بِهِ .

وَفِي كِتَابِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ (١٠) النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا القَلِيلَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْبِرِّ

---

(١) فى « ط » : لِتَخَفْكَ .

(٢) فى « م » : « وشر البلاد بلد ليس فيه » .

(٣) فى « م » : « حولها » بدون « واو » .

(٤) الرَّهَبُوت : الرهبة . والرَّحَمُوت : الرحمة : والمعنى : لأن تُرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أن تُرْحَم .

(٥) الفَوَاقر : الدَّواهى ، مفردها : فاقرة .. وفى « م » : « المَفَاقِرُ » ومعناها : وجوه الفَقْرِ ، يقال : سَدَّ اللهُ مفاقِرَهُ ، أى : أغْنَاهُ .

(٦) لَسَنَتْكَ : عابَتْكَ بلسانها وذَكَرتْك بالسُّوء .. وفى « ط » : « ألسنتك » .

(٧) فى « م » : قال .

(٨) هو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن دينار ، وقد مرت ترجمته .

(٩) نَفَقَ : رَاجَ .

(١٠) هو كتاب « التاج » الذى ترجمه عن الفارسية ، وقد سبقت الإشارة إليه .

وَالْمُرُوءَةِ عِنْدَهُ نِفَاقٌ (١) فَسَيَكْسُدُ بِذَلِكَ الْفُجُورُ وَالدَّنَاءَةُ فى آفَاقِ الأَرْضِ (٢) . وَسَمِعَ زِيَادٌ رَجُلاً يَذُمُّ الزَّمَانَ (٣) فَقَالَ : لَوْ كَانَ يَدْرِى مَا الزَّمَانُ لَعَاقَبْتُهُ ، إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ السُّلْطَانُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لابنِ الْكَوَّاءِ (٤) : صِفْ لِى الزَّمَانَ . فَقَالَ : أَنْتَ الزَّمَانُ ، إِنْ تَصْلُحْ يَصْلُحْ ، وَإِنْ تَفْسُدْ يَفْسُدْ . وَالْمَثَلُ السَّائِرُ فى كُلِّ زَمَانٍ ، وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُحْذَرَ : الْعَدُوُّ الْفَاجِرُ ، وَالصَّدِيقُ الْغَادِرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ . وَقَالَ بُزُرْجمِهْرُ : أَدْوَمُ التَّعَبِ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ السَّيِّءِ الْخُلُقِ (٥) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا ابْتُلِيتَ بِصُحْبَةِ سُلْطَانٍ لا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَقَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ (٦) لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِى عَلَى الرَّعِيَّةِ فَهُوَ هَلَاكُ الدِّينِ ، وَأَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِى فَهُوَ هَلَاكُ الدُّنْيَا ، فَلَا حِيلَةَ لَكَ (٧) إِلَّا الْمَوْتُ أَوِ الْهَرَبُ مِنْهُ . وَقَالُوا : الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَالنَّهْرِ الصَّافِى (٨) يَنْتَفِعُ بِهِ الأَشْرَارُ وَالأَخْيَارُ ، وَلَا يَضُرُّ أَحَدًا ، وَالْمَلِكُ السُّوءُ مِثْلُ الْجِيفَةِ يُسْرِعُ إِلَيْهَا شِرَارُ الْحَيَوَانِ وَيَتَحَامَاهَا النَّاسُ (٩) .

* * *

---

(١) نِفَاق : جمع نَفَقَة ، وهى اسم من الإنفاق .

(٢) يَكْسُدُ الفجورُ والدَّناءةُ : يصيران كاسِدَيْن لا رَوَاجَ لهما ولا انتشار .

(٣) يَذُمُّ الزمانَ : يعيبه .

(٤) فى « م » : « لابن اللَّوَى » تحريف من الناسخ .

وابن الكَوَّاء هو : عبد الله بن عَمْرو بن النعمان ، من بنى يَشْكُر . عالِمٌ كبير ، ونَسَّابَةٌ مشهور . وقيل لأبيه الكَوَّاء لأنه كَوَى فى الجاهلية . وكان من أنصار علىٍّ ، وحارب معه فى صِفِّين ، ثم خرج عليه .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٨ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٥٣] .

(٥) الخُلُق : السَّجِيَّة . وفى « م » : « الخَلِيقَة » وهى : الطبيعة التى يُخْلَق المَرْء بها .

(٦) فى « م » : « بين خَيْرَتَيْنِ » .. والخيار : اسم بمعنى طلب خير الأمرين .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « له » . ولا يصح إرجاع الضمير هنا إلى الملك ، وإلا فسد المعنى .

(٨) فى « م » : « كالنهر الجارى الحانى » .

(٩) يتحاماها : يَتَجَنَّبها .

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ

فى مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ

رُوِىَ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَالَا يَزَعُ [(١)] بِالْقُرْآنِ » . مَعْنَاهُ [(٢)] : يَدْفَعُ . وَقَالَ كَعْبٌ [(٣)] : مَثَلُ الإِسْلَامِ وَالسُّلْطَانِ وَالنَّاسِ مَثَلُ الْفُسْطَاطِ وَالْعَمُودِ والأَطْنَابِ [(٤)] وَالأَوْتَادِ ، فَالْفُسْطَاطُ : الإِسْلَامُ ، وَالْعَمُودُ : السُّلْطَانُ ، وَالأَطْنَابُ [(٥)] وَالأَوْتَادُ : النَّاسُ ، لا يَصْلُحُ بَعْضُهُمْ إِلَّا بِبَعْضٍ .

وَقَالَ أُرْدَشِيرُ لابْنِهِ . يَابُنَىَّ ، إِنَّ الْمَلِكَ وَالدِّينَ أَخَوَانِ لا غِنَى لأَحَدِهِمَا عَنِ الآخَرِ ، فَالدِّينُ أُسٌّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، وَمَنْ لَمْ [(٦)] يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَهُوَ مَهْدُومٌ [(٧)] ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ . يَا بُنَىَّ اجْعَلْ حَدِيثَكَ مَعَ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ ، وَعَطِيَّتَكَ لأَهْلِ الْجِهَادِ ،

---

(١) فى « ط » : « يرعى » بدل « يَزَع » فى الموضعين .

(٢) فى « ط » : « معناه : أى » .

(٣) فى « م » : « قال » بحذف الواو . وكعب هو : كعب الأحبار ، وقد مرت ترجمته .

(٤) الفُسْطَاط : بيتٌ من شَعَرٍ ، ويُطلق أيضًا على المدينة التى فيها مُجْتَمَعُ الناس . والأَطنابُ : ما يُشَدُّ به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق .

(٥) سقطت كلمة « الأَطْنَاب » من « م » .

(٦) فى « ط » : « وما لَمْ» . والأُس : الأساس . وقد مرت .

(٧) فى « م » : « فَمَهْدُوم » .

وَبِشْرَكَ [١] لأَهْلِ الدِّينِ ، وَسِرَّكَ لِمَنْ عَنَاهُ مَا عَنَاكَ ، وَلْتَكُنْ [٢] مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ . وَكَانَ يُقَالُ : الدِّينُ وَالسُّلْطَانُ تَوْأَمَانِ [٣] .

* * *

(١) البِشْر : طلاقَة الوَجْه والسرور .

(٢) فى « م » : ولْيَكُن .

(٣) هكذا فى « م » و « ط » .. والصواب : تَوْأَم « أو تَوْءَم » ويُطلق على المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى مازاد ، ذكرًا كان أو أُنثى . والجمع : توائم .

البَابُ التَّاسِعَ عَشَرَ

فى خِصَالٍ جَامِعَةٍ لأمْرِ السُّلْطَانِ

قَالُوا : ظَفَرُ [1] الْمَلِكِ بِعَدُوِّهِ عَلَى حَسَبِ عَدْلِهِ فى رَعِيَّتِهِ ، وَنُكُوبُهُ [2] فى حُرُوبِهِ عَلَى حَسَبِ جَوْرِهِ فى عَسَاكِرِهِ ، وَإِصْلَاحُ الرَّعِيَّةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . وَقَالُوا : تَاجُ الْمَلِكِ عَفَافُهُ ، وَحِصْنُهُ إِنْصَافُهُ ، وَسِلَاحُهُ كُفَاتُهُ [3] ، وَمَالُهُ رَعِيَّتُهُ [4] . وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : لا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِحَّةَ مَعَ نَهَمٍ [5] ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبْرٍ [6] ، وَلَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا بِرَّ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ حِرْصٍ ، وَلَا وِلَايَةَ حُكْمٍ مَعَ عَدَمِ فِقْهٍ ، وَلَا سُؤْدُدَ مَعَ انْتِقَامٍ [7] ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ تَهَاوُنٍ وَجَهَالَةِ وِزَارَةٍ .

---

(١) الظَّفَرُ : الغَلَبة والقهر .

(٢) فى « م » : « ويكون » . والنُّكوبُ : المصائب ، مفردها : نَكْب .

(٣) كُفَاتُه : الذين تكون بهم الكفاية ويستغنى بهم عن غيرهم . وفى « ط » : « وسلاحه كفاءَته » بالهمز ، وهى : المماثلة فى القوة والشرف ، ومنها الكفاءة فى الزواج . أما الكفاءة بمعنى المقدرة أوحُسن التصرف ، فهى « مُوَلَّدة » لذا فالأولى هى المقصودة هنا .

(٤) فى « م » : « ومال رعيته » بالعطف على « كُفاته » .

(٥) النَّهَمُ : الإفراط فى الشهوة .

(٦) فى « ط » : « ولابناء » . والثناء : المدح . والْكِبْرُ : العظَمَة والتَّجَبُّر .

(٧) فى « م » : « أسقام » . تحريف . والسُّؤْدُد (بهمز وبغير همز) : السيادة والشرف .

وَلَمَّا وَلِى أَبُو بَكْرٍ [الصِّدِّيقُ] (١) رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لا أَحَدَ أَقْوَى عِنْدِى مِنَ الْمَظْلُومِ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَلَا أَضْعَفَ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . وَقِيلَ لِلإِسكَنْدَرِ : بِمَ نِلْتَ مَا نِلْتَ ؟ قَالَ : بِاسْتِمَالَةِ الأَعْدَاءِ ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الأَصْدِقَاءِ . وَقَالَ بُزُرْجَمِهْرُ : سُوسُوا أَحْرَارَ النَّاسِ بِمَحْضِ الْمَوَدَّةِ (٢) ، وَالْعَامَّةَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسِّفْلَةَ بِالْمَخَافَةِ . وقَالَ الْمُوبَذَانُ : السِّيَاسَةُ الَّتِى بِهَا صَلَاحُ الْمَلِكِ : الرِّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذُ الْحَقِّ مِنْهُمْ (٣) فى غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، وَسَدُّ الْفُرُوجِ (٤) ، وَأَمْنُ السُّبُلِ ، وَأَنْ يَنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، وَلَا يَحْمِلَ الْقَوِىُّ عَلَى الضَّعِيفِ .

وَقَالُوا : الْوَالِى مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، لا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ [وَكَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لابَقَاءَ لَهُ إِلا بِهِ] (٥) . وَبُعْدُ الْوَالِى مِنْ إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ مَعَ إِفْسَادِ نَفْسِهِ ، كَبُعْدِ الْجَسَدِ مِنَ البَقَاءِ (٦) بَعْدَ ذَهَابِ الرَّأْسِ . وَالسُّلْطَانُ خَلِيقٌ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ مِنْ ذَوِى النَّصِيحَةِ ، وَالتَّجَرُّعَ لِمَرَارَةِ قَوْلِهِمْ ، وَلَا يَنْبَغِى أَنْ يَحْسُدَ الْوُلَاةَ (٧) إِلَّا عَلَى حُسْنِ التَّدْبِيرِ ، وَلَا أَنْ يَكْذِبَ ، لأَنَّ أَحَدًا لا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَا أَنْ يَغْضَبَ ، لأَنَّ الْغَضَبَ وَالْقُدْرَةَ لِقَاحُ الشَّرِّ وَالنَّدَامَةِ ، وَلَا أَنْ يَبْخَلَ ، لأَنَّهُ أَقَلُّ النَّاسِ خَوْفاً مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَا أَنْ يَحْقِدَ ، لأَنَّ قَدْرَهُ جَلَّ عَنِ الْمُجَازَاةِ .

وَلَا يَنْبَغِى لِلْوَالِى أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَيْفَهُ فِيمَا يَكْتَفِى فِيهِ بِالسَّوْطِ ، وَلَا سَوْطَهُ فِيمَا يَكْتَفِى فِيهِ بِالْحَبْسِ ، وَلَا حَبْسَهُ فِيمَا يَكْتَفِى فِيهِ بِالْجَفَاءِ وَالْوَعِيدِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّى لا أَضَعُ سَيْفِىَ حَيْثُ يَكْفِينِى (٨) سَوْطِى ، وَلَا سَوْطِى حَيْثُ يَكْفِينِى لِسَانِى ، وَلَوْ أَنَّ بَيْنِى وَبَيْنَ

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٢) بِمَحْض المَوَدَّة ، أى : بالمَوَدَّةِ الخالصة .
(٣) فى « م » : « منه » أى : من المَلِك .
(٤) الفُرُوج : الثُّغُور التى يُخافُ منها تسلل العدو .
(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .
(٦) فى « ط » : « مع البقاء » .
(٧) سقطت « الولاة » من « ط » .
(٨) فى « م » : يكفى .

النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا مَدُّوها خَلَّيْتُهَا ، وَإِذَا خَلَّوْهَا مَدَدْتُهَا . وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ (١) : كَانَ مُعَاوِيَةُ كَالْجَمَلِ الطَّبِّ (٢) ، وَالْجَمَلُ الطَّبُّ هُوَ الْحَاذِقُ بِالشَّيْءِ (٣) ، لا يَضَعُ يَدَهُ إِلَّا حَيْثُ تُبْصِرُ عَيْنُهُ .

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَلِّمَ رَعِيَّتَهُ (٤) أَنَّهُ لا يُصَابُ خَيْرُهُ إِلَّا بِالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ . وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَعَ تَفَقُّدَ لَطِيفِ الأُمُورِ (٥) اتِّكَالًا عَلَى نَظَرِهِ فِي جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلَّطِيفِ مَوْقِعاً يَنْتَفِعُ بِهِ . وَقَدْ آتَى اللهُ [تَعَالَى] (٦) مُلْكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ (٧) ، ثُمَّ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ ؟ لأَنَّ التَّهَاوُنَ بِالْيَسِيرِ أَسَاسُ الْوُقُوعِ فِي الْكَثِيرِ (٨) .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْمَعْنَى وَأَجَادَ :

تَفَقُّـدُ السَّادَاتِ إِخْوانَهُـمْ ... فَضِيلَةٌ لا تُنْكِرُ السُّؤْدَدَا

هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَى مُلْكِهِ ... قَدْ قَالَ : مَالِي لا أَرَى الْهُدْهُدَا

---

(١) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ، الشَّعْبِيُّ ، الحميريُّ ، أبو عمرو ، كوفيٌّ جليل القَدْر ، وراوية مِنَ التَّابعين ، ويُضرب المثل بحفظه ، ولد سنة ١٩ هـ في أثناء خلافة عمر ، وقيل غير ذلك . وقيل : إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . اتصل عامر بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات ، واستقضاه عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه . واختلفوا في وفاته ما بين سنة ١٠٣ – ١٠٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢ – ١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٩ – ٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣١٠ – ٣٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٧ – ٢٣٤ ، والمعارف ٤٤٩ – ٤٥١] .

(٢) الطَّبُّ : الحَاذِقُ الماهر ، والرفيق الحكيم .

(٣) في « م » : « بِالمَشْي » .

(٤) في « م » : « يَعْلَم من رَعِيَّته » .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أمور الرعية » .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٧) في « م » : « عليه السلام » .

(٨) في « ط » : « الكبير » وما بعد ذلك ، من قوله : « وقال بعض المتأخرين ... » إلى نهاية البيتين من « م » وساقط من « ط » .

وَقَال (١) الشَّاعِرُ :

لا تَحْقِــرَنَّ شَبِيبًــا كَمْ جَرَّ شَرًّا شَبِيبُ (٢)

وَقَالُوا : أَصْلُ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَا تَدَعْ (٣) مُبَاشَرَةَ جَسِيمِ أَمْرِهِ ، فَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعٌ إِنْ غُفِلَ عَنْهُ تَفَاقَمَ ، وَلَا يُلْزِمُ نَفْسَهُ مُبَاشَرَةَ الصَّغِيرِ أَبَدًا فَيَضِيعُ الْكَبِيرُ . وَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ : وَلَّيْتُكَ حِجَابَتِي ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعٍ : الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ ، وَصَاحِبِ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ سَخَنُهُ فَسَدَ ، وَصَارِخِ اللَّيْلِ لِشَرٍّ دَهَاهُ ، وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ ، فَالتَّهَاوُنُ بِالْبَرِيدِ سَاعَةً يُخْرِبُ (٤) عَمَلَ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ (٥) يَقُولُ : لَأُعْمِلَنَّ اللِّينَ (٦) حَتَّى لا يَنْتَفِعَ إِلَّا بِالشِّدَّةِ (٧) ، وَلَأُكْرِمَنَّ مِنَ الْخَاصَّةِ مَا أَمِنْتُهُمْ عَلَى الْعَامَّةِ ، وَلَأُغْمِدَنَّ سَيْفِي حَتَّى يَسُلَّهُ الْحَقُّ ، وَلَأُعْطِيَنَّ حَتَّى لا أَرَى لِلْعَطِيَّةِ مَوْضِعاً . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ (٨) لَمَّا كَمُلَ مُلْكُهُ ، وَأَبَادَ

---

(١) فى « ط » : « وقد قال » .

(٢) الشَّبِيبُ : أول شبوب النار . يريد : أنَّ على الإنسان ألّا يستهين بالشيء الصغير ، فمُعْظَم النارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ .

(٣) فى « ط » : « ولا تَدَعْ » .

(٤) يَخْرِب : يُفْسِد .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو العباس ، أول خلفاء الدولة العباسية ، وأحد الجبارين الدُّهاة من ملوك العرب ، وُلِدَ سنة ١٠٤ هـ ، ونشأ بالشَّراة (بين الشام والمدينة) وقام بدعوته أبو مسلم الخراسانى ، مُقَوِّض عرش الدولة الأموية ، وبويع له بالخلافة فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ . وكان شديد العقوبة ، عظيم الانتقام ، تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس ، ولُقِّبَ بالسَّفاح لكثرة ما سفح من دمائهم . وبرغم ذلك فكان جوادًا بالمال ، فصيحاً ، عالماً ، وله كلمات مأثورة . مرض بالجدرى ومات شابًّا بالأنبار سنة ١٣٦ هـ ، وله اثنتان وثلاثون سنة .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٧ ، وابن الأثير ج ٤ حوادث سنة ١٣٢ ، ١٣٦ ودول الإسلام للذهبى ج ١ ص ٩١ – ٩٣ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣١١ – ٣١٤ ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ١١٦ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦ – ٥٣] .

(٦) أى : أَعْمَلُ به .

(٧) فى « م » : « حتى لا تنفع الشِّدَّة » .

(٨) فى « م » : « أزدشير » بالزاى المعجمة .. سبق التعليق عليها .

أَعْدَاءَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَحْكُمْ حَاكِمٌ عَلَى الْعُقُولِ كَالْعِبَرِ ، وَلَمْ يُحْكِمْهَا (١) مُحْكِمٌ كَالتَّجْرِبَةِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَجْمَعُ لِلْعَقْلِ مِنْ خَوْفِ حَاجَةٍ (٢) يَتَأَمَّلُ بِهَا صَفَحَاتِ حَالِهِ . وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللِّينُ فِى غَيْرِ ضُعْفٍ (٣) وَالْقُوَّةُ فِى غَيْرِ عُنْفٍ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِى الرَّشِيدُ : هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَاتٍ جَامِعَاتٍ لِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ ، يَقِلُّ لَفْظُهَا ، وَيَسْهُلُ حِفْظُهَا ، تَكُونُ لأَغْرَاضِهَا لَفْقًا (٤) ، وَلِمَقَاصِدِهَا وَفْقًا (٥) ، تَشْرَحُ الْمُسْتَبْهَمَ ، وَتُوضِحُ الْمُسْتَعْجَمَ ؟ (٦) . قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . دَخَلَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِهَا فَقَالَ لَهُ : إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لا تَزَالُ بِصَدْرِى مُخْتَلِجَةً (٧) ، وَمَا تَزَالُ الشُّكُوكُ عَلَيْهَا وَالِجَةً (٨) ، فَأَنْبِئْنِى بِمَا عِنْدَكَ فِيهَا . فَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ (٩) سَأَلْتَ خَبِيرًا ، وَاسْتَنْبَأْتَ بَصِيرًا ، وَالْجَوَابُ يَشْفَعُهُ (١٠) الصَّوَابُ ، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : مَا السُّؤْدُدُ ؟ قَالَ : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ (١١) . قَالَ : فَمَا الشَّرَفُ ؟ قَالَ : كَفُّ الأَذَى وَبَذْلُ النَّدَى (١٢) . قَالَ : فَمَا الْمَجْدُ ؟ قَالَ : حَمْلُ الْمَغَارِمِ (١٣) وَابْتِنَاءُ الْمَكَارِمِ . قَالَ :

---

(١) يُحكمها : يجعلها حكيمة . يُقال : أُحكمتِ التجاربُ فلانًا : جَعَلَتْهُ حكيمًا .

(٢) فى « ط » : « مِن خوفٍ وحاجة » .

(٣) الضُّعْف ، بفتح الضَّاد المعجمة فى لغة تميم ، وبضمها فى لغة قُريش : الهزال . والمراد بها هنا : التراخى .

(٤) أى : تصيب أهدافها ومقاصدها . وفى «م» : « لأغراضك » .

(٥) أى : مُوَافِقة للمُراد منها .

(٦) فى « م » : « السِّنْتِهم » بدل « المُستبهم » تصحيف من الناسخ .. والمُسْتَبْهَم : الغامض الذى يصعب إدراكه . والمستعجم : غير الواضح .

(٧) يُقال : اختلج فى صدرى كذا ، أى : خطَر مع شكٍّ ومُنَازَعة . وفى «م» : «مُعْتَلِجَة» أى : مجتمعة ومضطربة .

(٨) والِجَة : داخلة .

(٩) أَبَيْتَ اللَّعن : من تحية الملوك فى الجاهلية ، ومعناها : أَبَيْتَ أَنْ تأتىَ ما تُلْعَنُ عليه .

(١٠) يَشْفَعُه : يَتْبَعه .

(١١) الجَرِيرة : الجناية والذنب .

(١٢) النَّدَى : الخير ، والجود ، والسخاء .

(١٣) المَغَارِم : ما يلزم أداؤه من المال ، تأديبًا أو تعويضاً . (الغرامات) .

فَمَا الْكَرَمُ ؟ قَالَ : صِدْقُ الإِخَاءِ فِى الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ [١] . قَالَ : فَمَا الْعِزُّ ؟ قَالَ شِدَّةُ الْعَضُدِ وَكَثْرَةُ الْعَدَدِ [٢] . قَالَ : فَمَا السَّمَاحَةُ ؟ قَالَ : بَذْلُ النَّائِلِ [٣] وَحُبُّ السَّائِلِ . قَالَ : فَمَا الْغِنَى ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا يَكْفِى ، وَقِلَّةُ التَّمَنِّى . قَالَ : فَمَا الرَّأْىُ ؟ قَالَ : لُبٌّ [٤] تُعِينُهُ تَجْرِبَةٌ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَوْرَيْتَ زِنَادَ بَصِيرَتِى [٥] ، وَأَذْكَيْتَ نَارَ خِبْرَتِى [٦] فَاحْتَكِمْ . قَالَ : لِكُلِّ كَلِمَةٍ بِحَمَّةٍ [٧] . قَالَ هِىَ لَكَ . قَالَ الأَصْمَعِىُّ : فَقَالَ لِىَ الرَّشِيدُ : وَلَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ بَدْرَةٌ [٨] ، فَانْصَرَفْتُ بِثَمَانِينَ أَلْفًا .

وَكَانَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرَ فَيُكْرِمُهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : قَالَ : مَا أَفْضَلُ الْعَقْلِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ . قَالَ:مَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : وُقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ عِلْمِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمُرُوءَةِ ؟ قَالَ : اسْتِبْقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمَالِ ؟ قَالَ : مَا قُضِىَ بِهِ الْحُقُوقُ .

* * *

---

(١) « والرَّخاء » عن « م » وسقطت من « ط » .

(٢) فى « م » : « وثروة العدد » .. وشِدَّةُ العَضُد : القُوة .

(٣) بذل النائل : بذل العطاء عن طيب نفس .. وفى « م » : « نيل النائل » أى : إصابة العطاء .

(٤) لُبٌّ : عَقْل .

(٥) أَوْرَيْتَ : أَوْقَدْتَ ، والزِّنادُ ، جمع زَنْد ، وهو العود الذى تُقْدَح به النار . وتقول لِمَنْ أَنْجَدَكَ وأعانك : وَرَتْ بِكَ زِنادِى .

(٦) فى « ط » : « نار حيرتى » . وأَذْكَيْتَ : أَشْعَلْتَ .

(٧) هكذا فى « م » . والحَمَّةُ : الكريمة من الإبل .. وفى « ط » : « هَجْمَةٌ » وهى : العدد العظيم من الإبل لايبلغ المائة .

(٨) فى « م » : « لك » بدون واو . والبَدْرَةُ : كيسٌ فيه مقدارٌ مِنَ المال يُقَدَّمُ فى العطايا ، ويُتعامَل به ، ويختلف باختلاف العهود .

البَابُ الْمُوفِى عِشْرِينَ

فى الْخِصَالِ الَّتِى هِىَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ (١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا كَانَ أَحْوَجَنِى أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِى أَرْبَعَةٌ ، لا يَكُونُ عَلَى بَابِى أَعَفُّ مِنْهُمْ . قِيلَ : مَنْ هُمْ (٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : هُمْ أَرْكَانُ الْمُلْكِ ، لا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا بِهِمْ ، كَمَا أَنَّ السَّرِيرَ لا يَصْلُحُ إِلَّا بِأَرْبَعِ قَوَائِمَ ، فَإِنْ نَقَصَ قَائِمَةٌ وَاحِدَةٌ عَابَهُ ذَلِكَ : أَحَدُهُمْ قَاضٍ لا تَأْخُذُهُ (٣) فى اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ ، وَالآخَرُ صَاحِبُ شُرْطَةٍ يُنْصِفُ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِىِّ ، وَالثَّالِثُ صَاحِبُ خَرَاجٍ يَسْتَقْضِى (٤) وَلَا يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ، فَإِنِّى غَنِىٌّ عَنْ ظُلْمِهِمْ . ثُمَّ عَضَّ عَلَى أُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ فى كُلِّ مَرَّةٍ آهِ ، آهِ (٥) .

---

(١) فى « م » : « الباب الموفى عشرون فى معرفة الخصال ... » الموفى : المُتم ، من توفية العدد .. وقوله « عشرون » خطأ ، والصواب « عشرين » مفعول لاسم الفاعل « الموفى » .

(٢) فى « م » : « منهم » متصلة ، خطأ من الناسخ فى الرسم الإملائى .

(٣) فى « م » : « لا يأخذه » .

(٤) يستقضى : يطلب من الناس قضاء ما عليهم . وفى « ط » : « يستقصى » بالصاد المهملة . والأول أوْجَه .

(٥) فى « م » : « كل مَرَّةٍ يقول : آه » .

فَقِيلَ [١] : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : صَاحِبُ بَرِيدٍ يَأْتِينِى [٢] بِخَبَرِ هَؤُلَاءِ عَلَى الصِّحَّةِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : لا يَصْلُحُ الْوَالِى إِلَّا بِأَرْبَعِ خِصَالٍ ، إِنْ نَقَصَتْ وَاحِدَةٌ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْىٌ : قُوَّةٌ عَلَى جَمْعِ [٣] الْمَالِ مِنْ أَبْوَابِ حِلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فِى حَقِّهِ ، وَشِدَّةٌ لا جَبَرُوتَ فِيهَا ، وَلِينٌ لا وَهَنَ فِيهِ .

* * *

(١) فى « ط » : فقال .
(٢) فى « ط » : يكتب .
(٣) فى « م » : « جميع » تصحيف من الناسخ .

البَابُ الْحَادِى وَالْعِشْرُونَ
فى بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ (١) لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ (٢) ذَلِكَ ، فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بِزَوَالِهِمَا ، وَلَكِنْ يُعْجِبُكَ إِنْ أَكْرَمُوكَ (٣) لِأَدَبٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ دِينٍ .

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ - أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ حَاجَةً إِلَى الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ (٤) أَكْثَرُهُمْ عِيَالًا وَأَتْبَاعًا وَحَشَمًا [وَخَدَمًا] (٥) وَأَصْحَابًا ، وَالْخَلْقُ مُسْتَمِلُّونَ مِنَ السُّلْطَانِ مَالَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ السَّنِيَّةِ (٦) ، وَالطَّرَائِقِ الْعَلِيَّةِ ، مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِى الْأَحْكَامِ ، وَقَطْعِ التَّشَاجُرِ ، وَفَصْلِ الْخِصَامِ ، فَهُوَ أَحْوَجُ خَلْقِ اللهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ ، وَجَمْعِ الْحِكَمِ . وَشَخْصٌ بِلَا عِلْمٍ كَبَلَدٍ بِلَا أَهْلٍ ، وَكَشَجَرَةٍ بِلَا نَبَاتٍ (٧) . وَأَفْضَلُ مَا فِى السُّلْطَانِ خُصُوصًا ، وَفِى النَّاسِ عُمُومًا ، مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّحَلِّى بِهِ ، وَالشَّوْقُ إِلَى اسْتِمَاعِهِ ، وَالتَّعْظِيمُ لِحَمَلَتِهِ ،

---

(١) فى «م» : «السلطان» .
(٢) فى «م» : «يُعجبنَّك» .
(٣) فى «م» : «أكرمَكَ» . والضمير يعود إلى السلطان فى هامش رقم (١) .
(٤) فى «ط» : «إلى التَّفقُّه» .
(٥) ما بين المعقوفتين عن «م» فى الموضعين .
(٦) السَّنِيَّة : الرفيعة القَدْر .
(٧) قوله : «وكشجرة بلا نبات» عن «م» وساقط من «ط» .

فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ [١] ، وَبُعْدِهِ مِنَ الْبهِيمِيَّةِ [٢] ، وَمُضَاهَاتِهِ لِلْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَوْكِدِ [٣] مَا يَتَحَبَّبُ [٤] بِهِ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ خَالِيًا مِنَ الْعُلُومِ رَكِبَ هَوَاهُ ، وَأَضَرَّ بِرَعِيَّتِهِ ، كَالدَّابَّةِ بِلَا رَسَنٍ [٥] تَمُرُّ فِى غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَقَدْ تُتْلِفُ مَا تَمُرُّ بِهِ [٦] .

وَاعْلَمْ أَنَّ زَهْرَ الْفَضَائِلِ ، وَحُسْنَ الْمَنَاقِبِ ، وَبَهَاءَ الْمَجَالِسِ [٧] ، وَمَا ضَادَّ ذَلِكَ [٨] مِنْ قُبْحِ الْمَثَالِبِ [٩] ، وَفُحْشِ الرَّذَائِلِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَظْهَرُ عَلَيْكَ وَيَعْظُمُ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا أُوتِيتَهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ ، وَشَرَفِ الْحُظْوَةِ [١٠] ، فَيَكُونُ حُسْنُكَ أَحْسَنَ ، كَمَا يَكُونُ قُبْحُكَ أَقْبَحَ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ ، أَحْوَجَ إِلَى مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَصُحْبَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَدِرَاسَةِ كُتُبِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، وَمُطَالَعَةِ دَوَاوِينِ الْعُلَمَاءِ [وَمَجَامِعِ الْفُقَهَاءِ] [١١] ، وَسِيَرِ الْحُكَمَاءِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ [١٢] كَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ [١٣] لِمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَفَصْلِ خُصُومَاتِهِمْ ، وَتَعَاطِى حُكُومَاتِهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بَارِعٍ ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ ، وَبَصِيرَةٍ بِالْعِلْمِ

---

(١) «فيه» عن «ط» ولم يرد فى «م» .

(٢) فى «ط» : «البيمة» وهى : كل ذات أربع قوائم من دَوَابِّ البرِّ والبحر ، ما عدا السِّباع .. ومضاهاته : مشابهته .

(٣) وهو : أى العلم .. أَوْكد : أوْثَق وأحْكَم . وفى «م» : «آكد» على الإبدال .

(٤) فى «م» : تحَبَّبَ .

(٥) الرَّسَنُ : الحَبْل .

(٦) فى «م» : «عليه» . وكلاهما صواب ، يقال : مَرَّ به ، وعليه .

(٧) فى «ط» : «المحاسن» .

(٨) فى «م» : «وما صار من ذلك» صار : تصحيف من الناسخ .

(٩) المثالب : العيوب ، جمع مَثْلَبَة .

(١٠) الحُظْوَة ، بضم الحاء المهملة وكسرها : المحبة وعُلُوُّ الشأن عند الناس .

(١١) مابين المعقوفتين عن «ط» .

(١٢) فى «م» : «يكون» .

(١٣) فى «م» : «لِنَفْسِه» .. تصحيف .

وَدِرَاسَةٍ طَوِيلَةٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ لَوْ لَمْ يَعُدَّ لِهَذِهِ الأُمُورِ عِدَّتَهَا ، وَلَمْ يُقَدِّمْ لَهَا أُهْبَتَهَا [(١)] ؟

وَالثَّانِي : أَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ النَّاسِ لا يَعْدِمُونَ مَنْ يَنْكِرُ [(٢)] عَلَيْهِمْ وَيُعَارِضُهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَسَاوِيَهُمْ [(٣)] ، وَيُخَالِفُهُمْ فى مَذَاهِبِهِمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُمْ عَلَى رِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَرَاشِدَهُمْ [(٤)] .

وَمُنَاظَرَةُ الأَكْفَاءِ ، وَمُعَاشَرَةُ النُّظَرَاءِ تَلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ [(٥)] ، وَتَهْذِيبٌ لِلنُّفُوسِ [(٦)] ، وَتَدْرِيبٌ [(٧)] لِمَأْخَذِ الأَحْكَامِ ، بِخِلَافِ السُّلْطَانِ [(٨)] ، فَإِنَّ ارْتِفَاعَ دَرَجَتِهِ يَقْطَعُ عَنْهُ جَمِيعَ ذَلِكَ ، إِذْ لا يَلْقَاهُ وَلَا يُجَالِسُهُ إِلَّا مُعَظِّمٌ لِقَدْرِهِ ، مُبَجِّلٌ [(٩)] لِشَأْنِهِ ، وَسَاتِرٌ لِمَسَاوِيهِ ، وَمَادِحٌ لَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَوَابُهُ لَهُمْ صِدْقُ الأَمِيرِ . وَعَلَى قَدْرِ الْمَرْتَبَةِ يَكُونُ عُلُوُّ السَّقْطَةِ ، كَمَا أَنَّ عَلَى قَدْرِ ارْتِفَاعِ الْحَائِطِ [(١٠)] يَكُونُ صَوْتُ الْوَجْبَةِ [(١١)] .

* * *

---

(١) فى « م » : « ولَمْ يُهِمّ لها أُهْبَتها » والأُهْبَة : العُدَّة .

(٢) فى « م » : « يكرّ » أى : يَرُدُّ .

(٣) المَساوِى : المعايب والنقائص ، (لاتُهْمَز) قيل : لا واحد لها . وقيل : واحدها : سُوء – على غير قياس .

(٤) المراشِد : المقاصِد .

(٥) فى « ط » : « العقول » . وتلقيح العقول : تهذيبها واكتسابها الخبرة .

(٦) فى « ط » : « النفوس » .

(٧) فى « م » : « وتدرب » .

(٨) سقطت كلمة « السلطان » من « م » سهوًا من الناسخ .

(٩) مُبَجِّلٌ : مُعَظِّمٌ .

(١٠) فى « م » : « قدر الحائط » .

(١١) الوَجْبَةُ : صوت السَّاقط .

فصـــل

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَيسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يَأْمُرَ [١] بِتَقْوَى اللهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَجَلَّ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَقْبَلَ أَمْرَ اللهِ ، وَلَا أَرْفَعَ خَطرًا مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ حُكْمَ اللهِ ، وَلَا أَعْلَى شَأْنًا مِنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ اللهِ ، وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ [تَعَالَى] [٢] الْعِلْمُ الَّذِى وَصَفَ بِهِ – سُبْحَانَهُ – نَفْسَهُ ، وَتَمَدَّحَ بِسَعَتِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [٣] . وَالْكُرْسِيُّ هُوَ الْعِلْمُ ، وَالْكَرَاسِيُّ هُمُ الْعُلَمَاءُ . وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فَضِيلَةً فَرَغْبَةُ الْمُلُوكِ وَذَوِى الأَخْطَارِ وَالأَقْدَارِ وَالأَشْرَافِ وَالشُّيوخِ فِيهِ أَوْلَى ، لأَنَّ الْخَطَأَ فِيهِمْ أَقْبَحُ ، وَالابْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ .

حُكِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِىِّ [٤] دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِى الْفِقْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، مَا عِنْدَكَ فِيمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَغَلُونَا فِى الصِّغَرِ ، وَاشْتَغَلْنَا فِى الْكِبَرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِمَ لا تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ : أَوَ يَحْسُنُ بِمِثْلِى طَلَبُ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَاللهِ لأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ . قَالَ : وَإِلَى [٥] مَتَى يَحْسُنُ طَلَبُ [٦] الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَا حَسُنَتْ بِكَ الْحَيَاةُ [٧] .

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « يُؤْمَر » مكررة .

(٢) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٣) سورة البقرة – من الآية ٢٥٥ .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور العباسى ، الهاشمى ، أبو إسحاق ، ويقال له : ابن شكلة ، نسبة إلى أمِّه ، وكانت جارية سوداء . أخو هارون الرشيد ، وعم المأمون ، ولد فى بغداد سنة ١٦٢ هـ وولَّاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها ، فأقام فيها أربع سنين ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون ، كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبايعه كثيرون ببغداد ، فطلبه المأمون ، فاستتر ، فأهدر دمه ، فجاءه مستسلماً ، فسجنه ستة أشهر ، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله ، فاعتذر ، فعفا عنه . ولم تكن له مواهب الحُكم ، وكانت له دراية بالشعر والأدب ، كما كان يجيد الغناء والضرب على العود وحُسن المنادمة . مات فى « سُرَّ مَنْ رأى » سنة ٢٢٤ هـ وصلى عليه المعتصم .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١٤٢ – ١٤٨] .

(٥) فى « م » : فَإِلى .

(٦) سقطت « طَلَب » من « ط » .

(٧) انظر « أدب العلم » الباب الثانى من « أدب الدنيا والدين للماوردى » ص ٥٨ ط الدار المصرية اللبنانية .

وَرُوِىَ أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى شَخْصًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيُحِبُّ النَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحْيِى ، فَقَالَ : يَاهَذَا ، أَتَسْتَحْيِى أَنْ تَكُونَ فِى آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِى أَوَّلِهِ ؟ وَلأَنَّ الصَّغِيرَ أَعْذَرُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِى الْجَهْلِ عُذْرٌ .

وَفِى مَنْثُورِ الْحِكَمِ : جَهْلُ الشَّبَابِ مَعْذُورٌ ، وَعِلْمُهُ مَحْقُورٌ ، فَأَمَّا الْكَبِيرُ فَالْجَهْلُ بِهِ أَقْبَحُ ، وَنَقْصُهُ عَلَيْهِ أَفْضَحُ ، لأَنَّ عُلُوَّ السِّنِّ إِذَا لَمْ يُكْسِبْهُ فَضْلاً ، وَلَمْ يُفِدْهُ عِلْمًا ، كَانَ الصَّغِيرُ أَفْضَلَ مِنْهُ ، لأَنَّ الأَمَلَ فِيهِ أَقْوَى ، وَحَسْبُكَ نَقِيصَةً فِى رَجُلٍ [١] يَكُونُ الصَّغِيرُ الْمُسَاوِى لَهُ فِى الْجَهْلِ أَفْضَلَ مِنْهُ . وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ [٢] مِنْ حَاجَةِ الشَّيْخِ إِلَى الْعِلْمِ فَحَاجَةُ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ ، وَدَوَاعِيهِ إِلَى اكْتِسَابِهِ أَشَدُّ ، لأَنَّ مَنْ عَدَاهُ إِنَّمَا تَخُصُّهُ نَفْسُهُ الْوَاحِدَةُ ، فَيَفُوتُ [٣] عَلَيْهِ تَحْصِيلُ مَا يُقَوِّمُهَا بِهِ ، وَالْمَلِكُ مُنْتَصِبٌ لِسِيَاسَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوَدِهِمْ ، فَهُوَ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ ، قَالَ الشَّاعِرُ [٤] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَرُّ السِّنِينِ مُتَرْجِمًا ... عَنِ الْفَضْلِ فِى الإِنْسَانِ سَمَّيْتُهُ طِفْلَا
وَمَا تَنْفَعُ الأَعْوَامُ حِينَ تَعُدُّهَا ... وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِنَّ عِلْمًا وَلَا عَقْلَا [٥]
أَرَى الدَّهْرَ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلاً ... إِلَى كُلِّ ذِى جَهْلٍ كَأَنَّ بِهِ جَهْلَا

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ عِزٍّ لا يُوَطِّدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لا يُؤَكِّدُهُ [٦] عَقْلٌ مَضَلَّةٌ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْكِفُ [٧] مَلِكٌ أَوْ ذُو مَنْزِلَةٍ عَلِيَّةٍ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ؟

---

(١) هكذا فى المصدر السابق وفى « ط » .. وسقطت « فى رجل » من « م » .
(٢) هكذا فى « م » وفيها جاءت « وكلّما » متصلة ، والصواب فصل « ما » عن « كل » .. وفى « ط » : « وكما ذكرنا » .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فيقرب » . وكلاهما بمعنى .
(٤) انظر الأبيات فى « أدب الدنيا والدين » الباب الثانى - أدب العلم ص ٥٨ ، ٥٩ ط الدار المصرية اللبنانية .
(٥) فى « م » : « وما ينفع » .. وفى رواية :

« وما تنفع الأيام حين يَعُدُّها ... ولَمْ يَستفِد فيهنّ عِلْماً ولا فضلا »

[انظر المرجع السابق - أدب العلم] .
(٦) فى « م » : « لايؤيده » .
(٧) يستنكف : يأنف ويمتنع .

وَهَذَا [(١)] مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَحَلَ [مِنَ الشَّامِ] [(٢)] إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ فِى أَقْصَى الْمَغْرِبِ عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ [(٣)] إِلَى لِقَاءِ الْخَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ قَالَ : ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ [(٤)] ، هَذَا وَهُوَ نَبِىُّ اللهِ وَكَلِيمُهُ . وَهَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، قَدْ أَوْصَاهُ رَبُّهُ [(٥)] وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ مَا فِى خزَائِنِهِ [(٦)] فَقَالَ : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ [(٧)] ، فَلَوْ كَانَ فِى خزَائِنِهِ أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ لَنَبَّهَهُ عَلَيْهِ . وَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا فَخَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهَا وَتَقْدِيسِهَا لِرَبِّهَا فَخَرَ [(٨)] آدَمُ بِالْعِلْمِ : ﴿ **فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [(٩)] ، فَلَمَّا عَجَزُوا ، أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَأَخْلِقْ بِخَصْلَةٍ تَسْتَدْعِى السُّجُودَ لِحَامِلِهَا أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهَا كُلُّ ذِى لُبٍّ ، وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

وَلَا تَنْصِبَنَّ لَكَ عُذْرًا بِمَا رُوِىَ فِى بَعْضِ الأَخْبَارِ ، مِثْلَ : الَّذِى يَتَعَلَّمُ فِى الصِّغَرِ كَالْوَشْمِ فِى الْحَجَرِ [(١٠)] ، وَالَّذِى يَتَعَلَّمُ فِى الْكِبَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَمِعَ الأَحْنَفُ [(١١)] رَجُلاً يَقُولُ : التَّعَلُّمُ فِى الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِى الْحَجَرِ . فَقَالَ [(١٢)] الْكَبِيرُ أَكْبَرُ عَقْلاً ، وَلَكِنَّهُ أَشْغَلُ قَلْبًا ، فَفَحَصَ عَنِ الْمَعْنَى ، وَنَبَّهَ عَلَى الْعِلَّةِ [(١٣)] .

---

(١) فى « م » : « هذا » بدون الواو .

(٢) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٣) بحر الظلمات : البحر المتوسط .

(٤) سورة الكهف — من الآية ٦٦ .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وهذا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد أوصاه ربه سبحانه » .

(٦) فى « ط » : « خزانته » فى الموضعين .

(٧) سورة طه — من الآية ١١٤ . وفى « م » بعدها : « ولو » .

(٨) فَخَرَ : جواب لَمَّا وفى « م » : « وفخر » ولايصح العطف هنا .

(٩) سورة البقرة — من الآية ٣١ .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « يتعلم العلم فى الصغر كالوشم على الصخر » .

(١١) هو الأحنف بن قيس ، وقد مرت ترجمته .

(١٢) فى « م » : « فقال الأحنف » .

(١٣) فى « م » : « ونبّهَ على البَخَرِ » أى : على الدّاء . وفى « ط » : « عن العِلّة » وفى أدب الدنيا والدين : « لقد فحص الأحنف عن المعنى وبيّنَهُ ، ونبّه على العِلّة ، لأن قواطع الكبير كثيرة » .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] يُسْلِمُونَ شُيُوخًا وَكُهُولًا وَأَحْدَاثًا ، وَكَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ، وَهُمْ بُحُورُ الْعِلْمِ ، وَأَطْوَادُ الْحِكَمِ وَالْفِقْهِ . غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ فِى الصِّغَرِ أَرْسَخُ أُصُولًا ، وَأَبْسَقُ فُرُوعًا [٢] وَلَيْسَ إِذَا لَمْ يَحُزْهُ [كُلَّهُ] [٣] يَفُوتُهُ كُلُّهُ . قَالَ رَجُلٌ لأَبِى هُرَيْرَةَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَأَخَافُ أَنْ أُضَيِّعَهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَفَى بِتَرْكِكَ [٤] لَهُ تَضْيِيعًا .

وَبَعْضُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ الشَّرِّ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْجَاهِلِ تَحْتَ غِبِّ [٥] الْجَهْلِ مَثَلُ الْحَمَّالِ تَحْتَ حِمْلٍ ثَقِيلٍ ، فَإِنْ هُوَ [٦] كُلَّمَا أَعْيَا نَقَصَهُ قَلِيلاً [٧] يُوشِكُ أَنْ يَنْقُصَهُ كُلَّهُ فَيَسْتَرِيحَ مِنْهُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَطْرَحِ الْقَلِيلَ حَتَّى يَطْرَحَ الْكَثِيرَ ، فَمَا أَوْشَكَهُ أَنْ يَصْرَعَهُ حِمْلُهُ ، وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ ، إِذَا تَعَلَّمَ قَلِيلاً قَلِيلاً ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِىَ عَلَى بَقِيَّتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِى الْكِبَرِ لِمَا فَاتَه فِى الصِّغَرِ ، فَأَوْشِكْ بِهِ أَنْ يَمُوتَ تَحْتَ غِبِّ الْجَهْلِ .

* * *

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٢) أبسَقُ فروعاً : أتَمُّ ارتفاعاً .

(٣) مابين المعقوفين فقط عن « م » . وفيها : « إذا لم يَحْوِهِ كُله يَفُتْه » وجزم الفعل الأخير لاوجه له . والصواب : يفوته .

(٤) فى « م » : « بتركِهِ » لاتصح .

(٥) الغُبُّ : العاقبة . ولعلها تصحيف عن « عبء » .

(٦) فى « ط » : فإنه .

(٧) فى « ط » : « قليلاً قليلاً » .

البَابُ الثَّانِى وَالْعِشْرُونَ

فى وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِى الله عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ فى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ (١)

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ النَّخعِىُّ : خَرَجْتُ مَعَ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْجَبَّانَةِ ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ (٢) ثُمَّ قَالَ : يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ ، إِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا (٣) لِلْخَيْرِ ، احْفَظْ عَنِّى مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِىٌّ (٤) ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ (٥) ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ ، أَتْبَاعُ

---

(١) هذا العنوان فى « م » و« ط » ينتهى عند قوله « أبى طالب » أمّا « رضى الله عنه ... ومابعدها » فهى بداية الفقرة .

وكُمَيل هو : كُمَيْلُ بن زِيَادِ بن نُهَيْكٍ النَّخعِىُّ : تابعى ثقة ، ومن أصحاب على بن أبى طالب ، وُلد سنة ١٢ هـ ، وكان شريفاً مطاعاً فى قومه ، شهد « صِفِّين » مع علىٍّ ، وسكن الكوفة ، ورَوَى الحديث . قتله الحجاج صبرًا سنة ٨٢ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٣٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤١٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٩١ ، وقد وردت هذه الوصية فى نهج البلاغة باختلاف يسير فى بعض ألفاظها ، بدون إخلال فى المعنى – انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٩١ – ٦٩٣ ط دار البلاغة – بيروت وص ٤٩٥ – ٤٨٧ ط دار الكتاب اللبنانى] .

(٢) الجَبَّانَة : المَقْبَرة . وأَصْحَرَ : صار فى الصحراء . وتَنفَّسَ الصُّعَداء : تنفس نفساً طويلاً من تَعَبٍ أو كَرْب .

(٣) أَوْعِيَةٌ : جمع وعاء .. وأوعاها : أحفظها .

(٤) العالِمُ الرَّبَّانىُّ : المُتَأَلِّهُ ، العارف بالله .

(٥) المتعلم على سبيل النجاة : إذا أتمَّ عِلْمَه نجا .

كُلِّ نَاعِقٍ [١] ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَئُوا مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، والْعِلْمُ يَزْكُو [٢] عَلَى الإِنْفَاقِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعَالِمُ مَحْبُوبٌ [٣] ، وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ [٤] ، يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فى حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ [٥] بَعْدَ وَفَاتِهِ .

مَاتَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ ما بَقِىَ الدَّهْرُ ، أَشْخَاصُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فى الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا ، إِنَّ هَا هُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - لَعِلْمًا جَمًّا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً [٦] ، بَلَى قَدْ أَصَبْتُ لَهُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ [٧] ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ [٨] الدِّينِ لِلدُّنْيَا ، وَيَسْتَظْهِرُ [٩] بِحُجَجِ اللهِ تَعَالَى عَلَى كِتَابِهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ [١٠] وَبِنِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، أَوْ مُنْقَادًا لأَهْلِ الْحَقِّ [١١] ، لا بَصِيرَةَ لَهُ فى أَحْنَائِهِ [١٢] ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فى قَلْبِهِ

---

(١) الهَمَج : الحَمْقَى من الناس .. والرَّعَاعُ : الأحداثُ الطَّغَامُ الذين لا منزلة لهم فى الناس . والناعق : مجاز عن الدَّاعى إلى باطل أو حَقٍّ .

(٢) يَزْكُو : يزداد نماءً .

(٣) قوله : « والعالم محبوب » عن « م » ولم ترد فى « ط » ولا فى نهج البلاغة .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ومحبَّة العالِم دين يُدان الله به » .
وفى نهج البلاغة ط دار الكتاب اللبنانى : « معرفة العِلْم دين يُدان به » .
وسقطت كلمة « معرفة » من طبعة دار البلاغة .

(٥) الأُحْدُوثَةُ : مايُتَحَدَّثُ به .

(٦) جَماً : كثيرًا .. لو أَصَبْتَ لَهُ حَمَلَةً ، أى : لو وجَدْتُ له حاملين لأبرزْتُهُ وبَثَثْتُهُ .

(٧) اللَّقِنُ : مَنْ يفهم بسرعة ، إلَّا أنَّ العِلْمَ لايطبع أخلاقه على الفضائل ، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا ، ويستعين بِنِعَمِ الله على إيذاء عباده ، ومن هُنا صار غير مأمون على العِلم .

(٨) سقطت كلمة (آلة) من « م » .. وفى نهج البلاغة : « مستعملاً آلة الدِّين للدنيا » .

(٩) فى « ط » : « فيستظهر » .

(١٠) فى نهج البلاغة : « ومُسْتَظهرًا بِنِعَمِ الله على عباده ، وبحُجَجِهِ على أوليائه » .

(١١) فى نهج البلاغة : « أو منقادًا لحَمَلة الحق » والمُنقاد لأهل الحق هو المُقلد فى القول والعمل ، ولابصيرة له فى دقائق الحق وخفاياه ، فلذا يسرع الشك إلى قلبه لأَقَلِّ شبهة .

(١٢) أحنائه : جوانبه . وهكذا وردت فى نهج البلاغة .. وفى « ط » و « م » : إخباته ، أى : خشوعه وتواضعه . والأول أَوْجَه .

بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ ، أَلَا لا ذَا ، وَلَا ذَاكَ [١] ، أَوْ مَنْهُومًا بِاللَّذَّاتِ [٢] ، سَرِيعَ الانْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ [٣] آخَرَ شَأْنُهُ جَمْعَ الْمَالِ وَالادِّخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ [فِي شَيْءٍ] ، أَقْرَبُ [شَيْءٍ] شَبَهاً بِهِمَا [٤] الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ، اللَّهُمَّ فَكَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

وَلَكِنْ لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله سُبْحَانَهُ [٥] بِحُجَّةٍ ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَمَنْ أُولَئِكَ ؟ وَأَيْنَ أُولَئِكَ ؟ أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَدًا [٦] ، الأَكْثَرُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْرًا ، تُخْزَنُ الْحِكْمَةُ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، وَيُودِعُوهَا فِي صُدُورِ نُظَرَائِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الأَمْرِ [٧] فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَخْشَنَهُ الْمُتْرَفُونَ [٨] ، وَاسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادٍ أَرْوَاحُهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى ، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي بِلَادِهِ [٩] وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ ، آهٍ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ !

* * *

---

(١) أى : لا يصلح لحَمْل العِلْم واحد منهما .

(٢) فى « م » : « مهموم » بالرفع . خطأ . وفى « ط » : « مهموماً » .. وفى نهج البلاغة : « أو مهموماً باللّذة » وهى الأنسب . والمنهوم : المُفرِط فى شهوة الطعام .

(٣) فى « م » و « ط » : « أم » .. وفى نهج البلاغة : « أو مُغْرَمًا بالجَمْع والادِّخار » .

(٤) سقطت « بهما » من « م » . وما بين المعقوفتين عن نهج البلاغة .

(٥) فى « م » : « سبحانه وتعالى » . وفى نهج البلاغة : « لا تخلو الأرض من قائم لله بحُجَّة ، إمَّا ظاهرًا مشهورًا ، أو خائفًا مغمورًا » .

(٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى نهج البلاغة : « وكم ذا ؟ وأين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقَلُّون عددًا ، والأعظَمُون عند الله قدرًا » .

(٧) فى نهج البلاغة : « على حقيقة البصيرة » .

(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « استَوْحَشَهُ » .. وفى نهج البلاغة : « استَوْعَرَهُ » أى : رآهُ وَعْرًا . والمعنى : أنّهم عَدُّوا ما استَخشَنَهُ المُنَعَّمُونَ لينًا ، وهو : الزهد .

(٩) فى نهج البلاغة : « أرضه » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

فى العَقْلِ وَالدَّهَاءِ والْمَكْرِ (*)

قَدْ ذَكَرْتُ فى كِتَابِ الأَسْرَارِ (١) حَقِيقَةَ الْعَقْلِ وَأَقْسَامَهُ (٢) ، وَمَحَلَّهُ وَأَحْكَامَهُ ، بِمَا لا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَنَذْكُرُ هَاهُنَا مَنَافِعَهُ وَمَدَارِكَهُ وَلُبَابَ مَا تَحَرَّرَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ . إِنَّهُ (٣) الاسْتِشْهَادُ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ ، فَمَنْ كَانَ فى طَوْقِهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمَا شَاهَدَ عَلَى مَا غَابَ عَنْهُ ، كَانَ مَعَهُ عَقْلٌ ، وَيُسَمَّى (٤) عَاقِلًا عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَبِهِ يَتَوَجَّهُ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ (٥) نَظَرَ إِلَى قَصْرٍ قَدْ كَمَلَ بُنْيَانُهُ ، وَحَصُنَتْ أَرْكَانُهُ (٦) وَجُعِلَتْ فِيهِ مِنَ الآلاتِ مَا يَكْتَفِى بِهِ سَاكِنُوهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ ، فَرَأَى بُيُوتًا مَقْطُوعَةً ، وَأَبْوَابًا مَنْصُوبَةً ، وَفُرُشًا مَفْرُوشَةً ، وَزَرَابِىَّ مَبْثُوثَةً (٧) ، وَمَوَائِدَ مَوْضُوعَةً ، وَصِحَافًا (٨)

(*) فى « ط » : « الخبث » بدل « المكر » .

(١) هذا الكتاب من كتب أبى بكر الطرطوشى التى لم تشر إليها المراجع التى أرّخت له وأحصت مؤلفاته . وقد أشار إليه فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب « سراج الملوك » .

[انظر أبى بكر الطرطوشى للدكتور جمال الشيال ـــ سلسلة أعلام العرب (٧٤) ص ٧٨] .

(٢) سقطت « وأقسامه » من « م » .

(٣) ف « م » : « إنَّ » .

(٤) ف « م » : « يُسَمَّى » بدون واو العطف .

(٥) ف « م » : « وذلك مَنْ » .

(٦) حَصُنَتْ أركانه : صارت منيعة . وفى « م » : « حضت » تحريف من الناسخ .

(٧) زَرَابِىّ مَبْثُوثَة : بُسُطٌ أو وسائد مُفَرَّقَة . مفردها : زَرْبِيَّة ، وهى الوسادة تُبسط للجلوس عليها .

(٨) الصِّحَاف : آنية الطعام ، مفردها : صَحْفَة .

مَصْفُوفَةً ، وَأَرَائِكَ (١) مَنصُوبَةً ، وَحِجَالًا مَسْدُولَةً (٢) ، وَطُسُوتًا (٣) وَأَبَارِيق ، وَبُيُوتَ مَاءٍ ، وَمَيَازِيبَ تُصُبُّ الْمَاءَ وَتَحْتَهَا بَلَالِيعُ لِغَيْضِ الْمَاءِ (٤) [وَطِيقَانَ لِلضِّيَاءِ الْوَاقِعِ ، وَمَدَاخِنَ لِلدُّخَانِ الْخَارِجِ وَالْهَوَاءِ] (٥) إِلَى سَائِرِ مَا يَسْتَعِدُّهُ (٦) الْعُقَلَاءُ لِلِانْتِفَاعِ ، ثُمَّ فَكَّرَ : هَلْ هَذَا الْقَصْرُ بِمَا حَوَاهُ صَنْعَةُ قَادِرٍ صَانِعٍ عالِمٍ حَيٍّ ، أَوِ اتَّفَقَ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَكَّبَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا صَانِعٍ ؟ فَيَسْتَقِرُّ فى عَقْلِهِ بِالضَّرُورَةِ اسْتِحَالَةُ وَجُودِهِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ ، وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى صَانِعٍ صَنَعَهُ .

وَهَذَا عِلْمٌ يَهْجُمُ عَلَى الْعُقُولِ ، لا يَفْتَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، وَإِنَّمَا كَثَّرْتُ لَكَ هَذِهِ الأَمْثِلَةَ ، لأَنَّ مَا فِي الإِنسَانِ مِنَ الأَعْضَاءِ وَلَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَالْعَجَائِبِ أَكْثَرُ مِمَّا فى الْقَصْرِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا فى نَفْسِهِ فَرَأَى مَا فِيهَا (٧) مِنَ الْعَجَائِبِ وَالتَّرْكِيبِ ، وَمَنْفَعَةِ كُلِّ عُضْوٍ وَتَخْصِيصِهِ ، إِمَّا بِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ ، فَأَنْعَمَ (٨) نَظَرَهُ فى عُضْوٍ وَاحِدٍ مَثَلًا ، وَهُوَ فَمُهُ ، فَيَرَى فى أَوَّلِهِ أَسْنَانًا تُشْبِهُ الْفُئُوسَ (٩) تَصْلُحُ لِلْقَطْعِ ، وَفِى آخِرِهِ طَوَاحِينَ مُضَرَّسَةً (١٠) تَصْلُحُ لِلطَّحْنِ ، وَشِدْقَيْنِ (١١) كَأَنَّهُمَا ثِفَالُ

---

(١) قوله : « وأرائك منصوبة » عن « ط » ولم ترد فى « م » . والأرائك : المقاعد المُنَجَّدة ، مفردها : أَرِيكَة .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وحَجَلاً مَشْدُودَة » . والحَجَلُ والحِجَالُ : الستائر ، مفردها : حَجَلَة .

(٣) فى « م » : « وطُشُوتًا » . والطُّسْت : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه ، يُغْسَلُ فيه ، مُعَرَّب « تَشْت » بالشين المعجمة .

(٤) الميازيب : قنوات ، أو أنابيب يصرف بها الماء من سطح بناء ، أو موضع عالٍ . وبلاليع لغيض الماء : ثقوب لتصريف الماء ، ومفردها « بالُوعة » .. وفى « م » : « بلالع » خطأ من الناسخ .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » . والطِّيقان : النوافذ المستديرة .

(٦) يستعِدُّهُ : يُهَيِّئُهُ .

(٧) فى « ط » : « فرأى فيها » .

(٨) فى « م » : « فَلْيَتِمّ » وتكررت كلمة « واحد » بعدها سهوًا من الناسخ . وأَنْعَمَ نَظَرَهُ فى كَذَا : دققه وأطال الفكرة فيه .

(٩) فى « ط » : الفأس .

(١٠) مُضَرَّسَة : مُجَرَّبَة .

(١١) فى « م » : « وشِدْقَيه » . والشِّدق : جانب الفم مما تحت الخدّ . والثِّفال ، بكسر الثاء المُشَدَّدة : ما يُبْسَط تحت الرَّحَى ، من جِلْد وغيره ، ليسقط عليه الدقيق ، وبضم الثاء المشددة أيضًا : الحجر الأسفل من الرَّحَى . والأول هو المراد .

الرَّحَى ، يَمْنَعَانِ أَنْ يَنْهَرِقَ الطَّعَامُ (١) إِلَى خَارِجٍ ، وَلِسَانًا يَرُدُّ مَا انْقَلَبَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّوَاحِينِ ، ثُمَّ يَلِى ذَلِكَ بُلْعُومٌ لا زْدِرَادِهِ بَعْدَ الطَّحْنِ (٢) ، عَلِمَ بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ أَنَّ هَذِهِ الْخِلْقَةَ مَا انْفَعَلَتْ بِنَفْسِهَا اتِّفَاقًا ، بَلْ هِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى قَصْدِ قَاصِدٍ ، وَجَعْلِ جَاعِلٍ (٣) .

وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ لَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ (٤) مَنْفَعَةَ كُلِّ عُضْوٍ لَوَقَفْتَ عَلَى الْعَجَبِ (٥) ، وَلَكِنْ تَرَكْنَاهُ كَرَاهِيَةَ التَّطْوِيلِ . وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى نَبَّهَ الْكِتَابُ الْمُهَيْمِنُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٦) . وَبِهَذِهِ الْعِبْرَةِ تَسْتَقِلُّ الْعُقُولُ بِإِثْبَاتِ الصَّانِعِ ، وَتَسْتَغْنِى عَنِ النَّظَرِ فى الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ (٧) . فَالْعِلْمُ الْمُفِيدُ لِإِثْبَاتِ الصَّانِعِ فى الشَّاهِدِ ، مِثْلُ : الْبَنَّاءِ ، وَالنَّجَّارِ ، وَالْخَيَّاطِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ ، بَعْدَ النَّظَرِ فى صَنَائِعِهِمْ عَلَى اضْطِرَارٍ .

وَالْعِلْمُ الْمُثْبِتُ لِلصَّانِعِ – سُبْحَانَهُ – عِنْدَ النَّظَرِ فى حُدُوثِ الْعَالَمِ (٨) عِلْمُ اسْتِدْلَالٍ ، اعْتِبَارًا (٩) لِلْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ ، إِذْ لا فَرْقَ فى الْعُقُولِ بَيْنَ صَنْعَةٍ وَصَنْعَةٍ فى اقْتِضَاءِ صَانِعٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعِلْمُ فى الشَّاهِدِ ضَرُورِيًّا ، لأَنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يَزَلْ يَرَى الْبَنَّاءَ يَبْنِى ، وَالْخَيَّاطَ يَخِيطُ ، وَالنَّجارَ يَنْجُرُ الْخَشَبَ ، وَلَمْ تَرَ الْعُقَلَاءُ الْقَدِيمَ – سُبْحَانَهُ – يَخْلُقُ وَيَخْتَرِعُ ، وَإِنَّمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ النَّظَرِ فى الشَّاهِدِ ، فَإِنْ قِيلَ : فَأَىُّ الْعِلْمَيْنِ أَقْوَى فى النُّفُوسِ وَأَثْبَتُ فى

---

(١) فى « م » : « يمنعان الطعامَ أن ينهرق » . يقال هَرَاق الماء ، أى : أَرَاقَهُ وصبَّهُ ، والهاء فيها ليست أصلية ، وإنما هى بدل من همزة « أراق » وفيها لغات .

[انظر لسان العرب ـــ مادة هرق] .

(٢) فى « م » : « بُلْعُوم يصلح لِإزْدِرادِ هذا الطَّحين » . وَالِازْدِرَادُ : البَلْعُ .

(٣) جَعْلُ جاعِلٍ : أى : خَلْقُ خالِقٍ .

(٤) فى « م » : « نصِفُ » .

(٥) فى « م » : « الغضب » تحريف .

(٦) سورة الذَّاريات – الآية ٢١ .

(٧) الجوهر : ما قام بنفسه ، ويقابله العَرَضُ ، وهو ما قام بغيره ، وقد سبق التعليق عليه بتوسع فى من مقدمة الكتاب .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « عند الحدث النظر فى العالم » .

(٩) سقطت « اعتبارًا » من « م » .

الْعُقُولِ ، الْعِلْمُ بِالصَّانِعِ : النَّظَرُ فى السَّرِيرِ [(١)] وَاقْتِضَائِهِ لِلنَّجَّارِ ، أَمِ [(٢)] الْعِلْمُ بِالإِلٰـهِ عِنْدَ النَّظَرِ فى السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا يَسْتَدْعِى تَفْصِيلًا وَتَدْقِيقًا ، وَلَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْضُوعًا لِذَلِكَ ، فَحِينَئِذٍ نَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُ عَقْلاً غَرِيزِيًّا ، وَنُسَمِّيهِ عَاقِلاً ، وَنُوَجِّهُ التَّكْلِيفَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ التَّكْلِيفِىُّ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ : مَلاَئِكَةٍ ، وَآدَمِيِّينَ ، وَشَيَاطِينَ ، وَبَهَائِمَ . فَأَمَّا الْمَلاَئِكَةُ فَعُقُولٌ بِلَا شَهَوَاتٍ وَلَا هَوًى يُقَارِنُهُ ، وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَشَهَوَاتٌ بِلَا عُقُولٍ ، وَأَمَّا الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ فَرَكَّبَ اللهُ فِيهَا الْعُقُولَ وَالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى ، وَهَكَذَا رَكَّبَ فى بَنِى آدَمَ الْعَقْلَ وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةَ ، فَغَلَبَتْ شَهَوَاتُ الشَّيَاطِينِ وَهَوَاهُمْ عُقُولَهُمْ ، فَقَطَعُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ : بِالْكِبْرِ [(٣)] وَالْعُجْبِ ، وَالْمَقْتِ [(٤)] وَالْفَخْرِ ، وَالدَّعْوَى ، وَالْحَسَدِ ، وَالأَذِيَّةِ ، وَسَائِرِ الأَخْلَاقِ الْمُهْلِكَةِ . وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَتَقَضَّتْ [(٥)] أَوْقَاتُهَا فى شَهَوَاتِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ . وَأَمَّا الآدَمِيُّونَ فَرَكَّبَ فِيهِمْ عُقُولَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَخْلَاقَ الشَّيَاطِينِ ، وَشَهَوَاتِ الْبَهَائِمِ ، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ هَوَاهُ مِنْهُمْ فَكَأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ : كَالأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلِ ، وَالأَوْلِيَاءِ ، وَالأَصْفِيَاءِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ عَقْلُهُ مَغْلُوبًا بِهَوَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ [(٦)] مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاكِبِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ [(٧)] فَأَكَلَ وَتَمَتَّعَ بَعْدَ أَنْ كَسَبَهُ مِنْ حِلِّهِ [(٨)] فَهَذَا مِنْ عَالَمِ الْبَهَائِمِ [وَإِنَّمَا أَلْحَقْنَاهُ بِعَالَمِ الْبَهَائِمِ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « أقوى وأثبت فى العقول عند النظر فى السرير » .
(٢) فى « م » : « للتحارم » . تحريف .
(٣) فى « م » : « كَالْكِبْرِ » وسقطت منها « المذمومة » والسياق يتطلب وجودها .
(٤) « والمقت » عن « ط » .. وسقطت من « م » .
(٥) تقضَّتْ أَوْقَاتُها : فَنِيَتْ وانقطعَتْ . وفى « م » : « فقَضَتْ أَوْقَاتُها » .
(٦) « المُباحات » عن « ط » وسقطت من « م » .
(٧) « الحَرْث » عن « ط » وسقطت من « م » والمراد بها : الزَّرْعُ .
(٨) أىْ : بعد أنْ كَسَبَهُ من حَلالٍ .

لأَنَّهُ لا تَكْلِيفَ عَلَى الْبَهَائِمِ] [١] وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْمُبَاحَاتُ لا حَرَجَ فى الاسْتِمْتَاعِ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ كَسْبُهُ [٢] مِنْ حِلِّهِ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ أَخْلاقُ الشَّيَاطِينِ : مِنَ الْكِبْرِ ، وَالْعُجْبِ ، والْحَسَدِ ، والْغِشِّ ، إِلَى سَائِرِ الأَخْلاقِ الْمَذْمُومَةِ – فَهَذَا مِنْ عَالَمِ الشَّيَاطِينِ . وَإِنِ اجْتَمَعَ فى الشَّخْصِ إِفْرَاطُ الشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى وَالأَخْلاقُ الْمَذْمُومَةُ ، فَيَكُونُ آدَمِيًّا فى صُورَتِهِ ، شَيْطَانًا فى خَلائِقِهِ ، بَهِيمَةً فى شَهَوَاتِهِ ، فَلَا يَصْلُحُ لِلصُّحْبَةِ . وَإِنْ ثَبَتَ [٣] هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْعَقْلَ الْغَرِيزِىَّ أَطْوَلُ رَقْدَةً [٤] مِنَ الْعَيْنِ ، وَأَحْوَجُ إِلَى الشَّحْذِ مِنَ السَّيْفِ [٥] .

فصـــل

فَأَمَّا الْعَقْلُ الْمُكْتَسَبُ ، وَهُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْغَرِيزِىِّ ، فَهُوَ ثَقَابَةُ الْمَعْرِفَةِ [٦] ، وَإِصَابَةُ الْفِكْرَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِى إِلَيْهِ ، لأَنَّهُ يَنْمُو إِذَا اسْتُعْمِلَ ، وَيَنْقُصُ إِنْ أُهْمِلَ [٧] وَنَمَاؤُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ :

إِمَّا أَنْ يُقَارِنَهُ مِنْ مَبْدَإِ النُّشُوءِ ذَكَاءٌ وَحُسْنُ فِطْنَةٍ ، كَالَّذِى قَالَ الأَصْمَعِىُّ : قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَثٍ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ ، كَانَ يُحَادِثُنِى [٨] وَأَمْتَعَنِى اللهُ بِفَصَاحَتِهِ وَمَلَاحَتِهِ :

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « بعد أنْ كَسَبَها » .

(٣) فى « م » : « وإذا ثبت » .

(٤) الرَّقْدَةُ : النَّوْمَةُ .

(٥) شَحَذَ السَّيْفَ : أَحَدَّ سِنَانَهُ . والمراد بقوله هذا : أنَّ ذلك الإنسان الذى يتسم بهذه الصفات البهيمية ، كالنائم المُستغرق فى نومه ، وكالسيف الذى ران عليه الصَّدأ ففقد صلاحيته ، فهذا الإنسان فى حاجة إلى من يوقظه من تلك الغفلة التى يحياها ، وإلى تهذيب وتقويم للنَّفْس .

(٦) ثَقَابَةُ المَعْرِفَة : اتِّقَادُها .

(٧) فى « م » : « إذا أُهْمِل » .

(٨) هكذا فى « م » وفى أدب الدنيا والدين ص ٢٨ من الباب الأول – فضل العقل وذم الهَوَى . ط الدار المصرية . ويحادثنى : يُكالِمُنى .. وفى « ط » : يحدثنى .

أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنَّكَ أَحْمَقُ ؟ قَالَ : لا وَاللهِ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حُمْقِي جِنَايَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حُمْقِي . فَاسْتَخْرَجَ هَذَا الصَّبِيُّ بِفَرْطِ ذَكَائِهِ مَا يَدِقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الصِّبْيَانِ : أَلَكَ أَبٌ ؟ قَالَ : فَكَأَنِّي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ الْفَهْمِ ، وَغَايَتُهُ إِصَابَةُ الْوَهْمِ ، وَلَيْسَ لِلذَّكَاءِ غَايَةٌ ، وَلَا لِجَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ نِهَايَةٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ [1] [الَّذِى يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذَكَائِهِ] قَالَ لِأَبِيهِ - وَهُوَ طِفْلٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُؤْثِرُ أَخَاهُ عَلَيْهِ : يَا أَبَتِ [2] ، تَعْلَمُ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ أَخِي مَعَكَ : أَنَا كَفَرْخِ الْحَمَامِ [3] أَقْبَحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ [4] وَكُلَّمَا كَبِرَ ازْدَادَ مَلَاحَةً وَحُسْناً ، فَتُبْنَى لَهُ الْعَلَالِيُّ [5] وَيُتَّخَذُ لَهُ الْمُرَبَّعَاتُ ، وَيَسْتَحْسِنُهُ الْمُلُوكُ ، وَمَثَلُ أَخِي مَثَلُ الْجَحْشِ ، أَمْلَحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ، وَكُلَّمَا كَبِرَ قَبُحَ وَصَارَ إِلَى الْقَهْقَرَى [6] إِنَّمَا يَصْلُحُ لِحَمْلِ الزِّبْلِ وَالتُّرَابِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : مَا يَصْلُحُ لِذَوِي الْحُنْكَةِ [7] وَصِحَّةِ الرَّوِيَّةِ ، لِطُولِ مُمَارَسَةِ الأُمُورِ ،

---

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » . وإياس هو : إياس بن معاوية بن قُرّة المُزَنيُّ ، أبو وَاثِلَة ، وَلَّاه عمر بن عبدالعزيز قضاء البَصْرَة ، وكان أحد أعاجيب الدَّهر فى الفطنة والذكاء ، وُلد سنة ٤٦ هـ ، وضُرب المثل بذكائه فقيل : « أذكى من إياس » . وقال عنه الجاحظ : إنه من مفاخر مُضَر ، ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الحدس ، نقَّابًا ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجيهًا عند الخلفاء . وللمدائنى كتاب سمَّاه « زكن إياس » والزكَنُ : التفرس فى الشىء بالظن الصائب . توفى - رحمه الله - بواسط سنة ١٢٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٩٨ - ١٠١ ، والمعارف ص ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وثمار القلوب ص ٩٢ - ٩٤ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٨٣] .

(٢) فى « م » : « يا أبَهْ » . وكذا جاءت فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤١٩ ط دار الثقافة - بيروت .

(٣) فى « م » : « كفرخ حمام » .

(٤) يريد : عند أول خروجه من البيضة يكون قبيح المنظر .

(٥) العَلَالِيُّ : الغُرَفُ العالية ، جمع عُلِّيَّة بضم العين وكسرها .

(٦) القَهْقَرَى : الرُّجوع إلى الخَلْف .

(٧) لِذَوِى الحُنْكَة : لأصحاب التَّجربة والبَصَر بالأُمور .

وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ [١] ، وَمُرُورِ الْغِيَرِ عَلَى أُسْمَاعِهِمْ ، وَتَقَلُّبِ الأَيَّامِ وَتَصَرُّفِ الْحَوَادِثِ ، وَتَنَاسُخِ الدُّوَلِ [٢] قَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ وُجُوهُ الْغِيَرِ [٣] ، وَتَصَدَّتْ لأُسْمَاعِهِمْ أَنْوَاعُ الأَخْبَارِ وَآثَارُ الْعِبَرِ [٤] .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأَدُّباً [٥] ، وَبِتَقَلُّبِ الأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالُوا : التَّجْرِبَةُ مِرْآةُ الْعَقْلِ ، وَالْغِرَّةُ [٦] ثَمَرَةُ الْجَهْلِ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالُوا : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَيَنَابِيعُ الأَخْبَارِ ، لا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَدِمُوا ذَكَاءَ الطَّبْعِ فَقَدْ أَفَادَتْهُمُ الأَيَّامُ حُنْكَةً [٧] وَتَجْرِبَةً .

وَقَدْ قَالَ [٨] الشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لأَهْلِهِ ... وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طُولُ التَّجَارِبِ [٩]

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمْرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ ... أَفَادَتْ لَهُ الأَيَّامُ فِى كَرِّهَا عَقْلاً [١٠]

غَيْرَ أَنَّ لِلْعَقْلِ آفَاتٍ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَيْفَ يَرْجُو الْعَاقِلُ النَّجَاةَ ،

---

(١) فى « ط » : « وكثر التجارب » . والغِيَرُ : الأحوال والأحداث المتغيرة .
(٢) تناسخ الدُّوَل : تداولها ، فكان بعضها مكان بعض .
(٣) هكذا فى « ط » : وفى « م » : « العِبَر » .
(٤) هكذا فى « ط » : وفى « م » : « الغِيَر » . والعِبَرُ : جمع عِبْرَة ، وهى : الاتّعاظ والاعتبار بما مَضَى .
(٥) فى « م » : تأديبًا .
(٦) الغِرَّةُ : الغَفْلَة .
(٧) فى « م » : حيلة .
(٨) فى « م » : وقال . والبيت منسوب إلى بلال الأنصارى . [انظر مجمع الحكم والأمثال ص ٣٣٧] .
(٩) الشطرة الثانية من هذا البيت فى المرجع السابق : « وأَنَّ كمال العقل طول التجارب » .
(١٠) انظر : أدب الدنيا والدين ، الباب الأول : فضل العقل وذم الهوى .

وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ قَدِ اكْتَنَفَاهُ [١] ؟ وَالْهَوَى أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ [٢] فِيهِ حِيلَةُ الْحَازِمِ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَغْمَضُ مَسْلَكاً فِى الْجَنَانِ مِنَ الرُّوحِ فِى الْجُثْمَانِ ، وَأَمْلَكُ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالْمَالِكُ لِلشَّىْءِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوى أَمِيرٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ حُرًّا فَلَا يَهْوَى ، وَإِلَّا صَارَ عَبْدًا . كَمَا قَالَ عَلِىُّ بْنُ الْجَهْمِ [٣] :

أَنفسٌ حُرَّةٌ وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنَّ رِقَّ الْهَوَى لَرِقٌّ شَدِيدُ

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِى الْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ [٤] إِذَا تَنَاهَى وَزَادَ فِى الإِنْسَانِ ، هَلْ يَكُونُ فَضِيلَةً أَمْ لَا ؟ فَقَالَ مُعْظَمُ الْعُقَلَاءِ : إِنَّهُ فَضِيلَةٌ إِذَا كَانَ مَجْمُوعَ آحَادٍ ، وَالآحَادُ فَضَائِلُ ، وَلَا شَكَّ [٥] أَنَّ كَثْرَةَ الْفَضَائِلِ فَضِيلَةٌ ، أَمَّا [٦] الشَّىْءُ الْمَحْدُودُ فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ فِيهِ نَقْصاً [٧] مِنَ الْمَحْدُودِ ، كَالتَّهَوُّرِ فِى الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّبْذِيرِ [٨] فِى الْكَرَمِ ، فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِى

---

(١) اكتنفاهُ : أَحَاطَا بِهِ .

(٢) فى « ط » : ينفذ .

(٣) هو : أبو الحسن ، على بن الجهم بن بدر ، من أهل بغداد ، وهو من الشعراء المجيدين ، وشعره فيه رِقَّة ، كان معاصرًا لأبى تَمَّام ، وخُصَّ بالمتوكل العباسى ، ثم غضب عليه فنفاه إلى « خُراسان » فأقام بها مُدَّة ، وانتقل إلى « حَلَب » ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بنى كَلْب ، فقاتلهم ، وجُرِح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ – ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ – ٣٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ – ٣٢٢ ، والأغانى ج ١٠ ص ٣٦٦٧ – ٣٦٩٨ ط الشعب] .

(٤) هكذا فى « ط » وفى أدب الدنيا والدين ص ٣٢ .. وفى « م » : « فى المكتسب فى العقل » .

(٥) فى « م » : « فلا شك » .

(٦) فى « م » : « وأمَّا » .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « يكون فيه الزيادة والنقصان فيه نقصًا » . وفى أدب الدنيا والدين : « زيادة العقل فضيلة ، لأن المكتسب غير محدود ، وإنما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصًا مذمومًا ، لأن ما جاوز الحد لا يُسَمَّى فضيلة ، كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة نُسِبَ إلى التهور ، والسَّخِىُّ إذا زاد على حد السخاء نُسِبَ إلى التبذير » .

[انظر أدب الدنيا والدين – الباب الأول ص ٣٢ ، ٣٣ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٨) سقطت كلمة « التبذير » من « م » .

الْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ فَزِيَادَةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ ، وَحُسْنُ إِصَابَةٍ بِالظُّنُونِ ، وَمَعْرِفَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ .

وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلُ النَّاسِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) : الْعَقْلُ حَيْثُ كَانَ أَلُوفٌ (٢) مَأْلُوفٌ . وَقَالَ القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٣) : مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ، كَانَ حَتْفُهُ فِى أَغْلَبِ الْخِصَالِ عَلَيْهِ . وَلَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ حَشَدَتِ الرُّومُ (٤) وَاجْتَمَعَتْ مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الآنَ يَشْتَغِلُ الْمُسْلِمونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَيُمْكِنُنَا (٥) الْغِرَّةُ مِنْهُمْ ، وَالْوَثْبَةُ عَلَيْهِمْ ، وَضَرَبُوا فِى ذَلِكَ مُشَاوَرَاتٍ ، وَتَرَاجَعُوا فِيهِ بِالْمُنَاظَرَاتِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ الدَّهْرِ وَثُغْرَةُ النَّحْرِ (٦) وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ (٧) مِنْ ذَوِى الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِباً عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : مِنَ الْحَزْمِ عَرْضُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لا أَرَى ذَلِكَ صَوَاباً ، فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ (٨) : غَدًا أُخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ [تَعَالَى] (٩) ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ الْوَعْدِ (١٠) وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ عَظِيمَيْنِ

---

(١) فى « م » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٢) فى « ط » : « آلِفٌ » .

والمعنى : أن العاقل يمتيز بحُسن الخُلُق ، ومن ثَمَّ تَسْهُل طباعه وتطيب معاشرته .

(٣) هو : القاسم بن محمد بن أبى بكر الصِّدِّيق ، أحد الفقهاء السبعة فى المدينة ، وُلد بالمدينة سنة ٣٧ هـ . وتوفى بقديد - بَيْن مكة والمدينة - سنة ١٠٧ هـ . وكان صالحًا ثقة ، ومن سادات التابعين . قال ابن عُيَيْنَة : كان القاسم أفضل أهل زمانه .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ١٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠] .

(٤) حَشَدَتِ الرُّومُ : اجتمعوا وخفُّوا فى التعاون ، وفى « م » : « حَشْحَشَتْ » أى : تحركوا للنهوض .

(٥) فى « م » : « فَتُمَكِّنَّا » .

(٦) ثُغْرَةُ النَّحْر : النقرة التى فى الحلق ، أعلى الصدر . والمراد هنا : أنها فرصة مناسبة للمواجهة .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وكان رجل من ذوى الرأى منهم » .

(٨) فى « م » : « قال » .

(٩) ما بين المعقوفين عن « م » .

(١٠) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فَلَمَّا أصبحوا غَدَوْا عليه للوعد » .

قَدْ أَعَدَّهُمَا ، ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا ، وَأَلَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى الآخرِ ، فَتَوَاثَبَا وَتَهَارَشَا [١] حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا ، فَلَمَّا بَلَغَا الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ بَيْتٍ عِنْدَهُ ، وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذِئْباً عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ ، وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا ، وَوَثَبَا جَمِيعاً عَلَى الذِّئْبِ فَنَالَا مِنْهُ مَا أَحَبَّا ، ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ [٢] : مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذِّئْبِ مَعَ الْكِلَابِ ، لا يَزَالُ الْهَرْجُ [٣] وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ تَرَكُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ [٤] . فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ [٥] وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِمْ .

وَأَمَّا الْمَذْمُومُ فِى هَذَا الْبَابِ فَصَرْفُ [٦] الْعَقْلِ إِلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ . قَالَ الشَّعْبِىُّ [٧] : وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَدُهَاةُ الْعَرَبِ سِتَّةٌ : مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ [٨] وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَزِيَادُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ [٩] . وَقَالَ الأَصْمَعِىُّ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ : « أَنَا » لِلأَنَاةِ ، وَعَمْرٌو لِلْبَدِيهَةِ ، وَزِيَادٌ لِلصِّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَالْمُغِيرَةُ لِلأَمْرِ الْعَظِيمِ .

---

(١) التحريش : الإغراء أو التهييج بين الإنسان والحيوان . أَلَّبَ : حَرَّضَ . وتَهَارَشَا : تقاتلا .
(٢) فى « م » : « فقال : مثلكم » .
(٣) الهَرْجُ : الفتنة والاختلاط .
(٤) تألّفوا على العدو : اجتمعوا وتوافقوا على قتاله .
(٥) فى « م » : « فاستحسنوا ذلك منه » .
(٦) فى « م » : « صَرْفُ » . والصواب ما جاء فى « ط » حيث إن الفاء تقع فى جواب « أمَّا » .
(٧) هو المُحَدِّث ، عالم الكوفة عامر بن شراحيل .. وقد مَرَّ التعريف به .
(٨) معاوية بن أبى سفيان . مَرَّ التعريف به ..
وعَمْرو بن العاص بن وائل السَّهْمِىُّ القُرَشِىُّ ، صحابىٌّ ، من أشهر الفاتحين ، وهو الذى أرسلته قريش إلى النجاشىِّ ليُسَلِّم إليهم مَنْ عنده من المسلمين ، قبل أن يدخل الإسلام . وكان من أولى الرأى والحزم والمكيدة .. فتحَ مصر ، وكان من أمراء الجيوش فى الجهاد بالشام فى زمن عمر بن الخطاب ، وفتح قِنَّسْرين ، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية ، ولَّاهُ عمر فلسطين ثم مصر ، وعزله عثمان ، ولمَّا كانت الفتنة بين علىٍّ ومعاوية ، كان عمرو مع معاوية ، ولمَّا تم الأمر لمعاوية ولَّاه على مصر سنة ٣٨ هـ . وأطلق له خراجها ست سنين . توفى بالقاهرة سنة ٤٣ هـ . وأخباره كثيرة .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ – ٢٤٨] .
(٩) المُغِيرة بن شعبة بن أبى عامر ، صحابى ، وقد مر التعريف به .

قَالَ قُبَيْصَةُ بْنُ جَابِرٍ (١) : مَارَأَيْتُ أَعْطَى لِجَزِيلِ مَالٍ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ (٢) ، وَلَا رَأَيْتُ أَثْقَلَ حِلْماً وَلَا أَطْوَلَ أَنَاةً مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ وَلَا أَبْذَلَهُمْ حِينَ يَجْتَمِعُونَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلَا أَشْبَهَ سِرًّا بِعَلَانِيَةٍ مِنْ زِيَادٍ ، وَلَوْ أَنَّ الْمُغِيرَةَ كَانَ فِى مَدِينَةٍ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ (٣) لا يُخْرَجُ مِنْ بَابٍ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَكْرِ ، لَخَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ (٤) : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) : يَا عُوَيْمِرُ (٦) ازْدَدْ عَقْلاً تَزْدَدْ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا . قُلْتُ : بِأَبِى [أَنْتَ] وَأُمِّى (٧) وَمَنْ لِى بِالْعَقْلِ ؟ قَالَ : اجْتَنِبْ

= وزياد بن أبيه - فى « ط » : « زياد بن أمية » والأشهر : « ابن أبيه » وقد مرَّ التعريف به .
وقيس بن سعد بن عبادة ، مرَّ التعريف به أيضًا .
وعبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعى ، صحابىٌّ ، وكان من الدُّهَاةِ الفصحاء ، انتهت إليه السيادة فى خزاعة .. أسلم يوم الفتح ، وشهد حُنَيْنًا والطَّائف وتبوك ، وقاتل مع علىٍّ بصِفِّين ، فكان قائد الرَّجَّالَة ، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه ، فتكاثر عليه أصحاب معاوية ، فقُتِل ، وكان ذلك سنة ٣٧ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، والمحبر ص ١٨٤] .

(١) هو : قُبَيْصَةُ بن جابر بن وهب الأَسَدىُّ الكوفىُّ ، تابعىٌّ ، من رجال الأحاديث والفقه ، كان فصيحًا ، ويُعد من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، وهو أخو معاوية من الرضاعة ، توفى سنة ٦٩ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٨ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٢٥] .

(٢) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان التَّيمِىُّ القُرَشِىُّ المدنى ، أبو محمد ، صحابى من الشجعان ، ومن الأجواد ، يُسمى طلحة الجود ، وطلحة الفياض ، وهو أحد العشرة المُبَشَّرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان من دُهاة قريش ومن عُلمائهم ، وشهد أُحُدًا مع رسول الله ، ﷺ ، وثبت معه ، وبايعه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جُرحًا وسَلِمَ . وشهد الخندق وسائر المشاهد ، وقُتِلَ يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبصرة .
[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٨٥ - ٨٩ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٧ - ٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣ - ٤٠ ، والمعارف ص ٢٢٨ - ٢٣٤ ، والمحبر ص ٣٥٥] .

(٣) قوله : « لها ثمانية أبواب » عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) أبو الدرداء هو : عُوَيْمر بن مالك . وقد مر التعريف به .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) فى « م » : « يا عَمْرو » تحريف ، والصواب عُوَيمر . وقدمرَّ .

(٧) ما بين المعقوفتين ورد فى حديث عويمر مع رسول الله ، ولم يرد فى « م » و « ط » .
[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ط الدار المصرية] .

مَحَارِمَ اللهِ ، وَأَدِّ فَرَائِضَ اللهِ تَكُنْ عَاقِلاً ، ثُمَّ تَنَفَّلْ صَالِحَ الأَعْمَالِ تَزْدَدْ فى الدُّنْيَا عَقْلاً ، وَتَزْدَدْ مِنْ رَبِّكَ قُرْباً ، وَعَلَيْهِ عِزًّا .

وَيُرْوَى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (١) :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالدِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِيهَا (٢)
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيهَا (٣)
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّى لا أُصَدِّقُهَا وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا (٤)
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ فى عَيْنَى مُحَدِّثِهَا إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا (٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ مَنْ عَقْلُهُ فى إِرْشَادٍ ، وَمَنْ رَأْيُهُ فى إِمْدَادٍ ، فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ ، وفِعْلُهُ حَمِيدٌ ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهْلُهُ فى إِغْوَاءٍ (٦) فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ ، وَفِعْلُهُ ذَمِيمٌ ، فَأَمَّا مَنْ صَرَفَ فَضْلَ عَقْلِهِ إِلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ وَالشَّرِّ (٧) وَالْحِيَلِ وَالْخَدِيعَةِ ، كَالْحَجَّاجِ

---

(١) فى « ط » : « ويُرْوَى لِعَلِىّ .. شعر » . وقد وردت فى الديوان على أنها منسوبة إليه .
[انظر ديوانه الذى جمعه عبدالعزيز الكرم ص١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص٣٤ ، ٣٥] وقد وردت الأبيات فى « م » متصلة كأنها نثر .

(٢) هكذا البيت فى « ط » وفى أدب الدنيا والدين .. وساديها : سادسها . وفى « م » : « والعرف سادسها » . وفى الديوان : « والفضل سادسها » .

(٣) هكذا البيت فى « ط » وفى أدب الدنيا والدين .. وعاشيها : عاشِرُها . وفى « م » : « واللّين عاشرها » .. وفى الديوان : « وَاللِّينُ باقيها » .

(٤) هكذا البيت فى « ط » ، وفى أدب الدنيا والدين ، وفى « م » .. وفى الديوان : « والنفس تعلم أنى لا أُصادِقُها » .

(٥) هكذا البيت فى « ط » وفى « م » .. وفى أدب الدنيا والدين : « مَنْ كان مِنْ حِزْبها » وبعد هذا البيت :

عيناك قد دلّتا عَيْنَىَّ منك عَلَى أشياءَ لولاهُما ماكُنْتُ تُبْدِيها

ولم يرد هذا البيت الأخير فى « م » و « ط » .. والبيتان الأخيران لم يَرِدَا فى الديوان .
[انظر الديوان ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، وحاشية رقم ٥٧ للمحقق ط الدار المصرية] .

(٦) فى « م » : « إغراء » .

(٧) فى « ط » : « والشكر » . خطأ .

وَزِيَادٍ وَأَشْبَاهِهِمَا فَمَذْمُومٌ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَسْتُ بِالْخِبِّ ، وَالْخِبُّ لا يَخْدَعُنِي . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ : كَانَ [١] عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ .

وَالْمَوْصُوفُ بِالدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ مَذْمُومٌ ، وَصَاحِبُهُ مَحْذُورٌ ، تُخَافُ غَوَائِلُهُ ، وَتُحْذَرُ عَوَاقِبُ حَبَائِلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] [٢] أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ أَنْ يَعْزِلَ زِيَادًا عَنْ وِلَايَتِهِ ، فَقَالَ زِيَادٌ : أَعَنْ مَوْجِدَةٍ [٣] أَوْ خِيَانَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لا عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى فَضْلِ عَقْلِكَ .. وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ [٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ فِى شِمَالِي ، وَيَمِينِي فَارِغَةٌ ، فَوَلِّنِي الْحِجَازَ أَكْفِكَ أَهْلَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِهِ . فَطُعِنَ فِى إِصْبَعِهِ [٥] بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَمَاتَ .. فَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا نَرْغَبُ عَنِ الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّا نَرْغَبُ فِى الْحِيلَةِ وَنُوصِي بِهَا [٦] . وَالِاتِّسَاعُ فِى الْحِيلَةِ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ الْعُقَلَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِطَالِبِ الرِّفْعَةِ ، وَبَاغِي الْوَسِيلَةِ ، وَمُرْتَادِ أَيِّ أَمْرٍ كَانَ ، دَقَّ أَوْ جَلَّ ، خَيْرًا [٧] مِنَ الْحِيلَةِ . وَأَضْعَفُ الْحِيلَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الشِّدَّةِ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ [٨] : مَلَاكُ الْعَقْلِ الْحِيلَةُ وَالتَّأَنِّي لِلسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ مِنَ الأُمُورِ .. وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ لِكِسْرَى فَقَالَ : أَنَا أَصْنَعُ مَا تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : يُشَدُّ [٩] بِرِجْلِي حَبْلٌ ، طَرَفُهُ بِرَقَبَةِ الْفِيلِ ، وَبِرِجْلِي

---

(١) فى « م » : « كان – والله » قَسَم .
(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .
(٣) المَوْجِدَةُ : الغضَبُ .
(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « كتب زياد إلى عمر » وَهْمٌ من الناسخ . والصواب : « معاوية » .
(٥) طُعِن فى إصبَعِه : أصابه الطَّاعون .
(٦) فى « ط » : « ونَرْضَى بها » . ونرغب عن الدهاء : نكرهه . ونرغب فى الحيلة : نريدها .
(٧) فى « م » و « ط » : « خيْرٌ » . والصوابُ ما أثبتناه – خبر ليس .
(٨) فى « ط » : « وقال بعض الحكماء » .
(٩) فى « م » : « تَشُدُّ » .

الأُخرَى (١) كَذَلِكَ ، وَيُشَدُّ طَرَفُهُ (٢) بِرَقَبَةِ الْفِيلِ ، ثُمَّ يُسَاقُ الْفِيلُ (٣) بِالضَّرْبِ وَالزَّجْرِ فَلَا أَتَزَحْزَحُ ، ثُمَّ طَلَبَ (٤) أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعٍ مِنَ الْفِيلَةِ ، فَمَرَّتْ بِحِدَّتِهَا ، فَقَسَمُوهُ شَطْرَيْنِ ، فَقَالَ كِسْرَى : مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مَا فِيهِ عَقْلُهُ هَلَكَ بِأَكْبَرِ مَا فِيهِ ، فَنَظَمَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ (٥) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهُ عَقْلُهُ   أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ (٦)

وَسَمِعْتُ أُسْتَاذَنَا أَبَا الْوَلِيدِ (٧) يَحْكِي أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى هَارُونِ الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ ، فَأَخْرَجَ أُنْبُوبَةَ قَصَبٍ فِيهَا إِبَرٌ عِدَّةٌ ، ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الأَرْضِ ، وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ ، فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ (٨) الإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ ، حَتَّى فَرَغَ دَسْتُهُ (٩) ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْهَوَانِ ، فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِجَوْدَةِ ذَكَائِهِ ، وَأَدَّبْتُهُ كَيْ لا يَصْرِفَ فَرْطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ (١٠) .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَقْلَ الْمُكْتَسَبَ إِذَا تَنَاهَى لا يَكُونُ فَضِيلَةً ، قَالَ : لأَنَّ الْفَضَائِلَ هِبَاتٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ فَضِيلَتَيْنِ (١١) نَاقِصَتَيْنِ ، فَمَا جَاوَزَ التَّوَسُّطَ خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْفَضِيلَةِ ،

---

(١) فى « م » : « الآخر » .

(٢) فى « م » : « وتُشَدُّ طرفيه » أى : الحبل .

(٣) فى « م » : « ثُمَّ تُساق الفِيلَة » .

(٤) فى « م » : « ثم تَعاطَى » أى : أقدَمَ عليه وفَعَلَهُ .

(٥) البيت أنشده ابن لنكك لأبيه ، وهو : أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر البصرى ، وكان من شعراء البصرة ، وأكثر شعره فى شكوى الزمان ، وكان معاصرًا للمتنبى .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٣ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ٦ – ١١ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٠ ، والصُّبح المُنبى عن حيثية المتنبى ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط دار المعارف] .

(٦) فى أدب الدنيا والدين : « أهلكه أكثر ما فيه » .

(٧) هو : أبو الوليد الباجى ، سليمان بن خلف بن سعد الأندلسى . انظر المقدمة .

(٨) فى « م » : « مِنْ عَين » .

(٩) دَسْتُهُ : لُعبَتُهُ .

(١٠) فى « م » : « لا يتصرف بفرط ذكائه فى الفضول » أى : فيما لا خير فيه .

(١١) هكذا فى « ط » وفى أدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « من فضيلتين » .

كَالْكَرَمِ الَّذِى هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالتَّبْذِيرِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ لِلْأَسْكَنْدَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عَلَيْكَ بِالاعْتِدَالِ فِى كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ عَيْبٌ ، وَالنُّقْصَانَ عَجْزٌ .. وَفِى الْحَدِيثِ .. أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) قَالَ : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » . وَقَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : خَيْرُ الْأُمُورِ الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِى ، وَمِنْهُ يَلْحَقُ التَّالِى . قَالُوا : لأَنَّ زِيَادَةَ الْعَقْلِ (٢) تُفْضِى بِصَاحِبِهَا إِلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ .

قُلْنَا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ بِمَا قَدَّمْنَاهُ لِنُصْرَةِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مَنْقُوضٌ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزِىِّ ، وَبِالْعُلُومِ ، وَبِسَائِرِ الْفَضَائِلِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يُفْضِى بِصَاحِبِهِ إِلَى الدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ [فَنَقُولُ] (٣) : الدَّهَاءُ وَالْمَكْرُ كَسْبُ مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرِ الْعَقْلِ ، لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ الْعَقْلِ ، فَإِنْ شَاءَ تَدَاهَى وَمَكَرَ ، وَإِنْ شَاءَ كَفَّ عَمَّا يَقُولُ فِى كُلِّ شَرٍّ يَكْتَسِبُهُ الْعَاقِلُ بِاخْتِيَارِهِ ، وَلَيْسَ (٤) عَقْلُهُ أَوْقَعَهُ فِيهِ ، بَلْ إِنَّمَا أَوْقَعَهُ فِيهِ قِلَّةُ عَقْلِهِ (٥) . وَكَانَ بُزُرْجَمِهْرُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ كِتَابِ أَمْثَالِهِ ، وَنَسَّقَ كُلَّ بَابٍ عَلَى حِيَالِهِ (٦) يَقُولُ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ (٧) فَصَارَ عَالِماً ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَهَا وَلَمْ يَصِرْ عَالِمًا . وَأَنَا أَقُولُ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِى هَذَا وَصَارَ مُهَذَّباً كَامِلاً ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يَصِرْ مُهَذَّبًا كَامِلاً .

* * *

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .
(٢) فى « م » : « الزيادة فى العقل » .
(٣) ما بين المعقوفتين من عندنا .. وفى « ط » : « قلنا » بدون الفاء . وسقطت هذه الجملة سهوًا من الناسخ إلى قوله : « كسب معانٍ » .
(٤) فى « م » : « ليس » بدون واو العطف .
(٥) فى « م » : « أوقعه قِلَّةُ عَقْلِه » .
(٦) على حِيَالِه ، أى : بانْفِرادِه .
(٧) فى « م » : « الأعمال » .

الْبَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فى الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ، والْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللهُ تَعَالَى فى قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاجْعَلْ لى وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى ﴾ [1] فَلَوْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْتَغْنِى عَنِ الْوُزَرَاءِ لَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ كَلِيمُ اللهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ . ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةَ الْوُزَرَاءِ فَقَالَ : ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فى أَمْرِى ﴾ [2] . دَلَّتِ الآيَةُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْوِزَارَةِ أَنْ يَشُدَّ [3] قَوَاعِد الْمَمْلَكَةِ ، وَأَنْ يُفْضِىَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِعُجَرِهِ [4] وَبُجَرِهِ إِذَا اسْتُكْمِلَتْ [5] فِيهِ الْخِلالُ الْمَحْمُودَةُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [6] . دَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَنَّ بِصُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ [7] وأَهْلِ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ تَنْتَظِمُ [8] أُمُورُ الدُّنْيَا وَأُمُورُ الآخِرَةِ ، وَكَمَا أَنَّ أَشْجَعَ النَّاسِ يَحْتَاجُ إِلَى

---

(١) الآية ٢٩ من سورة طه .

(٢) الآيتان : ٣١ ، ٣٢ من سورة طه .

(٣) فى « ط » : « تَشُد » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « بعجزه » .. ويفضى إليه بِعُجَرِهِ وَبُجَرِهِ ، أى : بعيوبه وأمره كله . وقد مرت .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « استَكْمَل » . والخِلَالُ المحمودة : الخِصَالُ الحَسَنة ، جمع خَلَّة .

(٦) الآيتان : ٣٣ ، ٣٤ من سورة طه .

(٧) فى « م » : « والسلاطين » .

(٨) فى « م » : « تنتظر » . تحريف من الناسخ .

السِّلَاحِ ، وَأُفْرَهَ الْخَيْلِ إِلَى السَّوْطِ [١] وَأَحَدَّ الشِّفَارِ إِلَى الْمِسَنِّ ، كَذَلِكَ يَحْتَاجُ أَجَلُّ الْمُلُوكِ وَأَعْظَمُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ إِلَى الْوَزِيرِ .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا وَلَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةً إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ [٢] وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتحضُّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى » [٣] . وَإِنَّمَا اشْتُقَّتِ الْوِزَارَةُ مِنَ الْوِزْرِ ، وَهُوَ الثِّقْلُ [٤] يُرِيدُ : أَنَّهُ يَحْمِلُ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ وَأَعْبَائِهَا وَأَثْقَالِهَا مِثْلَ الأَوْزَارِ .

أَسْعَدُ الْمُلُوكِ مَنْ لَهُ وَزِيرُ صِدْقٍ [٥] إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ . وَقَالَ وَهْبُ ابْنُ مُنَبِّهٍ : قَالَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِفِرْعَوْنَ : آمِنْ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَلَكَ مُلْكُكَ ، قَالَ : حَتَّى أُشَاوِرَ هَامَانَ ، فَشَاوَرَهُ فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ : بَيْنَمَا أَنْتَ إِلَـٰهٌ تُعْبَدُ إِذْ صِرْتَ تَعْبُدُ ، فَأَنِفَ وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ كَانَ وَزِيرُ الْحَجَّاجِ يَزِيدُ بْنُ أَبِى مُسْلِمٍ [٦] لا يَأْلُوهُ خَبَالاً ، وَلَبِئْسَ الْقُرَنَاءُ شَرُّ قَرِينٍ لِشَرِّ خَدِينٍ [٧] .

وَأَشْرَفُ مَنَازِلِ الآدَمِيِّينَ النُّبُوَّةُ ، ثُمَّ الْخِلَافَةُ ، ثُمَّ الْوِزَارَةُ . الْوَزِيرُ عَوْنٌ عَلَى الأُمُورِ ، وَشَرِيكٌ فِى التَّدْبِيرِ ، وَظَهِيرٌ عَلَى السِّيَاسَةِ ، وَمَفْزَعٌ عِنْدَ

---

(١) فى « م » : « وأفرَهُ الخيل يحتاج السوط » . وأفره الخيل : أحسنها وأمهرها — أفعل تفضيل .

(٢) فى « م » : « وتحطُّه عليه » فى الموضعين . تحريف .

(٣) رواه البخارى فى الأحكام ، ومسلم فى الإيمان ، والنسائى فى البيعة ، والترمذى فى الزهد .

(٤) يعنى : أنَّ الوِزرَ هو الحِمْلُ الثقيل ، والوزير : خاصة الملك الذى يحمل ثِقْلَهُ ويُعينُه برأيه .

(٥) فى « م » : « ملكٌ له وزير صِدْقٍ » .

(٦) هو : يزيد بن دينار الثقفى ، أبو العلاء ، وأبو مسلم كُنية أبيه ، والٍ من الدُّهاة فى العصر الأموى ، وكان من موالى ثقيف ، وجعله الحجَّاج كاتبًا له ، فظهرت مزاياه ، ولما احتضر الحجاج استخلفه على الخراج بالعراق ، وأقرَّهُ الوليد بن عبدالملك بعد موت الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولمَّا مات الوليد وتولى أخوه سليمان سنة ٩٦ هـ عزله ، واستبقاه فى الشام عنده ، ثم ولى إمارة إفريقية سنة ١٠١ هـ فائتمر به جماعة من أهلها فقتلوه سنة ١٠٢ هـ ، واتُّهِمَ بقتله عبد الله بن موسى بن نصير ، فقتله بشر بن صفوان الكلبى ، وبعث برأسه إلى يزيد بن عبدالملك .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٨٢ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، والمحبر ص ٤٩٢ ، وتاريخ الطبرى وابن الأثير وغيرهما من أُمَّهات كتب التاريخ] .

(٧) لا يَأْلُوهُ خبالاً : لا يُقصِّر فى إفساده . والخدين : الصديق .

النَّازِلَةِ (١) . الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ .. وَفِى الأَمْثَالِ : نِعْمَ الظَّهِيرُ الْوَزِيرُ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَسْتَفِيدُ الْمَلِكُ مِنَ الْوُزَرَاءِ أَمْرَانِ : عِلْمُ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ، وَيَقْوَى عِنْدَهُ عِلْمُ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ ، فَيَزُولُ شَكُّهُ .

وَأَوَّلُ مَا يَظْهَرُ نُبْلُ السُّلْطَانِ وَقُوَّةُ تَمْيِيزِهِ ، وَجَوْدَةُ عَقْلِهِ فِى اسْتِنْخَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَاسْتِنْقَادِ الْجُلَسَاءِ (٢) وَمُحَادَثَةِ الْعُقَلَاءِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ خِلَالٍ تَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ ، وَبِهَا يَجْمُلُ فِى الْخَلْقِ ذِكْرُهُ ، وَيَجِلُّ فِى الْعُقُولِ (٣) قَدْرُهُ ، وَتَرْسَخُ (٤) فِى النُّفُوسِ عَظَمَتُهُ ، وَالْمَرْءُ مَوْسُومٌ بِقَرِينِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ : حِلْيَةُ الْمُلُوكِ وَزِينَتُهُمْ وُزَرَاؤُهُمْ . وَفِى كِتَاب « كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ » (٥) لا يَصْلُحُ السُّلْطَانُ إِلَّا بِالْوُزَارَاءِ ، وَلَا الأَعْوَانُ (٦) إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَلَا الْمَوَدَّةُ (٧) وَالنَّصِيحَةُ إِلَّا بِالسِّرِّ (٨) وَالْعَفَافِ .. وَأَعْظَمُ الأَشْيَاءِ ضَرَرًا عَلَى النَّاسِ عَامَّةً وَعَلَى الْوُلَاة خَاصَّةً أَنْ يُحْرَمُوا صَالِحَ الْوُزَرَاءِ والأَعْوَانِ ، فَتَكُونَ أَعْوَانُهُمْ غَيْرَ ذِى جَدْوَى وَغِنًى (٩) . وَيَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُوَلِّىَ الْوِزَارَةَ غَيْرَ الْمُتَحَرِّينَ ، كَىْ لا تَضِيعَ الأُمُورُ ، كَما يَحْذَرُ أَنْ يَتَطَبَّبَ بِغَيْرِ طَبِيبٍ بَصِيرٍ مَأْمُونٍ .

---

(١) الظهير : المُعِين .. المَفْزَعُ : مَنْ يُلْجَأُ إليه عند نزول الخطْب .
(٢) اسْتِنْخاب الوزراء : انتقاؤهم واختيارهم . واستنقاد الجُلسَاء : اختيارهم وتمييزهم .
(٣) فى « م » : « فى العيون » .
(٤) فى « م » : « يرسَخ » .
(٥) هو كتاب وضعه الفيلسوف الهندى « بَيْدَبا » ، وقيل : وضعه غيره ، وقد عَرَّبَه - عن البهلوية - عبد الله بن المقفع . وقد بلغ هذا الكتاب من الذيوع وبُعْد الشُّهْرَةِ ما لم يبلغه كتاب مثله ، وذلك لما اشتمل عليه من الأغراض الأدبية والسياسية ، ولما استبطنه من فنون العلم والحكمة بأسلوب سهل محبب يأخذ بِلُبِّ قارئه . وقد اهتمت كل أمّة من الأمم المتحضرة به ، فنُقِلَ إلى اللغات : الفارسية ، والعربية ، والتركية ، واليونانية ، واللاتينية ، والعبرية ، والسريانية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والفرنسية ، والألمانية ، وغيرها من اللغات .
(٦) فى « ط » : « والأعوان » .
(٧) فى « ط » : « والمَوَدَّة » .
(٨) فى « م » : « إلّا بالرَّأى » .
(٩) فى « م » : « جَدْوَة » . وفى « ط » : « غناء » .

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ (١) : لَمْ يَكُنْ فى بَنِى إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا رَآهُ غَضْبَانَ (٢) كَتَبَ لَهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ (٣) فى كُلِّ صَحِيفَةٍ : ارْحَمِ الْمِسْكِينَ ، وَاخْشَ الْمَوْتَ ، وَاذْكُرِ الآخِرَةَ ، فَكُلَّمَا غَضِبَ الْمَلِكُ نَاوَلَهُ صَحِيفَةً حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُهُ ..
وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : يَحِقُّ عَلَى الْمَلِكِ أَنَّ أَلْطَفَ (٤) مَا يَكُونُ نَظَرًا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ خَطَرًا ، وَلَا يَذْهَبُ حُسْنُ أَثَرِهِ فى الرَّعِيَّةِ بِخَوْفِهِ (٥) لَهَا ، وَلَا يَسْتَغْنِى بِتَدْبِيرِ الْيَوْمِ عَنْ تَدْبِيرِ غَدٍ ، وَأَنْ يَكُونَ حَذَرُهُ لِلْمُلَاقِينَ أَكْثَرَ مِنْ حَذَرِهِ لِلْمُتَبَاعِدِينَ ، وَأَنْ يَتَّقِىَ بِطَانَةَ السُّوءِ أَشَدَّ مِنَ اتِّقَائِهِ الْعَامَّةَ ، وَلَا يَطْمَعَنَّ فى إِصْلَاحِ الْعَامَّةِ إِلَّا بِالْخَاصَّةِ . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : لِكُلِّ مَلِكٍ بِطَانَةٌ حَتَّى يَجْمَعَ بِذَلِكَ (٦) جَمِيعَ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بِطَانَةً عَلَى حَالِ الصَّوَابِ ، أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصَّلَاحِ عَامَّةُ الرَّعِيَّةِ .

وَمِثَالُ الْمَلِكِ الْخَيِّرِ وَالْوَزِيرِ السُّوءِ (٧) الَّذِى يَمْنَعُ النَّاسَ خَيْرَهُ ، وَلَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الدُّنُوِّ مِنْهُ ، كَالْمَاءِ الصَّافِى فِيهِ التِّمْسَاحُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ دُخُولَهُ ، وَإِنْ كَانَ سَابِحًا ، وَكَانَ إِلَى الْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَمَثَلُ (٨) السُّلْطَانِ مَثَلُ الطَّبِيبِ ، وَمَثَلُ الرَّعِيَّةِ كَمَثَلِ الْمَرْضَى ، وَمَثَلُ الْوَزِيرِ كَمَثَلِ السَّفِيرِ بَيْنَ الْمَرْضَى وَالأَطِبَّاءِ ، فَإِنْ كَذَبَ السَّفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ ، وَكَمَا أَنَّ السَّفِيرَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا مِنَ الْمَرْضَى وَصَفَ لِلطَّبِيبِ نَقِيضَ دَائِهِ ، فَإِذَا سَقَاهُ الطَّبِيبُ

---

(١) من رجال الحديث ، رَوَى عن كعب الأحبار ، ويزيد بن مسرة .
[انظر حلية الأولياء ج ٥ ، ٦ صفحات متفرقة] وفى « م » : « شريح بن عبدالله » تحريف .
(٢) فى « م » : « غضبانًا » خطأ ، والصواب مَنْعُه من الصرف ، صفة مختومة بألف ونون زائدتين .
(٣) فى « م » : « كتب له صحائف » .
(٤) فى « م » : « يحق على الملك أَلْطَف » أى : أن يكون أَلْطَف .
(٥) فى « ط » : « خوفه » .
(٦) فى « م » : « ذلك » .
(٧) فى « م » : « الوزير الشِّرِّير » .
(٨) فى « م » : « ومثال » .

عَلَى صِفَةِ السَّفِيرِ هَلَكَ الْعَلِيلُ ، كَذَلِكَ الْوَزِيرُ ، يَنْقُلُ إِلَى الْمَلِكِ مَا لَيْسَ فِى الرَّجُلِ فَيَقْتُلُهُ الْمَلِكُ ، فَمِنْ هَاهُنَا شَرَطْنَا [١] أَنْ يَكُونَ الْوَزِيرُ صَدُوقًا فى لِسَانِهِ ، عَدْلاً فى دِينِهِ ، مَأْمُونًا فى أَخْلَاقِهِ [٢] ، بَصِيرًا بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ ، وَتَكُونُ بِطَانَةُ الْوَزِيرِ مِنْ أَهْلِ الأَمَانَةِ [وَالدِّيَانَةِ] [٣] وَالْبَصِيرَةِ ، وَيَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُوَلِّىَ الْوِزَارَةَ لَئِيمًا ، فَاللَّئِيمُ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبَهُ ، وَأَنْكَرَ مَعَارِفَهُ ، وَاسْتَخَفَّ بِالأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِى الْفَضْلِ .

وَلَمَّا أَرَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَسْتَكْتِبَ كَاتِبَ الْحَجَّاجِ يَزِيدَ بْنَ أَبِى مُسْلِمٍ ، قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَسْأَلُكَ بِاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لا تُحْيِىَ [٤] ذِكْرَ الْحَجَّاجِ بِاسْتِكْتَابِكَ إِيَّاهُ . فَقَالَ [٥] : يَا أَبَا حَفْصٍ ، إِنِّى لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ خِيَانَةَ دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٍ . قَالَ عُمَرُ : أَنَا أُوجِدُكَ مَنْ هُوَ أَعَفُّ مِنْهُ فى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : إِبْلِيسُ ، مَامَسَّ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَقَدْ أَهْلَكَ هَذَا الْخَلْقَ .. وَدَخَلَ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَأَدَبٌ عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلاً ذِمِّياً [٦] كَانَ الْخَلِيفَةُ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيُقَرِّبُهُ ، فَقَالَ :

يَامَلِكٌ طَاعَتُهُ فى الْوَرَى ... وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ [٧]
إِنَّ الَّذِى شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ ... يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

---

(١) فى « م » : « شَرَط » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مأمونًا فى الخلافة » .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « أن تُحيى » . وسقطت « لا » سهوًا من الناسخ ، والسياق يستدعى وجودها .

(٥) فى « م » : « قال » .

(٦) قيل : هذا الرجل هو أبو بكر الطرطوشى نفسه ، ولم يذكر اسمه صراحة تواضعًا منه ، وقد أنشد هذين البيتين الآتيين عندما دخل على الأفضل « شاهنشاه » ابن أمير الجيوش ، ليوعظه ، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصرانى ، فوعظ الأفضل حتى بكى ، ثم أنشد هذين البيتين وأشار إلى النصرانى ، فأقامه الأفضل من مكانه ، وحدث ما هو مذكور بعد ذلك .

[انظر نفح الطيِّب ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٣ ، والمستطرف ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وفيه نسب هذا القول إلى بعض الوزراء ، وانظر المقدمة] .

(٧) هكذا البيت فى « ط » .. أمّا الشطرة الأولى فوردت فى « م » هكذا : « يا ملكٌ طاعتُه لازِمَة » .. وفى وفيات الأعيان ونفح الطِّيب : « يَاذَا الَّذِى طاعتُه قُرْبَةٌ » ..

وَأَشَارَ إِلَى الذِّمِّيِّ : فَاسْأَلْهُ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ .. فَسَأَلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَقُولَ : هُوَ صَادِقٌ ، فَاعْتَرَفَ بِالإِسْلَامِ .

لا يَعْرِفُ وَزِيرُ الْمَلِكِ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ حَتَّى يُرَاعِيَ مِنْ صَاحِبِهِ الْوَاثِقِ بِهِ مَا يُرَاعِيهِ[١] الْعَاشِقُ الْغَيُورُ مِنَ الْمَعْشُوقَةِ الْمُتَّهَمَةِ[٢] . وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ[٣] قَدْ كَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ وَقَالَ لِوَزِيرِهِ : إِذَا رَأَيْتَنِي غَضْبَانَ[٤] فَادْفَعْ إِلَيَّ رُقْعَةً بَعْدَ رُقْعَةٍ[٥] فَكَانَ فِى الْوَاحِدَةِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلٰهٍ ، وَإِنَّكَ سَتَمُوتُ[٦] وَتَعُودُ إِلَى التُّرَابِ فَيَأْكُلُ بَعْضُكَ بَعْضًا . وَفِى الثَّانِيَةِ : ارْحَمْ مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِى السَّمَاءِ . وَفِى الثَّالِثَةِ : اقْضِ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ اللهِ ، فَإِنَّهُمْ لا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ .

إِذَا كَانَ الْوَزِيرُ يُسَاوِى الْمَلِكَ فِى الرَّأْىِ وَالْهَيْبَةِ[٧] وَالطَّاعَةِ فَلْيَصْرَعْهُ الْمَلِكُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ الْمَصْرُوعُ . وَفِى الأَمْثَالِ : إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ خَافَ[٨] الْوُزَرَاءُ .. وَلَمَّا كَانَتْ أُمُورُ الْمَمْلَكَةِ عَائِدَةً إِلَى الْوُزَرَاءِ ، وَأَزِمَّةُ الْمُلُوكِ فِى أَكُفِّ الْوُزَرَاءِ[٩] سَبَقَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْمَثَلُ السَّائِرُ فَقَالُوا : لا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّةِ الأَمِيرِ إِذَا غَشَّكَ الْوَزِيرُ ، وَإِذَا أَحَبَّكَ الْوَزِيرُ فَلَا تَخْشَ الأَمِيرَ . وَيُقَالُ : الْخُرْقُ مُمَارَاةُ الأُمَرَاءِ[١٠] وَمُعَادَاةُ الْوُزَرَاءِ ، وَرُبَّ أَمْرٍ كَرِهَهُ الأَمِيرُ فَتَمَّ بِالْوَزِيرِ ، وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ أَرَادَهُ الأَمِيرُ فَثَنَاهُ عَنْهُ الْوَزِيرُ ، وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ كَالدَّارِ ، وَالْوَزِيرُ بَابُهَا ، فَمَنْ أَتَى الدَّارَ مِنْ بَابِهَا وَلَجَ ، وَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ بَابِهَا أُزْعِجَ[١١] .

---

(١) فى « م » : « ما يُراعى » .
(٢) فى « ط » : « المَفْهُومَة » .
(٣) فى « م » : « بعض الخلفاء » .
(٤) فى « م » : « غضبانًا » .. لا تصح .
(٥) قوله : « بعد رقعة » عن « م » وساقط من « ط » .
(٦) فى « م » : « تموت » .
(٧) فى « م » : « فى الزّىّ والهيئة » .
(٨) فى « م » : « خافت » والدهماء : عامّةُ الناس وسوادهم .
(٩) الأزِمَّة : جمع زِمَام ، وهو المِقْوَد . والمراد هنا : أنّ الوزراء هم المُفَوَّضُونَ فى تصريف أُمور المملكة .
(١٠) المُمَارَاة : المُناظرة والمجادلة .
(١١) أُزْعِجَ : طُرِدَ .

وَقَال أَنُوشِرْوَانُ : لا يَتِمُّ لِلْمَلِكِ أَمْرُهُ حَتَّى يَرْفَعَ نَفسَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَيَكُونَ لَهُ جَلِيسٌ مَأْمُونُ الْغَيْبِ ، وَخَادِمٌ نَاصِحُ الْجَيْبِ [١] . وَمَوْقِعُ الْوِزَارَةِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ كَمَوْقِعِ الْمِرْآةِ مِنَ النَّظَرِ ، فَكَمَا [٢] أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْمِرْآةِ لا يَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ وَعُيُوبَهُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ إِذَا [٣] لَمْ يَكُنْ لَهُ وَزِيرٌ لا يَعْرِف [٤] مَحَاسِنَ دَوْلَتِهِ وَعُيُوبَهَا .. وَكَاتِبُ [٥] الْمَلِكِ مُسْتَقَرُّ أَسْرَارِهِ ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ عَنْهُ فِي آفَاقِ [٦] مَمْلَكَتِهِ ، وَالْمَخْصُوصُ بِقُرْبِهِ وَلُزُومِه دُونَ نُظَرَائِهِ .. ظَهِيرُ الأَمِيرِ وَزِيرُهُ ، وَزِيْنَتُهُ حَاجِبُهُ ، وَلِسَانُهُ كَاتِبُهُ ، وَرَسُولُهُ عَيْنُهُ .. الْكِتَابَةُ قِوَامُ الْخِلاَفَةِ [٧] وَقَرِينَةُ الرِّيَاسَةِ ، وَعَمُودُ الْمَمْلَكَةِ .

لِلْكَاتِبِ عَلَى الْمَلِكِ ثَلاَثَةُ أَشْيَاءَ : يَرْفَعُ الْحِجَابَ عَنْهُ ، وَيَتَّهِمُ الْوُشَاةَ عَلَيْهِ ، وَيُفْشِي سِرَّهُ إِلَيْهِ [٨] . وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ فِي الثَّنَاءِ ، وَلا الْخِبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ، وَلَا السَّيِّءُ الأَدَبِ فِي الشَّرَفِ ، وَلا الشَّحِيحُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيصُ فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْمُتَهَاوِنُ الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءِ فِي بَقَاءِ الْمُلْكِ ، وَكَمَا أَنَّ الْمِرآةَ لا تُرِيكَ وَجْهَكَ إِلَّا بِصَفَاءِ جَوْهَرِهَا ، وَجَوْدَةِ صَقْلِهَا ، وَنَقَائِهَا مِنَ الصَّدَإِ ، كَذَلِكَ الأَمِيرُ لا يَكْمُلُ أَمْرُهُ إِلَّا بِجَوْدَةِ عَقْلِ الْوَزِيرِ ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَصَفَاءِ نَفْسِهِ ، وَنَقَاءِ قَلْبِهِ .

وَمِنْ شُرُوطِ [٩] الْوَزِير : أَنْ يَكُونَ مَكِينَ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ ، رَءُوفاً بِهِمْ ، لِيَأْسُو بِرَحْمَتِهِ مَا يَجْرَحُهُ السُّلْطَانُ بِغِلْظَتِهِ .

---

(١) ناصح الجيب ، أى : أمين .

(٢) فى « م » : « وكما » .

(٣) فى « ط » : « إذْ » . والمناسب للسياق « إذا » .

(٤) فى « م » : « لا يَرَى » .

(٥) فى « م » : « كاتِب » بدون واو العطف .

(٦) فى « م » : « وآفاق » .

(٧) قِوامُ الخِلافَة : عِمَادُها .

(٨) « إليه » عن « ط » وساقط من « م » .

(٩) مِنْ شروط الوزير ، أى : من التزامه .. وفى « م » : « مشروط » .

وَمِنْ شُرُوطِهِ : أَنْ يَكُونَ نَقِيَّ الْجَيْبِ ، نَاصِحَ الْغَيْبِ ، لا يَقْبَلُ دَقِيقَةً (١) وَلَا يَكْتُمُ نَصِيحَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِوَزِيرِهِ : لا تَكُونَنَّ (٢) إِلَى مَا تُسِرُّنِى بِهِ أَسْرَعَ (٣) مُبَادَرَةً مِنْ إِنْذَارِى فِيمَا يُخَافُ (٤) عَلَىَّ مِنْهُ .. وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ : أَعْطِ مَنْ أَتَاكَ بِمَا تَكْرَهُ ، كَمَا تُعْطِى مَنْ أَتَاكَ بِمَا تُحِبُّ ، فَإِنَّ مَنْ أَنْذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ .

وَمِنْ شُرُوطِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلاً كَلَيْلِ تِهَامَةَ لا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ (٥) . وَمَوْقِعُ الْوَزِيرِ مِنَ الْمَلِكِ مَوْقِعُ الْمَلِكِ (٦) مِنَ الْعَامَةِ . وَكَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتِ الرَّعِيَّةُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدُوا ، كَذَلِكَ الْوُزَرَاءُ ، إِذَا فَسَدُوا فَسَدَ الْمَلِكُ ، وَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ الْمَلِكُ .

وَكَانَ يُقَالُ : آفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى ، وَآفَةُ الأَمِيرِ سَخَافَةُ الْوَزِيرِ . وَقَالَ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ لِوَزِيرِهِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى (٧) : اتَّقِ اللهَ يُعَطِّفْنِي عَلَيْكَ ، وَلَا تَعْصِهِ فَيُسَلِّطَنِى عَلَيْكَ . وقَالَ

---

(١) الدقيقة : الأمر الحقير الصغير .

(٢) فى « م » : « ما يكون » .

(٣) فى « م » : « أسْرَعَ مِنْكَ » .

(٤) فى « م » : « إلى إنذارى فيما تخاف » .

(٥) تِهَامَة : أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال فى الحجاز واليمن ، والقُرُّ ، بفتح القاف للمُشَاكَلة مع « الحَرّ » : البرد .

(٦) « موقع الملك » عن « ط » وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ .

(٧) المقتدر بالله هو : الخليفة العباسي جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل بن المعتضد . وُلد فى بغداد سنة ٢٨٢ هـ ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥ هـ ، فاستصغره الناس ، فخلعوه سنة ٢٩٦ هـ ونَصَّبُوا عبد الله ابن المعتز ، ثم قتلوا ابن المعتز ، وأُعِيد المقتدر بعد يومين ، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن والاضطرابات إلى أن قُتِلَ سنة ٣٢٠ هـ .

أمّا علىُّ بن عيسى فهو : على بن عيسى بن داود بن الجَرّاح ، أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد ، وُلد سنة ٢٤٤ هـ ، وهو فارسيُّ الأصل ، نشأ كاتبًا كأبيه ، وولى مكة ، واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠ هـ فولّاه الوزارة ، فأصلح الأحوال ، وأحسن الإدارة ، وحُمدت سيرته ، ثم عزله المقتدر سنة ٣٠٤ هـ ، وحبسه ، ونفاه إلى مكة سنة ٣١١ هـ ، ومنها إلى صنعاء ، ثم أذِنَ له بالعودة إلى مكة سنة ٣١٢ هـ فعاد ، وولى فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ثم أعاده المقتدر إلى الوزارة ، فرجع إلى بغداد سنة ٣١٤ هـ ، وعاد فنقم منه سنة ٣١٦ فعزله ، وهكذا كانت حياته ملؤها الاضطراب إلى أن توفى ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢١ ، وج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٤٠ – ٤٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢١٣ – ٢١٩ ، والكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٩١ وصفحات كثيرة متفرقة] .

الْمَأْمُونُ لِمُحمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ (١) : إِيَّاكَ أَنْ تَعْصِيَ اللهَ فِيمَا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىَّ فَيُسَلِّطنى عَلَيْكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَزِيرِ أَنْ يَكْتُمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَةً وَإِنِ اسْتَقَلَّهَا . وَمَوْقِعُ الْوَزِيرِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ كَمَوْقِعِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الإِنْسَانِ ، وَكَالْيَدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ قَبْضُهُمَا وَبَسْطُهُمَا صَحَّ التَّدْبِيرُ ، وَإِذَا سَقُمَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى الْجَسَدِ . وَلَا تَصْلُح الْوِزَارَةُ أَنْ تَكُونَ فى غَيْرِ أَهْلِهَا ، كَمَا لا يَصْلُحُ الْمُلْكُ أَنْ يَكُونَ فى غَيْرِ أَهْلِهِ . وَشَرُّ الْوُزَرَاءِ مَنْ كَانَ الأَشْرَارُ [أَيْضاً] (٢) لَهُ وُزَرَاءَ وَبِطَانَةً وَدَخَلاً (٣) . وأَوْصَتِ امْرَأَةٌ ابْنَهَا وَكَانَ مَلِكًا ، فَقَالَتْ : يَابُنَىَّ ، يَنْبَغِى لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ : وَزِيرٌ يَثِقُ بِرَأْيِهِ ، وَيُفْضِى إِلَيْهِ بِأَسْرَارِهِ ، وَحِصْنٌ يَلْجأُ إِلَيْهِ إِذَا فَزِعَ ، وَسَيْفٌ إِذَا نَازَلَ الأَقْرَانَ لَمْ يَخُنْهُ (٤) ، وَذَخِيرَةٌ خَفِيفَةُ الْمَحْمِلَ ، إِذَا نَابَتْهُ (٥) نَائِبَةٌ كَانَتْ مَعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَذْهَبَتْ هَمَّهُ ، وَطَبَّاخٌ إِذَا لَمْ يَشْتَهِ الطَّعَامَ طَبَخَ لَهُ مَا يَشْتَهِيهِ .

* * *

---

(١) المأمون هو : الخليفة العباسى عبدالله بن هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .
أمّا محمد بن يَزْدَاد فهو : محمد بن يزداد بن سويد المروزى ، من كُتَّاب الإنشاء فى الدولة العباسية ، وقد استوزره المأمون ، وتوفى المأمون وهو على وزارته ، وعاش إلى أيام الواثق بالله ، وتوفى بِسُرَّ من رأى سنة ٢٣١ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣] .

(٢) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) الدَّخَلُ : الفساد والعيب والريبة .

(٤) فى « م » : « لَمْ يَخَفْ أنْ يخونَهُ » .

(٥) فى « ط » : « نابَهُ » .

الْبَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِى الْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [1] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾[2] .

يَنْبَغِى [3] لِلْمَلِكِ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالأَدَبِ ، وَذَوِى الرَّأْيِ وَالْحَسَبِ ، وَذَوِى التَّجَارِبِ وَالْعِبَرِ ، فَمُجَالَسَةُ الْعُقَلاَءِ لِقَاحُ الْعَقْلِ وَمَادَّتُهُ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ [4] ، فَقَالَ الْقُدَمَاءُ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَيَنَابِيعُ الأَخْبَارِ ، لا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . وَقَالُوا : عَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ [5] فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذَكَاءَ الطَّبْعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ وُجُوهُ الْعِبَرِ ، وَتَصَدَّتْ لأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْغِيَرِ . وَقَالُوا : رَأْىُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغُلاَمِ .

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزخرف .. والأخِلاَّء : الأحِبَّاء فى غير ذاتِ الله .

(٢) الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان . وخَذُولاً : كثير الخِذْلان لِمَنْ يواليه .

(٣) فى « ط » .. « وينبغى » .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « المشايخ » . وانظر أدب الدنيا والدين – الباب الأول ص ٢٦ ط الدار المصرية .

(٥) فى « ط » : « عليك بآراء المشايخ » .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ (١) لِجُلَسَائِهِ : جَنِّبُونِى ثَلَاثًا (٢) : لا تُطْرُونِى ، فَإِنِّى أَعْرَفُ بِنَفْسِى مِنْكُمْ ، وَلَا تَكْذِبُونِى ، فَإِنَّهُ لا رَأْىَ لِكَذُوبٍ ، وَلَا تَغْتَابُوا (٣) عِنْدِى أَحَدًا فَيَفْسُدَ قَلْبِى عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ، وَبِتَقَلُّبِ الأَيَّامِ عِظَةً .. وَقَالُوا : التَّجْرِبَةُ مِرْآةُ الْعَقْلِ ، وَالْغِرَّةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ .. وَقَدْ قَالَ هَرِمُ بْنُ قُطْبَةَ (٤) وَهُوَ أَحَدُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، حِينَ تَنَافَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ (٥) : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ السِّنِّ ، الْحَدِيدِ النَّظَرِ (٦) .. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشُّبَّابِ ، فَإِنَّهُمْ يُنْتِجُونَ رَأْيًا لَمْ يُعِلَّهُ طُولُ الْقِدَمِ ، وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ ، وَالْمَذْهَبُ الأَوَّلُ أَصْدَقُ عَلَى الْعُقُولِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَارَةَ لِمُعَاوِيَةَ (٧) : عَلَيكَ بِمُجَالَسَةِ الأَلِبَّاءِ (٨) أَعْدَاءً كَانُوا أَوْ

---

(١) هو الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان ، وقد مر التعريف به .

(٢) فى « م » : « ثلاثة » . ولا تُطرونى أى : ولا تُبالغوا فى الثناء عَلَىَّ .

(٣) فى « م » : « ولا تغتابون » خطأ ، والصواب حذف النون .

(٤) هو : هَرِمُ بن قُطْبَة بن سِنَان الفَزارى ، كان حَكَمًا من حكام العرب فى الجاهلية ، يقضى بين السادات فيرضون بقضائه ، ولا يُرَدُّ قوله ، أدرك الإسلام ، وله صُحبة ، وكان حيًّا فى خلافة عمر بن الخطاب ، وله معه حديث .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٣ ، والمحبر ص ١٣٥ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٢ ، ومنهاج اليقين لأويس وفا الأرزنجانى ص ١٦ وأدب الدنيا والدين الباب الأول ص ٢٧] .

(٥) فى « ط » : « علابة » بالباء ، خطأ .

وعامر بن الطفيل بن مالك بن الأحوص ، وعلقمة بن عُلَاثَةَ بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة ، كُلٌّ منهما سيدٌ من سادات قومه ، وفارس ، وشاعر .

[انظر المراجع السابقة] .

(٦) فى أدب الدنيا والدين : « الحديد الذهن » .

(٧) هو : عبد العزيز بن زُرارة الكلابىُّ ، قائد من الشجعان المُقَدَّمِينَ فى زمَن معاوية ، وكان فيمن غزا القسطنطينية ، وأبلَى فى قتال الروم بلاءً حسنًا ، وقُتل فى إحدى الوقائع سنة ٤٩ هـ . ولما نُعِىَ لمعاوية ، قال : « هلك والله فَتَى العرب » .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٧ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٢٧] .

(٨) فى « م » : « الأولياء » أى : المناصرين والمحبين . والأَلِبَّاء : ذَوِى الألباب ، أى أصحاب العقول ، جمع لبيب .

صَدِقَاء ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس : مُجَالَسَةُ الْعُقَلاءِ تَزِيدُ (١) فى لشَّرَف . وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٢) : إِنَّ الرَّجُلَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيَلْقَى الرَّجُلَ الْعَاقِلَ نَيَكُونُ [بِعَقْلِهِ] (٣) عَاقِلاً أَيَّامًا . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَرَّ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بِقَصْرٍ بِأَرْضِ مِصْرَ ، فَوَجَدَ فِيهِ مَكْتُوبًا :

غَدَوْنَا مِنْ قُرَى اصْطَخْرٍ ... إِلَى الْقَصْرِ فَعَلْنَاهُ (٤)
فَمَنْ يَسْأَلْ عَنِ الْقَصْرِ ... فَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ ... إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ (٥)
وَفِى الشَّىْءِ عَلَى الشَّىْءِ ... عَلَامَاتٌ وَأَشْبَاهُ (٦)
فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ (٧)

قَالَ : وَوَجَدَ (٨) عَلَيْهِ نَسْرًا وَاقِعًا ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَنْ بَنَى هَذَا الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لا أَدْرِى . قَالَ : كَمْ لَكَ مُنْذُ وَقَعْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : تِسعُمِائَةِ سَنَةٍ . وَفِى الأَمْثَالِ : يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِخَلِيلِهِ . وَلَمَّا حَجَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ (٩) نَزَلَ مَكَّةَ لَيْلاً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ

---

(١) فى « م » : « يزيد » .

(٢) هو : سفيان بن عُيينة بن ميمون . مَرَّ التعريف به .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) اصْطَخْر : من أقدم مُدُن فارس وأشهرها ، وبها كان قصر ملك فارس . [انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢١١] .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « إذا ما هُوَ ماشَاهُ » .

(٦) أى : نُماثله . وأشباهٌ : جمع شِبْهٍ أو شبيهٍ .

(٧) أرْدَى حليمًا : أهلكه حين صَحِبَهُ .

(٨) فى « ط » : « ووجَدْنا » لا تصح .

(٩) فى « ط » : « عبيد الله » خطأً .. وهو : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى ، صحابىٌّ ، وُلِدَ بأرض الحبشة لَمَّا هاجر أبواه إليها ، وأُمُّهُ أسماء بنت عُمَيْس ، وهو أخو محمد بن أبى بكر الصِّدِّيق لأُمِّه ، وكان كريمًا يُسمى بَحْر الجود . وللشعراء فيه مدائح . وكان أحد الأُمراء فى جيش عَلِيٍّ يوم « صفِّين » . ومات بالمدينة سنة ٨٤ هـ على الأرجح . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، والمحبر ص ١٤٧ – ١٥٠ ، والمعارف ص ٢٠٦ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٨ – ٢٠٠] .

قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَرَفْنَا خِيَارَكُمْ مِنْ أَشْرَارِكُمْ فى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَزَلْنَا وَمَعَنَا أَخْيَارٌ وَأَشْرَارٌ ، فَنَزَلَ أَخْيَارُنَا عَلَى أَخْيَارِكُمْ [١] وَأَشْرَارُنَا عَلَى أَشْرَارِكُمْ ، فَعَرَفْنَاكُمْ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ الدُّخَانُ عَلَى النَّارِ بِأَدَلَّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ . وَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ [٢] : الصَّاحِبُ لِلصَّاحِبِ كَالرُّقْعَةِ فى الثَّوْبِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلَهُ [٣] شَانَتْهُ . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ [٤] لِلأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، مَاأَشْتَاقُ إِلَى غَائِبٍ إِذَا حَضَرْتَ ، وَلَا أَنْتَفِعُ بِحَاضِرٍ إِذَا غِبْتَ ، فَأَخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَاتِبُ [٥] فَنَظَمَهُ فَقَالَ :

وَأَنْتَ هَوَى النَّفْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ ... وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْمُطَاعُ

وَمَا بِكَ إِنْ بَعُدُوا وَحْشَةٌ ... وَمَا مَعَهُمْ إِنْ بَعُدْتَ اجْتِمَاعُ [٦]

---

(١) فى « م » : « فنزل خيارنا على خيارکم » .

(٢) هو : عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعى ، وقد مر التعريف به .

(٣) فى « ط » : « فى مِثْلِهِ » . وشَانَتْهُ : عابَتْهُ .

(٤) فى « م » و « ط » : « ملك » بدون ألف صغيرة فوق الميم تدل على الألف المحذوفة .

وهو : مالك بن مِسْمَع بن « سيَّار » — وقيل : « شيبان » و « سنان » — البكرى ، سيد ربيعة فى زمانه ، كان مقدمًا رئيسًا ، وُلِدَ فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وإليه تُنْسَب المسامِعَة . أُصيبت عينه فى معركةٍ بالجفرة (موضع بالبصرة) وقيل : فُقِئت يوم الجمل ، وتوفى سنة ٧٣ هـ ، وكان يُقال : سَادَ الأحنف بحِلْمِه ، « وساد مالك بن مِسْمَع بمحبة العشيرة له » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٦٥ ، والمحبر ص ٢٦١ و ٣٠٢ ، والمعارف ص ٤١٩ ، وثمار القلوب ص ٣٩٨ ، والحيوان ج ١ ص ٢٧٠] .

(٥) هو : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُوِل ، أبو إسحاق ، كاتب العراق فى عصره ، وُلِدَ سنة ١٧٦ هـ وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها ، وكان إبراهيم مقربًا من الخلفاء ، فكان كاتبًا للمعتصم والواثق والمتوكل . وتنقل فى الأعمال والدواوين إلى أن مات سنة ٢٤٣ هـ بِسُرَّ مَنْ رأى ، وله ديوان شعر رقيق .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ١٦٤ — ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١١٧ ، ١١٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤ — ٤٧ ، والأغانى ج ١٠ ص ٣٥٠٧ — ٣٥٣٢ ط الشعب] .

(٦) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وَحْدَةٌ » بدل « وَحْشَةٌ » . والوحشة : الخوف والانقطاع وبُعد القلوب عن المَوَدَّات .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ (١) : الْمَالُ غَادٍ وَرَائِحٌ ، وَالسُّلْطَانُ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَالإِخْوَانُ كُنُوزٌ وَافِرَةٌ . وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : تَنَاظَرَ رَجُلَانِ [مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ] (٢) وَأَعْرَابِيٌّ حَاضِرٌ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : مُنَاظَرَةُ مِثْلِكَ فِى الدِّينِ فَرْضٌ ، وَالاسْتِمَاعُ مِنْكَ أَدَبٌ ، وَمُجَالَسَتُكَ زَيْنٌ ، وَمَعْرِفَتُكَ عِزٌّ ، وَمُذَاكَرَتُكَ تَلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ (٣) وَشَحْذٌ ، وَإِخَاؤُكَ شَرَفٌ وَفَخْرٌ .. وَقَالَ السُّمْسِمَانِيُّ (٤) : غَنَّى مُخَارِقٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ (٥) :

---

(١) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعى بالولاء ، أبو العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى ، وُلِد سنة ١٨٢ هـ ، وكان جده الأعلى « زريق » من موالى طلحة بن عبد الله ، المعروف بطلحة الطَّلَحات .. وَلِىَ إِمْرَةَ الشام مُدَّة ، فنُقِل إلى مصر سنة ٢١١ هـ فأقام سنة ، ثم نُقل إلى الدِّينَور ، ثم وَلَّاهُ المأمون « خراسان » وظهرت كفايته فولى طبرستان وكرمان والرَّىّ والسودان ، واستمر إلى أن توفى بنيسابور – وقيل : بِمَرْو – سنة ٢٣٠ هـ . وكان كريمًا باذلاً للمال ، مع علم ومعرفة وتجربة ، وللشعراء فيه مَراثٍ كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٨٣ – ٤٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٣ – ٨٩ ، وأخباره كثيرة فى ابن الأثير ، والطبرى ، ومروج الذهب ، والأغانى] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « تلقيح العقول » .

(٤) هو : أبو الحسن على بن عبيد الله بن عبد الغفار ، أديب ولغوى ، سمع أبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل بن المأمون ، وكان صدوقًا ، ثقة فى الرواية . وقد كتب الكثير ، وأكثر كتبه بخطه . توفى – رحمة الله – سنة ٤١٥ هـ . والسُّمْسِمَانِىّ : قال ابن خِلِّكان : « لا أعرف نسبته إلى ماذا هى ، وهى بكسر السِّينين المهملتين ، وسكون الميم الأولى وفتح الثانية ، وبالنون ، ثم وجدت فى دُرَّة الغَوَّاص للحريرى ما مثاله : ويقولون فى النسبة إلى الفاكهة والباقلاء والسمسم : فاكهانى ، وباقلانى ، وسمسمانى ، فيخطئون فيه – ويبيِّن وجه الخطأ – ثم قال بعد ذلك : ووجه الكلام أن يقال فى المنسوب إلى السمسم : سمسمىّ . وتمَّمَ الكلام إلى آخره . فلما وقفت على هذا ، علمتُ أن نسبة أبى الحسن المذكور إلى السمسم ، وأنه استُعْمِلَ على اصطلاح الناس » . وقد ضبطه ياقوت فى معجم الأدباء بالفتح ، ونسبه إلى « سَمْسَم » البلدة التى وردت فى معجم البلدان فقال : « السَّمْسَمِىّ » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠ ، ومعجم مقيدات ابن خلكان ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، وَإِنْبَاه الرُّواةِ على أَنْبَاهِ النُّحَاة ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ومعجم الأدباء ج ١٤ ص ٥٨ – ٦١ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٢ ، ودرة الغواص للحريرى ص ١١٢ ، ١١٣] .

(٥) المأمون : مَرَّ التعريف به .

ومُخارِق هو : أبو المهنأ بن يحيى الجزار ، إمام عصره فى فن الغناء ، وكان من أطيب الناس صوتًا ، كان مملوكاً لعاتكة بنت شُهْدَة بالكوفة ، وهى التى علَّمته الغناء والضرب على العود وباعته ، فصار إلى الرشيد ، وكان الرشيد يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه وأعطاه ٣٠ ألف درهم . واتصل بعد ذلك بالمأمون ، وزار معه دمشق . وتوفى بسُرَّ من رأى سنة ٢٣١ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٩١ ، والأغانى ج ٢٠ ص ٧١٧٤ – ٧٢٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٨٠]

وَإِنِّى لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدِرْتُ عَلَيْهِ [(١)]
عَذِيرِى مِنَ الإِنْسَانِ لا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لى ، وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ [(٢)]

فَطَرِبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : وَيْحَكَ [(٣)] يا مُخَارِقُ ، خُذْ مِنِّى نِصْفَ الْخِلافَةِ وَأَعْطِنِى هَذَا الإِنْسَانَ .

وَقَالَتِ [(٤)] الْحُكَمَاءُ : النَّظَرُ فى عَوَاقِبِ الأُمُورِ تَلْقِيحُ الْعُقُولِ . وَقَالُوا : الْعَاقِلُ لا تَنْقَطِعُ صَدَاقَتُهُ ، وَالأَحْمَقُ لا تَدُومُ مَوَدَّتُهُ ، فَاتَّخِذْ مِنْ نُصَحَاءِ أَصْحَابِكَ مِرْآةً لِطَبَائِعِكَ وَفَعَائِلِكَ ، كَمَا تَتَّخِذُ لِوَجْهِكَ الْمِرْآةَ الْمَجْلُوَّةَ [(٥)] ، فَإِنَّكَ إِلَى صَلَاحِ طَبَائِعِكَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَى تَحْسِينِ صُورَتِكَ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ [(٦)] نَظَرْتُ فى اللَّذَّاتِ [(٧)] فَوَجَدْتُهَا كُلَّهَا مَمْلُولَةً [(٨)] خَلَا سَبْعَةٍ . قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ [(٩)] قَالَ : خُبْزُ الحِنْطَةِ ،

---

(١) البيتان لأبى العتاهية ، وقد ورَدَا فى ديوانه تحت عنوان « الصديق الصادق » . وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « وإنى لمحتاج » بدل « وإنى لمشتاق » .
[انظر ديوان أبى العتاهية ص ٤٦٤ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٨٠] .

(٢) عَذِيرى مِنَ الإنسان : أى مَنْ يعذرنى فى أمره إذا جازيته على فِعْلِه ، ولا يلومنى على ما أفعله .. وفى « م » : « مِنَ الإخوان » . وفى الديوان : « كُنْتُ » بدل « صِرْتُ » .

(٣) فى « م » : « وَيْلَكَ » .. وَوَيْح : كلمة تَرَحُّم وتوجُّع . وقيل : هى بمعنى « ويل » ، وتستعمل أصلاً فى الدعاء على الشخص ، وهى كلمة عذاب ، واستُعْمِلتْ هنا للتعجب .

(٤) فى « م » : « وقال » . وكلاهما صواب .

(٥) فى « م » : « المَجْلِيَّة » وكلاهما صواب .

(٦) هو : الحسَن بن سهل بن عبد الله السَّرَخْسِىُّ ، أبو محمد ، وزير المأمون العباسى ، تولى وزارة المأمون بعد أخيه « الفضل » ذى الرياستين . وهو أحد كبار القادة والولاة فى عصره ، وُلد سنة ١٦٦ هـ واشتهر بالفصاحة والأدب والذكاء المفرط ، وحُسن التوقيعات والكرم ، وهو والد « بوران » زوجة المأمون ، وكان المأمون يُجِلُّه ويُبالِغ فى إكرامه ، وللشعراء فيه أماديح . توفى فى « سَرَخْس » من بلاد خراسان سنة ٢٣٦ هـ .
[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣١٩ - ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٣ ، وأخباره كثيرة فى كتب التاريخ ، وله أخبار وأقوال منثورة فى كتب الأدب العربى ، كعيون الأخبار ، والكامل ، وغيرهما] .

(٧) فى « م » : « فى اللَّذَّات كلها » .

(٨) فى « م » : « فوجدتها مملوكة » بالكاف . وما ورد فى « ط » أصح معنًى .

(٩) جملة : « قال : وما السبع يا أمير المؤمنين ؟ » عن « ط » وساقطة من « م » .

وَلَحْمُ الْغَنَمِ ، وَالْمَاءُ البَارِدُ ، وَالثَّوْبُ النَّاعِمُ ، وَالرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْفِرَاشُ الْوَطِيءُ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُحَادَثَةِ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ ، وَهِيَ أَوْلاهُنَّ .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَكَلْتُ الْحُلْوَ وَالْحَامِضَ حَتَّى لا أَجِدَ [لِوَاحِدٍ] [١] مِنْهُمَا طَعْمًا ، وَشَمَمْتُ الطِّيبَ حَتَّى لا أَجِدَ لَهُ رَائِحَةً [٢] ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ حَتَّى مَا أُبَالِي امْرَأَةً أَتَيْتُ أَمْ حَائِطًا ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَلَذَّ مِنْ جَلِيسٍ يُسْقِطُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُؤْنَةَ التَّحَفُّظِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ مُحَادَثَةِ الإِخْوَانِ فِي اللَّيَالِي الزُّهْرِ عَلَى العَلَالِي الْعُفْرِ [٣] . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ قَرَّبَ السَّفْلَةَ [٤] وَأَدْنَاهُمْ ، وَبَاعَدَ ذَوِي الْعَقْلِ [٥] وَأَقْصَاهُمْ ، اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ [٦] ، وَمَنْ مَنَعَ الْمَالَ مِنَ الْحَمْدِ [٧] وَرِثَهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ .

وَمِنَ الْكَلَامِ الشَّرِيفِ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحْوَجَ ذَا الْقُدْرَةِ إِلَى دِينٍ يَحْجِزُهُ [٨] ، وَحَيَاءٍ يَكُفُّهُ ، وَعَقْلٍ يَعْدِلُهُ [٩] وَإِلَى تَجْرِبَةٍ طَوِيلَةٍ وَعِبَرٍ [١٠] مَحْفُوظَةٍ ، وَإِلَى أَعْرَاقٍ

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٢) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « وشَمَمْتُ الرائحة حتى لا أجد لها رائحة » .

(٣) الليالى الزُّهْر : الصافية .. والعلالى العُفْر : الأماكن الصلبة البعيدة . ويقال : هجرتُ أخى على عُفْرٍ ، أى : على بُعْدٍ من الحيِّ والقرابات .. وفى « م » : « فى التلال الزُّهْر على الليالى العُفْر » .

(٤) السَّفْلَةُ والسَّفِلَةُ من الناس : غَوْغاؤهم وأسافِلُهم .

(٥) فى « م » : « ذوى الفضل » .

(٦) الخِذْلان : عدم النُّصرة .

(٧) الحمد : الثناء الجميل ، يريد : مَنْ أَمْسَكَ ماله بُخلاً ولم يَفْعَل به ما يُحْمَدُ عليه .

(٨) يحجزه : يمنعه ويكفُّه عن المآثِم .

(٩) فى « م » : « وعدل يعدلُهُ » . والعدل : القصد فى الأمور ، وهو خلاف الجَوْر .

(١٠) العِبَرُ : الاتِّعاظُ والاعتبار بما مضَى ، مفرده : عِبْرَة . وفى « م » : « غِيَرٌ مَحْفُوظَةٌ » . والغِيَرُ : أحْوال الدَّهر وأحداثه المتغيرة ، وستأتى بعد قليل .

تَسْرِى إِلَيْهِ ، وَأَخلَاقٍ (١) تُسَهِّلُ الأُمُورَ عَلَيْهِ ، وإِلَى جَلِيسٍ رَفِيقٍ ، وَرَائِدٍ شَفِيقٍ ، وَإِلَى عَيْنٍ تَنْظُرُ الْعَوَاقِبَ ، وَعَقْلٍ يَخَافُ الْغِيَرَ (٢) وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ يَوْمَ ظَفَرِ الأَيَّامِ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْ سَطَوَاتِ الدَّهْرِ ، وَلَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ فَلَتَاتِ الزَّلَلِ ، وَلَمْ يَتَعَاظَمْهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا تَنَاءٍ وَإِنْ سَمُجَ (٣) ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ جَلِيسِكَ أَمْرًا تَكْرَهُهُ ، أَوْ خَلَّةً (٤) لا تُحِبُّهَا ، أَوْ صَدَرَتْ مِنْهُ كَلِمَةٌ عَوْرَاءُ ، أَوْ هَفْوَةٌ غَبْرَاءُ ، فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ ، وَلَا تَصْرِمْ وُدَّهُ ، وَلَكِنْ دَاوِ كَلِمَهُ ، وَاسْتُرْ عَوْرَتَهُ ، فَأَبْقِهِ ، وَابْرَأْ مِنْ عَمَلِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ (٥) . فَلَمْ يَأْمُرْ بِقَطْعِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عَمَلِهِم [السُّوءِ] . قَالَ الشَّاعِرُ (٦) :

إِذَا رَابَ مِنِّى مَفْصِلٌ فَقَطَعْتُهُ ... بَقِيتُ وَمَا بِى لِلنُّهُوضِ مَفَاصِلُ (٧)
وَلَكِنْ أُدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِى ... وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ (٨)

وَأَتَى رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَشَكَا إِلَيْهِ صَدِيقَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى قَطِيعَتِهِ (٩) وَالانْتِقَامِ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : أَتَفْهَمُ مَا أَقُولُ لَكَ [فَأُكَلِّمُكَ] (١٠) أَمْ بِكَ مِنْ فَوْرَةِ الْغَضَبِ

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أَعْلَاق » وهى بمعنى نفائس أو صداقات . أمّا الأعراق ، فهى جمع عِرْق ، وهو مجرى الدم فى الجسد ، والمراد بها : الأصول .

(٢) فى « م » : « العبر » . تحريف .

(٣) هكذا فى « ط » .. والتنائى : البُعْد . وسَمُجَ : قَبُحَ .. وفى « م » : « ولا ثناء وإن سَمَح » أى : ولا مدح وإنْ لَانَ وسهل . وما ورد فى « ط » هو الأنسب للسياق .

(٤) الخَلَّة ، بفتح الخاء المعجمة : الخَصْلَة .

(٥) الآية ٢١٦ من سورة الشعراء .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » . وفى « م » : « وقال » .

(٧) المَفْصِل : مُلتقَى كل عَظْمَيْن فى الجسد . وراب : فسَد . وفى « م » : « ومالى بالنهوض » .

(٨) أعْيَا : أعجز ، أى : أعجزنى فلم أستطع مداواته . والتَّحَامُل : تحمُّل الشئ على مشقة وإعياء .

(٩) القطيعة : الهجران والصَّدُّ . وفى « ط » : « قَطْعِهِ » وهى بمعناها .

(١٠) مابين المعقوفتين عن « ط » .

مَا يَشْغَلُكُ (١) عَنْهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لِمَا تَقُولُ وَاعٍ . فَقَالَ (٢) : أَسُرُورُكَ بِمَوَدَّتِهِ كَانَ أَطْوَلَ أَمْ غَمُّكَ بِذَنْبِهِ ؟ قَالَ : بَلْ سُرُورِي . قَالَ : أَفَحَسَنَاتُهُ عِنْدَكَ أَكْثَرُ أَمْ سَيِّئَاتُهُ ؟ قَالَ : بَلْ حَسَنَاتُهُ . قَالَ : فَاصْفَحْ بِصَالِحِ أَيَّامِكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَهَبْ لِسُرُورِكَ جُرْمَهُ ، وَاطْرَحْ مُؤْنَةَ الْغَضَبِ وَالانْتِقَامِ مِنْهُ ، وَلَعَلَّكَ لا تَنَالُ مَا أَمَّلْتَ فَتَطُولُ مُصَاحَبَةُ الْغَضَبِ ، وَأَنْتَ صَائِرٌ إِلَي مَا تُحِبُّ .

* * *

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ما شغلك » .
(٢) ف « م » : قال .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ جَمَالُ السُّلْطَانِ

قَدْ ذَكَرْنَا الْخِصَالَ الَّتِي تَجْرِي مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ ، وَنَذْكُرُ الآنَ الْخِصَالَ الَّتِي تَجْرِي مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى التَّاجِ وَالطَّيْلَسَانِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْكَمَالِ ، فَأَصْلُهَا [1] وَقَاعِدَتُهَا الْعَفْوُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ . [2] فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : لا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ، فَذَهَبَ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ [3] أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَاعْلَمُوا ، أَرْشَدَكُمُ اللهُ ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَفْوِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ [4] وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ**

---

(١) في « ط » « فأكملها » .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف .. خُذ العَفْوَ : ماعَفَا وتَيَسَّر مِنْ أخلاق الناس ، وهو ما لا يجهدهم . وَأْمُرْ بالعُرْف : بالمَعْرُوف حُسْنُه في الشرع . وأَعْرِضْ عن الجاهلين : بالاحتمال والصَّفْح .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ربك يأمرك » .

(٤) نَدَبَ إليه : دعا إليه .

عن النَّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١] . فَأَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى مَحَبَّتَهُ لِلْعَافِينَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالإِحْسَانِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [٢] . وَعَزَائِمُ الأُمُورِ مِنْ صِفَاتِ الْمُصْطَفَيْنَ مِنَ الرُّسُلِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [٣] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [٤] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ [٥] . فَاسْتَعْطَفَ الْخَلْقَ ، وَنَدَبَهُمْ إِلَى أَنْ يَعْفُوا [٦] عَنِ الْجُنَاةِ وَالظَّالِمِينَ وَالْخَاطِئِينَ ، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ اللهُ بِهِمْ ، وَقَالَ فِيمَنِ انْتَصَرَ وَلَمْ يَعْفُ : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٧] . فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُنْتَصِرِ وَالْمُنْتَقِمِ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ فَضِيلَةً .

ثُمَّ كَشَفَ الْغِطَاءَ وَأَزَالَ [٨] الْعُذْرَ ، وَصَرَّحَ بِتَفْضِيلِ الْعَافِينَ عَلَى الْمُنْتَصِرِينَ ، وَالْوَاهِبِينَ حُقُوقَهُمْ عَلَى الْمُنْتَقِمِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [٩] . وَهَذَا نَصٌّ لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فى ذَلِكَ أَنَّ الانْتِصَارَ عَدْلٌ ، وَالْعَفْوَ فَضْلٌ ، وَفَضْلُ اللهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ عَدْلِهِ ، لأَنَّهُ إِنْ عَدَلَ عَلَيْنَا فَأَخَذَنَا بِحَقِّهِ هَلَكْنَا ، وَإِنْ عَفَا عَنَّا بِرَحْمَتِهِ تَخَلَّصْنَا ، وَلَوْ كَانَ الْعَدْلُ يَسَعُ الْخَلَائِقَ لَمَا قَرَنَهُ اللهُ [تَعَالَى] [١٠] بِالإِحْسَانِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعَدْلَ [١١] اسْتِقْصَاءٌ وَمُنَاقَشَةٌ – وَذَلِكَ مِمَّا تَضِيقُ عِنْدَهُ النُّفُوسُ ، وَتَحْرَجُ لَهُ الصُّدُورُ – نَاطَ

---

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ٤٣ من سورة الشورى .
(٣) من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف .
(٤) من الآية ٣٧ من سورة الشورى .
(٥) من الآية ٢٢ من سورة النور .
(٦) فى « م » : « وندبهم إلى العفو » .
(٧) الآية ٤١ من سورة الشورى .
(٨) فى « ط » : « وأزاح » .
(٩) الآية ١٢٦ من سورة النحل .
(١٠) ما بين المعقوفين عن « م » .
(١١) فى « م » : « أن فى العدل » .

الإِحْسَانَ بِالْعَدْلِ [١] فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [٢] .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الانْتِصَارَ انْتِقَامٌ وَعَذَابٌ بِلَا امْتِنَانٍ ، وَالْعَفْوَ مَحَبَّةٌ مِنَ اللهِ وَإِحْسَانٌ [٣] ، وَأَيْضًا فَالانْتِصَارَ سَيِّئَةٌ وَالْعَفْوَ حَسَنَةٌ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [٤] . وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الانْتِصَارَ سَيِّئَةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [٥] ، غَيْرَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ [٦] سَيِّئَةً لَمَّا كَانَتْ نَتِيجَةَ سَيِّئَةٍ ، لا أَنَّهُ [٧] لا يَجُوزُ الانْتِصَارُ ، وَهُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ التَّغْلِبِيِّ [٨] :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا [٩]

فَسُمِّيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْجَهْلِ جَهْلًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ جَهْلاً .. وَعَنْ هَذَا رَوَتْ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ... ويحرج له الصدر نيط فقال » وسقط « بالعدل » منها .. وَنَاطَ : عَلَّقَ .

(٢) من الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) من أول قوله : وأيضًا .. إلى هنا . عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) من الآية ٣٤ من سورة فُصِّلَت .

(٥) من الآية ٤٠ من سورة الشورَى .

(٦) فى « ط » : « إنما سُمِّيت » .

(٧) فى « م » : « لأنه » .. لا يصح .

(٨) فى « م » : « الثعلبى » . تحريف من الناسخ .

وهو : كُلْثُوم بن مالك بن عتَّاب ، من بنى تغلب ، وأمُّه ليلى بنت المهلهل ، أخى كُلَيْب . شاعر جاهلى ، من الطبقة الأولى ، وُلد فى شمال الجزيرة العربية ، فى بلاد ربيعة ، وتجول فيها وفى الشام والعراق ونجد ، وكان من أعز الناس نفسًا ، وهو من الفُتَّاك الشُّجْعَان . ساد قومه « تغلب » وهو فتى ، وعمِّر طويلاً ، وهو الذى قتل الملك عمرو بن هند . وتوفى سنة ٤٠ قبل الهجرة تقريبًا .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٤ – ٢٣٦ ، وانظر معلقته فى شرح القصائد السبع الطوال لأبى بكر الأنبارى ص ٣٦٩ – ٤٢٨ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٨٣٨ – ٣٨٤٦ ، والمحبر ص ٢٠٢ – ٢٠٤ ، وثمار القلوب ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، والمعارف ص ٩٦ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٨٣ – ١٨٥] .

(٩) هذا البيت من مُعَلَّقته الشهيرة التى مطلعها : « ألا هُبِّى بصحنكِ فاصبحينا » . ومعنى « فنجهل فوق جهل الجاهلينا » أى : فنهلكه أو نجازيه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله ، فنسب الجهل إلى نفسه وهو يريد الإهلاك والمعاقبة ، ليزدوج اللفظان ، فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى ، وهى تخالفها فى المعنى ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثْلِ ما اعتدَى عليكم ﴾ . أى : فعاقبوه على اعتدائه . والثانى ليس اعتداءً فى الحقيقة ، بل هو « عَدْل » وسُمِّىَ اعتداءً للمُشَاكَلة والتوفيق بين اللفظين .

[انظر شرح القصائد السبع الطوال ص٤٢٦ ط دار المعارف] .

عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ، ﷺ ، مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ [١] ظُلِمَهَا قَطُّ ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْتُهِكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَلَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ : « يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ أَجْرٌ [٢] فَلْيَقُمْ . فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا » . فَإِنْ عَفَوْتَ أَيُّهَا الطَّالِبُ كَانَ أَجْرُكَ عَلَى اللهِ ، وَإِنْ لَمْ تَعْفُ كَانَ حَقُّكَ قِبَلَ مَنْ ظَلَمَكَ [٣] ، وَلَأَنْ يَكُونَ أَجْرُكَ فِي ضَمَانِ اللهِ تَعَالَى أَوْثَقُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قِبَلَ مَخْلُوقٍ . وَأَيْضًا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَعْفُ [٤] نِلْتَ حَقَّكَ بِلَا زِيَادَةٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ [لَكَ] [٥] حَسَنَةٌ أَسْدَيْتَهَا [٦] لِأَخِيكَ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [٧] .

وَشَفَعَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي مَحْبُوسٍ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ مُجْرِمًا فَالْعَفْوُ يَسَعُهُ ، وَإِنْ كَانَ بَرِيًا [٨] فَالْعَدْلُ يَسَعُهُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْكُتَّابِ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ ، فَقَالَ : لَا أُبَالِي . [فَقِيلَ لَهُ : وَلِمَ لَا تُبَالِي ؟] [٩] . قَالَ : إِنْ صَدَقَ النَّاقِلُ وَسِعَنِي عَفْوُهُ [١٠] ، وَإِنْ كَذَبَ النَّاقِلُ وَسِعَنِي عَدْلُهُ . وَلَمَّا دَخَلَ عُيَيْنَةُ ابْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : يَابْنَ الْخَطَّابِ ، وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ [١١] وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ بِأَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فَقَالَ ابْنُ أَخِيهِ : يَا أَمِيرَ

---

(١) الْمَظْلِمَةُ : ما تطلبه من الظالم ، وهو اسم ما أُخِذَ منك .
(٢) في « م » : « له أجْرٌ على الله » .
(٣) أي : عند من ظلمك .
(٤) في « ط » : « فإنْ لم تَعْفُ » .
(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .
(٦) أسديتها : أعطيتها .
(٧) من الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .
(٨) هكذا في « م » و « ط » بدون همز . أي : بريئًا .
(٩) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .
(١٠) في « م » : « فَضْلُه » .
(١١) الجَزْل : الكثير العظيم من كل شيء .

الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللهَ [تَعَالَى] (١) يَقُولُ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عُمَرُ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ ، ﷺ : « ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ » . وَقَالَ : « ارْحَمْ تُرْحَمْ » وَكَانَ يُقَالُ : أَوْلَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَحَقُّهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ .. وَفِى الإِنْجِيلِ : أَفْلَحَ أَهْلُ الرَّحْمَةِ ، لأَنَّهُمْ سَيُرْحَمُونَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ : لَقَدْ أَبْغَضَ اللهُ الْمُتَسَرِّعِينَ إِلَى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ [فَإِلَيْهِمْ] (٣) انْتَهَتِ الْقَسْوَةُ وَالْغِلْظَةُ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الرَّحْمَةِ .. وَلَمَّا تَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ جَالُوتَ أَبْقَى عَلَيْهِ ، يَوْمَئِذٍ عَدُوُّهُ وَطَالِبُهُ (٤) وَقَالَ : يَارَبُّ (٥) أَعْظِمْ دَمِى فِى عُيُونِ (٦) أَعْدَائِى كَمَا عَظَّمْتَ فِى عَيْنِى دَمَ عَدُوِّى ، وَكَذَلِكَ خَلِّصْنِى مِنْ جَمِيعِ الْهُمُومِ .

وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : لَا سُؤْدُدَ مَعَ انْتِقَامٍ ، وَلَا سِيَاسَةَ مَعَ عَزَازَةِ نَفْسٍ وَعُجْبٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَيْسَ الإِفْرَاطُ فِى شَىْءٍ أَجْوَدَ مِنْهُ فِى الْعَفْوِ ، وَلَا هُوَ فِى شَىْءٍ أَقْبَحَ مِنْهُ

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف . وقد مَرَّت .

(٣) فى « م » : « هَرْق الدماء » وهى بمعناها .. وما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أبقى عليه وهو يومئذ عدوُّهُ وطالبه » .. وجاء فى تفسير الفخر الرازى - الجزء السادس ، ص ٢٠٣ - « أن « طالوت » - وكان ملكًا على بنى إسرائيل - وعَدَ داود إنْ قَتَلَ « جالوت » أن يُزَوِّجه ابنته ، ويعطيه نصف مُلْكِهِ ، فلما هزم الله جنود « جالوت » وقتل داود « جالوت » ، حسده « طالوت » ولَمْ يَفِ له بوعده ، وأخرجه من مملكته .. ثم ندم « طالوت » ، فذهب يطلبه إلى أن قُتِلَ ، وملك داود ، وحصلت له النبوة ... » وقيل غير ذلك .

[انظر قصة طالوت وجالوت وكيف قتل داود جالوت فى القرآن الكريم ، سورة البقرة : الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١ ، وانظر تفسير الفخر الرازى ج ٦ ص ١٨٢ وما بعدها ، والكشاف للزمخشرى المجلد الأول ص ٣٧٨ - ٣٨٢ ، والقرطبى المجلد الثانى ص ١٠٥١ - ١٠٦٦ وتفسير حمزة وآخرين ج ٢ ص ١٤٤ - ١٥٣ وغيرها من المصادر] .

(٥) فى « م » : « رَبُّ » .

(٦) فى « ط » : « عين » .

فى الْعُقُوبَةِ . وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ ، مَذْمُومٌ فى الْعَفْوِ (١) ، مَحْمودٌ فى الْعُقُوبَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تُخْطِئْ فى الْعَفْوِ فى أَلْفِ قَضِيَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُخْطِئَ فى الْعُقُوبَةِ (٢) فى قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّى لأَرْفَعُ نَفْسِى أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِى ، وَجَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِى ، وَعَوْرَةٌ لا يُوَارِيهَا سِتْرِى .. وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَيْسَ عَلَىَّ فى الْحِلْمِ مُؤْنَةٌ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ أَهْلَ الْجَرَائِمِ عَلِمُوا رَأْيِى فى الْعَفْوِ فَيَذْهَبُ الْخَوْفُ عَنْهُمْ (٣) فَتَخْلُصَ لِي قُلُوبُهُمْ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَنْصُورِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الانْتِقَامَ انْتِصَافٌ ، وَالتَّجَاوُزَ فَضْلٌ ، وَالْمُتَجَاوِزُ (٤) قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُنْصِفِ ، وَنَحْنُ نُعِيذُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكَسِ النَّصِيبَيْنِ ، وَأَنْ لا يَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَتَيْنِ ، فَاعْفُ عَنَّا يَعْفُ اللهُ عَنْكَ . فَعَفَا عَنْهُمْ .

وَأَنْشَدُوا :

وَإِذَا بَغَى بَاغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ ... فَاقْتُلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ (٥) لَمَّا عَفَا عَنْهُ : وَاللهِ مَا أَدْرِى أَيُّهَا الأَمِيرُ أَىُّ يَوْمَيْكَ أَشْرَفُ ، أَيَوْمَ ظَفِرْتَ (٦) أَمْ يَوْمَ عَفَوْتَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَازِلْتَ فى الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْـ ... ـلَاقِكَ جَانٍ بِجُرْمِهِ عَلِقِ (٧)

---

(١) فى « م » : « وكذلك التقصير فى مذموم العفو » .

(٢) فى « م » : « فى الفعل » .

(٣) « عنهم » عن « ط » . وبعدها فى « م » : « فيخلص » .

(٤) فى « م » : « والتجاوز » .

(٥) هو : مُسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، من الأمراء ، وكذلك كان أبوه من الأمراء الفاتحين ، وكان جده كبير القَدْر عند يزيد بن معاوية .

[انظر المعارف ص ٤٠٧ ، والأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، ١٩٠] .

(٦) ظَفِرَ بِعَدُوِّه : غَلَب عليه وقَهَرَه .

(٧) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. والبيتان من المنسرح ، وقد ورَدَا فى العقد الفريد ، وتَمَثَّل بهما رجل من أهل بغداد يمدح بهما المأمون عندما دخل بغداد وتلقاه وجوه أهلها مهنئين مادحين .

والبيت فى العقد الفريد :

=

حَتَّى تَمَنَّى الْعُفَاةُ أَنَّهُمُ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِى الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ (١)

وَرُفِعَ إِلَى أَنُوشِرْوَانَ أَنَّ الْعَامَّةَ تُؤَنِّبُ الْمَلِكَ فِى مُعَاوَدَةِ الصَّفْحِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ مَعَ تَتَابُعِهِمْ فِى الذُّنُوبِ ، فَوَقَّعَ (٢) : الْمُذْنِبُونَ مَرْضَى ، وَنَحْنُ أَطِبَّاءُ ، وَلَيْسَ مُعَاوَدَةُ الدَّاءِ إِيَّاهُمْ بِمَانِعِنَا مِنْ مُعَاوَدَةِ الْعِلَاجِ لَهُمْ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللهُ (٣) : مَا قُرِنَ شَىْءٌ إِلَى شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ ، وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ ... وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٤) لَمَّا ظَفِرَ بِالْمُهَلَّبِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُلِمَ ظُلْمَكَ [وَلَا نُصِرَ نَصْرَكَ] (٥) وَلَا عَفَا عَفْوَكَ . وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ : الْمُعَاقِبُ مُسْتَدْعٍ لِعَدَاوَةِ (٦) أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، وَالْعَافِى مُسْتَدْعٍ لِشُكْرِهِمْ ، أَوْ مُكَافَأَتِهِمْ أَيَّامَ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضِيقِهِ .. وَإِقَالَةُ الْعَثْرَةِ مُوجِبَةٌ إِقَالَةَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَعَفْوُكَ عَنِ النَّاسِ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللهِ عَنْكَ (٧) ، وَعِقَابُكَ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللهِ تَعَالَى لَكَ ، وَاللهُ يُحِبُّ الْعَافِينَ .

وَقَالَ الْمَنْصُورُ : عُقُوبَةُ الْأَحْرَارِ التَّعْرِيضُ ، وَعُقُوبَةُ الْأَشْرَارِ التَّصْرِيحُ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ :

= مازِلْتَ فى البَذْلِ للنّوالِ وإطْـ ـلاقٍ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ عَلِقِ

والعانى : الأسير . والجُرْم : الذنب . وعَلِق : مأخوذٌ ومحاسَبٌ . وجانٍ : الجانى الذى يرتكب جناية أو جريمة تستحق العقاب .

(١) فى العقد الفريد :

حتى تمنى البِرَاءُ أَنَّهُمُ عندك أَسْرَى فى القَيْدِ والحَلَقِ

والعُفاةُ والبِرَاءُ بمعنًى واحدٍ ، وهم الذين لم يرتكبوا ما يستحقون عليه العقاب .

[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٢ ، ١٣] .

(٢) فَوَقَّعَ : أى كَتَبَ رأيه بإيجاز على ما رُفِعَ إليه .

(٣) فى « م » : « رحمة الله عليه » .

(٤) سقطت « ابن مروان » من « م » .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٦) فى « م » : « مبتدع لعلاوة » . تحريف من الناسخ .

(٧) فى « م » : « لك » . وسقط ما بين « عنك » و « لك » سهوًا من الناسخ .

لَمَّا رَأَيْتُ الذُّنُوبَ جَلَّتْ عَنِ الْمُجَازَاةِ بِالْعِقَابِ
جَعَلْتُ فِيهَا الْعِقَابَ عَفْوًا أَمْضَى مِنَ الضَّرْبِ لِلرِّقَابِ (١)

وَقَالَ الأَحْنَفُ : لَا تَزَالُ الْعَرَبُ بَيِّنَةَ الْفَضْلِ مَالَمْ تَعُدَّ الْعَفْوَ ضَيْمًا ، وَالْبَذْلَ سَرَفاً (٢) .. وَفِى الحِكْمَةِ : إِذَا انْتَقَمْتَ فَقَدِ انْتَصَفْتَ ، وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَدْ تَفَضَّلْتَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اقْبَلِ الْعُذْرَ وإِنْ كَانَ مَصْنُوعاً ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ أَوْجَبَتِ الْمُرُوءَةُ قَطِيعَتَهُ أَوْ يَكُونَ (٣) فى قَبُولِكَ عُذْرَهُ تَشْجِيعُهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، أَوْ عَوْنُهُ عَلَى الشَّرِّ ، فإِنَّ قَبُولَكَ الْعُذْرَ (٤) فِيهِ اشْتِرَاكٌ فى الْمُنْكَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْفِيلُ دِمَشْقَ حُشِرَ النَّاسُ لِرُؤْيَتِهِ ، وَصَعِدَ مُعَاوِيَةُ إِلى عِلِّيَّةٍ (٥) لَهُ مُتَطَلِّعًا ، فَبَيْنَما (٦) هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ فى بَعْضِ الْحُجَرِ فى قَصْرِهِ رَجُلاً مَعَ بَعْضِ حُرَمِهِ (٧) ، فَأَتَى الْحُجْرَةَ وَدَقَّ البَابَ (٨) ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَتْحِهِ بُدٌّ ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَاهَذَا (٩) أَفِى قَصْرِى وَتَحْتَ جَنَاحِى تَهْتِكُ حُرَمِى [وَأَنْتَ فى قَبْضَتِى] (١٠) ؟! مَاحَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَبُهِتَ (١١) الرَّجُلُ وَقَالَ : حِلْمُكَ أَوْقَعَنِى . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : فَإِنْ عَفَوْتُ

---

(١) هكذا فى « م » .. وقد ورد البيتان فى « ط » كثر فيه تقديم وتأخير فى بعض الألفاظ مما أفقد الكلام الوزن مثل : « جعلتُ العقاب فيها عفوًا .. » والبيتان من مخلع البسيط .

(٢) الضَّيم : الظُّلم أو الإذلال ، ونحوهما . والبَذْل : العطاء والجود . والسَّرَف : الإسراف .

(٣) فى « م » : « تكون » .

(٤) فى « ط » : « للعُذرِ » .

(٥) فى « م » : « فى عُلِّيَّة » . وقد سبق شرحها .

(٦) فى « ط » : « فبينا » وكلاهما صحيح .

(٧) الحُرَمُ : جمع حُرْمَة ، وتُطلق على المرأة ، وعلى أهل الرجل ، وما لا يحل انتهاكه .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فأتى البابَ » .

(٩) فى « ط » : « فقال : يا هذا » . وفى « م » : « فى » بدون همزة الاستفهام ، وهذا جائز فى اللغة – على التقدير .

(١٠) ما بين المعقوفتين عن « ط » وهو وارد فى « المستطرف للأبشيهى » وساقط من « م » .
[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١١ ، ٤١٢] .

(١١) فى « م » : «قال : فَبُهِت» أى : شَحُب لونه من الحيرة والدهشة مأخوذًا بالحُجَّة .

عَنْكَ تَسْتُرُهَا عَلَىَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَهَذَا مِنَ الدَّهَاءِ الْعَظِيمِ ، وَالْحِلْمِ الْوَاسِعِ أَنْ يُطْلَبَ السَّتْرُ مِنَ الْجَانِى ، وَهُوَ عَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ (١) :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ ... وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ (٢)

وَأُتِىَ مُوسَى الْهَادِى (٣) بِرَجُلٍ قَدْ جَنَى ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَتَهَدَّدُهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّ اعْتِذَارِى (٤) مِمَّا تُقَرِّعُنِى [به] (٥) رَدٌّ عَلَيْكَ ، وَإِقْرَارِى بِمَا ذَكَرْتَهُ ذَنْبٌ (٦) وَلَكِنِّى أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِى الْعُقُوبَةِ رَاحَةً ... فَلَا تَزْهَدَنْ عِنْدَ الْمُعَافَاةِ فِى الأَجْرِ

فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ . وَقَالَ الْمُهَلَّبُ (٧) : لا شَىْءَ أَبْقَى لِلْمُلْكِ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا وَثِقَتْ رَعِيَّتُهُ مِنْهُ بِحُسْنِ الْعَفْوِ لَمْ يُوحِشْهَا الذَّنْبُ وَإِنْ عَظُمَ (٨) ، وَإِنْ خَشِيَتْ مِنْهُ

---

(١) عَرُوض قول الشاعر ، أى : فَحْوَاه ومعناه .

(٢) هكذا البيت فى «م» و «ط» . وهو من البسيط . وفى «المستطرف» : «إذا مَرِضْتُمْ أتيناكُم» وهذا خلاف المراد .

(٣) هو : أبو محمد ، موسى الهادى بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد ، وُلد بالرّىّ سنة ١٤٤ هـ — وقيل : سنة ١٤٧ هـ — وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩ هـ ، وكان غائبًا بجُرْجَانَ ، فأقام أخوه «الرشيد» بيعته ، واستبدت أُمُّه «الخيزران» بالأمر ، وأراد خلع أخيه «هارون الرشيد» من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر ، فلم تَرْ أُمُّه ذلك ، فزجرها ، فاحتالت عليه حتى سمَّته . وقيل غير ذلك . ودُفِن بعيسى آباد ، ومُدة خلافته سنة وثلاثة أشهر . وكان طويلاً جسيماً ، شجاعاً ، جوادًا ، وله معرفة بالأدب والشعر .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٣٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢١ — ٢٥ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ١٧٣ — ١٧٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٦ — ٣٤٠ ، والمعارف ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ودول الإسلام للذهبى ج ١ ص ١١٣ ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٨٧ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٣ وما بعدها] .

(٤) هكذا فى «م» .. وفى «ط» : «فقال : اعتذارى» وسقطت كلمة «الرجل» منها ..

(٥) فى «م» : «فيما تُقَرِّعنى» . وما بين المعقوفتين عن «ط» وعن العقد الفريد .

(٦) هكذا فى «ط» .. وفى «م» : «وإقرارى بما ذكرت ذنبًا» . وقوله : «ذنبًا» بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع . وربما سقط من الناسخ سهوًا عامل النصب فيها ، وهو الفعل «يُلْزِم» حيث جاءت العبارة فى العقد الفريد هكذا :

«... وإقرارى به يُلْزِمُنِى ذنبًا لَمْ أَجْنِهِ» . [انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠] .

(٧) فى «م» : «الهلب» تحريف من الناسخ . وهو المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة ، وقد مَرَّ التعريف به .

(٨) من أول قوله : «عظم» إلى قوله : «صغر» عن «ط» ، وسقط سهوًا من الناسخ .

الْعُقُوبَةَ أَوْحَشَهَا الذَّنْبُ وإِنْ صَغُرَ ، حَتَّى يَضْطَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ .

وَمِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ فى مِثْلِ هَذَا قَوْلُ سَابُورَ [١] ، وَقَدْ جَمَعَ أَوْلَادَهُ فَقَالَ : يَابَنِىَّ [٢] إِنْ أَعْجَزَكُمْ أَنْ تَمْلِكُوا قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ حُبًّا فَامْلِكُوهَا خَوْفاً ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنْ تُحْمَلَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَنْ لا يَسْتَحِقُّهَا [٣] وَلَكِنْ تَعْجِيلُهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا . وَفِى هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [٤] . وَهَذَا مَعْنىً لا يَخْتَلُّ عَمَّا أَوْجَبْنَاهُ [٥] وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ سَابُورَ ، وَلَا يُخَالِفُ مَا قَرَّرْنَا مِنْ حُسْنِ الْعَفْوِ ، بَلْ هُوَ [٦] مَحْمُولٌ عَلَى الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقِّ ، أَوْ عَلَى مَا فِى تَرْكِهِ إِغْرَاءٌ بِرُكُوبِ [٧] أَمْثَالِهِ ، فَهَا هُنَا يَكُونُ الْعَفْوُ مَفْسَدَةً .

فَيَا أَيُّهَا الْمُعَاقِبُ ، إِذَا أَقَمْتَ عَلَى مُذْنِبٍ عُقُوبَةً فَلَا تَكُنْ كَالْمُتَشَفِّى الْمُتَلَذِّذِ بِعَذَابِهِ ، لأَنَّكَ وَإِيَّاهُ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، آدَمَ وَحَوَّاءَ ، لَمْ تَفْضُلْهُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، بَلْ بِمَا فَضَّلَكَ اللهُ بِهِ تَطَوُّلاً عَلَيْكَ ، فَاذْكُرْ [٨] لَوْ كُنْتَ فى مَقَامِهِ وَكَانَ فى مَقَامِكَ ، وَلَا تَأْمَنْ تَقَلُّبَ الدَّهْرِ فَتَقُومَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَىْ مَنْ لا يَرْحَمُ وَلَا يَنْظُرُ فى الْعَوَاقِبِ ، وَاحْذَرِ التَّفْرِيطَ وَالتَّقْصِيرَ ، وَأَقِمْ نَفْسَكَ مُذْنِبًا أُقِيمَ لِلْعُقُوبَةِ ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ مُقَدَّرًا كَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ مُقَدَّرًا ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ لِلتَّقْوِيمِ لا لِلِانْتِقَامِ ، وَلِلزَّجْرِ لا لِلْهَوَى . وَعَنْ هَذَا قَالَ بُزُرْجِمِهْرُ : لا يَنْبَغِى لِلْمُلُوكِ أَنْ يُكْرِمُوا أَحَدًا بِهَوَانِ [٩] مَنْ لَيْسَ لِلْهَوَانِ أَهْلاً ، وَلَا أَنْ يُهِينُوا أَحَدًا بِإِكْرَامِ [١٠] مَنْ لَيْسَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلاً .. لا تَكُنْ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى

---

(١) اسم يُطلق على عدّة ملوك من ملوك الفُرْس . وقد سبق التعليق عليه .

(٢) « فقال : يا بَنِىَّ » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) فى « م » : « على من يستحقها » . والمعنى يتطلّب وجود « لا » النافية ، كما ورد فى « ط » .

(٤) من الآية ٥٧ من سورة الأنفال . ومعناها : فَفَرِّق وبَدِّدْ وَخَوِّف بهم .

(٥) فى « م » : « عمَّا أَوْجبْنَا » .

(٦) فى « ط » : « بل هذا » .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « إغرارٌ بركُون » .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فإنك » ولم يأتِ بعدها خبر « فإن » .

(٩) فى « م » : « فهوان » تحريف .

(١٠) فى « م » : « بكرامة » .

الإِحْسَانِ ، وَلَا عَلَى الْبُخْلِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى الْبَذْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

صَفُوحٌ عَنِ الأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ   مِنَ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمَا [١]

فَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الأَذَى   إِذَا مَا الأَذَى بِالْكُرْهِ لَمْ يَغْشَ مُسْلِمَا [٢]

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِما السَّلَامُ : التَّنْكِيلُ وَالْعُقُوبَةُ أُمْنِيَةُ الْمَلِكِ الشِّرِّيرِ ، وَعَلَى مِثْلِهِ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا غَيْرَ رَحِيمٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ غَضَبٌ أَوْ رِضًا إِلَّا لِثَوَابٍ [٣] أَوْ عِقَابٍ . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ [٤] : فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى السُّوقَةِ إِنَّمَا هُوَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ الْمَكَارِمِ ، فَكُلَّمَا اسْتَكْثَرَ مِنْهُمَا بَانَتْ فَضِيلَتُهُ وَاسْتِحْقَاقُهُ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَكُلَّمَا نَقَصَ مِنْهُمَا [٥] قَرُبَ مِنَ السُّوقَةِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنِّي لَأَجِدُ لِعَفْوِيَ لَذَّةً أَعْظَمَ مِنْ لَذَّةِ الانْتِقَامِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمَلِكُ أَوْ أَهَانَ [٦] عَلَى ظَنٍّ بِغَيْرِ [٧] يَقِينٍ أَدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قُبْحِ الْخَطَإِ فِي الرَّأْيِ أَعْظَمَ مِمَّا أَدْخَلَ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ ، وَمَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ بِالإِثْمِ . وَقِيلَ لِأَفْلَاطُونَ : أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ يُشْبِهُ أَفْعَالَ اللهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ .

---

(١) الأَجْرَام : جمع جُرْم ، وهو الجريمة والذنب .

(٢) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « إذا مالاذ » تحريف من الناسخ . ولَمْ يَغْشَ ، يقال : غَشِيَه العذاب : إذا أتاه ، أو لا بَسَهُ وباشَرَهُ .

(٣) فى « م » : « ثواب » .

(٤) فى « م » : « أزدشير » بالزاى المعجمة . وقد سبق التعليق عليها .

(٥) فى « م » : « منهم » . لا تصح .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « عاقب وأهان » . وسقطت كلمة « الملك » سهوًا من الناسخ ، والسياق يستدعي وجودها .

(٧) فى « م » : « غير » .

وَقَالَ الْحَكِيمُ : الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ (١) وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : السَّيِّدُ الَّذِى لا يَشِينُ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانْتِقَامِ ، وَخَيْرُ مَنَاقِبِ الْمُلُوكِ الْعَفْوُ . وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ (٢) يَقُولُ : سُبْحَانَ مَنْ أَذَلَّ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ ، وَأَذَلَّ الذَّنْبَ بِالْعَفْوِ .. إِلٰهِى ، إِنْ عَفَوْتَ فَخَيْرُ رَاحِمٍ ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظَالِمٍ .. إِلٰهِى ، إِنْ كُنْتَ لا تَرْضَى إِلَّا عَنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْخَاطِئُونَ ؟ وَإِنْ كَانَ لا يَرْجُوكَ إِلَّا أَهْلُ وَفَائِكَ ، فَبِمَنْ يَسْتَغِيثُ الْمُسْتَغِيثُونَ ؟ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنَّ اللهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ ... لِعِزِّ الْحِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ (٣)

وَرُوِىَ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَخَذَ أَخًا لِقَطَرِىِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ (٤) فَقَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ : وَلِمَ ؟

---

(١) هكذا فى « ط » . والفِدَامُ : ما يُوضَع على الفم سِدادًا له . وقد جاء هذا القول فى حديث للإمام علىٍّ ، كرّم الله وجهه ، ويعنى : أنَّ الحِلْمَ عن السفيه يُغطِّى فَاهُ ويُسْكِتُهُ عَنْ سَفَهِهِ . وفى « م » : « قوام السفيه » . أى : يقيمه ويزيل اعوجاجه .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط – مادة فَدَمَ] .

(٢) هو : يحيى بن مُعاذ بن جعفر الرَّازى ، أبو زكريا ، من الوُعَّاظ الزاهدين من أهل الرَّىّ ، ولَم يكن له نظير فى وقته . توفى بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٥١ – ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٧ – ١١٤ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ وغيرهما من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٦٥ – ١٦٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٠٨ – ٢١٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٥ ، ١٦] .

(٣) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « يعز » بدل « لعزّ » تحريف . وقد ورد البيت فى عيون الأخبار ، وفيه : « بقَدْرِ الحِلْم ينتقم الحليم » .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٥ كتاب السؤدد ، ط الهيئة العامة للكتاب] .

(٤) فى « ط » : « القطرى » .. وفى « م » : « أخذ قطرى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وقطرىٌّ هو : أبو نعامة قَطَرِىُّ بنُ الفجَاءَة ، (واسمه : جعونة) بن مازن بن يزيد الكنانى المازنى التميمى ، من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم . كان خطيبًا ، فارسًا ، شاعرًا .. استفحل أمره فى زمن مصعب بن الزبير لمَّا ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وبقى قطرىٌّ ثلاث عشرة سنة يُقاتل ويُسَلَّمُ عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين – وقيل عشرين سنة – والحجَّاج بن يوسف الثقفى يُسَيِّرُ إليه جيشًا بعد جيش ، وهو يردهم ويظهر عليهم . وقطرى ليس اسمه ، ولكنه نسبة إلى بلده « قطر » بين البحرين وعمان ، وكانت كُنْيَتُه فى الحرب أبا نُعامة ، (ونعامة فرسه) وهو صاحب الأبيات المشهورة التى أولها « أقول لها وقد طارت شعاعًا » قُتِلَ سنة ٧٨ هـ على الأرجح . وقد اختلف المؤرخون فى مقتله ، فقيل : عثرت به فرسه فاندقت فخذه فمات ، وجىء برأسه إلى الحجاج . وقيل توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى فقاتله ، وقُتِلَ فى المعركة بالرَّىِّ أو بطبرستان .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٤١ وغيرها من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٩٣ – ٩٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، وديوان شعر الخوارج ص ١١٩ ، وانظر تاريخ الطبرى وابن الأثير وغيرهما من كتب التاريخ والأدب] .

قَالَ : لِخُرُوجِ أَخِيكَ عَلَىَّ . فَقَالَ : إِنَّ (١) مَعِى كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لا تَأْخُذَنِى بِذَنْبِ أَخِى . قَالَ : هَاتِهِ . قَالَ : إِنَّ (٢) مَعِى أَوْكَدَ مِنْهُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٣) فَتَعَجَّبَ مِنْ جَوَابِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَلَمَّا وَفَدَ عَقِيلُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ (٤) عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ ، رَأَى فِى الطَّرِيقِ جَارِيَةً بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا (٥) ؟ قَالَ : تَلِدُ لِى غُلَامًا ، فَإِنْ أَغْضَبْتَنِى يَضْرِبْ مَفْرِقَكَ (٦) بِالسَّيْفِ : فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، فَابْتَاعَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ (٧) ثُمَّ قَدِمَ مُسْلِمٌ الشَّامَ ، فَابْتَاعَ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ

---

(١) فى « ط » : « قال : فإنَّ » .

(٢) فى « م » : « فإن » .

(٣) وردت فى عدة سور من القرآن الكريم :

— فى سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .

— وفى سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

— وفى سورة فاطر ، من الآية ١٨ .

— وفى سورة الزمر ، من الآية ٧ .

(٤) هو : عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ، وكنيته : أبو يزيد ، وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم .. صحابى ، فصيح اللسان ، شديد الجواب ، وهو أخو « علىٍّ » و « جعفر » لأبيهما ، وكان أسَنَّ منهما .. وهو أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها ، أخرجته قريش كرهًا ليقاتل معها ضد المسلمين فى غزوة « بدر » فشهدها معهم ، وأسره المسلمون ، ففداه العباس بن عبد المطلب ، فرجع إلى مكة ، ثم أسلم بعد الحديبية ، وهاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ ، وشهد غزوة مؤتة ، وثبت يوم حنين ، وفارق أخاه عليًّا فى خلافته ، ووفد إلى معاوية فى دَيْنٍ لحقه ، وعمى فى آخر أيامه . وكان الناس يأخذون عنه الأنساب والأخبار فى مسجد المدينة . توفى سنة ٦٠ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٢٤٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٢ — ٤٤ ، والمحبر ص ٤٥٧ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٦٣ — ٦٦ ، والمعارف ص ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٢٤] .

(٥) « بها » عن « ط » .

(٦) المَفْرِقُ من الرأس : حيث يُفْرَقُ الشَّعْرُ .

(٧) هو : مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب ، تابعى ، من ذوى الرأى والعِلم والشجاعة ، كان مقيمًا بمكة ، وانتدبه الحسين بن على بن أبى طالب ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له ، فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة ١٨,٠٠٠ من أهلها ، وكتب للحسين بذلك ، فشعر به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه ، فمنعه الناس ، ثم تفرقوا عنه ، فأوَى إلى دار امرأة من كندة فأخفته ، ولم يلبث أن عرف مكانه ، فقبض عليه ابن زياد وقتله سنة ٦٠ هـ ثم صلبه . وفى الكوفة ضريح يُقَال إنه قبره الذى دُفِنَ فيه ، وهو معروف باسمه .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ ، والمحبر ص ٥٦ و ٤٨٠ وغيرهما من الصفحات ، وطبقات ابن سعد ج ٤ =

ضَيْعَةً (١) فَبَلَغَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ الْخَبَرُ ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنِّى لا أُجِيزُ بَيْعَ مُسْلِمٍ . فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مُسْلِمٍ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ الْحُسَيْنِ يَأْمُرُ بِرَدِّ الْمَالِ . فَقَالَ مُسْلِمٌ : أَمَّا دُونَ أَنْ أَضْرِبَ مَفْرِقَكَ بِالسَّيْفِ فَلَا . فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : وَاللهِ لَقَدْ تَهَدَّدَنِى أَبُوكَ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِىَ أُمَّكَ ، وَسَوَّغَهُ الْمَالَ (٢) ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ [حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ] (٣) : غَلَبَنَا مُعَاوِيَةُ حِلْمًا وَجُودًا .

* * *

= ص ٤٢ فى ترجمة عقيل بن أبى طالب ، والمعارف ص ٢٠٤ ، والطبرى ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٨١ ، وابن الأثير ج ٣ صفحات كثيرة متفرقة] .

(١) فى « م » : « جارية » .

(٢) سَوَّغَه المال : تركه خالصًا له .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فى الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ

وَهَذَا الْبَابُ مِمَّا يَعُدُّهُ (١) الْحُكَمَاءُ مِنْ أُسَاسِ الْمَمْلَكَةِ ، وَقَوَاعِدِ السَّلْطَنَةِ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ (٢) فى بَابِ الْخِصَالِ الْفُرْقَانِيَّةِ، وَنَذْكُرُ [هاهنا] (٣) فَوَائِدَهَا وَمَحَاسِنَهَا .

اعْلَمُوا أَنَّ الْمُسْتَشِيرَ ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمُشِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْيًا ، كَمَا تَزْدَادُ النَّارُ بِالسَّلِيطِ (٤) ضَوْءًا ، فَلَا يُقْذَفَنَّ فى رُوعِكَ (٥) أَنَّكَ إِذَا اسْتَشَرْتَ الرِّجَالَ ظَهَرَ [لِلنَّاسِ] (٦) مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ ، فَيَمْنَعُكَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَاوَرَةِ ، فَإِنَّكَ لاتُرِيدُ الرَّأْيَ لِلْفَخْرِ بِهِ ، وَلَكِنْ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ ، فَإِنْ (٧) أَرَدْتَ الذِّكْرَ كَانَ أَفْخَرَ لِذِكْرِكَ ، وَأَحْسَنُ عِنْدَ ذَوِى الْأَلْبَابِ لِسِيَاسَتِكَ أَنْ يَقُولُوا : لا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِى الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ ،

---

(١) فى « م » : « تعدُّه » وكلاهما صواب .

(٢) فى « م » : « ذكرنا » . والخصال الفرقانية : هى التى ورد الشرع بها ، والتى تفرق بين الحق والباطل .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) السَّلِيطُ : الزَّيْتُ . أو دهن الزيت الذى يستخدم فى المصابيح .

(٥) أى : فى عقلك ، أو نفسك ، أو قلبك .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) فى « م » : « وإن » .

وَلَا يَمْنَعُكَ عَزْمُكَ عَلَى إِنْفَاذِ رَأْيِكَ ، وَظُهُورُ صَوَابِهِ لَكَ عَنِ الاسْتِشَارَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ عَزْمَةً [١] لا مَشُورَةَ فِيهَا ، فَحَمَلَهُ حُسْنُ الأَدَبِ ، وَعِلْمُهُ بِمَوْقِعِهِ فى النُّفُوسِ عَلَى الاسْتِشَارَةِ فِيهِ ، فَقَالَ فِيهِ : ﴿ **يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى** ﴾ [٢] وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُرْسَمُ فى هَذَا الْبَابِ .

وَقَالَ [٣] عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : الرَّأْىُ الْفَرْدُ كَالْخَيْطِ السَّحِيلِ [٤] ، وَالرَّأْيَانِ كَالْخَيْطَيْنِ ، والثَّلاثَةُ الآرَاءُ لا تَكَادُ تَنْقَطِعُ .. وَيُرْوَى أَنَّ رُومِيًّا وَفَارِسِيًّا تَفَاخَرَا ، فَقَالَ الْفَارِسِيُّ : نَحْنُ لا نُمَلِّكُ عَلَيْنَا مَنْ يُشَاوِرُ . وَقَالَ الرُّومِىُّ : وَنَحْنُ لا نُمَلِّكُ عَلَيْنَا مَنْ لا يُشَاوِرُ .. وَقَالَ بُزُرْجَمِهْرُ : إِذَا أَشْكَلَ الرَّأْىُ عَلَى الْحَازِمِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَضَلَّ [٥] لُؤْلُؤَةً فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا ، فَالْتَمَسَهَا فَوَجَدَهَا ، كَذَلِكَ الْحَازِمُ ، يَجْمَعُ [٦] وُجُوهَ الرَّأْيِ فى الأَمْرِ الْمُشْكِلِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ الصَّوَابُ .

وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ كَثُرَتِ اسْتِشَارَتُهُ حُمِدَتْ إِمَارَتُهُ .. وَفى حِكَمِ الْهِنْدِ ، قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ : إِنَّ الْمَلِكَ الْحَازِمَ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزَمَةِ [٧] كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الأَنْهَارِ ، وَيَنَالُ بِالْحَزْمِ وَالرَّأْيِ مَالَا يَنَالُهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنْدِ . وَلَمْ تَزَلْ حَزَمَةُ الرِّجَالِ يَسْتَحْلُونَ مَرَائِرَ [٨] قَوْلِ النُّصَحَاءِ ، كَمَا يَسْتَحْلِى الْجَاهِلُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى الْهَوَى . وَقَالَ

---

(١) عَزْمَةٌ : فريضة من الله لا بد من فعلها .

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصّافات .

(٣) فى « م » : « قال » . وقد ورد هذا القول فى عيون الأخبار ، ونصه : « الرأى الفرد كالخيط السحيل ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار (أى الحبل الذى أُجيد فتله) لا يكاد ينتقض » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٣١] .

(٤) الخيط السَّحيل : الذى يُفْتَل على قوة واحدة .

(٥) أضَلَّ : ضَيَّعَ .

(٦) فى « م » : « بجميع » . تحريف من الناسخ .

(٧) الحَزَمَة : جمع حازِم .

(٨) مرائر : جمع مُرٍّ ، على غير قياس . ويستحلون مرائر قول النصحاء ، أى : يجدون حلاوة لأقوال من ينصحونهم برغم مرارتها ، لأنَّ عاقبتها حميدة حسَنة .

الْمَأْمُونُ لِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ [١] : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْمَخْلُوعِ – يَعْنِي أَخَاهُ الأَمِينَ – فَقَالَ : كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الأَدَبِ ، يُبِيحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْبَاهُ هِمَمُ الأَحْرَارِ ، وَلَا يَصْغَى [٢] إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةً ، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ، فَيَرَى سُوءَ عَاقِبَتِهِ ، فَلَا [٣] يَرْدَعُهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهِمُّ بِهِ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ [٤] ؟ قَالَ : يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ بِالتَّبْذِيرِ [٥] وَيُفَرِّقُهَا بِسُوءِ التَّدْبِيرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِذَلِكَ مَاحَلَّ مَحَلَّهُ ، أَمَا وَاللهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاذَةَ النَّصَائِحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَةَ [٦] الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ شَهْوَتِهَا ، مَا ظُفِرَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْفَاذُ الْمُلُوكِ الأُمُورَ بِغَيْرِ [٧] رَوِيَّةٍ ، كَالْعِبَادَةِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ . وَلَمْ تَزَلِ الْعُقَلَاءُ عَلَى اخْتِلَافِ آرَائِهِمْ يَسْتَهْدُونَ الْعُيُوبَ ، وَيَسْتَشِيرُونَ [٨] صَوَابَ الرَّأْيِ مِنْ كُلِّ ، حَتَّى الأَمَةِ الْوَكْعَاءِ [٩] . هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى

---

(١) هو : طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أبو الطيب ، وأبو طلحة ، من كبار الوزراء والقُوّاد أدبًا وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطّد المُلك للمأمون ، وُلد في بوشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩ هـ ، وسكن بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، ولما مات الرشيد وولى الأمين ، كان المأمون في « مرو » فانتدب طاهرًا للزحف إلى بغداد ، فهاجمها ، وظفر بالأمين وقتله سنة ١٩٨ هـ . وعقد البيعة للمأمون ، فولّاه شرطة بغداد ، ثم ولّاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب في السنة نفسها ، وولّاه خراسان سنة ٢٠٥ هـ . مات مقتولاً بمرو – وقيل : مات مسمومًا سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٢١ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٥٣ – ٣٥٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥١٧ ـــ ٥٢٣ ، وثمار القلوب ص ٢٩١ ، والمعارف ص ٣٨٥ ، وما بعدها . والطبري ج ٨ صفحات متفرقة ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ، والبداية والنهاية ج ١٠] .

(٢) في « ط » : « لا مُصْغِيًا » .

(٣) في « م » : « ولا » .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فكيف حروبه ؟ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بالتذبير » . تحريف .

(٦) في « م » : « مشورات » .

(٧) في « م » : « من غير » .

(٨) يستهدون العيوب : أي يطلبون مَنْ يهدى إليهم عُيوبَهم . وهذه عن « عيون الأخبار » .. وفي « م » و « ط » : « يشهدون العيوب » .. ويستشيرون : ينشرون .

(٩) هكذا في عيون الأخبار .. وفي «م» : «من كُلّ أحد حتى للأَمَةِ الوَكْعَاء» .. وفي «ط» : «حتى الإمعة الوعك» .. والوكعاء ، مِنَ الوَكَع ، وهو مَيَلانٌ في صدر القَدَم نحو الخِنْصَر ، وربما كان في إبهام اليد ، وأكثر ما يكون ذلك في الإماء اللاتي يَكْدُدْنَ في العمل .. أمّا الإِمَّعَة ، فهو المتردد الذي لا يثبت على شيء . والوَعِك : المريض .

إِلَىَّ عُيُوبِى . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ أُعْطِىَ أَرْبَعًا لَمْ يُمْنَعْ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِىَ الشُّكْرَ لَمْ يُمْنَعِ الْمَزِيدَ ، وَمَنْ أُعْطِىَ التَّوْبَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِىَ الاسْتِخَارَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْخِيَرَةَ (١) وَمَنْ أُعْطِىَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُمْنَعِ الصَّوَابَ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَمِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ ، وَتَأْخِيرُهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْدِيمِهِ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وُزَرَاءَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ (٢) : لا يَنْبَغِى لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا ، فَإِنَّهُ أَمْوَتُ لِلسِّرِّ ، وَأَحْزَمُ فِى الرَّأْىِ ، وَأَجْدَرُ لِلسَّلَامَةِ ، وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ (٣) .. وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ إِذَا شَاوَرَ مَرَازِبَتَهُ فَقَصَّرُوا فِى الرَّأْيِ ، دَعَا الْمُوَكَّلِينَ (٤) بِأَرْزَاقِهِمْ فَعَاقَبَهُمْ ، فَيَقُولُونَ تُخْطِئُ مَرَازِبَتُكَ وَتُعَاقِبُنَا ؟! فَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَمْ يُخْطِئُوا إِلَّا لِتَعَلُّقِ قُلُوبِهِمْ بِأَرْزَاقِهِمْ ، وَإِذَا (٥) اهْتَمُّوا أَخْطَئُوا . وَكَانُوا إِذَا اهْتَمُّوا بِمُشَاوَرَةِ رَجُلٍ بَعَثُوا إِلَيْهِ بِقُوتِهِ . وَقُوتِ عِيَالِهِ لِسَنَةٍ (٦) لِيَتَفَرَّغَ لُبُّهُ . وَكَانَ يُقَالُ : النَّفْسُ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوتَهَا اطْمَأَنَّتْ .

وَإِذَا شَاوَرْتَ فَاصْدُقِ الْخَبَرَ تَصْدُقْكَ الْمَشُورَةُ ، وَلَا تَكْتُمِ الْمُسْتَشَارَ فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ . وَقَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ : لا يَمْنَعَنَّكَ شِدَّةُ بَأْسِكَ فِى بَاطِنِكَ ، وَلَا عُلُوُّ مَكَانِكَ فِى نَفْسِكَ مِنْ أَنْ تَجْمَعَ إِلَى رَأْيِكَ رَأْىَ غَيْرِكَ ، فَإِنْ أَحْمَدْتَ (٧) أَحْبَبْتَ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ (٨) عُذِرْتَ ، فَإِنَّ فِى ذَلِكَ خِصَالاً ، مِنْهَا : إِنْ وَافَقَ رَأْيُكَ رَأْىَ غَيْرِكَ ازْدَادَ

---

(١) الخِيَرَة : الاختيار .

(٢) هكذا فى « ط » وهو المناسب هنا للسياق .. وفى « م » : « لأحدهما » لا تصح .
[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٢٧ – كتاب السلطان ، باب المشاورة والرأى] .

(٣) هكذا فى « ط » ما عدا « بعض » فهى عن « م » وعيون الأخبار .. والعبارة فى « م » : « وأَرْحَم للرأى ، وأَحَدُّ وأعفى لبعضٍ من غائلة بعض » .

(٤) فى « م » : « المتوكلين » .

(٥) فى « م » : « فإذا » .

(٦) فى « ط » : « لسَنَتِهِ » .

(٧) أَحْمَدَ الرَّجُلُ : فعَلَ ما يُحْمَدُ عليه ، فصار محمودًا .

(٨) فى « م » : « أخفقتَ » .

رَأْيُكَ شِدَّةً عِنْدَكَ ، وَإِنْ خَالَفَكَ [١] عَرَضْتَهُ عَلَى نَظَرِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُعْتَلِيًا [٢] لِمَا رَأَيْتَهُ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ مُتَّضِعًا [٣] اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ ، وَتَجِدُ بِذَلِكَ [٤] النَّصِيحَةَ مِمَّنْ شَاوَرْتَهُ وَإِنْ أَخْطَأَ ، وَتَمْحَضُ [٥] لَكَ مَوَدَّتُهُ وَإِنْ قَصَّرَ .. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْمُشَاوَرَةِ إِلَّا أَنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ [٦] مُسْتَبِدًّا سُلِبْتَ فَائِدَةَ الإِصَابَةِ بِأَلْسِنَةِ الْحَسَدَةِ ، وَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا اتِّفَاقٌ ، وَلَوْ فَعَلَ كَذَا [٧] لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا شَاوَرْتَ فَأَصَبْتَ أَحْمَدَ [٨] الْجَمَاعَةُ رَأْيَكَ ، لأَنَّهُمْ لِنُفُوسِهِمْ يَحْمَدُونَ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ حَمَلَ الْجَمَاعَةُ عَنْكَ [٩] ، لأَنَّهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ يُكَافِحُونَ [١٠] .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ الْغَلِيظَ يُسْتَمَعُ لِفَضْلِ عَاقِبَتِهِ ، كَمَا يُتَكَارَهُ شُرْبُ الدَّوَاءِ الْمُرِّ لِفَضْلِ مَغَبَّتِهِ [١١] . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَا عَثَرْتُ قَطُّ حَتَّى عَثَرَ قَوْمِي . قِيلَ لَهُ [١٢] : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أُشَاوِرَهُمْ .. وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ : مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ يَابَنِي عَبْسٍ ! فَقَالَ [١٣] : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ نُطِيعُهُ ، فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . [وَيُشْبِهُ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أَطَعْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ] [١٤] . وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صُحْبَةِ مَنْ غَايَتُهُ خَاصَّةُ

---

(١) في « ط » : « خالفَهُ » .
(٢) مُعْتَلِيًا : غالبًا مرتفعًا .
(٣) مُتَّضِعًا : من الضَّعَةِ ، وهي خلاف الرِّفْعَة في القَدْر .. وفي « ط » : « مُتَصَعِّبًا » .
(٤) في « م » : « وذلك أنه تجد في ذلك » .
(٥) تُمْحَضُ : تُخْلَص .. وفي « ط » : « تتمحض » . وفي عيون الأخبار : « يمحض » بالياء .
(٦) في « ط » : « أصبته » .
(٧) في « م » : « فَعَل هذا » .
(٨) في « م » : « فَأَحْمَدَ » أي : أثنوا عليك .
(٩) في « ط » : « حمل الجماعة خطأك » .
(١٠) في « م » : « يكافحوا » خطأ ، والصواب ثبوت النون .
(١١) كلمة « المُرّ » عن « ط » وسقطت من « م » . والمَغَبَّةُ من كل شيء : عاقبته وآخره .
(١٢) في « ط » : « قالوا » .
(١٣) في « م » : « يا بني عَبْسٍ ، ما أكثر صوابكم ! فقالوا » .
(١٤) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

نفسِهِ ، وَالانحِطَاطُ فى هَوَى مُستَشِيرِهِ . وَفِي حِكَمِ الْهِنْدِ : مَنِ الْتَمَسَ مِنَ الإِخْوَانِ الرُّخصةَ (١) عِنْدَ الْمَشُورَةِ ، وَمِنَ الأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبَهِ ، أَخْطَأَ الرَّأْىَ ، وَازْدَادَ مَرَضًا ، وَحَمَلَ الْوِزْرَ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لا تُشَاوِرْ مُعَلِّمًا (٢) ، وَلَا رَاعِيَ غَنَمٍ ، وَلَا كَثِيرَ الْقُعُودِ مَعَ النِّسَاءِ ، وَلَا صَاحِبَ حَاجَةٍ يُرِيدُ قَضَاءَهَا ، وَلَا خَائِفًا ، وَلَا مَنْ يُرْهِقُهُ أَحَدُ السَّبِيلَيْنِ (٣) . وَقَالُوا : لا رَأْىَ لِحَاقِنٍ ، وَلَا لِحَازِقٍ ، وَلَا لِحَاقِبٍ (٤) ، وَلَا تُشَاوِرْ مَنْ لا دَقِيقَ عِنْدَهُ . والْحَازِقُ : هُوَ الَّذِى ضَغَطَهُ الْخُفُّ الضَّيِّقُ . وَالْحَاقِبُ : هُوَ الَّذِى يَجِدُ فى بَطْنِهِ رِزًّا (٥) .. وَقَالُوا : مَنْ شَكَا إِلَى عَاجِزٍ أَعَارَهُ عَجْزَهُ ، وَأَمَدَّهُ مِنْ جَزَعِهِ .

وَمِنْ لَطِيفِ مَا جَرَى فى الاسْتِشَارَةِ أَنَّ زِيَادَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ الْحَارِثِىَّ اسْتَشَارَ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فى أَخِيهِ أَبِى بَكْرٍ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْقَضَاءَ ، فَأَشَارَ بِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِى بَكْرٍ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ يَسْتَعِينُ [به] عَلَى أَبِى بَكْرٍ (٦) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُبَيْدِ اللهِ : أَنْشُدُكَ اللهَ ، أَتُرَى لِى [أَنْ أَلِىَ] (٧) الْقَضَاءَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لا .. قَالَ زِيَادٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، اسْتَشَرْتُكَ فَأَشَرْتَ عَلَىَّ بِهِ ، ثُمَّ أَسْمَعُكَ تَنْهَاهُ ! فَقَالَ : أَيُّهَا الأَمِيرُ ، اسْتَشَرْتَنِى فَاجْتَهَدْتُ لَكَ الرَّأْىَ ، وَنَصَحْتُكَ وَنَصَحْتُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَشَارَنِى فَاجْتَهَدْتُ لَهُ رَأْيِى ، وَنَصَحْتُهُ .. وَرُوِىَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بَعَثَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَسْتَعْجِلُهُ [فى] (٨) حَرْبِ

---

(١) فى « م » : « من الرخصة » . و « من » زيادة من الناسخ ، فقد ورد النص بدونها فى « ط » وفى عيون الأخبار .. والرخصة : التسهيل فى الأمر والتيسير .

(٢) أى : مَنْ له مَنْ يُعَلِّمه .

(٣) أصل السبيل : الطريق ، والمراد هنا : مَخْرَجَا البول والغائط .

(٤) فى « م » : « ولا لحاقب ولا لحازق » وسيأتى تفسيرهما .

(٥) هكذا فى « م » وفى عيون الأخبار .. والرِّزُّ : قرقرة البطن . وفى « ط » : « الذى يجد فى بطنه ثقلا » .

(٦) من أول قوله : « فامتنع عليه » إلى هنا عن « ط » ومطابق لما ورد فى عيون الأخبار ، وساقط من « م » ... وما بين المعقوفتين عن « عيون الأخبار » .

(٧) ما بين المعقوفتين عن « عيون الأخبار » .

(٨) ما بين المعقوفتين عن « عيون الأخبار » .

الأَزَارِقَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ : إِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْىُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ دُونَ مَنْ يُبْصِرُهُ (١) .

فَصْلٌ فى النَّصِيحَةِ (٢)

اعْلَمُوا أَنَّ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ **وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ** ﴾ (٣) .. وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ **وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾ (٤) .. ﴿ **وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾ (٥) .. وَقَالَ ﷺ (٦) : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » (٧) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٨) أَنَّ النَّبِيَّ ، ﷺ قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ » قِيلَ : لِمَنْ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَّتِهِمْ » (٩) .

---

(١) هكذا فى عيون الأخبار .. وفى « م » : « عند من يملكه » .. وفى « ط » : « دون مَن لا يبصره » بزيادة « لا » . لا تصح .

(٢) كلمة « فصل » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٣) من الآية ٣٤ من سورة هود .

(٤) من الآية ٩٣ من سورة الأعراف .. وآسَى : أَحْزَن .

(٥) من الآية ٧٩ من سورة الأعراف . وهذا القول حكاه الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا صالح – عليه السلام – حينما عقر قومه الناقة فأخذتهم الرجفة – أو الصيحة – فأصبحوا جثثا هامدة لا حراك بها ، ﴿ فتولَّى عَنْهُم وقالَ : يا قومِ ، لقد أبلغْتُكم رسالة ربى ونصَحْتُ لكُم ، ولكِنْ لا تحُبُّونَ النَّاصِحِين ﴾ .

(٦) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب العتق ، باب : العبد إذا أحسن عبادة ربه ، ونصح سيده .. ومسلم فى كتاب الأيمان ، باب ثواب العبد إذا نصح لسيدِهِ . ومالك فى الموطأ ، فى كتاب الاستئذان ، باب ما جاء فى المملوك وَهِبَتِهِ .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٩) هكذا الحديث فى « ط » .. وفى « م » جاءت عبارة « إنَّ الدِّين النصيحة » مرة واحدة لم تتكرر ، وكلاهما مَرْوِيٌّ .. ورُوِى الحديث مرة عن أبى هريرة ، وأخرى عن ابن عمر ، وثالثة عن تميم الدَّارى . وقد أخرجه البخارى فى آخر كتاب الإيمان .. ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة .. والترمذى فى أبواب البر والصِّلَة ، والنسائى فى كتاب البيعة – النصيحة للإمام .. والدارمى فى كتاب الرقائق ، باب الدين النصيحة .. وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى النصيحة .

فَالنُّصْحُ فى الْجُمْلَةِ : فِعْلُ الشَّىْءِ الَّذِى بِهِ الصَّلَاحُ وَدَفْعُ الْمَلَامَةِ [١] ، مَأْخُوذٌ مِنَ النِّصَاحَةِ ، وَهِىَ السُّلُوكُ الَّتِى يُخَاطُ بِهَا ، وَتَصْغِيرُهَا نُصَيِّحَةٌ ، تَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا قَمِيصٌ مَنْصُوحٌ ، أَىْ : مَخِيطٌ ، وَنَصَحْتُهُ نُصْحًا إِذَا خِطْتَهُ [٢] .

وَيَخْتَلِفُ النُّصْحُ فى الأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ الأَشْيَاءِ ، فَالنُّصْحُ لله [٣] هُوَ : وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ عَقْلاً [٤] وَقَوْلاً ، وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَالرَّغْبَةُ فى مَحَابِّهِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ ، وَمُوَالَاةُ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَالْجِهَادُ فى رَدِّ الْعُصَاةِ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً ، وَإِرَادَةُ [٥] بَثِّ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ فى عِبَادِهِ .

وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ : إِقَامَتُهُ فى التِّلَاوَةِ ، وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ ، وَتَفَهُّمُ مَافِيهِ ، وَاسْتِعْمَالُهُ ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَطَعْنِ الطَّاعِنِينَ ، وَتَعْلِيمُ مَافِيهِ لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [٦] .

وَالنَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ ، وَالْحِمَايَةُ مِنْ دُونِهِ حَيًّا وَمَيْتًا ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فى بَثِّ الدَّعْوَةِ وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ .

وَالنَّصِيحَةُ لِلأَئِمَّةِ : مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ ، فى تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْغَفْلَةِ ،

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « والملامة » .. وسقطت كلمة « دفع » سهوًا من الناسخ . ولا يصح الكلام بدونها .

(٢) انظر لسان العرب - مادة « نصح » .

(٣) هنا فى « م » كرر الناسخ جملة « الخضوع له » سهوًا منه ، وستأتى بعد قليل .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « عمًّا ليس بأهل له عقدًا » .

(٥) فى « م » : « وإراد » .

(٦) الآية ٢٩ من سورة « ص » .

وَإِرْشَادِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ ، وَتَعْلِيمِهِمْ مَا جَهِلُوا ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِمُ السُّوءَ ، وَإِعْلَامِهِمْ بِأَخْلَاقِ عُمَّالِهِمْ [وَسَيْرِهِمْ فى الرَّعِيَّةِ ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَنُصْرَتِهِمْ فى جَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ] [١] وَرَدِّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ إِلَيْهِمْ .

وَالنُّصْحُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ : الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ ، وَالرَّحْمَةُ لِصَغِيرِهِمْ ، وَتَفْرِيجُ كُرَبِهِمْ ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ ، وَتَوَقِّى مَا يَشْغَلُ خَوَاطِرَهُمْ وَيَفْتَحُ بَابَ الْوَسَاوِسِ [٢] عَلَيْهِمْ . وَمِنَ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْنَةِ نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ وَحَوائِجِهِ عَنْهُمْ . قَالَ الأَصْمَعِىُّ : لَقَطَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، نَوَاةً مِنَ الطَّرِيقِ ، فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ حَتَّى مَرَّ بِدَارِ قَوْمٍ فَأَلْقَاهَا فى الدَّارِ وَقَالَ [٣] : يَأْكُلُهَا دَاجِنُهُمْ [٤] .

وَالنُّصْحُ لِجَمِيعِ الْمِلَلِ : أَنْ يُحِبَّ إِسْلَامَهُمْ ، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِالْقَوْلِ [٥] ، وَيُحَذِّرَهُمْ سُوءَ مَغَبَّةِ الْكُفْرِ ، وَبِالسَّيْفِ إِنْ كَانَ ذَا سُلْطَانٍ ، أَوْ يَكُفُّوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُوا ذِمَّةً ، وَإِلَّا فَالْقَتْلُ نُصْحًا للهِ [٦] لإِقَامَةِ أَمْرِهِ فِيهِمْ . وَرَوَى مُعَاذٌ أَنَّ النَّبِىَّ ، ﷺ ، قَالَ : « ثَلَاثٌ لا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : الْعَمَلُ للهِ ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ ، وَالاعْتِصَامُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ » [٧] . وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ [٨] :

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « الوسواس » وهو : الحديث الخفى المختلط الذى لا نفع فيه ولا خير . جمعه : « وساوس » .

(٣) فى « م » : « فقال » .

(٤) الدَّاجن : كُلُّ ما أَلِفَ البيوتَ وأقامَ بها ، من حيوان وطير . جمعُهُ : « دواجن » .. وفى « م » : « يأكلها دجاجُهم » .

(٥) فى « م » : « بالقبول » .

(٦) فى « ط » : « نُصْحًا لإقامة » .

(٧) فى « م » : « مَنْ وراءَهُم » . والحديث أخرجه الترمذى فى أبواب العلم ج ١٠ ص ١٢٦ بشرح ابن العربى .

(٨) هو : جابر بن عبد الله بن عَمْرو بن حرام الخزرجىُّ ، الأنصارىُّ ، السلمىُّ ، صحابىٌّ ، ولدَ سنة ١٦ قبل الهجرة ، وشهد العقبة فى السبعين من الأنصار ، وهو من المكثرين فى الرواية عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وروَى عنه جماعة من الصحابة .. غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيام حياته حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم . روَى له البخارى ومسلم وغيرهما . توفى — رحمه الله — سنة ٧٨ هـ على الأرجح ، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة .

« بَايَعْتُ النَّبِىَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَّنَنِى : فِيمَا اسْتَطَعْتَ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ »[1] . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ[2] قَالَ : « لايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »[3] .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : الْعِلْمُ يَبْلُغُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْحِكْمَةُ يَنْطِقُ بِهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالنَّصِيحَةُ للهِ تَعَالَى لا تَثْبُتُ[4] إِلَّا فى قُلُوبِ الْمُنْتَخَبِينَ ، الَّذِينَ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ ، وَصَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ جُرْعَةَ النَّصِيحَةِ مُرَّةٌ لا يَقْبَلُهَا إِلَّا أُولُو الْعَزْمِ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِى . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللهُ : قُلْ لِى فى وَجْهِى مَا أَكْرَهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فى وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ مَالِكٌ : النَّصِيحَةُ للهِ فى أَرْضِهِ هِىَ الَّتِى بَعَثَ اللهُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ .

وَمِنْ أَمْرِ الإِسْلَامِ الْقَصْدُ وَالنَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللهِ فى أُمُورِهِمْ ، وَالنُّفُوسُ مُسْتَثْقِلَةٌ لِلنُّصْحِ ، نَافِرَةٌ عَنْ أَهْلِهِ ، وَمَائِلَةٌ إِلَى مَا وَافَقَ هَوَاهَا . وَفِى مَنْثُورِ الْحِكَمِ : وَدُّكَ مَنْ نَصَحَكَ ، وَقَلَاكَ[5]

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٠٤ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، والتاريخ الكبير للبخارى ج ٢ ص ٢٠٧ ، والمحبر ص ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣] .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، عن جرير بن عبد الله ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، بابٌ فى النصيحة ، ومجمع الزوائد ج ١ باب فى النصيحة .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ج ١ ص ٥٧ من فتح البارى . ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب « من خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ بشرح النووى .

(٤) أى : لا تستقر . وفى « ط » : « لا تَثَبَّتُ » .

(٥) قَلاكَ : أَبْغَضَكَ .

مَنْ مَشَى فى هَوَاكَ . وَكَانَ يُقَالُ : أُخُوكَ مَنِ احْتَمَلَ ثِقَلَ [١] نَصِيحَتِكَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ [٢] :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّى لِزَيْدٍ ... فَقَالَ غَشَشْتَنِى ، وَالنُّصْحُ مُرُّ
وَمَالِى أَنْ أَكُونَ نَصَحْتُ زَيْدًا ... وَزَيْدٌ طَاهِرِ الأَثْوَابِ بَرُّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِى أَنَّ زَيْدًا ... يُقَالُ عَلَيْهِ فى مَغْنَاهُ شَرُّ [٣]
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَىْءٍ ... يُقَالُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحُرَّ حُرُّ

وَقَالَ آخَرُ :

وَعَلَى النَّصُوحِ نَصِيحَتِى ... وَعَلَىَّ عِصْيَانُ النَّصُوحِ [٤]

وَلِلْقُطَامِىِّ [٥] :

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا ... تَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعَا [٦]

---

(١) فى « ط » : « أثقل » .
(٢) فى « ط » : « وقال بعضهم شعرًا » .
(٣) فى مَغْنَاه : أى فى المنزل الذى غَنِىَ بِهِ عن الناس .. وفى « م » : « فى تَقْعَاء » وهى الأرض الحُرَّةُ الطين المستوية ، أو القاع الذى يمسك الماء .
(٤) النَّصُوحُ : الذى يبالغ فى النُّصْح أو يخلص فيه .
(٥) فى « ط » : « وللقطامىّ شعر » .
والقُطامىُّ هو : عُمَيْر بن شُيَيْم بن عمرو بن عبَّاد ، من بنى جُشَم بن بكر ، أبو سعيد التغلبى ، المُلقب بالقُطامِىّ ، شاعر غزل ، فحل ، وهو أول مَنْ لُقِّبَ « صريع الغوانى » ، وكا من نصارَى تغلب فى العراق ، وأسلم ، وهو ابن أخت الأخطل الشاعر النصرانى المشهور ، وجعله ابن سلَّام فى الطبقة الثانية من الإسلاميين ، وقال : الأخطل أبعد منه ذكرًا ، وأمتن شِعْرًا . توفى نحو سنة ١٣٠ هـ . والقُطامىُّ بضم القاف وفتحها ، مأخوذ من الليث ، أو الصقر ، المشتهى اللحم .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، ٨٩ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٣ – ٧٢٦ ، والأغانى ج ٢٨ ص ٩٤٥٧ – ٩٤٩٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ٣٧٠ – ٣٧٢ ، وانظر سلسلة تاريخ الأدب العربى ج ٢ العصر الإسلامى ، د . شوقى ضيف ، ص ٢٢٤ – ٢٢٦ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ١ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والقطامى حياته وشعره . د . زكى عابدين ط المعارف – إسكندرية] .
(٦) الشفيق : المُشفق .. وتزيدك منه استماعاً : وذلك لِمَا وقع بِكَ من سوء .. وفى العقد الفريد ، والشعر والشعراء : « يزيدك » . والبيتان من قصيدة يُثْنِى الشاعر فيها بِزُفَر بن الحارث الكلابى ويمدحه حين فَكَّهُ من الأسر ، وأعطاه مائة من الإبل ، وردَّ عليه ما سُلِبَ منه فى الحرب التى نشبت بين قبيلة الشاعر « تغلب » و « قيس » فى أثناء فتنة ابن الزبير .

وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا

وَلِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ (١) :

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ ... أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ (٢)

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... إِلَّا الإِلَـٰهُ وَيُودِى الْمَالُ وَالْوَلَدُ (٣)

لَمْ تُغْنِ عَنْ « هُرْمُزٍ » يَوْمًا خَزَائِنُهُ ... وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا (٤)

= [انظر سلسلة تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى ، د . شوقى ضيف ، والعقد الفريد ج ١ ص ٦١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٤ . والقصيدة فى الأغانى ج ٢٨ ص ٩٤٨١ ، ٩٤٨٢ ولم يرد البيتان فيها] .

(١) فى المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام : أن هذا الشعر نسبوه إلى ورقة بن نوفل ، وزعموا أنه قاله حين رأى قريشًا تُعذّب بلالاً على إسلامه . وكذا وردت فى الخزانة ، وفى نسب قريش .

وورقة : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعُزّى ، من قريش ، حكيم جاهلى ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتنصَّر ، وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبرانى .. أدرك ورقة أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ، وهو ابن عم السيدة خديجة أم المؤمنين .. وفى حديث ابتداء الوحى بغار حراء أن النبى ، صلى الله عليه وسلم رجع إلى خديجة وفؤاده يرتجف ، فأخبرها ما حدث له ، فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل – وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِىَ – فقالت له خديجة : يا بن عمِّ ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره الرسول : صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نَزَّل الله على موسى ، ليتنى فيها جَذَع (أى : شابًّا صغيرًا ، ليكون أمكن لنصره) ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ! فقال الرسول : أَوَ مُخرِجِيَّ هُمْ ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِىَ ، وإنْ يدركنى يومك أنصرك نصرًا مُؤَزَّرًا .
وتوفى ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٨ – ٣٠٢ ، والكامل ج ٢ ص ٣١ ، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٢١ و ٢٢٥ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحى ج ١ ص ٢٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٩٧ – ٢٠٤ باب بدء الوحى ، والمحبر ص ١٧١ ، والمعارف ص ٥٩ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٠٠ – ٥٠٤ ، وج ٩ ص ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ونسب قريش ص ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٣٨٩ – ٣٩٥] .

(٢) هذا البيت منسوب أيضًا إلى أمية بن أبى الصَّلْت ، وزيد بن عمرو بن نفيل .

[انظر الأبيات الثمانية التى منها هذه الأبيات الثلاثة فى نسب قريش ص٢٠٨ ، والخزانة ج ٣ ص ٣٨٩ ، وانظر المفصل ج ٩ ص ٧٠٣] .

(٣) يُودِى : يهلك ويفنى بالموت .. وفى نسَب قُريش ، وخزانة الأدب ، وطبقات ابن سعد : « يَبْقَى الإِلَهُ » بدل « إلّا الإله » والشطرة الأولى فى طبقات ابن سعد : « لا شىء فيما تَرى إلّا بَشَاشَتُهُ » قاله عمر بن الخطاب متمثلاً به .
[انظر الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧] .

(٤) هُرمز : من ملوك العجم .. وعادٌ : قوم هود .

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ [(١)] : إِنَّمَا يُحْسِنُ الاخْتِيَارَ لِغَيْرِهِ مَنْ يُحْسِنُ الاخْتِيَارَ لِنَفْسِهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِيمَنْ لا خَيْرَ لَهُ فى نَفْسِهِ . وَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ [(٢)] : لَنْ يَنْصَحَك امْرُؤٌ لا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ [(٣)] . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأْيِى وَرَأْيُكَ فى الْمَعْرِفَةِ أَمْثَلُ لِنَفْسِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، لأَنَّهُ خِلْوٌ [(٤)] مِنْ هَوَاكَ . وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاء : إِنْ شِئْتُمْ لأَنْصَحَنَّ لَكُمْ : إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ ، الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ ، وَيَعْمَلُونَ فى الأَرْضِ نُصْحًا .. وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلاً لَطَمَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِلٰهِى ، إِنْ كُنْتَ تُثِيبُنِى وَتُعَاقِبُهُ فَلَا تُثِبْنِى وَلَا تُعَاقِبْهُ [(٥)] . وَمِنَ الْخِصَالِ الَّتِى تَجْرِى مَجْرَى الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْحِلْمُ [(٦)] .

* * *

---

(١) هو : عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهرى بالولاء ، أبو محمد ، فقيه من الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك ، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ ، وجمع بين الفقه والحديث والعبادة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان حافظاً ثقة مجتهدًا ، وعُرِضَ عليه القضاء فخبَّأ نفسه ولزم بيته . توفى - رحمه الله - بمصر سنة ١٩٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

(٢) فى « م » : « الحكماء » .

(٣) فى « م » : « نَفسَهُ » وكلاهما صحيح .

(٤) خِلْوٌ : خَالٍ .

(٥) فى « م » : « إنك تُثيبنى وتعاقبه ، فلا تثبنى ولا تعاقبه » .

(٦) الحِلْم : الأَناةُ وضبط النَّفْس .

البَابُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ

فى الْحِلْمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [(١)] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [(٢)] . قَالَ عَلِىٌّ [(٣)] رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : الصَّفْحُ الْجَمِيلُ ، الرِّضَا بِلَا عِتَابٍ . وَقِيلَ : الصَّفْحُ الْجَمِيلُ ، الرِّضَا بِلَا تَوْبِيخٍ فِيهِ وَلَا حِقْدٍ مَعَهُ .. وَفِى الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : كَادَ الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، عَلِّمْنِى كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلَا تُكْثِرْ [(٤)] عَلَىَّ فَأَنْسَى . قَالَ : « لا تَغْضَبْ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحِلْمَ أَشْرَفُ الأَخْلَاقِ وَأَحَقُّهَا بِذَوِى الأَلْبَابِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ رَاحَةِ السِّرِّ وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهِ السُّلْطَانُ ، لأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لإِقَامَةِ أَوَدِ الْخَلْقِ [(٥)] وَمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا يُطِيفُونَ بِهِ فى حَالِ سِلْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَغْشَوْنَ بَابَهُ حِينَ تَنَازُعِهِمْ

---

(١) الآية ٧٥ من سورة هود .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة الحِجْر .

(٣) فى « م » : « وقال علىُّ بن أبى طالب » .

(٤) فى « ط » : « ولا يَكْثُرْنَ » . وأعيش بهن ، أى : أنتفع بهنّ فى معيشتى . والحديث رواه مالك فى الموطّأ ، فى كتاب حُسن الخُلق ، باب ما جاء فى الغضب ، وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، والترمذى فى كتاب البر .

(٥) فى « ط » : « الخلائق » .

وَخُصُوماتِهِمْ وَشُرُورِهِمْ ، وَتَكَدُّرِ نُفُوسِهِمْ ، وَضِيقِ أَخْلَاقِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ بَوَادِرَهُمْ [١] وَإِلَّا وَقَعَ تَحْتَ عِبْءٍ ثَقِيلٍ . وَكَانَ أَنُوشِرْوَانُ ذَا حِلْمٍ وَأَنَاةٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : فِيَّ خَصْلَتَانِ ، لَوْلَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضِقْتُ بِهِمَا ذَرْعًا : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ .

وَرُوِىَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا [٢] لَقِىَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ [٣] فَقَالَ : يَارُوحَ اللهِ ، أَخْبِرْنِى بِأَشَدِّ الأَشْيَاءِ [فى الدَّارَيْنِ] [٤] . قَالَ : غَضَبُ اللهِ تَعَالَى . قَالَ : [يَارُوحَ اللهِ] وَمَا يُنْجِينِى مِنْ غَضَبِ اللهِ [تَعَالَى] ؟ قَالَ : تَرْكُ الْغَضَبِ . قَالَ : يَارُوحَ اللهِ ، كَيْفَ بُدُوُّ [٥] الغَضَبِ ؟ قَالَ : التَّعَزُّزُ ، وَالتَّكَبُّرُ ، وَالْفَخْرُ عَلَى النَّاسِ . وَفِى الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِىِّ ، ﷺ ، قَالَ : « وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أُغْضِبَ فَحَلُمَ » .

وَالَّذِى يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ [٦] فى هَذَا الْبَابِ قِصَّةُ إِسْحَاقَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ

---

(١) بَوَادِرَهُم : ما يَنْدُر منهم عند الغضب من خطأ أو سَقَط ، ومنه قولهم فى الحليم : « فُلان لا تُخْشَى بوادِره » . وفى « م » : « بَوَادِيهم » أى : ما يبدو منهم .

(٢) هو : سيدنا يحيى بن زكريا ، عليهما السلام ، وعند النصارى يُسمى « يوحنا المعمدان » لأنه كان يعمّد بالماء للتوبة .. من أنبياء بنى إسرائيل ، وقد وهبه الله لسيدنا زكريا فى شيخوخته ، وبرغم عقم زوجته ، وخصَّه الله بمواهب عظيمة ، منها حِدَّةُ الذكاء والفِطْنة ، وأتاه بصيرة فى التفقه فى الدين وتفهم أحكام الشريعة . وكان بارًّا بوالديه وخير أهل زمانه .. قتله الملك « هيرودس » وقدم رأسه إلى « سالومى » بناء على طلبها ، وذكروا فى سبب قتله أنه وقف ضد رغبة ذلك الملك فى زواجه بها ، وكانت من محارمه .. وقيل غير ذلك .

[انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٧٠ - ٤٨٠ ، والمعارف ص ٥٢ ، ٥٣ ، وانظر تفسير الآيات : ٣٨ - ٤٠ من سورة آل عمران ، والآيات من : ١ - ١٥ من سورة مريم ، والآيتان ٨٩ ، ٩٠ من سورة الأنبياء] .

(٣) فى « ط » : « عليهم السلام » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » فى المواضع الثلاثة .

(٥) بُدُوُّ الغضب : أى بدايته وظهوره ، مِنْ بَدَا يبدو بُدُوًّا ، إذا ظَهَرَ . أمّا « بِدَوٌّ » بكسر الباء وفتح الدال مع كسر الواو المشددة فتعنى : الآفة والمرض . والأول أَوْجَه .

(٦) هكذا فى « م » . وفى « ط » : « والذى يجمل أن يُضرب » .

مَا تُؤمَرُ ستَجِدُنِى إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .. ثُمَّ إنَّهُ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (٢) وَأَمَرَّ عَلَى حَلْقِهِ (٣) السِّكِّينَ ، فَلَمْ يَقُلْ إلَّا خَيْرًا ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (٤) .

وَفِى الأَخْبَارِ يَقُولُ إبْلِيسُ ، لَعَنَهُ اللهُ : إنَّ الْحَدِيدَ مِنَ الرِّجَالِ لَمْ يَيْأَسْ (٥) مِنْهُ ، وإنْ كَانَ يُحْيِى الْمَوْتَى بِدُعَائِهِ ، لأنَّهُ تَأْتِى عَلَيْهِ سَاعَةٌ يَحْتَدُّ فِيهَا فَيَصِيرُ مِنْهُ إلَى مَا يُرِيدُ (٦) . وَيُرْوَى أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ (٧) دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، وَقَدِ اسْتَخَفَّهُ الْغَضَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنَّكَ إنَّمَا تَغْضَبُ للهِ تَعَالَى ، فَلا (٨) تَغْضَبْ لَهُ بِأَكْثَرَ مِنْ غَضَبِهِ لِنَفْسِهِ .

وَاعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ – أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لا قِيمَةَ لَهَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ، فَمَا أَفْخَمَهَا وَأَجَلَّ قَدْرَهَا وَأَعْظَمَ شَأْنَهَا ! لِأَنَّكَ إذَا كُنْتَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ إنَّمَا تَتَصَرَّفُ فى مُلْكِ اللهِ بِأَمْرِ اللهِ ، فَاللهُ (٩) تَعَالَى قَدْ حَدَّدَ حُدُودًا ، وَشَرَّعَ شَرَائِعَ ، وَأَقَامَ

---

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصَّافَّات .. وقد اختلف المفسرون فى الذبيح مَنْ هو ، فقيل : إنه « إسحاق » ، وهذا قول عمر ، وعلى ، والعباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود ، وكعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، والزهرى ، والسّدى ، ومقاتل ، رضى الله عنهم . وقيل : إنه « إسماعيل » . وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وسعيد بن المُسَيَّب ، والحسن ، والشعبى ، ومجاهد ، والكلبى ، واحتجوا على ذلك بقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن الذبيحَيْن » يريد إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب ، وأن الذبيح كان بمكة ، وإسحاق لم يكن بمكة ، بل كان بالشام ، وإسماعيل هو الذى شارك فى بناء البيت مع أبيه ، وهو الذى وُصِفَ بالصبر دون إسحاق فى قوله تعالى : ﴿ وإسماعيل واليسع وذَا الْكِفْلِ كُلٌّ من الصَّابرين ﴾ وهو صبره على الذبح .. وقد أورد المفسرون حججًا أخرى كثيرة على أن الذبيح هو إسماعيل دون إسحاق ، وكان الزَّجَّاج يقول : الله أعلم أيهما الذبيح .
[انظر تفسير الفخر الرازى ، المجلد الثالث عشر ، الجزء السادس والعشرين ص ١٥٢ – ١٥٥] .

(٢) تَلَّهُ للجَبِين : أضْجَعَهُ على جبينه على الأرض .

(٣) فى « م » : « وأمَرَّ حلقَهُ على السكين » .

(٤) الآية ١٠١ من سورة الصَّافَّات . وفى « م » و « ط » : « وبشَّرْناه » بالواو . والآية بالفاء .

(٥) فى « م » : « نيأس » .

(٦) فى « م » : « فنصير منه إلى ما نريد » .

(٧) هو : جعفر بن محمد بن الأشعث . من وُلاة الرشيد على « خراسان » .
[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ وغيرها من الصفحات] .

(٨) فى « ط » : وَلَا .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فى مُلك الله تعالى ، بأمر الله سبحانه ، والله .. » .

فُرُوضًا وَسُنَنًا ، وَنَهَى عَنْ حُدُودٍ وَرُسُومٍ ، ثُمَّ قَدَّرَ فى كُلِّ خَصْلَةٍ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ حَدًّا مَحْدُودًا ، وَنَهَى أَنْ يُتَجَاوَزَ ذَلِكَ الْحَدُّ ، فَلَا يُقْتَلُ مَنِ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ وَالْحَبْسَ وَالْأَدَبَ وَالْحَدَّ ، وَلَا يُحْبَسُ غَيْرُ مَنِ اسْتَوْجَبَ الْحَبْسَ .

وَكَانَتِ الْخُلَفَاءُ يُؤَدِّبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ ، فَمَنْ عَثَرَ مِنْ ذَوِى الْمُرُوآتِ أُقِيلَتْ عَثْرَتُهُ وَلَمْ يُقَابَلْ بِشَىْءٍ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَقِيلُوا ذَوِى الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ » [١] . وَمَنْ سِوَاهُمْ كَانَ يُقَابَلُ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ وَهَفْوَتِهِ ، فَكَانَ [٢] يُقَامُ قَائِماً فى مَجْلِسٍ يَقْعُدُ فِيهِ نُظَرَاؤُهُ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عُقُوبَتَهُ ، وَآخَرُ يُشَقُّ جَيْبُهُ [٣] ، وَآخَرُ تُنْزَعُ عِمَامَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وآخَرُ يُكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّذِى فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ .

قَالَ الشَّعْبِىُّ [٤] : كَانَتِ الْعُصَاةُ فى زَمَنِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِىٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، إِذَا أُخِذَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ [بِعَثْرَةٍ] [٥] نُزِعَتْ عِمَامَتُهُ ، وَطِيفَ بِهِ فى الْمَسْجِدِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَقِيلَ : هَذَا أُخِذَ بِثَغْرِهِ [٦] ، فَلَمَّا وَلِىَ زِيَادٌ ضَرَبَهُمْ وَنَزَعَ عَمَائِمَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِىَ مُصْعَبُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَلَقَ مَعَ الضَّرْبِ رُءُوسَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِىَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ [٧] أَقَامَهُمْ عَلَى الْكَرَاسِىِّ ، ثُمَّ مُدَّتْ أَيْدِيهِمْ وَسَمَّرَهَا بِمِسْمَارٍ ، ثُمَّ نَزَعَ الْكُرْسِىَّ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَخْرِمَ يَدَهُ ، فَمِنْ مَيِّتٍ وَمِنْ حَىٍّ [٨] ، فَلَمَّا وَلِىَ الرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّاجِ قَالَ : كُلُّ

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الحدود ، باب فى الحد يُشفع فيه ج ٤ ص ١٣١ ط الدار المصرية ، واستثنى فى آخره الحدود ، فقال : « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحُدُودَ » .

(٢) فى « م » : « وكان » .

(٣) جيب القميص ونحوه : ما يُدْخَلُ منه الرأس عند لُبْسِهِ .

(٤) هو : عامر بن شراحيل ، وقد مرت ترجمته ، والشَّعْبِى نسبة إلى « شَعْب » جبل باليمن ، وقيل : بطن من هَمْدَان .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٦) أُخِذَ بِثَغْرِهِ : أى بِسَقْطَتِهِ . وفى « م » : « لَخَلَّ بِثَغْرِهِ » والثَّغْر : مَوْضِع المخافة من فُروج البُلْدان مِمَّا يلى دار الحرب أو العَوْرَة .

[انظر اللسان – مادة ثغر] .

(٧) هو : بِشْرُ بن مَرْوَان بن الحَكَم بن أبى العاص القرشى الأموى ، من الأمراء ، كان سمحًا جوادًا ، وَلِىَ إِمْرَة العراقين (البصرة والكوفة) لأخيه عبدالملك سنة ٧٤ هـ ، وهو أول أمير مات بالبصرة . توفى سنة ٧٥ هـ عن أربعين سنة وَنَيِّف .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٥٥ ، والمعارف ص ٣٥٥] .

(٨) فى « م » : « ومِنْ مقتول » .

هَؤُلَاءِ يَلْعَبُ ، مَنْ أَخِذَ بِثَغْرِهِ ، ضُرِبَ عُنُقُهُ [(١)] . وَقَالَ أَرِسْطَا طَالِيسُ : النَّفْسُ الذَّلِيلَةُ لا تَجِدُ أَلَمَ الْهَوَانِ ، وَالنَّفْسُ الشَّرِيفَةُ يُؤَثِّرُ فِيهَا [(٢)] يَسِيرُ الْكَلَامِ ، وَفِيهِ قِيلَ :

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ   مَالِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ [(٣)]

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَجَاوَزَ فى الْعُقُوبَةِ فَوْقَ مَاحَدَّ اللهُ تَعَالَى فِيهَا ، شَارَكَ الْمُجْرِمَ فى الذَّنْبِ ، وَاسْتَوْجَبَ مَا اسْتَوْجَبَهُ الْمُجْرِمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَيَتَبَيَّنُ فى الآخِرَةِ [(٤)] أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَاقِبُ لِلْهَوَى وَالتَّشَفِّى ، إِذاً فَمَا غَضِبَ لِلهِ تَعَالَى . وَفِى كِتَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيهِمَا السَّلَامُ : القَاهِرُ لِنَفْسِهِ أَشَدُّ مِمَّنْ يَفْتَتِحُ الْمَدِينَةَ [وَحْدَهُ] [(٥)] ، وَصَدَقَ نَبِيُّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [(٦)] ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَفْتَتِحُ الْمَدِينَةَ وَيَقْهَرُ أَهْلَهَا ، وَيَغْلِبُ جُنُودَهَا وَحُمَاتَهَا ، وَيَقْتُلُ أَبْطَالَهَا ، ثُمَّ تَغْلِبُهُ شَهْوَتُهُ وَيَبْقَى أَسِيرًا فى ذُلِّ هَوَاهُ ، قَدْ قَهَرَتْهُ قَيْنَةٌ بِطُنْبُورِهَا [(٧)] ، أَوْ قَدَحُ خَمْرٍ يَذْهَبُ بِعَقْلِهِ .

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِىّ [(٨)] : الصَّبْرُ عَلَى جَرْعِ الْحِلْمِ أَعْذَبُ [(٩)] مِنْ جَنَى ثَمَرِ النَّدَمِ .

---

(١) فى « م » : « مَنْ أَخَلَّ بثغره ضربت عنقه » .

(٢) فى « م » : « فيما » تحريف .

(٣) البيت لأبى الطَّيِّب المتنبى من قصيدةٍ يمدح فيها أبا الحُسَين علىّ بن أحمد المُرِّى الخراسانى ، وكانت بينهما مَوَدَّة « بطبرية » . ومعنى البيت : أن الإنسان إذا كان هيِّنًا فى نفسه ، سهل عليه احتمال الهوان ، كالميت الذى لا يتألم بالجراحة .

[انظر ديوان المتنبى ج ٤ ص ٢١٧ للبرقوق ، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى ج ٢ ص ٢٢٢ سلسلة ذخائر العرب . ط دار المعارف] .

(٤) فى « م » : « بالآخرة » .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) فى « ط » : « ﷺ » .

(٧) القَيْنَة : الأَمَةُ ، وغلب على المُغَنِّيَة . والطُّنْبور : آلة من آلات اللهو والطرب .

(٨) هو : أكثم بن صَيْفى بن رياح بن الحارث بن مخاشن التميمى ، حكيم العرب فى الجاهلية ، وأحد المُعَمَّرين ، عاش زمنًا طويلاً ، وأدرك الإسلام ، وقصد المدينة فى مائة من قومه يريدون الإسلام ، فمات فى الطريق سنة ٩ هـ ، ولم ير النبى ﷺ ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٦ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، والمحبر ص ١٣٤ ، والمعارف ٢٩٩] .

(٩) فى « م » : « أَعْظَمُ » .

وَسَأَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسَ عَنْ أَجْوَدِ مُلُوكِهِمْ [(١)] عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ : لِأَرْدَشِيرَ فَضْلُ السَّبْقِ ، غَيْرَ أَنَّ أَحْمَدَهُمْ سِيرَةً أَنُوشِرْوَانُ . قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ . فَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : هُمَا تَوْأَمٌ يُنْتِجُهُمَا [(٢)] عُلُوُّ الْهِمَّةِ .

وَمِنْ مَحْمُودِ السِّيرَةِ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ لا تَعْجَلُ بِالثَّوَابِ وَلَا بِالْعِقَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِخَوْفِ الْخَائِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي . وَقَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ [(٣)] :

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الْجَرَائِمُ [(٤)]
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ ... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ [(٥)]
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ ... وَأَتْبَعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمُ [(٦)]
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ ... إِجَابَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ [(٧)]
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْهَفَا ... تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمُ [(٨)]

---

(١) هكذا فى « م » وفى العقد الفريد .. وفى « ط » : « كثيرًا من كبراء فارس : مَنْ أَحْمَدُ ملوكهم ... » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٣ باب الحِلْم] .

(٢) فى « م » : « نيجتهما » .

(٣) هو : محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكثر شعره فى المواعظ والحِكَم ، روى عنه ابن أبى الدنيا . وتوفى فى خلافة المعتصم فى حدود سنة ٢٣٠ هـ على الأرجح . والأبيات الخمسة فى « أدب الدنيا والدين » منسوبة إلى الخليل ابن أحمد .

[انظر فوات الوفيات ج ٤ ص ٧٩ – ٨١ ، وطبقات الشعراء ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والأعلام ج ٧ ص ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ – ٨٩ ، وأدب الدنيا والدين ، الفصل الرابع من الباب الخامس ص ٣٠٦ ، والعصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف ص ٤٠٩ – ٤١٣] .

(٤) هكذا البيت فى « م » و « ط » وفى المستطرف ج ١ ص ٤١٨ .. وفى العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٢ وأدب الدنيا والدين .. والشطرة الثانية من البيت فى المرجعين الأخيرين : « وإنْ كاثرتْ منه إلىَّ الجرائمُ » .

(٥) فى العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٦) فى المستطرف وأدب الدنيا والدين : « فأَعْرِفُ قَدْرَهُ » فى الشطرة الأولى .. وفى العقد الفريد : « والحق قائم » فى الشطرة الثانية .

(٧) هكذا البيت فى « ط » وفى العقد والمستطرف ، ولم يَرِدْ فى « م » . والبيت فى أدب الدنيا والدين :

فَأَمَّا الذى دُونى فأَحْلُمُ دائبًا ... أَصُونُ به عِرْضِى وإنْ لامَ لائمُ

(٨) فى المستطرف : « إنَّ الحُرَّ بالفَضْلِ حاكمُ » .. وفى العقد : « إنَّ الفَضْلَ للحُرِّ لازِمُ » .. وفى أدب الدنيا والدين : « إنَّ الفضل بالفخر حاكمُ » .

وَقَالَ الأَصْمَعِىُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَسْرَعُ النَّاسِ جَوَابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ .. لا تُوقِدَنَّ بَيْنَ جَنْبَيْكَ جَمْرَةَ الْغَضَبِ ، وَارْدُدْ إِسَاءَتَهُ (١) بِالْحِلْمِ ، فَإِنَّ شَجَرَ النَّارِ إِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْهَا الرِّيَاحُ تَحَاكَّتْ أَغْصَانُهَا فَتَشْتَعِلُ نَارًا وَتَحْتَرِقُ مِنْ أُصُولِهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (٢) : ثَلاثٌ مَنِ اجْتَمَعْنَ فِيهِ فَقَدْ سَعِدَ : مَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِذَا رَضِىَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فى بَاطِلٍ ، وَإِذَا قَدَرَ عَفَّ وَكَفَّ .. وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَدِّ الْحِلْمِ فَقَالَ : وَكَيْفَ يُعْرَفُ فَضْلُ شَىْءٍ لَمْ يُرَ كَمَالُهُ فى أَحَدٍ (٣) ؟ .

وَقَالَ الأَحْنَفُ [لِابْنِهِ] (٤) : يَابُنَىَّ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِىَ رَجُلاً فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ (٥) وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ .. وَكَانَ سَلْمُ (٦) بْنُ نَوْفَلٍ سَيِّدَ بَنِى كِنَانَةَ ، فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ بِسَيْفِهِ ، فَأُخِذَ فَأُتِىَ بِهِ إِلَيْهِ (٧) ، فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِى فَعَلْتَ ؟ أَمَا خَشِيتَ انْتِقَامِى ؟ قَالَ : فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ (٨) إِلَّا أَنْ تَكْظِمَ الْغَيْظَ ، وَتَعْفُوَ عَنِ الْجَانِى ، وَتَحْلُمَ عَنِ الْجَاهِلِ ، وَتَحْتَمِلَ الْمَكْرُوهَ فى النَّفْسِ وَالْمَالِ ؟ فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ (٩) :

يُسَوَّدُ أَقْـــوَامٌ وَلَـــيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نَوْفَلِ (١٠)

---

(١) فى « م » : « إساءَتك » .

(٢) فى « م » : « رحمة الله عليه » .

(٣) قوله : « فى أحد » عن « ط » .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) جواب الشرط محذوف ، تقديره « فآخِهِ » .

(٦) فى « م » : « مسلم » تحريف .

(٧) فى العقد الفريد : « فوثب رَجُلٌ على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأُتِىَ به ... » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٦] .

(٨) فى العقد : « فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ إِذًا » وسَوَّدْنَاكَ : جعلناك سيدًا .

(٩) فى « ط » : « فقال قائلهم شعرًا » .

(١٠) فى العقد : « بل السَّيِّدُ الصِّنْدِيدُ » . والصِّنْدِيدُ من الناس : الشريف الشجاع .

وَقَالَ رَجُلٌ [مِنْ كَلْبٍ] (١) لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ (٢) : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ : وَاللهِ لَأُعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً مَا يُعْطِيهَا الْعَبِيدُ ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ .. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : أُحْلُمْ تَسُدْ .. وَيُرْوَى أَنَّ هِشَامًا (٣) غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ فَشَتَمَهُ ، فَوَبَّخَهُ الرَّجُلُ وَقَالَ (٤) : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَشْتُمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللهِ فى أَرْضِهِ ؟ فَأَطْرَقَ هِشَامٌ وَاسْتَحْيَا وَقَالَ لَهُ : اقْتَصَّ . فَقَالَ : أَنَا إِذًا سَفِيهٌ مِثْلُكَ . قَالَ : فَخُذْ بِذَلِكَ (٥) عِوَضًا [مِنَ الْمَالِ] (٦) . قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ . قَالَ : فَهَبْهَا للهِ . قَالَ هِيَ للهِ ثُمَّ لَكَ .. فَنَكَسَ هِشَامٌ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَاللهِ لا أَعُودُ لِمِثْلِهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ شَرُفُوا ... حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامِ (٧)

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً ... لاصَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ إِكْرَامِ (٨)

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » . وكَلْب : قبيلة معروفة .

[انظر نهاية الأرب للقلقشندى ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ط دار الكتاب المصرى – اللبنانى ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ج ٣ ص ٩٩١ ، ٩٩٢] .

(٢) هو : الحَكَمُ بن عَوَانَةَ الكَلْبى ، كان واليًا على السند ، ثم استخلفه هشام بن عبد الملك على خراسان سنة ١٠٩ هـ بعد عَزْل خالد بن عبد الله القِسْرى (أمير العراق) وكان عالمًا بأيّام العرب وأنسابها .

[انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٠٥ ، ١٠٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٠٠ ، وإنباه الرُّواة ج ٢ ص ٣٦١] .

(٣) هو : الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، وقد مر التعريف به .

(٤) فى « ط » : « فقال له » .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « فقال : خُذْ مِنْ ذلك » وسقط الضمير « أنا » قبلها .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) هكذا البيت فى « ط » وفى المستطرف .. وفى « م » : « لم يبلغ » . وزاد الناسخ ألِفًا فى « الأقوام » سهوًا منه . والشطرة الأولى من البيت فى العقد الفريد وأدب الدنيا والدين :

« لن يدرِك المَجْدَ أقوامٌ وإنْ كرمُوا » .

[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١٩ ، والعقد ج ٢ ص ٣٨ ، وفى المصدر الأخير « لا » بدل « لن » .. وأدب الدنيا والدين ص ٣٠٤] .

(٨) هكذا البيت فى « م » و « ط » والمستطرف .. ومُسْفِرة : مُشرِقة .. وفى العقد الفريد :

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الألوانَ كاسِفَةً ... لاذُلَّ عَجْزٍ ولكنْ ذُلَّ أحْلامِ

وفى أدب الدنيا والدين : « صَفْحَ أحلام » .. وكاسفة : متغيرة .

وَقَالَ آخَرُ :

وَجَهْلٍ رَدَدْنَاهُ بِفَضْلِ حُلُومِنَا   وَلَوْ أَنَّنَا شِئْنَا رَدَدْنَاهُ بِالْجَهْلِ [١]
رَجَحْنَا وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومٌ كَثِيرَةٌ   وَعُدْنَا عَلَى أَهْلِ السَّفَاهَةِ بِالْفَضْلِ

وَقَالَ هِشَامٌ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ [٢] : صِفْ لِي الأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ بِثَلَاثٍ [٣] ، وَإِنْ شِئْتَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَإِنْ شِئْتَ بِوَاحِدَةٍ . فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْهُ بِثَلَاثٍ . قَالَ : كَانَ لا يَحْرِصُ ، وَلَا يَجْهَلُ ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ بِهِ [٤] . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِاثْنَتَيْنِ . قَالَ : كَانَ يُؤْثِرُ الْخَيْرَ ، وَيَتَوَقَّى الشَّرَّ [٥] . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِوَاحِدَةٍ . قَالَ : كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ [٦] . وَقَالَ أَكْثَمُ ابْنُ صَيْفِيّ : الْغَلَبَةُ وَالْعِزُّ لِلْحِلْمِ .

وَقَالَ الأَحْنَفُ [بْنُ قَيْسٍ] [٧] : وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ .. وَصَدَقَ الأَحْنَفُ ، فَإِنَّ مَنْ حَلُمَ كَانَ النَّاسُ أَنْصَارَهُ . كَمَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا أَسْرَفَ فِي شَتْمِ بَعْضِ الأُدَبَاءِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَحَمَى لَهُ [٨] بَعْضُ الْمَارِّينَ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ،

---

(١) الحُلُوم : العقول ، جمع حِلْم ، وهو نقيض السَّفَهِ .

(٢) هو : خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميميُّ المِنْقَرِيُّ ، من فصحاء العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله معهما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أيسر أهلها مالاً ، وعاش إلى أن أدرك خلافة السفّاح العباسي ، وحظي عنده . وكان أقدر الناس على مدح الشيء وذمّه .. توفي نحو سنة ١٣٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١ ، ١٢ في ترجمة أبي بردة الأشعري ، والمعارف ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ومنهاج اليقين ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ وصفحات متفرقة] .

(٣) أي : بثلاثِ خلالٍ أو صفات أو مزايا .

[وانظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧] .

(٤) في المرجع السابق : « كان لا يجهل ولا يبغي ولا يبخل » .

(٥) في العقد : « كان مُوَقَّى الشرِّ ، مُلَقَّى الخير » .

(٦) في المرجع السابق : « كان أقوى الناس على نفسه » .

(٧) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٨) أي : مَنَعَهُ ودفَعَ عنه .

أَلَا تَنْتَصِرُ لَكَ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : وَلِمَ (١) ؟ قَالَ : لأَنِّي وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنصرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ ، وَهَلْ حَامَيْتَ فِيَّ إِلَّا لِحِلْمِي ؟ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : وَاللهِ لأَتفرَّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ : الآنَ وَقَعْتَ فِى الشُّغْلِ . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُم اسْتَضَافَ قَوْمًا (٢) فَأَضَافُوهُ ، وَلَهُمْ كَلْبَةٌ تَنْبَحُ ، فَقَالَتْ : وَاللهِ لا أَنْبَحُ (٣) ضَيْفَ أَهْلِي اللَّيْلَةَ ، فَعَوَى جِرَاؤُهَا (٤) فِى بَطْنِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيًّا لَهُمْ ، أَوْ قَيْلاً مِنْ أَقْيَالِهِمْ (٥) ، فَقَالَ : مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَّةٍ تَكُونُ بَعْدَكُمْ ، يَظْهَرُ سُفَهَاؤُهَا عَلَى حُلَمَائِهَا .

وَقَالَ الأَحْنَفُ : إِيَّاكُمْ وَرَأْىَ الأَوْغَادِ . قَالُوا : وَمَا رَأْىُ الأَوْغَادِ (٦) ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَرَوْنَ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَارًا .. وَسُئِلَ الأَحْنَفُ عَنِ الْحِلْمِ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِى تَصْبِرُ عَلَيْهِ (٧) ، وَلَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي صَبُورٌ . وَيُرْوَى أَنَّ الْمُهَلَّبَ نَازَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَرْبَى (٨) عَلَى الْمُهَلَّبِ ، وَالْمُهَلَّبُ سَاكِتٌ ، فَقِيلَ لَهُ فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا سَبَّنِي (٩) اسْتَحْيَيْتُ مِنْ سُخْفِ السِّبَابِ وَغَلَبَةِ اللِّئَامِ وَالسَّفْلَةِ ، وَكَانَ إِذَا سَبَّنِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ ، وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ (١٠) بِأَنْ ظَفِرَ بِفَضْلِ الْقِحَةِ (١١) ، وَنَبْذِ الْمُرُوءَةِ ، وَخَلْعِ رِبْقَةِ الْحَيَاءِ (١٢) ، وَقِلَّةِ الاكْتِرَاثِ بِسُوءِ الثَّنَاءِ .

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « أَلَا أنتصِرُ لك » . وسقطت أداة الاستفهام « ولِمَ » منها .
(٢) استضاف قومًا : سألهم الضِّيَافَةَ .
(٣) فى « م » : « انبح عَلَى » وكلاهما صواب .
(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « جِرْوُها » .
(٥) القَيْلُ : من ملوك اليمن فى الجاهلية ، دون الملك الأعظم . وقد مرَّ .
(٦) قوله : « قالوا : وما رأى الأوغاد » عن « ط » وساقط من « م » .
(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « هو الذُّل تصبر عليه » . وفى العقد الفريد : « هو الذل ، أتصبر عليه ؟ » قاله الأحنف لرجل طلب منه أن يعلمه الحِلْم .
(٨) أَرْبَى : زاد .
(٩) فى « م » : « سبيتنى » تحريف .
(١٠) أى : ارتفعت كِبرًا وعظَمة . وفى « م » : « سمحت » أى : لانت وسهلت . والأول أَوْجَه .
(١١) القِحَةُ : الجفاء ولؤم الطبع . وفى « م » : « بنَهْل القِحَة » .
(١٢) الرِّبْقَةُ فى الأصل : عُرْوَة فى حَبْلٍ تُجْعَلُ فى عُنُق الدَّابَّةِ أو يدها تُمْسِكها . والمراد هنا أنه تجاوز حدود اللياقة والأدب .

وَمَرَّ الْمَسِيحُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] [١] عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالُوا لَهُ شَرًّا ، وَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا ، فَقِيلَ لَهُ [٢] : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا ؟ فَقَالَ : كُلٌّ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ .. وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيّ : مَنْ حَلُمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ ، وَكُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ ، وَصُحْبَةُ الْجَاهِلِ شُؤْمٌ ، وَلِقَاءُ الإِخْوَانِ غُنْمٌ ، وَالْمُبَاشَرَةُ يُمْنٌ [٣] وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ بِقَبَائِحَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللهُ لِي . وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَعَكَ – وَاللهِ – يَدْخُلُ لَا مَعِي .. وَقَالَ رَجُلٌ لِلْأَحْنَفِ [بْنِ قَيْسٍ] [٤] : إِنْ قُلْتَ لِي كَلِمَةً [٥] لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا [٦] . فَقَالَ لَهُ الأَحْنَفُ : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ [لِي] عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً [٧] .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلاً سَبَّ الأَحْنَفَ وَهُوَ يُمَاشِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَقَفَ الأَحْنَفُ وَقَالَ : يَاهَذَا ، إِنْ كَانَ بَقِيَ مَعَكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ هَاهُنَا ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَمِعَكَ فِتْيَانُ الْحَيِّ أَنْ يُؤْذُوكَ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : لَسْتُ [٨] أَدْخُلُ فِي حَرْبٍ الْغَالِبُ فِيهِ [٩] شَرٌّ مِنَ الْمَغْلُوبِ . وَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَارَةَ [١٠] :

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٢) « له » عن « ط » .
(٣) مُباشَرَةُ الأمرِ : أن تَحضُرَهُ وتَلِيَهُ بنفسك . واليُمْن : الخير والبركة .
(٤) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إنْ قلتَ كلمةً » .
(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « لأقولَنَّ لكَ عَشْرًا » .
(٧) ما بين المعقوفتين عن « م » . وقوله : « لم تسمع مني واحدة » كررها الناسخ سهوًا .
(٨) في « م » : « ما كُنْتُ » .
(٩) فيه : أي في القتال . فالحرب مؤنثة ، وقد تُذَكَّرُ على معنى القتال ، كما هي هنا .
(١٠) في « ط » : « وقال لقيط بن زُرارة شعرًا » والأخيرة وردت بدون ألف ، خطأً . ولقيط هو : لَقِيطُ بن زُرارة بن عُدَسٍ الدَّارِميُّ ، من تميم ، فارس ، وشاعر جاهلي من أشراف قومه ، وكُنيته « أبو دَخْتَنُوس » وهي بنته . ولا عَقِبَ له غيرها ، ويُقال له : أبو نهشل ، قُتِلَ يوم « شِعْب جَبَلَة » في نجد ، قال ياقوت : وهو يوم بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة ، من أعظم أيام العرب وأشدها ، وكان النصر فيه لبني عامر ، وكان لقيط رئيس تميم فيه ، فقتله عمارة الوهاب العبسيُّ ، وقيل : قتله شريح بن الأحوص سنة ٥٣ قبل الهجرة . =

فَقُلْ لِبَنِى سَعْدٍ فَمَا لِى وَمَا لَكُمْ ... تُرِقُّونَ مِنِّى مَا استَطَعْتُمْ وَأُعْتِقُ (١)
أَغَرَّكُمُ أَنِّى بِأَحْسَنَ شِيمَةٍ ... بَصِيرٌ وَأَنِّى بِالْفَوَاحِشِ أَحْذَقُ (٢)
وَأَنَّكَ قَدْ سَابَبْتَنِى فَقَهَرْتَنِى ... هَنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَحْذَقُ (٣)

وَقَالَ رَجُلٌ لأَبِى ذَرٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : أَنْتَ الَّذِى نَفَاكَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ ؟ واللهِ (٤) لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ (٥) مَانَفَاكَ . فَقَالَ : يَابْنَ أَخِى ، إِنَّ وَرَائِى عَقَبَةً كَئُودًا (٦) ، إِنْ نَجَوْتُ مِنْهَا لَمْ يَضُرَّنِى مَا قُلْتَ ، وَإِنْ لَمْ أَنْجُ مِنْهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا قُلْتَ .. وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ :

يَابُنَىَّ ، ثَلَاثَةٌ لا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةٍ : لا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَلَا أَخُوكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الحُلَمَاءِ (٧) فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ أَعْنِى . فَقَالَ الْحَلِيمُ (٨) : وَعَنْكَ أُعْرِضُ . وَفِى هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

قُلْ مَابَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ ... حِلْمِى أَصَمُّ وَأُذْنِى غَيْرُ صَمَّاءِ (٩)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص٢٤٤ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٠٤ ، وج ٣ ص ٣٤٧ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٩١٧ - ٣٩٤٩] .

(١) ترقُّون مِنِّى : تجعلون منى رقيقًا ، أى مملوكاً .

(٢) فى « م » : « شتمه بصير » تحريف . والشيمة : الخُلُق . وأَحْذَقُ : أكثر إحاطةً . وفى « ط » وأدب الدنيا والدين : « أَخْرَقُ » أى : أَجْهَلُ .

(٣) فى « م » : « منيًا » بدل « مريئًا » . وهو مصدرٌ ، وفى اللسان : مَنَّاهُ ومَنَّاهُ : أى ذَكَّرَهُ المهانئ والأمانى . والمراد به ما يعرض للإنسان من أحاديث النفس وتسويل الشيطان .. والشطرة الأولى فى أدب الدنيا والدين : « وَإِنَّكَ قد فَاحَشْتَنِى فَقَهَرْتَنِى »

[انظر المرجع السابق ص ٣٠٥] .

(٤) لفظ القَسَم عن « م » ولم يرد فى « ط » .

(٥) فى « م » : « خيرًا » بالنصب ، وهو خطأ ، والصواب بالرفع ، اسمٌ لكان .

(٦) كئودًا : شديدة صعبة . وقد وردت فى « م » بالرفع . لا تصح .

(٧) فى « ط » : « الحكماء » .

(٨) فى « ط » : « الحكيم » .

(٩) حِلْمِى أَصَمُّ : واسع لا يتزعزع . والبيت فى عيون الأخبار ، فى باب الحِلْم والغضب ج ٣ ص ٢٨٤ ، وفى أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧ ، وهو غير منسوب لقائله .

وَقِيلَ يَوْمًا لِلْأَحْنَفِ : مَا أَحْلَمَكَ ! فَقَالَ : لَسْتُ بِحَلِيمٍ ، وَلَكِنِّى أَتَحَالَمُ [١] ، وَاللهِ إِنِّى لَأَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَأَجِمُ [٢] لَهَا ثَلَاثًا ، مَا يَمْنَعُنِى مِنْ جَوَابِهَا إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ مَاهُوَ شَرٌّ مِنْهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْحِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا ... إِذَا كَانَ عِنْدَ السُّخْطِ لا يَتَحَلَّمُ [٣]

كَمَا لا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا ... إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لا يَتَحَشَّمُ [٤]

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلاً سَبَّ جَعْفَرَ [٥] بْنَ مُحَمَّدٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ،فَقَالَ : أَمَّا مَا قُلْتَ مِمَّا هُوَ فِينَا فَإِنَّا نَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ ، وَمَا قُلْتَ مِمَّا لَيْسَ فِينَا فَإِنَّا نَكِلُكَ فِيهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : احْذَرُوا الْغَضَبَ ، فَرُبَّ غَضَبٍ اسْتَحَقَّ الْغَضْبَانُ بِهِ غَضَبَ اللهِ تَعَالَى .. وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِىّ : لا يَكُونُ الرَّجُلُ حَلِيمًا حَتَّى يَقُولَ السَّفِيهُ إِنَّهُ لَضَعِيفٌ مُسْتَذَلٌّ ، وَلَا يَكُونُ مُخْلِصًا حَتَّى يَقُولَ الأَحْمَقُ : إِنَّهُ لَمُفْسِدٌ .. وَمِنْ أَشْعَرِ بَيْتٍ قِيلَ فِى الْحِلْمِ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ [٦] :

---

(١) أتحالم : أتظاهر بالحِلْم .

(٢) فأجِمُ : أسكتُ على غيظ .

(٣) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. والشطرة الثانية فى العقد الفريد : « إذا هو عند السخط لم يتحلّم » . [انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤١] .

(٤) هكذا البيت فى « م » و « ط » . ويتحشم ، بالحاء المهملة ، أى : يتوقّاه ويتجنبه . والشطرة الثانية فى العقد الفريد : « إذا هو عند العُسْرِ لم يتجشّم » ويتجشم ، بالجيم المعجمة : يتحَمَّل .

(٥) فى « م » : « الأحنف » خطأ .

(٦) هو : كعب بن زهير بن أبى سلمى المازنىّ ، أبو المُضرِّب ، أحد فحول الشعراء المخضرمين من أهل نجد ، وكان ممن اشتهر فى الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وظل يشبب بنساء المسلمين ، فأهدر النبى دمه ، فجاءه مستأمنًا ، وقد أسلم ، وأنشده لاميته المشهورة التى مطلعها : « بانت سعاد » فعفا عنه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وخلع عليه بُردته . وأسرته عريقة فى الشعر ، فأبوه زهير بن أبى سلمى وأخوه بُجَير ، وابنه عقبة ، وحفيده العوّام ، كلهم شعراء . توفى كعب فى السنة السادسة والعشرين ٢٦ هـ تقريبًا .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٤ – ١٥٦ ، والأغانى ج ١٨ ص ٦٣٥٨ – ٦٣٧١ ، والعمدة لابن رشيق ج ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، وأسد الغابة ج ٤٧٥ – ٤٧٧ ، وانظر مقدمة ديوانه الذى حققه الأستاذ على فاعود ص ٦٠] .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ (١)

وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ طَائِرٍ (٢) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْغَضَبُ (٣) عَدُوُّ الْعَقْلِ ، وَلِذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ . وَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : الْغَضَبُ مِقْدَحَةُ الْعَقْلِ ، فَرُبَّمَا أَصْلَدَ وَرُبَّمَا أَزْنَدَ (٤) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِذَا جَاءَ الْغَضَبُ تَسَلَّطَ الْعَطَبُ (٥) وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ (٦) إِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ .. وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : دَفَعَ أَرْدَشِيرُ (٧) إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ كِتَابًا ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَنِي اشْتَدَّ غَضَبِي فَادْفَعْهُ إِلَيَّ ، فَكَانَ فِيهِ : أُسْكُنْ فَلَسْتَ بِإِلٰهٍ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُكَ بَعْضًا ، وَتَصِيرَ عَنْ قَرِيبٍ لِلدُّودِ وَالتُّرَابِ . وَهَذِهِ السِّيرَةُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّهَا مَلِكُ تُبَّعٍ ، أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي كِتَابٍ ، أُسْكُنْ فَلَسْتَ بِإِلٰهٍ ، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : إِذَا غَضِبْتُ فَأَعْرِضْهُ عَلَيَّ ، فَكَانَ إِذَا غَضِبَ عَرَضَهُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا قَرَأَهُ سَكَنَ غَضَبُهُ .

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » والمستطرف .. وفى الديوان : « لَمْ تُقْصِرْ » بدل « لم تُعرض » . وتقصر عن الجهل : تكفّ عنه .. والخنا : الفُحش فى القول وغيره .
[انظر الديوان ص ٨٠ ، والمستطرف ج ١ ص ٤١٩] .

(٢) قيل : ضُرِب به المثل فى الحِلْم لأنه يخرج من بيضةٍ فى أرفع مَوْضِع فى الجبل ، ولا يتحول من مكانه حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران .
[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩] .

(٣) فى « ط » : « إنَّ الغضب » .

(٤) المِقْدَحة : حديدة الزَّند يُقْدَح بها لإشعال النار .. فربما أصلد : صوَّتَ ولمْ يُورِ .. وربما أَزْنَد : قدح .

(٥) العطب : الهلاك والفساد .

(٦) فى « ط » : « ابن عوان » خطأً .
وهو : عبد الله بن عون بن أرْطَبان ، المُزَنِيّ بالولاء ، شيخ أهل البصرة ، كان إماماً فى العلم ، ورأسًا فى العبادة ، ومن حُفَّاظ الحديث الثقات ، وأعلم أهل العراق بالسُّنَّة ، وكان يغزو ويركب الخيل ، أخذ عنه الثورى ، ويحيى القطان ، وغيرهما .. قال عنه ابن المبارك : ما رأيت أفضل من ابن عون . توفى رحمه الله فى رجب سنة ١٥١ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ١١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، والمعارف ص ٤٨٧ ، ٤٨٨] .

(٧) فى « م » : « أزدشير » .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ، فَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ ، وَإِذَا قَدَرَ عَفَا ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَعْفَى (١) ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ .. وَفِي الْحِكْمَةِ مَكْتُوبٌ : [مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَ] (٢) مَنْ أَطَاعَ الْغَضَبَ حُرِمَ السَّلَامَةَ ، وَمَنْ عَصَى الْحَقَّ غَمَرَهُ الذُّلُّ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٣) : كَظْمُ الْغَيْظِ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، وَالتَّشَفِّي ضَرْبٌ مِنَ الْجَزَعِ . وَقَالَ آخَرُ : أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٤) : إِذَا غَلَبَ عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعُ خِصَالٍ فَقَدْ عَطِبَ : الرَّغْبَةُ ، وَالرَّهْبَةُ ، وَالشَّهْوَةُ ، وَالْغَضَبُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ : إِنَّ فُلَانًا يَقَعُ فِيكَ ، فَقَالَ : لَأُغِيظَنَّ مَنْ أَمَرَهُ ، يَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَهُ ، قِيلَ لَهُ : وَمَنْ أَمَرَهُ ، قَالَ : الشَّيْطَانُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ : إِنِّي مَرَرْتُ بِفُلَانٍ وَهُوَ يَقَعُ فِيكَ (٥) وَيَذْكُرُكَ بِأَشْيَاءَ رَحِمْتُكَ مِنْهَا : قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ (٦) : فَإِيَّاهُ فَارْحَمْ . وَقَالَ الْفُضَيْلُ : ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ عَلَى الْغَضَبِ : الْمَرِيضُ ، وَالصَّائِمُ ، وَالْمُسَافِرُ . وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيِّ (٧) .. إِنَّنِي لَجَالِسٌ (٨)

---

(١) استَعْفَى : طلبَ العَفْوَ ، أو طلب من مُكَلِّفِه أن يُسقط عنه تكليفه ، إذا أساء فيما كُلِّفَ به من عمل .

(٢) ما بين المعقوفتين عن «م» وساقط من «ط» .

(٣) فى «م» : «الحُلَماء» .

(٤) فى «م» : «الحلماء» .

(٥) يقع فيك : يَسُبُّك ويغتابك .

(٦) الفعل «قال» عن «م» ولم يرد فى «ط» .

(٧) هو : قيس بن عاصم بن سِنَان المِنْقَرِيُّ السَّعْدِى التميمى ، أبو على ، أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالحِلْم والشجاعة ، وكان شاعرًا اشتهر وسادَ فى الجاهلية ، وهو مِمَّن حرَّمَ الخمر على نفسه فيها . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، فى وفد تميم سنة ٩ هـ فأسلم ، وقال عنه النبى صلى الله عليه وسلم لما رآه : هذا سيد أهل الوَبَر ، واستعمله على صدقات قومه ، وكان له ٣٣ ولدًا . نزل البصرة فى أواخر أيامه ومات بها سنة ٢٠ هـ . [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ ، والمحبر ص ١٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وانظر مجالس ثعلب ج ١ ص ٢٩ ، والمعارف ص ٣٠١] .

(٨) فى « ط » : « إنى جالس » .

مَعَهُ فى فِنَاءِ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا إِذْ جَاءَتْ (١) جَماعَةٌ يَحْمِلُونَ قَتِيلاً ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مَأْسُورٌ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُكَ قَتَلَهُ أَخُوكَ (٢) فَوَاللهِ مَا قَطَعَ حَدِيثَهُ وَلَا حَلَّ حَبْوَتَهُ (٣) حَتَّى فَرَغَ مِنْ مَنْطِقِهِ (٤) ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْنِيبًا وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَىَّ أَصَابَتْنِى وَلَمْ تُرِدِ (٥)

كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِى حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِى (٦)

ثُمَّ الْتَفَتَ (٧) إِلَى بَعْضِ وَلَدِهِ فَقَالَ : قُمْ فَأَطْلِقْ عَمَّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَسُقْ إِلَى أُمِّهِ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ ، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ .

وَمِنْ أَنْبَلِ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

فُصُحٌ بِالْخَيْرِ خُرْسٌ بِالْخَنَا رُجُحُ الأَحْلَامِ ذَيَّالُ الأُزُرْ (٨)

وَقَالَ : آخَرُ (٩) :

بِأَحْلَامِ عَادٍ لا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءَ غَرْبُ لِسَانِ (١٠)

---

(١) فى « ط » : « جازَ » .

(٢) هكذا فى « م » و « ط » والمستطرف .. وفى رواية أُخرى : « فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك » . [انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وعيون الأخبار ص ٢٨٦] .

(٣) الحَبْوَة : الاحتباء ، وهو الجلوس على أَلْيَتَيْهِ وضَمّ فَخِذَيْهِ وساقَيْهِ إلى بطنه بذراعيه لِيَسْتَنِد . « مثلثة الحاء » .

(٤) فى عيون الأخبار ، والعقد الفريد – باختلاف يسير فى لفظه : « .... حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له فى المجلس ، فقال له : قُمْ فأطلق عن ابن عمك ، ووارِ أخاك ، واحمل إلى أُمّه مائة من الإبل ، فإنها غريبة ، ثم أنشأ يقول ... » وذكر أبياتا أربعة ، ليس من بينها هذان البيتان . وقد وردا فى المستطرف ج ١ ص ٤٠٦ .

(٥) فى المستطرف : « أقول للنفس تصبيرًا » .

(٦) خَلَفٌ : عِوَض .

(٧) فى « م » : « انْطَلَق » .

(٨) فُصُحٌ : جمع فصيح ، كقضيب وقُضُب .. رُجُح الأحلام : عقولهم ناضجة مكتملة .. ذَيَّال : طويل الذيل . والأُزُر : جمع إزار . وذَيَّال الأُزُر : كناية عن الغِنَى .

(٩) فى « ط » : « وقال غيره » .

(١٠) هكذا البيت فى « م » و « ط » وهو من الطويل .. وقد ورد فى كتاب الأمالى ، لأبى علىّ القالى : « أحلامُ عادٍ » بدون الباء ، وبهذه الرواية يكون قد دخله الخرم ، وهو حذف الفاء من « فعولن » .. والأحلام : الأجسام ، وأضافها إلى عاد لأنهم كانوا ضخام الأجسام .. والعَوْرَاء : المعانى الغامضة المبهمة .. عرب لسان : لسان عربى فصيح . وفى الأمالى : « غَرْبَ لِسَان » أى : فى لسانه حِدَّةٌ ، والأول أَوْجَه .

إِذَا حُدِّثُوا لَمْ يُخْشَ سُوءُ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانِ (١)

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا حِلْمُ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةُ مَنْ لَمْ يَرُدَّ الْغَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةُ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلرَّبِّ تَعَالَى ؟ وَقِيلَ لِلْأَسْكَنْدَرِ : إِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَنْتَقِصَانِكَ وَيَثْلِبَانِكَ (٢) فَلَوْ عَاقَبْتَهُمَا . فَقَالَ : هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْذَرُ فِى ثَلْبِى وَتَنْقِيصِى .

وَيُرْوَى أَنَّ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ (٣) بَيْنَمَا هُوَ رَاكِبٌ قَدْ أَرْدَفَ ابْنَهُ (٤) إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ فَنَالَ مِنْهُ ، وَجَرِيرٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ [لَهُ] (٥) ابْنُهُ :
يَا أَبَتِ ، لِمَ سَكَتَّ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَابُنَىَّ ، أَفَأُوَسِّعُ جُرْحِى ؟! وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٦) : مَتَى أَشْفِى غَيْظِى ؟ أَحِينَ أَقْدِرُ فَيُقَالُ : لَوْ عَفَوْتَ ؟ أَمْ حِينَ أَعْجَلُ فَيُقَالُ : لَوْ صَبَرْتَ ؟

وَسُئِلَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَحْنَفِ : أَكَانَ الْأَحْنَفُ يَغْضَبُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، لَوْ لَمْ يَغْضَبْ مَابَانَ حِلْمُهُ ، كَانَ يُغْضِبُهُ الشَّىْءُ يَبِينُ فِى وَجْهِهِ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَهُوَ يَصْبِرُ وَيَحْلُمُ (٧) . وَمَنْ لَمْ يَغْضَبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِى مِثْلُهَا يُغْضِبُ فَقَدْ فَقَدَ مِنَ الْفَضَائِلِ الشَّجَاعَةَ وَالْأَنَفَةَ ، وَالْحَمِيَّةَ وَالدِّفَاعَ ، وَالْأَخْذَ بِالثَّأْرِ ، وَالْغَيْرَةَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ نَتَائِجُ

---

(١) فى الأمالى : « لَمْ تَخْشَ » . وفى « م » : « أَوْدَى » بدل « أَدَّوْا » لا تصح .
[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٨ ط دار الجيل] .
(٢) يَثْلِبانِكَ : يعيبانك .. وبعدها فى « م » و « ط » : « فلو عاقبتهم . فقال : هم .... » .
(٣) هو : جرير بن عبد الله بن جابر البَجَلى ، أبو عمرو ، أسلم فى السنة التى توفى فيها النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الصورة ، قال عنه عمر بن الخطاب : « جرير » يوسف هذه الأمّة ، لحُسْنِه . وهو سيد قومه ، أمّره عمر بن الخطاب على « بجيلة » .. وأقام جرير بالكوفة ، واعتزل « عليًا » و « معاوية » . وتوفى بِقَرْقِيسْياء .
وقيل : بالسَّراة سنة ٥١ أو ٥٤ هـ .
[انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، والمعارف ص ٢٩٢ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٥ ، ١١٦ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٠٢] .
(٤) أى : أَرْكَبَهُ خلفه .
(٥) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٦) فى « م » : « الحُلماء » باللام ، وقد ورد هذا القول فى « عيون الأخبار » على لسان عمر بن عبد العزيز .
[انظر المرجع السابق ص ٢٩٠] .
(٧) « ويحلُم » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

الْغَضَبِ ، وَمَنْ (١) فَقَدَ الْغَضَبَ فَقَدْ فَقَدَ أُسَّ الْفَضَائِلِ - عَلَى مَا سَنَذْكُرُ فى بَابِ الشَّجَاعَةِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - وَعِنْدَ فَقْدِ الشَّجَاعَةِ تَكُونُ الْمَهَانَةُ ، وِمنَ الْمَهَانَةِ يَكُونُ (٢) سَفْسَافُ الأَخْلَاقِ ، وَرَذَالَةُ الطِّبَاعِ ، فَلَا (٣) يَبْقَى لِسَائِرِ فَضَائِلِهِ مَوْقِعٌ . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَغْضَبْ فَلَيْسَ بِحَلِيمٍ ، لأَنَّ الْحَلِيمَ إِنَّمَا يُعْرَفُ عِنْدَ الْغَضَبِ .

وَقَالَ الشَّعْبِىُّ (٤) الْجَاهِلُ خَصْمٌ ، وَالْحَلِيمُ حَاكِمٌ . قَالَ الشَّافِعِىُّ : مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ ، وَمَنِ اسْتُرْضِىَ فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ جَبَّارٌ . وَقَدْ كَانَ النَّبِىُّ ﷺ (٥) يَغْضَبُ ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَغْضَبُ (٦) لا لِنَفْسِهِ ، بَلْ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ رَبِّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَامَدَحَ مَنْ لا يَغْضَبُ وإِنَّمَا مَدَحَ مَنْ كَظَمَ الْغَيْظَ ، فَقَالَ : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ (٧) .

وَأَنْشَدَ (٨) النَّابِغَةُ الْجَعْدِىُّ (٩) بِحَضْرَةِ النَّبِىِّ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ (١٠) :

---

(١) فى « م » : « فَمَن » .

(٢) فى « م » : « تكون » . والسَّفْسَاف : الردىء الحقير من كل شىء وعمل .

(٣) فى « م » : « ولا » .

(٤) فى « م » : « وكان الشعبىُّ يقول » .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) فى « م » : « يغضب لله » .

(٧) سورة آل عمران - من الآية ١٣٤ .

(٨) فى « ط » : « وقد أنشد » .

(٩) هو : قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجَعْدِىُّ العامرىُّ ، أبو ليلى ، شاعر مفلق ، وصحابىٌّ من المعمرين ، وقيل : إنه لمَّا أنشد هذين البيتين - اللذين معنا - للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال له : لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ ، فعاش مائة وعشرين سنة لم يسقط له سن ولا ضرس ... وكان ممن اشتهروا فى الجاهلية ، وسُمِّىَ « النابغة » لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فقاله .. وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام ، ثم وفد على النبى . صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ، وأدرك « صِفِّين » وشهدها مع « علىٍّ » رضى الله عنه . توفى - رحمه الله - نحو سنة ٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، وأمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٥ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩ ، والشعر والشعراء ج ١ ص٢٨٩ - ٢٩٦ ، والأغانى ج ٥ ص ١٦٤٥ - ١٦٧٨] .

(١٠) فى « م » : « صلى الله عليه وسلم » .

وَلَا خَيْرَ فِى حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا (١)
وَلَا خَيْرَ فِى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا (٢)

فَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِىُّ ، ﷺ قَوْلَهُ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ اسْتَتْبَعَ سَفِيهًا وَيَقُولُ (٣) : أَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ عَنِّى .

وَاعْلَمُوا - أَرْشَدَكُمُ اللهُ - أَنَّ أَحْسَنَ خِصَالِ الْمُلُوكِ وَأَجَلَّهَا قَدْرًا - وَهِىَ حِلْيَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَلِبْسَةُ (٤) الأَصْفِيَاءِ ، وَجَمَالُ السُّوقَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَأَعْظَمُهَا فِى النُّفُوسِ مَوْقِعًا ، وَأَعَمُّهَا عَلَى الرَّعَايَا نَفْعًا ، وَأَخْلَدُهَا عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ ذِكْرًا ، وَأَجْمَلُهَا فِى الْمَحَافِلِ وَالْمَحَاسِنِ نَشْرًا ، وَهِىَ الْفَضِيلَةُ الَّتِى تَعُمُّ سَائِرَ الْفَضَائِلِ ، وَتَكْمُلُ بِهَا سَائِرُ الْمَحَاسِنِ - الْحِلْمُ (٥) وَهَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْضِى مِنْهُ (٦) الْعَجَبَ .

هَذِهِ دَوْلَةُ آلِ الْعَبَّاسِ ، أَوَّلُهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحْلَمُ (٧) مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَالِىَ فِى لَذَّةِ الْعَفْوِ مَا تَقَرَّبُوا إِلَىَّ إِلَّا بِالْجَرَائِمِ ، فَعَمَّ (٨) حِلْمُهُ سَائِرَ خُلَفَاءِ بَنِى الْعَبَّاسِ ، حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحِلْمِهِ (٩) ، وَبِهَذِهِ الْخَصْلَةِ تَهَيَّأَ مُلْكُهُ وَقَهَرَ أَخَاهُ الأَمِينَ (١٠) .

---

(١) هكذا البيت فى « ط » والشعر والشعراء والعقد الفريد .. وفى « م » والأغانى وأسد الغابة وأدب الدنيا والدين : « يكن » بالياء .. وجاء الفعل « يُكَدَّرَا » بالياء فى جميع المصادر السابقة ما عدا « م » ، فقد جاء بالتاء « تُكَدَّرَا » .

(٢) الوِرْدُ فى اللغة خلاف الصَّدْر . يقال : وَرَدَ الماءَ : إذا أشرفَ عليه . وصَدَرَ عن الماء : إذا رجع عنه .

(٣) فى « م » : « يقول » - بدون واو قبله .

(٤) اللِّبْسَةُ : ما يُلْبَسُ .

(٥) هكذا فى « ط » .. والحِلْم : خبر « أن » المتقدم .. وفى « م » : « وهى الحلم » .

(٦) فى « ط » : « فيه » . و « ما » هنا نافية .

[انظر المعجم الوسيط — مادة « قضى »] .

(٧) فى « ط » : « أجَلّ » .

(٨) فى « ط » : « فاق » .

(٩) فى « م » : « يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَل » .

(١٠) هو : الخليفة العباسى محمد بن هارون الرشيد ، وُلِدَ فى رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بعهد منه ، وكان « المأمون » ولىَّ العهد من بعده ، وفى سنة ١٩٥ هـ أعلن « الأمين » =

وَمِنْهَا دَوْلَةُ بَنِى أُمَيَّةَ ، أَوَّلُهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ ، وَآخِرُهُمْ مَرْوَانُ الْجَعْدِىُّ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحْلَمُ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَا جَرَمَ [١] ، دَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا ، وَمَلَكَ [٢] بِهَا رِقَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَصَارَ حِلْمُهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ [٣] وَيَقْتَدِى بِهِ الْخَلْقُ ، وَيَتَخَلَّقُ بِهِ الْعُقَلَاءُ ، حَتَّى حُكِىَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ النَّاسِ خَيْطُ عَنْكَبُوتٍ ، أَوْ شَعْرَةٌ ، ما انْقَطَعَتْ ، إِذَا جَذَبُوا أَرْسَلْتُ ، وَإِذَا أَرْسَلُوا جَذَبْتُ .

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الْفُرْسِ ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ دُوَلِ الْأَرْضِ وَأَشَدَّهَا بَأْسًا ، وَأَكْثَرَهَا عُلُومًا وَحِكَمًا [٤] ، لَمْ يَكُنْ فِى أَكَاسِرِهَا أَحْلَمُ مِنْ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ ، وَتُطَرَّزُ بِسِيرَتِهِ الْكُتُبُ وَالْمُصَنَّفَاتُ ، فَيُرْوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِىَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ، لَقِىَ كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْمَدُ خِصَالِ مُلُوكِكُمْ ، فَقَالَ : السَّبْقُ لِشِيرَوَيْهِ ، وَأَحْمَدُهُمْ سِيرَةً أَنُوشِرْوَانُ . فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ : وَمَا كَانَ أَغْلَبُ خِصَالِهِ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ . قَالَ عَلِىٌّ : هُمَا تَوْأَمٌ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ .. وَبَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَضِيقُ صَدْرُهُ بِحِلْمِهِ فَقَالَ : فِىَّ خَصْلَتَانِ ، لَوْلَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضِقْتُ بِهِمَا [٥] ذَرْعاً : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

فَأَخْلِقْ بِخَصْلَةٍ تَعُمُّ مَنْفَعَتُهَا ، وَيَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ جَمَالُهَا ، وَتَخْلُدُ فِى الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ [٦] وَالْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ بَهْجَتُهَا وَحُسْنُ مَصَادِرِهَا وَمَوَارِدِهَا ، أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ

= خلع أخيه « المأمون » من ولاية العهد ، وقام النزاع بين الأمين والمأمون إلى أن قُتِل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وكان سيئ التدبير ، كثير التبذير ، منصرفًا إلى اللهو ومجالسة الندماء .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٢٧ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ٤٦ – ٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٦ – ٣٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٥ – ٣٦٤] .

(١) لا جَرَمَ : حقًا .. وفى « ط » : « ولا جرم » بالواو قبلها .

(٢) فى « م » : « وقهر » .

(٣) فى « م » : « وصار يُضرَبُ بحلمه المثل » .

(٤) فى « م » : « وحلمًا » .

(٥) فى « م » : « بها » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « فى العقلاء والعلماء » .

شِعَارًا وَدِثَارًا ، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ الْحُكَمَاءَ مِنَ الْمُلُوكِ خاصَّةً ، وَأَمَّا [١] مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الرَّعِيَّة – كَالأَحْنَفِ وَنُظَرَائِهِ – فَلَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً .

* * *

(١) فى « ط » : « فَأَمَّا » .

الباب التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِيمَا يَسْكُنُ بِهِ الْغَضَبُ (*)

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى تَغَيُّرِ اسْتِكَانِكَ [1] ، وَتَبَدُّلِ صُورَتِكَ ، وَاحْمِرَارِ وَجْهِكَ ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِكَ ، وَذَهَابِ جَنَانِكَ [2] ، وَسَقْطِ كَلَامِكَ ، وَفُحْشِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيكَ ، لَأَمْسَكْتَ عَنِ الْغَضَبِ ، وَلَطَالَمَا كُنْتَ تَسْتَحِي أَنْ تَتَكَلَّمَ [بَيْنَ يَدَيِ الْجُلَسَاءِ] [3] بِالْيَسِيرِ الْجَائِزِ ، فَعَمَدْتَ تَهْدُرُ [4] بِالْكَثِيرِ الْفَاحِشِ ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ غَضِبَ اسْتَذْكَرَ إِذَا صَحَا وَسَكَنَ ، عَزَّ بِهِ [5] انْقِلَابُ صُورَتِهِ ، وَتَغَيُّرُ وَجْهِهِ ، وَاضْطِرَابُ شَفَتَيْهِ ، وَارْتِعَادُ أَطْرَافِهِ ، وَسَقْطُ كَلَامِهِ ، وَفَحْوَى خِطَابِهِ ، وَالْتِفَافُ لِسَانِهِ ، وَخِفَّةُ عَقْلِهِ ، وَطَيْشُهُ ، وَوُثُوبُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُ نَمِرٌ ، وَسُرْعَةُ الْتِفَاتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا كَأَنَّهُ قِرْدٌ ، وَعَدَمُ فَهْمِهِ لِمَا يَسْمَعُ ، وَقِلَّةُ الْتِفَاتِهِ إِلَى مَنْ يَعِظُهُ وَيَنْصَحُهُ كَأَنَّهُ أَحْمَقُ .

(*) فى « ط » : « فيما يُسكِّن الغضب » .

(١) استكانِك : هُدوئِك ووقارِك . وفى « ط » : « أشكالِك » .

(٢) الجَنَان : القلب . والأَوْدَاج : ما أحاط بالعُنُق من العروق .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) تَهْدُر ، بضم الدال المهملة وبكسرها : تنطق وتصوِّت .

(٥) عزَّ به : اشتد وشق عليه .. وفى « ط » غَرَّرَ به » لعله يريد غَرَّرَ به ، بمعنى : عَرَّضه لِلْهَلَكَة .

وَمِنْ شُؤْمِ الْغَضَبِ وَعَظِيمِ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ النُّفُوسَ ، وَيَسْلُبُ الرُّوحَ . وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ كَلَامٌ ، فَعَجِلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فَقَالَ : يَامَنْ يَلْحَقُ أُمَّهُ (١) فَفَتَحَ فَاهُ لِيُجِيبَهُ ، وَإِذَا بِجَنْبِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَمْسَكَ عَلَى فِيهِ وَرَدَّ كَلِمَتَهُ وَقَالَ : يَا بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخُوكَ ، وَإِمَامُكَ ، وَلَهُ السِّنُّ عَلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْص قَتَلْتَنِى ! قَالَ : وَمَا صَنَعْتُ [بِكَ] (٢) ؟ قَالَ : رَدَدْتَ فى جَوْفِى (٣) أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ .. وَمَالَ لِجَنْبِهِ فَمَاتَ . وَلَعَمْرِى إِنَّهُ يَزِيدُ (٤) عَلَى الْحُمْقَى .

وَمِنْهَا أَنَّهُ (٥) يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَالَةِ (٦) الَّتِى كَانَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا .. كَانَتِ الْفُرْسُ تَقُولُ : إِذَا غَضِبَ الْقَائِمُ فَلْيَجْلِسْ ، وَإِذَا كَانَ جَالِساً فَلْيَقُمْ ، وَبِهَذَا الْمَذْهَبِ كَانَ يَأْخُذُ الْمَأْمُونُ نَفْسَهُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى النَّبِىِّ ﷺ الْقَسْوَةَ ، فَقَالَ : اطَّلِعْ فى الْقُبُورِ ، وَاعْتَبِرْ بِالنُّشُورِ . وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ إِذَا غَضِبَ أُلْقِىَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَفَاتِيحُ تُرَبِ الْمُلُوكِ فَيَزُولُ غَضَبُهُ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ (٧) يَقُولُ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ (٨) يَعْنِى : إِذَا غَضِبْتَ ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ اللهَ خَافَ [مِنْهُ] (٩) فَيَزُولُ غَضَبُهُ ..

---

(١) فى تاريخ الخلفاء للسيوطى : أنه قال له : « يا بْن اللَّخْناء » . وهو سَبٌّ .
[انظر المرجع السابق ص ٢٧١ ، ٢٧٢] .

(٢) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) فى « م » : « رَدَدْت فِيَّ » .. وفى تاريخ الخلفاء : « زدْت فى جَوْفي » .

(٤) فى « م » : « قد يزيد » .

(٥) فى « ط » : « أنْ » .

(٦) فى « م » : « عن الحالة » .

(٧) هو : عِكْرِمَة بن عبد الله البربرى المدنى ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعى ، أصله من أهل المغرب ، وكان أعلم الناس بالتفسير والمغازى ، ولد سنة ٢٥ هـ ، وطاف بالبلدان ، ورَوَى عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعيًا . توفى فى المدينة سنة ١٠٥ هـ هو وكُثَيِّر عَزَّة فى يوم واحد ، فقيل : مات أعلم الناس وأشعر الناس .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٢٦ – ٣٤٧ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ – ٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ص ٩٥ ، ٩٦ ، والمعارف ص ٤٥٥ – ٤٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦] .

(٨) سورة الكهف – من الآية ٢٤ .

(٩) ما بين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » .

وَفِي التَّوْرَاةِ : يَابْنَ آدَمَ ، اُذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ ، وَلَا أَمْحَقُكَ (١) فِيمَنْ أَمْحَقُ .

وَمِنْهَا أَنْ يَذْكُرَ نَفْرَةَ الْقُلُوبِ عَنْهُ ، وَسُقُوطَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَوَصْفَهُمْ لِمَقَابِحِهِ وَطَيْشِهِ وَسُخْفِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِزَوَالِ غَيْظِهِ .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ انْعِطَافَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَانْطِلَاقَ الأَلْسِنَةِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَمَيْلَ النُّفُوسِ إِلَيْهِ ،وَأَنَّ الْحِلْمَ عِزٌّ وَزَيْنٌ ، وَأَنَّ السَّفَهَ ذُلٌّ وَشَيْنٌ . رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، ﷺ ، قَالَ : « مَا ازْدَادَ رَجُلٌ بعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، فَاعْفُوا يُعِزُّكُمُ اللهُ » (٢) .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ تَذَكَّرَ قُدْرَةَ اللهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ قُدْرَتَهُ فِي ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَكَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ كِتَابًا وَدَفَعَهُ إِلَى وَزِيرِهِ وَقَالَ لَهُ (٣) : إِذَا غَضِبْتُ فَنَاوِلْنِيهِ ، وَفِيهِ مَكْتُوبٌ : مَالَكَ وَلِلْغَضَبِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ ، ارْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. وَكَانَ مُعَاوِيَةُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ (٤) :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى ... وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ (٥)

وَ اعْتَلَجَ النَّاسُ بِأَلْبَابِهِمْ ... نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ (٦)

---

(١) أمحقك : أهلكك .

(٢) في « م » : « فاعْفُو يعفوكم الله » قوله : « يعفوكم » تصحيف . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع ، ج ١٦ ص ١٤١ بشرح النووى ، وأخرجه الترمذى في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ج ٨ ص ١٨٤ بشرح ابن العربي ، وأخرجه الدارمي في سننه في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ج ١ ص ٣٩٦ . ونص الحديث كاملاً عند الثلاثة : عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، ﷺ قال : « ما نقصَتْ صدقةٌ من مالٍ ، وما زاد اللهُ عبدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا ، وما تواضع أحد لله إلَّا رفعَهُ اللهُ » .

(٣) « له » عن « ط » .

(٤) في البداية والنهاية : أن عبد الملك بن مروان كان إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيّافون على رأسه بالسيف ، فينشد .. وقال بعضهم : يأمر مَنْ ينشد هذه الأبيات التي ستأتي .. وفي العقد الفريد نسب هذه الأبيات لأبي الحقيق ، وكان عبدالملك يتمثل بها . وهي من السريع .

[انظر البداية ج ٩ ص ٦٩ والعقد ج ٥ ص ١٠٥] .

(٥) في العقد الفريد : « إنّي » بدل « إنَّا » وفي البداية والنهاية : « نالت » بدل « مالت » .

(٦) في « م » : « فاضِل » بدل « فاصل » . وفي البداية والنهاية : « واصْطَرَع » بدل « وَاعْتَلَج » وهما بمعنًى واحِدٍ . وفي العقد الفريد : « بآرائهم » بدل « بألبابهم » . وفي البداية والعقد بعد هذا البيت :
=

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَنَحْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ (١)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةَ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى ذِلَّةِ الْعُذْرِ (٢) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا ما اعْتَرَتْكَ فى الْغَضَبِ الْعِزَّ ةُ فَاذْكُرْ تَذَلُّلَ الاعْتِذَارِ (٣)

وَقالَ غَيْرُهُ :

زَوَرْنَا عَلَى غَيْرِ الْفَوَاحِشِ قُمْصَنَا وَلَمْ نَسْتَجِزْ إِلَّا الَّذِى هُوَ أَجْوَزُ (٤)

وَقَالَ : عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ مُحَارِبٍ لِهَارُونِ الرَّشِيدِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذَلُّ مِنِّى بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَبِالَّذِى هُوَ أَقْدَرُ عَلَى عِقَابِكَ مِنْكَ عَلَى عِقَابِى لَمَا (٥) عَفَوْتَ عَنِّى . فَعَفَا عَنْهُ لَمَّا ذَكَّرَهُ قُدْرَةَ اللهِ [تعالى] (٦) عَلَيْهِ . وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فى أُسَارَى ابْنِ الأَشْعَثِ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ مَا تُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللهَ تَعَالَى مَا يُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِىِّ ، وَكَانَ مَعَ أَخِيهِ عَلَيْهِ : إِنِّى شَاوَرْتُ فى أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَىَّ بِقَتْلِكَ ، إِلَّا أَنِّى وَجَدْتُ قَدْرَكَ فَوْقَ ذَنْبِكَ ، فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلَازِمِ

= لا نجهلُ الباطِلَ حقًّا ولا نَرْضَى بدونِ الحَقِّ للباطِلِ

غير أن فى البداية جاء : « نلفظُ دون » بدل « نرضَى بدون » .

(١) تَسْفَهُ أحلامُنا : تطيش وتجهل عقولنا . والخامل : الخفى الساقط الذى لا نباهة له . والشطرة الثانية فى البداية والنهاية : « فنَجْهَلُ الحَقَّ مع الجاهِلِ » .

(٢) العُذْر : الحجة التى يعتذر بها . وفى « م » : « الغدر » لا تصح .

(٣) هكذا البيت فى « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من الخفيف .. وفى « م » ومنهاج اليقين : « وإذا ما اعتراك » أى اعترضك وغشيك .

[انظر الباب الخامس – الفصل الرابع من أدب الدنيا والدين ص ٣١٢ ومنهاج اليقين ص ٤٢٧] .

(٤) القُمْص : جمع قميص ، وسُكنت الميم لضرورة الشعر . والشطرة الأولى من البيت كناية عن الطهارة وعدم ارتكاب مايشين النفس ، والثانية كناية عن التسامح والعفو ، وسلوك أسهل طريق فى المعاملة .

(٥) هكذا فى « ط » وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « أما » تحريف . واللام هنا واقعة فى جواب القَسَم .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « م » .

حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمُشِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِى السِّيَاسَةِ ، إِلَّا أَنَّكَ أَبَيْتَ أَنْ تَطْلُبَ النَّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عُوِّدْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

الْبِرُّ بِى مِنْكَ وَطَّا الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِى   فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ [1]

وَقَامَ عِلْمُكَ بِى فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِى   مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ [2]

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ [3] : الْغَضَبُ عَلَى مَنْ لا تَمْلِكُ عَجْزٌ ، وَعَلَى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ مِنَ النَّدَمِ وَمَذَلَّةِ الانْتِقَامِ ، وَشُرُوعِ الْقِصَاصِ فِى بَدَنِهِ بَيْنَ يَدَىْ مَنْ لا يَرْحَمُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرُدُّهُ مِنَ الْغَضَبِ [4] .

* * *

---

(١) هكذا البيت فى « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من البسيط .. وفى « م » سقطت « بى » من الشطرة الأولى ، سهوًا من الناسخ .. والشطرة الثانية من البيت فى العقد الفريد : « فيما أتاك فلَمْ تَقْبَلْ ولَمْ تَلُمِ » . والمعنى : أنَّ بِرَّكَ بى مَهَّدَ وهيأ لى العذر عما بدر منى فعَفَوْتَ عنى بدون تأنيب أوْلوم .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣١٣ والعقد ج ٢ ص ١٩] .

(٢) فى أدب الدنيا والدين بعد هذا البيت :

لئن جَحَدتُك معروفًا مَنَنْتَ به   إنّى لَفِى اللُّؤمِ أحظى منك بالكرمِ

تعفو بعدلٍ وتسطو إنْ سطَوْتَ به   فلا عَدِمْتُكَ مِنْ عافٍ ومُنْتَقِمِ

(٣) فى « م » : « الحُلَمَاء » .

(٤) يَرُدُّه من الغضب : يمنعه منه .. وفى « م » : « يُرَغِّبُهُ عن الغضب » أى : يجعله يتركه ويزهد فيه .

البَابُ الثَّلاثُونَ

فى الْجُودِ وَالسَّخَاءِ (*)

وَهَذِهِ - الْخَصْلَةُ - الْجَلِيلُ قَدْرُهَا ، الْعَظِيمُ مَوْقِعُهَا ، الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْدَرُهَا (١) وَهِىَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَأَسَاسُهَا (٢) وَتَاجُهَا وَجَمَالُهَا - تَعْنُو لَهَا الْوُجُوهُ ، وَتَذِلُّ لَهَا الرِّقَابُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا الْجَبَابِرَةُ ، وَيُسْتَرَقُّ (٣) بِهَا الأَحْرَارُ ، وَيُسْتَمَالُ بِهَا الأَعْدَاءُ ، وَيُسْتَكْثَرُ بِهَا الأَوْلِيَاءُ ، وَيَحْسُنُ بِهَا الثَّنَاءُ ، وَيُمْلَكُ بِهَا الْقُرَبَاءُ وَالْبُعَدَاءُ ، وَيَسُودُ بِهَا فى غَيْرِ عَشَائِرِهِمِ الْغُرَبَاءُ .

وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ بِالْعَزَائِمِ الْوَاجِبَاتِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْجَمَالِ وَالْمُتَمِّمَاتِ ، وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كَافِرٍ تَرَكَ دِينَهُ وَالْتَزَمَ دِينَ الإِسْلَامِ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا يَنَالُهُ ، وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ مُسْلِمٍ ارْتَدَّ فى أَرْضِ الشِّرْكِ افْتِتَاناً بِيَسِيرٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَأَخْلِقْ بِخَصْلَةٍ يَتْرُكُ لَهَا الإِنْسَانُ دِينَهُ الَّذِى يَبْذُلُ دُونَهُ نَفْسَهُ أَنْ تَكُونَ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، عَظِيمَةَ الْخَطَرِ . وَأَحْوَجُ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهَا أَفْقَرُهُمْ إِلَى عَطْفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَصَرْفِ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ ، وَهُمُ الْمُلُوكُ وَالْوُلَاةُ .

(*) هكذا فى « م » .. وفى « ط » أضاف إلى العنوان سطرًا من المتن إلى قوله : « الشريفُ مَوْرِدُها ومصدرُها » .

(١) فى « م » : « مصدرها ومودرها » .

(٢) فى « م » : « وسِيَاسُها » أى : امتلاك أُمورها .

(٣) فى « م » : « تُسْتَرقُّ » .

وَاعْلَمُوا يَامَعْشَرَ مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ آلاءَهُ وَنعْمَاهُ (١) أَنَّهُ لَيْسَ فى الْجَنَّةِ « لا » ، وَحَسْبُكَ بِكَلِمَةٍ لا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ سُقُوطاً وَضَعَةً (٢) ، وَإِنَّمَا أُنْشِئَتِ (٣) الْجَنَّةُ عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ .

وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ – أَعْنِى الْكَرَمَ وَالْجُودَ ، وَالسَّخَاءَ وَالإِيثَارَ – بِمَعْنًى وَاحِدٍ .. يُوصَفُ الْبَارِى تَعَالَى بِالْجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِالسَّخَاءِ ، كَمَا يُوصَفُ بِالْعِلْمِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعَقْلِ ، لِعَدَمِ التَّوْقِيفِ . وَحَقِيقَةُ الْجُودِ هِيَ أَنْ لا يَصْعُبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ . وَيُقَالُ : السَّخَاءُ هُوَ الرُّتْبَةُ الأُولَى ، ثُمَّ الْجُودُ ، ثُمَّ الإِيثَارُ ، فَمَنْ أَعْطَى الْبَعْضَ وَأَمْسَكَ الْبَعْضَ فَهُوَ صَاحِبُ سَخَاءٍ ، وَمَنْ بَذَلَ الأَكْثَرَ (٤) فَهُوَ صَاحِبُ جُودٍ ، وَمَنْ آثَرَ غَيْرَهُ بِالْحَاضِرِ وَبَقِيَ هُوَ فى مُقَاسَاةِ الضُّرِّ فَهُوَ صَاحِبُ إِيثَارٍ .

قَالَ (٥) ذُو النُّونِ (٦) : بِدَايَةُ السَّخَاءِ أَنْ تَسْخُوَ نَفْسُكَ بِمَا فى يَدَيْكَ (٧) ، وَنِهَايَتُهُ أَنْ تَسْخُوَ نَفْسُكَ بِمَا فى أَيْدِى النَّاسِ ، وَأَنْ لا تُبَالِيَ مِنْ كُلِّ (٨) الدُّنْيَا . وَتَذَاكَرَ قَوْمٌ مِنَ

---

(١) فى « م » : « وأسبغ عليه نَعْماه » أى : أتمَّ عليه الرَّفاهَة وطيب العيش .

(٢) الضَّعَة : الانحطاط .

(٣) فى « ط » : « أُسِّسَت » .

(٤) فى « ط » : « الأكبر » .

(٥) فى « م » : « وقال » .

(٦) فى « م » : « ذا النون » خطأ من الناسخ .

وهو : ذو النون بن إبراهيم المصرى ، أبو الفيض ، ويقال له : ثَوْبَان بن إبراهيم الإخميمى المصرى ، وأصله من النوبة ، وهو أحد الزُّهَّاد العُبَّاد المشهورين من أهل مصر ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر فى « ترتيب الأحوال ، ومقامات أهل الولاية » فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم ، واتهمه لَدَى المتوكل العباسى بالزندقة . فاستحضره إليه ، فلما دخل عليه وعظه ، فبكى المتوكل ، ثم أطلقه وردَّه إلى مصر مُكرَّمًا ، وتوفى بالجيزة سنة ٢٤٥ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وطبقات الصوفية ص ١٥ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ – ٣٩٥ ، وج ١٠ ص ٣ ، ٤ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٠ – ٧٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٥٨ – ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٥ – ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ – ٣٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٣٢ – ٥٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٢١٨ – ٢٢٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٢ مادة أخميم] .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « بما فى أيدى الناس » وستأتى ، وقد سقط ما بينهما سهوًا من الناسخ .

(٨) فى « م » : « أكل » .

مِنَ الزُّهَّادِ عِنْدَ رابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ (١) فَجَعَلُوا يَذُمُّونَ الدُّنْيَا وَيُكْثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ رَابِعَةُ : مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَأَصْلُ السَّخَاءِ هُوَ السَّمَاحَةُ ، وَأَنْ يُؤْتِيَ مَا يُؤْتِيهِ عَنْ (٢) طِيبَةِ نَفْسٍ [وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ] (٣) . وَقَدْ يَكُونُ الْمُعْطِي بَخِيلاً إِذَا صَعُبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ ، وَالْمُمْسِكُ سَخِيًّا إِذَا كَانَ لا يَسْتَصْعِبُ الْعَطَاءَ وَإِنْ مَنَعَ ، وَلِهَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ جَوَادًا وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ عَطَاءٌ فِى الأَزَلِ ، لأَنَّ الْعَطَاءَ فِعْلٌ ، وَالْفِعْلُ فِى الأَزَلِ مُسْتَحِيلٌ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَيُّهَا الْجَامِعُ ، لا تُخْدَعَنَّ ، فَالْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ (٤) ، وَالْمَتْرُوكُ لِلْعَدُوِّ . وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ (٥) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٦) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنِّى جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِى . فَبَعَثَ النَّبِيُّ ، ﷺ إِلَى أَزْوَاجِهِ ، فَقُلْنَ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ (٧) مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ، ﷺ : مَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَا يُطْعِمُكَ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يُضِيفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ .. فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَالَ لأَهْلِهِ : هَذَا ضَيْفُ النَّبِيِّ ، ﷺ فَأَكْرِمِيهِ ،

---

(١) هى : رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أُمُّ الخير ، مولاة آل عتيك البصرية ، صالحة مشهورة من أهل البصرة ، ومولدها بها ، ولها أخبار فى العبادة والنسك ، ولها شعر ، ومن كلامها : « اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم » . توفيت سنة ١٣٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٥ – ٢٨٨ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٠ فى ترجمة محمد بن إسماعيل الشكلى ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٤١ – ٢٤٣] .

(٢) فى « ط » : « من » . ويُؤْتي : يُعطِى ، من الإيتاء .. وفى « م » : « يأتى مآتيه » .

(٣) ما بين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) الْمَعَاد : الحياة الآخِرَة .

(٥) سورة الحشر — من الآية التاسعة .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٧) فى « م » : « بعثك بالحق نبيًّا » .

وَلَا تَدَّخِرِى [١] عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ . فَقَالَ [٢] : قُومِى فَعَلِّلِيهِمْ عَنْ قُوتِهِمْ [٣] حَتَّى يَنَامُوا ، ثُمَّ أَسْرِجِى وَأَبْرِزِى [العَشَاءَ] [٤] فَإِذَا أَخَذَ الضَّيْفُ يَأْكُلُ ، قُومِى كَأَنَّكِ تُصْلِحِينَ السِّرَاجَ فَأَطْفِئِيهِ ، وَتَعَالَىْ نَمْضُغْ أَلْسِنَتَنَا لِضَيْفِ النَّبِىِّ ، ﷺ [٥] . فَفَعَلَتْ ، وَجَعَلَا يَمْضُغَانِ أَلْسِنَتَهُمَا وَالضَّيْفُ يَظُنُّ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ [٦] ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَنَظَرَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَيْهِمَا ، تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ [٧] هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَنَزَلَتْ [٨] ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الآيَة [٩] .

وَقَالَ أَنَسٌ : أُهْدِىَ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ رَأْسُ شَاةٍ مَشْوِيَّةٍ ، وَكَانَ مَجْهُودًا [١٠] ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى جَارٍ لَهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ الْجَارُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ آخَرَ ، فَتَدَاوَلَتْهُ سَبْعَةُ [١١] أَبْيَاتٍ حَتَّى عَادَ إِلَى الأَوَّلِ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ الْعَدَوِىُّ : انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمٍّ لِى ، وَمَعِى شَىْءٌ مِن مَاءٍ ، وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ [١٢] سَقَيْتُهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آهِ .. فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّى أَنِ انْطَلِقْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ولا تَدَّخِرين » بالنون ، لا تصح . وفى الحديث الذى رواه البخارى : « لا تَدَّخِريه » .

(٢) فى « م » : « قال » .

(٣) أى : اشغليهم وَالْهِيهِمْ عنه .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « م » . وأسرجى : حَسِّنِى الطَّعَامَ ، أو أوقِدِى السراج .

(٥) فى « م » : « عليه السلام » .

(٦) طَاوِيَيْن : جائِعَيْن .

(٧) فى « م » : « وفُلانٍ » .

(٨) فى « م » : « ونزل » .

(٩) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، باب ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ ج ٨ ص ٦٣١ من فتح البارى .

(١٠) أى : فقيرًا مُعْسِرًا .

(١١) فى «م» : «سَبْع» خطأ ، والصواب «سبعة» فالبيت مذكر فى اللغة .

(١٢) الرَّمق : بقية الروح .

الْعَاصِ [١] فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آهٍ . فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنِ انْطَلِقْ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّى فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « السَّخِىُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ [٢] بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ [٣] . وَالْجَاهِلُ السَّخِىُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْعَابِدِ الْبَخِيلِ » [٤] . وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : « ابْنَ آدَمَ ، إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَو أَعْطَيْتَ فَأَمْضَيْتَ » [٥] .

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّخَاءَ عَلَى وُجُوهٍ : سَخَاءٌ فِى الدِّينِ ، وَسَخَاءٌ فِى الدُّنْيَا ، فَالسَّخَاءُ فِى الدُّنْيَا : الْبَذْلُ ، وَالْعَطَاءُ ، وَالإِيثَارُ ، وَسَمَاحَةُ النَّفْسِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [٦] ، وَعَلَامَتُهُ تَرْكُ الادِّخَارِ ، وَبُغْضُ جَمْعِ الْمَالِ ، وَتَعَاهُدُ الإِخْوَانِ [٧] ، مَسْرُورًا قَلْبُهُ بِذَلِكَ . وَالسَّخَاءُ فِى الدِّينِ : أَنْ تَسْخُوَ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » – بعد قوله : فقلت : أسقيك ؟ – « فأشار أنْ نَعَمْ » وسقطت بعض الكلمات سهوًا من الناسخ مِمَّا جعل العبارة لا تستقيم مَعْنًى .

وهشام هو : هشام بن العاص بن وائل بن هاشم ، صحابى ، وهو أخو عمرو بن العاص ، وأصغر سنًّا منه ، أسلم بمكة قديمًا ، وهاجر إلى بلاد الحبشة فى الهجرة الثانية ، ثم عاد إلى مكة حين بلغته هجرة النبى ، صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، يريد اللحاق به ، فحبسه أبوه وقومه بمكة ، فأقام إلى ما بعد وقعة الخندق ، ورحل إلى المدينة ، فشهد الوقائع وقُتِل فى أجنادين سنة ١٣ هـ فى خلافة أبى بكر ، وقيل : فى اليرموك ، وكان – رحمه الله – شجاعًا صالحاً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٣ و ص ٢٧١] .

(٢) عبارة « قريب من الجنة » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٣) عبارة « قريب من النار » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى أبواب البِرّ والصِّلَة ، باب ما جاء فى السخاء ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الزهد ج ١٨ ص ٩٤ بشرح النووى ، والترمذى فى أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٠٧ بشرح ابن العربى .

(٦) سبق تخريجها .

(٧) تعاهُد الإخوان : تفقُّدهم والاهتمام بأحوالهم .

بِنَفْسِكَ [١] .. أَنْ تُتْلِفَهَا فى اللهِ تَعَالَى ، وَتُرِيقَ دَمَكَ فى اللهِ سَمَاحَةً مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ [٢] لا تُرِيدُ بِذَلِكَ ثَوَابًا عَاجِلًا وَلَا آجِلاً ، وَإِنْ كُنْتَ [٣] غَيْرَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الثَّوَابِ ، لأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى قَلْبِكَ [٤] حُسْنُ كَمَالِ السَّخَاءِ ، بِتَرْكِ الاخْتِيَارِ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَفْعَلَ اللهُ بِكَ مَا لَا تُحْسِنُ أَنْ تَخْتَارَهُ لِنَفْسِكَ .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : مَنِ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ إِذَا سُئِلَ ، الْحَلِيمُ إِذَا اسْتُجْهِلَ ، الْكَرِيمُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَهُ ، الْحَسَنُ الْخُلُقِ [٥] لِمَنْ جَاوَرَهُ . وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمًا لِجُلَسَائِهِ : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَيْشًا ، وَأَنْعَمُهُمْ بَالًا ، وَأَكْرَمُهُمْ طِبَاعًا ، وَأَجَلُّهُمْ فى النُّفُوسِ قَدْرًا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ فَتًى : أَبَيْتَ اللَّعْنَ [٦] ، أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسُ فى فَضْلِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : بَاعَ طَلْحَةُ [بْنُ عُثْمَانَ] [٧] أَرْضًا بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَالُ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا يَبِيتُ هَذَا عِنْدَهُ لا يَدْرِى مَا يَطْرُقُهُ لَغَرِيرٌ [٨] بِاللهِ .. ثُمَّ جَعَلَ رَسُولَهُ يَخْتَلِفُ حَتَّى قَسَّمَهَا ، وَمَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ .

وَكَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ [٩] يَقُولُ : مَا أُحِبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ

---

(١) فى « ط » : « تسخو نفسك أن يتلفها الله تعالى » .

(٢) فى « م » : « كراهية » .

(٣) فى « م » : « وإنْ كان » .

(٤) فى « م » : « على قلبه » .

(٥) فى « م » : « الحَسنُ المُجاوَرة » .

(٦) أبيتَ اللَّعْنَ : من تحية الملوك فى الجاهلية ، ومعناها : أبيتَ أن تأتى ما تُلعن عليه .

(٧) ما بين المعقوفتين عن « ط » .. والحسن هو : الحسن البصرى .. وطلحة هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان .. وكلاهما سبق التعريف بهما .

(٨) ما يطرقه : ما يحدث له . والغرير : مَنْ لا علم له بالشئ .

(٩) هو : أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى ، تابعى من رجال الطبقة الأولى ، من أهل الكوفة بالعراق ، كان سيد قومه ، جَوَادًا ، مُقَدَّمًا عند الخلفاء . توفى سنة ٦٦ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، والكامل لابن الأثير ، حوادث سنة ٦٦] .

كَرِيمًا أَصُونُ عِرْضَهُ ، وَإِنْ كَانَ لَئِيمًا أَصُونُ عَنْهُ عِرْضِي . وَكَانَ مُوَرِّقٌ [١] الْعِجْلِيُّ يَتَلَطَّفُ فِى إِدْخَالِ الرِّفْقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، فَيَضَعُ عِنْدَ أَحَدِهِمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَيَقُولُ : أَمْسِكُوهَا حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَنْتُمْ مِنْهَا فِى حِلٍّ [٢] .. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ [٣] : أَعْطَى الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [٤] جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ ، فَلَمَّا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ رَكِبَ فَرَسَهُ وَأَخَذَ رُمْحَهُ يُرِيدُ الْغَزْوَ ، وَمَاتَ بِمَنْبِج [٥] ، فَأَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَنْبِج قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْحَكَمُ وَهُوَ مُمْلِقٌ [٦] لا شَىْءَ مَعَهُ ، فَأَغْنَانَا .. قِيلَ : كَيْفَ أَغْنَاكُمْ وَهُو مُمْلِقٌ ؟ فَقَالَ [٧] : مَا أَغْنَانَا بِمَالٍ ، وَلَكِنَّهُ عَلَّمَنَا الْكَرَمَ ، فَعَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَغْنَيْنَا .

وَأَكْرَمُ الْعَرَبِ فِى الإِسْلَامِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ بِرَحِمٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ : هَذَا حَائِطِى بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهِ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُرَاحُ بِالْمَالِ إِلَىَّ الْعَشِيَّةَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَالْمَالُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالْحَائِطُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا بَعَثَ إِلَى حَنْظَلَةَ بِجَارِيَةٍ ، فَوَافَتْهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : قَبِيحٌ أَنْ آخُذَهَا لِنَفْسِى وَأَنْتُمْ حُضُورٌ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَخُصَّ بِهَا وَاحِدًا مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ لَهُ حَقٌّ وَحُرْمَةٌ ، وَهَذِهِ لا تَحْتَمِلُ الْقِسْمَةَ ، وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِجَارِيَةٍ أَوْ وَصِيفٍ [٨] .

---

(١) فى « ط » : « مروان » خطأ . وهو مُوَرِّق العِجْلى « ابن المشَمْرِج » وقد مرَّ التعريف به .

(٢) أى : هى مُباحة لكم بلا تَبِعَة .

(٣) هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمٰن الأموى ، من بنى عتبة بن أبى سفيان ، وهو من أهل البصرة ، كان أديبًا فصيحًا ، وشاعرًا ، كثير الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أُميَّة . توفى سنة ٢٢٨ هـ . وهو غير « العتبى » المؤرخ محمد بن عبد الجبار .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والمعارف ص ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣١٧] .

(٤) هكذا فى « م » و « ط » . ولعله يريد الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وهو من سادة قريش ووجوهها ، وكان مُمَدَّحًا كريمًا ، تخلَّى عن الدنيا فى آخِر أيَّامه ولزم الثغور ، وتوفى بالشام .

[انظر نسب قريش ص ٣٣٩ - ٣٤١] .

(٥) مَنْبِج : بلدة بالشام ، كانت شمالى شرق حلب .

(٦) مُمْلِق : أى نَفِدَ مالُهُ من الإنفاق .

(٧) فى « م » : قال .

(٨) الوصيف : الخادم .

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ [١] : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْخَى مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .. نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ ، فَحَضَرَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضِيفَانٌ ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ [٢] . فَلَمَّا كَانَ [٣] الْغَدُ جَاءَ بِأُخْرَى وَنَحَرَهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ [٤] . فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِى نَحَرْتَ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ ، فَقَالَ : إِنِّى لا أُطْعِمُ أَضْيَافِى الْغَابِرَ .. فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِى بَيْتِهِ ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَذِرِى لَنَا مِنْهُ ، وَمَضَيْنَا ، فَلَمَّا مَتَعَ [٥] النَّهَارُ إِذَا [٦] بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا : قِفُوا أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ ، أَعْطَيْتُمُونِى [٧] ثَمَنَ الْقِرَى ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا وَقَالَ : لِتَأْخُذْنَّهَا [٨] وَإِلَّا طَعَنْتُكُمْ بِرُمْحِى ، فَأَخَذْنَاهَا ، وَانْصَرَفَ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الإِخْوَانِ بِلَا شَيْءٍ فَلْيَصْحَبْ أَهْلَ الْقُبُورِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ : تَعْجِيلِهِ ، وَتَصْغِيرِهِ ، وَسَتْرِهِ ، فَإِذَا عَجَّلَهُ فَقَدْ هَنَّاهُ [٩] ، وَإِذَا صَغَّرَهُ [١٠] فَقَدْ عَظَّمَهُ ، وَإِذَا سَتَرَهُ فَقَدْ تَمَّمَهُ [١١] . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَانَ أَحَدُهُمْ يَشُقُّ إِزَارَهُ لِأَخِيهِ بِنِصْفَيْنِ . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ [١٢] : فِى كُلِّ شَيْءٍ سَرَفٌ [١٣] إِلَّا فِى الْمَعْرُوفِ .. وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لا خَيْرَ فِى السَّرَفِ ، فَقَالَ : لا سَرَفَ فِى الْخَيْرِ ، فَقَلَبَ اللَّفْظَ وَاسْتَوْفَى الْمَعْنَى ، وَنَظَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ [١٤] فَقَالَ :

---

(١) هو : قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، أحد الأجواد المشهورين . وقد مر التعريف به . وقد وردت هذه القصة فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(٢) الشَّأْنُ : القَدْرُ . ويُطلق أيضًا : على الحال والحاجة والمنزلة وغيرها .

(٣) فى « م » : « فلما جاء » . (٤) فى « م » : « ما شأنكم ؟ » .

(٥) مَتَعَ النهارُ : بلغ غاية ارتفاعه .. وفى « م » : « أمتع » . ويقال أيضًا متح النهار ، بالحاء المهملة ، وأمتح ، أى : طال وَامْتَدَّ .

(٦) فى « م » : « وإذا » . (٧) فى « م » : « أعطيتمونا » .

(٨) هكذا فى « م » بالجزم ، للأمر .. وفى « ط » : « لتأخذونها » .

(٩) أى : جعله صالحًا يُسَرُّ به .

(١٠) فى « م » : « فإذا » . وصَغَّرَهُ : قَلَّلَ مِنْ شأنه .

(١١) فى « م » : « غمَّهُ » أى : سَتَرَهُ .

(١٢) فى « م » : « وقال : المعروف .. » بدل « المغيرة » . وهو . المغيرة بن شعبة ، وقد مَرَّ التعريف به .

(١٣) السَّرَفُ : مُجاوَزَةُ الحَدِّ .

(١٤) هو : محمد بن حازم بن عمرو ، الباهلى بالولاء ، أبو جعفر ، شاعر مطبوع ، كثير الهجاء ، لم يمدح =

لا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرَفُ   وَلَا سَخَاءٌ فى طَاعَةٍ سَرَفُ [(١)]

مَا لَكَ إِلّا شَىْءٌ تُقَدِّمُهُ   وَكُلُّ شَىْءٍ أَخَّرْتَهُ تَلَفُ

وَأَمَّا طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفٍ الْخُزَاعِىُّ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ [(٢)] وَإِنَّمَا سُمِّىَ بِهَذَا الاسْمِ لأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْبَذْلِ فى كُلِّ وَجْهٍ ، وَكَانَ يَبْتَاعُ الرِّقَابَ فَيُعْتِقُهَا [(٣)] ، وَكَانَ كُلُّ مُعْتَقٍ يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ سَمَّاهُ طَلْحَةَ ، فَبَلَغَ عَدَدُهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ كُلٌّ يُسَمَّى طَلْحَةَ ، فَسُمِىَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، ثُمَّ وَلِىَ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ [(٤)] :

نَضَّرَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوهَا   بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ [(٥)]

وَبَلَغَهُ [(٦)] أَنَّ مُعَلِّمَهُ كَانَ فى الْكُتَّابِ [(٧)] بِالْحِجَازِ قَدْ قَعَدَ بِهِ الدَّهْرُ [(٨)] فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ

= من الخلفاء غير المأمون العباسى . ولد ونشأ بالبصرة ، وسكن بغداد ، وأكثر شعره فى القناعة ، ومدح التَّصوُّن ، وذم الحِرْص والطمع . توفى فى بغداد سنة ٢١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٩٥ ، والورقة لابن الجرّاح ص ١١٧ - ١١٩ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، والأغانى ج ١٤ ص ٤٩٦٥ - ٤٩٨٥] .

(١) البيتان من المنسرح ، وفى عيون الأخبار : « ما الفقر » بدل « لا الفقر » .

[انظر المرجع السابق ص ٢٤٦] .

(٢) هو : طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، أحد الأجواد المقدَّمين ، كان أجود أهل البصرة فى زمانه ، وكان أبوه كاتب عمر بن الخطاب بالمدينة ، ذهبت عينه بسمرقند ، وكان يميل إلى بنى أمية فيكرمونه ، ولَّاه زياد بن مسلم على « سجستان » وتوفى وهو والٍ عليها سنة ٦٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، والمحبر ص ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥] .

(٣) يعتقها : يحررها . وفى « م » : « يعيقها » تصحيف .

(٤) هو : عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات .

(٥) البيت فى معجم البلدان ج ٣ ص ١٩١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥ وفيها : « رحم الله » بدل « نَضَّرَ الله » .

(٦) فى « ط » : « فقد بلغه » .

(٧) هكذا فى « م » و « ط » .. والكُتَّابُ : موضعٌ لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد خطَّأها الفيروزابادى والمُبرد ، فهما يريان أن الصَّواب هو : المكتب . ولكن أغلب المعاجم تقول : إن الكُتَّاب أو المكتب واحد ، وهو مكان تعليم الصبية . ومن ثم فلا خطأ .

[انظر لسان العرب ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، وغيرها من المعاجم] .

(٨) أى : صَيَّرَهُ هَرِمًا لا يستطيع السير أو الكسب .

غُلَامِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَقَالَ : سَلِّمْهَا إِلَيْهِ ، فَإِنْ يَكُنْ مَاتَ وَلَهُ وَلَدٌ فَادْفَعْهَا إِلَى وَلَدِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَفَرِّقْهَا عَلَى قَوْمِهِ ، فَوَافَقَهُ الرَّسُولُ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يُعْقِبْ [(١)] ، فَفَرَّقَهَا فِى قَوْمِهِ [(٢)] .. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَكَانَ مِنَ الْخَاشِعِينَ : يَابْنَ آدَمَ ، أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَكُونَ كَرِيماً وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ [(٣)] ، وَنَهَاكَ أَنْ تَكُونَ لَئِيمًا وَتَدْخُلَ النَّارَ . وَقَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ [(٤)] : مَا أَصْبَحْتُ قَطُّ صَبَاحًا لَمْ أَرَ بِبَابِى طَالِبَ حَاجَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا مُصِيبَةً أَرْجُو ثَوَابَهَا .

وَقَالَ أَبُو عَلِىٍّ الثَّقَفِىُّ : الْمَعْرُوفُ كَنْزٌ لا يَبْعُدُ مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ مِنْ أَجْوَدِ الناسِ وَأَشْجَعِهِمْ [(٥)] ، وَلَمَّا [(٦)] مَاتَ وُجِدَ عَلَيْهِ مِائَةُ [(٧)] أَلْفِ دِينَارٍ .. وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : انْتَهِزِ الْفُرَصَ [(٨)] عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، وَلَا تَحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ هَمَّ مَالَمْ يَأْتِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْتِيرَكَ عَلَى نَفْسِكَ تَوْفِيرٌ لِخِزَانَةِ غَيْرِكَ ، فَكَمْ مِنْ جَامِعٍ لِبَعْلِ حَلِيلَتِهِ . وَقَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] [(٩)] : مَا جَمَعْتَ مِنَ الْمَالِ فَوْقَ قُوتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ .

---

(١) أى : لم يترك ولدًا .

(٢) ف « م » : « عَلَى قومه » .

(٣) ف « م » : « ولك الجنة » .

(٤) هو : حكيم بن حِزام بن خوَيْلد بن أسد بن عبدالعُزّى ، أبو خالد ، صحابىٌّ ، قُرشىٌّ ، وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين ، وُلد بمكة ، وشهد حرب الفِجَار ، وكان صديقًا للنبى ، صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، وعُمِّر طويلاً ، وكان من سادات قريش ف الجاهلية والإسلام ، أسلم عام الفتح ، وله ف كتب الحديث ٤٠ حديثًا ، وتوف ف المدينة سنة ٥٤ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٦٩ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، والمعارف ص ٣١١ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٠٢ ، ونسب قريش ص ٢٣١] .

(٥) من أول قوله : وقال أبو علىٍّ .. إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٦) ف « م » : « فلما » .

(٧) هكذا ف « م » .. وف « ط » : « مائتا » بالرفع . لا تصح .

(٨) ف « م » : « الفرصة » .

(٩) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

وَرَوَى مَالِكٌ فِى الْمُوَطَّأ : أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَ عَائِشَةَ وَهِىَ صَائِمَةٌ ، وَلَيْسَ فِى بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا : أَعْطِيهِ [١] إِيَّاهُ ، فَقَالَتْ : لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَعْطِيهِ إِيَّاهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَلَمَّا أَمْسَتْ أَهْدَى لَهَا أَهْلُ بَيْتٍ شَاةً وَكَفَنَهَا ، يَعْنِى مَلْفُوفَةً بِالزَّعْفَرَانِ ، فَقَالَتْ لِى عَائِشَةُ : كُلِى [٢] ، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ .. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ عُمَرَ : مَا كَانَ أَحَدُنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ ، ﷺ ، يَحْسِبُ أَنَّ لَهُ فِى الْفَضْلِ شَيْئاً .. وَقَالَ الْحَسَنُ : كُنَّا نَعُدُّ الْبَخِيلَ مَنْ يُقْرِضُ أَخَاهُ الدِّرْهَمَ .

وَمِنْ عَجِيبِ [٣] مَا رُوِىَ فِى الْإِيثَارِ [٤] مَا ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَزْدِىُّ قَالَ : لَمَّا احْتَرَقَ الْمَسْجِدُ بِمِصْرَ ظَنَّ [٥] الْمُسْلِمُونَ أَنَّ النَّصَارَى أَحْرَقُوهُ ، فَأَحْرَقُوا خَانًا لَهُمْ ، فَقَبَضَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً [٦] مِنَ الَّذِينَ أَحْرَقُوا الْخَانَ ، وَكَتَبَ رِقَاعًا فِيهَا الْقَتْلُ وَفِيهَا الْقَطْعُ ، وَفِيهَا الْجَلْدُ ، وَنَثَرَهَا عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ فُعِلَ بِهِ مَا فِيهَا ، فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِيهَا الْقَتْلُ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أُبَالِى لَوْلَا أُمٌّ لِى ، وَكَانَ بِجَانِبِهِ بَعْضُ الْفِتْيَانِ ، فَقَالَ لَهُ : فِى رُقْعَتِى الْجَلْدُ وَلَيْسَتْ لِى أُمٌّ ، فَادْفَعْ إِلَىَّ رُقْعَتَكَ وَخُذْ رُقْعَتِى ، فَفَعَلَا ، فَقُتِلَ هَذَا ، وَتَخَلَّصَ ذَاكَ [٧] .

وَحُكِىَ : أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الْأَنْطَاكِىَّ [٨] اجْتَمَعَ عِنْدَهُ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ [٩] رَجُلًا بِقَرْيَةٍ بِقُرْبِ الرَّىِّ وَلَهُمْ أَرْغِفَةٌ لَمْ تَسَعْ جَمِيعَهُمْ ، فَكَسَّرُوا الرُّغْفَانَ ، وَأَطْفَئُوا السِّرَاجَ ،

---

(١) فى « م » : « أعْطِيها » فى الموضعين .
(٢) قولها : « كُلِى » عن « ط » وساقط من « م » .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « عجائب » .
(٤) فى « م » : « الآثار » .
(٥) فى « ط » : « وظن » .
(٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وهى صحيحة ، يقال : قبض الشئ وعليه : أمسك به .
(٧) فى « ط » : « فقتل ذاك وتخلص هذا » .
(٨) فى « م » : « وحُكى عن أبى العباس الأنطاكى أنه » .
(٩) فى « م » : « وثلاثون » .

وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ إِلَى أَنْ كَفُوا ، فَلَمَّا رُفِعَ إِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ (١) إِيثَارًا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ . وَرُوِىَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالرَّمْلَةِ (٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ، فَحضَرَ طَبَقٌ فِيهِ تِينٌ أَخضَرُ وَقَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ (٣) ، فَكَانَ الْوَاحِدُ يَمُدُّ يَدَهُ فَإِذَا ظَفِرَ بِحَبَّةٍ حِصْرِمٍ (٤) يَأْكُلُهَا ، وَإِنْ ظَفِرَ بِطَيِّبٍ (٥) دَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَلَمَّا رُفِعَ الطَّبَقُ إِذَا الطَّيِّبُ كُلُّهُ فى الطَّبَقِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ عَلَى بِشْرٍ الْحَافِى (٦) فى يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَقَدْ تَعَرَّى مِنَ الثِّيَابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا نَصْرٍ ، النَّاسُ يَزِيدُونَ الثِّيَابَ فى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَنْتَ تُنْقِصُ ؟ فَقَالَ : ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَمَاهُمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لى مَا أُوَاسِيهِمْ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرَافِقَهُمْ (٧) بِنَفْسِى فى مُقَاسَاةِ الْبَرْدِ . وَقَالَ الأُسْتَاذُ أَبو عَلِيٍّ : لَمَّا سَعَى غُلَامُ خَلِيلٍ (٨) بِالصُّوفِيَّةِ

---

(١) فى « م » : « لم يأكل أحد منهم شيئًا » .

(٢) يُطلق هذا الاسم على عِدَّة محالّ ومُدُن ، أشهرها : رملة فلسطين .
[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩ مادة : رملة] .

(٣) غَسَقَ الليلُ : أظْلَمَ .

(٤) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فإنْ وجد لحبه حِصْرِم » لا يصح ، والصواب : « فإن وجد الحَبَّةَ حِصْرِمًا » .. والحِصْرِمُ : الثَّمر قبل النُّضج .

(٥) الطَّيِّبُ : كل ما تستلذُّهُ الحواس أو النفس ، ويريد به هنا : الثمار الناضجة الجيدة .

(٦) هو : بِشْر بن الحارث بن على بن عبد الرحمٰن المروزى ، أبو نصر ، المعروف بالحافى ، من كبار الصالحين ، له فى الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل « مَرْو » . ولد سنة ١٥٠ هـ ، وسكن بغداد ، وبها توفى سنة ٢٢٧ هـ .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٥٤ ، وطبقات الصوفية ص ٣٩ – ٤٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٣ – ٧٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٢ – ٧٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٤ – ٢٧٧ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٣٣٦ – ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٦٧ – ٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٠ – ٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٤٦٩ – ٤٧٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٠٩ – ١١٨] .

(٧) فى طبقات الأولياء : « فأردتُ أن أواسيهم » .

(٨) أبو علىٍّ هو : أبو علىٍّ الدَّقَّاق . وغلام خليل هو : أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس ، أبو عبد الله الزاهد ، الباهلى ، المعروف بغلام خليل ، سكن بغداد وحدَّثَ بها ، قيل : إنه كان زاهدًا صالحًا . قال الدار قطنى : متروك الحديث . وقيل : كان يروى المناكير عن شيوخ مجهولين . توفى ببغداد سنة ٢٧٥ هـ ودُفِن بالبصرة .
[انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٨ – ٨٠ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر القصة فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

إِلَى الْخَلِيفَةِ (١) بِالزَّنْدَقَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَمَّا الْجُنَيْدُ (٢) فَإِنَّهُ تَسَتَّرَ بِالْفِقْهِ ، وَكَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ (٣) وَأَمَّا الشَّحَّامُ وَالرَّقَّامُ وَالنُّورِيُّ (٤) وَجَمَاعَةٌ فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَبُسِطَ النِّطْعُ لِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَتَقَدَّمَ النُّورِيُّ أَمَامَهُمْ (٥) فَقَالَ لَهُ السَّيَّافُ : أَتَدْرِي لِمَاذَا تَتَقَدَّمُ وَتُسَابِقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَال : وَمَا (٦) يُعْجِلُكَ ؟ قَالَ : أُوثِرُ أَصْحَابِي بِحَيَاةِ

---

(١) هو الخليفة العباسى المعتمد على الله أحمد بن جعفر بن المعتصم ، وُلد سنة ٢٢٩ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهتدى بالله بيومين ، وطالت أيام ملكه ، وكانت مضطربة ، كثيرة العزل والتولية . توفى سنة ٢٧٩ هـ .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٦٠ – ٦٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ – ٤٣٠ ، وغيرها من أُمهات كتب التاريخ] .

(٢) هو : الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم الخزَّاز ، صوفى ، من العلماء بالدين ، وُلد ونشأ ببغداد ، وكان فقيهًا على مذهب « أبى ثور » وعَدَّهُ العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بالكتاب والسُّنَّة ، وكان كبير الشأن . توفى ببغداد سنة ٢٩٧ هـ .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤١ ، وطبقات الصوفية ص ١٥٥ – ١٦٣ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٥٥ – ٢٨٧ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٤ – ٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ – ٣٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ – ٢٤٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٦ – ١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٦٦ – ٧٠ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٦ – ١٣٦] .

(٣) هو : إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبى البغدادى ، أبو ثور ، الإمام الحافظ الفقيه ، صاحب الإمام الشافعى ، قال عنه ابن حبّان : كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلاً ، صنف الكتب ، وفرَّع على السُّنن ، ودافع عنها . مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .
[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٣٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٦٥ – ٦٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وطبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٩ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣٣٩ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٧٢ – ٧٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص٩٣ ، ٩٤] .

(٤) الشَّحَّام : بائع الشحم ، والرَّقَّام : هو الذى يقوم بوضع علامة على الشئ تميزه عن غيره . والقصة وردت فى حلية الأولياء ، وطبقات الأولياء ، وتاريخ بغداد ، وسير أعلام النبلاء ، ولم يرد فيها ذكر للشَّحَّام أو الرَّقَّام ، وورد ذكرهما فى الرسالة القشيرية ..
أمّا النُّورِيُّ فهو : أحمد بن محمد النورى البغدادى ، أبو الحسين ، كان شيخ الصوفية فى وقته ، وكان مذكورًا بكثرة الاجتهاد وحُسن العبادة ، ونسبته إلى « نور » بُلَيْدة بين « بخارى » و « سمرقند ». وقيل : لنور كان فى وجهه فنُسِب إليه . توفى – رحمه الله – سنة ٢٩٥ هـ .
[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٧٠ – ٧٧ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٠ – ١٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٦٢ – ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٦٤ – ١٦٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٩ – ٢٥٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، وج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

(٥) قوله : « أمامهم » عن « ط » .

(٦) فى « ط » : « وماذا » .

سَاعَةٍ ، فَتَحَيَّرَ السَّيَّافُ ، وَأُتِيَ الْخَبَرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَرَدَّهُمْ إِلَى الْقَاضِي لِيَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ [١] ، فَأَلْقَى الْقَاضِي عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ النُّورِيِّ مَسَائِلَ فِقْهِيَّةً ، فَأَجَابَ عَنِ الْكُلِّ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : إِنَّ لِلهِ عِبَادًا إِذَا قَامُوا قَامُوا بِاللهِ ، وإِذَا نَطَقُوا نَطَقُوا بِاللهِ ، وَسَرَدَ أَلْفَاظًا حَتَّى أَبْكَى الْقَاضِيَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ .

وَلَمَّا مَرِضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ اسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ [٢] : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ [٣] عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ ، فَقَالَ : أَخْزَى اللهُ مَالًا يَمْنَعُ الإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يُنَادِي : أَلَا [٤] مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ [٥] فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَكُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ بِالْعَشِيِّ لِكَثْرَةِ الْعُوَّادِ .. وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الأَجْوَادِ ، خَرَجَ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ ، فَنَزَلَ عَلَى نَخِيلِ قَوْمٍ وَفِيهَا غُلَامٌ أَسْوَدُ يَقُومُ عَلَيْهَا ، فَأُتِيَ بِقُوتِهِ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ ، وَدَخَلَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغُلَامِ ، فَرَمَى إِلَيْهِ [٦] بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ ، فَأَكَلَهُمَا وَعَبْدُ اللهِ يَنْظُرُ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، كَمْ قُوتُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتَ . قَالَ : فَلِمَ آثَرْتَ هَذَا الْكَلْبَ ؟ قَالَ : مَا هِيَ بِأَرْضِ كِلَابٍ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعًا فَكَرِهْتُ رَدَّهُ . قَالَ : فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَطْوِي يَوْمِي هَذَا . قَالَ [٧] عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أُلَامُ عَلَى السَّخَاءِ وَهَذَا أَسْخَى مِنِّي ، فَاشْتَرَى الْغُلَامَ وَالْحَائِطَ [٨] وَمَا فِيهِ مِنَ الآلَاتِ ، فَأَعْتَقَ الْغُلَامَ وَوَهَبَ ذَلِكَ لَهُ .

---

(١) فى « م » : « لتُعَرِّف حالهم » . وكان يلى القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق .
[انظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٤] .
(٢) فى « ط » : « فقال » .
(٣) فى « م » : « لِمَا لَكَ » .
(٤) « ألا » عن « م » .
(٥) فى « م » : « مالاً » بالنصب . لا تصح .
(٦) فى « م » : « له » فى الموضعين .
(٧) فى « م » : « فقال » .
(٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » والرسالة القشيرية « فاشترى الحائط والغلام » .
[انظر القصة فى المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧] .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ [١] : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سُوقَةَ [٢] بِالْغَدَاةِ صَاحِبَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَبِالْعَشِيِّ سَأَلْنَا لَهُ [٣] مِنْ أَصْحَابِهِ خُبْزَةً [٤] . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ [٥] : دَخَلَ أَبُو عَبْدِاللهِ الرُّوذْبَارِيُّ [٦] إِلَى دَارِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُ غَائِبًا ، وَهُنَاكَ بَيْتٌ مُقْفَلٌ ، فَكَسَرَ الْقُفْلَ وَأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ فَأَنْفَذُوهُ [٧] إِلَى السُّوقِ فَبَاعُوهُ ، وَأَصْلَحُوا بِهِ وَقْتًا مِنَ الثَّمَنِ [٨] فَجَاءَ صَاحِبُ [٩] الرُّوذْبَارِيِّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، وَدَخَلَتِ امْرَأَتُهُ [١٠] بَعْدَهُمُ الدَّارَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ ، فَدَخَلَتْ بَيْتًا وَرَمَتِ الْكِسَاءَ [١١] وَقَالَتْ : يَا أَصْحَابَنَا : هَذَا

---

(١) هو : سفيان الثورى . وفى « ط » : « النورى » بالنون . خطأ .

(٢) هو : محمد بن سُوقة الغَنَوِيُّ ، الكوفى ، وكُنيته أبو بكر ، من القُرَّاء ، وأهل العبادة والفضل ، والدين والسخاء ، ومُحَدِّث ثقة ، ولكنه ليس بكثير الحديث ، ذكره النسائى وابن حبّان فى الثقات ، وقال عنه سفيان الثورى : كان محمد بن سوقة لا يحسن أن يعصى الله .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٥ ص ٣ - ١٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٦٥٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٨] .

(٣) فى « م » : « سألناه » .

(٤) الخُبزة : الخبز الذى يُؤكل ، وتطلق على الطُّلْمَةِ ، وهى : عجين يوضع فى الرَّماد الحارِّ حتى يَنضَج .

(٥) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأَزْدِيُّ السُّلَمِيُّ النيسابورى ، أبو عبد الرحمٰن ، من علماء المتصوفة وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ، بلغت تصانيفه مائة مصنف أو أكثر ، ولد فى نيسابور سنة ٣٣٠ هـ وتوفى بها سنة ٤١٢ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٦ ص ٩٩ ، ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٠٨ ، ومقدمة طبقات الصوفية ص ١٦ - ٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٧ - ٢٥٥ ، وطبقات الأولياء ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .

(٦) هو العارف الزاهد ، شيخ الصوفية : أحمد بن عَطاء الرُّوذْبَارِيُّ ، أبو عبد الله ، شيخ الشام ، وشيخ الصوفية فى وقته ، وهو ابن أخت الصوفى الشهير أبى علىٍّ الروذبارى . نشأ ببغداد ، وأقام بها زمنًا طويلاً ، ثم انتقل منها إلى « صور » من بلاد ساحل الشام ، وبها توفى سنة ٣٦٩ هـ .

[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وطبقات الأولياء ص ٥٤ - ٥٨ ، وطبقات الصوفية ص ٤٩٧ - ٥٠٠ ، وانظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧ مادة « روذبار »] .

(٧) هكذا فى « ط » . وأنفذوه : أرسلوه .. وفى « م » : « وأمَرَ بجميع ما وجد فيه فأنفذه » .

(٨) أى : اشتروا بعض حاجات لهم من الثمن الذى باعوا به .

(٩) سقطت « صاحب » من « م » . وفى الرسالة القشيرية : « فدخل صاحب المنزل » .

(١٠) فى « ط » : « فدخلت » .. وفى « م » : « امرأة » .

(١١) فى « ط » : « بالكِسَاء » .

أَيْضًا (١) مِنْ جُمْلَةِ الْمَتَاعِ ، فَبِيعُوهُ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : لِمَ تَكَلَّفْتِ هَذَا بِاخْتِيَارِكِ ؟ فَقَالَتِ : اسْكُتْ ، مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ يُبَاسِطُنَا وَيَحْكُمُ عَلَيْنَا وَيَبْقَى لَنَا شَىْءٌ نَدَّخِرُهُ عَنْهُ (٢) ؟ .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَحْرٍ فَوَرِثَ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى إِخْوَانِهِ صُرَرًا (٣) وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْأَلَ (٤) لإِخْوَانِى الْجَنَّةَ فى صَلَاتِى وَأَبْخَلَ عَلَيْهِمْ بِحَلَالِى . وَيُرْوَى أَنَّ الأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ (٥) أَرْسَلَ إِلَى عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ (٦) يَسْتَعِيرُ مِنْهُ قُدُورًا كَانَتْ لِأَبِيهِ حَاتِمٍ ، فَمَلأَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا لانُعِيرُهَا فَارِغَةً .

وَقَالَ بُزُرْجِمِهْرُ : لا عِزَّ أَثْبَتُ أَرْكَانًا وَلَا أَبْذَخُ بُنْيَانًا (٧) مِنْ بَثِّ الْكَرَمِ (٨) وَاكْتِسَابِ

---

(١) فى « م » جاء الناسخ بالفعل « اسكت » سهوًا منه ، بدلاً من « هذا أيضًا » وسيأتى بعد قليل .

(٢) انظر القصة فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٦ وطبقات الأولياء ص ٥٦ .

(٣) جمع صُرّة ، وهى ما يُجمع فيه الشىء ويُشد .

(٤) فى « م » : « كنتُ أسأل » .

(٥) هو : الأشعث بن قيس بن مَعْدِى كَرِب الكندى ، أبو محمد ، أمير كندة فى الجاهلية والإسلام ، ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وكانت إقامته فى حضرموت ، ووفد على النبى ، صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام فى جماعة من قومه فأسلم ، وارتدّ فى أيام أبى بكر ، ثم تاب ، وشهد اليرموك فأصيبت عينه ، وشهد كثيرًا من الوقائع ، وأبلى البلاء الحسَن ، وكان جوادًا كريمًا . توفى سنة ٤٠ هـ وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٣٣٢ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٢٧ – ٤٢٩ ، والمعارف ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وثمار القلوب ص ٨٨ ، ٨٩] .

(٦) هو : عَدِىُّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطّائى ، أبو وهب ، أمير صحابىٌّ ، ومن الأجواد العقلاء ، كان رئيس طيئ فى الجاهلية والإسلام ، وقام فى حرب الرِّدَّة بأعمال كبيرة ، وهو ابن حاتم الطائى الموصوف بالجود والكرم ، وقد أسلم سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة وشهد مع علىٍّ الجمل وصِفّين والنهروان ، وفُقِئت عينه يوم صِفّين ، ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٨ – ١٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٢ – ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٨٩ – ١٩١ ، والتاريخ الكبير ج ٧ ص ٤٣ ، والعبر ج ١ ص٥٥ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والجرح والتعديل ج ٧ ص ٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٧٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٨٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨] .

(٧) فى « ط » : « أندح شأنًا » وأندح : أكثر سعة .

(٨) فى « ط » : « من بيت الكرم » .

الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِزَّ التَّعْظِيمِ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ بَاقٍ [١] فى قُلُوبِ الرِّجَالِ ، وَمَنْ تَحَصَّنَ بِالْجُودِ وَتَحَرَّزَ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ ظَفِرَ بِمَنْ نَاوَأَهُ [٢] وَرَبِحَ الشُّكْرَ وَالثَّوَابَ .

وَيُرْوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ أَبِى بَكْرَةَ [٣] ، وَكَانَ أَحَدَ الأَجْوَادِ ، عَطِشَ يَوْمًا فى طَرِيقِهِ ، فَاسْتَسْقَى مِنْ مَنْزِلِ امْرَأَةٍ ، فَأَخْرَجَتْ كُوزًا وَقَامَتْ خَلْفَ الْبَابِ وَقَالَتْ : تَنَحُّوا عَنِ الْبَابِ وَلْيَأْخُذْهُ بَعْضُ غِلْمَانِكُمْ ، فَإِنِّى امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ زَوْجِى [٤] مُنْذُ أَيَّامٍ . فَشَرِبَ عُبَيْدُ اللهِ [٥] وَقَالَ : يَا غُلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا عَشَرَةَ آلافٍ [٦] . فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللهِ ! تَسْخَرُ بِى ؟ فَقَالَ : يَا غُلَامُ احْمِلْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ أَلْفًا . فَقَالَتْ : أَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ ! فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ [٧] أَلْفًا . فَقَالَتْ : أُفٍّ لَكَ .. فَحَمَلَ إِلَيْهَا [٨] ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَمَا أَمْسَتْ حَتَّى كَثُرَ خُطَّابُهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : قَصَدَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : مَاحَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ عَلَىَّ دَيْنٌ [٩] . فَدَخَلَ الدَّارَ وَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ

---

(١) « باقٍ » عن « ط » .

(٢) ناوَأَهُ : نافَرَهُ وعاداهُ .

(٣) فى « م » و « ط » والمستطرف : « عبد الله بن أبى بكر » تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، وقد ذُكِرَ الاسم صحيحًا فى الرسالة القشيرية ، وهو : عبيد الله بن أبى بكرة الثقفى ، ابن الصحابى « أبى بكرة » نفيع بن الحارث ، وُلد سنة ١٤ هـ ، وهو أول مَنْ قرأ القرآن بالألحان ، وكانت قراءته حَزَنًا ، ليست على شئ من ألحان الغناء ، وكان أمير سِجِسْتان ، وَلِيَها سنة ٥٠ هـ - ٥٣ هـ . وعزل عنها ، ثم وليها فى إمرة الحجاج ، وولى قضاء البصرة ، وكانت له ثروة واسعة فاشتهر بأخبار من الجود تشبه الخيال . نقل الذهبى أنه كان ينفق على جيرانه ، ويزوج من أراد منهم الزواج ، ويعتق فى كل عيد مائة عبد - وسيأتى بعد قليل - توفى - رحمه الله - بسجستان سنة ٧٩ هـ .

[انظر القصة فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٤ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٧ ، وقارن ما جاء فيها وفى الأعلام والرسالة القشيرية .. وانظر الأعلام ج ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٣٨ ، والمحبر ص ١٥٠ ، والمعارف ص ٥٣٣ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٧١ فى ترجمة عبد الله بن جعفر ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٣٧٥ ، والعقد الفريد ج ١ ص ٢٤٧ وص ٢٥٢] .

(٤) هكذا فى « ط » والمستطرف .. وفى « م » والرسالة القشيرية : « مات خادمى » .

(٥) فى « ط » و « م » : « عبد الله » تصحيف .

(٦) فى الرسالة القشيرية والمستطرف : « عشرة آلاف درهم » .

(٧) فى « ط » : « الثلاثين » .

(٨) فى « م » : « لها » .

(٩) فى « م » : « دَيْنٌ عَلَىَّ » .

الدَّارَ بَاكِيًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلَّا تَعَلَّلْتَ حِينَ شَقَّتْ [١] عَلَيْكَ الإِجَابَةُ ؟ قَالَ [٢] : إِنَّمَا أَبْكِي لأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّدْ حَالَهُ حَتَّى احْتَاجَ إِلَى مُكَاشَفَتِي . وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لا يَقَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكَأً . وَقَالَ الْفُضَيْلُ : مَا كَانُوا يَعُدُّونَ الْقَرْضَ مَعْرُوفًا .

وَيُرْوَى عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدَاتِ أَنَّهَا قَالَتْ لِحَبَّانَ بْنِ هِلَالٍ [٣] وَهُوَ فِى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : مَا السَّخَاءُ عِنْدَكُم ؟ قَالَ : الْبَذْلُ وَ الإِيثَارُ . قَالَتْ : فَمَا السَّخَاءُ فِى الدِّينِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدِى [٤] اللهَ تَعَالَى سَخِيَّةً بِهِ نَفْسُكِ غَيْرَ مُكْرَهَةٍ . قَالَتْ : أَفَتُرِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءً ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ عَلَى الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . قَالَتْ : فَإِذَا أَعْطَيْتُمْ وَاحِدَةً وَأَخَذْتُمْ عَشْرًا ، فَأَىُّ [٥] شَىْءٍ سَخَيْتُمْ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ [تَعَالَى] [٦] مُتَنَعِّمِينَ مُتَلَذِّذِينَ بِطَاعَتِهِ ، غَيْرَ كَارِهِينَ ، لا تُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَجْرًا ، أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَيَعْلَمَ مِنْهَا أَنَّهَا تُرِيدُ شَيْئًا بِشَىْءٍ ؟ .

وَقَالَتْ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدَاتِ لِبَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ : أَتَظُنُّ السَّخَاءَ فِى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ فَقَطْ ؟ إِنَّمَا السَّخَاءُ فِى بَذْلِ مُهَجِ النُّفُوسِ للهِ تَعَالَى . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ : لَيْسَ [٧] السَّخَاءُ أَنْ يُعْطِىَ الْوَاجِدُ الْمُعْدِمَ [٨] ، إِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ يُعْطِىَ الْمُعْدِمُ الْوَاجِدَ .

---

(١) فى « م » : « شقَّ » .

(٢) فى « م » : « فقال » .

(٣) هو الحافظ حَبَّان بن هلال البصرى ، أبو حبيب ، مُحَدِّث ثقة ، وثَّقَهُ أحمد وغيره ، وقال ابن سعد : كان ثقة ثَبْتًا ، امتنع من التحديث قبل موته . وتوفى بالبصرة سنة ٢١٦ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، والإكمال لابن ماكولا ج ٢ ص ٣٠٣ وفيه حَبَّان بفتح الحاء المهملة] .

(٤) فى « م » : « تعبد » .

(٥) فى « م » : « فبأىِّ » .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٧) فى « ط » : « وليس » . وأبو بكر هو : العارف بالله أبو بكر بن محمد بن أحمد بن دلويه الدَّقَّاق .
[انظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥١١ و ص ٦٨٠ ، وصفحات أخرى متفرقة] .

(٨) المُعْدِم : الفقير الذى لا مال له .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ : كَانَ الأُسْتَاذُ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ [١] مِنَ الأَجْوَادِ ، لَمْ يَكُنْ يُنَاوِلُ أَحَدًا شَيْئًا بِيَدِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْرَحُهُ عَلَى الأَرْضِ ، فَيَتَنَاوَلُهُ الآخِذُ مِنَ الأَرْضِ ، وَكَانَ يَقُولُ : الدُّنْيَا أَقَلُّ خَطَرًا مِنْ أَنْ يُرَى مِنْ أَجْلِهَا يَدِى فَوْقَ يَدِ أُخْرَى ، وَقَدْ قَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » . وَكَانَ يَتَوَضَّأُ يَوْمًا فِى صَحْنِ دَارِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ وَسَأَلَهُ شَيْئًا فَلَمْ يَحْضُرْهُ شَىْءٌ ، فَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى أَفْرُغَ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : خُذِ الْقُمْقُمَةَ [٣] وَاخْرُجْ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَعَلِمَ أَنَّهُ بَعُدَ ، صَاحَ وَقَالَ : دَخَلَ إِنْسَانٌ وَأَخَذَ الْقُمْقُمَةَ ، فَمَشَوْا خَلْفَهُ ، فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَلُومُونَهُ عَلَى الْبَذْلِ . وَفِى مَعْنَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَلأْتُ يَدِى مِنَ الدُّنْيَا مِرَارًا ... فَمَا طَمِعَ الْعَوَاذِلُ فِى اقْتِصَادِى [٤]

وَلَا وَجَبَتْ عَلَىَّ زَكَاةُ مَالٍ ... وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى جَوَادِ [٥]

وَكَانَ أَبُو مَرْثَدٍ أَحَدَ الْكِرَامِ ، فَمَدَحَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ ، فَقَالَ : مَاعِنْدِى مَا أُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ قَدِّمْنِى إِلَى الْقَاضِى وَادَّعِ [٦] عَلَىَّ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ حَتَّى أُقِرَّ لَكَ بِهَا ، ثُمَّ احْبِسْنِى ، فَإِنَّ أَهْلِى لا يَتْرُكُونِنى [٧] مَسْجُونًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ [٨] ، فَلَمْ يُمْسِ [٩] حَتَّى دُفِعَ

---

(١) هو : أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلى ، المعروف بالصعلوكى ، الأصبهانى أصلاً ومولدًا ، النيسابورى دارًا وإقامة ، كان متصوفًا ، وإمامًا فى الفقه والتفسير والحديث والعلوم اللغوية كلها . توفى – رحمه الله – بنيسابور سنة ٣٦٩ هـ وصلى عليه ابنه « سهل » – وكان مثل أبيه علمًا وورعًا – ودُفِنَ فى المسجد الذى كان يدرس فيه .

[انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية للحسينى ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وانظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٨ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٦] .

(٢) فى « م » : « عليه السلام » وسقط منها « قال » سهوًا من الناسخ .

(٣) القُمْقُمة : إناء صغير من نحاس وغيره .

(٤) فى العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٥) فى « م » : « وما وجبت » . وفى العقد الفريد : « على الجواد » .

[انظر البيتين فى المرجع السابق ج ١ ص ١٩٨] .

(٦) فى « م » : « فادَّعِى » خطأ ، أمر مبنى على حذف حرف العلة .

(٧) فى « م » : « لا يتركونى » .

(٨) قوله : « ففعل ذلك » عن « ط » .

(٩) هكذا فى الرسالة القشيرية .. وفى « م » و « ط » : « يُمسوا » .

إِلَيْهِ عَشَرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ [١] . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ جَرِيرٍ : رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ فَرَّقَ مِائَةَ أَلْفٍ فِى مَجْلِسٍ ، وَإِنَّهُ لَيَخِيطُ إِزَارَهُ بِيَدِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْمُنْكَدِرُ عَلَى [٢] عَائِشَةَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَصَابَتْنِى فَاقَةٌ [٣] . فَقَالَتْ : مَا عِنْدِى شَىْءٌ ، فَلَوْ كَانَ [٤] عِنْدِى عَشَرَةُ آلافٍ لَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا جَاءَتْهَا عَشَرَةُ آلافٍ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ [٥] ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا فِى أَثَرِهِ ، فَاشْتَرَى جَارِيَةً بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ ثَلاثَةَ أَوْلَادٍ ، فَكَانُوا عُبَّادَ الْمَدِينَةِ : مُحَمَّدٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، بَنُو الْمُنْكَدِرِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ [٦] : كَانَ جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ فِى دَارِ الْمُطَّلِبِ [٧] ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ

---

(١) فى « م » : « عشرة ألف » وسقطت منها لفظة « درهم » .
[انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٩] .

(٢) هكذا فى « ط » والمستطرف ج ١ ص ٣٤٥ .. وفى « م » : « مولى » بدل « على » تصحيف .. والمُنكَدِر هو : المُنْكَدِرُ بن عبد الله بن الهُدَيْر ، القُرشىُّ التَّيمِىُّ ، وُلِدَ على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم تثبت له صُحبة .
[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٥] .

(٣) فى « ط » : « أصابنى » . والفاقة : الحاجة .

(٤) فى « ط » : « كانت » .

(٥) هو : خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية القُرشىُّ ، أسلم عام الفتح ، ومات بمكة ، وهو أخو عَتَّاب وعبد الرحمٰن ابنَىْ أسيد .
[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٨٩ ، والمعارف ص ٢٨٣] .

(٦) هو : يحيى بن مَعِين بن عَوْن بن زياد ، البغدادى ، أبوزكريا ، من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله ، وإمام الجرح والتعديل ، نعته الذهبىُّ بسيِّد الحُفاظ ، وُلد سنة ١٥٨ هـ ، وكان أبوه « معين » كاتبًا للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى . وقيل : كان على خراج « الرىِّ » فمات وخلف ليحيى ثروة كبيرة ، أنفقها كلها فى طلب الحديث ، وعاش ببغداد ، وتوفى بالمدينة حاجًا سنة ٢٣٣ هـ وصلى عليه أميرها .
[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٧١ – ٩٦ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٩ – ٤٣١ ، والجرح والتعديل ج ١ ص ٣١٤ – ٣١٨ ، وج ٩ ص ١٩٢ ، والتاريخ الكبير ج ٨ ص ٣٠٧] .

(٧) هو : المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزَاعى ، وَالٍ ، كان فى مكة ، وولى إمرة مصر للمأمون سنة ١٩٨ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٥٢] .

يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ : اذْهَبْ إِلَى الْجَوَارِى [1] فَقُلْ لَهُنَّ : مَنْ أَرَادَتْ [2] مِنْهُنَّ أَنْ تَصْبُغَ ثِيَابَهَا [3] فَلْتَبْعَثْ بِهَا ، فَجَاءَ الْغُلَامُ بِثِيَابٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ : خُذْهَا .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : كَانَتْ جَرَتْ [4] حَرْبٌ بِالْبَادِيَةِ ثُمَّ [5] اتَّصَلَتْ بِالْبَصْرَةِ ، فَتَفَاقَمَ الأَمْرُ فِيهَا ، حَتَّى مُشِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصُّلْحِ ، فَاجْتَمَعُوا فِى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، قَالَ : فَبُعِثْتُ – وَأَنَا غُلَامٌ – إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَازِمٍ [6] فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لِى ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ شَمْلَةٌ [7] يَخْلِطُ بُرًّا لِعَنْزٍ لَهُ [8] فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلَتِ الْعَنْزُ ، ثُمَّ غَسَلَ الْقَصْعَةَ وَقَالَ : يَا جَارِيَةُ ، غَدِّينَا ، فَأَتَتْهُ بِزَيْتٍ وَتَمْرٍ ، قَالَ : فَدَعَانِى ، فَقَذِرْتُهُ أَنْ آكُلَ مَعَهُ [9] ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَتَهُ وَثَبَ إِلَى طِينٍ مُلْقًى فِى الدَّارِ ، فَغَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ [10] ثُمَّ صَاحَ بِالْجَارِيَةِ فَقَالَ : اسْقِينِى مَاءً ، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَهُ ، وَمَسَحَ فَضْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ ، مَاءُ الْفُرَاتِ بِتَمْرِ الْبَصْرَةِ بِزَيْتِ الشَّامِ [11] مَتَى نُؤَدِّى شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ ؟ ثُمَّ قَالَ : عَلَىَّ بِرِدَائِى ، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِىٍّ ، فَارْتَدَى بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمْلَةِ ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ : فَتَجَافَيْتُ [12] عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا ، لِزِيِّهِ ،

---

(١) فى « م » : « للجوارِى » .

(٢) فى « ط » : « أراد » .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ثوبها » .. لا تصح ، فقوله ، بعد ذلك : « فلتبعث بها » يقتضى الجمع .

(٤) « جَرَتْ » عن « ط » .

(٥) فى « م » : « ثمَّ » .

(٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى عيون الأخبار أنه : ضِرَار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة وهو الصحيح .. والقصة حكاها الأصمعى عن أحد شيوخه ، أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلنى أبى إلى ضرار ... الخ ، فهى حدثت لقتيبة هذا وليس للأصمعى .

[انظر القصة فى المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣] .

(٧) فى « م » : « فى شَمْلَة » والشَّمْلَة : كساء من صوف أو شعر يُتَغطَّى به أو يُتَلَفَّف به .

(٨) البُرّ : القمح .. وفى « ط » : « يخبط نوًى لعنزٍ لَهُ حلوب » . يخبط : يدق .

(٩) أى : كرهتُ أنْ آكُلَ معه لِقَذَارته .

(١٠) فى « ط » : « يده » .

(١١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « بتمر الشام بزيت البصرة » .

(١٢) تجافيتُ : ابتعدتُ .

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَمَشَى إِلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ تَبْقَ حَبْوَةٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ فَتَحَمَّلَ مَا كَانَ بَيْنَ الأَحْيَاءِ مِنَ الدِّيَاتِ فِى مَالِهِ وَانْصَرَفَ .

وَكَانَ الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ (١) الْفَقِيهُ لَمَّا سُجِنَ يُعْطِى كُلَّ يَوْمٍ السَّجَّانَ دِينَارًا ، فَاسْتَكْثَرَهُ أَصْحَابُهُ وَكَلَّمُوهُ فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ حَفْصُ بْنُ عُمَارَةَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِىَّ يَقُولُ : إِذَا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَافِى يَدَيْهِ . فَخَرَّ بُهْلُولٌ عَلَى يَدَيْهِ وَقَبَّلَهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : سَأَلْتُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ هَذَا ؟ فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ (٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ (٣) :

ذَرِينِى أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ ... لِىَ الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِى غِبَّهُ غَدَا (٤)

أَرِينِى جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِى ... أَرَى مَاتَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا (٥)

وَكَانَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِى بَكْرَةَ (٦) يُنْفِقُ عَلَى أَرْبَعِينَ دَارًا مِنْ جِيرَانِهِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ (٧) ، وَأَرْبَعِينَ أَمَامَهُ ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بِالأَضَاحِى

---

(١) هو : البُهْلُول بن راشد ، أبو عمرو الحجرى ، من العلماء الزُّهَّاد ، من أهل القيروان ، وأخباره فى الزهد كثيرة ، وله كتاب فى الفقه على مذهب الإمام مالك ، وعارض أمير إفريقية فى زمنه ، محمد بن مقاتل العكى فى أن يرسل ما يطلبه منه عدوه (ملك أسبانيا) من السلاح ، فنصحه البهلول ، وألحَّ عليه أن يمتنع من إرسال السلاح له ، فبعث إليه « العكى » مَنْ قَيَّدَهُ ، وجَرَّده ، وضربه عشرين سوطًا ، وحبسه . وبقى أثر السِّياط فى جسده ، ونغل ، فكان ذلك سبب موته سنة ١٨٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٧٧] .

(٢) فى « م » : « يقول » .

(٣) هو حُطائِطُ بن يَعْفُر ، وقد قال هذا عندما عاتبَتْهُ أُمُّه على جوده .

[انظر خزانة الأدب ج ١ ص ٤٠٦ ، والأمالى لأبى علىٍّ القالى ج ٢ ص ٧٩ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٤٧٥ ، ولسان العرب – مادة « علل »] .

(٤) غِبُّهُ : عاقبته . وهذا البيت ترتيبه الثانى ، والثانى ترتيبه الأول فى الخزانة .

(٥) فى « م » و « ط » : « ما ترينى » تصحيف . والتصويب من المصادر السابقة . وهذا البيت ورد فى قصيدة مشهورة لحاتم ، ونُسب أيضًا لدُرَيْد بن الصِّمَّة .

[انظر لسان العرب مادة « علل » وديوان دريد بن الصِّمَّة ص ١١٨] .

(٦) فى « م » و « ط » : « عبد الله بن أبى بكر » تصحيف وقد مَرَّ .

(٧) من هنا إلى قوله : « ويعتق » عن « ط » وساقط من « م » .

وَالْكُسْوَةِ فى الأَعْيَادِ ، وَيَعْتِقُ فى كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ ، وَاشْتَرَى يَوْمًا جَارِيَةً بِعَشَرَةِ آلافٍ ، فَطَلَبَ [1] دَابَّةً يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : هَذِهِ دَابَّتِى ، فَقَالَ : احْمِلُوهَا عَلَى دَابَّتِهِ إِلَى دَارِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زُهَيْرٍ [2] :

وَعَاذِلَةٍ تَخْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِى   تَرُوحُ وَتَغْدُو بِالْمَلامَةِ وَالْقَسَمْ [3]
تَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا   عَلَى اللهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمْ [4]
وَإِنِّى أُحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ   وَكَالْخُلْدِ عِنْدِى أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أُلَمْ [5]

وَرُوِىَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَدِمَ عَلَى عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِى إِلَيْكَ حَاجَةٌ الْحَيَاءُ يَمْنَعُنِى أَنْ أَذْكُرَهَا . قَالَ : فَخُطَّهَا فى الأَرْضِ . فَخَطَّ فى الأَرْضِ : أَنِّى فَقِيرٌ . فَقَالَ لِغُلَامِهِ : يَاقَنْبَرُ ، اكْسُهُ حُلَّتِى ، فَكَسَاهُ الْحُلَّةَ ، فَقَالَ :

كَسَوْتَنِى حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا   فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِى ذِكْرَ صَاحِبِهِ   كَالْغَيْثِ يُحْيِى نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرُمَةً   لاتَبْغِيَنَّ بِمَا قَدْ نِلْتَهُ بَدَلَا [6]
لاتَزْهَدِ الدَّهْرَ فى عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ   كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى بِالَّذِى فَعَلَا

---

(١) فى « م » : « وطلب » .

(٢) هكذا فى « م » و « ط » .. ولم أقف عليه ، والأبيات المنسوبة إليه هنا نُسبت لأكثر من شاعر ، ففى « الوحشيات » منسوبة إلى « عُبادة بن أنْفِ الكلب » وفى معجم البلدان نُسبت إلى « مُضَرِّس بن رِبْعِى » وفى اللسان نُسبت إلى « عَمْرو بن شَأْس » .

[انظر الوحشيات لأبى تمام ص ٦٩ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٣ مادة « ضُمر » ، واللسان مادة « زعم »] .

(٣) العاذلة : التى تلوم وتعتب .

(٤) زَعَم هنا بمعنى : قال ووَعَد .

(٥) فى الوحشيَّات : « لم أُذَمّ » .

(٦) الشطرة الأولى من البيت فى « م » : « إنْ حُزْتَ نلْتَ حُسن ثناء نِلْتَ مكرمة » أقحم الناسخ الفعل « حُزْتَ » زيادة من عنده .. وربما كان يريد وضعه بدلاً من « نِلْتَ » ولا يستقيم الوزن إلّا بحذف أحد الفعلين .

قَالَ عَلِيٌّ : زِدْهُ مِائَةَ دِينَارٍ . فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا وَلَّى الأَعْرَابِيُّ [١] قَالَ قَنْبَرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَرَّقْتَهَا فِى الْمُسْلِمِينَ لَأَصْلَحْتَ بِهَا مِنْ شَأْنِهِمْ . فَقَالَ : مَهْ يَاقَنْبَرُ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « اشْكُرُوا لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ ، وإِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » [٢] . وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ [٣] : إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ مِنِّى حَاجَةً فَلْيَرْفَعْهَا فِى رُقْعَةٍ ، فَإِنِّى أَكْرَهُ أَنْ أَرَى فِى وَجْهِهِ ذُلَّ الْحَاجَةِ .

قُرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِى الْوَلِيدِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ [٤] :

وَآمِرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اقْصُرِى ... فَلَيْسَ إِلَيْهِ مَاحَيِيتُ سَبِيلُ [٥]
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْكِرَامِ وَلَا أَرَى ... بَخِيلًا لَهُ فِى الْعَالَمِينَ خَلِيلُ [٦]
وَإِنِّى رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ ... فَأَكْرَمْتُ نَفْسِى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ [٧]

---

(١) قوله : « فلما وَلَّى الأعرابى » عن « ط » .

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه مجتزءًا فى كتاب الأدب ج ٢ ص ١٢٢٣ ، والبيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب قتال أهل البغىّ ، باب ما على السلطان من إكرام وجوه الناس ج ٨ ص ١٦٨ ، وفيه سعيد بن مَسْلَمَة ، وهو ضعيف .

(٣) هو : مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحرشىّ العامرىّ ، أبو عبد الله ، زاهد ، من كبار التابعين ، له كلمات فى الحكمة مأثورة ، وُلِد فى حياة النبى ، ﷺ ، وهو ثقة فيما رواه من الأحاديث . كانت إقامته بالبصرة ، وفيها توفى سنة ٨٧ هـ على الأرجح .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨ – ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٤١ – ١٤٦] .

(٤) هو القاضى أبو الوليد الباجى شيخ الأندلس وعالمها فى زمانه . وهو ممن سمع منه « الطرطوشى » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وقد مرَّ بنا ذلك فى المقدمة .. والشعر ورد فى الأمالى لأبى علىٍّ القالى ، والعقد الفريد ، ووفيات الأعيان ، والمستطرف ، وهو لإسحاق الموصلى ، وقد طلب منه « الرشيد » أن ينشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة ، منها هذه الأبيات .

[انظر الأمالى ج ١ ص ٣١ ، والعقد ج ١ ص ٢١٧ ، والوفيات ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٧٨] .

(٥) هكذا البيت فى « ط » والمستطرف .. وفى « م » والعقد ، والوفيات : « فليس إلى ماتأمرين سبيل » وفى الأمالى : « فذلك شىء ما إليه سبيل » .

(٦) هكذا البيت فى « م » و « ط » والوفيات .. وفى الأمالى : « أَرَى النَّاس خُلَّانَ الجواد... » . وفى المستطرف : « أرى الناس إخوان الكريم وما أرى .. » .

(٧) هكذا البيت فى « م » و « ط » والوفيات .. وفى الأمالى : « فإنى » بدل « وإنى » .

وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتِهِ ... إِذَا نَالَ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ [١]

وَلِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ [٢] :

وَإِنِّى امْرُؤٌ عَافِى إِنَائِىَ شِرْكَةٌ ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِى إِنَائِكَ وَاحِدُ [٣]

أَتَضْحَكُ مِنِّى أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى ... بِجِسْمِى شُحُوبَ الحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ [٤]

أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ [٥]

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَصْلُ الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا الْكَرَمُ ، وَأَصْلُ الْكَرَمِ نَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَسَخَاؤُهَا بِمَا مَلَكَتْ عَلَى الْخَاصِّ [٦] وَالْعَامِّ ، وَجَمِيعُ خِصَالِ الْخَيْرِ مِنْ

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الأمالى والوفيات : « إذا نال شيئاً » .

(٢) هو عُرْوَةُ بن الوَرد بن زيد العَبْسى ، من غَطَفان ، من شعراء الجاهلية وفُرسانها وأجوادها ، كان يُلَقَّب بعروة الصعاليك ، لِجَمْعِه إيَّاهُم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم ، وكان يتميز بأخلاق كريمة تتجلى فى كل ماكان يصنعه من إحسان ، ويبذله من عطف تجاه الفقراء والمرضى والضعفاء . توفى نحو سنة ٣٠ قبل الهجرة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٧٥ - ٦٧٧ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١١ - ٤١٣ ، والأغانى ج ٣ ص ٩١٩ - ٩٩٤ ، وشعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٨٨٣ - ٩١٦ ، وديوان عروة بن الورد ص ٧ - ١٥ ط دار صادر] .

(٣) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الشعر والشعراء ، والأغانى ، والديوان ، وشعراء النصرانية « إنى » بحذف الواو ، وبهذه الرواية يكون قد دخله « الخرم » بحذف الحرف الأول من « فعولن » كما مَرّ . والعافى : الضيف طالب المعروف . ومعنى البيت يقول : إننى أملأ إنائى لبناً حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقنى إنسان وجد ذلك مهيئاً له ، وكان شريكى فيه ، قلَّ أو كثر عندى ، وأنت امرؤ عافِى إنائك واحد ، أى : تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك ، فتشبع وهم يجوعون ، وأنا أهزل وأضيافى يسمنون .

[انظر المصادر السابقة] .

(٤) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى المصادر السابقة : « أتهزأ » مكان « أتضحك » .. وفى الشعر والشعراء ، والأغانى : « بجسمِىَ مَسَّ الحقِّ » .. وفى الديوان وشعراء النصرانية : « بوجهى شحوب الحق » .. ومعنى قوله : « والحق جاهد » أى : يجهد الناس ، وذلك أن الحق يطرقه فيؤثره على نفسه وعلى عياله .. والحق الذى ذكره هنا هو : صِلة الرَّحِم ، وإعطاء السائل وذوى القُرْبَى ، فمَن فعل ذلك جهده .

(٥) هكذا البيت فى « م » و « ط » والمصادر السابقة ، ماعدا « الأغانى » ففيها « أُفَرِّقُ » مكان « أُقَسِّمُ » . ومعنى البيت : أُقَسِّمُ قُوتَ جسمى ، وأوثر به الغير على نفسى ، وأجتزئُ بحَسْو الماء القَراح الذى لايخالطه شىء من اللبن وغيره .. والماء بارد : أى فى الشتاء ، وذلك أشد .

وهذه الأبيات الثلاثة هى التى من أجلها قال عبد الملك بن مروان : « مايسُرُّنى أنَّ أحدًا من العرب مِمَّن ولدَنى ، لَمْ يَلِدْنى ، إلَّا عُروة بن الورد » .

(٦) فى « م » : « عن الخاص » .

فُرُوعِهِ . وَرُوِىَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ طَعَامٌ ، فَغَلَا السِّعْرُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَبِيعَ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ رُبْعُ الْقَفِيزِ [١] ، فَقِيلَ لَهُ : تَبِيعُ وَتَشْتَرِى ؟ فَقَالَ : نَفْرَحُ إِذَا فَرِحَ النَّاسُ وَنَحْزَنُ كَمَا حَزِنُوا .

ولِأُمِّ حَاتِمِ طَيِّىءٍ [٢] :

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضَّنِى الْجُوعُ عَضَّةً ... فَآلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعَا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِ الآنَ أَعْفِنِى ... فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْطِعْ فَعَضَّ الأَصَابِعاَ [٣]
فَهَلْ مَا تَرَوْنَ الآنَ إِلَّا طَبِيعَةٌ ... فَكَيْفَ بِتَرْكِى يَاابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا [٤]

وَقَالَ آخَرُ :

أَصُونُ عِرْضِى بِمَالِى لا أُدَنِّسُهُ ... لا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِى الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ ... وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

وَيُرْوَى [٥] أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِىٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، شَيْئًا ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : ائْتِ بِحَمَّالٍ يَحْمِلُهُ لَكَ ، فَأَتَاهُ بِحَمَّالٍ ، فَأَعْطَاهُ

---

(١) فى « م » : « ربع القفيز من طعام » . والقفيز : مكيال كان يُكال به قديماً ، ويختلف مقداره من بلد لآخر ، ويعادل بالتقدير المصرى نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) فى « ط » : « وَلِيَمّ حاتم طَيِّىءٍ فقال » خطأ . والصواب ماورد فى « م » فالشعر لأُم حاتم وليس له . وأُمه هى : غنية بنت عفيف ، وكانت ذات يسار ، ومن أسخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لاتمسك شيئاً تملكه ، فحجر عليها إخوتها ، ومنعوها مالها ، حتى تذوق ألم الجوع .. حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها قطيعاً من الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها العطاء ، فقالت : والله لقد عضَّنى من الجوع مالمْ أمنع معه سائلاً أبدًا ، فأعطتها الإبل ، وأنشدت هذه الأبيات التى معنا .. أما حاتم فهو : حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى ، أبو عدى ، كان فارساً وشاعرًا جاهليًا ، جوادًا ، يُضرب المثل بجوده ، وقد توفى سنة ٤٦ قبل الهجرة تقريباً ، وبعضهم أرخ وفاته فى السنة الثامنة بعد مولد النبى ، ﷺ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٥١ ، والشعر والشعراء ج١ ص ٢٤١ – ٢٤٩ ، والأغانى ج ١٩ ص ٦٦٩٣ – ٦٧٣٠ ، وشعراء النصرانية ص ٩٨ – ١٣٤] .

(٣) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى المصادر السابقة « اللائمى » بالياء . « ولم تفعل » مكان « لم تسطع » .

(٤) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. والشطرة الأولى من البيت فى الأغانى : « وما إنْ تَرَوْنَ اليوم إلَّا طبائعا » .. وفى الشعر والشعراء : « وَلَا ماترون اليوم إلَّا طبيعة » .. وفى شعراء النصرانية : « وماذا ترون اليوم إلا طبيعة » .

(٥) فى « م » : « ورُوِىَ » .

طَيْلَسَانَهُ [1] وَقَالَ ، يَكُونُ كِرَاءُ الْحَمَّالِ مِنْ قِبَلِى [2] .

وَيُرْوَى أَنَّ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ [3] سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ سُكُرُّجَةَ عَسَلٍ [4] فَأَمَرَ لَهَا بِزِقِّ عَسَلٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهَا ، وَنَحْنُ نُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِ نِعْمَتِنَا .. وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَضَافَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ [5] ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَرْتَحِلَ لَمْ يُعِنْهُ غِلْمَانُهُ ، فَسُئِلَ [6] عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : إِنَّهُمْ لا يُعِينُونَ مَنِ ارْتَحَلَ عَنَّا ، وَفِى مَعْنَاهُ يَقُولُ الْمُتَنَبِّى [7] :

---

(١) الطَّيْلَسانُ : وشاح يُوضَعُ على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خالٍ من التفصيل والخياطة . وهو مايُعرف فى العامية المصرية « بالشال » وهو لفظة فارسية معربة .

(٢) فى « م » : « يكون هذا » أى : هذا الطيلسان .. وكراء الحمّال : أجرته . من قِبَلى : أتحملها من عندى .

(٣) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن ، الفَهْمِىّ بالولاء ، أبو الحارث ، إمام مصر فى عصره ، حديثاً وفقهاً ، وُلد فى قَلْقَشَنْدَة – من قرى مصر – سنة ٩٤ هـ ، وكان من الكرماء الأجواد ، قال عنه الإمام الشافعى : « الليث أفقه من مالك ، إلّا أنّ أصحابه لم يقوموا به » . توفى – رحمه الله – سنة ١٧٥ هـ ، ودفن بالقاهرة ، وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ – ٣٣٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ – ١٤ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ – ١٣٢ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٣ ، وتذكرة الحُفاظ ج ١ ص ٢٢٤ – ٢٢٦] .

(٤) السُّكُرُّجَةُ : إناء صغير يوضع فيه الشىء القليل من الأُدْمِ .

(٥) هكذا فى « ط » .. والمعنى : لجأ إليه . وفى « م » : « استضاف بعبد الله » أى : استجار به .. وعبد الله بن عامر سبق التعريف به .

(٦) فى « م » : « فسأل » .

(٧) هو : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربى ، أبو الطَّيِّب المتنبى ، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى ، الكوفى ، الكندى ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ وطوَّف بالبلاد ، ومدح سيف الدولة ابن حمدان بالشام ، وكافور الإخشيدى بمصر ، وعضد الدولة ابن بويه الديلمى .. مات مقتولاً سنة ٣٥٤ هـ ، وأخباره كثيرة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ١١٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٢ – ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ – ١٢٥ ، ومقدمة شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ج ١ ص ٢٠ – ٨٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥١٨ – ٥٢٤] .

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ (١)

* * *

(١) البيت من قصيدة له يعاتب فيها سيف الدولة .. ومعنى البيت : إذا رحلْتَ عن قوم وهُم قادرون على إرضائك ، حتى لا تضطرَّ إلى مفارقتهم ، فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هُم الراحلون عنك .

[انظر الديوان ج ٤ ص ٨٩] .

الْبَابُ الْحَادِى وَالثَّلاثُونَ

فِى بَيَانِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَايَتَعَلَّقُ بِهِمَا

الشُّحُّ فِى كَلَامِ الْعَرَبِ : الْبُخْلُ وَمَنْعُ الْفَضْلِ . كَانَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُحِّ نَفْسِى وَإِسْرَافِهَا وَوَسْوَاسِهَا » [1] . وَرَوَى جَابِرٌ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] قَالَ : « اتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا الدِّمَاءَ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » [3] . وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مُفَرِّقُونَ فَقَالُوا [4] : الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ [5] ، فَإِنَّ الْبُخْلَ أَكْثَرُ مَايُقَالُ فِى النَّفَقَةِ وَإِمْسَاكِهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى [6] : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [7] . وَقَالَ تَعَالَى [8] : ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [9] . وَقَالَ تَعَالَى فِى الشُّحِّ : ﴿ أَشِحَّةً

---

(١) ذكره القرطبى عن أنس عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر [ج ٨ ص ٦٥٠٩ ط الشعب] .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه مجتزءًا فى كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ج ٨ ص ١٣٤ بشرح النووى ، والقرطبى فى تفسيره – انظر المصدر السابق .

(٤) فى « م » : « فقال » لا تصح .

(٥) فى « م » : « البخيل » تصحيف .

(٦) فى « م » : « عزَّ وجَلَّ » .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

(٨) قوله : « تعالى » عن « ط » فى المواضع الثلاث .

(٩) سورة محمد ، من الآية ٣٨ .

عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾[١] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

وَالشُّحُّ[٣] يُنْبِى عَلَى الْكَزَازَةِ[٤] وَالِامْتِنَاعِ ، فَهُوَ يَكُونُ فى الْمَالِ وَفِى جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَيسَ الشُّحُّ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، وَإِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ يَطْمَعَ فِيمَا لَيسَ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ[٥] : سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فى أَيْدِى النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ : إِنِّى أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ ، سَمِعْتُ اللهَ [تَعَالَى][٦] يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ شَحِيحٌ ، لا يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ يَدِى شَىْءٌ . فَقَالَ[٧] لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : هَذَا لَيْسَ بِالشُّحِّ الَّذِى ذَكَرَهُ[٨] اللهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ[٩] أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْبُخْلُ ، وَبِئْسَ الشَّىْءُ[١٠] الْبُخْلُ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا كَمَا تَرَى .

---

(١) سورة الأحزاب ، من الآية ١٩ .

(٢) سورة الحشر ، من الآية ٩ . وسورة التغابن ، من الآية ١٦ .

(٣) فى « ط » : « فالشُّحُّ » .

(٤) فى « م » : « عن الكزازة » . والكزازة : التضييق والبُخل .

(٥) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، الحنظلى بالولاء ، التيمىُّ ، المروزىُّ ، أبو عبد الرحمٰن ، شيخ الإسلام ، وقدوة الزاهدين ، ولد سنة ١١٨ هـ أو بعدها بعام ، وأفنى عمره فى الأسفار حاجًّا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه ، والعربية ، حدَّث عنه كثيرون من أهل الأقاليم ، منهم يحيى بن معين ، وعبد الرحمٰن بن مهدى ، وحبان بن موسى ، وغيرهم . وكان من سكان « خُراسان » .. توفى بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم سنة ١٨١ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ - ١٦٩ ، وطبقات الشعرانى ج١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ، والورقة لابن الجرَّاح ص ١٥ - ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٧٨ - ٤٢١ ، والمعارف ص ٥١١ ، وطبقات الفقهاء ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨١ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢١٢] .

(٦) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٧) فى « م » : « فقال : ليس بالشح » .

(٨) فى « م » : « يذكره » .

(٩) فى « م » : « ولكنَّ الشُّحُّ » مكان « فإنه » .

(١٠) فى « م » : « وبئس الاسم » . وفى تفسير القرطبى : « وبئس الشىء » .
[انظر ج ٨ ص ٦٥٠٩] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الشُّحُّ (١) أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَقْبَلِ الإِيمَانَ . وَقَالَ طَاوُوسٌ : الشُّحُّ أَنْ يَبْخَلَ الْمَرْءُ بِمَا فِى أَيْدِى النَّاسِ ، وَالْبُخْلُ أَنْ يَبْخَلَ بِمَا فِى يَدَيْهِ . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) قَالَ : « بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ، وَقَرَى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِى النَّائِبَةِ » (٣) . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ (٤) : مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ الشُّحُّ إِلَى أَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَمَرَ اللهُ بِهِ ، فَقَدْ وَقَاهُ شُحَّ نَفْسِهِ .

وَقَالَ أَبُو التَّيَّاحِ الأَسَدِيُّ (٥) : رَأَيْتُ رَجُلًا فِى الطَّوَافِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ قِنِى شُحَّ نَفْسِى ، لا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسِى لَمْ أَسْرِقْ ، وَلَمْ أَزْنِ . وَلَمْ أَفْعَلْ [شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللهُ تَعَالَى] (٦) ، وَإِذَا الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ ابْنُ عَوْفٍ (٧) .

---

(١) سقطت « الشح » من « م » .

(٢) فى « ط » : عليه الصلاة والسلام .

(٣) الحديث مرويٌّ أيضاً فى المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) هكذا فى « ط » وفى تفسير القرطبى .. وفى « م » : « أبو زيد » .. ولعله يريد به ثابت بن زيد بن النعمان بن مالك ، وكنيته أبو زيد ، صحابى ، وقيل : إنه أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وتوفى فى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ، فوقف عمر على قبره ، وقال : لقد دُفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .. وفيه خلاف .

[انظر تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٥٠٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٦٩] .

(٥) هو : أبو التَّيَّاح يزيد بن حميد ، فقيه ومحدث ثقة .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٣٨ ، و ج ٣ ص ٣٢٥ ، والمعارف ص ٤٦٨ ، وتفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٥٠٩ وفيه : أبو الهياج . خطأً] .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » وساقط من « م » والقرطبى .

(٧) هو : عبد الرحمٰن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد الحارث ، أبو محمد ، الزُّهرىُّ القرشىُّ ، من كبار الصحابة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وكان من الأجواد الشجعان ، ولد حوالى سنة ٤٤ قبل الهجرة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها ، وكان يحترف التجارة . ولما حضرته الوفاة أَوْصَى بألف فَرَسٍ وخمسين ألف دينار فى سبيل الله ، توفى فى المدينة سنة ٣٢ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٢١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٠ — ٤٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٨ — ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٦٨ — ٩٢ ، وطبقات ابن سعد ص ١٣٠ — ١٣٧ ، والمعارف ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ٢٤٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٨ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠] .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبُخْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ أَنْ لا يُخْلِفَ وَلَا يُثِيبَ ، وَهَذَا يُوهِنُ التَّصْدِيقَ بِمَا تَكَفَّلَ اللهُ بِهِ ، وَيَطْرُقُ الْخَلَلَ وَالامْتِنَاعَ إِلَى جَمِيعِ الأَوَامِرِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَالِقِ ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ [١] فى تَرْكِ مُعَاوَنَتِهِمْ وَالنُّصْحِ لَهُمْ . وَقَالَ كِسْرَى لأَصْحَابِهِ : أَىُّ شَىْءٍ أَضَرُّ بِابْنِ آدَمَ ؟ قَالُوا : الْفَقْرُ . فَقَالَ [٢] كِسْرَى : الشُّحُّ أَضَرُّ مِنَ الْفَقْرِ ، لأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحَ لا يَتَّسِعُ أَبَدًا .

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِىُّ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، كَانَ مَعَهُ عَشَرَةُ آلافِ دِينَارٍ ، فَقَالُوا لَهُ : تَشْتَرِى بِهَا ضَيْعَةً ، فَضَرَبَ خَيْمَتَهُ خَارِجَ مَكَّةَ ، وَصَبَّ الدَّنَانِيرَ ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ كَانَ يُعْطِيهِ قَبْضَةً قَبْضَةً ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ قَامَ وَنَفَضَ الثَّوْبَ وَلَمْ يَبْقَ شَىْءٌ . وَلَمَّا قَرُبَتْ وَفَاتُهُ قَالَ : مُرُوا فُلانًا يُغَسِّلُنِى [٣]، وَكَانَ الرَّجُلُ غَائِبًا ، فَلَمَّا قَدِمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ ، فَدَعَا بِتَذْكِرَتِهِ [٤] فَوَجَدَ عَلَيْهِ [٥] سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ دَيْنًا ، فَقَضَاهَا وَقَالَ : هَذَا غَسْلِى إِيَّاهُ .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يُؤْذِىَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى وُجُوهَ الْبَلَدِ [٦] وَقَالَ : يَقُولُ لَكُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَغَدَّوْا الْيَوْمَ عِنْدِى ، فَأَتَوْهُ فَمَلَئُوا الدَّارَ ، فَقَالَ : مَاهَذَا ؟ فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ ، فَأَمَرَ أَنْ تُشْتَرَى الْفَاكِهَةُ [٧] فى الْوَقْتِ ، وَأَمَرَ بِالْخُبْزِ وَالطَّبِيخِ ، فَأَصْلَحَ الْقِرَى ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لِوُكَلائِهِ : أَمَوْجُودٌ لَنَا هَذَا كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَتَغَدَّ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَنَا !

وَمِنَ الْخِصَالِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ، وَلَعَلَّهَا مِنَ الأُصُولِ ، الصَّبْرُ .

* * *

(١) فى « م » : « وبين العبد والخلق » .
(٢) فى « م » : « قال » .
(٣) أوصى بأن يغسله محمد بن عبد الحكم .
(٤) التَّذْكِرَة : ما تُسْتَذْكَرُ به الحاجة .
(٥) فى « م » : « فوجد فيها » .
(٦) وُجُوه البلد : سادته وأشرافه .
(٧) فى « ط » : « الفواكه » .

الْبَابُ الثَّانِى وَالثَّلاثُونَ

فِى الصَّــــبْرِ

الصَّبْرُ زِمَامُ سَائِرِ الْخِصَالِ [1] ، وَزَعِيمُ الغُنْمِ والظَّفَرِ [2] ، وَمَلَاكُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَبِهِ يُنَالُ كُلُّ خَيْرٍ وَمَكْرُمَةٍ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [3] . وَقَالَ [تَعَالَى] [4] : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [5] . فَمُعْظَمُ وَظَائِفِ الدِّينِ ذَكَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ جَزَاءً مَعْلُومًا لِمَنْ أَقَامَهَا ، إِلَّا الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ [مُجَازَاةٌ] [6] بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [7] . قِيلَ : عَنِ الدُّنْيَا . وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ الأَمْرِ جَعَلَهُمُ اللهُ رُؤَسَاءَ ، وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [8] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ

---

(١) فى « م » : « زمام الخصال » .

(٢) الغُنم : الفَوْز بالشىء من غير مشقة . والظَّفَر : الفوز والفلاح . ومِلَاك : قِوَام .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية ١٣٧ .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « ط » فيما سيأتى من قوله : « تعالى » .

(٥) سورة الزُّمَر ، من الآية ١٠ .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٧) سورة السجدة ، من الآية ٢٤ .. وفى « م » خلط الناسخ بين جزء من الآية ٧٣ من سورة الأنبياء وهو — قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ وجاء ببقية الآية من سورة السجدة ، الآية ٢٤ التى معنا ، وهى ﴿ لما صبروا ﴾ .

(٨) سورة الحِجْر ، الآية ٩٧ .

لايُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (١) . وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ (٢) .

ثُمَّ نَدَبَهُمْ إِلَى الصَّبْرِ مَعَ وُجُودِ الأَذَى فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (٣) . فَالصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الأَوَامِرِ وَالْمَكَارِهِ ، وَعَنِ النَّوَاهِي وَالْمَعَاصِي ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ نُودُوا فَقِيلَ لَهُمْ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤) . فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَثَابَهُمْ (٥) جَنَّتَهُ بِصَبْرِهِمْ ، يَعْنِي : صَبَرْتُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَصَبَرْتُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ (٦) اللهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (٧) أَيِ : احْبِسْ نَفْسَكَ [الآيَة] (٨) . فَمِنْ أَمَارَاتِ حُسْنِ التَّوْفِيقِ وَعَلَامَاتِ السَّعَادَةِ الصَّبْرُ فِى الْمُلِمَّاتِ (٩) ، وَالرِّفْقُ عِنْدَ النَّوَازِلِ .

وَفِيمَا يُرْوَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دَاوُدُ ، مَنْ صَبَرَ عَلَيْنَا وَصَلَ إِلَيْنَا . وَقَالَ سُفْيَانُ : بَلَغَنَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةً ، وَثَمَرَةُ الصَّبْرِ الظَّفَرُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠) . فَعَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى (١١) ، يَعْنِي : اصْبِرُوا عَلَى مَافَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ ، وَصَابِرُوا عَدُوَّكُمْ ، وَرَابِطُوا فِيهِ قَوْلَانِ : قِيلَ : رَابِطُوا عَلَى الْجِهَادِ .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٦ .

(٣) تكملة الآية السابقة (١٨٦) من سورة آل عمران .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٤ .

(٥) فى « م » : « أتاهم » .

(٦) فى « م » : « معاصى » .

(٧) سورة الكهف ، من الآية ٢٨ .

(٨) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٩) المُلِمَّات : المصائب والنوازل الشديدة .

(١٠) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(١١) فى « م » : « يعنى التقوى » خطأ من الناسخ .

وَالثَّانِي : رَابِطُوا عَلَى انْتِظَارِ الصَّلَوَاتِ ، بِدَلِيلِ مَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ [١] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَحُطُّ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ [٢] وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ » [٣] .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [٤] قَالَ : ابْتَلَاهُ بِالْكَوْكَبِ فَصَبَرَ [وَبِالْقَمَرِ فَصَبَرَ] [٥] وَابْتَلَاهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ فَصَبَرَ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى] [٦] : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٧] . فَبَدَأَ بِالصَّبْرِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ دُونَ الْمُصَلِّينَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٨] لِلْأَنْصَارِ : « مَا يَكُنْ [٩] عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ [١٠] يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ

---

(١) في « م » : « قال النبي » .

(٢) قوله : « وكثرة الخطا إلى المساجد » عن « ط » ، وهي مذكورة في نص الحديث .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ بشرح النووي ، وابن ماجه في سُننه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ج ١ ص ١٤٨ ، وكتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ج ١ ص ٢٥٥ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل المشي إلى المسجد للصلاة ج ٣ ص ٦٢ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية ١٢٤ .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٧) سورة البقرة ، من الآية ١٥٣ . وفي « م » : « واستعينوا » بالواو . وَهْم وخلط من الناسخ ، إذ أن الواو ذُكرت في الآية الخامسة والأربعين من السورة نفسها .. والآية بتمامها : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ﴾ .

(٨) في « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٩) هكذا في « م » و « ط » وصحيح مسلم .. وفي المُوَطَّأ والبخاري : « ما يكون » . وكلاهما صواب . وسبب هذا الحديث أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ، ﷺ ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ماعنده ، فقال لهم هذا الحديث .

(١٠) مَنْ يَسْتَغْنِ : أي يُظهر الغِنَى .

الله ، وَمَا أُعْطِىَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرٍ أَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ » (١) . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَاأُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) فَشَقَّ عَلَيْهِ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّى لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « قَدْ أُوذِىَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » (٣) .

وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِى عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ لَهَا : « اتَّقِى (٥) اللهَ وَاصْبِرِى » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّى ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمِثْلِ مُصِيبَتِى (٦) ، فَلَمَّا قِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللهِ ، جَاءَتْ إِلَيْهِ تَعْتَذِرُ أَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهُ ، وَقَالَتْ : سَأَصْبِرُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى » (٨) وَيَحْتَمِلُ (٩) هَذَا الْحَدِيثُ وَجْهَيْنِ : أَمَّا الْخَطَّابِىُّ (١٠) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّبْرَ الْمَحْمُودَ عِنْدَ أَوَّلِ

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، وآخره : « ... عطاءً خيرًا وأوسع ... » وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، وآخره : « وما أُعْطِىَ أحد من عطاء خيرٌ وأوسعُ من الصبر » برفع « خير » والتقدير : هو خيرٌ . ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب الصَّدَقة ، باب ما جاء فى التعفف عن المسألة ، والدَّارمى فى كتاب الزكاة ، بابٌ فى الاستعفاف عن المسألة .

(٢) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب من أخبر صاحبه بما يُقال فيه وغيره . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إنْ لَمْ يُعْطَ ، والترمذى فى المناقب .

(٤) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) فى « م » : « اتق » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « بمصيبتى » .

(٧) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ج ٣ ص ١٤٨ من فتح البارى .. ومسلم فى كتاب الجنائز ، باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ج ٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بشرح النووى .

(٩) من قوله : « ويحتمل » إلى قوله : « الصدمة الأولى » عن « ط » وسقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(١٠) فى « ط » : « الطابنى » خطأ ، والتصويب من فتح البارى ، فالقول الذى معنا هنا منسوب له فى المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . وهو : الفقيه المُحَدِّث حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستى ، أبو سليمان الخطابى ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٧٣ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ٣ ص ١٠١٨ - ١٠٢٠] .

نُزُولِ الْمُصِيبَةِ ، وَقَدْ فَاتَكَ بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْقَابِسِيُّ [١] فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّدْمَةَ الْأُولَى [٢] وَقْتُ أَمَرَها النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣] بِالصَّبْرِ . وَكَانَ هَذَا تَعْلِيمًا لِكُلِّ مَنْ فَاتَهُ الصَّبْرُ بِذُهُولٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ غَلَبَةٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤] سُئِلَ عَنِ الإِيمَانِ ، فَقَالَ : « الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ » . وَفِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ : قَالَتِ الصِّحَّةُ : أَنَا لَاحِقَةٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ ، قَالَ الْجُوعُ [٥] وَأَنَا مَعَكِ . قَالَ الإِيمَانُ : أَنَا لَاحِقٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ ، قَالَ الصَّبْرُ : أَنَا مَعَكَ . قَالَ الْمُلْكُ : أَنَا لَاحِقٌ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ، قَالَ الْفَتْكُ : أَنَا مَعَكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ خُرْقٌ [٦] وَمَخْرَجُهَا مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَأَخْرَقُ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ فِى الأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، وَمَثَلُ [٧] ذَلِكَ كَالْقِدْرِ عَلَى النَّارِ ، إِنْ كَانَ مَاؤُهَا [٨] قَلِيلًا غَلَتْ بِيَسِيرٍ مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً لَمْ تَغْلِ [٩] حَتَّى تَكْثُرَ نَارُهَا وَتَطُولَ مُدَّتُهَا . وَفِى كِتَابِ « جَاوِيدَانْ خِرَد » [١٠] وَلَيْس [١١] لِلْعَجَمِ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، قَالَ : مُحَرَّمٌ عَلَى السَّامِعِ

---

(١) هو : الحافظ ، المُحَدِّثُ ، الفقيه الأصوليُّ ، على بن محمد بن خلفٍ المعافرى ، أبو الحَسَن ، من أهل القيروان من قُرى قابس ، ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان ضريراً ، وله كتب غاية فى الصِّحَّة ، وكان يضبطها له ثقات أصحابه ، وكان وَرِعاً زاهدًا تقيًا . توفى - رحمه الله - بالقيروان سنة ٤٠٣ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٠ - ٣٢٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨] .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .

(٣) فى « م » : « عليه السلام » .

(٤) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) فى « م » : « الجزع » تصحيف .

(٦) الخُرْق : الجهلُ والحُمْق .

(٧) فى « م » : « ومثال » .

(٨) فى « م » : « مَلْؤُها » . وفى « ط » : « ماؤُه » . والقِدْر : مؤنثة ، وقد تُذَكَّر .

(٩) فى « م » : « لَمْ يَغْلِ » .

(١٠) جَاوِيدَان : لفظة فارسية معناها : الخالد ، أو الطويل العمر . وخِرَد : العقل والذكاء . وبضم الخاء وسكون الدال : الصغير من كل شيء .
وهذا الكتاب منسوب إلى « هوسنك شاه » وقد عَرَّبه الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، ولخصه أيضاً فى تعريبه . وأورد الشيخ على بن مسكويه هذا الملخص فى كتابه المُسَمَّى بآداب العرب والفُرْس .
[انظر كشف الظنون لحاجى خليفة ج ١ ص ٣٨٧] .

(١١) فى « م » : « ليس » بدون الواو .

تَكْذِيبُ الْقَائِلِ إِلَّا فى ثَلَاثٍ ، هُنَّ غَيْرُ الْحَقِّ : صَبْرُ الْجَاهِلِ عَلَى مَضَضِ الْمُصِيبَةِ ، وَعَاقِلٌ أَبْغَضَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَاةٌ أَحَبَّتْ كَنَّةً [١] .

فصـــل

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى أَقْسَامٍ : صَبْرٌ عَلَى مَاهُوَ كَسْبٌ لِلْعَبْدِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْكَسْبِ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ لِلْعَبْدِ ، فَكَصَبْرِهِ [٢] عَلَى مُقَاسَاةِ [٣] مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حُكْمِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا لَهُ فِيهِ مَشَقَّةٌ ، وَيَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ [٤] عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَأَوَّلُ أَقْسَامِهِ وَأَوْلَاها [٥] : الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَالانْتِهَاءُ عَمَّا [٦] نَهَى عَنْهُ . وَالثَّانِى : الصَّبْرُ عَلَى مَافَاتَ إِدْرَاكُهُ مِنْ مَسَرَّةٍ ، أَوْ تَقَضَّتْ أَوْقَاتُهُ مِنْ مُصِيبَةٍ . وَالثَّالِثُ : الصَّبْرُ فِيمَا يَنْتَظِرُ وُرُودَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى حُدُوثَهُ ، مِنْ رَهْبَةٍ يَخَافُهَا . وَالرَّابِعُ : الصَّبْرُ عَلَى مَانَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلَّ مِنْ أَمْرٍ مَخُوفٍ ، وَجَمِيعُ أَقْسَامِهِ مَحْمُودَةٌ [٧] بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَفِى كُلِّ مِلَّةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ أَوْ كَافِرَةٍ .

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِىّ : مَنْ صَبَرَ ظَفِرَ . وَقَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ [٨] : الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو ، وَالْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لا يَنْبُو [٩] . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : الصَّبْرُ

---

(١) الكَنَّةُ : امرأة الابن .

(٢) فى « م » : « كصبرِهِ » .

(٣) فى « م » : « مقامات » تصحيف .

(٤) فى « م » : « وجُوهٍ أُخَر » .

(٥) فى « م » : « وأَوْلاهُ » .

(٦) فى « م » : « عِمَّن » لا تصح هنا ، إذ أن « مَنْ » اسم موصول للعاقل بعكس « ما » التى تستعمل لغير العاقل .

(٧) فى « ط » : « محمود » .

(٨) فى « ط » : « رضى الله عنه وكَرَّمَ الله وجهه » معاً .

(٩) لا تكبو : لا تنكبُّ على وجهها : وسيف لا ينبو : يصيب الضرب .

الدَّرْكُ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ [(١)] : « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ . وَبِالصَّبْرِ يُتَوَقَّعُ الْفَرَجُ » . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ » . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفْضَلُ الْعُدَّةِ [(٢)] الصَّبْرُ عِنْدَ الشِّدَّةِ . وَقَالَ عَبْدُالْحَمِيدِ الْكَاتِبِ [(٣)] : لَمْ أَسْمَعْ أَعْجَبَ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] [(٤)] : لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ مَطِيَّتَيْنِ [(٥)] مَا بَالَيْتُ أَيُّهُمَا رَكِبْتُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِالصَّبْرِ عَلَى مَوَاقِعِ الْمَكْرُوهِ تُدْرَكُ الْحُظُوظُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِى كِتَابِ : « الْيَتِيمَةِ » [(٦)] : الصَّبْرُ صَبْرَانِ [(٧)] ، فَاللِّئَامُ أَصْبَرُ أَجْسَامًا ، وَالْكِرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا . وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ الْجَسَدِ [(٨)] عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ [(٩)] الْحَمِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ غَلُوبًا ، وَلِلْأُمُورِ مُحْتَمِلًا ، وَلِجَأْشِهِ عِنْدَ الْحِفَاظِ مُرْتَبِطًا [(١٠)] . وَفِى مَنْثُورِ الْحِكْمَةِ : مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيُعِدَّ لِلْمَصَائِبِ قَلْبًا صَبُورًا . وَقَالَ بُزُرْجِمِهْرُ : لَمْ أَرَ ظَهِيرًا [(١١)] عَلَى

---

(١) فى « م » : « عليه السلام » فى الموضعين .

(٢) العُدَّة : ما أُعِدَّ لأمرٍ يحدُثُ .

(٣) هو : عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، العامرى بالولاء المعروف بالكاتب ، عالم بالأدب ، ويُضْرَبُ به المثل فى البلاغة ، سكن الشام ، وصار كاتباً لمروان بن محمد آخر ملوك الدولة الأموية .. توفى سنة ١٣٢ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٨ - ٣٣٢ ، وثمار القلوب ص ١٩٦ - ١٩٩] .

(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٥) فى « م » : « لو كان الشكر والصبر مطيتان » والأخيرة خطأ من الناسخ ، والصواب : « مطيتين » .

(٦) وفى الأدب الكبير أيضاً .

(٧) هكذا فى « م » و « ط » .. والكلام هكذا يبدو مبتورًا ، ففى الأدب الكبير : « الصبرُ صَبْرانِ : صَبْرُ المرءِ على ما يكرَهُ ، وصَبْرُهُ عَمَّا يُحِبُّ ، والصبر على المكروه أكبرهُما وأَشْبَهُهُما - يعنى أمثلُهما - أن يكون صاحبه مضطرًا . وعلم أنَّ اللِّئام أَصْبَرُ أجساداً .. » الخ .

[انظر المصدر السابق ص ١١٠] .

(٨) فى « م » : « الجسم » .

(٩) فى « م » : « وَصف » .

(١٠) الجأش : النفس والقلب .. والمراد : أن يكون ثابتاً عند الشدائد .

(١١) ظهيراً : مُعِيناً .

تَنَقُّلِ الدُّوَلِ كَالصَّبْرِ ، وَلَا مُذِلًّا لِلْحُسَّادِ كَالتَّجَمُّلِ ، وَلَا مَكْسَبَةَ لِلْإِجْلَالِ كَتَوَقِّى الْمُزَاحِ [١] ، وَلَا مَجْلَبَةَ لِلْمَقْتِ كَالإِعْجَابِ ، وَلَا مَتْلَفَةَ لِلْمُرُوءَةِ كَاسْتِعْمَالِ الْهَزْلِ فى مَوْضِعِ الْجِدِّ .

فَأَمَّا الْقِسْمُ الأَوَّلُ [٢] وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى ، وَالِانْتِهَاءُ عَنْ مَحَارِمِهِ ، فَبِهِ يَصِحُّ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَاسْتِكْمَالُ السُّنَنِ ، وَيَدْخُلُ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [٣] . وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . وَقَالَ الْجُنَيْدُ : الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، وَهَجْرُ الْخَلْقِ فى جَنْبِ اللهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللهِ [تَعَالَى] [٤] شَدِيدٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللهِ تَعَالَى شَدِيدٌ . وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ : تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْبِيسٍ [٥] . وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ أَبِى حَبِيبٍ [٦] إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [٧] بَكَى ثُمَّ قَالَ : وَاعَجَبَاهُ ! أَعْطَى وَأَثْنَى [٨] .

وَقَالَ الْخَوَّاصُ [٩] : الصَّبْرُ : الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

---

(١) الْمُزاح : الهَزْل .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « القسم الثانى » خطأ من الناسخ .

(٣) سورة الزُّمر ، من الآية العاشرة .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٥) التعبيس : التَّجَهُّم .

(٦) من رواة الحديث . [انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٢] .

(٧) سورة « ص » من الآية ٤٤ .

(٨) فى « م » : « واعَجَباً » والمراد بقوله : « أعطى » قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منَّا وذكرى لأولى الألباب ﴾ .. وهى الآية الثالثة والأربعون من سورة (ص) والمراد بالثناء ، قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ العبدُ إنه أوَّاب ﴾ .

(٩) هو : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق ، صوفى من أقران الجنيد ، وكان أوحد المشايخ فى وقته ، وُلد فى « سُرَّ مَنْ رَأَى » وتوفى فى جامع الرَّىِّ سنة ٢٩١ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٢٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٤ – ٢٨٧ ، وطبقات الشعرانى ص ٩٧ ، ٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٧ – ١٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٢٥ – ٣٣١ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٧] .

ابْنُ زَيْدٍ [(١)] : مَنْ نَوَى الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى صَبَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَقَوَّاهُ [(٢)] ، وَمَنْ عَزَمَ عَلَى الصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ [تَعَالَى] [(٣)] أَعَانَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ مِنْهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَوْصِنِي . فَقَالَ الْقَاسِمُ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي مَوَاضِعِ الصَّبْرِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ عَمَّا [(٤)] نَهَى اللهُ [تَعَالَى] [(٥)] عَنْهُ ، وَهُوَ الأَفْضَلُ . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الصَّبْرُ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَإِنَّ [(٦)] مَنْ خَافَ شَيْئًا صَبَرَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُ ، وَصَبَرَ عِنْدَ الْكَرَاهِيَةِ لِمَا يَحْذَرُ [(٧)] مِنْ ضَرَرِهِ ، وَمَنْ رَجَا شَيْئًا صَبَرَ عَلَى طَلَبِهِ لِيَظْفَرَ بِهِ [(٨)] .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَافَاتَ إِدْرَاكُهُ مِنْ مَسَرَّةٍ ، أَوْ تَقَضَّتْ أَوْقَاتُهُ مِنْ مُصِيبَةٍ ، فَإِنَّهُ يَتَعَجَّلُ بِهِ الرَّاحَةَ مَعَ اكْتِسَابِ الْمَثُوبَةِ ، فَإِنْ صَبَرَ طَائِعًا اسْتَرَاحَ وَأَحْرَزَ الثَّوَابَ ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ حَمَلَ الْهَمَّ وَالْوِزْرَ [(٩)] . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لِلأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ [(١٠)] : إِنْ تَجْزَعْ فَقَدِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ مِنْكَ بِالرَّحِمِ ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي ثَوَابِ اللهِ تَعَالَى خَلَفٌ مِنَ ابْنِكَ ، وَإِنْ صَبَرْتَ [(١١)] جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ

---

(١) هو : عبد الواحد بن زيد البصرى ، الزاهد ، من رواة الحديث ، وأحد أعلام الصوفية ، لحق الحسن وغيره ، وكان مستجاب الدعوة ، توفى سنة ١٧٧ هـ .
[انظر طبقات الأولياء ص ١٨٣ ، والرسالة القشيرية صفحات متفرقة ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧] .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مَنْ نوى الصبر على طاعة الله عزّ وجلّ صبَّره الله عليها » . وسقط « وقوّاه » منها .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) فى « م » : « عندما » تصحيف .

(٥) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٦) « فإنّ » عن « ط » .

(٧) فى « م » : « وصبر عن كرامته ما يحذر » تحريف .

(٨) ابتداء من هنا إلى قوله : « يتعجل به الراحة » عن « ط » وساقط من « م » سهوًا من الناسخ .

(٩) الوِزْر : الذنب .. وفى « م » : « والوزرة » لا تصح بهذا المعنى .

(١٠) قاله علىٌّ ، كرّم الله وجهه ، يُعزّى الأشعثَ بن قيس ويواسيه عن ابن له .
[انظر نهج البلاغة ص ٥٢٧ ط دار الكتاب اللبنانى] .

(١١) فى « ط » : « إن تصبر » .

مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ (١) . وَنَظَمَهُ أَبُوتَمَّامٍ (٢) فَقَالَ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِى التَّعَازِى لأَشْعَثٍ ... وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ الْمَآثِمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً ... فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَّ الْبَهَائِمِ (٣)
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْعَزَا ... وَتِلْكَ الأَيَامَى لِلْبُكَا وَالْمآتِمِ (٤)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، لِرَجُلٍ : إِنْ صَبَرْتَ مَضَى أَمْرُ اللهِ وَكُنْتَ مَأْجُورًا ، وَإِنْ جَزِعْتَ مَضَى أَمْرُ اللهِ وَكُنْتَ مَأْزُورًا . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللهِ لَوْ كُلِّفْنَا الْجَزَعَ (٥) مَا قُمْنَا بِهِ ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِى آجَرَنَا عَلَى مَا لَوْ نَهَانَا عَنْهُ لَصِرْنَا إِلَيْهِ . وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ ، الْجَزَعُ أَتْعَبُ مِنَ الصَّبْرِ ، فَفِى الْجَزَعِ التَّعَبُ وَالْوِزْرُ ، وَفِى الصَّبْرِ الرَّاحَةُ وَالأَجْرُ . وَلَوْ صُوِّرَ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ لَكَانَ الصَّبْرُ أَحْسَنَ صُورَةً وَأَكْرَمَ طَبِيعَةً ، وَكَانَ الْجَزَعُ أَقْبَحَ صُورَةً وَأَخْوَرَ (٦) طَبِيعَةً ، وَلَكَانَ الصَّبْرُ أَوْلاهُمَا بِالْغَلَبَةِ

---

(١) فى « م » : « جرَى عليك المقدور وأنت مأزور » أى : مقترف للوِزر ، وهو : الذنب .

(٢) هو الشاعر : حبيب بن أوس بن الحارث الطائى ، أحد أمراء البيان ، ولد فى « جاسم » من قُرى « حوران » بسورية ، سنة ١٨٨ هـ . ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدّمه على شعراء عصره .. وله تصانيف ، منها : ديوان الحماسة ، ومختار أشعار القبائل ، ونقائض جرير والأخطل ، والوحشيات ، وغيرها .. توفى سنة ٢٣١ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٦٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١١ – ٢٦ ، وطبقات الشعراء ص ٢٨٢ – ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٤٨ – ٢٥٣ ، والأغانى ج ١٧ ص ٦٢٢٧ – ٦٢٥٠ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢ – ٧٤ ، والموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ج ١] .

وقد وردت هذه الأبيات الثلاثة فى ديوانه ضمن قصيدة من تسعة عشر بيتاً يمدح فيها مالك بن طَوْق ويعزيه عن أخيه القاسم بن طوق .

(٣) هكذا البيت فى « ط » والديوان .. وفى « م » وأدب الدنيا والدين : « خَشْيَةً » بدل « حِسْبَةً » .

[انظر أدب الدنيا والدين ، فى الصبر والجزع ص ٣٤٦] .

(٤) الأَيَامَى : اللائى فَقَدْنَ أَزْوَاجَهُنَّ .. والبيت فى الديوان :

« خلقنا رجالًا للتَّصبُّر والأَسَى .. وتلكَ الغَوانِى للبُكا والمآتِمِ » .

[انظر ديوان أبى تمام ج ٢ ص ٢٥٩ ط دار المعارف] .

(٥) هكذا فى « ط » .. ويقال : كلَّفَهُ الأَمْرَ : أَوْجَبَهُ عليه .. وفى « م » : « والله لو قد كُلِّفنا بالجزع » . والأول أفصح .

(٦) أَخْوَر : أضعف . وفى « م » : « أَجْوَر » أى : أظلم . والأول أَوْجَه .

لِحُسْنِ الْخِلْقَةِ وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَوْ وُكِّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لَلَجَئُوا إِلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ لِلْمَهْدِيِّ [١] : إِنَّ الْمَرْءَ [٢] أَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَالَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِهِ [٣] ، وَأَنْشَدَ :

وَإِذَا تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... عَظُمَتْ مُصِيبَةُ مُبْتَلَى لايَصْبِرُ

وَقَالَ آخَرُ :

وَعُوِّضْتَ أَجْرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلَا تَكُنْ ... فَقِيدُكَ لَايَأْتِى وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ بِمَجْمُوعٍ لَهُ الرُّشْدُ مَنْ تَابَعَ التَّلَهُّفَ عَلَى فَائِتٍ ، أَوْ أَكْثَرَ الْفَرَحَ عِنْدَ مُسْتَطْرَفٍ [٤] . وَقَالَ الْحَكِيمُ : إِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَاتَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَالَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ كُلَّ فَائِتٍ إِلَى انْقِضَاءٍ [٥] حَسُنَ عَزَاؤُهُ عِنْدَ نُزُولِ الْقَضَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَالَ بِالْمَحْزُونِ أَيَّامُ صَبْرِهِ ... كَسَاهُ ضَنًّا طُولُ الْمُقَامِ عَلَى الصَّبْرِ [٦]
وَلَاشَكَّ أَنَّ الصَّبْرَ يُحْمَدُ غِبُّهُ ... وَلَكِنَّ إِنْفَاقِى عَلَيْهِ مِنَ الْعُمْرِ [٧]

وَقَالَ بَعْضُ الْقُدَمَاءِ : الصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالإِشْفَاقِ ، وَالزُّهْدِ [٨] وَالتَّرَقُّبِ ، فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهِدَ فِى الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ أَقْصَرَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ .

---

(١) فى « م » : « المهدى » تصحيف .
(٢) « المرء » عن « ط » .
(٣) هكذا فى « ط » وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « مالا يجد إلى دَفْعِه سبيلا » .
(٤) مُستطْرَف : مُستَحْدث . وفى « ط » : « مُستطرق » .
(٥) فى « ط » : « إلى نُقصانٍ » .
(٦) فى « م » : « ظنًّا » بدل « ضَنًّا » تصحيف من الناسخ .
(٧) يُحمد غِبُّهُ ، أى : آخِرته حميدة .. وفى « م » : « غَيُّه » تصحيف .
(٨) فى « م » : « الزهادة » .

وَأَمَّا (١) الْقِسْمُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ فِيمَا (٢) يَنْتَظِرُ وُرُودَهُ مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى حُدُوثَهُ مِنْ رَهْبَةٍ يَخَافُهَا فَبِالصَّبْرِ وَالتَّلَطُّفِ يَدْفَعُ (٣) عَادِيَةَ مَايَخَافُ ، وَيَنَالُ (٤) نَفْعَ مَا يَرْجُو . قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) : « انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ » (٦) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ (٧) .

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا (٨)

لَاتَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا (٩)

أَخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنُ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا (١٠)

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا « ذفار » (١١) ، فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ فِى خَرَابِهَا إِذْ رَأَيْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرٍ خَرَابٍ :

---

(١) فى « م » : « فَأَمَّا » .

(٢) فى « م » : « على ما » .

(٣) فى « ط » : « تدفع » .

(٤) فى « م » : « ويَتَل » لا تصح .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) فى الترمذى ، فى كتاب الدعوات : « أفضل العبادة انتظار الفرَج » .

(٧) هو : محمد بن بشير بن محمد ، أبو بكر المعافرى ، قاضٍ أندلسى ، من أهل باجة ، كان كاتباً لأحد الوزراء ، حج ولقى أنس بن مالك ، وسمع علماً كثيرًا ، واستقضاه الحَكَم بن هشام بقرطبة ، واستمر فى القضاء إلى أن توفى سنة ١٩٨ هـ . وله شعر فى نفح الطيب وغيره . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٥٢ ، والمغرب فى حُلَى المغرب ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٣٤٧ - ٣٥٣ ، وقضاة قرطبة ص ٧٣ - ٨٨] .

(٨) هكذا البيت فى : « م » وفيها « استَدَّتْ » بدل « انسدت » .. وفى « ط » : « اشتدت » بالشين المعجمة . وفيها : « مارُتِجَا » بدل « ما ارْتَتجَا » والأخيرة بمعنى : استَغْلَق . وفى أدب الدنيا والدين ، والمنهاج : « مطالبها » بدل « مسالكها » وفى العقد الفريد وأدب الدنيا والدين .. « يفتق » مكان « يفتح » .

(٩) هكذا البيت فى « ط » ومنهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » « يأنَسَنَّ » تحريف من الناسخ . والشطرة الثانية فى العقد الفريد : « إذا تضايق أَمْرٌ أن ترى فَرَجا » .

(١٠) أَخْلِقْ : جدير ، أو أَجْدَرْ وأَحْرَى .. ويلج : يدخل .

[انظر الأبيات فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومنهاج اليقين ص ٤٧٦ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٤٨ ط الدار المصرية] .

(١١) هكذا فى « م » و « ط » ولم أقف عليها ، ولعله يريد « ذِمَار » بالميم ، وهى قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، يُنسب إليها نفرٌ من أهل العلم .. أو يريد « دفا » بالدال المهملة والفاء المعجمة ، وهى أيضاً باليمن .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧ مادة « ذمار » و ج ٢ ص ٤٥٨ مادة « دفا »] .

يَا مَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْفِكَرُ ... وَغَيَّرَتْ حَالَهُ الأَيَّامُ وَالْغِيَرُ
أَمَا سَمِعْتَ بِمَا قَدْ قِيلَ فِى مَثَلٍ ... عِنْدَ الإِيَاسِ فَأَيْنَ اللهُ وَالْقَدَرُ (١)
نَمْ لِلْخُطُوبِ إِذَا أَحْدَاثُهَا طَرَقَتْ ... وَاصْبِرْ فَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ بِمَا صَبَرُوا
فَكُلُّ ضِيقٍ سَيَأْتِى بَعْدَهُ سَعَةٌ ... وَكُلُّ فَوْتٍ وَشِيكٌ بَعْدَهُ الظَّفَرُ

وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ بِخَطٍّ آخَرَ : لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ صَبَرَ أُعْقِبَ الظَّفَرَ صَبَرْتُ ، وَلَكِنَّا نَجِدُ الصَّبْرَ فِى الْعَاجِلِ يُفْنِى الْعُمْرَ ، وَيُدْنِى مِنَ الْقَبْرِ ، وَمَا كَانَ أَصْلَحَ لِذِى الْعَقْلِ مَوْتُهُ وَهُوَ طِفْلٌ ، وَالسَّلَامُ . قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتُهُ لَكَتَبْتُ تَحْتَهُ : فِى الصَّبْرِ اسْتِعْجَالُ الرَّاحَةِ ، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ ، وَأَجْرٌ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَفِى الْجَزَعِ اسْتِعْجَالُ الْهَمِّ ، وَنَهْكُ الْبَدَنِ ، وَاسْتِشْعَارُ الْخَيْبَةِ ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ ، وَحَمْلُ الإِثْمِ مَعَ الْعُقُوبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ لِذَوِى الْعُقُولِ (٢) اجْتِنَابَ هَذَا ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى ، وَمَنْ شَكَرَ حَصَّنَ النَّعْمَاءَ (٣) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ... وَكُلُّ شَىْءٍ بِهِ يَهُونُ (٤)
اصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِى ... فَرُبَّمَا سَاعَدَ الْحَرُونُ (٥)
وَرُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ ... مَاقِيلَ هَيْهَاتَ لَايَكُونُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللهُ (٦) : مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَانْتَزَعَهَا

---

(١) فى « م » : « مِنْ مَثَلٍ » .
(٢) فى « ط » : « بذى العقل » .
(٣) النَّعْمَاء : الدَّعَة وطيب العيش .
(٤) فى « ط » : « وكُلُّ شرٍّ به يهون » .
(٥) فى « م » : « الحُزُون » بالزّاى المعجمة ، ومعناها : الناس الغِلاظ الذين خَشُنَتْ معاملتهم . ومفردها : حَزْن .. والحَرُون ، بالراء المهملة : صعب الانقياد . ويقال : فرس حرون : أى : لا ينقاد ، إذا اشتد به الجرى وقف .
(٦) فى « م » : « رحمةُ الله عليه » .

مِنْهُ (١) وَعَوَّضَهُ صَبْرًا إِلَّا كَانَ مَا عَوَّضَهُ أَفْضَلَ مِمَّا انْتَزَعَهُ مِنْهُ . وَقَرأَ : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (٢) . وَرُوِيَ أَنَّ جَارِيَةً كَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣) تَتَصَرَّفُ فِي حَوَائِجِهِ ، فَكُلَّمَا (٤) خَرَجَتْ تَصَدَّى لَهَا خَيَّاطٌ كَانَ بِقُرْبِ دَارِ عَلِيٍّ وَيَقُولُ لَهَا : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكِ فِي اللهِ (٥) فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ شَكَتْهُ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ ، إِذَا قَالَ لَكِ مَرَّةً أُخْرَى فَقُولِي لَهُ : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، مَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ فَعَادَ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ فِيهِ . فَقَالَ لَهَا . تَصْبِرِينَ وَأَصْبِرُ حَتَّى يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . فَرَجَعَتِ (٦) الْجَارِيَةُ وَأَخْبَرَتْ مَوْلَاهَا ، فَدَعَا عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٧) الْخَيَّاطَ ، فَوَجَدَ أَمْرَهُ عَلَى الصِّحَّةِ ، فَوَهَبَهَا لَهُ مَعَ نَفَقَةٍ يَسْتَعِينُ بِهَا .

وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ كَفِيلٌ بِالنَّجَاحِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ لَا يَخِيبُ ظَنُّهُ (٨) ، وَالْعَاقِلُ لَا يَذِلُّ بِأَوَّلِ نَكْبَةٍ ، وَلَا يَفْرَحُ بِأَوَّلِ رِفْعَةٍ . وَكَانَ يُقَالُ : الصَّبْرُ سَلَامَةٌ ، وَالطَّيْشُ نَدَامَةٌ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلَّ مِنْ أَمْرٍ مَخُوفٍ ، فَبِالصَّبْرِ (٩) فِيهِ تَنْفَتِحُ وُجُوهُ الْآرَاءِ ، وَتُتَوَقَّى مَكَايِدُ الْأَعْدَاءِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ (١٠) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا**

---

(١) فى « م » : « عنه » .
(٢) سبق تخريجها .
(٣) فى « م » : « لعليّ رضوان الله عليه » .
(٤) فى « م » : « فلما » .
(٥) فى « ط » : « لله » .
(٦) فى « م » : « ثم رجعتْ » .
(٧) فى « م » : « رضوان الله عليه » .
(٨) فى « ط » : « والتوكل لا يُخيبُهُ » .
(٩) فى « ط » : « فالصبر » .
(١٠) سبق تخريجها .

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢) .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) قَالَ : « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرِّضَا فِى الْيَقِينِ فَافْعَلْ ، وَإِنْ (٤) لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ ، فَإِنَّ فِى الصَّبْرِ عَلَى مَاتَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا (٥) ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ (٦) وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ » (٧) . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مُنَاضِلُ الْحِدْثَانِ (٨) وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ (٩) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ الْأُمُورِ . وَأَنْشَدُوا :

إِنَّمَا أَجْزَعُ مِمَّا أَتَّقِى ... فَإِذَا حَلَّ فَمَا لِى وَالْجَزَعْ

وَلَمَّا حُبِسَ أَبُو أَيُّوبَ فِى الْحَبْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (١٠) ضَاقَتْ حِيلَتُهُ ، وَقَلَّ صَبْرُهُ ، وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَشْكُو طُولَ حَبْسِهِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ جَوَابَ رُقْعَتِهِ (١١) :

صَبْرًا أَبَا أَيُّوبَ صَبْرَ مُبَرَّحٍ ... فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا ؟

إِنَّ الَّذِى عَقَدَ الَّذِى انْعَقَدَتْ بِهِ ... عُقَدُ الْمَكَارِهِ فِيكَ يَمْلِكُ حَلَّهَا

---

(١) سورة النحل ، من الآية ١٢٧ .

(٢) سورة لقمان ، من الآية ١٧ .

(٣) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٤) فى « م » : « فإن » .

(٥) فى « م » و « ط » : « خيرٌ كثير » بالرفع ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) فى « م » : « واعلم أنّ الصبر مع الكرب » .

(٧) الحديث رواه أحمد بن حنبل .

(٨) فى نهج البلاغة : « يناضل » بدل « مناضل » . والحِدْثان : نوائب الدهر ، أى : أنّ الصبر يُدافع نوائب الدهر وحوادثه .

(٩) أى : أن الجزَع – وهو : شدة الفَزَع – يعين على الإضرار بصاحبه .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٧٠٥ ط دار البلاغة] .

(١٠) فى « م » : « خمسة عشرة سنة » خطأ من الناسخ ، وأبو أيوب هو : أبو أيوب الموريانى ، سليمان بن أبى سليمان ، مخلد . كان وزيرًا لأبى جعفر المنصور . [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان . ج ٢ ص ٤١٠ – ٤١٤] .

(١١) فى « م » : « وكتب إلى بعض إخوانه يقول » .

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُ رَاحَةً ... فَلَعَلَّهَا أَنْ تَنْجَلِى وَلَعَلَّهَا (١)

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَبُو أَيُّوبَ (٢) كَتَبَ إِلَيْهِ :

صَبَّرْتَنِى وَوَعَظْتَنِى فَأَنَا لَهَا ... وَسَتَنْجَلِى بَلْ لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا
وَيَحُلُّهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِهَا ... كَرَمًا بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَّهَا

فَمَا لَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُطْلِقَ مُكْرَمًا . وَلِتَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ (٣) :

سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنَّنِى ... أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ فُلُولُ (٤)
عَذَابِىَ أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنَّنِى ... عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلُ (٥)
وَإِنَّ الَّذِى يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ ... وَيَسْخُو بِمَا فى نَفْسِهِ لَجَهُولُ (٦)

وَأَنْشَدُوا :

دَعِ الدَّهْرَ يَجْرِى بِأَقْدَارِهِ ... وَيَقْضِى عَجَائِبَ أَوْطَارِهِ (٧)
وَنَمْ نَوْمَةً عَنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ ... وَخَلِّ الزَّمَانَ بِتَدْوَارِهِ

---

(١) فى « م » : « ولعلّها أن تنجلى » .

(٢) فى « م » : « أبا أيوب » لا تصح .

(٣) فى « م » : « المعتز » تصحيف . وهو : تميم بن المُعِزّ بن المنصور بن القائم بن المهدى الفاطمى ، أبو على أمير ، وُلد سنة ٣٣٧ هـ ، وكان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، فَرُبِّىَ فى أحضان النعيم ، ومال إلى الأدب ونظم الشعر الرقيق ، وله ديوان شعر مطبوع . وكان فاضلاً ، ولَمْ يَلِ المملكة ، لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار وتوفى بمصر سنة ٣٧٤ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١ – ٣٠٣ ، والحلة السيراء ج ١ ص ٢٩١ – ٣٠١ ، وعصر الدول والإمارات – مصر والشام – ص ٣٠٦ – ٣١١] .

(٤) الفُلول : الكسور فى حد السيف .. وهذا البيت هو البيت الأخير من قطعة مكونة من ستة أبيات فى الديوان .
[انظر ديوان تميم بن المعز ص ٣٢٦ ط دار الكتب] .

(٥) ترتيب هذا البيت هو الرابع فى القطعة السابقة من الديوان ، والشطرة الأولى منه : « عدانى إلى الشكوى إلى الناس أننى » .

(٦) وهذا هو البيت الثالث فى القطعة المشار إليها ، والشطرة الأولى منه : « وإنَّ امرأً يشكو إلى غير نافع » .. وفى « م » : « وَإِنِ امرؤٌ » خطأٌ من الناسخ ، فبهذه الصورة الأخيرة ينكسر وزن البيت .

(٧) فى « م » : « بجرى بمقداره » .

فَإِنَّكَ تَرْحَمُ مَنْ قَدْ غَبِطْتَ ... وَتَعْجَبُ مِنْ قُبْحِ آثَارِهِ (١)

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ :

وَيَمْنَعُنِي الشَّكْوَى إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي ... عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلُ

وَيَمْنَعُنِي الشَّكْوَى إِلَى اللهِ أَنَّهُ ... عَلِيمٌ بِمَا أَلْقَاهُ قَبْلَ أَقُولُ (٢)

وَلِآخَرَ :

إِذَا ابْتُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِى يَكْشِفُ الْبَلْوَى هُوَ اللهُ

الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لَا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللهُ

إِذَا قَضَى اللهُ فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ ... مَا لِامْرِئٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللهُ

وَصُرِّفَ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ : صَابِرٌ ، وَصَبُورٌ ، وَصَبَّارٌ ، وَمُتَصَبِّرٌ . فَالْمُتَصَبِّرُ : مَنْ صَبَّرَ فِى اللهِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، فَتَارَةً يَعْجَزُ ، وَتَارَةً يَصْبِرُ . وَالصَّابِرُ : مَنْ لَا يَشْكُو وَلَا يَعْجَزُ . وَالصَّبَّارُ : الَّذِى لَوْ دُفِعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُهُ فِى الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْ وَجْهِهِ الرَّسْمُ وَالْبَشَرِيَّةُ وَالْخِلْقَةُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

صَابَرَ الصَّبْرَ فَاسْتَغَاثَ بِهِ الصَّبْـ ... ـرُ فَصَاحَ الصَّبُورُ يَا صَبْرُ صَبْرًا

وَهَذَا أَقْوَى بَيْتٍ قِيلَ فِى الصَّبْرِ وَأَحْسَنُهُ ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صَبْرًا أَصَارَنِى ... إِلَى أَنْ يُنَادِى الْحَالُ لَا صَبْرَ لِلصَّبْرِ

وَالصَّبُورُ : هُوَ الثَّابِتُ عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ . وَقِيلَ : أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِى ، وَإِنَّ مِنْ أَخْلَاقِى أَنِّى أَنَا الصَّبُورُ . وَيُقَالُ : الصَّبْرُ للهِ

---

(١) فى « م » : « وتضحك من سوء آثاره » . وغَبَطت : تمنيت مثل ما عنده من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) فى « م » : « عليمٌ بما أُبديه » .

غِنًى (١) ، وَالصَّبْرُ بِاللهِ تُقًى (٢) ، وَالصَّبْرُ فى اللهِ بَلَاءٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللهِ وَفَاءٌ (٣) ، وَالصَّبْرُ عَنِ اللهِ جَفَاءٌ . وَأَنْشَدُوا :

إِذَا لَعِبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ شَىْءٍ ... رَأَيْتُ الْحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّى ... بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مَعَ الشِّمَالِ

وَقَالَ الْمُحَاسِبِىُّ (٤) : بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ حَالَةٌ هِىَ : التَّنَعُّمُ ، وَذَلِكَ (٥) إِذَا رَفَعَ اللهُ لَهُ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الآخِرَةِ يَدُلُّهُ عَلَى مَنَازِلِ الصَّابِرِينَ عِنْدَهُ ، فَيَتَنَعَّمُ الْقَلْبُ بِسُرُورِ النَّعِيمِ (٦) . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِىُّ (٧) : الصَّبْرُ هُوَ : أَلَّا تُفَرِّقَ (٨) بَيْنَ حَالِ النِّعْمَةِ

---

(١) فى « م » : « غِنَاء » . والصبر لله تُشْعِرُ الاستقلال بالفعل .

(٢) فى « م » : « بقاء » . والصبر بالله تُؤذن بالتبرى من الحول والقوة .

[انظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٤] .

(٣) فى « م » : « وقارٌ » .

(٤) هو : الحارث بن أسد المحاسبى ، أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٥٣ ، وطبقات الصوفية ص ٥٦ – ٦٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٧٣ – ١٠٩ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ – ٢١٦ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٨ – ٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١١٠ – ١١٢ ، وطبقات الأولياء ص ١٧٥ – ١٧٧] .

(٥) فى « م » : « وكان » بدل « وذلك » .

(٦) فى « م » : « النِّعَم » .

(٧) فى « م » : « الحارث » بدل « الجريرى » تصحيف . وقد ورد هذا القول منسوباً إليه فى الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٦ باب الصبر . وهو : أحمد بن محمد بن الحسين ، أبو محمد الجريرى ، والأخير نسبة إلى جرير بن عباد من بنى بكر بن وائل ، وقد غلبت عليه كنيته ، وهو من كبار مشايخ الصوفية ، وكان عالماً بعلومهم ، صحب الجنيد ، وسهل بن عبد الله ، وأُقعد مكان الجنيد بعد وفاته لغزارة علمه ، توفى – رحمه الله – سنة ٣١١ هـ .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٩ – ٢٦٤ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٣٠ – ٤٣٤ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥] .

(٨) فى « م » : « الصبر أَلَّا تُفَرِّق » .

وَالْمِحْنَةِ مَعَ سُكُونِ الْخَاطِرِ فِيهِمَا . وَالصَّبْرُ (١) هُوَ السُّكُونُ مَعَ الْبَلَاءِ مَعَ وُجْدَانِ أَثْقَالِ الْمَحَبَّةِ (٢) . وَأَنْشَدُوا :

صَبَرْتُ وَلَمْ أُطْلِعْ هَوَاكَ عَلَى صَبْرِى ... وَأَخْفَيْتُ مَابِى مِنْكَ عَنْ مَوْضِعِ السِّرِّ
مَخَافَةَ أَنْ يَشْكُو ضَمِيرِى صَبَابَتِى ... إِلَى دَمْعَتِى سِرًّا فَتَجْرِى وَلَا أَدْرِى

وَقِيلَ لِلْمُحَاسِبِىِّ : بِمَاذَا يَقْوَى الصَّابِرُ عَلَى صَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ فى صَبْرِكَ رِضَا مَوْلَاكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَكِيمِ :

رَضِيتُ وَقَدْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِى ... مِنَ الأَمْرِ مَافِيهِ رِضَا صَاحِبِ الأَمْرِ (٣)

وَفِى مَعْنَاهُ :

سَأَصْبِرُ كَىْ تَرْضَى وَأَتْلَفُ حَسْرَةً ... وَحَسْبِىَ أَنْ تَرْضَى وَيُتْلِفَنِى صَبْرِى (٤)

قَالَ شَيْخُنَا : وَثُكْلُكَ (٥) لِمَنْ تُحِبُّهُ أَعْظَمُ مِنْ ثُكْلِكَ لِنَفْسِكَ ، هَذَا أَيُّوبُ لَمَّا أُصِيبَ بِنَفْسِهِ قَالَ : ﴿ مَسَّنِىَ الضُّرُّ ﴾ . وَيَعْقُوبُ لَمَّا أُصِيبَ بِحَبِيبِهِ قَالَ : ﴿ **وَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ** ﴾ . قَالَ أَحْمَدُ (٦) : قَالَ لِى أَبُوسُلَيْمَان الدَّارَانِىُّ (٧) : أَتَدْرِى بِمَاذَا (٨) أَزَالَ الْعُقَلَاءُ

---

(١) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى الرسالة القشيرية : « والتَّصَبُّرُ » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مع وجدان البلاء وأثقال المحبة » وفى الرسالة القشيرية : « المحنة » بالنون ، بدل « المحبة » .

(٣) سقط « مافيه » من « م » سهوًا من الناسخ .

(٤) البيت فى الرسالة القشيرية منسوب لابن عطاء . [انظر ج ١ ص ٤٥٦] .

(٥) الثُّكل : فَقْدُ الحبيب .

(٦) هو : أحمد بن أبى الحوارى . وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هو : عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العَنْسِىُّ ، أبو سليمان الدَّارانى ، من أهل « داريًا » بغوطة دمشق ... زاهد مشهور ، ومن كبار المتصوفين ، ولد فى حدود ١٤٠ هـ . ورحل إلى بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفى بداريا سنة ٢١٥ هـ . والنسبة إليها على غير قياس .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٧٥ - ٨٢ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣ ، وفيها وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٦ - ٩٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٨٢ - ١٨٦] .

(٨) فى « م » : « بما » خطأ ، والصواب : « بِمَ » بحذف الألف .. أو « بماذا » .

اللَّائِمَةَ (١) عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ابْتَلَاهُمْ بِذَلِكَ فَصَبَرُوا . وَيُرْوَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ : أَنْزَلْتُ (٢) بِعَبْدِى بَلَائِى ، فَدَعَانِى ، فَمَاطَلْتُهُ بِالإِجَابَةِ ، فَشَكَانِى ، فَقُلْتُ : عَبْدِى ، كَيْفَ (٣) أَرْحَمُكَ مِنْ شَىْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ ؟ وَقِيلَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (٤) إِنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِى لَاشَكْوَى فِيهِ وَلَابَثَّ (٥) . قَالَ أَنَسٌ : مَاصَبَرَ مَنْ بَثَّ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : لَا تَسْتَغْزِرُوا (٦) الدُّمُوعَ بِالتَّذَكُّرِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

* وَلَا يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ (٧) *

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى عِظَمِ الأَسَى وَشِدَّةِ الْجَزَعِ (٨) تَذَكُّرُ الْمَسَارِّ الْمُنْقَضِيَةِ ، وَتَصَوُّرُ (٩) الْمَضَارِّ الذَّاهِبَةِ ، وَكَثْرَةُ الشَّكْوَى [وَالأَسَفِ] . وَقَالَ (١٠) الشَّاعِرُ :

لا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ وَارْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ لا الْمَخْلُوقِ
لا يَخْرُجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ (١١)

---

(١) اللَّائمة : اللَّوْم .

(٢) هكذا فى « م » والرسالة القشرية « ج ١ ص ٤٦١ » .. وفى « ط » : « إذا أنزلْتُ » .

(٣) هكذا فى « م » والرسالة القشرية .. وسقطت « كيف » من « ط » .

(٤) سورة المعارج ، الآية الخامسة .

(٥) فى « م » : « لابثَّ فيه ولا شكوى » . والبث : شدة الحُزْن .

(٦) أى : لا تطلبوا غَزارتها وكثرتها .. وفى أدب الدنيا والدين : « لا تستفزُّوا » أى : لا تخرجوها بتذكُّرِ ما أُصِبْتُم به ، بل اجتهدوا فى تناسيه .

[انظر المرجع السابق ، فى الصبر والجزع ص ٣٥٥] .

(٧) الشطرة الأولى من البيت : « سَيِعْنَ بهيجاً أَوْ جَفَتْ فَذَكَّرْنَهُ » . يعنى : سَمِعْنَ كلمة بشارة ووصلة أطارت فؤادهن ، وأذهبتْ عقولهن لمَّا ذكَرْنَ ما كانت لهن من تلك الوصلة ، فَحَزِنَّ على انقطاعها وفواتها .. ولا يبعث الأحزان ، أى : لا يثيرها ولا يحركها شىء مثل التذكُّر .

[انظر منهاج اليقين ص ٤٨٥] .

(٨) فى « م » : « وشدة الحسرة » .

(٩) فى « م » : « وتصرُّف » أىْ : تقلُّب وتوالى .

(١٠) فى « م » : « قال » . وما بين المعقوفتين عن « ط » .. والشعر فى أدب الدنيا والدين غير منسوب لقائل ، وهو من الرجز المشطور .

(١١) يريد : أنَّ كل المخلوقات غَرْقَى فى بحر المصائب والنوائب ، فَعَلَى الإنسان حينما يُصاب أو يُبْتَلى بشىء ، ألا يلجأ إلّا إلى الله – عَزَّ وجَلَّ – فى كشف الضُّرِّ عنه .

وَفِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ : الْمُصِيبَةُ بِالصَّبْرِ أَعْظَمُ الْمُصِيبَتَيْنِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّةٍ إِلَّا وَنَالَ مَايَرْجُوهُ مِنْ فَرَجٍ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ ، أَوْ كَانَ فِي شِدَّةٍ أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْفَلَ [١] عَنْ تَذَكُّرِ مَايَتَيَقَّنُهُ مِنْ وُجُوبِ الْفَنَاءِ ، وَتَقَضِّي الْمَسَارِّ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لادَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لا عِلْمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لافِقْهَ لَهُ ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لاثِقَةَ لَهُ ، مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقِمَ ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا بَرِمَ ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ، حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمُتَشَابِهُهَا عِتَابٌ ، لا خَيْرُهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرُّهَا يَبْقَى ، وَلَا فِيهَا لِمَخْلُوقٍ بَقَاءٌ ، فَإِذَا تُصُوِّرَ [٢] حَقِيقَتُهَا فَحِينَئِذٍ يَرَى [٣] الْحَوَادِثَ سَهْلَةً ، وَالْمَصَائِبَ هَيِّنَةً . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يُمَثِّلُ ذُو اللُّبِّ فِي نَفْسِهِ ... مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا [٤]
فَإِنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لَمْ تَرُعْهُ ... لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَّلَا [٥]
رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ ... فَصَيَّـرَ آخِـرَهُ أَوَّلَا [٦]

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ حَاذَرَ لَمْ يُخْدَعْ ، وَمَنْ رَاقَبَ لَمْ يَهْلَعْ [٧] ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَقِّعًا لَمْ يُلْفَ مُتَوَجِّعًا ، وَمَنْ لَمْ يُشْعِرْ نَفْسَهُ مَا ذَكَرْنَا [٨] — مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَتَقَضِّي الْمَسَارِّ [٩] ثُمَّ الثَّوَاءِ فِي اللُّحُودِ [١٠] بَيْنَ أَطْبَاقِ

---

(١) فى « م » : « يعنى تسهيلها على نفسه فلا يغفل » .
(٢) فى « م » : « تَصَوَّرْتَ » .
(٣) فى « م » : « ترى » .
(٤) فى « م » : « ذا » بدل « ذو » خطأ . والشطرة الثانية فى « ط » : « مصائب مِنْ قَبْل أن تنزلا » .. وفى العقد الفريد « ج ٢ ص ١١٦ » : « العقل » بدل « اللُّبّ » وهما بمعنى واحدٍ .
(٥) بغتة : فجأة من غير توقُّع .. ولَمْ تَرُعْهُ : لم تُخِفْهُ .
(٦) هكذا البيت فى « م » و « ط » ونفح الطِّيب « ج ٩ ص ٤٤ » .. وفى العقد الفريد : « الهَمّ » بدل « الأمر » .
(٧) لَمْ يَهْلَعْ : لم يكن شديد الجزَع .
(٨) فى « م » : « ما ذكرناه » .
(٩)تَقَضِّي المسَارّ : فناء اللَّذّات ، وكل ما يُسَرُّ الإنسان به .. وفى « م » بعد ذلك ، كرر الناسخ – سهوًا ما سبق من قوله : « فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له .. » الخ .
(١٠) فى « م » : « الثَّوى » وهى بمعناها . والثواء فى اللحود : الإقامة والاستقرار فى القبور بعد الموت .

التُّربِ (١) وَالْجَنَادِلِ ، قَدْ فَارَقَهُ الأَحِبَّاءُ ، وَأَسْلَمَهُ الأَوْلِيَاءُ (٢) ، وَهَجَرَهُ الْقُرَبَاءُ وَالْبُعَدَاءُ — أَلْفَتْهُ (٣) الْحَوَادِثُ وَابِقًا فَسَلَبَتْهُ الصَّبْرَ ، وَضَاعَفَتْ عَلَيْهِ الأَسَى . وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيّ (٤) :

إِنَّ الْبَلاَءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ ... فَإِذَا تَضَاعَفَ فَهْوَ غَيْرُ مُطَاقِ (٥)

وَأَنْشَدُوا (٦) :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتَّى أَلِفْتُهُ ... وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ

وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى ... وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

وَحَسَّنَ لِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... لِعِلْمِي بِصُنْعِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي (٧)

وَلِبَعْضِ الأَعْرَابِ :

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ ... وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ (٨)

---

(١) التُّرب : التراب . وفى « م » : « الثرى » .

(٢) قوله : « وأسلمه الأولياء » عن « م » .

(٣) فى « م » : « أَلْقَتْه » بالقاف . تصحيف .. وأَلْفَتْهُ الحوادثُ وَابِقاً ، أَيْ : وجَدَتْهُ واقعاً فيها ، أو هالكاً بسببها .

(٤) هو : على بن العباس بن جُرَيْج ، أو جُورْجيس ، أبو الحسن ، شاعر كبير من طبقة بشّار بن بُرْد والمتنبى ، رومى الأصل ، كان جده من موالى بنى العباس ، ولد سنة ٢٢١ هـ ونشأ ببغداد ، وكان شاعرًا هجَّاءً ، وله قصائد مطولة بديعة ، وكان يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها فى أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية .. توفى ببغداد سنة ٢٨٣ هـ وقيل : مات مسموماً . وله ديوان شعر مطبوع .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٨ — ٣٦٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٣ - ٢٦ ، ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ورسالة الغفران ص ٤٧٦ — ٤٧٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٩٩ — ٣٠١] .

(٥) الشطرة الثانية من البيت فى أدب الدنيا والدين : « فَإِذا تضاعَفَ صارَ غيرَ مُطاقِ » .

(٦) كرر الناسخ فى « م » هذا الفعل سهوًا .

(٧) هذا البيت فى الجزء الأول من وفيات الأعيان ص ٢٢٤ :

وَصَيَّرَنِى يَأْسِى مِنَ النَّاسِ وَاثِقاً ... بِحُسْنِ صَنِيعِ اللهِ مِن حيث لا أدرى

(٨) وفى حاشية « م » : « تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ .. » بجانب تَعَزَّ .. ومُعَوَّل : حُزن أو عويل .. ورَيْبُ الزَّمان : أحداثه وصروفه .

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى الْمَرْءُ جَازِعًا   لِنَائِبَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِى التَّبَذُّلُ (١)

لَكَانَ التَّعَزِّى عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ   وَنَازِلَةٍ بِالْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ (٢)

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ   وَمَا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللهُ مَرْحَلُ (٣)

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ   بِبُؤْسٍ وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ (٤)

فَمَا لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبَةً   وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّذِى لَيْسَ يَجْمُلُ (٥)

وَلَكِنْ وَجَدْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً   تُحَمَّلُ مَالَا تَسْتَطِيعُ فَتَحْمِلُ (٦)

وَقَيْنَا بِفَضْلِ اللهِ مِنَّا نُفُوسَنَا   فَصَحَّتْ لَنَا الأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُزَّلُ (٧)

* * *

تم الجزء الأول من كتاب « سراج الملوك » ، بتجزئة محققه - غفر الله له -
ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثانى ، وأوله الباب الثالث والثلاثون
« فى كتمان السر »

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الأمالى لأبى علىّ القالى - ج ١ ص ١٧١ : « لِنَازِلَةٍ » مكان « لنائبة » وهى بمعناها . « والتذلّل » . مكان « التبذّل » .

(٢) هكذا البيت فى « ط » والأمالى .. وفى « م » : « ونائبة » مكان « « ونازلة » . وربما أتى بها الناسخ سهوًا ، وقد وردت فى البيت السابق .

(٣) هكذا البيت فى « ط » .. والحِمَام : قضاء الموت وقَدَرُه .. والمَرْحَلُ : المكان يُرْحَلُ إليه .. وفى « م » : « مَعْدِل » أى : مَصْرِف . وفى الأمالى : « مَزْحَل » بالزاى المعجمة ، أى : مَلْجأ .. وكلها تؤدى المعنى .

(٤) النُّعْمَى : النَّعْمَاء وطيب العَيْش .

(٥) فى « م » : « فتاة » بدل « قناة » تصحيف .

(٦) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » والأمالى : « رَحَلْنَاها » مكان « وجدناها » أى : رُضْنَاها وصَيَّرْنَاها .. وفى الأمالى أيضاً : « يُسْتَطَاع » بالبناء للمجهول ، بدل « تستطيع » .

(٧) الشطرة الأولى من البيت فى الأمالى : « وقَيْنَا بِعَزْمِ الصبْرِ منّا نُفوسَنا » . والأَعْرَاض : ما يطرأ ويزول من مَرَض ونحوه .. وصَحَّتْ : بَرِئَتْ من المرض والعيوب .. وهُزَّل : ضُعفاء .





رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



سراج الملوك

للإمام الزاهد

أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي

٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه ووضع فهارسه

محمد فتحي أبو بكر

تقديم

دكتور شوقي ضيف

المجلد الثاني

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الْبَابُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ

فى كِتْمَانِ السِّرِّ

قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ (١) ، فَلَمَّا أَفْشَى يُوسُفُ رُؤْيَاهُ بِمَشْهَدِ امْرَأَةِ يَعْقُوبَ أَخْبَرَتْ إِخْوَتَهُ ، فَحَلَّ بِهِ مَاحَلَّ . وَفِي الْحَدِيثِ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِى نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ كِتْمَانَ السِّرِّ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فى جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَمِنَ اللَّوَازِمِ فى حُقُوقِ الْمُلُوكِ (٢) ، وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْوُزَرَاءِ وَجُلَسَاءِ (٣) الْمُلُوكِ وَالأَتْبَاعِ . قَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤) : سِرُّكَ أَسِيرُكَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أُمَنَاءَ الأَسْرَارِ أَشَدُّ تَعَذُّرًا وَأَقَلُّ وُجُودًا مِنْ أُمَنَاءِ الأَمْوَالِ ، وَحِفْظَ الأَمْوَالِ أَيْسَرُ مِنْ كَتْمِ الأَسْرَارِ ، فَإِنَّ أَحْرَازَ الأَمْوَالِ مَنِيعَةٌ بِالأَبْوابِ وَالأَقْفَالِ ، وَأَحْرَازَ الأَسْرَارِ

---

(١) سورة يوسف ، من الآية الخامسة .

(٢) فى « م » : « فى جميع الحقوق للملوك » .

(٣) فى « م » : « والجُلساء » .

(٤) قوله : « علىٌّ رضى الله عنه » عن « ط » وأدب الدنيا والدين .. وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ .
[انظر المرجع السابق – الفصل الرابع من الباب الخامس – فى كتمان السِّرّ ص ٣٦٧ ، ومنهاج اليقين ص ٤٩٨] .

زَةٌ يُذِيعُهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ ، وَيُشِيعُهَا كَلَامٌ سَابِقٌ . وَعِبْءُ الأَسْرَارِ أَثْقَلُ مِنْ عِبْءِ [١] مْوَالِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَسْتَقِلُّ بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ يَحْمِلُهُ وَيَمْشِي بِهِ وَيُقِلُّهُ [٢] وَلَا يَسْتَطِيعُ مَ السِّرِّ . وَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ سِرُّهُ فِى قَلْبِهِ ، فَيَلْحَقُهُ مِنَ الْقَلَقِ وَالْكَرْبِ مَالَا يَلْحَقُهُ مْلِ الأَثْقَالِ ، فَإِذَا أَذَاعَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ ، وَسَكَنَ جَأْشُهُ ، وَكَأَنَّمَا أَلْقَى عَنْ نَفْسِهِ بْلًا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، وَالشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا ، وَالأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا [٣] ، يَحْفَظْ كُلُّ امْرِئٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ الأُمُورِ [٤] أَنَّ أَغْلَاقَ [٥] الدُّنْيَا كُلَّمَا ثُرَتْ خُزَّانُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا ، إِلَّا السِّرَّ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ خُزَّانُهُ كَانَ أَضْيَعَ لَهُ . وَكَمْ نْ إِظْهَارِ سِرٍّ أَرَاقَ دَمَ صَاحِبِهِ ، وَمَنَعَ مِنْ بُلُوغِ مَآرِبِهِ ، وَلَوْ كَتَمَهُ أَمِنَ مِنْ سَطَوَاتِهِ . لَ أَنُوشِرْوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ [٦] : الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ ، وَالسَّلَامَةُ نَ السَّطَوَاتِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ [٧] فَلَا تُجْرِهِ فِى غَيْرِ أَوْدَاجِكَ ، إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ .

وَكَانَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، كَاتِبٌ يُقَالُ لَهُ حُمْرَانُ [٨] ، فَاشْتَكَى

---

(١) فى « م » : « غِبّ » فى الموضعين .. تصحيف .

(٢) يُقِلُّه : مِنْ : أَقَلَّ الشَّىْء ، إذا حَمَلَهُ ورفعه . وهو عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) فى « ط » : « مفتاحها » .

(٤) فى « م » : « ومن العجائب » .

(٥) الأغلاق : الأقفال التى تحفظ ما بداخلها . جمع غَلَق .

(٦) فى « م » : « حالتان » .

(٧) فى « م » : « سِرُّك أسيرك وهو من دمك » .

(٨) فى « م » : « اسمه حُمْران » وهو حُمران بن أبان بن عمرو ، ويكنى أبا زيد ، وكان يهوديًّا ، وسُبِىَ فى « عين التمر » أيام أبى بكر ، واشتراه عثمان وأعتقه ، وصار يكتب بين يديه ، ثم غضب عليه فأخرجه إلى البصرة فكان عامله بها . ولمّا قدم الحجاج البصرة آذاه وأخذ منه مائة ألف درهم ، فكتب حمران إلى عبد الملك بن مروان يشكوه ، فأمر عبد الملك الحجاج أن يرد عليه ماله ويُحسن مجاورته .

[انظر المعارف ص ٤٣٥ ، ٤٣٦] .

عُثْمَانُ (١) فَقَالَ : اكْتُبِ الْعَهْدَ بَعْدِى لِعَبْدِ الرَّحْمـٰنِ بْنِ عَوْفٍ . فَقَالَ حُمْرَانُ لِعَبْدِ الرَّحْمـٰنِ : الْبُشْرَى . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمـٰنِ : لَكَ الْبُشْرَى (٢) بِمَاذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمـٰنِ فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أُعَاهِدُ اللهَ أَنْ لا يُسَاكِنَنِى حُمْرَانُ أَبَدًا ، وَنَفَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ كِتْمَانَ الأَسْرَارِ (٣) يَدُلُّ عَلَى جَوَاهِرِ الرِّجَالِ ، وَكَمَا أَنَّهُ لاخَيْرَ فى آنِيَةٍ لا تُمْسِكُ مَا فِيهَا ، فَلَا خَيْرَ فى إِنْسَانٍ لا يُمْسِكُ سِرَّهُ (٤) . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَ سِرَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَفَهِمْتَ ؟ قَالَ : بَلْ جَهِلْتُ . قَالَ : أَحَفِظْتَ ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : كَيْفَ كَتْمُكَ لِلسِّرِّ ؟ قَالَ : أَجْحَدُ الْمُخْبِرَ (٥) ، وَأَحْلِفُ لِلْمُسْتَخْبِرِ (٦) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى كِتْمَانِ مَا اشْتَمَلَتْ ... مِنِّى الضُّلُوعُ عَلَى الأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ (٧)

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ ... إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

قَالَ شَيْخُنَا : وَمِنْ أَحْسَنِ شَىْءٍ سَمِعْتُهُ (٨) فى كِتْمَانِ السِّرِّ ، مَا أَنْشَدَنِيهِ بَعْضُ فُقَهَاءِ الْبَصْرَةِ (٩) بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ :

---

(١) أى : مَرِضَ .

(٢) قوله « لك البُشْرَى » عن « ط » .

(٣) فى « م » : « كتمان السِّرّ » .

(٤) فى « م » : « يملك بسرِّه » تحريف .

(٥) أى : أنكرهُ عن الذى ينقله إلى الناس .. وفى أدب الدنيا والدين : « أجحد المُخبر » من الجحود ، وهو إنكار الأمر مع العلم به .

(٦) أى : أَحْلِفُ – لغوًا – لِمَنْ يسألنى عنه بأننى لا أعرفه .

(٧) فى « م » : « ولقد كتمتُ » بدل « ولو قدرتُ » تحريف من الناسخ ... والبيتان من البسيط ، والشاعر فيهما يتحسر على عدم قدرته على النسيان فيقول : لو استطعت نسيان ما احتوته جوانحى من الأسرار والأخبار لكنت أول من ينسى سرائره ، إذ كنت من شر حفظها على خطر إذاعتها يوماً من الأيام .

(٨) فى « م » : « لا سمعتُ » .

(٩) فى « م » : « فقهاء البصريين » .

وَلَهَا سَرَائِرُ فى الضَّمِيرِ طَوَيْتَهَا   نَسِيَ الضَّمِيرُ بِأَنَّهَا فى طَيِّهِ [١]

وَفِى مَعْنَاهُ :

وَمُسْتَوْدِعِى سِرًّا كَتَمْتُ مَكَانَهُ   عَنِ الْحِسِّ خَوْفًا أَنْ يَنُمَّ بِهِ الْحِسُّ [٢]
وَخِفْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شُهْرَةً   فَأَوْدَعْتُهُ فى حَيْثُ لا تَبْلُغُ النَّفْسُ [٣]

قَالَ الْعُتْبِىُّ [٤] : أَسَرَّ مُعَاوِيَةُ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَنْبَسَةَ [٥] حَدِيثًا ، فَقُلْتُ لِأَبِى [٦] : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَرَّ إِلَىَّ حَدِيثًا ، أَفَأُحَدِّثُكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا [٧] ، مَنْ كَتَمَ حَدِيثًا كَانَ الْخِيَارُ لَهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ مَمْلُوكًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا . قُلْتُ : يَا أَبَتِ [٨] ، أَفَيَدْخُلُ هَذَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَبِيهِ ؟ قَالَ : لا يَا بُنَىَّ [٩] ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ تُذَلِّلَ [١٠] لِسَانَكَ بِإِفْشَاءِ السِّرِّ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ

---

(١) فى « م » : « الظمير » بالظاء المعجمة ، بدل « الضمير » ، فى الموضعين ، وهى على الإبدال ، فمن سُنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض ، فهم يقولون : فاض وفاظ ، ومكة وبكة . الخ .
[انظر فقه اللغة للثعالبى — فصل فى الإبدال — ص ٥٦٤] .

(٢) هذا البيت لم يرد فى « م » وسقط سهوًا من الناسخ .. والبيتان وردا فى منهاج اليقين ص ٥٠١ ، والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. ويَنُمُّ : يشير إليه ويبديه .

(٣) فى المنهاج : « شهوة » بدل « شهرة » .. و « يبلغ » بالياء ، مكان « تبلغ » . والبيت فى المستطرف :

وخِفْتُ عنه من هوى النفس شهوةً   فأودعه من حيث لا يبلغ الحسُّ

(٤) فى « م » : « وقال » . والعُتبى هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمٰن الأموى ، من بنى عتبة ابن أبى سفيان بن حرب ، وقد مَرَّ التعريف به .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » . وعثمان بن عنبسة بن أبى سفيان بن حرب . [انظر المعارف ص ٣٤٥ ، ونسب قريش ص ١٣٤] .

(٦) القائل هنا هو : عثمان .

(٧) فى « م » : « أفأُحَدِّثُك به أو أكتمه ؟ قال : فَاكْتُمْهُ ، فإنَّ مَنْ كتم حديثه » الخ

(٨) فى « م » : « يا أَبَهْ » .

(٩) قوله : « يابُنَىَّ » عن « م » .

(١٠) فى « م » : « ولكنى أكره أن يُذَلِّك ... » .

مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : أَعْتَقَكَ أَخِى (١) مِنْ رِقِّ الْخَطَأ . وقِيلَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : مَا أَصْعَبُ الأَشْيَاءِ عَلَى الإِنْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ سِرَّهُ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ (٢) :

أُجُودُ بِمَكْنُونِ التِّلَادِ وَإِنَّنِى بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالَنِى لَضَنِينُ (٣)

إِذَا جَاوَزَ الإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ (٤)

وَإِنْ ضَيَّعَ الأَقْوَامُ سِرًّا فَإِنَّنِى كَتُومٌ لأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ (٥)

يَكُونُ لَهُ عِنْدِى إِذَا مَا ضَمِنْتُهُ مَكَانٌ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ كَنِينُ (٦)

---

(١) فى « م » : « يا أخى » الياء زيادة من الناسخ ، فقد مرَّ بنا أن عنبسة هو أخو معاوية .

(٢) فى « م » و « ط » : « الحطيم » بالحاء المهملة ، خطأً ، والصواب بالخاء المعجمة ، واسم الخطيم : ثابت ، وهو : قيس بن الخطيم بن عدىٍّ الأوسىّ ، أبو يزيد ، شاعر الأوس وأحد صناديدها فى الجاهلية ، أدرك الإسلام وتريث فى قبوله ، وقُتل قبل أن يدخل فيه ، وكان ذلك فى السنة الثانية قبل الهجرة ، وشعره جيد ، وديوانه مطبوع .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥ ، والأغانى ج ٣ ص ٨٤٧ – ٨٧٢ ، وخزانة الأدب ج ٧ ص ٣٤ – ٣٧ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٧٢٥ – ٧٢٧ والأصمعيات ص ١٩٦] .

(٣) فى « م » : « لسرِّك » باللام .. وفى « ط » : « البلاد » بالباء ، بدل « التلاد » . ومكنون التلاد : المال الذى يُحافَظُ عليه . والشطرة الثانية من البيت فى المستطرف « ج ١ ص ٤٤٥ » :
« بسرِّى عمَّن يسألنى لضنينُ » .
وهى بهذه الصورة غير مستقيمة الوزن . وهذا البيت لم يرد فى ديوان قيس ، غير أنه جاء فى عدَّة مصادر أخرى ، منها كتاب أمالى القالى ، ج ٢ ص ١٧٧ و ص ٢٠٢ وفيها : « بمضنون التلاد » بدل « بمكنون التلاد » .

(٤) هكذا البيت فى « م » ودُرَّة الغوَّاص ص ٢٥٦ ، ولسان العرب ، مادة « نثَّ » .. وفى « ط » : « بَثٌّ » بدل « بِنَثٍّ » ، والبَثُّ : نَشْرُ الحديث وإفشاؤه . وقيل : هو نشر الحديث الذى كَتْمُهُ أحقُّ من نشره .. وفى الديوان : « بنَشْرٍ » . والألف فى « اثنين » ألف وَصْل ، وقُطِعَتْ هنا لضرورة الشعر ، ولذلك ذكر المُبرد أن الرواية فى هذا البيت : « إذا جاوَزَ الخِلَّيْنِ » للتخلص من قطع همزة « اثنين » .. وفى أمالى القالى والديوان : « وتكثير الحديث » . وفى رواية : « وتضييع الوشاة قمين » أى : حَرِىٌّ وخليق .
[انظر الديوان ص ١٦٢ ط دار صادر ، ودرة الغواص للحريرى ص ٢٥٦ ، ٢٥٧] .

(٥) هكذا البيت فى « م » و « ط » والديوان ، وأمالى القالى .. وفى المستطرف : « سِرِّى » مكان « سِرًّا » .

(٦) هكذا البيت فى الأمالى ج ٢ ص ١٧٧ ، وفى رواية ثانية وردت الشطرة الأولى فى المرجع نفسه ص ٢٠٢ : « وعندى له يوماً إذا ما ائْتَمَنْتَنِى » .. والشطرة الثانية من البيت فى « م » و « ط » : « مكانُ سويداء الفؤادِ مكينُ » .. وفى نصيحة الملوك للماوردى : « مكان سويداء الفؤاد دفين » . وفى الديوان : « مقر بسوداء الفؤاد كنينُ » .. وسويداء الفؤاد وسواده : حبته .. والكنين : المكنون ، أى : المستور البعيد عن الأعين . وهناك روايات أخرى انظرها فى [ديوان قيس بن الخطيم ص ١٦٤ ، وانظر نصيحة الملوك ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

قَالَ شَيْخُنَا : قُلْتُ : النَّاسُ يَقُولُونَ : أَرَادَ بِالاثْنَيْنِ الْمُودِعَ وَالْمُودَعَ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُرِيدَ [١] بِهِ الشَّفَتَيْنِ . وَكَانَ يُقَالُ : أَصْبَرُ النَّاسِ مَنْ صَبَرَ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّه فَلَمْ يُبْدِهِ [٢] لِصَدِيقِهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ عَدُوًّا [٣] . وَقَدْ رُوِىَ [٤] فِى الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٥] أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِىَ أَمَانَةٌ » [٦] . قُلْتُ : وَإِذَا كَانَتْ أَمَانَةً حَرُمَتْ [٧] فِيهَا الْخِيَانَةُ ، كَالْأَمَانَةِ فِى الْأَمْوَالِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ حَزْمٍ [٨] : إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللهِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِىَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ [٩] : مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَقِصُ [١٠] مِنْ أَمَانَتِهِ إِلَّا نَقَصَ إِيمَانُهُ . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ [١١] :

---

(١) فى « م » : « يُراد » .

(٢) فى « م » : « فلم يبذله » .

(٣) فى « م » : « عَدُوَّهُ » .

(٤) فى « م » : « ورُوِىَ » .

(٥) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٦) أخرجه الترمذى فى صحيحه فى البر والصِّلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة ج ٨ ص ١٣٨ بشرح ابن العربى .. والبيهقى فى السُّنن الكبرى ، فى كتاب الشهادات ج ١٠ ص ٢٤٧ .

(٧) فى « م » : « حَرُمَ » .

(٨) فى « م » : « ابن حُره » تصحيف . وهو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، كان قاضى المدينة فى خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن أحد بالمدينة عنده علم القضاء — فى عصره — ما كان عند أبى بكر بن حزم .

[انظر التاريخ الكبير للبخارى ج ٨ كتاب الكُنَى ص ١٠ ، وانظر المحبر ص ٢٦ ، ٢٧] .

(٩) هو : هشام بن عُرْوَة بن الزبير بن العوّام القُرشى الأسَدى ، أبو المنذر ، تابعىٌّ ، من أئمة الحديث من علماء المدينة ، ولد سنة ٦١ هـ ، وعاش فى المدينة ، وزار الكوفة ، ودخل بغداد وافدًا على المنصور العباسى ، فكان من خاصته ، وتوفى بها سنة ١٤٦ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ — ٤٢ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٨٠ — ٨٢ ، ونسب قريش ص ٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢] .

(١٠) فى « م » : « ينقص » .

(١١) هو : جعفر بن عثمان بن نصر ، أبو الحسن ، الحاجب ، المعروف بالمُصْحَفى ، وزير ، وأديب أندلسى ، وله شعر جيد ، وأصله من بربر بلنسية ، استوزره المستنصر الأموى إلى أن مات ، ولمّا ولى الحَكَمُ استوزره وضم إليه ولاية الشرطة ، ثم آلتِ الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحَكَم ، فتقلد حجابته ، وتصرف فى أمور الدولة ، =

يَاذَا الَّذِى أَوْدَعَنِى سِرَّهُ ... لا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّى [(١)]
لَمْ أُجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِى ... كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ فى أُذْنِى [(٢)]

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ [(٣)] يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّى إِلَى رَجُلٍ فَأَفْشَاهُ عَلَىَّ فَلُمْتُهُ ، إِذْ [(٤)] كَانَ صَدْرِى أَضْيَقَ بِهِ . وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : يَضِيقُ صَدْرُ أَحَدِهِمْ بِسِرِّهِ حَتَّى يُحَدِّثَ بِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اكْتُمْهُ [(٥)] عَلَىَّ .. وَفِى مَنْثُورِ الْحِكَمِ : انْفَرِدْ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ . وَأَنْشَدُوا [(٦)] :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ ... فَصَدْرُ الَّذِى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ [(٧)]

= وقوى عليه منصور بن أبى عامر – أمير الأندلس فى عهد هشام – فاعتقله وضيَّق عليه ، فاستعطفه جعفر بمنظومه ومنثوره ، فلم يرقَّ له ، وصادر أمواله ، حتى لم يترك له ولا لأبنائه مايسدُّون به أرماقهم ، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله سنة ٣٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ ، والحلة السيراء ج ١ ص ٢٥٧ – ٢٦٧ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ١٣٢ – ١٣٦ ، وجذوة المقتبس ج ١ ص ٢٨٩] .

(١) البيتان من السريع ، وقد وردا فى نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ وجذوة المقتبس ج ١ ص ٢٨٩ والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. وفى « م » : « لا تَخْشَ » مكان « لا تَرْجُ » .

(٢) هكذا البيت فى « ط » والمستطرف .. وفى « م » : « على خاطرى » مكان « على فكرتى » .. وفى نفح الطيب وجذوة المقتبس :

لم أجره بَعْدَكَ فى خاطرى ... كأنــه مامـــرَّ فى أُذْنى

(٣) فى « م » والمستطرف هذا القول منسوب إلى « عمر بن الخطاب » وهو وَهْمٌ .. والصواب أنه لعمرو بن العاص ، ونصُّه : « ما وضَعْتُ عند أحد من الناس سِرًّا فأفشاهُ فَلُمْتُه » فسُئل : ولِمَ ؟ قال : « أنا كنتُ به أضيق صدرًا حين استودعته إيَّاه » .

[انظر العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ ، وانظر عمرو بن العاص لعباس العقاد ص ١٨٣] .

(٤) فى « ط » : « إذا » .

(٥) فى « م » : « اكْتُمْ » .

(٦) فى « م » : « وقال الشاعر » .

(٧) فى المستطرف وأدب الدنيا والدين قبل هذا البيت :

إذا المَرْءُ أفْشَى سِرَّهُ بلسانه ... ولام عليه غيرَهُ فهو أحمقُ

وَفِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ الْمُتَآمِرُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ [١] :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِي

وَقَالَ آخَرُ :

فَلَا تَنْطِقْ بِسِرِّكَ كُلُّ سِرٍّ ... إِذَا مَا جَاوَزَ الاثْنَيْنِ فَاشِي [٢]

وَقَالَ آخَرُ :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ ... وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ [٣]

وَكِتْمَانُكَ السِّرَّ فِيمَا تَخَافُ ... وَفِيمَا تُحَاذِرُهُ أَحْزَمُ

إِذَا ذَاعَ سِرُّكَ مِنْ مُخْبِرٍ ... فَأَنْتَ إِذَا لُمْتَهُ أَلْوَمُ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ حَدِيثٍ ... وَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ [٤]

وَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي ... وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْمَلُومُ [٥]

وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَا كَتَمْتَهُ مِنْ عَدُوِّكَ فَلَا تُطْلِعَنَّ عَلَيْهِ صَدِيقَكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ إِذَاعَتِهِ لِقَرِينَةٍ تَقْتَضِيهِ مِنْ صَدِيقٍ مُسَاهِمٍ ، أَوِ اسْتِشَارَةِ نَاصِحٍ مُسَالِمٍ ، فَمِنْ صِفَاتِ أَمِينِ [٦] الأَسْرَارِ أَنْ يَكُونَ ذَا عَقْلٍ وَدِينٍ وَنُصْحٍ وَمُرُوءَةٍ [٧] ، فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ تَمْنَعُ مِنَ

---

(١) فى « م » : « وقال آخر » . والبيت من المتقارب ، وهو للصلتان العبدى ، قُثم بن خبيئة ، من عبد القيس . [انظر ترجمته والقصيدة التى منها هذا البيت فى الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٠٠ — ٥٠٢ ، وانظر منهاج اليقين ص ٥٠٠] .

(٢) فى « ط » : « ولا تنطق » .

(٣) الأبيات من المتقارب ، والضِّيق والضَّيْق : كل ما لا يحتمل ، كالشك والألم والحزن وغيرها .

(٤) فى منهاج اليقين ص ٤٩٩ والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ : « عن حديث » .

(٥) فى « م » : « فإن عاتبتُ » .

(٦) فى « م » : « أمناء » بالجمع ، والسياق فيها يتطلب الإفراد .

(٧) فى « م » : « ومره » تصحيف .

الإذَاعَةِ ، وَتُوجِبُ حِفْظَ الأَمَانَةِ ، وَمَنْ كَمَلَتْ فِيهِ فَهُوَ عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ [١] . وَلَا تُودِعْ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ يَسْتَذْعِيهِ ، فَإِنَّ طَالِبَ الْوَدِيعَةِ خَائِنٌ .

قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ [٢] : لا تُذِعْ سِرًّا إلى طَالِبِهِ مِنْكَ ، فَالطَّالِبُ [٣] لِلسِّرِّ مُذِيعٌ .

وَفِي الْجُمْلَةِ : إِذَا زَالَ سِرُّكَ عَنْ عَذَبَةِ لِسَانِكَ [٤] فَالإِذَاعَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَوْدَعْتَهُ قَلْبَ نَاصِحٍ مُحِبٍّ فَاحْتِمَالُ مَرَارَةِ الْكِتْمَانِ عَلَى قَلْبِكَ أَسْهَلُ عَلَيْكَ مِنَ التَّمَلْمُلِ بِتَمْلِيكِ سِرِّكَ غَيْرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِفْشَاءَ سِرِّ غَيْرِكَ [٥] أَقْبَحُ مِنْ إِظْهَارِ سِرِّ نَفْسِكَ ، لأَنَّهُ يَبُوحُ بِإِحْدَى وَصْمَتَيْنِ [٦] : إِمَّا الْخِيَانَةُ ، إِنْ كَانَ مُؤْتَمَنًا ، أَوِ النَّمِيمَةُ إِنْ كَانَ مُسْتَخْبِرًا . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَابُنَيَّ ، كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فى مَوَاضِعِ الْحَقِّ ، ضَنِينًا بِالأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الإِنْفَاقُ فى وَجْهِ الْبِرِّ ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السِّرِّ . وَكَانَ يُقَالُ : صُدُورُ الأَحْرَارِ قُبُورُ الأَسْرَارِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ [٧] :

أَلَـمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرِّجَا ... لِ لا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحَا [٨]

---

(١) فى « م » : « عنق » تصحيف . وعنقاء مُغرب : طائر خرافى لا وجود له . والمعنى المراد هنا : أن هذا الشخص الذى فيه هذه الصفات من الصعب وجوده .

(٢) هو : صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدى ، أبو الفضل ، شاعر حكيم ، كان متكلماً ، يعظ الناس فى البصرة ، وله مع أبى الهذيل العلّاف مناظرات ، اتُّهِمَ عند المهدى العباسى بالزندقة . فقتله ببغداد سنة ١٦٠ هـ تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٥ ، وأمالى المرتضى ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨] .

(٣) فى « ط » : « والطالب » .

(٤) عَذَبَة اللسان : طَرَفُهُ .

(٥) فى « م » : « سرك غيرك » .

(٦) فى « م » : « خصلتين » .

(٧) هو : أنس بن أسيد . [انظر منهاج اليقين ص ٤٩٨ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٦٧] .

(٨) هكذا البيت فى « م » و « ط » وهو من المتقارب .. وفى المصدرين السابقين : « فإنى رأيتُ وشاة الرجال » . وفى العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ : « إلى رأيتُ غُواة الرجال » . وجاء ترتيب هذا البيت مكان البيت الثانى ، والثانى مكان الأول .. والأديم الجلد . والمراد : أن الوشاة يمزقون أعراض الناس . وفى البيت إيماء إلى تقبيح حالهم ، بتشبيههم بالكلاب .

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ   فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا (١)

وَقَالَ غَيْرُهُ :

مَاكُلُّ مَكْتُومٍ يُبَاحُ بِهِ   احْذَرْ لِسَانَكَ مِنْ جَوَالِبِه (٢)

فَمَرَارَةُ الْكِتْمانِ أَعْذَبُ مِنْ   بَثٍّ يُحَاذَرُ مِنْ عَوَاقِبِهِ (٣)

لَيْسَ الْهَوَى مَاكُنْتَ تَعْرِفُهُ   أَيَّامَ تَلْعَبُ فى جَوَانِبِهِ

هذا هَوًى لَوْ قَدْ فَصَحْتَ بِهِ   ضَحِكَ الْحُسَامُ إِلَى مَضَارِبِهِ (٤)

* * *

(١) فى المصادر السابقة : « ولا تُفْش » .
(٢) من جَوالِبه : مِمَّا يجلبه عليك ويسببه لك .
(٣) هذا البيت عن « م » ولم يرد فى « ط » .
(٤) فى « م » : « هذا هو فصحت » تصحيف . وفصَحْتَ به : أظهَرْته . وضحك الحُسَام : الضحك هنا بمعنى الانجلاء والإبانة ، ومنه : ضَحِكَ السحابُ : إذا برق وتلألأ ، وضحكت الأرض : إذا أخرجت نباتها وزهرتها . والحُسام : السيف القاطع .

البَابُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

فى بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنٌ بِسَائِرِ الْخِصَالِ ، وَزَعِيمٌ بِالْمَزِيدِ مِنَ النَّعْمَاءِ وَالآلَاءِ مِنْ ذِى الْجَلَالِ ، وَهِيَ : الشُّكْرُ [*]

قَالَ اللهُ تَعَالَى ، حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ مُلْكَ الدُّنْيَا وَالْجِنِّ وَالإِنْسِ ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَالرِّيَاحُ تَجْرِى بِأَمْرِهِ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مُلْكُهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [١] . فَمَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَّهَا مُلُوكُ الأَرْضِ ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا حَسِبُوهَا [٢] ، بَلْ خَافَ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فى أُمَّةٍ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ [٣] : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [٤] . جَاءَ فى التَّفْسِيرِ : أُصُبُّ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَأُنْسِيهِمُ الاسْتِغْفَارَ . وَإِنَّمَا الْفَرَحُ بِمَا أُوتِىَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَالْغِبْطَةُ بِزَهْرَتِهَا ، وَالِاغْتِرَارُ بِزُخْرُفِهَا مِنْ شِعَارِ الْكُفَّارِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ قَارُونَ اللَّعِينِ :

(*) هذا العنوان ينتهى عند قوله : « الخصال » . وفى « ط » عند قوله : « ذى الجلال » .
(١) سورة النمل ، من الآية ٤٠ .
(٢) فى « ط » : « كما ظنها ملوك الأرض » .
(٣) فى « م » : « فى وصفه أقوام أراد هلاكهم » .
(٤) سورة القلم ، الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [١] . وَكَانَ [٢] جَوَابُهُ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ** ﴾ [٣] . وَلَمَّا خَافَ سُلَيْمَانُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا ، كَانَ جَوَابُهُ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [٤] .

وَاعْلَمْ ، أَرْشَدَكَ اللهُ ، أَنَّ الشُّكْرَ لَيْسَ هُوَ حَافِظًا [٥] لِلنِّعَمِ فَقَطْ ، بَلْ هُوَ – مَعَ حِفْظِهِ لَهَا – زَعِيمٌ [٦] بِزِيَادَةِ النِّعَمِ ، وَأَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النِّقَمِ [٧] . وَالشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ : شُكْرٌ بِالْقَلْبِ ، وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ [٨] ، وَشُكْرٌ بِالْجَوَارِحِ .. فَأَمَّا الشُّكْرُ الْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَشُكْرُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ تَعْلَمَ [٩] أَنَّ النِّعْمَةَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، وَلَا [١٠] نِعْمَةَ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَبِدَايَتُهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَكُونَ الشُّكْرُ لِلهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ غَيْرِكَ بِمَعْرِفَةِ نِعَمِ [١١] اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَعَلَى غَيْرِكَ ، وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ [تَعَالَى] [١٢] عَلَى نِعْمَةٍ أُسْدِيَتْ إِلَى غَيْرِهِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ ، قَوْلُهُ [١٣] تَعَالَى : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ [١٤] أَيْ : أَيْقِنُوا أَنَّهَا مِنَ اللهِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْتَهَى جَمِيعُ

---

(١) سورة القصص ، من الآية ٧٨ .
(٢) فى « م » : « فكان » .
(٣) سورة القصص ، من الآية ٨١ .
(٤) الآية ٣٩ من سورة « ص » .
(٥) فى « م » : « حافظ » خطأ . والصواب بالنصب ، خبر « ليس » ، والضمير قبله ضمير فصل
(٦) زعيم : كفيل .
(٧) فى « م » : « وأمان من النقم » . والنِّقَم : جمع نِقْمَة ، وهى العقوبة .
(٨) فى « م » : « شكرٌ باللسان وشكر بالقلب » .
(٩) فى « م » : « يعلم » .
(١٠) فى « م » : « وأنْ لا » .
(١١) فى « م » : « نعمة » .
(١٢) مابين المعقوفين عن « م » .
(١٣) فى « م » : « فقوله » .
(١٤) سورة النحل ، من الآية ٥٣ .

مَا قَالَهُ الْخَلْقُ فى الشُّكْرِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] أي : اتَّقُونِى ، فَإِنَّهُ شُكْرُ نِعْمَتِى . وَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْحَيَاةَ نِعْمَةً عَلَى الْعَبْدِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] . وَالعِبَارَةُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ : الشُّكْرُ اعْتِرَافُ الْقَلْبِ بِإِنْعَامِ اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ ، وَيُقَالُ فِيهِ : الشُّكْرُ اعْتِكَافٌ[3] عَلَى بِسَاطِ الشُّهُودِ بِإِدَامَةِ حِفْظِ الْحُرْمَةِ .

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانُ[4] : الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ الْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ . وَرُوِىَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِلٰهِى ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَشُكْرِى لَكَ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِكَ ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْه : الآنَ قَدْ شَكَرْتَنِى . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ[5] : إِلٰهِى ، ابْنُ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا تَحْتَهَا[6] نِعْمَةٌ ، وَفَوْقَهَا مِنْكَ نِعْمَةٌ ، فَمِنْ أَيْنَ يُكَافِئُهَا ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَادَاوُدُ ، إِنِّى أُعْطِى الْكَثِيرَ ، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ ، وَإِنَّ شُكْرَ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَابِكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِّى . وَفِى هَذَا يُقَالُ : الشُّكْرُ عَلَى الشُّكْرِ أَتَمُّ الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَرَى شُكْرَكَ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيَكُونَ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ مِنْ أَجَلِ النِّعْمَةِ ، فَتَشْكُرَهُ عَلَى الشُّكْرِ ، ثُمَّ تَشْكُرَهُ عَلَى شُكْرِ الشُّكْرِ ، إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى ، وَهَذَا الشُّكْرُ أَيْضًا وَاجِبٌ . وَلِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِى نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فى مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ[7]

---

(١) الآية ١٢٣ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ٥٦ من سورة البقرة .
(٣) فى « م » : « اعتراف » .
(٤) هو الزاهد المشهور ، شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد ، أبو عثمان البصرى
(٥) فى « م » كرر الناسخ قول داود عليه السلام السابق ، سهواً منه .
(٦) فى « ط » : « إلا وتحتها » .
(٧) فى « م » : « بإذنه » مكان « بفضله » .

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الأَجْرُ
فَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالسِّرُّ وَالْجَهْرُ (١)

وَمَنْ أَقَرَّ بِنِعَمِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِقَدْرِ مَاكَلِفَ (٢) ، لأَنَّ أَحَدًا لاَيُمْكِنُهُ أَنْ يُوَازِيَ شُكْرَ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى .. وَفِى مُنَاجَاةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ : إِلٰهِى خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ ، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، فَكَيْفَ شُكْرَكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَعْلَمَ (٣) أَنَّ ذَلِكَ مِنِّى ، فَكَانَ مَعْرِفَتُهُ بِذَلِكَ شُكْرَهُ لِي .

فصل

وَأَمَّا شُكْرُ اللِّسَانِ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ (٤) : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(٥) . قِيلَ : يَعْنِى النُّبُوَّةَ . وَقِيلَ : يَعْنِى الْقُرْآنَ . وَحُكْمُ الآيَةِ عَامٌّ فى جَمِيعِ النِّعَمِ . وَرَوَى النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ(٦) أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ » (٨) . وَالتَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ .

---

(١) فى « م » : « يضيق » بدل « تضيق » .
(٢) كَلِفَ : احْتَمَلَ .
(٣) فى « م » : « أن تعلم » .
(٤) « فيه » عن « م » .
(٥) الآية ١١ من سورة الضُّحَى .
(٦) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجىُّ الأنصارىُّ ، أبو عبد الله ، أميرٌ وخطيب ، وشاعر ، من أجلاء الصحابة ، من أهل المدينة ، وله ١٢٤ حديثاً ، ولد سنة ٢ هـ ، وهو أول مولود ولد فى الأنصار بعد الهجرة ، ولِىَ اليمن لمُعاوية ، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر وعزله ، ثم ولاه حمص . ومات مقتولاً بالشام سنة ٦٥ هـ . [انظر الأعلام ج ٨ ، ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٢٦ ـــ ٣٢٩ ، والمحبر ص ٢٧٦ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٥١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٩٣ ، والمعارف ص ٢٩٤] .
(٧) فى « م » : « عليه الصلاة والسلام » .
(٨) أخرجه أبو داود فى سننه مجتزءًا عن أبى هريرة فى كتاب الأدب ، باب فى شكر المعروف ج ٤ ص ٢٥٦ وأخرجه الترمذى فى صحيحه فى أبواب البر والصلة ، باب ما جاء فى الشكر لمَنْ أحسن إليك ج ٨ ص ١٣٢ ، ١٣٣ بشرح ابن العربي .

وَقَالَ تَعالَى حِكَايَةً عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ (١) .

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ – رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ : تَذَاكَرُوا النِّعَمَ ، فَإِنَّ فى ذِكْرِهَا شُكْرًا (٢) . وَكَتَبَ عَدِىُّ بْنُ أَرْطَاةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ – رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (٣) – لَمَّا حَفَرَ نَهْرَ الْبَصْرَةِ الَّذِى يُقَالُ لَهُ نَهْرُ عُمَرَ : إِنِّى حَفَرْتُ لأَهْلِ الْبَصْرَةِ نَهْرًا عَذُبَ لَهُمْ مَشْرَبُهُ ، وَجَادَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ (٤) ، وَلَمْ أَرَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا ، فَإِنْ أَذِنْتَ لِى قَسَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنِّى لَا أَحْسَبُ (٥) أَهْلَ الْبَصْرَةِ خَلَوْا (٦) مِنْ رَجُلٍ قَالَ الْحَمْدُ للهِ حِينَ حَفْرِكَ هَذَا النَّهْرَ ، وَإِنَّ اللهَ [تَعَالَى] (٧) قَدْ رَضِيَهَا شُكْرًا مِنْ جَنَّتِهِ ، فَارْضَ بِهَا شُكْرًا مِنْ نَهْرِكَ ، وَالسَّلَامُ .

وَحَقِيقَةُ الشُّكْرِ فى هَذَا الْقِسْمِ ، الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يُوصَفُ الرَّبُّ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَكُورٌ حَقِيقَةً ، فَشُكْرُ الْعَبْدِ للهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ ، وَشُكْرُ اللهِ لِلْعَبْدِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ ، وَإِحْسَانُ الرَّبِّ لِلْعَبِدِ إِنْعَامُهُ عَلَيْهِ ،

---

(١) سورة الزُّمر ، من الآية ٧٤ .

(٢) فى « م » : « شكر » بالرفع ، خطأً . ومن أول قوله : « وقال عمر » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) فى « ط » : « قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله » . وعدىُّ بن أرطأة الفزارى ، أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولّاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ . فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، فى فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢١٩ والمعارف ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٤) فى « ط » : « وجادَتْ عينُه » .

(٥) لا أَحْسَبُ : لا أظُنُّ ، من باب « تعب » فى لُغة جميع العرب إلّا بنى كنانة ، فإنهم يكسرون المضارع ، مع كسر الماضى أيضاً على غير قياس . وفى « ط » : « إنى لأحسبُ » . تصحيف .

(٦) فى « م » : « خلو » بدون الألف . سهو من الناسخ .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : دَابَّةٌ شَكُورٌ ، إِذَا أَظْهَرَتْ [١] مِنَ السِّمَنِ فَوْقَ مَاتُعْطَى مِنَ الْعَلَفِ . وَيُقَالُ : وَجْهٌ شَكُورٌ ، إِذَا كَانَ مُمْتَلِئَ الْمَحَاسِنِ ظَاهِرَهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : « أَنَا وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أُوتِيَ [٢] النَّاسُ لِأَنَّهُمْ فِي مَوْضِعِ صَبْرِهِمْ يَحْسَبُونَ [٣] أَنَّهُمْ فِي مَوْضِعِ شُكْرٍ .

فصل

وَأَمَّا الَّذِي عَلَى الْجَوَارِحِ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [٤] . فَجَعَلَ الْعَمَلَ شُكْرًا . وَقَالَ عَطَاءٌ [٥] : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ [٦] فَقَالَ لَهَا عُبَيْدٌ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثِينَا بِأَعْجَبَ مَارَأَيْتِ [٧] مِنْ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَكَتْ وَقَالَتْ : وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا ؟ إِنَّهُ أَ في لَيْلَةٍ ، فَدَخَلَ مَعِيَ [٨] فِي فِرَاشِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بْنَةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي . قَالَتْ : قُلْتُ : إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ ، فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ [٩] فَتَوَضَّأَ ، وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَبَكَى حَتَّى

---

(١) في « م » : « ظهرات » تحريف . وفي اللسان : الشكور من الدواب : الذي يَسْمَنُ على قلّة العلف ، كأنه شكر ، وإنْ كان ذلك الإحسان قليلاً .

(٢) في « ط » : « أُتى » .

(٣) في « م » : « موضع صبر وهُم يحسبون » .

(٤) سورة سبأ ، من الآية ١٣ .

(٥) هو : عطاء بن أبي رباح القُرشيُّ الفهري ، تابعي ثقة ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، وهو كثير الحديث [انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٠ ، وانظر الحديث الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٣٦ باب الشكر] .

(٦) هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هكذا في « ط » والرسالة القشيرية .. وفي « م » : « بأعجب شيء رأيتِ » .

(٨) في « م » : « فدخل فراشي » .

(٩) في « م » : « قِرْبة ماء » .

سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ رَكَعَ فَبَكَى ، ثُمَّ سَجَدَ فَبَكَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَبَكَى ، فَلَمْ (١) يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِلَالٌ (٢) فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ ، فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ، مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ (٣) : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ فَلِمَ (٤) لَا أَفْعَلُ وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٥) .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) الشُّكْرَ بِالْعَمَلِ ، وَبَيَّنَ بِهِ مُرَادَ الْكِتَابِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٧) [أَيْ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الآخَرَ ، فَمَنْ فَاتَهُ الْعَمَلُ فِي أَحَدِهِمَا عَمِلَهُ فِي الآخَرِ ، فَجَعَلَ الأَوْرَادَ وَالأَعْمَالَ بِالْجَوَارِحِ شُكْرًا] وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٨) قَامَ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ (٩) ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ » .

وَقَالَ أَبُو هَارُونَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي حَازِمٍ (١٠) فَقُلْتُ لَهُ : رَحِمَكَ اللهُ ، مَاشُكْرُ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ (١١) : إِذَا رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَذَعْتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ .

---

(١) فى « م » : « ولَمْ » .
(٢) هو الصحابى الجليل بلال بن رباح الحبشى ، أبو عبد الله ، مؤذن الرسول (ﷺ) وخازنه على بيت ماله .
(٣) فى « م » : « قال » .
(٤) فى « م » : « ولِمَ » .
(٥) هكذا فى « ط » والرسالة القشيرية . انظر سورة البقرة ، الآية ١٦٤ وآل عمران الآية ١٩٠ . وفى « م » : وقد أنزل علىّ ﴿ إنّ فى اختلاف الليل والنهار ﴾ الآية ، وهى الآية السادسة من سورة يونس .
(٦) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .
(٧) سورة الفرقان ، الآية ٦٢ ، ومابين المعقوفتين بعدها عن « ط » ولم يرد فى « م » .
(٨) فى « ط » : « عليه السلام » .
(٩) فى « م » : « انتفخت أوداجه » والأوداج : عروق فى العُنق .. والمعروف أنه « قام حتى تورّمت قدماه » (لله) .
(١٠) فى « م » : « أبى حاتم » تصحيف . والصواب : « أبى حازم » . وهو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن دينار ، وقد مر التعريف به .
[انظر ماورد من أقواله هنا فى الحلية ج ٣ ص ٢٤٣] .
(١١) فى « م » : « فقال » .

قُلْتُ (١) لَهَ : فَمَا شُكْرُ الأُذُنَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا حَفِظْتَهُ ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا نَسِيتَهُ (٢) . قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ ؟ قَالَ : أَنْ لا تَأْخُذَ (٣) بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَا تَمْنَعَ حَقَّ اللهِ تَعَالَى فِيهِمَا . [قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ ؟ قَالَ أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ صَبْرًا ، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا] (٤) قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ ؟ قَالَ : كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (٥) . فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ، فَأَنْتَ الشَّاكِرُ حَقاً .

وَفِى حِكْمَةِ إِدْرِيسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ (٦) بِمِثْلِ الإِنْعَامِ عَلَى خَلْقِهِ ، لِيَكُونَ صَانِعًا إِلَى الْخَلْقِ مِثْلَمَا صَنَعَ بِهِ ، الْخَالِقُ (٧) تَعَالَى . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ فِعْلَ الطَّاعَاتِ شُكْرٌ ، فَإِنَّ فِيهَا مَاهُوَ أَشَدُّ مُلَازَمَةً (٨) مِنْ غَيْرِهِ ، فَالطَّاعَةُ فِى مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ أَشْكَلُ (٩) بِالشُّكْرِ عَلَى الْغِنَى مِنْ غَيْرِهَا ، لأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ النِّعْمَةِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْرُسَ دَوَامَ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَأَدِمْ مُوَاسَاةَ الْفُقَرَاءِ .. وَالطَّاعَةُ فِى رَفْعِ ذَوِى الضَّعَةِ (١٠) وَالْخُمُولِ وَالْمَسْكَنَةِ بِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ (١١) أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى رَفْعِ قَدْرِكَ ، وَالتَّنْوِيهِ بِاسْمِكَ .. وَالطَّاعَةُ فِى تَمْرِيضِ الْفُقَرَاءِ وَتَلْطِيفِ أَغْذِيَتِهِمْ أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى الْعَافِيَةِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .. وَالطَّاعَةُ (١٢) فِى الشَّفَاعَاتِ عِنْدَ

---

(١) فى « م » : « فقلتُ » .
(٢) فى « ط » : « سترته » . وفى الحلية : إن سمعت بهما خيرًا وعيتَهُ ، وإن سمعت بهما شرًّا دفنتَهُ »
(٣) فى « م » : « قال : لا تأخذ » .
(٤) مابين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » .
(٥) سورة « المؤمنون » ، الآيتان : ٥ ، ٦ وسورة المعارج ، الآيتان : ٢٩ ، ٣
(٦) فى « ط » : « أن يشكر الله تعالى على نعمةٍ » .
(٧) فى « م » : « ماصنع الخالق » .
(٨) فى « م » : « ملائمة » .
(٨) أشْكَل : أشبه .
(١٠) فى « م » : « ذى الضِّعة » . والضِّعَة : خلاف الرِّفْعَة فى القَدْر .
(١١) فى « م » : « بغير معصية الله » .
(١٢) فى « م » : « والطاعات » .

السُّلْطَانِ ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ الْغُرَبَاء وَالإِخْوَانِ أَشْبَهُ بِذَوِى الْجَاهِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ . وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَنْبَغِى أَنْ نُقَابِلَ [١] سَائِرَ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ .. وَمِنَ الْعِبَارَاتِ الْجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ أَنْ يُقَالَ : الشُّكْرُ [٢] مَعْرِفَةٌ بِالْجَنَانِ ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ .

فَصْــلٌ

فى الْكَلَامِ عَلَى الزِّيَادَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٣] ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى [٤] : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٥] قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّا نَرَى مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْغِنَى ثُمَّ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ ، وَمَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْعَافِيَةِ ثُمَّ يُبْتَلَى بِالْمَرَضِ ، وَاللهُ [٦] تَعَالَى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لأَزِيدَنَّكُمْ نِعَمَ [٧] الآخِرَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا تَكُونُ الزِّيَادَةُ مِنْ جِنْسِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوا : إِنَّ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالأُخْرَوِيَّةَ ، وَإِنْ تَفَاضَلَتْ وَاخْتَلَفَتْ ، فَكُلُّهَا مُتَجَانِسَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ .

وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لأَزِيدَنَّكُمْ خَيْرًا ، وَالْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَكُونُ فى كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ بِالْمَنْعِ وَالسُّقْمِ وَنَحْوِهِمَا ، فَإِنَّ مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَهُ مَالًا ، أَوْ يُصِحَّ جِسْمَهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ وَهَبَهُ الْمَالَ أَنْفَقَهُ فى الْمَعَاصِى ، أَوْ وَهَبَهُ الصِّحَّةَ صَرَفَ [٨] صِحَّتَهُ إِلَى الْمَشْيِ فى الآثَامِ ، فَالْمَنْعُ هَاهُنَا مَوْهِبَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى جَزِيلَةٌ ، وَعَنْ هَذَا قَالَ

---

(١) فى « ط » : « يقال » مكان « نقابل » .
(٢) سقطت كلمة « الشكر » من « ط » . والجَنان : القلب
(٣) سورة إبراهيم ، من الآية السابعة .
(٤) قوله : « تعالى » عن « م » .
(٥) سورة غافر ، من الآية ٦٠ .
(٦) فى « م » : « فالله » .
(٧) فى « ط » : « نِعْمَة » .
(٨) صرف : أنفق . وفى « م » : « أصرف صحته » أى : قدمها خالصة

الْعُلَمَاءُ : مَنْعُ اللهِ تَعَالَى عَطَاءٌ . وَقَالَ قَوْمٌ : يُمْكِنُ تَقْدِيرُ الاسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، أَىْ : لَئِنْ شَكَرْتُمْ [١] لَأَزِيدَنَّكُمْ إِلَّا أَنْ تَعْصُوا فَأُعَاقِبَكُمْ بِالْحِرْمَانِ ، فَأَجْعَلُ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَكُمْ ، وَهُوَ أَصْلَحُ مِنْ أَنْ أُعَاقِبَكُمْ فِى الآخِرَةِ .

وَالنَّاسُ لا يَسْلَمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَلَوْ تَهَيَّأَ أَنْ يَسْلَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ لَدَرَّتِ الزِّيَادَاتُ [٢] قَالَ اللهُ ، تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** ﴾ [٣] . وَقَالَ : ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ [٤] . وَقَالَ قَوْمٌ : الآيَةُ خَاصَّةٌ لا مَحَالَةَ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ عَلَى عُمُومِهَا لَوَجَبَ أَنْ لا يَمُوتَ مَنْ شَكَرَ اللهَ تَعَالَى [٥] عَلَى الْحَيَاةِ . قَالَ الشَّيْخُ : قُلْتُ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ الزِّيَادَةَ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْعِبَادَةَ عَلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا الشَّاكِرُ ، فَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ الْمَزِيدُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْغَنِيَّ يَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى بِلِسَانِهِ وَمَالُهُ فِى نُقْصَانٍ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَخَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِى أَخَذَ [٦] عَلَيْهِ ، إِمَّا أَنْ لا يُزَكِّيَهُ ، أَوْ يُزَكِّيَهُ لِغَيْرِ أَهْلِهِ ، أَوْ يُؤَخِّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ ، أَوْ يَمْنَعَ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ كُسْوَةِ عُرْيَانٍ ، أَوْ إِطْعَامِ جَائِعٍ وَشِبْهِهِ ، فَيَدْخُلَ فِى قَوْلِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [٧] بِتَرْكِ أَدَبٍ ، أَوْ إِخْلَالٍ بِحَقٍّ ، أَوْ إِلْمَامٍ بِذَنْبٍ . كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَدْنَى الشُّكْرِ أَنْ لا تَعْصِيَ اللهَ بِنِعَمِهِ ، فَإِنَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَعْصِهِ [٨] بِهَا . وَيَحْتَمِلُ

---

(١) فى « م » : « الاستثناء فيها : إنْ شكرتم » .

(٢) درَّتِ الزيادات : كثرت ودامت ولم تنقطع .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٦٦ . وقد أُنزلت فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى

(٤) سورة نوح ، الآيات من ١٠ – ١٢ .

(٥) قوله : « الله تعالى » عن « م » .

(٦) فى « م » : « وقد أخذ » .

(٧) سورة الرعد ، من الآية ١١ .

(٨) فى « م » : « فلا تعصيه » لاتصح .

أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الآيَةِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إِنْ شِئْنَا [١] ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [٢] . وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يُرِيدُونَ حَرْثَ الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتَوْنَهُ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : نُؤْتِهِ مِنْهَا لِمَنْ نَشَاءُ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِى الآيَةِ الأُخْرَى : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [٣] . وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٤] . ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ [٥] لَهُمْ ، وَلَكِنْ مَعْنَى الآيَةِ : أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ شِئْتُ ، وَلِمَنْ شِئْتُ [٦] ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ [٧] . وَهَذَا مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ .

قَالَ الْجُنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَىِ السَّرِىِّ [٨] وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِى الشُّكْرِ ، فَقَالَ لِى : يَا غُلَامُ ، مَا الشُّكْرُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْ لا يُعْصَى [٩] اللهُ

---

(١) فى « م » : « لئن شكرتم » إنْ شئتُ .. وربما يريد : لأزيدنكم إنْ شئتُ .

(٢) سورة الشورى ، من الآية ٢٠ . والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كان يريد حَرْثَ الآخِرة نَزِدْ له فى حَرْثِه ، ومَنْ كان يريد حَرْثَ الدنيا نُؤْتِه منها ، وماله فى الآخرة من نصيب ﴾ .

والحرث : الثواب .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية ١٨ ، والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كان يريد العاجلة عجَّلْنَا له فيها مانشاء لِمَنْ نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورًا ﴾ والعاجلة : الدنيا . ومدحورًا : مطرودا من رحمة الله تعالى ، والمعنى : من كان يريد بعلمه الدنيا العاجلة ومنافعها فقط عجلنا له فيها مانشاء تعجيله من نعيمها ومظاهرها لمن نريد من الخلق حسب مشيئتنا ، فنعطيه قدرًا – لا كما يشاء هو ، بل كما نشاء نحن . أى : أن الأمر كله متعلق بالمشيئة الإلهية وحدها .

(٤) سورة غافر ، من الآية ٦٠ .

(٥) فى « ط » : « يستجيب » .

(٦) قوله : « ولِمَنْ شئْتُ » عن « م » .

(٧) سورة الأنعام ، من الآية ٤١ .

(٨) فى « م » : « فإن الجنيد كتب ... » تصحيف . والسَّرِىُّ هو : سَرِىُّ بن المُغَلِّس السَّقَطِىُّ ، أبو الحَسَن ، من كبار المتصوفة ، وُلِدَ ونشأ فى بغداد ، وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهُم فى وقته ، وهو خال الجنيد وأستاذه ، توفى فى بغداد سنة ٢٥٣ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٨٢ ، وطبقات الصوفية ص ٤٨ – ٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٧ – ١٩٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٩ – ٧٢ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١٨٥ – ١٨٧] .

(٩) فى « م » : « فقلتُ : لايعصى » .

تَعَالَى بِنِعَمِهِ . قَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللهِ لِسَانَكَ . فَلاَ أَزَالُ أَبْكِى عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَامَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاتُحْصُوهَا ﴾ (١) . وَمَا يَحْصُلُ (٢) مِنَ الأَفْعَالِ فى الْوُجُودِ يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهُ ؟ قُلْنَا : نِعَمُ اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهَيْنِ : دَفْعٌ ، وَمَنْعٌ ، فَالدَّفْعُ يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهُ ، وَدَفْعُ الْبَلَايَا نِعَمٌ (٣) لايُمْكِنُ إِحْصَاؤُهَا ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ [تَعَالَى] (٤) عَنْهُمْ مِمَّا فى مَقْدُورِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا يَدْفَعُ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ لايُحْصَى .

فَصْــلٌ

ثُمَّ عُدْنَا إِلَى أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ فى الشُّكْرِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَوْضِعُ الشُّكْرِ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْضِعُ الْقِرَى مِنَ الضَّيْفِ ، إِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَرُمْ ، وَإِنْ عَدِمَهُ لَمْ يَقُمْ (٥) . وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَقَالُوا : الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ . وَقَالُوا : الشُّكْرُ قَيْدُ الْمَوْجُودِ (٦) وَصَيْدُ الْمَفْقُودِ . وَقَالُوا : مُصِيبَةٌ وَجَبَ أَجْرُهَا خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لايُؤَدَّى شُكْرُهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أُعْطِى أَرْبَعًا لَمْ يُمْنَعْ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِى الشُّكْرَ لَمْ يُمْنَعِ الْمَزِيدَ ، وَمَنْ أُعْطِى التَّوْبَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِى الاسْتِخَارَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْخِيَرَةَ (٧) . وَمَنْ أُعْطِى الْمَشُورَةَ لَمْ يُمْنَعِ الصَّوَابَ . وَكَانَ يُقَالُ :

---

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٤ ، وسورة النحل : من الآية ١٨ .

(٢) فى « ط » : « تحصل » .

(٣) سقطت « نِعَمٌ » من « م » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٥) القِرَى : الإحسان إلى الضيف . ولم يَرُمْ ، أى : لم يطلبه . ولم يَقُمْ : لم يتبعه أو يبحث عنه .

(٦) فى « م » : « الوجود » .

(٧) الاستخارة : طلب الخير فى الشىء . والخِيَرَة : مايُختار .

إِذَا رُعِيَتِ النِّعَمُ بِالشُّكْرِ فَهِىَ أَطْوَاقٌ ، وَإِذَا رُعِيَتْ بِالْكُفْرِ فَهِىَ أَغْلَالٌ . قَالَ حَبِيبٌ [١] :

نِعَمٌ إِذَا رُعِيَتْ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ   نِعَمًا فَإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهْىَ مَصَائِبُ [٢]

وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْحَسَنِ [٣] بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى ذَكَّرَنِى . وَقَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : لا تَكُنْ مِمَّنْ يَعْجَزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِىَ ، وَيَبْتَغِى الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِىَ ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِى [٤] وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِى [٥] .. تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا تَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ [٦] ؟ وَتُبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ؟ تَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكَ وَلَا تَدَعُهَا فى طُولِ حَيَاتِكَ ؟ .

وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : أُشْكُرْ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ ، فَإِنَّهُ [٧] لابَقَاءَ لِلنِّعْمَةِ إِذَا كُفِرَتْ ، وَلَازَوَالَ لَهَا إِذَا شُكِرَتْ ، وَإِنَّ الشُّكْرَ زِيَادَةٌ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَمَانٌ مِنَ النِّقَمِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : ابْنَ آدَمَ ، مَتَى تَنْفَكُّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ وَأَنْتَ مُرْتَهِنٌ بِهَا ، كُلَّمَا شَكَرْتَ نِعْمَةً تَجَدَّدَ لَكَ بِالشُّكْرِ أَعْظَمُ مِنْهَا عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ [٨] لاتَنْفَكُّ بِالشُّكْرِ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا إِلَى مَاهُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا . وَقَالَ سُفْيَانُ [٩] : لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ

---

(١) هو : حبيب بن عيسى بن محمد العجمى ، أبو محمد ، كان زاهدًا عابدًا مجاب الدعوة ، فارسى الأصل ، سكن البصرة ، وبها توفى سنة ١١٩ هـ . وقيل سنة ١٢٥ .

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٦ ص ١٤٩ – ١٥٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٨٢ – ١٨٦ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٧ – ٢٠] .

(٢) ل « م » : « وإن لم تُرْعَ » .

(٣) هو الحسن البصرى ، وقد مر التعريف به .

(٤) ل « م » ، « ويبتغى الزيادة فيما بقى منها ولاينتهى .. » .

(٥) ل « م » : « يأمر الناس بما لا يجب أن يأتى » .

(٦) ل « م » : « يحب الصالحين ولايعمل بأعمالهم » .

(٧) ل « م » : « وإنَّهُ » .

(٨) ل « م » : « وأنت » .

(٩) هو : سفيان الثورى ، وقد مَرَّ التعريف به .

إِلَى يَعْقُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : عَلَى أَىِّ دِينٍ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ [١] .
قَالَ : الْحَمْدُ لله ، الآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ .

وَرُوِىَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، دُعِىَ إِلَى قَوْمٍ لِيَأْخُذَهُمْ عَلَى رِيبَةٍ ، فَافْتَرَقُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُمْ ، فَأَعْتَقَ عُثْمَانُ رَقَبَةً شُكْرًا لله تَعَالَى أَنْ لا يَكُونَ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ فَضِيحَةُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ . وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْتَزَمَ الرُّكْنَ [٢] وَقَالَ : إِلٰهِي ، نَعَّمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا ، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا ، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الشُّكْرِ ، وَلَا أَنْتَ أَدَمْتَ النِّقْمَةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ .. إِلٰهِى ، مَايَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ ، وَلَا مِنَ الْجَافِي إِلَّا الْجَفَاءُ . وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الله [٣] : الْخَيْرُ الَّذِى لاشَرَّ فِيهِ : الشُّكْرُ مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ .

وَرُوِىَ أَنَّ نَمْلَةً قَالَتْ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَبِىَّ الله ، أَنَا عَلَى قَدْرِى أَشْكَرُ لله [٤] مِنْكَ ! وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ ذَلُولٍ [٥] فَخَرَّ عَنْهُ سَاجِدًا [٦] شُكْرًا لله [تَعَالَى] [٧] ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنِّى أُبَجِّلُكَ [٨] لَسَأَلْتُكَ أَنْ تَنْزِعَ مِنِّى [٩] مَا أَعْطَيْتَنِى .

---

(١) فى « م » : « عن الإسلام » .

(٢) التزم الركن : أى الركن اليمانى من الكعبة ، والتزمه : اعتنقه ، ولذا سُمِّىَ « المُلْتَزم » لأن الناس يعتنقونه ويَضُمُّونَهُ إلى صدورهم ، وهذا مُستَحب للطائف بالكعبة .

(٣) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذلى ، خطيب ، وراوية وزاهدٌ ، كان من آدب أهل المدينة ، وسكن الكوفة ، فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وصحب عمر بن عبد العزيز فى خلافته ، وكان ذا منزلة عنده . وتوفى سنة ١٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٤٠ – ٢٧٢ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، والمعارف ص ٢٥٠] .

(٤) فى « م » : « لأشكَرُ لله » .

(٥) الذَّلُول : السهل الانقياد .

(٦) فى « م » : « فخرَّ ساجدًا » .

(٧) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٨) أى : أُعَظِّمُكَ وأُوَقِّرُك .

(٩) فى « م » : « تنزع عنى » وكلاهما وارد .

وَقَالَ صَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ [١] : بَيْنَمَا [٢] دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فى مِحْرَابِهِ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ دُودَةٌ ، فَتَفَكَّرَ فى خَلْقِهَا وَقَالَ : مَا يَعْبَأُ اللهُ بِخَلْقِ هَذِهِ [٣] ؟ فَأَنْطَقَهَا اللهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا دَاوُدُ [٤] تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ لَأَنَا عَلَى قَدْرِ مَا آتَانِىَ اللهُ أَذْكَرُ لله وَأَشْكَرُ لَهُ مِنْكَ فِيمَا آتَاكَ .

وَلِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ :

إِلٰهِى لَكَ الْحَمْدُ الَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى نِعْمَةٍ مَا كُنْتُ مِنْكَ لَهَا أَهْلَا [٥]

مَتَى ازْدَدْتُ تَقْصِيرًا تَزِدْنِى تَفَضُّلَا ... كَأَنِّى بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَا [٦]

وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ صَدِيقٌ فَحَبَسَهُ السُّلْطَانُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : اُشْكُرِ اللهَ تَعَالَى ، فَضُرِبَ الرَّجُلُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اُشْكُرِ اللهَ تَعَالَى ، فَجِيءَ بِمَجُوسِىٍّ مَبْطُونٍ [٧] وَقُيِّدَ فَجَعَلَ حَلْقَةً فى رِجْلِهِ وَحَلْقَةً فى رِجْلِ الْمَجُوسِىِّ فَكَانَ الْمَجُوسِىُّ [٨] يَقُومُ بِاللَّيْلِ مَرَّاتٍ ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ وَيَقِفَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ : اشْكُرِ اللهَ تَعَالَى ، فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَقُولُ ؟ وَأَىُّ بَلَاءٍ فَوْقَ هَذَا ؟ فَقَالَ

---

(١) هو : صدقة بن يسار الجزرى ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، نزل مكة ، وحدَّث عن طاووس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما ، وروَى عنه شعبة ، ومالك ، والسفيانان ، والضَّحَّاك بن عثمان ، وقد وثقه أحمد يحيى .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٠١] .

(٢) فى « ط » : « بينا » .

(٣) ما يعبأ الله بخلق هذه : لم يعدُّها شيئاً ، ولم يُبالِها .

(٤) فى « م » : « فقالت : يانبى الله » .

(٥) الشطرة الثانية من البيت فى المستطرف :

« على نِعَم ما كنتُ قطُّ لها أَهْلَا » .

(٦) مطلع البيت فى المستطرف : « إنْ زِدْتُ تقصيراً .. » .

[انظر البيتين فى الفصل الثانى من الباب الثانى والأربعين ، فى شكر النعمة ص ٥٠٨] .

(٧) هكذا فى « م » : وفى الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٤١ .. وفى « ط » : « فَجِيءَ لِمَحْبُوسٍ مجوسىٌّ مَبْطُون قُيِّد » . والمبطون : المريض ببطنه .

(٨) قوله : « فكان المجوسىُّ » عن « م » ولم ترد فى « ط » ولا يستقيم المعنى إلَّا بها .

صَاحِبُهُ : لَوْ وُضِعَ الزُّنَّارُ الَّذِى فى وَسَطِهِ فى وَسَطِكَ كَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ الَّذِى فى رِجْلِهِ رِجْلِكَ ، مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟

وَلِبَعْضِهِمْ :

وَمِنَ الرَّزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِىَ صَامِتٌ   عَمَّا فَعَلْتُ وَأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ (١)

أَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسِرُّهَا   إِنِّى إِذًا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقُ (٢)

وَقَالَ رَجُلٌ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (٣) : إِنَّ اللِّصَّ دَخَلَ دَارِى وَأَخَذَ مَتَاعِى : فَقَالَ : اشْكُرِ اللهَ تَعَالَى ، لَوْ دَخَلَ اللِّصُّ قَلْبَكَ – وَهُوَ الشَّيْطَانُ – فَأَخَذَ (٤) التَّوْحِيدَ ، مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ وَلَمَّا بُشِّرَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَغْفِرَةِ ، سَأَلَ الْحَيَاةَ (٥) ، فَقِيلَ لَهُ فِيهِ ، فَقَالَ : لِأَشْكُرَهُ ، فَإِنِّى كُنْتُ أَعْمَلُ قَبْلَهُ لِلْمَغْفِرَةِ ، فَبَسَطَ الْمَلَكُ جَنَاحَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ (٦) .

---

(١) هكذا البيت فى « ط » والرسالة القشيرية .. وفى « م » : « سرّك » مكان « برّك » .

(٢) فى « م » والرسالة القشيرية : « ليد الكريم » مكان « لندى الكريم » والمراد بها : نعمة الله سبحانه وتعالى .. وأسِرُّها : أخفيها .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التُّستَرى ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، وأحد المتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات ، وعيوب الأفعال .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٦ – ٢١١ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٧٧ – ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٢ – ٩٥ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٩ – ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ – ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٣٠ – ٣٣٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ مادة « تستر »] .

(٤) فى « م » : « وسرق » . مكان « وأخذ » .. وفى الرسالة القشيرية : « وأفسَدَ التوحيد » .

(٥) فى « م » : « فسأل المغفرة » .. وفى « ط » : « سأل المغفرة » ولا تستقيم معنًى ، والتصويب من الرسالة القشيرية . و « سأل الحياة » أى : إطالة حياته .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢] .

(٦) أشار القرآن إلى هذا فى سورة مريم . انظر الآيتين : ٥٦ ، ٥٧ .

وَيُرْوَى [1] أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] [2] مَرَّ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَأَنْطَقَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ : مُنْذُ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ : ﴿ **وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ وَأَنَا [3] أَبْكِي مِنْ خَوْفِهِ ، فَدَعَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ [4] رَبَّهُ أَنْ يُجِيرَهُ [5] مِنَ النَّارِ ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنِّي أَجَرْتُهُ مِنَ النَّارِ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ الْحَجَرَ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ مِثْلُ مَا كَانَ ، فَتَعَجَّبَ [6] فَأَنْطَقَ اللهُ تَعَالَى الْحَجَرَ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ تَبْكِي [7] ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ بُكَاءُ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ ، وَهَذَا بُكَاءُ الشُّكْرِ وَالسُّرُورِ .

وَرُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرْحَمُ عِبَادِي : الْمُبْتَلَى وَالْمُعَافَى [8] . فَقَالَ [9] : إِلٰهِي ، مَابَالُ الْمُعَافَى ؟ فَقَالَ : لِقِلَّةِ شُكْرِهِمْ عَلَى عَافِيَتِي إِيَّاهُمْ .. وَأَوْلَى رَجُلٌ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا خَيْرًا [10] فَقَالَ : لَا أَبْلَاكَ اللهُ بَلَاءً يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرُكَ [11] ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ [12] نِعْمَةً يَعْجَزُ عَنْهَا شُكْرُكَ .

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

---

(١) فى « م » : « ورُوِىَ » .
(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٣) هكذا فى الرسالة القشيرية .. وفى « م » و « ط » : « فأنا ».. وقوله تعالى : ﴿ وقودها الناسُ والحجارة ﴾ ورد فى سورة التحريم ، من الآية السادسة ، والبقرة من الآية ٢٤ .
(٤) فى « م » : « ﷺ » .
(٥) فى « م » : « أن يجيره الله تعالى » .
(٦) فى « م » : « فعَجِبَ » .
(٧) فى « م » : « لِمَ تبك » خطأ من الناسخ .
(٨) فى « م » : « أرحم المُعافَى والمبتَلَى » .
(٩) فى « م » : « قال » .
(١٠) هكذا فى المستطرف ج ١ ص ٥٠٧ والمعنى : حاباه وأنعم عليه .. وفى « م » : « وأولى رجل أعرابىٌّ بلاءً حسناً » . وفى « ط » : « وبلا رجلٌ أعرابيًّا بلاءً حسناً » .
(١١) فى « م » : « يعجز صبرك عنه » .
(١٢) فى « م » : « عنك » تحريف .

سَأَشْكُرُ لا أَنِّى أُجَازِيكَ مُنْعِمًا بِشُكْرِى وَلَكِنْ كَىْ يُرَى ذَلِكَ الشُّكْرُ (١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَىَّ اصْطَنَعْتَهَا وَآخِرُ مَايَبْقَى عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ (٢)

وَأَنْشَدُوا :

أَوْلَيْتَنِى نِعَمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِى كُلَّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلأَشْكُرَنَّكَ مَاحَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِى فِى قَبْرِهَا

وَلِبَعْضِ الأَعْرَابِ :

إِلٰهِى قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدْأَةً إِلَىَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُذْرِى إِقْرَارِى بِأَنْ لَيْسَ لِى عُذْرُ

وَكَانَ مُطَرِّفٌ (٣) يَقُولُ : إِلٰهِى ، مِنْكَ تَكُونُ النِّعْمَةُ ، وَعَلَيْكَ تَمَامُهَا ، وَأَنْتَ تُعِينُ عَلَى شُكْرِهَا ، وَعَلَيْكَ ثَوَابُهَا . وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنَ النِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ . وَقَدْ أَثْنَى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ فَقَالَ (٤) : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ (٥). وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ** ﴾ (٦) . وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ** ﴾ (٧) . ﴿ **وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ** ﴾ (٨) . وَقَالَ (٩) : ﴿ **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ** ﴾ (١٠) . لَيْسَ لِلرَّبِّ تَعَالَى فِيهَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ،فَإِنَّهُ أَجَلُّ

---

(١) فى المستطرف : « ولكن كى يُزادَ لك الشُّكْرُ » .
(٢) اصطنعتها ، بفتح التاء : أَحْسَنْتَ إِلَىَّ فيها . والمخاطبُ هو الله عزَّ وجَلَّ .
(٣) هو : مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ العامرى ، وقد سبق التعريف به .
(٤) فى « م » : « وقال الله تعالى فى الثناء على بعض عباده » .
(٥) سورة الإسراء ، من الآية الثالثة ، وقد نزلت فى سيدنا « نوح » عليه السلام .
(٦) سورة النحل ، من الآية ١٢١ ، وقد نزلت فى سيدنا « إبراهيم » عليه السلام .
(٧) سورة النمل ، من الآية ٤٠ .
(٨) سورة فاطر ، من الآية ١٨ . وفى « م » : « ومن يتزكى » تحريف من الناسخ
(٩) « وقال » عن « م » ولم يرد فى « ط » .
(١٠) سورة الإسراء ، من الآية السابعة .

مِنْ أَنْ تَنَالَهُ (١) الْحُظُوظُ ، وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ ثَنَاءُ مُثْنٍ (٢) أَوْ شُكْرُ شَاكِرٍ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْعُلُوَّ وَالْجَلَالَ لَهُ دُونَهُمْ ، وَأَنَّهُ يَتَقَدَّسُ (٣) عَنِ النَّاسِ بِثَنَاءِ مُثْنٍ ، أَوْ كُفْرِ كَافِرٍ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (٤) . فَوَاعَجَبًا ، أَعْطَى ثُمَّ أَثْنَى !

وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كُفْرُ النِّعْمَةِ دَاعِيَةُ الْمَقْتِ ، وَمَنْ جَازَاكَ بِالشُّكْرِ فَقَدْ أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ مِنْكَ . وَحقِيقٌ بِمَنْ (٥) أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ يُكَافِيءَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَشْكُرْ ، فَإِنْ شَكَرَهَا فَقَدْ أَدَّى حَقَّهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِى عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ ... لِرِفْعَةِ حَالٍ أَوْ عُلُوِّ مَكَانِ (٦)
لَمَا أَمَرَ الرَّحْمَنُ بِالشُّكْرِ خَلْقَهُ ... فَقَالَ اشْكُرُونِى أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٧)

وَقَالَ الْبُسْتِيُّ (٨) :

لَئِنْ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بِرِّكَ قُوَّتِى ... وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بِرِّكَ عَاجِزُ (٩)
فَإِنَّ ثَنَائِى وَاعْتِقَادِى وَطَاعَتِى ... لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتَنِيهِ مَرَاكِزُ (١٠)

---

(١) فى « ط » : « يَنال » . والحظوظ ، جمع حظ ، وهو : النصيب والعطاء .

(٢) أى : مَدْحُ مادحٍ .

(٣) فى « م » : « فإنه يتقدس » أى : يتنزَّهُ - جَلَّ وعَلَا .

(٤) سورة إبراهيم ، من الآية العاشرة .

(٥) فى « م » : « مِمَّنْ » .

(٦) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٢ : « لكثرة مالٍ » مكان « لِرفعة حالٍ » .. والبيت فى عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨١ ط دار الكتب العلمية :

« فلو كانَ يستغنى عن الشُّكر سَيِّدٌ ... لِعِزَّةِ مُلْكٍ أو عُلُوِّ مكانِ »

تنبيه : فيما سبق كان اعتمادنا على عيون الأخبار المطبوع فى الهيئة العامة للكتاب ، ومن هنا وإلى نهاية الكتاب - إن شاء الله تعالى - سيكون اعتمادنا على طبعة دار الكتب العلمية .

(٧) البيت فى العقد الفريد :

« لَمَا نَدَبَ اللهُ العبادَ لِشُكْرِهِ .. فقال اشكروا لى أَيُّهَا الثَّقَلانِ » والشطرة الأولى فى عيون الأخبار :

« لَمَا أَمَرَ اللهُ الجَلِيلُ بشُكْره » . ونَدَبَ : دعا . والثقلان : الإنس والجن .

(٨) هو الكاتب الشاعر : أبو الفتح ، على بن محمد .

(٩) أقوَى الورَى : أشَدُّ الخَلْقِ .

(١٠) مطلع البيت فى « م » « فإنَّ مُنَاىَ .. » .. ما أَوْلَيْتَنِيهِ : ما أكرَمْتَنى به من نِعَمٍ .

وَقَال إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلىُّ (١) : وَقَفَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ، تَغَيَّرَ عَلَيْنَا الدَّهْرُ إِذْ قَلَّ مِنَّا الشُّكْرُ ، وَفَارَقَنَا الْغِنَى ، وَحَالَفَنَا الْفَقْرُ ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً فَهِمَ بِعَقْلٍ ، وَأَعْطَى مِنْ فَضْلٍ ، وَوَاسَى مِنْ كَفَافٍ (٢) ، وَأَعَانَ عَلَى عَفَافٍ .

وَأَنْشَدُوا :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ ⠀⠀ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ (٣)

لمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ ⠀⠀ فَتَعْلَمَ أَنِّى امْرُؤٌ شَاكِرُ (٤)

وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِى الضَّمِيرِ ⠀⠀ يُحَرِّكُهُ الْكَلِمُ السَّائِرُ (٥)

وَقِيلَ لِكِسْرَى : مَا الشُّكْرُ ؟ فَقَالَ : الْمُكَافَأَةُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ . قِيلَ : فَمَا الْكُفْرُ (٦) ؟ قَالَ : تَرْكُ الْجَزَاءِ وَلَوْ بِالثَّنَاءِ . قِيلَ : وَهَلْ يَكُونُ أَحَدٌ أَبْخَلَ مِمَّنْ يَبْخَلُ بِالثَّنَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ عَادَى عَلَى الصَّنِيعَةِ (٧) .

* * *

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلى ، أبو محمد ، التميمى بالولاء ، المعروف بابن النديم الموصلى ، فارسى الأصل ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرّد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدّين وعلم الكلام ، وكان شاعراً وراوياً للشعر ، وحافظاً للأخبار ، وُلد فى بغداد سنة ١٥٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٢٣٥ هـ . وألّف الكثير من الكتب والتصانيف .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٢ – ٢٠٥ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣٨ – ٣٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٥ – ٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ – ٣٦١ ، والأغانى ج ٥ ص ١٩١٢ – ٢٠٧٩ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٢٥٠ – ٢٥٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٢ – ٨٤] .

(٢) الكفاف : ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) يَبِينُ : يفصح عنه ويوضحه .. وفى « م » : « إذا تأمله » ، وسقطت « ما » منها سهوًا من الناسخ ، ولا يستقيم الوزن إلّا بها . والأبيات فى عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨٠ وهى من المتقارب .

(٤) لَمَثَّلْتُه لك : لَشَبَّهتُه وصَوَّرْته لك . وفى عيون الأخبار : « لَبَيَّنْتُه لك » .

(٥) الكَلِمُ السَّائر : الكلام الذى شاعَ فى الناس .

(٦) الكفر : الجحود .

(٧) عادَى على الصنيعة : خاصَمَ مَنْ قدَّم له الخير والفِعْل الحَسَن ، وصار عدوًّا له .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ

فى بَيَانِ السِّيرَةِ الَّتِى يَصْلُحُ عَلَيْهَا الأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، مُسْتَخْرَجَةً مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [١] . فَأَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى الْمُمَاثَلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لا يُمَاثِلُونَنَا [٢] فى خَلْقِنَا وَأَشْكَالِنَا ، وَلَا فى عُقُولِنَا [٣] ، وَسَائِرِ مَا تُدْرِكُهُ الْعَيْنُ [٤] مِنْهُمْ وَمِنَّا ، فَتَبْقَى الْمُمَاثَلَةُ فى الأَخْلَاقِ ، فَلَا أَحَدَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا وَفِيهِ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ، وَلِهَذَا تَجِدُ أَخْلَاقَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفَةً : فَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الإِنْسَانِ خُلُقًا خَارِجًا عَنِ الاعْتِدَالِ ، فَأَبْصِرْ مَايُمَاثِلُ ذَلِكَ الْخُلُقَ مِنْ خُلُقِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ [٥] فَأَلْحِقْهُ بِهِ ، وَعَامِلْهُ

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ .

(٢) فى « م » و « ط » : « لا يماثلونا » .

(٣) قوله : « ولا فى عقولنا » عن « م » .

(٤) فى « م » : « وسائر ما يدركه حواسنا » .

(٥) فى « م » : « من سائر الحيوان » .

كَمَا كُنْتَ تُعامِلُهُ بِهِ (١) ، فَحِينَئِذٍ تَسْتَرِيحُ مِنْ مُنَازَعَتِهِمْ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْكَ ، وَتَدُومُ الصُّحْبَةُ .

فَإِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ الْجَاهِلَ فى خَلائِقِهِ ، الْغَلِيظَ فى طِبَاعِهِ ، الْقَوِىَّ فى بَدَنِهِ ، الَّذى (٢) لا يُؤْمَنُ طُغْيَانُهُ (٣) وَإِفْرَاطُهُ فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ النُّمُورِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَجْهَلُ مِنْ نَمِرٍ (٤) . وَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ النَّمِرَ بَعُدْتَ عَنْهُ وَلَمْ تُخَاصِمْهُ وَلا تُسَابِبْهُ (٥) . فَاسْلُكْ بِالرَّجُلِ كَذَلِكَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ الْغَالِبَ عَلَى أَخْلَاقِهِ السَّرِقَةَ خُفْيَةً ، وَالنَّقْبَ (٦) لَيْلًا عَلَى وَجْهِ الاسْتِسْرَارِ (٧) قُلْنَا : هَذَا يُمَاثِلُ عَالَمَ الْجُرَذِ (٨) ، فَدَعْ مُلَاحَاتَهُ (٩) وَمُخَاصَمَتَهُ ، كَمَا تَدَعُ سِبَابَ الْجُرَذِ (١٠) إِذَا أَفْسَدَ رَحْلَكَ ، ثُمَّ أَحْيِ (١١) رَحْلَكَ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ . وَإِذَا رَأَيْتَ هَجَّامًا عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَثَلْبِهِمْ (١٢) فَقَدْ مَاثَلَ عَالَمَ الْكِلَابِ ، فَإِنَّ دَأْبَ الْكَلْبِ (١٣) أَنْ يَجْفُوَ مَنْ لا يَجْفُوهُ ، وَيَبْتَدِئَ بِالْأَذِيَّةِ مَنْ لا يُؤْذِيهِ ، فَعَامِلْهُ بِمَا كُنْتَ

---

(١) « بِهِ » عن « ط » .

(٢) « الذى » عن « م » .

(٣) فى « م » : « لا يُؤْمَنُ من طغيانه » وكلاهما وارد فى اللغة .

(٤) ويقولون أيضاً : « أجهل من فراشة » لأنها تطلب النار فتلقى نفسها فيها .. و « أجهل من عقرب » لأنها تمشى بين أَرْجُل الناس ولا تكاد تبصر ، وغير ذلك .

[انظر مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للأصبهانى ج ١ ص ١٠٧ ، ١٢١] .

(٥) ولا تسابِبْهُ : الواو عاطفة ، ولا : نافية لا عمل لها ، وتُسابِبْهُ : تُشاتِمْهُ ، وهو معطوف على الفعل المجزوم بلَمْ قبله .

(٦) النَّقْبُ : الخَرْقُ فى الجدار من أجل التسلل والسرقة . وفى « م » : « التعب » تحريف .

(٧) الاستسرار : الاستتار والخفاء . مصدر فِعْلُه : اسْتَسَرَّ ، بمعنى استتر وخَفِىَ .

(٨) الْجُرَذُ : الكبير من الفئران ، وجمعه جُرْذَان ، بضم الجيم وكسرها .

(٩) مُلاحاته : منازعته .

(١٠) فى « م » : « سِبَاب الرَّجُل » لا تستقيم معنًى .

(١١) أَحْيِ ، أى : أَصْلِحْ ما فسد منه .. وفى « م » : « أَخْبَأ » وهى قريبة من المعنى السابق .

(١٢) الثَّلْبُ : العيبُ والنقيصة .

(١٣) دَأْب الكلب : عادته وشأنه .

تُعامِلُ بِهِ الْكَلْبَ إِذَا نَبَحَكَ ، أَلَسْتَ تَذْهَبُ فى شَأْنِكَ وَلَا تُخَاصِمُهُ وَلَا تَسُبُّهُ ؟ فَافْعَلْ بِمَنْ يَهْتَضِمُ عِرْضَكَ مِثْلَ ذَلِكَ (١) .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَدْ جُبِلَ عَلَى الْخِلَافِ ، إِنْ (٢) قُلْتَ : لا ، قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : لا ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الْحَمِيرِ ، فَإِنَّ دَأْبَ الْحِمَارِ إِنْ أَدْنَيْتَهُ (٣) بَعُدَ ، وَإِنْ أَبْعَدْتَهُ قَرُبَ ، وَأَنْتَ تَسْتَمْتِعُ بِالْحِمَارِ وَلَا تَسُبُّهُ ، وَلَا تُفَارِقُهُ ، فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا بِهَذَا الإِنْسَانِ وَلَا تَسُبُّهُ وَلَا تُفَارِقُهُ (٤) . وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطْلُبُ عَثَرَاتِ النَّاسِ وَسَقَطَاتِهِمْ ، فَمَثَلُهُ فى الآدَمِيِّينَ (٥) كَمَثَلِ الذُّبَابِ فى عَالَمِ الطَّيْرِ ، فَإِنَّ الذُّبَابَ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ فَيَتَحَامَى (٦) صَحِيحَهُ ، وَيَطْلُبُ الْمَواضِعَ النَّغِلَةَ (٧) مِنْهُ وَذَوَاتَ الْمَادَّةِ وَالدَّمِ والنَّجَاسَةِ . وَإِذَا بُلِيتَ بِسُلْطَانٍ (٨) يَهْجُمُ عَلَى الأَمْوَالِ وَالأَرْوَاحِ فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الأُسُودِ ، وَخُذْ حِذْرَكَ مِنْهُ كَمَا تَأْخُذُ حِذْرَكَ مِنَ الأَسَدِ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ (٩) .

* وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ (١٠) *

---

(١) قوله : « فافعل ... مثل ذلك » عن « ط » ولم يرد فى « م ».

(٢) فى « م » : « فإنْ » . وجُبِلَ على الخلاف : طُبِعَ عليه .

(٣) فى « م » : « إذا أَدْنَيْتَه » أى : قَرَّبْتَه .

(٤) قوله : « فاستمتعْ أيضاً ... ولا تفارقه » عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(٥) فى « م » : « فمثله فى الناس » .

(٦) يتحامَى : يتجنَّب .

(٧) النَّغِلَة : المتغيرة الزَّنِخَة .

(٨) فى « م » : « وإذا بُلِيتَ بإنسان » .

(٩) هو النابغة الذبيانى ، زياد بن معاوية بن ضباب الغطفانى المُضَرى ، أبو أُمامة ، شاعر جاهلى من الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، كانت تُضْرَبُ له قُبَّة من جلد أحمر بسوق عكاظ ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان حظيًّا عند النعمان بن المنذر ، حتَّى شبَّبَ فى قصيدة له بالمتجردة « زوجة النعمان » ، فغضب عليه النعمان ، وغاب زمناً ، ثم رضى عنه . وسُمِّى النابغة لأنه لم يقُلْ شعرًا قط حتى صار رجلاً . وساد قومه ، وتوفى نحو سنة ١٨ قبل الهجرة .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٥٤ ، ٥٥ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٧٨٩ – ٣٨٢٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٧ – ١٧٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٥ – ١٣٨ ، وديوان النابغة ص ٣ ط دار المعارف ، وشعراء النصرانية ص ٦٤٠ – ٧٣٢] .

(١٠) قوله هذا من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه مِمَّا بلغه عنه فيما وشى به لديه فى أمر « المتجردة » . ومطلعها :

=

وَإِذَا بُلِيتَ بِإِنْسَانٍ خَبِيثٍ كَثِيرِ الرَّوَغَانِ وَالْمُفَاجَرةِ (١) فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الثَّعَالِبِ . وَإِذَا بُلِيتَ بِمَنْ يَمْشِي بِالنَّمَائِمِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الأَحِبَّةِ ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الظَّرِبَانِ (٢) ، وَهِيَ دَابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، تَقُولُ الْعَرَبُ عِنْدَ تَفَرُّقِ الْجَمَاعَةِ : فَسَا (٣) بَيْنَهُمْ ظَرِبَانٌ فَتَفَرَّقُوا ، وَخَاصِيَّةُ (٤) هَذِهِ الدُّوَيْبَةِ (٥) إِذَا حَصَلَتْ وَسْطَ جَمَاعَةٍ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، وَكَمَا أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ هَذِهِ الدَّابَّةُ طَرَدُوهَا وَمَنَعُوهَا الدُّخُولَ بَيْنَهُمْ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي إِخْرَاجُ النَّمَّامِ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ (٦) ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا (٧) يُوشِكُ أَنْ يُفَرِّقَ مَابَيْنَهُمْ (٨) وَيُفْسِدَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَاناً لا يَسْمَعُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيَنْفِرُ مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَيَأْلَفُ سَمَاعَ أَخْبَارِ (٩) أَهْلِ الدُّنْيَا وَسَائِرَ الْخُرَافَاتِ وَمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الْعَوَامِّ ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الْخَنَافِسِ ، فَإِنَّهُ يُعْجِبُهُ أَكْلُ الْعَذِرَاتِ ، وَيَأْلَفُ رَوَائِحَ النَّجَاسَاتِ ، وَلَا تَرَاهُ

« يادار مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ » . والبيت بتمامه :

« أُنبئتُ أنَّ أبا قابوسَ أوْعَدني .. ولا قرارَ على زَأْرٍ من الأسد » .

وأبو قابوس : هو النعمان بن المنذر . وأوعدني : هددني . وزأْرُ الأسد وزئيره : صوته . يقول : وعيد النعمان تستقر معه نفسي ولا تطمئنُّ هَيِّنةً له ، كما لا تطيق ولا تسكن في مكانٍ يُستَمَعُ فيه إلى زئير الأسد .

[انظر الديوان ص ٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٦٧ ، وشعراء النصرانية ص ٦٦٧ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٧] .

(١) الرَّوَغَان : المخادَعَة .. والمُفاجَرة : الإفساد .. وفي « ط » : « المفاخرة » بالخاء المعجمة ، أي : المباهاة بما له من المحاسن .

(٢) الظَّرِبَانُ : حيوان من رتبة اللَّوَاحم ، وهو أصغر من السِّنَّور ، أصْلَمُ الأذُنَيْن ، قصير القوائم ، مُنْتِنُ الرائحة .

(٣) في « م » : « مشى » . والأول أشهر .

(٤) في « ط » : « وخاصة » . وكلاهما بمعنى واحد ، وتعنيان : الصفة التي تميز الشيء وتحدده .

(٥) الدُّوَيْبَّة : تصغير دابَّة .

(٦) في « م » : « من بين الخليقة » .

(٧) في « م » : « فإن يفعلوا » لا تصح معنًى .

(٨) في « م » : « فيما بينهم » .

(٩) في « م » : « وتأليف أخبار » .

إِلَّا مُلَابِساً لِلأَخْلِيَةِ (١) وَالْمَرَاحِيضِ ، وَيَنْفِرُ مِنْ رَوَائِحِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدِ ، وَإِذَا طُرِحَ عَلَيْهِ الْمِسْكُ وَالْوَرْدُ مَاتَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَاناً (٢) إِنَّمَا دَأْبُهُ حِفْظُ الدُّنْيَا ، لا يَسْتَحِي فى الْوُثُوبِ عَلَيْهَا ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الأَحْدِيَهِ (٣) بِأَنْ تُنَحِّيَ رِجْلَكَ عَنْهُ ، وَإِذَا بُلِيتَ (٤) بِالرَّجُلِ تَظْهَرُ عَلَيْهِ الدِّيَانَةُ (٥) وَالسَّكِينَةُ ، وَقَدْ نَصَبَ أَشْرَاكَهُ لِاقْتِنَاصِ الدُّنْيَا وَأَكْلِ أَمْوَالِ الْوَدَائِعِ (٦) وَالأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الذِّئَابِ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ (٧) :

ذِئْبٌ تَرَاهُ مُصَلِّيـــاً فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعْ
يَدْعُـو وَجُـلُّ دُعَائِـهِ مَا لِلْفَرِيسَةِ لا تَقَعْ
عَجِّلْ بِهَا يَاذَا الْعُلَا إِنَّ الْفُؤَادَ قَدِ انْصَدَعْ

فَاحْتَرِزْ (٨) مِنْهُ كَمَا تَحْتَرِزُ مِنَ الذِّئْبِ .

وَإِذَا بُلِيتَ بِصُحْبَةِ إِنْسَانٍ كَذَّابٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ الْكَذَّابَ كَالْمَيِّتِ فى الْحُكْمِ ، لايُقْبَلُ لَهُ خَبَرٌ ، كَمَا لايُقْبَلُ خَبَرُ الْمَيِّتِ (٩) ، وَكَمَا تَصْحَبُ الْمَوْتَى لاتَصْحَبِ الْكَذَّابَ ، وَقِيلَ (١٠) فى الْمَثَلِ : كُلُّ شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَصُحْبَةُ الْكَذَّابِ لاشَيْءَ ، وَيَجُوزُ أَنْ

---

(١) مُلابساً للأخلية ، أى : مُلازماً للأمكنة الخالية .
(٢) من قوله : « وإذا رأيت إنساناً .. » إلى قوله : « بُليت » عن « ط » وساقط من « م » .
(٣) الأحْدِيَة : جمع حِدَاء ، مثل لِوَاء وأَلْوِيَة ، وكِسَاء وأَكْسِيَة . والحِدَاءُ : جمع حِدَأَة ، وهى الطائر المعروف الذى ينقضُّ على الجرذان والدواجن ونحوها . ويضرب بها المثل فيقال : « أخطَفُ مِنْ حِدَأَة » . كما تجمع أيضاً على حِدَإٍ وَحِدْآنٍ .
(٤) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .
(٥) فى « م » : « دِيانَة » .
(٦) فى « ط » : « الودائع والأمانات » .
(٧) فى « ط » : « كما قال فيه القائل » .
(٨) فى « ط » : « احْتَرِزْ » .
(٩) فى « ط » : « لأنه لا يقبل له خبر ، كما لا خبر للميت » .
(١٠) فى « م » : « وقد قيل » .

يُلْحَق بِعَالَمِ النَّعَامِ ، فَإِنَّهُ يَدْفِنُ جَمِيعَ بَيْضِهِ تَحْتَ الرَّمْلِ ثُمَّ يَتْرُكُ وَاحِدَةً عَلَى وَجْهِ الرَّمْلِ ، وَأُخْرَى تَحْتَ طَاقَةٍ مِنَ الرَّمْلِ ، وَسَائِرَ بَيْضِهِ فى قَعْرِ الْحُفْرَةِ ، فَإِذَا رَآهُ الْغِرُّ [١] يَأْخُذُ [٢] تِلْكَ الْبَيْضَةَ وَيَنْصَرِفُ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الرَّمْلِ فَيَجِدُ الأُخْرَى ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ [٣] شَيْءٌ آخَرُ ، وَالْخَبِيرُ بِحَالَةِ النَّعَامِ إِذَا رَأَى الْبَيْضَةَ لايَزَالُ يَحْفِرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَاجَتِهِ ،وَلَا يَغْتَرُّ بِتِلْكَ الْبَيْضَةِ [٤] ، كَذَلِكَ الْكَذَّابُ ، إِذَا سَمِعْتَ مِنْهُ خَبَرًا لاتُصَدِّقْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْغَايَةَ فى الْكَشْفِ عَنْهُ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ إِنَّمَا دَأْبُهُ أَنْ يَصْنَعَ بِنَفْسِهِ [٥] كَمَا تَصْنَعُ الْعَرُوسُ لِبَعْلِهَا : يُبَيِّضُ ثِيَابَهُ ، وَيُعَدِّلُ عِمَامَتَهُ ، وَيَتَّقِى أَنْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَيَنْظُرُ عِطْفَيْهِ [٦] ، وَيَطْرَحُ الْقَذَى عن ثَوْبِهِ [٧] ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ بَيْنَ الْجُلَسَاءِ إِلاَّ نَظَرُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِصْلَاحَ مَا انْثَنَى مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الطَّوَاوِيسِ الَّذِى هَذِهِ صِفَتُهُ [٨] ، فَإِنَّهُ يَتَبَخْتَرُ فى مِشْيَتِهِ [٩] وَيَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَفْرِشُ ذَنَبَهُ ، فَيَتَّخِذُهُ [١٠] الْمُلُوكُ اسْتِحْسَاناً لَهُ .

وَإِذَا بُلِيتَ بِإِنْسَانٍ حَقُودٍ لايَنْسَى الْهَفَوَاتِ ، وَيُجَازِى بَعْدَ الْمُدَّةِ عَلَى السَّقَطَاتِ ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الْجِمَالِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : فُلَانٌ [١١] أَحْقَدُ مِنْ جَمَلٍ ، وَتَجَنُّبُ [١٢] قُرْبَ الْجَمَلِ الْحَقُودِ ، فَاجْتَنِبْ صُحْبَةَ الرَّجُلِ [١٣] الْحَقُودِ .

---

(١) الغِرُّ : مَنْ يجهل الأمور ، أو مَنْ ينخدع إذا خُدِعَ . وفى « م » : « الغير » . والأول أوجه .
(٢) فى « م » : « وأخذ » الواو زيادة من الناسخ .
(٣) ثَمَّ : هُنَاك .
(٤) فى « م » : « بتلك الحالة » .
(٥) فى « ط » : « يصنع نَفْسَه » .
(٦) عِطْفَيْه : جانِبَيْه ، وهما من الإنسان من لَدُن رأسه إلى وَرِكه .
(٧) فى « ط » : « ثَوْبَيْه » .
(٨) فى « م » : « الذين هذه صِفَتُهم » .
(٩) فى « م » : « فى مَشْيِهِ » .
(١٠) فى « م » : « فتتخذه » . وذنبه : ذيله .
(١١) قوله : « فلان » عن « ط » .
(١٢) أى : وتتجنب .
(١٣) فى « م » : « الجمل » .

وَإِذَا بُلِيتَ بِإِنْسَانٍ مُنَافِقٍ (١) يُبْطِنُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ ، فَأَلْحِقْهُ بِعَالَمِ الْيَرْبُوعِ ، فَإِنَّ الْيَرْبُوعَ – وَهُوَ فَأْرٌ يَكُونُ فِى الْبَرِّيَّةِ – يَتَّخِذُ جُحْرًا تَحْتَ الأَرْضِ يُقَالُ لَهُ : النَّافِقَاءُ ، وَلَهُ فُوَّهَتَانِ ، يَدْخُلُ مِنْ إِحْدَاهُمَا وَيَخْرُجُ مِنَ الأُخْرَى ، وَمِنْهُ اُشْتُقَّ اسْمُ الْمُنَافِقِ ، فَإِذَا هَمَّ أَحَدٌ بِأَخْذِهِ دَخَلَ (٢) جُحْرَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْبَابِ الآخَرِ ، فَيَحْفِرُ الصَّيَّادُ خَلْفَهُ فَلَا يَظْفَرُ بِشَىْءٍ ، كَذَلِكَ حَالُ الْمُنَافِقِ لَايَصِحُّ مِنْهُ شَىْءٌ (٣) . وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ كُنْ فِى صُحْبَةِ النَّاسِ ، تَسْتَرِيحُ مِنْهُمَ وَتُرِيحُهُمْ مِنْكَ ، فَلَعَمْرِ اللهِ مَا اسْتَقَامَتْ لِي صُحْبَةُ النَّاسِ وَسَكَنَتْ نَفْسِي وَاسْتَرَاحَتْ (٤) مِنْ مُكَابَدَةِ أَخْلَاقِهِمْ إِلَّا مِنْ حَيْثُ سِرْتُ مَعَهُمْ بِهَذِهِ السِّيرَةِ .

وَقَالَ الرِّيَاحِيُّ (٥) : يَابَنِى رِيَاحٍ ، لاتَحْقِرُوا صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّى أَخَذْتُ مِنَ الثَّعْلَبِ رَوَغَانَهُ (٦) ، وَمِنَ الْقِرْدِ مَكَايَدَهُ (٧) ، وَمِنَ السِّنَّوْرِ ضَرَعَه (٨) ، وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ ، وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ ، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ مَشْىَ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الشَّمْسِ الظُّهُورَ فِى الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ (٩) .

* * *

---

(١) فى « م » : « بإنسان يُبطن » .

(٢) فى « م » : « فإذا هَمَّ بأخذِه ودخَلَ ... » .

(٣) قوله : « كذلك حال المنافق لا يصح منه شيء » عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) فى « م » : « واسترحتُ » .

(٥) هو : خالد بن عتَّاب بن ورقاء الرِّياحى ، شجاع من الأبطال ، كان من أشراف الكوفة ، وأحد الذين حاربوا شبيباً الخارجى فى جيش الحجاج ، وهو الذى قتل « مصاداً» أخا شبيب ، و « غزالة » امرأة صالح بن مُسَرّح الخارجيّ ، والتحم معه أصحاب شبيب فى معركة بناحية المدائن ، فانهزم أصحاب خالد ، فتراجع حتى أشرف على دجلة فألقى نفسه فيه بفرَسِه ولواؤه بيده ، فغرق ، فقال شبيب : قاتله الله ، هذا أشدُّ الناس ! وكان ذلك سنة ٧٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ص ٥٩٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥٨ – ٦٠ ، وانظر النص فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠] .

(٦) الرَّوَغان : المكر والاحتيال .

(٧) فى العقد الفريد : « حكايته » أى : محاكاته .

(٨) الضَّرَع : الذِّلّة والخضوع .

(٩) فى « م » والعقد الفريد : « الظهور الحين بعد الحين » .

الْبَابُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ

فِى بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِى فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ السُّلْطَانِ ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ ، وَطِيبَةُ النُّفُوسِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَتَى كَمَلَتْ فِيكَ [1] الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ ، وَالأَخْلَاقُ الْمَشْكُورَةُ ، وَالسِّيرَةُ [2] الْمُسْتَقِيمَةُ ، وَمَلَكْتَ نَفْسَكَ ، وَقَهَرْتَ هَوَاكَ ، وَوَضَعْتَ الأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرَّعِيَّةَ اهْتَضَمَتْ حَقَّكَ ، وَجَهِلَتْ قَدْرَكَ ، وَلَمْ تُوَفِّكَ ، حَظَّكَ ، فَبَلَغَكَ مِنْهُمْ مَايَسُوءُكَ ، وَرَأَيْتَ مِنْهُمْ مَالَا يُعْجِبُكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلٰهٍ ، فَلَا تَطْمَعَنَّ أَنْ يَصْفُوَ [3] لَكَ مِنْهُمْ مَالَا يَصْفُو [4] مِنْهُمْ لِلإِلٰهِ .

وَفَصْلُ الْخِطَابِ فِى هَذَا الْبَابِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ ، فَأَكْمَلَ حَوَاسَّهُمْ ، وَخَلَقَ فِيهِمُ الشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ

---

(١) فى « م » : « أَنَّ مَنْ كملتْ فيه » .
(٢) فى « م » : « والسِّيَرُ » جمع سيرة .
(٣) فى « م » : « فى أن يَصْفُوَ » .
(٤) فى « م » : « يصفو لك » .. « لك » زيادة من الناسخ

نِعمَهُ ، وَكَمَلَتْ [١] لَهُمُ اللَّذَّاتُ ، وَبَعْدَ هَذَا فَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَا عَظَّمُوهُ [٢] حَقَّ عَظَمَتِهِ ، بَلْ قَالُوا فِيهِ مَالَا يَلِيقُ بِهِ ، وَوَصَفُوهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ مَايَتَقَدَّسُ [٣] عَنْهُ ، وَسَلَبُوهُ مَايَجِبُ لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى [٤] ، فِمنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ [٥] ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ زَوْجَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ ابْنٌ [٦] ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ الْبَنَاتُ [٧] ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَسِّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهُ [٨] ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَهُ رَأْساً وَقَالَ : مَا لِلْخَلْقِ صَانِعٌ ، كَمَا حَكَاهُ الْخَالِقُ عَنْهُ فَقَالَ : ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [٩] . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُحْيِيهِمْ وَيُبْقِيهِمْ ، وَيُصِحُّ أَجْسَامَهُمْ وَحَوَاسَّهُمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ [١٠] وَيُنْعِشُهُمْ ، وَيَقْضِي مَآرِبَهُمْ وَأَوْطَارَهُمْ ، وَيُمَتِّعُهُمْ مَتَاعًا

---

(١) فى « م » : « فكَمَلَتْ » .

(٢) فى « م » : « عظَّمُونه » تحريف .

(٣) يتقدَّس : يتنزَّه .

(٤) فى « م » : العُلْيَا .

(٥) الذين قالوا بالتثليث طائفة من النصارى ، ويعنون به أن الله أحدُ أقانيم – أى أصول – ثلاثة ، والأقنومان الآخران : عيسى وأُمّه – الأب والابن والروح القدس – تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرا . [انظر الآية ٧٣ من سورة المائدة] .

(٦) هم اليهود والنصارى ، فقالت اليهود : عُزَيْرٌ ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . [انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة ، وانظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ الباب الثانى ص ٢٠٨ ومابعدها] .

(٧) هم السفهاء من قريش من قبائل جهينة وبنى سَلَمة وخزاعة وغيرهم ، أنَّثوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله .

[انظر سورة الصَّافات ، الآيات ١٤٩ – ١٥٤ ، والآية ٣٩ من سورة الطور] .

(٨) انظر القول فى صفة « الجسمية » فى مناهج الأدلة فى عقائد المِلَّة لابن رشد ، بتحقيق د . محمود قاسم ص ١٧١ وما بعدها ، وانظر دراسات فى الفلسفة الإسلامية لمحمود قاسم أيضاً ص ١٦٦ ، وانظر « المُشَبِّهَة » فى الملل والنِّحَل ج ١ ص ١٠٣ وما بعدها .

(٩) هؤلاء هُم الدهريون الذين عطلوا حواسَّهم وعقولهم ، فتركوا النظر والمشاهدة والسمع والتفكير ، وأنكروا البعث والحساب ، ووجود الإله الخالق الذى يحيى ويميت ، وقالوا : ليس وراء حياتنا التى نحياها فى الدنيا حياة أخرى ، لكننا نحيا ونموت وينتهى أمرنا عند ذلك ، وليس لهم على قولهم هذا حُجة أو دليل ، فهُم كالأنعام ، بل هُم أضَلّ .. والآية بتمامها : **﴿ وقالوا ما هى إلَّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلَّا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إنْ هُم إلَّا يظنون ﴾** .

[سورة الجاثية ، الآية ٢٤] .

(١٠) فى « م » كرر الناسخ – سهوًا – الفعل « ويرزقهم » .

حَسَناً ، وَيَبْلُغُهُمْ آمَالَهُمْ فى مُعْظَمِ مَايَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَمَعَاصِيهِمْ إِلَيْهِ صَاعِدَةٌ ، وَبَرَكَاتُهُ [١] عَلَيْهِمْ نَازِلَةٌ ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [٢] ، وَيُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ ، وَكُلُّ ذِى حَالَةٍ [٣] أَوْلَى بِهَا .

وَفِى مُنَاجَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ [٤] : إِلٰهِى ، أَسْأَلُكَ أَنْ لَا يُقَالَ فِىَّ مَا لَيْسَ فِىَّ .. فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : ذَلِكَ شَىْءٌ مَا فَعَلْتُهُ لِنَفْسِى [٥] فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِكَ ؟ وَفِى هَذِهِ السِّيرَةِ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَر ، وَذِكْرَى لِمَنِ ادَّكَرَ [٦] ، مَعَ أَنَّكَ إِنِ الْتَمَسْتَ رِضَا جَمِيعِ النَّاسِ [٧] الْتَمَسْتَ مَالَا يُدْرَكُ ، وَكَيْفَ يُدْرَكُ رِضَا الْمُخْتَلِفِينَ [٨] ؟ .

فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِى قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ ، وَالْعُمُرَ الْقَصِيرَ ، وَالزَّمَانَ الْيَسِيرَ ، وَالأَيَّامَ الْمَعْدُودَةَ ، وَالْأَنْفَاسَ الْمحْصُورَةَ ، كَيْفَ أَرَدْتَ أَنْ يَصْفُوَ لَكَ مِنَ الرَّعِيَّةِ مَالَمْ يَصْفُ مِنْهُمْ لِخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُحْيِيهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، بَعِيدٌ مَا أَمَّلْتَ ، وَمُسْتَحِيلٌ مَا طَلَبْتَ ، فَلَكَ فى اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَنْ تَرْضَى مِنْهُمْ بِمَا رَضِىَ مِنْهُمْ خَالِقُهُمْ [٩] ، وَتَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَرَضِىَ مِنْكَ [١٠] بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْثَرَ لَكَ [١١] مِنَ النِّعَمِ ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَوَلِ ،

---

(١) فى « م » : « وَبِرّ » .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « كل يفعل » . وما ورد فى « ط » مطابق لما ورد فى الآية الرابعة والثمانين من سورة الإسراء .. وشاكِلَته : مذهبه الذى يشاكل حالَهُ . أو : سَجِيَّته وطَبعه .

(٣) فى « ط » : « حال » . والحال والحالة بمعنى واحدٍ .

(٤) « أنه قال » عن « ط » .

(٥) فى « م » : « ياموسى ، ذلك شىء ما فعلته بنفسى » .

(٦) ادَّكَر : اتَّعظَ .

(٧) فى « م » : « إذا التمست رضا جميع الخَلق » .

(٨) فى « م » : « وكيف تُرضِى المُخْتَلِفين ؟ » .

(٩) فى « م » : « خالقهم ، ورازقهم ، ومحييهم ، ومُميتهم » . تكرار لما سبق .

(١٠) فى « م » : « أَحْسَنَ إليهم ، فرضِىَ منهم » بضمير الغائبين .

(١١) فى « م » : « وأكثر لهُم » .

فَانْظُرْ (١) كَيْفَ يَسْتُرُ زَلَّاتِكَ ، وَيَتَغَمَّدُ (٢) سَيِّئَاتِكَ ، وَلَا يَفْضَحُكَ فِى خَلَوَاتِكَ ، فَفِى هَذَا (٣) مَا يُمَهِّدُ النُّفُوسَ (٤) ، وَيُؤَدِّبُ ذَوِى الْعُقُولِ (٥) ، وَيَهْدِى إِلَى الصَّوَابِ ، وَيُوضِّحُ طُرُقَ الرَّشَادِ ، وَلِلّٰهِ دَرُّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٦) ، لَقَدْ كَانَ وَاعِيًا لِمَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ رُوِىَ عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (٧) : كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

* * *

---

(١) فى « م » : « وانظر » . والخَوَل : عطيةُ الله من النَّعَم والعبيد وغيرهم من الأتباع والحشم « للواحد والجمع والذكر والأنثى .

(٢) يتغمَّد : يستر ويُغطى .

(٣) فى « م » : « ففى مثل هذا » .

(٤) يمهد النفوس : يجعلها سَهلة مُهَيَّأة لِتَقَبُّل النُّصح .

(٥) فى « م » : « ويؤدبُ العقولَ » .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٧) فى « م » : « رضى الله عنه » .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

فى بَيَانِ الْخصْلَةِ الَّتِى فِيهَا مَلْجَأُ الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقَلُ السَّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الأُمُورِ وَتَغَيُّرِ الْوُجُوهِ وَالأَحْوَالِ (*)

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِذَا اعْتَلَجَتِ [1] الأُمُورُ فى صَدْرِكَ ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْكَ الْقَوَاعِدُ ، وَمَرَجَتْ [2] فى قَلْبِكَ وُجُوهُ الرَّأْيِ ، وَتَنَكَّرَتْ عَلَيْكَ الْمَعَارِفُ ، وَاكْفَهَرَّ لَكَ وَجْهُ الزَّمَانِ ، وَرَأَيْتَ آثَارَ الْغِيَرِ [3] فَلَا يَغْلِبَنَّكَ خَصْلَتَانِ : أُتْرُكْ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَلَكَ الأَمَانُ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ [4] ، وَمَا يَأْتِى بِهِ الْمَلَوَانِ [5] . وَقَدْ رُوِىَ أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ [6]

(*) فى « م » : « السلطان » مكان « السلاطين » .. و « اضطراب الممالك » مكان « اضطراب الأمور » .

(1) اعتلجتْ : اصطرَعَتْ .

(2) مَرَجَتْ : اختلطتْ .

(3) هذه العبارة عن « م » ولم ترد فى « ط » . والغِيَرُ : الأحداث المتغيرة .

(4) طوارق الحَدَثَان : حوادث الليل والنهار .

(5) الْمَلَوان : الليل والنهار .

(6) فى « م » « ولله دَرُّ المأمون فإنه قال » .

فى آخِرِ مَوَاقِفِهِ (١) مَعَ أَخِيهِ الأَمِينِ ، وَقَدْ نَفِدَتْ (٢) بُيُوتُ الأَمْوَالِ ، وَأَلَحَّتِ الأَجْنَادُ فى طَلَبِ أَرْزَاقِ الْمَأْمُونِ (٣) : بَقِيتْ لِأَخِى خَصْلَةٌ لَوْ فَعَلَهَا مَلَكَ مَوْضِعَ قَدَمَىَّ هَاتَيْنِ .. قِيلَ لَهُ : وَمَا هِىَ (٤) ؟ فَقَالَ : وَاللهِ إِنِّى لَأَضَنُّ (٥) بِهَا عَلَى نَفْسِى ، فَكَيْفَ عَلَى غَيْرِى ؟ فَلَمَّا خَلَصَ لَهُ الأَمْرُ سُئِلَ عَنْ تِلْكَ الْخَصْلَةِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الأَمِينَ نَادَى فى جَمِيعِ بِلَادِهِ (٦) أَنَّهُ قَدْ حَطَّ الْخَرَاجَاتِ وَالْوَظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ وَسَائِرَ الْجِبَايَاتِ عَشْرَ سِنِينَ لَمَلَكَ (٧) الأَمْرَ عَلَىَّ ، وَلَكِنَّ اللهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَلَمَّا خَشِيَ الْمَأْمُونُ انْتِقَاضَ بَيْعَتِهِ مَعَ أَهْلِ خُرَاسَانَ فى أَمْرِ فِتْنَتِهِ مَعَ أَخِيهِ الأَمِينِ ، اسْتَشَارَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ ، وَكَانَ وَزِيرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : قَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ، وَحَدِيثَ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٨) ، وَالَّذِى عِنْدِى : أَنْ تَجْمَعَ الْفُقَهَاءَ وَتَدْعُوَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَإِحْيَاءِ السِّيرَةِ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ ، وَالْقُعُودِ عَلَى اللُّبُودِ (٩) ، وَتُوَاصِلَ النَّظَرَ فى الْمَظَالِمِ ، وَتُكْرِمَ الْقُوَّادَ وَالْمُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ ، وَتَعِدَهُمْ (١٠) بِالْمَوَاعِيدِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ ، وَالْوِلَايَاتِ الْمُشَاكِلَةِ (١١) . فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَطَّ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ (١٢) رُبْعَ الْخَرَاجِ ، فَمَالَتْ وُجُوهُ الْخَلَائِقِ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : ابْنُ أُخْتِنَا ،

---

(١) فى « ط » : « فى آخر موافقة » .

(٢) فى « م » : « نفذت الأموال » و « نفذت » بالذال المعجمة لا يصح فى هذا المقام . ونفدت – بالدال المهملة فَنِيَتْ وانقطع ما بها من الأموال .

(٣) فى « م » : « فى طلب الأرزاق ، فقال المأمون » .

(٤) فى « م » : « وما هِيَ يا أمير المؤمنين ؟ » .

(٥) لأضنُّ : لأبخَلُ .. وفى « م » : « لا أظن » تحريف .

(٦) فى « م » : « عسكره بلاده » خلط من الناسخ .

(٧) فى « م » « مَلكَ » .

(٨) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٩) اللُّبود : جمع لِبْد ، وهو ضَرْبٌ من البُسُط يُتخذ من الصوف . [انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٧] .

(١٠) فى « ط » : « وتعهد » .

(١١) المشاكِلَة : المماثلة .

(١٢) فى « م » : « وحطَّ عنهم » .

وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّنَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وانْقَادَ إِلَيْهِ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ [١] ، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ بِخُرَاسَانَ .

وَيَدْخُلُ [٢] تَحْتَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ أَمْرٌ اتَّفَقَ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ [٣] وَالرُّومِ وَالْفُرْسِ وَالْهِنْدِ ، وَهُوَ أَنْ تَصْطَنِعَ [٤] وُجُوهَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ [٥] مِنْ كُلِّ عَشِيرَةٍ ، وَتُحْسِنَ إِلَى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ [٦] وَالْعِلْمِ وَحُفَّاظِ الشَّرِيعَةِ ، وَتُدْنِيَ [٧] مَجَالِسَهُمْ ، وَتُقَرِّبَ [٨] الصَّالِحِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ ، وَكُلَّ مُتَمَسِّكٍ بِعُرْوَةِ الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ بِالأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالرُّؤَسَاءِ الْمَتْبُوعِينَ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ ، فَهَؤُلَاءِ ، هُمْ أَزِمَّةُ الْخَلْقِ [٩] ، وَبِهِمْ يَمْلِكُ مَنْ سِوَاهُمْ .

فَمِنْ كَمَالِ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاسَةِ أَنْ تُبْقِيَ عَلَى كُلِّ ذِي رِيَاسَةٍ رِيَاسَتَهُ ، وَعَلَى كُلِّ ذِي عِزٍّ عِزَّهُ [١٠] وَعَلَى كُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ [١١] مَنْزِلَتَهُ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرُّؤَسَاءُ لَكَ أَعْوَانًا ، وَمَنْ دَانَتْ لَهُ الْفُضَلَاءُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَأَخْلِقْ بِهِ أَنْ يَدُومَ سُلْطَانُهُ . وَالْعَامَّةُ وَالأَتْبَاعُ دُونَ

---

(١) هو : رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ثائر ، من بيت إمارة ورياسة ، كان مقيماً فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ، وعُزِل وحُبِس ، وهرب من الحبس ، فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠ هـ وخلع طاعة الرشيد ، ودعا إلى نفسه ، وتوجّه إليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ لقتاله ، فانهزم رافع سنة ١٩٣ هـ وضعف أمره واختلف المؤرخون في مصيره . قال ابن كثير : لما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد وفاة الرشيد – بعث رافع إلى المأمون يسأله الأمان ، فأمّنه ، فسار إليه بمن معه سنة ١٩٤ هـ فأكرمه المأمون وعظّمه وتوفى سنة ١٩٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٦ – ١٢٨ وغيرها من الصفحات ، والبداية والنهاية ج ١ ص ٢١١] .

(٢) فى « م » : « ودخل » .

(٣) فى « م » : « العرب والعجم » .

(٤) فى « م » : « يصطنع » بالياء .. وتصطنع وجوه كل قبيلة : تحسن إليهم .

(٥) فى « م » : « والمقدَّم » .

(٦) فى « م » : « حَمَلَة العِلْم » .

(٧) فى « م » : « ويُدنى » .

(٨) فى « م » : « ويُقرِّب » .

(٩) أزِمَّة الخلق : قُوَّادهم ومُقَدَّموهم .

(١٠) فى « ط » : « عزّته » .

(١١) فى « ط » : « منزل » .

مُقَدَّمِيهِمْ وَسَادَاتِهِمْ ، وَأَتْبَاعُهُمْ [١] أَجْسَادٌ بِلَا رُءُوسٍ ، وَأَشْبَاحٌ بِلَا أَرْوَاحٍ .. وَلَمَّا قَامَتِ الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ بِقُرْطُبَةَ وَلَبِسُوا السِّلَاحَ ، كَانَ شَيْخٌ جَالِسٌ [٢] عَلَى كِيرِهِ [٣] يُعَالِجُ صَنْعَتَهُ ، فَقَالَ : مَا بَالُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : قَامَتِ [٤] الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ . قَالَ [٥] : وَلَهُمْ رَأْسٌ [٦] ؟ . قَالُوا : لا .. قَالَ : شُقَّ الْكِيرَ يَا صَبِيُّ .. فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

* * *

(١) سقطت « وأتباعهم » من « م » والسياق يتطلب وجودها .
(٢) فى « م » : « جالسا » وكلاهما له وجْهٌ ، فالنصب على أنها خبرٌ لكان ، والرفع على الوصفية .
(٣) فى « م » : « على كير » والكير : جلد غليظ ذو حافات يستخدمه الحدَّاد وغيره للنفخ فى النار وإشعالها .
(٤) فى « م » : « قد قامت » .
(٥) فى « م » : « فقال » .
(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ولهم رأس مّا ؟ » و « ما » هنا للإبهام ، أى : وهل لهم أىُّ رئيس ؟

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ

فِى بَيَانِ الْخِصَالِ الْمُوجِبَةِ لِذَمِّ الرَّعِيَّةِ لِلسُّلْطَانِ

قَالَ حَكِيمُ الْفُرْسِ : ذَمُّ الرَّعِيَّةِ [لِلْمَلِكِ] (١) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : إِمَّا كَرِيمٌ قُصِّرَ بِهِ عَنْ قَدْرِهِ (٢) فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ ضِغْنًا (٣) ، وَإِمَّا لَئِيمٌ بُلِغَ بِهِ فَوْقَ قَدْرِهِ فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ بَطَرًا (٤) ، وَإِمَّا رَجُلٌ مُنِعَ حَظُّهُ مِنَ الإِنْصَافِ .. وَفِى الأَمْثَالِ : إِحْسَانُكَ إِلَى الْحُرِّ يَبْعَثُهُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى اللَّئِيمِ الْخَسِيسِ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

وَقِيلَ لِلأَسْكَنْدَرِ : إِنَّ فُلَانًا يَنْتَقِصُكَ وَيُسِيءُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ .. فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشِرِّيرٍ ، فَيَنْبَغِى أَنْ نَعْلَمَ هَلْ نَالَهُ مِنْ نَاحِيَتِنَا أَمْرٌ دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَبَحَثَ عَنْ حَالِهِ فَوَجَدَهَا رَثَّةً (٥) ، فَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ (٦) ، فَبَلَغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ لِسَانَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ،

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » .
(٢) فى « م » : « قُدرته » والأول أوْجَه .
(٣) الضِّغْن : الحقد الشديد .
(٤) بَطراً : استخفافاً ، وكُفرًا بالنعمة .
(٥) رَثَّة : رديئة لا تُحْمَد .
(٦) صِلَة سنية : عطاء جزيل .

فَقَالَ : أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ الأَمْرَ إِلَيْنا [١] أَنْ يُقَالَ فِينَا خَيْرٌ أَوْ شَـرٌّ ؟

وَيَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَتَّخِذَ الرَّعِيَّةَ مَالًا وَقُنْيَةً [٢] ، فَيَكُونَ عَلَيْهِمْ [٣] بَلَاءً وَفِتْنَةً ، وَلَكِنْ يَتَّخِذَهُمْ أَهْلًا وَإِخْوَانًا ، فَيَكُونُونَ لَهُ جُنْدًا وَأَعْوَانًا ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : إِصْلَاحُ الرَّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ .

* * *

(١) فى « م » : « إلىَّ » .
(٢) القُنْيَة ، بضم القاف وكسرها : ما يُكتسب ويكون خالصاً له .
(٣) فى « ط » : « فيكونوا عليه » .

البَابُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

فى مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ (*)

مَثَلُ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَثَلُ الْيَاقُوتَةِ النَّفِيسَةِ الرَّفِيعَةِ فى وَسَطِ الْعِقْدِ ، وَمَثَلُ الرَّعِيَّةِ مَثَلُ سَائِرِ الشَّذْرِ (١) ، فَلَا تَلْحَظُ الْعُيُونُ إِلَّا الْوَاسِطَةَ (٢) ، وَأَوَّلُ مَا يُبْصِرُ الْمُقَلِّبُونَ (٣) وَيَنْقُدُ النَّاقِدُونَ الْوَاسِطَةَ ، وَإِنَّمَا يُثْنِى الْمُثْنُونَ عَلَى الْوَاسِطَةِ ، وَكُلَّمَا حَسُنَتِ الْوَاسِطَةُ غَمَرَتْ (٤) سَائِرَ الشَّذْرِ فَلَا يَكَادُ يُذْكَرُ . كَمَا قَالَ ابْنُ صَعْدَةَ : لَقِيتُ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ (٥) رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا (٦) ، فَسَفَرَتْ لِى عَنْ وَجْهِ

(*) فى « م » : « السائر » وهى صفة للمَثل .

(١) الشَّذْرُ : خَرَزٌ يُفصَل به بين حبَّاتِ العقد ونحوه .

(٢) يعني : واسطة العِقْدِ ، أى : الياقوته النفيسة التى فى وسطه ، والمراد بها السلطان

(٣) المقلِّبون : التجار الذين يُقلِّبون السلعة لاختبارها .

(٤) غَمَرَتْ ، بالغين المعجمة : غَطَّتْ وأخفَتْ .. وفى « م » : « وكلما حَسُنَت عَمَرَت » .. وفى « ط » جاء الفعل أيضاً بالعين المهملة ، وإنْ كان له وَجْهٌ ، غير أنَّ الأول هو الأنسب للسياق ، والأقرب للأفهام .

(٥) هى : سُكَيْنَة بنت الحسين بن عليٍّ بن أبى طالب ، واسمها : أميمة أو آمنة ، وسكينة لقَبٌ لها ، وهى سيدة فاضلة ، وشاعرة كريمة ، كانت تجالس الأجِلَّةَ من قريش ، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم ، وتناقشهم ، وتجيزهم ، وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة سنة ١١٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩٤ – ٣٩٧ ، ونسب قريش ص ٥٩ ، والأغانى ج ١٦ ص ٥٩٢١ – ٥٩٦١] .

(٦) فى « م » : « عنها » . وسَفَرتْ : كشفَتْ .

ابْنَتِهَا ، وَإِذَا وَجْهٌ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَقَدْ أُصْقَلَتْهَا بِالْجَوَاهِرِ وَالْيَوَاقِيتِ وَأَنْوَاعِ الدُّرِّ (١) ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : وَاللهِ مَا عَلَّقْتُهُ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَفْضَحَنَّهُ (٢) .

وَكَمَا أَنَّ جَمَالَ السِّلْكِ (٣) أَنْ يَلِيَ الْوَاسِطَةَ الأَفْضَلَ فَالأَفْضَلَ مِنَ الشَّذْرِ ، وَإِنْ كَانَ السِّلْكُ (٤) عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَ النَّظْمِ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ (٥) ، وَالأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَالأَصَالَةِ وَالشَّرَفِ ، وَالْحَصَافَةِ وَذَوِي الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ نَقْصًا فِى التَّدْبِير ، وَكَمَا أَنَّ جَمَالَ الْعِقْدِ بِوَاسِطَتِهِ ، كَذَلِكَ جَمَالُ الرَّعِيَّةِ بِكَمَالِ سُلْطَانِهِمْ وَفَضْلِهِ وَبَرَاعَتِهِ وَعَدْلِهِ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ مَثَلُ الشَّوْكَةِ فى الرِّجْلِ ، فَصَاحِبُهَا تَحْتَ أَلَمٍ وَقَلَقٍ ، وَيَتَدَاعَى (٦) لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَرُومُ قَلْعَهَا ، وَيَسْتَعِينُ بِمَا فى مَيْسُورِهِ مِنَ الآلَاتِ وَالْمَنَاقِيشِ وَالإِبَرِ عَلَى إِخْرَاجِهَا ، لأَنَّهَا فى غَيْرِ مَوْضِعِهَا الطَّبِيعِيِّ ، وَيُوشِكُ أَنْ تُقْلَعَ بِالأُجْرَةِ ، فَأَيْنَ غَرْزُ الْيَاقُوتِ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ (٧) ؟

* * *

---

(١) فى « ط » : « الدُّرر » .

(٢) فى « م » : « لتفضحه » .

(٣) السِّلك : الخيطُ الذى يُنظَمُ فيه الخرز ونحوه .. وفى « م » : « الملك » تحريف .

(٤) « السلك » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٥) فى « م » : « أهل العلم والفضل » .

(٦) يتداعَى : ينهار .

(٧) غَرْزُ الياقوت : الغَرْزُ : الغُصْنُ يُغْرَسُ فى قضيب الكَرْم للوصل . والقتاد : نبات صلب ، وله شوك كالإبر .

البَابُ الْمُوفِى أَرْبَعِينَ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ

اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ الله – أَنَّ الزَّمَانَ وِعَاءٌ لأَهْلِهِ ، وَرَأْسُ الْوِعَاءِ أَطْيَبُ مِنْ أَسْفَلِهِ ، كَمَا أَنَّ رَأْسَ الْجَرَّةِ أَرَقُّ وَأَصْفَى مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَلَئِنْ قُلْتَ : إِن الْمُلُوكَ الْيَوْمَ لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ [1] فَالرَّعِيَّةُ أَيْضاً لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَلَسْتَ بِأَنْ تَذُمَّ أَمِيرَكَ إِذَا نَظَرْتَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ بِأَوْلَى [2] مِنْ أَنْ [3] يَذُمَّكَ أَمِيرُكَ إِذَا نَظَرَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا جَارَ عَلَيْكَ السُّلْطَانُ فَعَلَيْكَ الصَّبْرُ وَعَلَيْهِ الْوِزْرُ .

رَوَى [4] الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ [5] قَالَ : « بَايَعْنَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ليسوا كمِثل مَنْ مضَى مِنَ الرعية » وسيأتى .

(٢) فى « م » : « أَوْلَى » .

(٣) « أنْ » عن « م » .

(٤) فى « م » : « ورَوَى » .

(٥) هو : عبادة بن الصَّامِت بن قيس الأنصاريّ ، الخزرجِيّ ، أبو الوليد ، صحابى من الموصوفين بالوَرَع ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد بدراً وسائر المشاهد ، ثم حضر فتح مصر ، وهو أول من ولى القضاء بفلسطين ، وتوفى بالرَّملة أو ببيت المقدس سنة ٣٤ هـ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، والمحبر ص ٢٧٠ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠ ، ٢١] .

فِيمَا [1] أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِى مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا [2] ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا ، وَأَثْرَةً عَلَيْنَا [3] ، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ [4] ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا [5] عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ » [6] . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » [7] . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَالَ لَنَا النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [8] : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا . قَالُوا : فَمَا تأْمُرُنَا [9] يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : أَدُّوا لَهُمْ حُقُوقَهُمْ [10] ، وَاسْأَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ » [11] .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ : أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [12] قَالَ : « سَيَأْتِيكُمْ رَكْبٌ [13] مُبْغَضُونَ يَطْلُبُونَ مِنْكُمْ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا سَأَلُوا ذَلِكَ فَأَعْطُوهُمْ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « بايعنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال فيما أخذ » وكرر الفعل الأخير .. وفى البخارى : « دعانا النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فبايعناه فقال : فيما أخذ علينا » .

(٢) مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا : أى فى حالة نشاطنا ، وفى الحالة التى نكون فيها عاجزين عن العمل بما نُؤمَر به . والظاهر أنه أراد وقت الكسل والمشقة فى الخروج .

(٣) هكذا فى « م » وفى البخارى .. وفى « ط » : « وأثرته » والمراد بقوله : « وأَثْرَةً علينا » : أنَّ طاعتهم لِمَنْ يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم ، بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم .

(٤) أى : المُلك والإمارة .

(٥) بواحاً : ظاهرًا بادياً .

(٦) برهان : نص آية ، أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل .. وهذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن ، باب قول النبىَ (ﷺ) سترون بعدى أمورًا تنكرونها .. ج ١٣ ص ٥ ، ٦ من فتح البارى ، وصحيح البخارى ج ٩ ص ٥٩ ، ٦٠ ط دار الشعب .

(٧) الحديث رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس عن النبى (ﷺ) فى كتاب الفتن أيضاً [انظر المصدرين السابقين] .

(٨) فى « ط » : « عليه السلام » .. ووقع هنا خلطٌ من الناسخ فى « م » بين هذا الحديث والحديث السابق .

(٩) فى « م » : « فيما تأمُر » .

(١٠) نص البخارى : « أدُّوا إليهم حقهم » .

(١١) رواه البخارى فى كتاب الفتن [انظر المصدرين السابقين] .

(١٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(١٣) الرَّكْبُ : الراكبون ، العشرة فما فوق .. وفى سنن أبى دواد : « رُكَيْبٌ » بالتصغير .

وَلَا تسبُّوهُمْ ، وَلِتَدْعُوا لَهُمْ » (١) . وَهَذَا حَدِيثٌ عظِيمُ الْمَوْقِعِ فى هَذَا الْبَابِ ، فَنَدْفَعُ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَا نُنَازِعُهُمْ فِيهِ ، وَنَكُفُّ أَلْسِنَتَنَا عَنْ سَبِّهِمْ (٢) .

يَا عَبْدَ اللهِ ، لا تَجْعَلْ سِلَاحَكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنِ الثِّقَةَ بِاللهِ ، فَلَا مِحْنَةَ فَوْقَ مِحْنَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا جَعَلُوهُ فى كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ (٣) لِيُقْذَفَ بِهِ فى النَّارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيمَانِى بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِى فِيكَ ، فَانْصُرْنِى عَلَيْهِمْ ، وَاكْفِنِى كَيْدَهُمْ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : وَجَدْتُ فى بَعْضِ الْكُتُبِ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : إِنِّى أَنَا اللهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ (٤) ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِى ، فَمَنْ أَطَاعَنِى جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً ، وَمَنْ عَصَانِى جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً ، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَىَّ أُعَطِّفْهُمْ عَلَيْكُمْ (٥) . وَفِى بَعْضِ الْكُتُبِ : ابْنَ آدَمَ ، تَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ ، وَيَدْعُو عَلَيْكَ مَنْ ظَلَمْتَهُ ، فَإِنْ شِئْتَ أَجَبْنَاكَ وَأَجَبْنَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ الأَمْرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَسَعُكُمُ الْعَفْوُ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٦) : لا تَجْعَلْ مَلْجَأَكَ فى الأَعْدَاءِ الْمُكَافَأَةَ (٧) ، وَلَكِنِ الثِّقَةَ باللهِ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فى السُّنَنِ ، قَالَ : سُرِقَتْ مِلْحَفَةٌ

---

(١) فى « م » : « وليدْعُوا لكم » .. وفى سنن أبى داود : « فإذا جاءوكم فَرَحِّبُوا بهم ، وخَلُّوا بينهم وبين ما يبتغون ، فإنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِم ، وإنْ ظلموا فعليها ، وأَرْضُوهم ، فإن تمام زكاتكم رِضاهم ، وليدْعُوا لكم » . [انظر كتاب الزكاة ، باب رضا المصدق ج ٢ ص ١٠٨ الحديث رقم ١٥٨٨ من سنن أبى داود] .

(٢) فى « م » : « عنهم وعن سَبِّهِم » .

(٣) المَنْجَنيق ، بفتح المِيم وكسرها : آلة من آلات الحصار ، تُرْمَى بها الحجارة . والكِفَّة ، بكسر الكاف : كل شىء مستدير ، ومنها كِفَّة الميزان .

(٤) فى « م » : « مالك الملوك » .

(٥) فى « ط » : « توبوا إلى الله » . وأعطِفْهُم عليكم : أجعلُ قلوبهم تعطف عليكم وترحمكم .

(٦) فى « م » : « عليه السلام » .

(٧) المُكافأة : التساوى والمماثلة .

لِعَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ أَخَذَهَا ، فَسَمِعَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] فَقَالَ : « لا تُسَبِّخِي عَنْهُ » [٢] يَعْنِي : لا تُخَفِّفِي عَنْهُ ، فَنَهَاهَا عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ كَمَا تَرَى . فَإِذَا قَالَ الْمَظْلُومُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لا تُوَفِّقْهُ ، فَقَدْ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الرَّعِيَّةِ ، لأَنَّهُ مِنْ قِلَّةِ تَوْفِيقِهِ ظَلَمَكَ ، وَلَوْ كَانَ مُوَفَّقًا مَا ظَلَمَكَ . فَإِنِ اسْتُجِيبَ دُعَاؤُكَ فِيهِ زَادَ ظُلْمُهُ لَكَ .

وَمِنَ الأَلْفَاظِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، قَوْلُهُمْ : لَوْ كَانَتْ عِنْدَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْنَاهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ . وَقَالَ الْفُضَيْلُ : لَوْ ظَفِرْتُ بِبَيْتِ الْمَالِ لأَخَذْتُ مِنْ حَلَالِهِ وَصَنَعْتُ مِنْهُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ الصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنَ الأَخْيَارِ وَالأَبْرَارِ ، فَإِذَا فَرَغُوا [٣] قُلْتُ لَهُمْ : تَعَالَوْا نَدْعُو رَبَّنَا أَنْ يُوَفِّقَ [٤] مُلُوكَنَا وَسَائِرَ مَنْ يَلِي عَلَيْنَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَنَا .

وَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ دَارَ عُثْمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عُثْمَانَ : وَا أَبَتَاهُ ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بِنْتَ أَخِي ، إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةً وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَانًا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ حِلْمًا تَحْتَ غَضَبٍ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةً [٥] تَحْتَهَا حِقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، فَإِنْ [٦] نَكَثْنَا بِهِمْ نَكَثُوا بِنَا ، وَلَا نَدْرِي أَعَلَيْنَا تَكُونُ أَمْ لَنَا [٧] ، وَلأَنْ تَكُونِي ابْنَةَ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونِي امْرَأَةً مِنْ عُرْضِ [٨] الْمُسْلِمِينَ .

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٢) لا تُسَبِّخِي عنه ، أى : لا تُخَفِّفِي عنه إِثْمَهُ الذى استحقه بالسرقة بدعائك عليه . يريد : أن السارق إذا دعا عليه المسروق منه خفَّفَ ذلك عنه .. وفى « ط » : « لا تُسَنِّحِي عنه » بالنون المعجمة والحاء المهملة ، وهى بمعناها . [انظر نص الحديث فى سنن أبى داود فى كتاب الأدب ، باب فيمن دعا على من ظلم ج ٤ ص ٢٧٩ الحديث رقم ٤٩٠٩ ، وانظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، مادة « سَبَخ »] .

(٣) أى : انتهوا من تناول الطعام .

(٤) فى « م » : « يوفق » مكان « يوفق » تصحيف .

(٥) فى « م » : « وأظهرنا لهم طاعة » تكرار وتحريف من الناسخ .

(٦) فى « م » : « وإنْ » .

(٧) يعنى : الخلافة والحُكم .. وفى « م » : « ولا ندرى أيكون علينا أم لنا » .

(٨) عُرْض المسلمين ، بضم العين وسكون الراء المهملتين : مُعْظَمُهُمْ وعامَّتُهُمْ .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُقَلَاءِ غَصَبَهُ بَعْضُ الْوُلَاةِ [١] ضَيْعَةً لَهُ ، فاسْتَعْدَى [٢] عَلَيْهِ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللهُ ، أَأَذْكُرُ حَاجَتِى أَمْ أَضْرِبُ [٣] لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ : بَلِ اضْرِبْ لِى قَبْلَهَا [٤] مَثَلًا . قَالَ : أَصْلَحَكَ اللهُ ، إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَفِرُّ إِلَى أُمِّهِ ، إِذْ لا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ، وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا [٥] لا نَاصِرَ فَوْقَهَا ، فَإِذَا تَرَعْرَعَ وَاشْتَدَّ وَأُوذِىَ [٦] كَانَ فِرَارُهُ وَشَكْوَاهُ إِلَى أَبِيهِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ [٧] أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَبَهُ أَمْرٌ ، شَكَا إِلَى الْوَالِى [٨] ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ [٩] أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ [١٠] ، فَإِذَا زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكَا إِلَى السُّلْطَانِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ سِوَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يُنْصِفْهُ السُّلْطَانُ ، شَكَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ نَزَلَتْ بِى نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِى ، وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا [١١] إِلَى اللهِ فِى الْمَوْسِمِ ، فَإِنِّى مُتَوَجِّهٌ إِلَى بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ تَعَالَى . قَالَ : بَلْ [١٢] نُنْصِفُكَ .. وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ [١٣] .

* * *

(١) فى « م » : « غصبَهُ السُّلطان » .

(٢) استعْدَى : استعان واستَنْصَرَ .

(٣) فى « م » : « أو أضْرِبُ » .

(٤) فى « م » : « فيها » مكان « قبلها » .

(٥) فى « ط » : « أنَّهُ » .

(٦) فى « ط » : « وأُذِىَ » .

(٧) فى « م » : « أنَّ » .

(٨) هنا فى « م » : « فإذا بلَغ وزاد عقْلُه ، واشتدت شكيمتُهُ ، شكا إلى السلطان » وستأتى .. واشتدت شكيمته : قَوِىَ قلبُه وصار ذا أَنَفةٍ وإباء .. وحَزَبَهُ أمْرٌ : أصابَهُ واشتد عليه .

(٩) فى « م » : « أنَّهُ » .

(١٠) فى « م » : « من أبيه وأمه » . بعدها : « فإن لم يُنْصِفْه السُّلطان شكا إلى الله تعالى » وستأتى .

(١١) فى « م » : « أمْرِى » .

(١٢) فى « م » : « فإن لم » مكان « بل » تحريف .

(١٣) « إليه » عن « ط » .

الْبَابُ الْحَادِى وَالأَرْبَعُونَ

فِى : كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ (*)

لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكُمْ ، كَمَا تَكُونُونَ (١) يُوَلَّى عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِى الْقُرْآنِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ (٢) . وَكَانَ يُقَالُ : مَا أَنْكَرْتَ مِنْ زَمَانِكَ فَإِنَّمَا أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ عَمَلُكَ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَنْصِفُونَا يَا مَعْشَرَ الرَّعِيَّةِ (٣) ، تُرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَلَا تَسِيرُونَ (٤) فِينَا وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَتِهِمَا ؟ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلٍّ . وَقَالَ قَتَادَةُ (٥) : قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : إِلَـٰهَنَا ، أَنْتَ فِى

(*) فى « م » و « ط » : « كما تكونوا » . ولا تصح ، لأن « كما » ليست شرطية . والصواب كما ورد فى الحديث الشريف : « كيفما تكونوا يُوَلَّ عليكم » .

(١) فى « ط » : « تكونوا » - انظر الهامش السابق - وعُمَّالُكُم : حُكامُكم .

(٢) فى « م » : « اجتزأ بقوله : « وكذلك نُوَلِّى » فقط .. والآية بتمامها : ﴿ وكذلك نُوَلِّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ . « سورة الأنعام ، الآية ١٢٩ » . والمعنى : أنَّ الظُّلم إذا فشا وانتشر فى أُمَّة سَلَّط الله عليها حاكماً ظالماً وابتلاها به ، ووجد مِمَّن حوله من يعينونه على الظلم .

(٣) فى « م » : « يا معشرَ الظَّلَمَة » .

(٤) فى « م » و « ط » : « ولا تسيروا » لا تصح .

(٥) هو : قتادة بن دِعَامَة بن قتادة بن عزيز ، أبو الخطاب السَّدُوسى البصرى ، من علماء الناس بالقرآن والفقه ، وكان من حُفَّاظ أهل زمانه ، وكان أعمى ، جَالَسَ سعيد بن المُسَيَّب أيَّاماً ، فقال له سعيد : قُمْ يا عمَّى فقد نزفتنى . وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة . توفى بواسط سنة ١١٧ هـ ، وقيل : بعدها بسَنة ، وولد سنة ٦١ هـ .

السَّمَاءِ [1] وَنَحْنُ فِى الأَرْضِ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ رِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِمْ : إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، وإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَقَدْ سَخِطْتُ عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ [2] لِعَلِيٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَالُ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ انْطَاعَ النَّاسُ لَهُمَا وَالدُّنْيَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبْرٍ فَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِمَا ، وَوَلِيتَ أَنْتَ وَعُثْمَانُ الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا ، وَقَدِ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا [3] أَضْيَقَ مِنْ شِبْرٍ ؟ فَقَالَ : لأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانُوا مِثْلِى وَمِثْلَ عُثْمَانَ ، وَرَعِيَّتِى أَنَا الْيَوْمَ مِثْلُكَ وَشِبْهُكَ .

وَكَتَبَ أَخٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يَشْكُو إِلَيْهِ جَوْرَ الْعُمَّالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ : بَلَغَنِى كِتَابُكَ تَذْكُرُ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِى لِمَنْ يَعْمَلُ [4] بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يُنْكِرَ

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٣ ــ ٣٤٥ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٩ ــ ١٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٥ ، وطبقات الحُفَّاظ ص ٥٤ ، ٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ ــ ١٢٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٩٤ ، ٩٥ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٦] .

(١) لمَّا كان من عادة الناس أن يتجهوا بالدعاء إلى السماء ، ظن البعض أن الله – عز وجل – فى السماء فقط ، وهذا مفهوم خاطئ . والحقيقة أنه – سبحانه وتعالى – فى كل مكان ، وليس له جهة تحده ، لأن الجهة لا يُفهم لها معنًى إلَّا بالنسبة للأجسام ، والله – سبحانه وتعالى – ليس كمثله شىء ، وهو مُنَزَّه عن ذلك . وهذه المسألة من المسائل التى ناقشها علماء المسلمين وعلماء الكلام بإفاضة ، وعلى رأسهم المعتزلة والأشاعرة وغيرهما .

[انظر مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢ – ٨١] .

(٢) عَبِيدَة – بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة : على التعبيد . وهو : عبيدة بن عَمْرو « أو ابن قيس » السَّلْمَانِىُّ المرادىُّ ، ويُكنَى أبا مسلم ، تابعى ، أسلم باليمن أيام فتح مكة ، ولم يرَ النبىَّ ، ﷺ ، وكان عريف قومه ، وهاجر إلى المدينة فى زمان عمر بن الخطاب ، وسمع منه ، ومن علىِّ بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله ابن الزبير ، ونزل الكوفة ، فروَى عنه عامر الشعبى ، وإبراهيم النخعى ، وأبو حصين ، والنعمان بن قيس ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم . وكان يوازى شريحاً فى القضاء ، توفى سنة ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٧ – ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) فى « م » : « عليهما » تحريف .

(٤) فى « م » : « عمل » .

الْعُقُوبَةَ ، وَمَا أُرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ شُؤْمِ الذُّنُوبِ ، وَالسَّلَامُ [١] .

* * *

(١) قوله : « والسلام » عن « ط » .

البَابُ الثَّانِى وَالأَرْبَعُونَ

فى بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِى تُصْلُحُ بِهَا الرَّعِيَّةُ

اعْلَمْ أَنَّ أَدْعَى خِصَالِ السُّلْطَانِ إِلَى إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ ، وَأَقْوَاهَا أَثَرًا فى تَمَسُّكِهِمْ بِأَدْيَانِهِمْ ، وَحِفْظِهِمْ لِمُرْوآتِهِمْ ، إِصْلَاحُ السُّلْطَانِ نَفْسَهُ [1] ، وَتَنَزُّهُهُ عَنْ سَفْسَافِ [2] الأَخْلَاقِ ، وَبُعْدُهُ عَنْ مَوَاضِعِ الرِّيَبِ ، وَتَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ [3] عَنِ اسْتِصْحَابِ أَهْلِ [4] الْبَطَالَةِ وَالْمُجُونِ ، وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ [5] ، وَالإِعْلَانِ بِالْفُسُوقِ .

وَقَدْ كَانَتْ صُحْبَةُ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ [6] لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْخَلِيعِ ، وَالْمَاجِنِ الرَّقِيعِ ، أَبِى نُوَاسٍ

---

(١) فى « م » : « إصلاحُ نفسِه » .

(٢) السَّفْسَافُ : الردىء والحقير من كل شىء .

(٣) ترفيعُه نفسَه : تنزيهُهَا والارتفاع بها .

(٤) سقطت « أهل » من « ط » .

(٥) فى « ط » : « واللهو والطرب » .

(٦) فى « م » : « محمد الأمين كذلك » وهو ابن هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .

الشَّاعِرِ (١) وَصْمَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْهَنَ (٢) بِهَا سُلْطَانَهُ ، وَوَضُعَ (٣) عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ قَدْرُهُ ، وَأَطْلَقَ (٤) أَلْسِنَةَ الْخَلْقِ بِالشَّتْمِ وَالثَّنَاءِ الْقَبِيحِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَلَعَهُ بِذَلِكَ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْوِلَايَةِ ، وَوَجَّهَ (٥) طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِمُحَارَبَتِهِ بِبَغْدَادَ ، وَحَارَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَنْفَذَ (٦) بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ يَعْمَلُ كُتُبًا تُقْرَأُ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَيَقِفُ الرَّجُلُ فَيَذُمُّ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَيَقُولُ : أَهْلُ فُسُوقٍ وَخُمُورٍ وَمَاخُورٍ ، وَيَعِيبُ الْأَمِينَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ : اسْتَصْحَبَ أَبَا نُوَاسٍ شَاعِرًا (٧) مَاجِنًا ، كَافِرًا ، اسْتَخْلَصَهُ مَعَهُ لِشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ ، وَنَيْلِ الْمَحَارِمِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ ... وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ (٨)
وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى ... فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ (٩)

---

(١) هو : الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح ، الحَكَمِيُّ بالولاء ، أبو نُوَاس ، شاعر العراق فى عصره ، ولد فى الأهواز سنة ١٤٦ هـ - تقريباً - ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، فاتصل فيها بالخلفاء من بنى العباس ، ومدح بعضهم ، واشتهر بشعره فى الخمر والمجون . وتوفى سنة ١٩٨ هـ وفى تاريخ ولادته ووفاته خلاف .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٢٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٦ - ٤٤٩ ، والأغانى ج ٢٢ ص ٧٦٩٧ - ٧٧١٣ ، وخزانة الأدب ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٦ - ٨٢٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٧] .

(٢) أَوْهَنَ : أضعف .

(٣) وَضُعَ ، بالضَّمِّ : صار وضيعاً .

(٤) فى « م » : « فأَطْلَقَ » .

(٥) فى « م » : « وتَوَجَّهَ » .

(٦) أَنْفَذَ : أَرْسَلَ .

(٧) فى « م » : « استصحب أبو نواس رجلًا » ولا يستقيم المعنى بهذه العبارة ، لأن الذى استَصْحَبَ هو الأمين ، والمُسْتَصْحَب أبو نواس .

(٨) هكذا البيت فى « ط » والديوان .. والشطرة الثانية من البيت فى « م » : « ولا تَسْقِنى جهرًا فقد أمكن الجهر » « جهرًا » تحريف من الناسخ .

(٩) فى الديوان « فَبُحْ » .. وفى « م » : « أَهْوَى » مكان « تَهْوَى » .. والمجاهرة بالعصيان - فى رأى أبى نواس - فيها لَذَّتان : لَذَّةُ توكيد الشعور بالحرية ، ولذَّة رؤية تشهيها فى عيون الآخرين ، فهو لهذا يطلب من الساقى أن يسقيه جهرًا ما أمكن ، وأنْ يبوح باسم مَحْبُوبه صريحاً بلا كناية ولا تورية .

[انظر ديوان أبى نواس ص ٢٨ ط دار الكتاب العربى] .

حَتَّى تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُ الْخَلْقِ ، وَتَنَكَّرَتْ لَهُ وُجُوهُ الْوَرَى [١] ، فَلَمَّا بَلَغَ الأَمِينَ حَبَسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَشْرَبَ خَمْرًا ، وَلَا يَقُولَ فِيهِ شِعْرًا .

فَمَتَى أَرَادَ السُّلْطَانُ إِصْلَاحَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ مُتَمَادٍ [٢] عَلَى سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ ، كَانَ كَمَنْ أَرَادَ بَقَاءَ الْجَسَدِ مَعَ فَقْدِ رَأْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ اسْتِقَامَةَ الْجِسْمِ [٣] مَعَ عَدَمِ حَيَاتِهِ ، وَكَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيمَ الضِّلْعِ مَعَ اعْوِجَاجِ الشَّخْصِ ، وَكَيْفَ يَحْيَا النُّونُ [٤] مَعَ فَسَادِ الْمَاءِ ، وَلَقَدْ أَصَابَ الْخَلِيلُ [٥] فِى قَوْلِهِ : أَصْلِحْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ يَكُونُ النَّاسُ لَكَ تَبَعًا [٦] . وَقَدِيمًا قِيلَ : مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَعْدَائِهِ ، وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ [٧] بَلَغَ كُنْهَ أَمَانِيهِ ، وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِمَ يَنْتَقِمُ الإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ ؟ فَقَالَ : بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ .

وَلِأَبِى الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ :

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغِلًا ... فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ [٨]
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِى الْمِيزَانِ هَابِطَةً ... لَمَّا غَدَا وَهْوَ بُرْجُ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ

---

(١) فى « م » : « وجوه الرَّأْى » .
(٢) فى « م » : « متمادى » بالياء ، لا تصح .
(٣) فى « م » : « الجسد » .
(٤) النون : الحوت .
(٥) هُو : الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدى ، أبو عبد الرحمٰن ، من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وكان شاعرًا ذكيًّا فطِناً ، وله مصنفات أشهرها كتاب « العين » فى اللغة . وكان – رحمه الله – عفيف النفس ، ومن أزهد الناس ، كان الملوك يتعرضون لإعطائه وهو لا يقبل ، وعاش فقيرًا ، توفى بالبصرة سنة ١٧٠ هـ وقيل : ١٧٥ هـ .
[انظر ترجمته فى الأعلام – وفيها أنه ولد بالبصرة ، والصواب أنه ولد بعمان – ج ٢ ص ٣١٤ ، وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدى ص ٤٧ – ٥١ ، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ص ١١٤ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ٢ ص ١٣١ – ١٣٤ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٣٧٦ – ٣٨٢ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٤٤ – ٢٤٨ ، والمعارف ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ومعجم الأدباء ج ١١ ص ٧٢ – ٧٧ ، ومعجم المؤلفين ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٧٥ – ٢٧٧] .
(٦) فى « ط » : « تكون النَّاسُ تبعاً لك » .
(٧) أَعْمَلَ جِدَّه : بلغ الغاية فى الإحسان .
(٨) الحَرَب : الهلاك .

وَصُحْبَةُ الأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ ، كَالرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّتْنِ حَمَلَتْ نَتْنًا [١] ، وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطِّيبِ حَمَلَتْ طِيبًا ، فَمُحَالٌ اسْتِصْلَاحُ رَعِيَّتِكَ وَأَنْتَ [٢] فَاسِدٌ ، وَإِرْشَادُهُمْ وَأَنْتَ غَاوٍ ، وَهِدَايَتُهُمْ وَأَنْتَ ضَالٌّ ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَعْمَشُ كَحَّالٌ [٣] . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : يَا طَبِيبُ ، طِبَّ نَفْسَكَ [٤] . وَكَيْفَ يَقْدِرُ الأَعْمَى عَلَى أَنْ يَهْدِىَ [٥] وَالْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يُغْنِىَ ؟ وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ يعِزَّ ؟ فَبُعْدُكَ عَنْ تَطْهِيرِ غَيْرِكَ مِنَ الْعُيُوبِ قَبْلَ تَطْهِيرِ نَفْسِكَ [٦] كَبُعْدِ الطَّبِيبِ عَنْ إِبْرَاءِ غَيْرِهِ مِنْ دَاءٍ بِهِ [٧] مِثْلُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ [٨] : لَنْ يَبْلُغَ أَلْفُ رَجُلٍ فى إِصْلَاحِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ دُونَ حُسْنِ الْفِعْلِ مَا يَبْلُغُ [٩] رَجُلٌ وَاحِدٌ فى إِصْلَاحِ أَلْفِ رَجُلٍ بِحُسْنِ الْفِعْلِ دُونَ الْقَوْلِ ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ [١٠] :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ [١١]
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِى السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ [١٢]

---

(١) النَّتْنُ : الرائحة الخبيثة . وفى « م » : « إذا مَرَّتْ على التبن حملت تبناً » . تحريف .
(٢) فى « م » : « فأنت » تحريف .
(٣) الأعمَشُ : الذى ضعف بصره ويسيل دمع عينيه فى أكثر الأوقات . والكَحَّال : مَنْ يداوِى العين بالكحل .
(٤) طِبَّ نفْسَك : عالِجْهَا وداوِ أمراضها .
(٥) يهدى : يُرشِد السائر إلى الطريق ويُبَيِّنه له .
(٦) هنا فى « م » كرر الناسخ الجملة السابقة « وكيف يقدر الأعمى » سهوًا منه .
(٧) فى « م » : « من دائِه » .
(٨) فى « م » : « وقد قال بعض الحكماء » .
(٩) فى « ط » : « كما يبلُغ » .
(١٠) بعض هذه الأبيات يُنْسَب إلى المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثى ، من شعراء « الحماسة » ، وكان على عهد معاوية .. وتُنسب أيضاً إلى أبى الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ .
[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥ ، والأغانى ج ١٢ ص ٤٣٢٥ - ٤٣٣٤ ، ومنهاج اليقين ص ٤٤ ، وأدب الدنيا والدين ص ٤٤ ، ٤٥] .
(١١) الأبيات من الكامل . وهلاَّ : حرف تحضيض ، وهوحَمْلُ الإنسان على الشىء . و « ذا » اسم إشارة . أى : هلاَّ كان ذلك التعليم لنفسك . وهلاَّ هنا لِلَوْم المخاطب ، لذا دخلت على الماضى .
(١٢) الشطرة الأولى من البيت فى « ط » : « تَصِفُ الدواء مِنَ السَّقَام لِذِى الضَّنى » . =

مَازِلْتَ تُلْقَحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا عِظَةً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ (١)
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ (٢)
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْى مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ (٣)
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِىَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ (٤)

وَلَكِنَّ أَقْوَى الأَسْبَابِ فِى صَلَاحِهِمْ عِنْدَ فَوْتِ صَلَاحِهِ (٥) اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِمُ الْخَاصَّةَ مِنْهُمْ ، وَذَوِى الأَحْلَامِ الرَّاجِحَةِ (٦) ، وَالْمُرُوآتِ الْقَائِمَةِ ، وَالأَذْيَالِ الطَّاهِرَةِ (٧) ، فَمَتَى رَأَسَ الْعَامَّةَ سَرَاتُهُمْ (٨) فَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى حِفْظِ أَدْيَانِهِمْ (٩) وَمُرُوآتِهِمْ ، وَتَمَاسُكِهِمْ عَنِ الانْهِمَاكِ فِى الْمَحْظُورَاتِ ، وَمُلَابَسَةِ (١٠) الْمُحَرَّمَاتِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

= والشطرة الثانية فى « م » : « ومِنَ الضَّنَا مُذْ كُنْتَ أنت سقيم » .
وما ورد فى « ط » هو المشهور .. والسَّقام : المرض . والضَّنَى : المرض العضال أو الهُزال الشديد ، وعطفُه على السقام من عطف الخاص على العام .. ويصح : يبرأ من مرضه .
(١) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » : « صِفَة » مكان « عظة » . والبيت فى منهاج اليقين :
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا أبداً وأنت من الرشاد عديم
ومعنى تُلْقَح هنا : تُهَذِّب وَتصلح .. وعديم : معدوم .
(٢) هكذا البيت فى « ط » والعقد الفريد وعيون الأخبار .. وفى « م » : « فإن انتهت عنه » والضمير فى « عنه » راجع إلى « الغَيّ » .
(٣) البيت فى عيون الأخبار ، وفى منهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين :
فهناك تُعْذَرُ إذْ وعظْتَ ويُقْتَدى بالقول منك ويُقْبَلُ التعليم
وفى المصدرين الأخيرين « إنْ » بدل « إذْ » .
(٤) وتأتى : وتفعل ، الواو هنا للمعية ، و « تأتى » مضارع منصوب بأن مُضمرة ، وعند الكوفيين : الواو للصرف ، وسُمِّيت هكذا لأن الفعل يُنْصَب بعدها إرشادًا بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها ليست عاطفة ، فالصورة هنا صورة العطف ، والمعنى على الصرف ، إذ ليس الغرض نهى الإتيان « أى : ولا تأتى » عطف على « لا تَنْهَ » .
(٥) فى « م » : « عند قرب صَلَاحِهم » .
(٦) ذوى الأحلام الراجحة : أصحاب العقول الرزينة المتزنة ، و « الراجحة » عن « م » .
(٧) طاهر الذيل ، أى : مُنَزَّهٌ عفيف .. والأذيال الطاهرة : الرِّجال الذين يتصفون بالأخلاق الحميدة .. وهى كناية عن العفة والنزاهة .
(٨) سراتُهم : أشرافُهم .
(٩) فى « م » : « أوقاتهم » مكان « أديانهم » تصحيف .
(١٠) مُلَابَسة : مُخالطة .. وفى « م » : « ملازمة المُحَرَّمات » .

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا [١]

وَقَالَ مَزْدَكُ الْفَارِسِيُّ [٢] خَلَّتَانِ [٣] فى السُّلْطَانِ أَقْرَبُ إِلَى صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ [٤] مِمَّا سِوَاهُمَا : ثِقَةُ الرَّأْى [٥] ، وَشِدَّةُ الرَّحْمَةِ .

وَمَا أَحَقَّ السُّلْطَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِالرَّعِيَّةِ كُلَّ سَبِيلٍ يَصْلُحُونَ عَلَيْهِ وَيَسُودُونَ مَعَهُ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ [٦] ، وَأَمِيرًا عَلَى السَّادَةِ وَالْفُضَلَاءِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُمْ وَرُكُوبَ شَهَوَاتِهِمْ وَتَوَسُّطَ لَذَّاتِهِمْ ، ذَهَبَتْ مُرُوآتُهُمْ ، وَاضْمَحَلَّتْ أَدْيَانُهُمْ [٧] ، وَبَقُوا – كَمَا جَاءَ الْمَثَلُ [٨] – فى الْجَمَاعَةِ الْمَذْمُومَةِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ فى الْقَوْمِ لا رُؤَسَاءَ فِيهِمْ ، وَلَا سَرَاةَ [٩] بَيْنَهُمْ : هُمْ [١٠] سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ . وَتَقُولُ : سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ .. وَفِيهِمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

سَوَاسٍ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لِذِى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِىءٍ فَضْلَا [١١]

وَلَأَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْفُضَلَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الأَخِسَّاءِ

---

(١) فى « م » : « لا تصلح الناس » وسادوا : صاروا سادةً وأشرافاً .

(٢) صاحب مذهب فى الأمة الفارسية ، ظهرَ على أيام كسرى المُسَمَّى « قُبَاذ » وكان يرى أن الله جعل الأرض للعباد بالسويَّة ، فتظالم الناس واستأثر بعضهم على بعض ، ومن ثَمَّ رأى أن يعدل القسمة بين الناس ، ويرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، فكان أعوانه يدخلون على الرجل فيغلبون على أموال ونسائه ويجعلونها نهباً مُباحاً .. ولكنَّ رجلاً من الأشراف – اسمه ابن ساجور – نهض فى جماعة من أصحابه فقتلوه سنة ٥٣١ من الميلاد .
[انظر إعجام الأعلام ص ١٨٤] .

(٣) فى « م » : « خصْلَتان » وهى بمعناها .

(٤) فى « م » : « أقرب إلى الرعية » .

(٥) ثقة الرأى : إحكامه : وفى « م » : « نَقِيَّة الرأى » أى : خلاصتُه وجَوْدَتُه .

(٦) فى « م » : « يكون رئيساً وأميرًا » .

(٧) فى « ط » : « ذهبَتْ أَدْيَانُهم ، وسقطت مروآتهم » .

(٨) فى « م » : « كما قال المَثَلُ » .

(٩) فى « ط » : « سَرَوَات » وهى جمع « سَرَاة » ، وسراة جمع « سَرِىٌّ » فهى جمع الجمع .

(١٠) الضمير « هم » عن « ط » .

(١١) فى « م » : سواسية ولا يستقيم بها الوزن .

وَالرَّمَادِيَّةِ وَالْغَوْغَاءِ وَالأَدْنِيَاءِ (١) . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا ، وَقَدِ اسْتَقَامَ لَهُ الأَمْرُ : مَنْ يَعْذِرُنِى (٢) مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ فى سُلْطَانِى ؟ فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : تَسْتَحْضِرُهُ وَتَضْرِبُ عُنُقَهُ وَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَيْلَكَ ! إِذَا قَتَلْتُ ابْنَ عُمَرَ ، عَلَى مَنْ أَكُونُ أَمِيرًا ؟

وَلَمَّا صَارَ دَاوُدُ (٣) إِلَى الْحِجَازِ فى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِيَقْتُلَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ ، قَالَ (٤) لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ (٥) : يَا بْنَ عَمِّ (٦) ، إِذَا أَسْرَعْتَ فى قَتْلِ أَكْفَائِكَ فَمَنْ تُبَاهِى بِسُلْطَانِكَ ؟ أُعْفُ يَعْفُ اللهُ عَنْكَ ، فَعَفَا . وَقَالَ أَرِسْطَا طَالِيسُ لِلإِسْكَنْدَرِ : اسْتَصْلِحِ الرَّعِيَّةَ وَأَذْهِبْ شَرَّهُمْ ، تَكُونُ رَئِيساً لِأَخْيَارٍ (٧) مَمْدُوحِينَ ، وَلَا تَكُنْ (٨) رَئِيساً لِأَشْرَارٍ مَذْمُومِينَ فَتَكُونَ كَرَاعِى الْبَقَرِ .

* * *

(١) فى « م » : « والغاغة والدُّنآء » .. والرمادية ، نسبة إلى الرَّماد ، والمراد بها هنا : الكثرة التى لافائدة تُرجَى منها . والغوغاء : السَّفْلَةُ من الناس . والدُّنآء : جمع دنىء ، وهو الخسيس الدُّون .

(٢) يَعْذِرُنى من فُلان أى : يلومه على فعله .

(٣) هو : داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو سليمان ، أمير من بنى هاشم ، و هوعم السَّفاح العباسى ، كان خطيباً فصيحاً ، ومن كبار القائمين بالثورة على بنى أُمية ، ولاه السَّفاح إمارة الكوفة ثم عزله عنها ، وولاه إمارة المدينة ومكة واليمن واليمامة والطائف ، فانصرف إلى الحجاز وأقام فى المدينة ، وتوفى بها سنة ١٣٣ هـ ، وهو أول من وَلِىَ المدينة من بنى العباس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣٣ ، والمحبر ص ٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٣ – ٣٢٦ ، و٣٤٠ ، ٣٤١] .

(٤) فى « م » : « فقال » .

(٥) فى « م » : « الحسين » تصحيف . وهو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤١ ، حوادث سنة ١٣٣ هـ] .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ياعم » .. وفى المصدر السابق : « يا أخى » .

(٧) فى « م » : « لأجْنادٍ » .

(٨) فى « ط » : « ولا تكون » .

الْبَابُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ

فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرَّعِيَّةِ

كَتَبَ أَرِسْطَا طَالِيسُ إِلَى الإِسْكَنْدَرِ : امْلِكِ الرَّعِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ تَظْفَرْ مِنْهُمْ بِالْمَحَبَّةِ ، فَإِنَّ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ هُوَ أَدْوَمُ [١] بَقَاءً مِنْهُمْ بِالِاعْتِسَافِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَمْلِكُ الأَبْدَانَ ، فَتَخَطَّاهَا إِلَى الْقُلُوبِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءَ وَالتَّصَنُّعَ [٢] . وَفِي سِيَرِ الْمُتَقَدِّمِينَ : قُلُوبُ الرَّعِيَّةِ خَزَائِنُ مُلُوكِهَا ، فَمَا أَوْدَعُوهَا مِنْ شَيْءٍ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ إِذَا قَدَرَتْ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، قَدَرَتْ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ ، فَاجْتَهِدْ أَنْ لا تَقُولَ تَسْلَمْ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ . وَلَيْسَ هَذَا خِلَافَ مَارُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ : أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لَهُ ، فَحَلُمَ عَنْهُ [٣] ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَحْلُمُ عَنْ [٤] مِثْلِ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ

---

(١) فى « م » : « طلبُ ذلك بالإحسان أدْوَمُ » .

(٢) التَّصنُّع : التظاهر بما ليس فيهم .

(٣) حَلُمَ : صَفَحَ .. وفى « ط » : « حَلُمَ عَلَيْهِ » .

(٤) فى « ط » : « على » .

وَأَلْسِنَتِهِمْ مَالَمْ يَحُولُوا [١] بَيْنَنا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ : فَاجْتَهِدْ أَنْ لا تَقُولَ ، يَعْنِى : إِذَا عَدَلْتَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِشَىْءٍ .

وَهَذِهِ السِّيرَةُ أَحْسَنُ مِنْ سِيرَةِ أَرْدَشِيرَ [٢] لَمَّا رُفِعَ إِلَيْهِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ بِطَانَتِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ [٣] ، فَوَقَّعَ : نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا نَمْلِكُ الأَجْسَادَ لا النِّيَّاتِ [٤] ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لا بِالرِّضَا ، وَنَفْحَصُ عَنِ الأَعْمَالِ [٥] لا عَنِ السَّرَائِرِ . قُلْتُ : وَإِنَّمَا تَحْسُنُ هَذِهِ السِّيرَةُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الأُولَى ، لأَنَّ مِلْكَ الأَجْسَادِ قَدْ يَكُونُ بِالْعَدْلِ وَالظُّلْمِ ، وَمِلْكَ الْقُلُوبِ لا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ – وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ رَكِبْتَ أَمْسِ فِى عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لا يُؤْمَنُ اغْتِيَالُ الأَعْدَاءِ فِيهَا ، فَوَقَّعَ : مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ أَمِنَ أَعْدَاءَهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ [٦] الرَّائِحِ عَلَى فِرَاخِهِ ، يُنَقِّى عَنْهُمُ الْقَذَرَ [٧] ، وَيُبَاعِدُ عَنْهُمُ الْحَجَرَ ، وَيَكِنُّهُمْ مِنَ الْمَطَرِ [٨] ، وَيَحْمِيهِمْ مِنَ الضِّبَابِ [٩] وَيَحْرُسُهُمْ مِنَ الذِّئَابِ .. يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمُ الْجُبَّةُ [١٠] وَالرِّدَاءُ ، وَأَنْتُمُ الْعُدَّةُ وَالْجَدَاءُ [١١] . وَقَالَتِ الْعَجَمُ : أَسْوَسُ الْمُلُوكِ مَنْ قَادَ

---

(١) فى « م » : « يحوننا » تصحيف .

(٢) فى « م » : « أزدشير » .

(٣) فى « م » : « قلوبهم » ولا فرق بينهما ، فالنِّيَّةُ محلها القلب .
ووقَّع : كتب فى أسفل الصحيفة أو القرطاس الذى رفع إليه .

(٤) فى « م » : « لا القلوب » .

(٥) فى « م » : « الإهمال » .

(٦) الظَّلِيمُ : ذكَرُ النَّعام .

(٧) يُنقِّى : ينظف .. وفى عيون الأخبار : ينفى ، أى : يبعد . والقَذَر : الوسخ .
[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣] .

(٨) يَكِنُّهُمْ : يَستُرهم ويحميهم .

(٩) الضِّبَاب : جمع ضَبٍّ ، وهو دُوَيْبَّة من الحشرات ، يُشبه الورَل .

(١٠) هكذا فى « م » و « ط » .. والجُبَّةُ : ثوب واسع الكُمَّيْنِ ، مشقوق المُقَدَّم ، يُلبَسُ فوق الثياب .. وفى عيون الأخبار « الجُنَّة » أى : السُّترة ، وكل ماوقى من سلاح .

(١١) العُدَّة : القوة ، أو مايُعَدُّ لأمرٍ يحدث .. والجَدَاء : الغَناء والنفع .

رَعِيَّتَهُ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُلُوبِهَا . وَلَا يَنْبَغِى لِلْوَالِى أَنْ يَرْغَبَ فِى الْكَرَامَةِ الَّتِى يَنَالُهَا مِنَ الْعَامَّةِ كُرْهًا ، وَلَكِنْ فِى الَّتِى يَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الأَثَرِ ، وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللهُ (١) : إِنِّى لَأُجْمِعُ (٢) أَنْ أُخْرِجَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرًا مِنَ الْعَدْلِ ، فَأَخَافُ أَنْ لا تَحْمِلَهُ قُلُوبُهُمْ ، فَأُخْرِجُ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ نَفَرَتِ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنَتْ إِلَى هَذَا . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادٍ : مَنْ أَسْوَسُ النَّاسِ ، أَنَا أَوْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا جَعَلَ اللهُ رَجُلًا حَفِظَ النَّاسَ (٣) بِسَيْفِهِ كَمَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ (٤) وَأَطَاعُوا لَهُ بِاللِّينِ . وَيُرْوَى أَنَّ سُلَيْمًا (٥) مَوْلَى زِيَادٍ فَخَرَ بِزِيَادٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اُسْكُتْ ، فَمَا أَدْرَكَ صَاحِبُكَ بِسَيْفِهِ أَدْرَكْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِى (٦) .

* * *

---

(١) « رحمه الله » عن « م » .

(٢) أُجْمِعُ : أَعْزِمُ . أو : أعقد نِيَّتِى على كذا .

(٣) فى « م » : « حَفِظَ الدين » .. وحفظ الناس بسيفه : جعلهم يطيعونه وينقادون له بالقوة .

(٤) فى « م » : « كَمن سمع الناسُ » .

(٥) فى « م » : « سليم » والصواب بالنصب . وهو : سُلَيْمٌ ، بالتصغير ، مولى زياد بن أبيه .

[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٦٢] .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « إِلَّا أَدْرَكْتُ » .. وفى عيون الأخبار : « ما أدرَكَ صاحبُك شيئاً قطُّ بسيفه إلَّا وقد أَدْرَكْتُ أكثَرَ منه بلسانى » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ط دار الكتب العلمية] .

الْبَابُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

فِى التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

اتَّفَقَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَوَصَايَاهُمْ عَلَى النَّهْيِ عَنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ ، قَالَ فِى كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ [1] : ثَلاثَةٌ لا يَسْلَمُ عَلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الأَسْرَارِ ، وَشُرْبُ السُّمِّ عَلَى التَّجْرِبَةِ . وَكَانَ يُقَالُ : قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ خَطَرًا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ . وَقَالَ مَزْدَكُ : أَحَقُّ الأُمُورِ بِالتَّثَبُّتِ فِيهَا ، أَمْرُ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ بِغَيْرِ عَقْلٍ ، فَقَدْ لَبِسَ شِعَارَ الْغُرُورِ . وَفِى حِكَمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ – عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ – عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ ، فِيهَا [2] الثِّمَارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالسِّبَاعُ الْعَادِيَةُ [3] ، وَالثَّعَابِينُ الْمُهْلِكَةُ ، فَالِارْتِقَاءُ [4] إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ .

---

(١) هو كتاب فى تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق ، تجرى أحاديثه البليغة على أَلْسِنَة الطير والحيوان ، وقد وضعه علماء الهند ، ونقله عبد الله بن المقفع من الفهلوية إلى العربية ، ولهذا الكتاب طبعات كثيرة .

[انظر مقدمة كليلة ودمنة التى كتبها عبد الوهاب عزام ، وتصدير طه حسين ط دار المعارف] .

(٢) تُشَبَّه ، أى : صُحْبَة السلطان .. الجبل الوَعْر : الصعب المخيف .. وفى « م » : « يُشَبَّهُ بالجبل الوعر فيه » أى : السلطان .

(٣) العادية : التى تعدو على غيرها من الحيوان وتفترسها .

(٤) فى « م » : « والارتقاء » أى : الصعود .

وَلَيسَ يَتكَافأُ خَيرُ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ ، لأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لا يَعْدُو مَزِيدَ الْحَالِ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يُزِيلُ الْحَالَ ، وَيُتْلِفُ النَّفْسَ الَّتِى لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ ، وَلَا خَيْرَ فى الشَّىْءِ الَّذِى فى سَلَامَتِهِ مَالٌ وَجَاهٌ ، وَفى نَكْبَتِهِ الْجَائِحَةُ [١] وَالتَّلَفُ ، وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلْعَتَّابِىِّ [٢] : لِمَ لا تَصْحَبِ السُّلْطَانَ عَلَى مَا فِيكَ مِنَ الأَدَبِ ؟ قَالَ : إِنِّى رَأَيْتُهُ يُعْطِى عَشَرَةَ آلافٍ فى غَيْرِ شَىْءٍ ، وَيُرْدِى مِنَ الصَّوْرِ [٣] فى غَيْرِ شَىْءٍ ، وَلَا أَدْرِى أَىَّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ .

وَأَخْبَرَنِى أَبُو الْعَبَّاسِ الْحِجَازِىُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ دَوَّخَ أَرْضَ الصِّينِ [٤] إِلَى جَبَلِ الْيَاقُوتِ بِالْهِنْدِ ، وَأَنَّ فِيهِ ثَعَابِينَ لَيْسَ فى مَعْمُورِ الأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْهَا ، فَإِنَّ [٥] الْوَاحِدَ مِنْهَا لَيَبْتَلِعُ [٦] الثَّوْرَ صَحِيحًا ، فَلَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَلَا يَقْرَبُهُ ، فَإِذَا كَثُرَتِ الأَمْطَارُ أَحْدَرَتِ السُّيُولُ مِنْهُ الْحَصَى [٧] وَسَائِرَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ إِلَى مُسْتَقَرِّ الْمِيَاهِ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ [٨] مِنَ الْجَبَلِ ، فَيَبْحَثُ النَّاسُ ذَلِكَ الْحَصَى ، فَيُوجَدُ فِيهِ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ مِنْ أَحْجَارِ الْيَاقُوتِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ [٩] : إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِىِّ ، وَيَرْضَى رِضَا الصَّبِىِّ ، وَيَبْطِشُ بَطْشَ الأَسَدِ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْ كُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ مَا صَحِبْتُ السُّلْطَانَ . وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : ثَلَاثَةٌ لا أَقُولُهُنَّ إِلَّا لِيُعْتَبَرَ بِهِنَّ :

---

(١) الجائحة : المُصيبة .

(٢) هو كلثوم بن عَمرو التغلبى ، وقد مر التعريف به .

(٣) يُرْدِى مِنَ الصَّوْرِ : يُهْلِكُ مَنْ أَمَالَهُم وقَرَّبَهُمْ إليه .
والصَّوْر : مصدر مِن : صَارَ يَصُور ، بمعنى أَمَالَ وقَرَّب .

(٤) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « دوَّخَ أرضَ الهند والصين ، وانتهى إلى صين الصين » ودوّخ أرض الصين ، أى : سار فيها حتى عرفها ، ولمْ تَخْفَ عليه طُرُقُها .

(٥) فى « م » : « وإنْ » .

(٦) فى « ط » : « ليبلغ » بالغين المعجمة . أى : فى حَجْمِه .

(٧) أَحْدَرَتِ السُّيول الحصَى : دَفَعَتْهُ من أَعْلَى إلى أسفل .. وفى « م » : « أخذت » مكان « أحدرت » .

(٨) فى « ط » : « مسير أيامٍ » .

(٩) قاله معاوية لأبى الجَهْم العَدوىّ ، وهو من قريش ، من بنى عَدِىّ بن كعب .
[انظر عيون الاخبار ج ١ ص ٣٩٨ ط دار الكتب العلمية] .

لا أُخْلُفُ جَلِيسِى [١] إِلَّا بِمَا أَحْضُرُهُ بِهِ ، وَلَا أَدْخُلُ فى أَمْرٍ لا أُدْخَلُ فِيهِ [٢] ، وَلَا آتِى السُّلْطَانَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَىَّ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ لِابْنِهِ : إِنْ وَجَدْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَصُحْبَتِهِ [٣] غِنًى ، فَأَغْنِ عَنْهُ نَفْسَكَ [٤] ، وَاعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ [٥] ، فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ بِحَقِّهِ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا [٦] ، وَمَنْ لا يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ يُكْسِبْهُ الْفَضِيحَةَ [٧] فى الدُّنْيَا ، وَالْوِزْرَ فى الآخِرَةِ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا مَيْمُونُ ، احْفَظْ عَنِّى أَرْبَعًا : لا تَصْحَبْ سُلْطَانًا وَإِنْ أَمَرْتَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ وَإِنْ أَقْرَأْتَهَا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَصِلْ مَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ ، فَإِنَّهُ لَكَ [٨] أَقْطَعُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ الْيَوْمَ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا .

وَفِى مَنْثُورِ الْحِكَمِ : كَثْرَةُ الأَشْغَالِ مُذْهِلَةٌ عَنْ وُجُودِ اللَّذَّاتِ بِكُنْهِهَا . وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَبَلَغَنَا [٩] مِمَّنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالدِّينِ لِيُصْلِحَهُ ، فَفَسَدَ هُوَ بِهِ [١٠] ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ :

عَدْوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ ... وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فى الرَّمَادِ فَيَخْمُدُ [١١]

---

(١) أى : لا آخذ مكانه .

(٢) لا أُدْخَلُ فيه ، أى : لم أُدْعَ إليه .

(٣) فى « م » : « فى صحبته » .

(٤) فى « ط » : « عن نفسك » .. وفى الأدب الكبير لابن المقفع : « فأغْنِ عن ذلك نفسك » . [انظر المصدر السابق ص ٩٦] .

(٥) أى : بِقَدْر طاقتِك .

(٦) فى الأدب الكبير : « لذة الدنيا وعمل الآخرة » .

(٧) فى المصدر السابق « يَحْتَمِل الفضيحة » .

(٨) فى « م » : « فابقاك » مكان « فإنه لك » تحريف .

(٩) قوله « وبَلَغَنا » عن « م » .

(١٠) فى « م » : « ففسَده به » .

(١١) البيت من الكامل ، وهو فى أدب الدنيا والدين منسوب لأبى بكر الخوارزمى . ومعناه : أنَّ عَدْوَى الفساد تنتقل إلى الصاحب الصالح أو العاقل أسرع من الفاسد ، ولاعكس .. ويَخْمُد : يسكن لهبه .. وقبل هذا البيت :

« لا تَصْحَبِ الكسلان فى حالاتِه ... كم صالحٍ بفسادِ آخرَ يَفْسُدُ »

[انظر المرجع السابق ص ١٣٨] .

وَمَثَلُ مَنْ يَصْحَبُ السُّلْطَانَ لِيُصْلِحَهُ [١] مَثَلُ مَنْ ذَهَبَ لِيُقِيمَ حَائِطًا مَائِلًا فَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ لِيُقِيمَهُ ، فَخَرَّ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ . وَفِى كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : لا يَسْعَدُ مَنِ ابْتُلِىَ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّهُ لا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وَفَاءَ ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا حَمِيمَ ، وَلَا يُكْرِمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ [٢] إِلَّا أَنْ يَطْمَعُوا فِيمَا عِنْدَهُ فَيُقَرِّبُوهُ [٣] عِنْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَوْا حَاجَتَهُمْ تَرَكُوهُ ، وَلَا وُدَّ وَلَا إِخَاءَ ، إِلَّا الْبَلَاءُ يُجْزَى ، وَالذَّنْبُ لا يُغْفَرُ لَهُ .

وَقَالَ بُزُرْجَمِهْرُ : لا تَصْلُحُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالْبَذْلِ ، وَلَا مُؤَاخَاةُ الإِخْوَانِ إِلَّا بِاللِّينِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْفُرْسِ : الْمَالُ وَالسُّلْطَانُ مُفْسِدَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا لِرَجُلٍ لَهُ عَقْلٌ كَامِلٌ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ ، يَخَافُهُ [٤] النَّاسُ ، وَهُوَ لِمَرْكَبِهِ [٥] أَخْوَفُ .

وَقَالُوا [٦] : مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاطِّرَاحِ الأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، كَالْكَرْمِ [٧] لا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ ، لَكِنْ بِأَدْنَاهَا . وَكَانَتِ [٨] الْعَرَبُ تَقُولُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ قُرَبَاءِ الْمَلِكِ ، فَكُنْ مِنْ بُعَدَائِهِ .. وَفِى حِكَمِ الْهِنْدِ : إِنَّمَا مَثَلُ السُّلْطَانِ فى قِلَّةِ وَفَائِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ [٩] ، وَسَخَاءِ نَفْسِهِ عَمَّنْ فَقَدَهُ مِنْهُمْ ، كَمَثَلِ الصَّبِىِّ وَالْمُكَتِّبِ [١٠] ، كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : السُّلْطَانُ ذُو

---

(١) فى « م » : « لمصلحة » .
(٢) سقطت « أَحَدٌ » من « ط » .
(٣) فى « م » : « فَيَقْبَلُوهُ » .
(٤) فى « م » : « تَخَافُه » وكلاهما صواب .
(٥) المَرْكَبُ : مايُرْكَبُ عليه ، وهو هنا « الأسد » .
(٦) فى « م » : « وقال » .
(٧) الكَرْم : العنب .. والعبارة فى « م » : « كالأُمّ لايتعلق بالشجر » وقوله : « كالأم » تحريف .
(٨) فى « م » : « وقد كانت » .
(٩) فى « م » : « فى أصحابه » .
(١٠) المُكَتِّبُ : معلم الكتابة .. وفى « م » : « كَمثَل البَغِىِّ والكاتب » .
والأول أَوْجَهُ تَمْثِيلاً .

غَدَوَاتٍ ، وَذُو بَدَوَاتٍ ، وَذُو تَدَارُؤٍ [١] تُرِيدُ : أَنَّهُ سَرِيعُ الانْصِرَافِ ، كَثِيرُ الْبَدَوَاتِ ، هَجَّامٌ عَلَى الأُمُورِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الدَّرْءِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ .

* * *

(١) فى « م » : « ذو عَدَوَانٍ » أى : سريع الانصراف والمَلالِ .. وفى عيون الأخبار : « ذو عَدَوانٍ وذو بَدَوانٍ » بَدَوان : كثير البَدَوات . والعرب تقول للرَّجُل الحازم : ذو بَدَواتٍ ، أى : ذو آراءٍ تظهر له فيختار بعضاً ويُسْقِطُ بعضاً .. والتَّدارؤ : الدَّفع . يعنى أنه ذو حِفاظٍ ومَنعة وقُوَّةٍ على أعدائه ومدافعة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ

فى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ لِى أَبِى : يَابُنَىَّ [1] ، إِنِّى أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَخْلِيكَ [2] وَيَسْتَشِيرُكَ ، وَيُقَدِّمُكَ عَلَى الأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3] ، وَإِنِّى أُوصِيكَ بِخِلَالٍ ثَلَاثٍ [4] : لا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، قَالَ الشَّعْبِىُّ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ . قَالَ : إِى وَاللهِ ، وَمِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ .. وَقَالُوا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ [5] بِالْحَذَرِ ، وَالصَّدِيقِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَالْعَدُوِّ بِالْجَهْرِ [6] ، وَالْعَامَّةِ بِالْبِشْرِ ، وَلَا تَحْكُمْ لأَحَدٍ بِحُسْنِ رَأْىِ الْمَلِكِ إِلَّا بِحُسْنِ أَثَرِهِ .

قَالَ [7] بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لا تَسْتَطْلِعِ السُّلْطَانَ مَا كَتَمَكَ ، وَلَا تَفْشِ مَا أَطْلَعَكَ

---

(١) « يابُنَىَّ » عن « ط » .

(٢) يَسْتَخْلِيك : يخلو وينفرد بك .

(٣) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٤) فى « م » : « فإنى موصيك بخلال » أى : بخصال . وسقط منها « ثلاث » .

(٥) فى « م » : « وقال : اصحب للسلطان » والأخيرة تحريف .

(٦) فى « م » : « بالجهد » .

(٧) فى « م » : « وقال » .

عَلَيْهِ .. مَنْ أَدَلَّ [١] عَلَى السُّلْطَانِ اسْتَثْقَلَهُ ، وَمَنِ امْتَنَّ عَلَيْهِ عَادَاهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ يَسْتَشِيرُ بَاعَدَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا زَادَكَ السُّلْطَانُ تَأْنِيساً فَزِدْهُ إِجْلَالًا ، وَإِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أَخًا فَاجْعَلْهُ أَبًا ، وَإِنْ زَادَكَ إِحْسَانًا فَزِدْهُ فِعْلَ الْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِهِ [٢] ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِالدُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ مَعَ النَّاسِ فَأَخَذُوا فى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ بِالدُّعَاءِ لَهُ [٣] ، وَإِنْ نَزَلْتَ مِنْهُ مَنْزِلَةَ الثِّقَةِ فَاعْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلَقِ [٤] ، وَلَا تُكْثِرْ فى الدُّعَاءِ لَهُ [٥] عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَبِيهٌ بِالْوَحْشَةِ وَالْغُرْبَةِ ، إِلَّا أَنْ تُكَلِّمَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، فَلَا تَأْلُ [٦] بِمَا عَظَّمْتَهُ وَذَكَرْتَهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : لِتَكُنْ حَاجَتُكَ فى سُلْطَانِكَ ثَلَاثَ خِلَالٍ : رِضَا رَبِّكَ ، وَرِضَا سُلْطَانِكَ ، وَرِضَا مَنْ تَلِى عَلَيْهِ . وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْهُوَ عَنِ الْمَالِ وَالْمُذَّخَرِ [٧] ، فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا [٨] مَا يَكْفِى وَيَطِيبُ . وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو [٩] لِمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ : لا تَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ إِذَا أَدْنَاكَ [١٠] ، وَلَا تَتَغَيَّرْ إِذَا أَقْصَاكَ . وَرُوِىَ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ اسْتَصْحَبَ حَكِيمًا فَقَالَ لَهُ : أَصْحَبُكَ عَلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : لا تَهْتِكُ لِى سِتْرًا ، وَلَا تَشْتُمْ لى عِرْضًا ، وَلَا تَقْبَلْ فِىَّ قَوْلَ قَائِلٍ حَتَّى تَسْتَشِيرَ فِىَّ [١١] . قَالَ : هَذَا لَكَ ، فَمَا لِى عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لا أُفْشِى لَكَ سِرًّا ، وَلَا أَدَّخِرُ عَنْكَ نَصِيحَةً ، وَلَا أُوثِرُ عَلَيْكَ أَحَدًا . قَالَ : نِعْمَ الصَّاحِبُ الْمُسْتَصْحَبُ أَنْتَ .

---

(١) أَدَلَّ : اجترأ .. وفى « م » : « أَذَلَّ » تحريف .

(٢) فى « م » : « وإذا زادَكَ فزِدْه ، يعنى فِعْلَ السيد مع عبيده » .

(٣) فى « م » : « فأخذوا فى الثناء فَخُذْ أنت فى الدعاء » .

(٤) المَلَق : التضرع فوق ماينبغى .

(٥) « له » عن « ط » .

(٦) فَلَا تَأْلُ : أى فلا تَتَوَانَ أو تبخل أو تُقَصِّرْ . وفى « ط » : « فلا تألوا » بصيغة الجمع .. وفى « م » : « تسألوا » تحريف .

(٧) المُذَّخر ، بالذال المعجمة : المُدَّخَر والمُخَبَّأ .. وفى « ط » : « الذُّخر » وهى بمعناها .

(٨) فى « م » : « بينهما » تحريف .

(٩) هو : مسلم بن عمرو بن الحصين ، وكان مُغَنِّيًا ليزيد بن معاوية ، وكان عظيم القَدْرِ عنده . [انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ ، والمعارف ص ٤٠٦] .

(١٠) فى « م » : « إذا جفاك » .

(١١) فى « م » : « حتى تستشيرنى » .

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ : ما الْخُرْقُ ؟ قَالَ : الدَّالَّةُ [١] عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوَثْبَةُ قَبْلَ الإِمْكَانِ [٢] . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : أَوْلَى النَّاسِ بِالْهَلَكَةِ [٣] الْفَاحِشَةِ الْمُقْدِمُ عَلَى السُّلْطَانِ بِالدَّالَّةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ [٤] : الدَّالَّةُ تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَتَضُرُّ بِالْمَحَبَّةِ الْمُتَأَكِّدَةِ . وَقَالَ بُزُرْجِمِهْرُ : إِذَا خَدَمْتَ مَلِكًا [٥] مِنَ الْمُلُوكِ فَلَا تُطِعْهُ فى مَعْصِيةِ خَالِقِكَ ، فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ فَوْقَ إِحْسَانِ الْمَلِكِ ، وَإِيقَاعَهُ بِكَ أَغْلَظُ مِنْ إِيقَاعِهِ .

اصْحَبِ [٦] الْمُلُوكَ بِالْهَيْبَةِ لَهُمْ وَالْوَقَارِ ، لأَنَّهُمْ إِنَّمَا احْتَجَبُوا عَنِ النَّاسِ لِقِيَامِ الْهَيْبَةِ ، فَلَا تَتْرُكِ الْهَيْبَةَ وَإِنْ طَالَ أُنْسُكَ بِهِمْ ، فَهُوَ حَسْبُهُمْ مِنْكَ .. لا تُعْطِ السُّلْطَانَ مَجْهُودَكَ فى أَوَّلِ صُحْبَتِكَ لَهُ ، فَلَا تَجِدْ بَعْدُ [٧] لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ، وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا [٨] .. عَلِّمِ السُّلْطَانَ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَأَشِرْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ تَسْتَشِيرُهُ . إِذَا أَحَلَّكَ السُّلْطَانُ مِنْ نَفْسِهِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَثِقُ بِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالدُّخُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بِطَانَتِهِ ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِى مَتَى يَتَغَيَّرُ لَكَ ، فَيَكُونُونَ [٩] عَوْنًا عَلَيْكَ .. إِيَّاكَ [١٠] أَنْ تُعَادِىَ مَنْ إِذَا شَاءَ يَطْرَحُ ثِيَابَهُ وَيَدْخُلُ مَعَ الْمَلِكِ فى ثِيَابِهِ فَعَلَ . وَفِى الأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : احْذَرْ زَمَارَةَ الْمِخَدَّةِ [١١] . وَفِيهِ قِيلَ [١٢] :

---

(١) الدَّالَّةُ : الجُرْأَةُ .
(٢) الإمكان : الاستطاعة والقوة .
(٣) الهَلَكَة : الهلاك .
(٤) هو : يحيى بن خالد بن برمك ، مؤدِّب الرشيد ومعلمه ومربيه ، وقد مر التعريف به .
(٥) فى « م » : « سُلطاناً » .
(٦) فى « م » : « واصحب » .
(٧) فى « م » : « لا تجد للمزيد » .
(٨) قوله : « ولكن دَعْ للمزيد موضعاً » عن « ط » .
(٩) فى « ط » : « فيكون » .
(١٠) فى « م » : « وقال : إيَّاك » . والضمير فى « قال » يعود على بُزُرْجَمِهْر .
(١١) زَمَارة الْمِخَدَّة : انقباضُها وتضاؤلها .. وفى « ط » : « رُماة المخدة » والمخدة حديدة تُشَق بها الأرض .
(١٢) البيت فى وفيات الأعيان للفرزدق .

لَيسَ الشَّفِيعُ الَّذى يَأْتِيكَ مُؤْتَزِرًا مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذى يَأْتِيكَ عُرْيَانًا [١]

وَفِى الأَمْثَالِ : لا تُدِلَّ فَتُمَلَّ ، وَلَا تُوجِفْ فَتَعْجَفَ [٢] . وَقَالَ الرَّشِيدُ لإِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ [٣] إِيَّاكَ وَالدَّالَّةَ ، فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا [٤] السَّلَامُ : لا تَغْشَ السُّلْطَانَ وَلَا تَقْعُدْ عَنْهُ [٥] . وَقَالَ [٦] الْحُكَمَاءُ : شِدَّةُ الانْقِبَاضِ عَنِ السُّلْطَانِ تُورِثُ التُّهَمَةَ [٧] ، وَشِدَّةُ الانْبِسَاطِ تَفْتَحُ بَابَ الْمَلَالَةِ [٨] . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِلَا ذُلٍّ كَانَتْ ثَمَرَةُ سَعْيِهِ الذُّلَّ .

أَحْرِزْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمِثْلِ مَا اكْتَسَبْتَهَا مِنَ الْجِدِّ وَالْمُنَاصَحَةِ ، وَاحْذَرْ أَنْ يَحُطَّكَ التَّهَاوُنُ عَمَّا رَقَّاكَ إِلَيْهِ التَّحَفُّظُ . إِنَّ أَشْقَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ

---

(١) الشفيع العريان : الذى لاتُرَدُّ شفاعته .. وهذا البيت قاله الفرزدق من جملة أبيات فى عبد الله بن الزبير لمَّا طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق فى أيام عبد الملك بن مروان الأموى ، وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته « النوّار » فمضيَا من البصرة إلى مكة ليفصل فى الحكم بينهما عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت « النوّار » عند زوجة عبد الله ، وشفع كُلّ واحدٍ لنزيله ، فقضى عبد الله للنوّار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات التى منها هذا البيت ، فصار الشفيع العريان مثلاً يُضرب لكل من تُقْبَل شفاعته .

[انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

(٢) فى اللسان : أَدَلَّ فَأَمَلَّ ، وَأَوْجَفَ فَأَعْجَفَ .. وتُوجف : تُسرع السير . وتعجف : تهزل وتضعف .

[انظر لسان العرب ، مادتى ، دلل ووجف . وعيون الأخبار ج ١ ص ٧٨]

(٣) صَبيح ، بفتح الصاد ، وهو : كاتب مشهور ، كان من كُتّاب بنى أُميّة ، ولَمَّا آلت الخلافة إلى بنى العباس استكتبه عبدالله بن علىّ « عم المنصور » فكان من خاصته ، وله فيه أشعار ، ثم استكتبه المنصور ، واستمر فى خدمة العباسيين ، وهو أول مَنْ بَشَّرَ هارون الرشيد بالخلافة يوم مات أخوه الهادى سنة ١٧٠ هـ ، وبشره فى الساعة نفسها بولادة ابنه المأمون . توفى نحو سنة ١٨٠ هـ .

[انظر المعارف ٣٨٤ ، والأعلام ج ٨ ص ٢٤٥ ، واسمه فيه : يوسف بن القاسم بن صبيح العجلى ، والمشهور : إسماعيل وقد ورد هكذا فى العقد الفريد وفى عيون الأخبار وغيرها] .

(٤) فى « م » : « عليه » .

(٥) يعنى : لا تُكثِرْ مِنْ إتيان السلطان والتردد عليه ، ولا تتأخر عنه .. وفى « م » : « ولا تقعد عليه » مكان « عنه » تحريف .. وقعد عن الأمر : تأخر عنه .

(٦) فى « م » : « وقالت » وكلاهما صواب .

(٧) التُّهَمَةُ والتُّهْمَةُ : الاتهام : وتطلق على الظن والريبة .

(٨) الملالة : السآمة والضَّجَر .. وفى « م » : « الملامة » من اللَّوْم .

أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا احْتِرَاقًا . مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاطِّرَاحِ الأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ .

وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لا تَنْقَبِضُوا عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا تَهَالَكُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ [١] مَنْ أَشْرَفَ عَلَى السُّلْطَانِ أَرْدَاهُ [٢] ، وَمَنْ تَضَرَّعَ لَهُ تَخَطَّاهُ [٣] .. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثَلاثَةٌ مَنْ عَادَاهُمْ عَادَتْ عِزَّتُهُ ذِلَّةً : السُّلْطَانُ ، وَالْوَلَدُ ، وَالْغَرِيمُ [٤] .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ [٥] ، وَإِمَّا مُغَفَّلٌ [٦] ، مَهِينٌ لا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَ السُّلْطَانَ بالصِّدْقِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ فَقَلَّمَا تَسْتَقِيمُ لَهُ صُحْبَتُهُ [٧] ، لأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ ، أَمَّا [٨] الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِى مَنْزِلَتِهِ ، فَيَطْعَنُ عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصِّنْفَانِ ، كَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ [٩] .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِى عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِى ذُلِّ الآخِرَةِ .. لَا يُوحِشُكَ [١٠] مِنَ السُّلْطَانِ إِكْرَامُ الأَشْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا يَضْطَرُّ

---

(١) فى « م » : « فإنْ » .

(٢) أشرف عليه : عَلا وتكبَّر عليه ، وتكون أيضا بمعنى : قَارَبَهُ .. وأَرْدَاهُ : أهلكه .. وفى عيون الأخبار ج ١ ص ٧٨ : « أذراه » بمعنى أسقطه وأبعده .

(٣) تخطَّاهُ : نحَّاهُ ودفعه . وفى المصدر السابق : « تحظاه » أى : قرَّبه ورفع مكانته .

(٤) الغريم : الدَّائن .

(٥) بمُصانعته : بخداعه ومُداراته .

(٦) المُغَفَّل : مَن لاحسَبَ له من الرجال . أو مَن لايُرجَى خيره ، ولا يُخْشَى شرُّه .

(٧) فى « م » : « تستقيم صُحبتهم » .

(٨) فى « م » : « وأمَّا » .

(٩) فى « م » : « هو يُعرض للهلاك »

(١٠) فى « م » : « ولا يوحشك » والوَحْشَة : الانقطاع وعدم المودَّة والخوف .

الْمَلِكُ إِلَى الْحَجَّامِ فَيَشْرِطُ (١) قَفَاهُ وَيُخْرِجُ دَمَهُ . وَفِى الأَمْثَالِ : لا حِلْمَ لِمَنْ لا سَفِيهَ لَهُ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ اسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَجُلًا فِيهِ مَا فِيهِ ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ وَأَهْلَ الْوَغَادَةِ وَالذَّعَارَةِ (٢) . وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ : إِنَّ لِلسُّلْطَانِ لَسَكَرَاتٍ ، فَمِنْهَا : الرِّضَا عَمَّنِ (٣) اسْتَوْجَبَ السَّخَطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنِ اسْتَوْجَبَ الرِّضَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : خَاطَرَ مَنْ لَجَّجَ فى الْبَحْرِ (٤) ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ خَطَرًا مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ (٥) . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ لِابْنِهِ ، لَا تَعُدَّنَّ شَتْمَ السُّلْطَانِ شَتْمًا ، وَلَا إِغْلَاظَهُ إِغْلَاظًا ، فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ تَبْسُطُهُ فى غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا سَخَطٍ (٦) .

وَقَالَ سَامِيدُ (٧) أَحَدُ حُكَمَاءِ الْفُرْسِ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ (٨) يَنْبَغِى أَنْ تُفَسَّرَ لِلْفَهِيمِ (٩) كَمَا تُفَسَّرُ لِلْبَلِيدِ ، وَلَا يُتَّكَلُ (١٠) فِيهَا عَلَى ذَكَاءِ أَحَدٍ : تَأْوِيلُ الدِّينِ ، وَأَخْلَاطُ الأَدْوِيَةِ ، وَصِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَخُوفِ (١١) ، وَالرَّأْىُ فى السُّلْطَانِ (١٢) .

---

(١) يشرطُ : بكسر الراء وضمها : يشقُّ . وفى « م » : « فيشترط قَفاه يخرج » بدون واو العطف . والحجّام : محترف الحِجَامَة ، وهي امتصاص الدم من الجسم بأداة معينة .

(٢) أهل الوَغادة والذَّعارة : الأراذل والحَمْقَى ، والأدنياء الذين يسببون الخوف والفزع ، وهم قُطَّاع الطُّرُق .

(٣) فى « م » : « لِمَنْ » والسَّخَطُ والسُّخْطُ واحدٌ .

(٤) أى : أبْحَرَ فيه حتى وصل إلى حيث تتلاطم أمواجه وتختلط .

(٥) فى « م » : « وأعظمُ مِنْ خطر مَنْ صَحِبَ السُّلطان » .

(٦) فى « م » : « ولا تسخطه » . وفى الأدب الكبير لابن المقفع : « فإن ريح العزة قد تبسُطُ اللِّسَانَ بالغِلْظَةِ فى غير سَخَط ولا بأس » .

(٧) فى « م » : « ساميذ » بالذال المعجمة .

(٨) قوله : « أشياء » عن « ط » .

(٩) فى « م » : « الفَهِمُ » وهما بمعنى واحد ، ويدل على الإنسان الذى لديه استعداد ذهنى لاستنباط المعنى والكشف عنه .

(١٠) فى « م » : « ولايُتكَلَّم » .

(١١) فى « م » : « للمَخُوف » تصحيف .

(١٢) فى « م » : « والرامى فى السلطان » يعنى الذى يقول فيه رأيه ويقذفه بما ليس فيه .

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا انْقَطَعَ مِنْكَ فى الآخِرِ نَسِيَ الأَوَّلَ ، فَأَرْحَامُهُمْ [١] مَقْطُوعَةٌ ، وَحِبَالُهُمْ مَصْرُومَةٌ ، إِلَّا مَنْ رَضُوا عَنْهُ فى وَقْتِهِمْ وَسَاعَتِهِمْ .. وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْوَالِى خِلَالًا لا تَنْبَغِى [٢] فَلَا تُكَابِدْهُ عَلَى رَدِّهَا ، فَإِنَّهَا [٣] رِيَاضَةٌ صَعْبَةٌ ، لَكِنْ أَحْسِنْ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَحْسَنِ رَأْيِهِ ، فَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ مِنْهُ نَاحِيَةٌ مِنَ الصَّوَابِ ، كَانَ ذَلِكَ الصَّوَابُ هُوَ الَّذِى يُبَصِّرُهُ الْخَطَايَا اللَّطِيفَةَ أَكْثَرَ مِنْ تَبْصِيرِكَ . وَاجْعَلِ [٤] الْعَدْلَ مِنْ حِكْمَتِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ [٥] يَدْعُو بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ اقْتَلَعَ الْخَطَأَ .

وَلَا تَطْلُبْ مَا قِبَلَ الْوَالِى [٦] بِالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبْطِئْهُ وَإِنْ أَبْطَأَ ، وَلَكِنِ اطْلُبْ مَا قِبَلَهُ بِالِاسْتِحْقَاقِ وَالِاسْتِينَاءِ [٧] ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحْقَقْتَهُ أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ [٨] ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَبْطِئْهُ كَانَ أَعْجَلَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : إِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ فَدَارِهِ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ الْقَبِيحَةِ لِلزَّوْجِ الأَحْمَقِ الْمُبْغِضِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ : تَنَكَّرَ لِي هَارُونُ الرَّشِيدُ . فَقَالَ لَهُ : ارْضَ بِقَلِيلِهِ مِنْ كَثِيرِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْخَطَ فَيَكُونَ أَسْخَطَ مِنْكَ .

* * *

(١) أرحامهم : قراباتهم .. وفى الأدب الكبير : « وإنّ الكثير من أولئك – يعنى السلاطين – أرحامهم مقطوعة ، وحبالهم مصرومة ، إلّا عمّن رضوا عنه ، وأغنى عنهم فى يومهم وساعتهم » .
[انظر المصدر السابق ص ٨٤] .

(٢) فى « م » : « إذا رأيت من الرَّجُل خلالاً لاينبغى » .

(٣) فى « م » : « وإنها » .

(٤) فى « م » : « والعدل » وسقط الفعل « اجعل » منها .

(٥) فى « م » : « وإنّ العدل » .

(٦) ماقِبَل الوالى : ماعنده .

(٧) الاستيناء : الترفُّق .. وفى « م » : « الاستثناء » .

(٨) فى « م » : « طالب » .

البَابُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

فِى سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ

اعْلَمْ أَنَّ الْجُنْدَ عِدَدُ الْمَلِكِ [١] وَحُصُونُهُ وَمَعَاقِلُهُ وَأَوْتَادُهُ [٢] ، وَهُمْ حُمَاةُ الْبَيْضَةِ ، وَالذَّابُّونَ عَن الْحُرْمَةِ [٣] ، وَالدَّافِعُونَ عَنِ الْعَوْرَةِ ، وَهُمْ جُنَنُ الثُّغُورِ [٤] ، وَحُرَّاسُ الأَبْوَابِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَأَمْدَادُ الْمُسْلِمِينَ [٥] ، وَالْحَدُّ الَّذِى يَلْقَى الْعَدُوَّ ، وَالسَّهْمُ الَّذِى يُرْمَى بِهِ [٦] ، وَالسِّلَاحُ الْمَدْفُوعُ فى نَحْرِهِ [٧] ، فَبِهِمْ يُذَبُّ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَتُؤْمَنُ السُّبُلُ [٨] ، وَتُسَدُّ الثُّغُورُ ، وَهُمْ عِزُّ الأَرْضِ ، وَحُمَاةُ الثُّغُورِ ، وَالذَّادَةُ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَالشَّوْكَةُ عَلَى الْعَدُوِّ [٩] .

---

(١) عدَدُ المَلك ، بكسر العين : جماعته : وبضمها : مايُعَدُّ لأمرٍ يحدث .

(٢) معاقله جمع مَعْقِل ، وهو الحصن والملجأ .. والأوتاد : جمع وَتِد ، وهو مارُزَّ فى الأرض أو الحائط من خشب ونحوه ، وهنا شبَّه الجُند بالأوتاد ، حيث إنَّ المُلك يثبت ، أو يقوى ، بهم .

(٣) البيضة : أصْلُ القوم ومجتمعهم ، يُقال : أتاهم العَدُوُّ فى بيضتهم ، يريد : جماعتهم وموضع سلطانهم . والذَّابُّون : المدافعون .

(٤) الجُنَنُ : جمع جُنَّة ، وهى السُّتْرَة ، وكل ماوقَى من سلاح وغيره .

(٥) أَمْدَاد : جمع مَدَدٍ ، وهو مايُمَدُّ به من الأعوان والأنصار ليقوَى .

(٦) فى « م » : « يُؤَمَّنُ به » .

(٧) فى « م » : « والسلاح الذى فى نحره » .

(٨) تُؤْمَنُ السُّبُل : أى تصير الطُّرُق آمِنَة يطمئن السائر فيها ولا يخاف .

(٩) الشوكة : القوة والبأس .. وفى « م » : « والشوكة على الثغور » .

وَعَلَى الْجُنْدِ الْجِدُّ عِنْدَ اللِّقَاءِ [١] ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمُ الْغَلَبَةُ فَلْيُمْعِنُوا فى الطَّلَبِ [٢] ، وَإِنْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ فَلْيَكْسِرُوا الأَعِنَّةَ ، وَلْيَجْمَعُوا الأَسِنَّةَ ، وَلْيَذْكُرُوا أَخْبَارَ غَدٍ .

وَيَنْبَغِى لِلْمَلِكِ أَنْ يَتَفَقَّدَ جُنْدَهُ كَتَفَقُّدِ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بُسْتَانَهُ ، فَيَقْلَعُ الْعُشْبَ الَّذِى لا يَنْفَعُهُ ، فَمِنَ الْعُشْبِ مَا لَا يَنْفَعُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالنَّبَاتِ النَّافِعِ ، فَهُوَ بِالْقَلْعِ أَجْدَرُ . وَلَا يُسْتَصْلَحُ [٣] الْجُنْدُ إِلَّا بِإِدْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَسَدِّ حَاجَاتِهِمْ ، وَالْمُكَافَأَةِ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَنَائِهِمْ وَبَلَائِهِمْ . وَجُنُودُ الْمُلُوكِ وَعُدَدُهَا وَقْفٌ عَلَى سُعُودِ [٤] الأَئِمَّةِ وَنُحُوسِهَا . وَقَالَ أَبْرَوِيزُ لِابْنِهِ شِيرَوَيْهِ [٥] : لا تُوَسِّعَنَّ عَلَى جُنْدِكَ فَيَسْتَغْنُوا عَنْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ فَيَضِجُّوا مِنْكَ ، وَأَعْطِهِمْ عَطَاءً قَصْدًا ، وَامْنَعْهُمْ مَنْعًا جَمِيلًا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فى الرَّخَاءِ [٦] ، وَلَا تُوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فى الْعَطَاءِ .

وَلَمَّا أَفْضَى الأَمْرُ إِلَى أَبِى جَعْفَرٍ [٧] الْمَنْصُورِ ، أَنْفَذَ جَيْشًا ، وَقَالَ لِقُوَّادِهِ : سِيرُوا بِمِثْلِ هَذِهِ السِّيرَةِ . ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ الأَعْرَابِىُّ .. أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ . فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِىُّ [٨] فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْشَى أَنْ يُلَوِّحَ لَهُ غَيْرُكَ بِرَغِيفٍ فَيَتْبَعُهُ وَيَدَعُكَ .

---

(١) أى : عند لقاء العَدُوّ .

(٢) أى : فى طلب الأعداء .

(٣) فى « م » : « يستطلع » .

(٤) السُّعود : التوفيق واليُمْن والسعادة .

(٥) أبرويز هو : أَبَرْوِيزُ بن هُرمز بن كسرى ، من ملوك الفُرس ، وطالت مُدة مُلكه حتى ضجر منه الناس ، وخلعوه بعد ثمانٍ وثلاثين سنة من مُلكه ، ثم جعلوا مكانه ابنه « شيرويه » وهو ابن بنت « قيصر » فأمر بأبيه فَسُملت عيناه ، وقتل من إخوته ثمانية عشر رجلا ، وهرب بقية أهل بيته ، ثم ظهر الطاعون فى بلده ، فهلك فيمن هلك ، وكان موته لخمس سنين وأشهرًا من هجرة النبى ﷺ إلى المدينة . وكانت مدة مُلكه سبعة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٥] .

(٦) فى « م » : « الرجال » مكان « الرخاء » تحريف .

(٧) فى « م » : « ابن جعفر » تحريف ، والصواب « أبو » .

(٨) أبو العباس الطوسى : من ولاة خراسان ، جعله أبو جعفر المنصور على حرسه بالمدينة الهاشمية بالكوفة بعد موت عيسى بن نهيك قائد حرسه .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٦ ، وج ٥ ص ١٣١] .

وَيُرْوَى أَنَّ كِسْرَى صَنَعَ طَعَامًا فى سِمَاطٍ (١) ، فَلَمَّا فَرَغُوا وَرُفِعَتِ الآلاتُ (٢) ، وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَخَذَ جَامًا (٣) ، لَهُ قِيمَةٌ كَبِيرَةٌ (٤) ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ الْخَدَمُ يَرْفَعُونَ الآلاتِ فَلَمْ يَجِدُوا الْجَامَ ، فَسَمِعَهُمْ كِسْرَى يَتَكَلَّمُونَ ، فَقَالَ : مَالَكُمْ ؟ فَقَالُوا : فَقَدْنَا جَامًا مِنَ الْجَامَاتِ . فَقَالَ : لا عَلَيْكُمْ ، أَخَذَهُ مَنْ لا يَرُدُّهُ ، وَرَآهُ مَنْ لا يَفْضَحُهُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَى كِسْرَى ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَحَالٌ مُسْتَجَدَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : هَذَا مِنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَلَمْ يَقُلْ لَهُ (٥) شَيْئًا .

وَسُئِلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ – وَكَانَ عَلَى الصَّوَائِفِ (٦) : بِمَ قَدَرْتَ (٧) عَلَى جُيُوشِ الصَّائِفَةِ ؟ وَكَانَ يَغْزُو فى كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَجُرُّ الْجُيُوشَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : بِسَمَانَةِ الظَّهْرِ ، وَالْقَدِيدِ (٨) ، وَكَثْرَةِ الْكَعكِ . وَرُوِىَ أَنَّ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ كَانَ ظَالِمًا لِرَعِيَّتِهِ ، شَدِيدَ الأَذَى لَهُمْ (٩) فى أَمْوالِهِمْ ، فَعُوتِبَ فى ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : رُبَّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ صَاحِبَهُ إِذَا لَمْ يُشْبِعْهُ .

* * *

---

(١) السِّماط : مايُمَدُّ لِيُوضَعَ عليه الطعام فى المآدب ونحوها .

(٢) الآلات : الآنية : وفى « م » : « الأيدى » .

(٣) الجامُ : إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها ، وقد غلب استعماله على قدح الشرب .

(٤) فى « ط » : « كثيرة » .

(٥) فى « م » : « لم يقُل شيئاً » .

(٦) فى « م » : « الطوائف » تحريف . والصوائف : جمع صائفة ، وهى الغزوة فى الصيف ، وبها سُمِّيَتْ غزوة الروم ، لأنهم كانوا يُغْزَوْنَ صيفاً اتقاء البرد والثلج .

(٧) فى « م » : « ثم » مكان « بِمَ » تحريف .. وَقَدَرْتَ : قويتَ .

(٨) بِسَمانَة الظَّهر ، أى : بكثرة لحمه وشحمه .. والقديد من اللحم: ماقُطع ومُلِّحَ وجُفِّفَ فى الهواء والشمس .

(٩) فى « م » : « شديدًا لإذْلالِهِم » .

الْبَابُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

فى سِيرَةِ السُّلْطَانِ فى اسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجِ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَلِقَاحُهُ الأَمْنُ [1] ، وَنِتَاجُهُ الْعَدْلُ [2] ، وَهُوَ حِصْنُ السُّلْطَانِ ، وَمَادَّةُ الْمُلْكِ . وَالْمَالُ أَقْوَى الْعُدَدِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَحَيَاةُ الأَرْضِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فى حَقِّهِ ، وَيُمْنَعَ مِنْ سَرَفٍ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَلَ [3] عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ، ثُمَّ يُنْفَقُ [4] ذَلِكَ فى الْوُجُوهِ الَّتِى يَعُودُ عَلَيْهَا [5] نَفْعُهَا ، فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، احْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى عِمَارَةِ الأَرَضِينَ ، وَالسَّلَام .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مُرْ جُبَاةَ الأَمْوَالِ بِالرِّفْقِ ، وَمُجَانَبَةِ الْخُرْقِ [6] ، فَإِنَّ الْعَلَقَةَ [7] تَنَالُ مِنَ

---

(١) يعنى : أنه وليد الأمن .

(٢) أى : وهو ثمرة العدل .

(٣) فَضَلَ زاد على الحاجة .

(٤) فى « م » : « بل ينفق » .

(٥) فى « م » : « تعود عليه » .

(٦) الخُرْق : الحماقة .

(٧) العَلَقَة : دودة سوداء تمتص الدم ، تكون فى الماء الآسِن ، وإذا شربَتْهُ الدَّابَّةُ عَلِقَ بِحَلْقِهَا .

الدَّمِ بِغَيْرِ أَذًى وَلَا سَمَاعِ صَوْتٍ مَا لَا تَنَالُهُ الْبَعُوضَةُ بِلَسْعَتِهَا وَهَوْلِ صَوْتِهَا .

وَلَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ ، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ أَبِي السَّرْحِ ، فَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ عَمْرٌو ، فَقَالَ [١] عُثْمَانُ : يَا عَمْرُو ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللِّقَاحَ دَرَّتْ بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ عَمْرٌو : ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ أَعْجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا [٢] . وَقَالَ زِيَادٌ : أَحْسِنُوا إِلَى [٣] الْمُزَارِعِينَ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا سِمَانًا مَا سَمِنُوا . وَفِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ [٤] : مَنْ جَاوَزَ فِي الْحَلْبِ حَلَبَ الدَّمَ [٥] . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا اسْتَقْصَى [٦] الْعِجْلُ فِي مَصِّ أُمِّهِ رَفَسَتْهُ [٧] .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى [٨] : الْخَرَاجُ عَمُودُ [٩] الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتُغْزِرَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتُنْزِرَ [١٠] بِمِثْلِ الظُّلْمِ . وَأَسْرَعُ الْأُمُورِ فِي خَرَابِ الْبِلَادِ تَعْطِيلُ الْأَرَضِينَ ، وَهَلَاكُ الرَّعِيَّةِ ، وَانْكِسَارُ الْخَرَاجِ بِالْجَوْرِ وَالتَّحَامُلِ [١١] .

---

(١) في « م » : « وقال » .

(٢) يريد : أرهقتم أهلها بما لا يتحمّلون .

(٣) في « م » : « في » مكان « إلى » .

(٤) في « ط » : « الحكمة » .

(٥) يعني : إذا تجاوز الأمر حدّه انقلب إلى ضده .

(٦) استقصَى : بالَغ .. وفي « م » : « استقضَى » تحريف .

(٧) في « م » : « رفصته » بالصاد المهملة . لا تصح . وربما أراد « رفضته » بالضاد المعجمة ، بمعنى : طردته أو تركته جانباً .

(٨) هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير هارون الرشيد ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ واستوزره الرشيد ، وألقى إليه مقاليد المُلك ، وكان يدعوه « أخي » فانقادت له الدولة يحكم بما يشاء ، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة ، فقتله سنة ١٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٣٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٢ – ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٨ – ٣٤٦] .

(٩) عمود المُلك : قوامه الذي لايستقيم إلّا به . وفي « م » : « عماد المملكة » .

(١٠) في « م » و « ط » كليهما : « استتر » والتصويب من المعجم الوسيط ، مادة « غزر » إذ جاء فيه : « الخراج عمود المُلك ، وما استُغْزِر بمِثْل العدل ، ولا استُنْزِرَ بمثل الجَوْر » . والأولَى من الغزارة بمعنى الكثرة .. والثانية من النزارة ، وهي : القِلّة .

(١١) التحامل : الجَوْر والظلم ، وتكليف الرعية مالاتطيق .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ حَتَّى ضَعُفُوا [١] عَنْ عِمَارَةِ الأَرَضِينَ [٢] مَثَلُ مَنْ يَقْطَعُ لَحْمَهُ وَيَأْكُلُهُ مِنَ الْجُوعِ ، فَهُوَ وَإِنْ قَوِىَ مِنْ نَاحِيَةٍ ، فَقَدْ ضَعُفَ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَمَا أَدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْوَجَعِ وَالضَّعْفِ [٣] أَعْظَمُ مِمَّا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ . وَمَثَلُ [٤] مَنْ كَلَّفَ الرَّعِيَّةَ مِنَ الْخَرَاجِ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، كَالَّذِى يَطِينُ سَطْحَهُ بِتُرَابِ أَسَاسِ بَيْتِهِ [٥] . وَمَنْ يُدْمِنُ حَزَّ الْعَمُودِ [٦] يُوشِكُ أَنْ يَضْعُفَ فَتَقَعَ الْخَيْمَةُ . وَإِذَا ضَعُفَ الزَّارِعُونَ [٧] عَجَزُوا عَنْ عِمَارَةِ الأَرَضِينَ ، فَيَتْرُكُونَهَا فَتَخْرَبُ الأَرْضُ ، وَيَهْرُبُ الزُّرَّاعُ [٨] فَتَضْعُفُ الْعِمَارَةُ ، فَيَضْعُفُ الْخَرَاجُ ، وَيَنْتِجُ ذَلِكَ ضَعْفَ الأَجْنَادِ ، وَإِذَا ضَعُفَ الْجُنْدُ طَمِعَ الأَعْدَاءُ فِى السُّلْطَانِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنْ بِمَا يَبْقَى فِى يَدِ رَعِيَّتِكَ أَفْرَحَ مِنْكَ بِمَا تَأْخُذُ مِنْهَا .. لا يَقِلُّ مَعَ الصَّلَاحِ شَىْءٌ ، وَلَا يَبْقَى [٩] مَعَ الْفَسَادِ شَىْءٌ ، وَصِيَانَةُ الْقَلِيلِ أَوْلَى مِنْ تَرْبِيَةِ الْجَلِيلِ [١٠] ، فَلَا مَالَ لأَخْرَقَ ، وَلَا عَيْلَةَ لِمُصْلِحٍ [١١] . وَرُوِىَ أَنَّ الْمَأْمُونَ أَرِقَ لَيْلَةً ، فَاسْتَدْعَى سَمِيرًا [١٢] فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ بِالْمُوصِلِ بُومَةٌ وَبِالْبَصْرَةِ بُومَةٌ ، فَخَطَبَتْ بُومَةُ الْمُوصِلِ إِلَى بُومَةِ الْبَصْرَةِ بِنْتَهَا لِابْنِهَا ، فَقَالَتْ بُومَةُ الْبَصْرَةِ : لا أُنْكِحُكِ ابْنَتِى إِلَّا أَنْ تَجْعَلِى فِى صَدَاقِهَا مِائَةَ ضَيْعَةٍ خَرَابٍ . فَقَالَتْ بُومَةُ الْمُوصِلِ :

(١) ضَعُفوا : مَرِضوا وذهبت قُوَّتُهم .. وفى « م » : « حتى مُنِعُوا » .
(٢) فى « م » : الأَراضى . وكلاهما جمع « أرض » .
(٣) فى « م » : « من الجوع والضعف » والضُّعف ، بتشديد الضاد المعجمة وفتحها أو ضمها : الهُزال .
(٤) قوله : « ومَثَلُ » عن « ط » ولم ترد فى « م » وترك الناسخ بياضاً مكانها .
(٥) يَطِينُ سَطْحَهُ : يلطخُهُ أو يطليه بالطين .
(٦) يُدمن حَزَّ العمود : يُداوم على القطع منه فى غير إبانة .. وفى « م » : « جر » مكان « حز » والأول أصْوَب وأوجه .
(٧) فى « ط » : « المُزارعون » .
(٨) فى « م » : « ويخرَبُ الزرع » مكان « ويهرب الزُّرّاع » .
(٩) فى « م » : « ولايكثر » مكان « ولايبقى » .
(١٠) فى « م » : « فليس بتربية للجليل » .
(١١) العَيْلَة : الفقر والحاجة .
(١٢) السمير : المسامِرُ الذى يجيد الحكايات التى يُسْتَمَرُ بها .

لا أَقْدِرُ عَلَيْهَا الآنَ ، وَلَكِنْ إِنْ دَامَ وَالِينَا – سَلَّمَهُ اللهُ – عَلَيْنَا سَنَةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ لَكِ ذَلِكَ . قَالَ : فَاسْتَيْقَظَ الْمَأْمُونُ [١] وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْوُلَاةِ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِ الأَنْدَلُسِ مِنَ الأَجْنَادِ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ : مَا زَالَ أَهْلُ الإِسْلَامِ [٢] ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَمْرُ الْعَدُوِّ فِى ضَعْفٍ وَانْتِقَاضٍ [٣] لَمَّا كَانَتِ الأَرْضُ مُقْطَعَةً [٤] فِى أَيْدِى الأَجْنَادِ ، فَكَانُوا يَسْتَغِلُّونَهَا وَيَرْفُقُونَ [٥] بِالْفَلَّاحِينَ وَيُرَبُّونَهُمْ كَمَا يُرَبِّى التَّاجِرُ تِجَارَتَهُ [٦] ، وَكَانَتِ الأَرْضُ عَامِرَةً ، وَالأَمْوَالُ وَافِرَةً ، وَالأَجْنَادُ مُتَوَافِرِينَ ، وَالْكُرَاعُ [٧] وَالسِّلَاحُ فَوْقَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ الأَمْرُ فِى آخِرِ أَيَّامِ ابْنِ عَامِرٍ [٨] ، فَرَدَّ عَطَايَا الْجُنْدِ مُشَاهَرَةً بِقَبْضِ الأَمْوَالِ عَلَى النُّطْعِ [٩] ، وَقَدَّمَ عَلَى الأَرْضِ جُبَاةً يَجْبُونَهَا ، فَأَكَلُوا الرَّعَايَا ، وَاجْتَاحُوا أَمْوَالَهُمْ [١٠] وَاسْتَضْعَفُوهُمْ ، فَتَهَاوَنَتِ [١١] الرَّعَايَا وَضَعُفُوا عَنِ الْعِمَارَةِ ، فَقَلَّتِ الْجِبَايَاتُ الْمُرْتَفِعَةُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَضَعُفَتِ الأَجْنَادُ ، وَقَوِىَ الْعَدُوُّ عَلَى

---

(١) فى « م » : « فاستيقظ لها المأمون » والضمير فى « لها » يعود على الحكاية .

(٢) « أهل الإسلام » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٣) انتقاض : هَدْم وإفساد .. وفى « م » : « انتقاص » بالصاد المهملة ، أى : ذهاب .

(٤) مُقْطَعَة : مملوكة .

(٥) يرفُقون : يعاملون برفْق ولين جانب .

(٦) يربى التاجر تجارته : ينمِّيها ويزيدها .

(٧) الكُراع : الخيل .

(٨) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن ، من آل أبى عامر ، من ملوك الدولة العامرية فى الأندلس ، أيام ملوك الطوائف ، بويع بعد موت أبيه سنة ٤٥٢ هـ ، وسكن « بلنسية » وساءت سيرته ، فقبض عليه صهره صاحب « طليطلة » يحيى بن ذى النون غدرًا سنة ٤٥٧ هـ ، وأخرجه إلى مدينة « شنت بريه » فأقام بها يسيرًا ، ثم توفى سنة ٤٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٦٠] .

(٩) يعنى : أنه منع عن الجُنْدِ عطاياهم الراتبة التى كانوا يتقاضونها كل شهر ، وأنزلها إلى النصف . والنِّطع ، بفتح النون المشدَّدة وكسرها ، من نَطَعَ اللُّقْمَة : إذا أكل منها جزءًا ثم ردَّها إلى الخِوَان .

(١٠) اجتاحوا أموالهم : نهبوها وأهلكوها .. وفى « م » : « واحتجبوا أموالهم » .

(١١) فى « ط » : « فتَهارَبَت » .

بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخذَ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فى نَقْصٍ وَأَمْرُ الْعَدُوِّ فى ظُهُورٍ إِلى أَنْ دَخلَهَا الْمُتَلَثِّمُونَ (١) ، فَرَدُّوا الإِقْطَاعَاتِ كَمَا كَانَتْ فى الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، وَلَا أَدْرِى مَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ .

* * *

(١) المتلثمون – أو المُلَثَّمُون : قومٌ من المغاربة ، كانت لهم فى إفريقية والأندلس دولة .. وفى « م » : « المسلمون » تحريف .

البَابُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ

فى سِيرَةِ السُّلْطَانِ فى بَيْتِ الْمَالِ

وَهَذَا بَابٌ سَلَكَتْ فِيهِ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسِّنْدِ ، وَبَعْضُ مُلُوكِ الرُّومِ خِلَافَ سِيرَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، فَكَانَتِ الْمُلُوكُ تَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَتَحْتَجِبُهَا دُونَ الرَّعِيَّةِ ، وَتُعِدُّهَا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ [1] عَلَى مَا بَيَّنَّا فى البَابِ قَبْلَهُ . وَكَانَتِ الرُّسُلُ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُمْ تَبْذُلُ الأَمْوَالَ وَلَا تَدَّخِرُهَا ، وَتَصْطَنِعُ الرَّعِيَّةَ [2] وَتُوَسِّعُ عَلَيْهَا ، فَكَانَتِ الرَّعِيَّةُ هُمُ الأَجْنَادُ وَالْحُمَاةُ .

وَهَذِهِ سِيرَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ جُوعَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ شِبَعِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فى صَاعِ شَعِيرٍ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، وَكَذَلِكَ [3] الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَابْنُهُ الْحَسَنُ ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَأَنَّ النَّبِيَّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ [4] لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْيَمَنَ ، كَانَتْ [5] تُجْبَى لَهُ الأَمْوَالُ

---

(١) أى : تجهزها وتدخرها لنوائب الدهر ونوازعه .

(٢) أى : تحسن إليها .

(٣) فى « م » : « وكانت » مكان « وكذلك » .

(٤) فى « م » : « وكان النبى ﷺ » .

(٥) فى « م » : « كان » .

فَيُفَرِّقُهَا لِيَوْمِهَا ، وَقَدْ تُوضَعُ فى الْمَسْجِدِ وَتُفْرَشُ الأَنْطَاعُ وَيُفَرِّقُهَا مِنَ الْغَدِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتُ مَالٍ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فى السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ حُجْرَتَهُ وَخَرَجَ مُسْرِعًا وَفِى يَدَيْهِ خُرَيْقَةٌ (٢) فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَسَّمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنُّ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَهَذَا عِنْدَهُ ؟! وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣) بَيْتُ مَالٍ ، وَلَا لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْخُلَفَاءُ تَقْسِمُ الأَمْوَالَ الَّتِى جُبِيَتْ مِنْ حِلِّهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرُبَّمَا (٤) يَفْضُلُ مِنْهَا فَضَلَاتٌ فَتُجْعَلُ (٥) فى بَيْتٍ [أَوْ يَكُونُ بِالنَّاسِ عَنْهَا غِنَاءٌ فى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَتَحَصَّلُ فى بَيْتٍ] (٦) فَمَنْ حَضَرَ مِنْ غَائِبٍ ، أَوِ احْتَاجَ مِنْ حَاضِرٍ ، قُسِمَ (٧) لَهُ حَظُّهُ ، ثُمَّ يُفَرَّقُ حَتَّى لا يَبْقَى فى الْبَيْتِ مِنْهُ دِرْهَمٌ . كَمَا رُوِىَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (٨) أَشْرَفَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ وَفِيهِ مَالٌ ، فَقَالَ : يَا بَيْضَاءُ وَيَا حَمْرَاءُ (٩) ابْيَضِّى وَاحْمَرِّى وَغُرِّى غَيْرِى . ثُمَّ أَمَرَ فَقُسِّمَ جَمِيعُ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ قَنْبَرَ (١٠) أَنْ يَكْنُسَهُ وَيَرُشَّهُ ، ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى فِيهِ .

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ سَارُوا فى الأَمْوَالِ عَلَى نَحْوِ هَذِهِ السِّيرَةِ مِنْ مُلُوكِ الإِسْلَامِ ، وَمُلُوكِ الرُّومِ . وَمُعْظَمُ مَا أَهْلَكَ بِلَادَ الأَنْدَلُسِ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرُّومَ أَنَّ (١١) الرُّومَ الَّتِى

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٢) الخُرَيْقَة : تصغير « خِرقة » وهى القطعة من الثوب الممزق .

(٣) فى « م » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٤) فى « م » : « وممَّا كان يَفضُل » .

(٥) فى « ط » : « فيُجعل » .

(٦) مابين المعقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .. وتُحَصَّلُ : تُجمع .

(٧) فى « م » : « فَقسم » .

(٨) « رضى الله عنه » عن « ط » .

(٩) فى « م » : « ياحمراء » بلا عطف .

(١٠) هو خادم علىٍّ ، كرَّم الله وجهه [انظر وفيات الأعيان ج ٦ ص ٤٠٠] .

(١١) فى « م » : « إلا » مكان « أنَّ » تحريف .

كَانَتْ تُجَاوِرُنَا لم يَكُنْ [١] لَهُمْ بيوتُ أَمْوَالٍ ،وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْجِزْيَةَ مِنْ سَلَاطِينِ الأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْكَنِيسَةَ فَيَقْسِمُهَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى رِجَالِهِ بِالطَّاسِ ، وَيَأْخُذُ مِثْلَ ما يَأْخُذُونَ ، وَقَدْ لا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْهَا . وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْطَنِعُونَ بِهَا الرِّجَالَ [وَكَانَتْ سَلَاطِينُنَا تَحْتَجِبُ الأَمْوَالَ وَتُضِيعُ الرِّجَالَ] [٢] ، فكَانَ لِلرُّومِ [٣] بُيُوتُ رِجَالٍ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ بُيُوتُ أَمْوَالٍ ، فَبِهَذِهِ الْخَلَّةِ [٤] قَهَرُونَا وَظَهَرُوا عَلَيْنَا .

وَكَانَ مَنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَلَا يَدَّخِرُ الأَمْوَالَ تُضْرَبُ فِيهِ الأَمْثَالُ . وَيُقَالُ : عَدُوُّ الْمَلِكِ بَيْتُ الْمَالِ ، وَصَدِيقُهُ جُنْدُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُهُمَا قَوِىَ الآخَرُ ، وَإِذَا ضَعُفَ بَيْتُ الْمَالِ بِبَذْلِهِ لِلْحُمَاةِ ، قَوِىَ النَّاصِرُ وَاشْتَدَّ بَأْسُ الْجُنْدِ ، وَقَوِىَ الْمَلِكُ ، وَإِذَا قَوِىَ بَيْتُ الْمَالِ وَامْتَلأَ بالأَمْوَالِ ، قَلَّ النَّاصِرُ ، وَضَعُفَتِ الْحُمَاةُ ، فَضَعُفَ الْمَلِكُ ، فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فى بلَادِ الأَنْدَلُسِ مُشَاهَدَةً . وَإِذَا كَانَ الدِّفَاعُ فى الرِّجَالِ [٥] لا فى الأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ بِالأَمْوَالِ بِوَاسِطَةِ الرِّجَالِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ بَيْتَ رِجَالٍ خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ مَالٍ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِابْنِهِ : يَا بُنَىَّ ، لا تَجْمَعِ الأَمْوَالَ لِتَتَقَوَّى بِهَا [٦] عَلَى الأَعْدَاءِ ، فَإِنَّ فى جَمْعِهَا تَقْوِيَةَ الأَعْدَاءِ – يَعْنِى [٧] إِذَا جَمَعْتَ الأَمْوَالَ أَضْعَفْتَ الرِّجَالَ – فَيَطْمَعُ فِيكَ الصَّدِيقُ ، وَيَثِبُ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمَلِكِ فى مَمْلَكَتِهِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ بُسْتَانٌ فِيهَا عَيْنٌ مَعِينَةٌ [٨] ، فَإِنْ هُوَ قَامَ عَلَى الْبُسْتَانِ فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهَا [فَهَنْدَسَ

---

(١) فى « ط » : « تكن » .

(٢) مابين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(٣) فى « م » : « الروم » تحريف .

(٤) فى « م » : « الحيلة » تحريف .

(٥) فى « م » : « فى الأموال » والأول أوجه .

(٦) فى « م » : « لاتجمع المال لتقوى به » .

(٧) فى « م » : « يعنى أنك » .

(٨) عين مَعِينَة : أى جارية ، والبستان هنا مؤنث على معنى الحديقة .

أَرْضَهَا] (١) ، وغَرَسَ أَشْجَارَهَا [وَحَظَرَ عَلَى جَوَانِبِهَا (٢) ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، اخْضَرَّ عُودُهَا ، فَقَوِيَتْ أَشْجَارُهَا ، وَأَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا] وَزَكَتْ بَرَكَاتُهَا (٣) ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِى أَمَانٍ مِنَ الضَّيْعَةِ ، لَا يَخَافُونَ (٤) فَقْرًا وَلَا شَتَاتًا . وَإِنْ هُوَ رَغِبَ فِى غَلَّتِهَا وَجَنَاهَا وَلَمْ يُنْفِقْ فِيهَا مَا يَكْفِيهَا ، وَلَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَرْوِيهَا رَغْبَةً فِى الْغَلَّةِ ، وَضَنَّةً (٥) بِالْمَالِ ، ضَعُفَتْ عِمَارَتُهَا ، وَدَقَّتْ أَشْجَارُهَا (٦) وَقَلَّتْ ثِمَارُهَا ، وَذَهَبَتْ غَلَّتُهَا ، وَمَحَقَ (٧) الدَّهْرُ مَا جَنَى مِنْ غَلَّتِهَا ، فَافْتَقَرَ الْقَوْمُ وَهَلَكُوا وَتَشَتَّتُوا . وَمِثَالُ الْمَلِكِ فِى جَمْعِ الْمَالِ لِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ مَثَلُ طَائِرٍ يَنْتِفُ رِيشَهُ ، وَيَمُصُّ أُصُولَهَا ، وَيَأْكُلُ مَا نَعِمَ (٨) مِنْهَا ، فَلَذَّ لَهُ طَيِّبُهَا ، وَأَعْجَبَهُ خِصْبُ جِسْمِهِ عَلَى ذَلِكَ وَقُوَّتُهُ (٩) عَلَى عَدُوِّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَفَّ رِيشُهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ ، فَأَكَلَتْهُ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ .

وَرَأَيْتُ فِى أَخْبَارِ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّ وَزِيرَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِجَمْعِ الأَمْوَالِ وَاقْتِنَاءِ الْكُنُوزِ ، وَقَالَ : إِنَّ الرِّجَالَ ، وَإِنْ تَفَرَّقُوا عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَمَتَى احْتَجْتَهُمْ (١٠) عَرَضْتَ عَلَيْهِمُ الأَمْوَالَ فَتَهَافَتُوا عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : هَلْ لِهَذَا مِنْ شَاهِدٍ (١١) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَلْ بِحَضْرَتِنَا السَّاعَةَ ذُبَابٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأْمُرْ بِإِحْضَارِ جَفْنَةٍ فِيهَا عَسَلٌ ، فَحَضَرَتْ ، فَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا الذُّبَابُ لِوَقْتِهَا ، فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِى ذَلِكَ (١٢) ، فَنَهَاهُ عَنْ

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » فى كل مايأتى .
(٢) أى : حَوَّطَ عليها ، من الحَظْر ، وهو كل شىء حجز بين شيئين ، كالحائط .
(٣) فى « م » : « فزكَتْ ثمارها » أى : نَمَتْ وزادتْ .
(٤) فى « ط » : « ولا يخافون » .
(٥) فى « م » : « ظننَّة » تحريف .
(٦) دقَّت أشجارها : صارت رفيعة ضعيفة ، عكس غلُظَت .. وفى « م » : « رقَّت » وهى بمعناها .
(٧) مَحَقَ : أبادَ وأهلك .
(٨) نَعِمَ : طَابَ وَرَقَّ .. ولَذَّ : صار شهيًّا .
(٩) فى « م » : « وأعجبه خصب جسمه وقُوَّته » .
(١٠) فى « م » : « احتجناهم » .
(١١) فى « م » : « فقال الملك : هل لذلك من دليل » . وفيها : « يحْضُرنا » مكان « بحضرتنا » .
(١٢) « فى ذلك » عن « ط » .

ذَلِكَ وَقَالَ : لا تُغَيِّرْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، فَلَيْسَ فى كُلِّ وَقْتٍ أَرَدْتَهُمْ حَضَرُوا . فَسَأَلَ [١] : هَلْ لِذَلِكَ مِنْ دَلِيلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا أَمْسَيْنَا سَأُخْبِرُكَ . فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ قَالَ لِلْمَلِكِ : هَاتِ الْجَفْنَةَ ، فَحُضِرَتْ ، وَلَمْ تَحْضُرْ ذُبَابَةٌ وَاحِدَةٌ .

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سِيرَةِ بَعْضِ السَّلَاطِينِ فى أَرْضِ مِصْرَ – وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا ، وَكَانَ اسْمُهُ يَلْدَقُورَ – أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الأَمْوَالَ وَلَا يَحفِلُ بِالرِّجَالِ [٢] ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْجُيُوشِ بِالشَّامِ ، وَهُوَ يَتَوَاعَدُكَ وَكَأَنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْكَ [٣] ، فَاسْتَعْدِ الرِّجَالَ [٤] ، وَأَنْفِقْ فِيهِمُ الأَمْوَالَ . فَأَوْمَأَ إِلَى صَنَادِيقَ مَوْضُوعَةٍ عِنْدَهُ وَقَالَ : الرِّجَالُ فى الصَّنَادِيقِ [٥] . فَغَزَا أَمِيرُ الْجُيُوشِ ذَلِكَ الْمَلِكَ فى مِصْرَ وَقَتَلَهُ ، وَتَسَلَّمَ الصَّنَادِيقَ وَالْمُلْكَ ، فَكَانَ رَأْيُهُ رَأْيًا فَاسِدًا ، لأَنَّ رِجَالًا يُقِيمُهُمْ لِوَقْتِهِ وَيَصْطَنِعُهُمْ لِحَاجَةٍ [٦] ، إِنَّمَا يَكُونُونَ أَخْيَافًا مُجَمَّعِينَ [٧] ، وَشِرْذِمَةً مُلَفَّقِينَ ، لَيْسَ فِيهِمْ غِنًى [٨] ، وَلَا عِنْدَهُمْ دِفَاعٌ وَلَا مُمَارَسَةٌ لِلْحُرُوبِ .

وَمِنَ السِّيَرِ الْمَرْوِيَّةِ فى هَذَا الْبَابِ ، أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَتِ الْعِرَاقُ ، جِيءَ بِالْمَالِ إِلَى عُمَرَ [٩] ، فَقَالَ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ : أُدْخِلُهُ بَيْتَ الْمَالِ ؟ فَقَالَ : لا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، لا يُؤْوَى تَحْتَ سَقْفِ بَيْتٍ حَتَّى نُقَسِّمَهُ ، فَغُطِّيَ فى الْمَسْجِدِ بِالأَنْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ

---

(١) فى « م » : « قال » .
(٢) لا يحفل بالرجال : لا يبالى أو لا يعنى بهم .
(٣) أى : وكأنه عاهد على أن يوافيك فى وقت أو موضع معين .
(٤) فاستعد الرجَّال ، أى : استَعِنْ واستَنْصِرْ بهم .
(٥) فى « م » : « وقال : لِلرِّجال » . ومن هنا إلى قوله : « وتسلم الصناديق » عن « ط » وساقط من « م » .
(٦) فى « ط » : « لحاجته » .
(٧) أخيافاً ، أى : رجالاً مختلفي الأخلاق والأشكال .. وفى « ط » : « أجنادًا مجتمعين » .
(٨) فى « ط » : « عناء » بالعين المهملة ، وربما يريد بها عدم القُدرة على تحمل المشقة .
(٩) فى « م » : « عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه » .

وَالدُّرَّ يَتَلأْلأُ ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ [١] أَوْ عَبْدُ الرَّحْمـٰنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللهِ مَا هَذَا [٢] بِيَوْمِ بُكَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ يَوْمُ شُكْرٍ وَسُرُورٍ . فَقَالَ : إِنِّى وَاللهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتَ ، وَلَكِنَّهُ وَاللهِ مَا كَثُرَ هَذَا فِى قَوْمٍ إِلَّا وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقِبْلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرَجًا ، فَإِنِّى أَسْمَعُكَ [٣] تَقُولُ : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤] . ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ [٥] ، فَأُتِىَ بِهِ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ دَقِيقَهُمَا ، فَأَعْطَاهُ سِوَارَىْ كِسْرَى وَقَالَ : الْبَسْهُمَا . فَفَعَلَ . فَقَالَ : قُلِ : اللهُ أَكْبَرُ . قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ . قَالَ : قُلِ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ ، ثُمَّ قَبَّلَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ الَّذِى أَدَّى هَذَا لَأَمِينٌ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنَا أُخْبِرُكَ ، أَنْتَ أَمِينُ اللهِ تَعَالَى [وَهُمْ يُؤَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَدَّيْتَ للهِ تَعَالَى] [٦] ، فَإِذَا رَتَعْتَ رَتَعُوا . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَإِنَّمَا أَلْبَسْتُهُمَا سُرَاقَةَ لأَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسُرَاقَةَ [٧] وَنَظَرَ إِلَى ذِرَاعَيْهِ : كَأَنِّى بِكَ قَدْ [٨] لَبِسْتَ سِوَارَىْ كِسْرَى . وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ إِلَّا السِّوَارَيْنِ .

---

(١) فى « م » : « فقال له عبد الرحمـٰن بن عوف » ولم يرد فيها اسم العباس .

(٢) فى « م » : « ماهو » .

(٣) فى « م » : « سمعتك » أى : فى القرآن الكريم .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية ١٨٢ .. وسورة القلم ، من الآية ٤٤ .

(٥) هو : سراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجىّ الكنانىُّ ، أبو سفيان ، صحابى ، وشاعر ، كان ينزل « قديداً » – موضع بقرب مكة – وكان فى الجاهلية قائفًا يقتص الأثر ، وهو الذى أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج مع أبى بكر مهاجرًا من مكة إلى المدينة ، فغاصت أقدام فرسه فى الرمال ، وسقط عنه ثلاث مرات ، فتشاءم من متابعتهما وقال لهما : « والله لا أريكما ولا يأتيكما منى شئ تكرهونه ، ثم رجع ولم يذكر شيئًا مما كان .. وفى حديث الحسن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له : « كيف بك إذْ لبستَ سِوارَىْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه » . فلما أتى عمر بسوارَىْ كِسْرَى ومنطقته وتاجه دعا سراقة وألبسه إياها . وتوفى سراقة سنة ٢٤ هـ فى أول خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٠ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ – ٣٣٣ ، وثمار القلوب ص ١٢٠] .

(٦) ما بين المعقوفتين عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٧) قوله : « قال لسراقة » سقط من « ط » .

(٨) فى « م » : « وقد » .

وَلَمَّا وَلِىَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، فَصُبَّ فِى الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى [١] : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَيْنٌ أَوْعِدَةٌ [٢] فَلْيَحْضُرْ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِىُّ [٣] : فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ، إِنَّ النَّبِىَّ ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ جَاءَنِى [٤] مالٌ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، وَأَشَارَ بِكَفَّيْهِ ، فَسَكتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَانْصَرَفْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّى ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، وَعَاوَدْتُهُ فَقُلْتُ : إِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِى ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّى [٥] . فَقَالَ : مَا أَبْخَلُ عَنْكَ ، اذْهَبْ فَخُذْ . فَحَفَنْتُ حَفْنَةً [٦] قَالَ : عُدَّها ، فَعَدَدْتُها ، فَوَجَدْتُ فِيهَا خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : عُدَّ مِثْلَيْهَا ، فَعَدَدْتُ مِثْلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمائَةِ دينارٍ [٧] . وَأَبُو أَيُّوبَ مِنْ أَغْنِيَاءِ الأَنْصَارِ [٨] ، وَهُوَ نَزِيلُ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ لِلْغَنِىِّ وَالْفَقِيرِ ، وَدَلَّ أَيْضًا أَنَّهُ لا يَجِبُ أَنْ يُسَاوَى فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ ذَلِكَ ، مَوْكُولٌ إِلَى اجْتِهَادِ الإِمَامِ .

---

(١) فى « ط » : « وأمر فنادى » .

(٢) عِدَةٌ : وَعْدٌ مَنَّاهُ به .

(٣) هذا الحديث ورد فى البخارى ، والقائل هو « جابر بن عبد الله » وليس أبا أيوب الأنصارى .. « انظر فتح البارى ج ٦ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٤) فى « ط » : « قال لى : لو قد جاءنى » .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « عَلَىَّ » . والأول أَوْجَه ، وهو موافق لما ورد بالبخارى .. وقال تعالى فى سورة محمد ، الآية ٣٨ : « ومَنْ يبخل فإنما يبخل عن نفسه » .

(٦) هكذا فى « ط » .. أى : أَخَذْتُ مِلْءِ كَفَّىَّ .. وفى « م » : « اذهب فَخُذْ جفنة » وما ورد فى « ط » موافق لما ورد فى الحديث الأسبق .

(٧) من قوله : « قال : عُدَّ مِثْلَيْهَا ... » إلى هنا عن « م » ولم يرد فى « ط » .. وقد ورد فى الحديث .

(٨) تقدم فى الهامش رقم (٣) أنَّ هذه الواقعة حدثت لجابر بن عبد الله وليس لأبى أيوب الأنصارى .. وأبو أيوب هذا من كبار الصحابة ، واسمه خالد بن زيد بن كليب الخزرجىّ الأنصارى ، وهو الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا قدم المدينة مهاجراً إلى أن بنى مسجده ومساكنه .. وقد شهد أبو أيوب العقبة ، وبدراً ، واحداً ، والخندق ، وسائر المشاهد مع رسول الله ، وكان مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومن خاصَّته ، وكان على مقدمته يوم النهروان .. ثم غزا – أيام معاوية – أرض الروم مع يزيد بن معاوية سنة ٥١ هـ ، وتوفى عند مدينة القسطنطينية ودُفن هناك .

« انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٥ ، ٢٦] .

فصــل

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الأَسَدِيُّ : أَخبَرَنِى أَبِى ، قَالَ : وَجَدْتُ فى كِتَابٍ قِبْطِيٍّ بِاللُّغَةِ الصَّعِيدِيَّةِ ، مِمَّا نُقِلَ [١] بِالْعَرَبِيَّةِ مَبْلَغَ مَا كَانَ يُسْتَخْرَجُ لِفِرْعَوْنَ يُوسُفَ مِنْ أَمْوَالِ مِصْرَ بِحَقِّ الْخَرَاجِ ، مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ وُجُوهِ الْجِبَايَاتِ لِفِرْعَوْنَ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ ، وَالرُّسُومِ الْجَارِيَةِ مِنْ غَيْرِ اضْطِهَادٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ ، وَبَعْدِ وَضْعِ مَا يَجِبُ وَضْعُهُ لِحَوَادِثِ الزَّمَانِ ، نَظَرًا لِلْعَامِلِينَ ، وَتَقْوِيَةً لِحَالِهِمْ [٢] ، مِنَ الْعَيْنِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَأَرْبَعُمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَمِنْ [٣] ذَلِكَ مَا يَنْصَرِفُ فى عِمَارَةِ الْبِلَادِ لِحَفْرِ الْخُلُجِ [٤] وَالأَنْفَاقِ عَلَى الْجُسُورِ ، وَسَدِّ التُّرَعِ ، وَإِصْلَاحِ الْمُنْشَآتِ ، ثُمَّ فى تَقْوِيَةِ [٥] مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوِيَتِهِ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ عَلَيْهِ بِهَا لِإِقَامَةِ الْعَوَامِلِ ، وَالتَّوْسِعَةِ فى الْبِذَارِ [٦] ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآلَاتِ ، وَأُجْرَةُ مَنْ يُسْتَعَانُ [٧] بِهِ لِحَمْلِ الْبِذَارِ ، وَسَائِرِ نَفَقَاتِ تَطْبِيقِ الأَرَضِينَ ثَمَانِمائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَلِمَا يَنْصَرِفُ فى أَرْزَاقِ الأَوْلِيَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالسِّلَاحِ ، وَمَنْ فى جُمْلَتِهِمْ مِنَ الشَّادِيَةِ [٨] وَالْغِلْمَانِ وَأَشْيَاعِهِمْ ، وَعِدَّةُ جَمِيعِهِمْ – مَعَ أَلْفِ كَاتِبٍ مَوْسُومِينَ بِالدَّوَاوِينِ ، سِوَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْخُزَّانِ وَمَنْ يَجْرِى مَجْرَاهُم – مِائَةُ أَلْفٍ وَأَحَدَ [٩] عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ [١٠] ، وَلِمَا يَنْصَرِفُ

---

(١) فى « م » : « بما نُقل » .. ويريد بقوله « باللغة الصعيدية » أنّه كُتب بلهجة قبطية صعيدية .. واللغة القبطية تطور فى اللغة المصرية القديمة ، وكانت اللغة المستعملة فى عهود المسيحية الأولى .

(٢) فى « م » : « بحالهم » .

(٣) فى « ط » : « مِن » بدون الواو .

(٤) الخُلُج : جمع خليج ، وهو النُّهَيْر يقتطع من النهر الكبير إلى جهة يُنتفَع به .. وفى « ط » : « لحفر الخليج » بالإفراد .

(٥) فى « ط » : « ثم تقوية » .

(٦) البِذَار : بكسر الباء ، جمع بَذْرٍ وهو كل حَبٍّ يُزرع فى الأرض .

(٧) فى « م » : « ما يُستعان به » .

(٨) من الشادية : المغنين أو الحُدَاة .. وفى « م » : « من الشاكرية » ويريد بهم : الغلمان أو الرعاة الصغار .

(٩) فى « م » و « ط » : « إحدى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(١٠) فى « م » : « ثمانية ألف دينار » .

لِلْأَرَامِلِ (١) وَالأَيْتَامِ يُرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُحْتَاجِينَ ، حَتَّى لا يَخْلُو أَمْثَالُهُمْ مِنْ بِرِّ فِرْعَوْنَ ، أَرْبَعْمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَلِمَا يَنْصَرِفُ فِى كَهَنَةِ بَرَابِيهِمْ (٢) وَسَائِرِ بُيُوتِ صَلَوَاتِهِمْ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ (٣) وَلِمَا يَنْصَرِفُ فِى الصَّدَقَاتِ مِمَّا يُصَبُّ صَبًّا ، وَيُنَادَى : بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِنْ رَجُلٍ كَشَفَ وَجْهَهُ لِفَاقَةٍ وَلَمْ يَحْضُرْ (٤) ، فَيَحْضُرُ لِذَلِكَ مَنْ يَحْضُرُ ، وَلَا يُرَدُّ أَحَدٌ (٥) ، وَالأُمَنَاءُ جُلُوسٌ ، فَإِذَا رَأَوْا إِنْسَاناً لَمْ يُجْرِ رَسْمُهُ بِأَنْ يَأْخُذَ ، أَفْرَدُوهُ (٦) بَعْدَ قَبْضِهِ مَا قَبَضَهُ ، حَتَّى إِذَا فُرِّقَ الْمَالُ ، وَاجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَدَدٌ ، دَخَلَ أُمَنَاءُ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِ وَهَنَّئُوهُ بِتَفْرِقَةِ الْمَالِ ، وَدَعَوْا (٧) لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامِ الْعِزِّ (٨) وَالسَّلَامَةِ ، وَأَنْهَى إِلَيْهِ حَالُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، فَيَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ شَعَثِهَا (٩) بِالْحَمَّامِ وَاللِّبَاسِ ، ثُمَّ يُمَدُّ السِّمَاطُ فَيَأْكُلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْتَعْلِمُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ سَبَبَ فَاقَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ آفَةِ الزَّمَانِ رَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا كَانَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ رَأْيٍ (١٠) وَتَدْبِيرٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ ، ضَمَّهُ إِلَى مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُهُ بِالأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِى لا يَصْلُحُ إِلَّا بِهَا (١١) ، مِائَتَا أَلْفِ [دِينَارٍ] (١٢) . وَلِمَا يَنْصَرِفُ مِنْ نَفَقَاتِ فِرْعَوْنَ الرَّاتِبَةِ لِسَنَتِهِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، تَكُونُ النَّفَقَاتُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهَا تِسْعَةَ آلافِ أَلْفِ

---

(١) فى « م » : « فى الأرامل » .

(٢) أى : هياكلهم ومعابدهم .. وفى « م » : « فى ترابيهم » تحريف .

(٣) فى « م » : « مائة ألف دينار » .

(٤) فى « م » : « إلا حَضَرَ » . والفاقة : الفقر والحاجة .

(٥) فى « م » : « أحداً » أى : ولا يُرد الأمينُ أحدًا . بالبناء للمعلوم .

(٦) أى : عزلوه بمفرده .. وفى « م » : « فَرَدُّ » أى أعيد .

(٧) فى « م » : « ودعا » بالإفراد ، والسياق يتطلب الجمع .

(٨) فى « م » : « ودوام النعماء » .. وفى المستطرف : « ودوام العز والنعماء والسلامة » . [انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٣] .

(٩) أى : بتغيير هيئتهم ومظهرهم غير اللائق .

(١٠) فى « ط » : « وإن كان سوءَ رأيٍ » .

(١١) فى « م » : « إلى أن يَصْلُح » .

(١٢) هكذا فى « م » : و « ط » وما بين المعقوفتين عن « ط » .

وَثَمَانِمائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَيَحْصُلُ [١] بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَتَسَلَّمُهُ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُحَصِّلُهُ لِفِرْعَوْنَ فِى بَيْتِ الْمَالِ لِنَوَائِبِ الزَّمَانِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ وَسِتُّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَقَالَ أَبُو رُهْمٍ : كَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ ، أَرْضًا مُدْبَرَةً [٢] حَتَّى إِنَّ الْمَاءَ لَيَجْرِى تَحْتَ مَنَازِلِهَا وَأَفْنِيَتِهَا ، فَيَحْبِسُونَهُ كَيْفَ شَاءُوا ، وَيُرْسِلُونَهُ [٣] كَيْفَ شَاءُوا ، وَذَلِكَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ : ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [٤] . وَكَانَ مُلْكُ مِصْرَ عَظِيمًا [٥] ، لَمْ يَكُنْ فِى الأَرْضِ أَعْظَمُ [٦] مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وَكَانَتِ الْجَنَّاتُ بِحَافَتَيِ النِّيلِ مُتَّصِلَةً ، لا يَنْقَطِعُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَالزَّرْعُ كَذَلِكَ مِنْ أُسْوَانَ إِلَى رَشِيدٍ ، وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ كُلُّهَا تُرْوَى مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا لِمَا دَبَّرُوا [٧] فِى جُسُورِهَا وَحَافَاتِهَا ، وَالزُّرُوعُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾ [٨] . وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ : الْمَنَابِرُ ، وَكَانَ بِهَا أَلْفُ مِنْبَرٍ [٩] .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو [١٠] : اسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجِ

---

(١) يحصُل : يبقى .
(٢) مُدْبَرَة : كثيرة المياة .
(٣) فى « ط » : « فيحبسوه .. ويرسلوه » ولا وجه لها ، فالفاء هنا ليست للسببيّة .
[وانظر المستطرف ج ١ ص ٢٤٣]
(٤) سورة الزخرف ، من الآية ٥١ .
(٥) فى « م » : « مُلكاً عظيماً » .
(٦) فى « م » : « ملكاً أعظمَ » بالنصب ، ولاتصح .. وفى المستطرف – الباب السابق : « ولم يكن فى الأرض أعظم منه ملكاً » .
(٧) دبّروا : نظّموا واعتنوا .
(٨) سورة الدخان ، الآيات من ٢٥ – ٢٧ .
(٩) المنبر : كل مُرْتَفِع يُرْتَقى . والمراد بالمنابر هنا : القصور العالية ، أو المنازل الحسنة .
(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » والمستطرف ج ١ ص ٢٤٤ : « عبد الله بن عمر » تحريف .. وفى معجم البلدان – مادة « سردوس » نقلاً عن ابن عبد الحكَم : أنه عمرو بن العاص . وهو الأرجح .. ولعل عبد الله بن عمرو رواه عن أبيه .
=

سَرْدُوس [١] ، فَأَخَذَ فى حَفْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، فَجَعَلَ أَهْلُ الْقُرَى يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجْرِىَ الْخَلِيجَ تَحْتَ قَرْيَتِهِمْ وَيُعْطُوهُ مَالًا ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إلى قَرْيَةٍ ، مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَمِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَسُوقُهُ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَيْسَ فى مِصْرَ خَلِيجٌ أَكْثَر عُطُوفًا [٢] مِنْهُ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ ، عَظِيمَةٌ ، فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنَّهُ يَنْبَغِى لِلسَّيِّدِ أَنْ يَعْطِفَ عَلَى عَبِيدِهِ ، وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ ، وَلَا يَرْغَبَ فِيمَا بِأَيْدِيهِمْ ، رُدَّ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى مَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ .

فَهَذِهِ سِيرَةُ مَنْ لا يَعْرِفُ اللهَ ، وَلَا يَرْجُو لِقَاءَهُ ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سِيرَةُ مَنْ يَقُولُ : لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَيُوقِنُ بِالْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ [٣] ؟ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا [٤] فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٥] ، قَالَ : هِىَ خَزَائِنُ مِصْرَ ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ فَرْسَخًا [٦] فى مِثْلِهَا . وَلَمْ يُطِعْ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ وَيَخْلُفْهُ وَيَنُبْ [٧] عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلَامِ [٨] فَأَسْلَمَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَ : ﴿ **اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ** ﴾ .

= [انظر ترجمة عبد الله بن عمرو فى الأعلام ج ٤ ص ١١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٩٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٧٣ ، وغيرها من الصفحات ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥١] .

(١) كانت خلجان مصر سبعة ، على جوانبها الجنات ، ومنها خليج سَرْدوس هذا .
[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٠] .

(٢) العُطُوف : الميل والانحناء .

(٣) فى « م » : « سيرة من يؤمن بالحساب ويقول : «لا إله إلّا الله » .

(٤) فى « م » : « عنه » .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٥٥ .

(٦) أى : وكانت مصر أربعين فرسخاً فى مثلها .. كذا وردت فى المستطرف - ج ١ ص ٢٤٤ - والفرسخ : مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال .

(٧) فى « م » و « ط » : « ينوب » لاتصح ، معطوفة على مجزوم .

(٨) هكذا فى « ط » : والمستطرف .. وفى « م » : « السلام » تحريف .

وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ أَمْرُ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] (١) وَكَمَلَ ، وَصَارَتِ الأَشْيَاءُ إِلَيْهِ ، وَأَرَادَ رَبُّكَ (٢) أَنْ يُعَوِّضَهُ عَلَى صَبْرِهِ لَمَّا لَمْ يَرْتَكِبْ (٣) مَحَارِمَهُ ، وَحَلَّتْ سِنُو الْغَلَاءِ (٤) وَالْجُوعِ – مَاتَ الْعَزِيزُ ، وَذَهَبَتِ الذَّخَائِرُ ، وَافْتَقَرَتْ « زُلَيْخَا » وَعَمِيَ بَصَرُهَا ، وَجَعَلَتْ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ (٥) ، فَقِيلَ لَهَا : لَوْ تَعَرَّضْتِ لِلْمَلِكِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكِ وَيُغْنِيكِ ، فَطَالَمَا حَفِظْتِيهِ وَأَكْرَمْتِيهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا : لا تَفْعَلِي ، لأَنَّهُ رُبَّمَا يَتَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْكِ إِلَيْهِ مِنَ الْمُرَاوَدَةِ وَالْحَبْسِ فَيُسِيءَ إِلَيْكِ وَيُكَافِئَكِ فِيمَا سَبَقَ مِنْكِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَنَا أَعْلَمُ بِحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ .

وَجَلَسَتْ لَهُ عَلَى رَابِيَةٍ فِى طَرِيقِهِ يَوْمَ خُرُوجِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ فِى زُهَاءِ مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ عُظَمَاءِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ قَامَتْ وَقَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمُلُوكَ عَبِيدًا بِمَعْصِيَتِهِمْ ، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ مُلُوكًا بِطَاعَتِهِمْ (٦) . فَقَالَ يُوسُفُ : مَنْ (٧) أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا الَّتِى كُنْتُ أَخْدِمُكَ عَلَى صُدُورِ قَدَمَىَّ (٨) ، وَأُرَجِّلُ جُمَّتَكَ (٩) بِيَدَىَّ ، وَأُكْرِمُ مَثْوَاكَ (١٠) بِجَهْدِى ، وَكَانَ مِنِّى مَا كَانَ ، وَقَدْ ذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِى (١١) ، وَذَهَبَتْ قُوَّتِى ، وَتَلِفَ مَالِى ، وَعَمِيَ بَصَرِى ، وَصِرْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَمُنِي وَمِنْهُمْ

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٢) « ربُّك » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٣) فى « ط » : « يركب » لعله خطأ مطبعى .

(٤) فى « م » : « وجاءت » مكان « وحلت » وسنو الغلاء : السنون التى حصل فيها الغلاء .

(٥) تكفُّف الناس : تطلب عطاياهم .

(٦) فى « م » : « سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعتهم ، وجعل الملوك عبيداً بمعصيتهم » بتقديم الجملة الثانية على الأولى .

(٧) فى « ط » : « ومَنْ » .

(٨) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى المستطرف : « أخدمك بنفسى » .

(٩) أُرَجِّل جمتك : أُسَرِّح وأُزَين شعر رأسك .

(١٠) فى « ط » : « بمسواك » خطأ .. وأكرم مثواك : أجعل مقامك عندنا كريماً .

(١١) فى « ط » : « وَذُقْتُ وبال أمرى » أى : سوء عاقِبَتِى .

مَنْ لا يَرْحَمُنِي ، وَبَعْدَمَا (١) كُنْتُ مَغْبُوطَةَ أَهْلِ مِصْرَ كُلِّهَا صِرْتُ (٢) مَرْحُومَتَهُمْ ، بَلْ مَحْرُومَتَهُمْ .. هَذَا جَزاءُ الْمُفْسِدِينَ .

فَبَكَى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا : هَلْ بَقِيَ فِي قَلْبِكِ مِنْ حُبِّكِ إِيَّايَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ : وَالَّذِي اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، لَنَظْرَةٌ إِلَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَمَضَى يُوسُفُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٣) وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنْ كُنْتِ أَيِّمًا (٤) تَزَوَّجْنَاكِ ، وَإِنْ كُنْتِ ذَاتَ بَعْلٍ أَغْنَيْنَاكِ . فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : الْمَلِكُ (٥) أَعْرَفُ بِاللهِ مِنْ أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِي ، هُوَ لَمْ يُرِدْنِي (٦) فِي أَيَّامِ شَبَابِي وَجَمَالِي ، فَكَيْفَ يَقْبَلُنِي وَأَنَا عَجُوزٌ عَمْيَاءُ فَقِيرَةٌ ؟ فَأَمَرَ (٧) بِهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجُهِّزَتْ ، فَتَزَوَّجَهَا ، وَأُدْخِلَتْ (٨) عَلَيْهِ فَصَفَّ قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يُصَلِّي ، وَدَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، فَرَدَّ اللهُ [تَعَالَى] (٩) عَلَيْهَا شَبَابَهَا وَجَمَالَهَا وَبَصَرَهَا ، كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ رَاوَدَتْهُ ، فَوَاقَعَهَا فَإِذَا هِيَ بِكْرٌ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَفْرَائِيمَ بْنَ يُوسُفَ ، وَمَيْشَا بْنَ يُوسُفَ (١٠) ، وَطَابَ فِي الْإِسْلَامِ عَيْشُهُمَا حَتَّى فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُمَا .

فَيَجِبُ لِلْقَوِيِّ أَنْ لا يَنْسَى الضَّعِيفَ ، وَلِلْغَنِيِّ أَنْ لا يَنْسَى الْفَقِيرَ ، فَرُبَّ مَطْلُوبٍ يَصِيرُ طَالِبًا ، وَمَرْغُوبٍ إِلَيْهِ يَصِيرُ رَاغِبًا ، وَمَسْئُولٍ يَصِيرُ سَائِلًا ، وَرَاحِمٍ يَصِيرُ مَرْحُومًا ، فَهَذَا يُوسُفُ الصِّدِّيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اُنْظُرْ إِلَى ضَعْفِهِ فِي يَدِ إِخْوَتِهِ يَوْمَ الْجُبِّ ،

---

(١) في « م » و « ط » : « عندما » بدون الواو ، وهي هنا عن المستطرف .

(٢) في « م » : « فَصِرْتُ » ومغبوطة يتمنى الناس ما أنا فيه من نعمةٍ .

(٣) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٤) أَيِّما : بلا زوج .

(٥) في « م » : « فقالت لرسول الملك » .

(٦) يُرِدْنِي : يطلبني من رَادَ الشيء ، إذا طَلَبَهُ .

(٧) في « م » : « وأَمَرَ » .

(٨) في « م » : « ودخلَتْ » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(١٠) هكذا في « م » و « ط » والمستطرف .. وفي قصص الأنبياء لابن كثير : « أفرايم » أو « أفرايثم » والأخيرة بالثاء ، و « منسا » بالسين المهملة .

وجاء فيها سبب بكارتها، بأن زوجها – قبل يوسف – كان لايأتي النساء .

[انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٥]

ثُمَّ ضَعْفِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الصَّاعِ ، وَهَذِهِ زُلَيْخَا مَلِكَةُ مِصْرَ وَسَيِّدَةُ أَهْلِهَا عَادَتْ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ فِى الطُّرُقَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [1] . فَكَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذَا يَجُوعُ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَلَا يَشْبَعُ . فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الأَرْضِ ؟ فَقَالَ [2] : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ .

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُلْحِقَهُ بِمَنْقَبَةٍ [3] فِى مِثْلِهَا يَتَنَافَسُ الْعُقَلَاءُ ، وَيَرْغَبُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ ، وَذَلِكَ أَنِّى لَمَّا كُنْتُ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ [4] ، وَالْغَالِبُ عَلَى أَلْقَابِهِ « خَوَاجَا بُزُرْك » [5] رَحِمَهُ اللهُ [تَعَالَى] قَدْ وَزَرَ [6] لِأَبِى الْفَتْحِ مَلِكِ التُّرْكِ

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

(٢) فى « ط » : « قال » .

(٣) المَنْقَبة : المفخَرة والفعل الكريم .

(٤) هو : الحسن بن على بن إسحاق الطوسى ، أبو على ، الملقب بقوام الدين نظام المُلك .. وزير حازم ، متديِّن ، عالى الهِمَّة ، أصله من نواحى طوس ، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بالأعمال السلطانية ، فاتصل بالسلطان ألْب أرسلان ، فاستوزره ، فأحسن التدبير ، وبقى فى خدمته عشر سنين ، وبعد أن مات ألْب أرسلان خلفه ولده مُلك شاه ، وفى عهده صار الأمر كله لنظام المُلك ، وليس للسلطان إلّا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، فبهر العقول بسيرته ، وكان جوداً كريماً ، ويبالغ فى الخضوع للصالحين ، وكان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وازدهرت فى أيامه دولة العلم .. وقُتِل – رحمه الله – فى رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، قتله ديلمى غيلة . وكان مولده سنة ٤٠٨ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤ – ٩٦ ، و وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨ – ١٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، والكامل لابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٤٨٥ وصفحات أخرى متفرقة ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣ – ٣٧٥ ، ودول الإسلام للذهبى ج ٢ ص ١٣ ، وإيران والعراق فى العصر السلجوقى ص ٨١ ومابعدها] .

(٥) فى « م » : « خواجا بررحك » تحريف .. وفى « ط » : « بررك » وأهملت جميع المصادر السابقة هذا اللقب وذكرت لقب « قوام الدين » . و « خواجه » كلمة فارسية تعنى : الأستاذ أو العالم أو الحاكم .. وكلمه « بزرك » التى أثبتناها هنا بالإعجام معناها : العظيم أو الجليل أو الرئيس .

[انظر قاموس الفارسية د . عبد النعيم حسنين ص ١٠٣ وص ٢٢٢]

(٦) مابين المعقوفتين عن « ط » .. ووَزَرَ : صار وزيراً .

ابْنِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ [١] ، وَكَانَ قَدْ وَزَرَ لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَقَامَ بِدَوْلَتِهِمَا أَحْسَنَ قِيَامٍ ، فَشَدَّ أَرْكَانَهَا ، وَشَيَّدَ بُنْيَانَهَا ، وَاسْتَمَالَ الْأَعْدَاءَ ، وَوَالَى الْأَوْلِيَاءَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْكُفَاةَ ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْعَدُوَّ وَالصَّدِيقَ ، وَالْبَغِيضَ [٢] وَالْحَبِيبَ ، وَالْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، حَتَّى أَلْقَى الْمُلْكُ بِجِرَانِهِ [٣] ، وَذَلَّ الْخَلْقُ لِسُلْطَانِهِ ، وَكَانَ الَّذِى مَهَّدَ لَهُ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ ، أَنَّهُ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى مُرَاعَاةِ حَمَلَةِ الدِّينِ [٤] فَبَنَى دُورَ الْعِلْمِ لِلْفُقَهَاءِ ، وَأَنْشَأَ الْمَدَارِسَ لِلْعُلَمَاءِ ، وَأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ [٥] لِلْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفُقَرَاءِ ، ثُمَّ أَجْرَى لَهُمُ الْجِرَايَاتِ وَالْكُسَا [٦] وَالنَّفَقَاتِ ، وَأَجْرَى الْخَيْرَ وَالرِّزْقَ [٧] لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّلَبِ لِلْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى أَرْزَاقِهِمْ ، وَعَمَّ بِذَلِكَ سَائِرَ أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوَائِلِ الشَّامِ — وَهِىَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِلَى سَائِرِ الشَّامِ الْأَعْلَى ، وَدِيَارِ بَكْرٍ ، وَالْعِرَاقَيْنِ ، وَخُرَاسَانَ بِأَقْطَارِهَا ، إِلَى سَمَرْقَنْدَ مِنْ وَرَاءِ نَهْرِ جَيْحُونَ ، مَسِيرَةِ زُهَاءِ مِائَةِ يَوْمٍ — حَامِلُ عِلْمٍ ، أَوْ طَالِبُهُ ، أَوْ مُتَعَبِّدٌ ، أَوْ زَاهِدٌ [٨] فِى زَاوِيَتِهِ إِلَّا وَكَرَامَتُهُ شَامِلَةٌ لَهُ ، وَسَابِغَةٌ عَلَيْهِ . وَكَانَ الَّذِى يَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِ أَمْوَالِهِ فِى هَذِهِ الْأَبْوَابِ سِتَّمِائَةِ [٩] أَلْفِ دِينَارٍ فِى كُلِّ سَنَةٍ ، فَوَشَى بِهِ الْوُشَاةُ إِلَى أَبِى الْفَتْحِ [الْمَلِكِ] [١٠] ، وَأَوْغَرُوا صَدْرَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الْمَالَ الْمُخْرَجَ مِنْ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ يُقِيمُ بِهِ جَيْشًا يَرْكُزُ رَايَتَهُ فِى سُورِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَخَامَرَ ذَلِكَ قَلْبَ أَبِى الْفَتْحِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ [١١] يَا أَبَتِ ، بَلَغَنِى أَنَّكَ تُخْرِجُ مِنَ

---

(١) فى « م » : « البارسلان » .. وفى الأعلام ضبط الزركلى « أرسلان » بسكون الراء والسين ، وهو خطأ ، والصواب بكسر السين . وهى لفظة تركية ومعناها : الأسد الشجاع .
[انظر : إعجام الأعلام ص ٦٦] .
(٢) فى « م » : « والمُبغض » .
(٣) ألقى المُلْكُ بِجِرَانِه ، أى : ثبت واستقر .
(٤) فى « ط » : « جمال الدين » .
(٥) الرِّباطات : ملاجىء الفقراء من الصوفية ، جمع رِباط .
(٦) الكُسَا : جمع كسوة .. وفى « ط » : « والكساوى » .
(٧) فى « م » : « والورق » وهى الفضة ، ولعلها تصحيف ، والأول أوجه .
(٨) فى « م » : « وزاهدٌ » .
(٩) فى « م » : « سته مائة » خطأ .
(١٠) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(١١) فى « م » : « قال له » .

بُيُوتِ الأَمْوَالِ كُلَّ سَنَةٍ (١) سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ إِلَى مَنْ لا يَنْفَعُنَا وَلَا يُغْنِى (٢) عَنَّا . فَبَكَى نِظَامُ الْمُلْكِ وَقَالَ : يَا بُنَىَّ ، أَنَا شَيْخٌ أَعْجَمِىٌّ لَوْ نُودِىَ عَلَىَّ فِيمَنْ يَزِيدُ (٣) لَمْ أُحْفَظْ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَأَنْتَ غُلَامٌ تُرْكِىٌّ لَوْ نُودِىَ عَلَيْكَ عَسَاكَ تَحْفَظُ (٤) ثَلَاثِينَ دِينَارًا ، وَأَنْتَ مُشْتَغِلٌ بِلَذَّاتِكَ ، مُنْهَمِكٌ (٥) فى شَهَوَاتِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَعَاصِيكَ دُونَ طَاعَاتِكَ ، وَجُيُوشُكَ الَّذِينَ تَعُدُّهُمْ لِلنَّوائِبِ إِذَا احْتَشَدُوا كَافَحُوا عَنْكَ بِسَيْفٍ طُولُهُ ذِرَاعَانِ (٦) ، وَقَوْسٍ لا يَنْتَهِى مَدَى مَرْمَاهُ (٧) ثَلَاثَمِائَةِ ذِرَاعٍ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَغْرِقُونَ فى الْمَعَاصِى وَالْخُمُورِ وَالْمَلَاهِى وَالْمِزْمَارِ وَالطُّنْبُورِ (٨) ، وَأَنَا أَقَمْتُ لَكَ جَيْشًا يُسَمَّى جَيْشَ اللَّيْلِ ، إِذَا نَامَتْ جُيُوشُكَ لَيْلًا قَامَتْ جُيُوشُ اللَّيْلِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَىْ رَبِّهِمْ ، فَأَرْسَلُوا دُمُوعَهُمْ ، وَأَطْلَقُوا بِالدُّعَاءِ أَلْسِنَتَهُمْ (٩) ، وَمَدُّوا إِلَى اللهِ أَكُفَّهُمْ بِالدُّعَاءِ لَكَ وَلِجُيُوشِكَ ، فَأَنْتَ وَجُيُوشُكَ فى خِفَارَتِهِمْ (١٠) تَعِيشُونَ ، وَبِدُعَائِهِمْ تَبِيتُونَ (١١) وَبِبَرَكَاتِهِمْ تُمْطَرُونَ وَتُرْزَقُونَ ، تَخْرُقُ سِهَامُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ . فَبَكَى أَبُو الْفَتْحِ الْمَلِكُ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ (١٢) : شَابَاشِ يَاأَبَتِ شَابَاش (١٣) ، أَكْثِرْ لِى مِنْ هَذَا الْجَيْشِ .

---

(١) فى « م » : « فى كل سنة » .
(٢) فى « م » : « يغنم » خطأ من الناسخ .
(٣) قوله : « فيمن يزيد » عن « ط » .
(٤) فى « م » : « لم تحفظ » .
(٥) فى « م » : « ومنهمك » أى : منغمس .
(٦) فى « م » : « طولها ذراعين » لاتصح .
(٧) القوس : آلة على هيئة هلال تُرمى بها السِّهام ، تُذَكَّر وتؤنث .
(٨) الطُّنبور : آلة من آلات اللهو والطرب .
(٩) فى « م » : « وأطلقوا ألسنتهم » .
(١٠) خِفَارتهم : حراستهم وحمايتهم .
(١١) فى « م » : « تثبتون » أى : فى الحرب .
(١٢) فى « م » : « وقال » .
(١٣) شاباش : كلمة فارسية ، وهى كلمة استحسان وتهنئة ، وهى مخففة من « شاد باش » أى : كُن مسروراً .
[انظر قاموس الفارسية ص ٤٠٣ ط دار الكتاب المصرى] .

وَمِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الرَّجُلِ وَفَضَائِلِهِ أَنَّ رَجُلًا قَصَدَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يا خَواجَا ، أَنَا أَبْنِي لَكَ مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، لا يَكُونُ فى مَعْمُورِ الأَرْضِ مِثْلُهَا ، يَخْلُدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . قَالَ : افْعَلْ . وَكَتَبَ إِلَى وُكَلَائِهِ بِبَغْدَادَ [١] أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ الأَمْوَالِ ، فَابْتَاعَ بُقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ ، وَخَطَّ الْمَدْرَسَةَ النِّظَامِيَّةَ ، وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بُنْيَانٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تَكُونُ مُحْبَسَةً [٢] عَلَيْهَا ، وَابْتَاعَ ضِيَاعًا [٣] وَخَانَاتٍ وَحَمَّامَاتٍ وَأُوقِفَتْ عَلَيْهَا ، فَكَمَلَتْ [٤] لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِذَلِكَ رِيَاسَةٌ وَسُؤْدُدٌ [٥] ، وَذِكْرٌ جَمِيلٌ طَبَّقَ الأَرْضَ خَبَرُهُ [٦] ، وَعَمَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَثَرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فى سِنِى عَشْرِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ [٧] ، ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ النَّفَقَاتِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ نَمَى الْخَبَرُ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مِنَ الْكُتَّابِ وَأَهْلِ الْحِسَابِ [٨] أَنَّ جَمِيعَ مَا أُنْفِقَ فِيهَا نَحْوٌ مِنْ [٩] تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّ سَائِرَ الأَمْوَالِ احْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَانَكَ فِيهَا . فَدَعَاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ [١٠] لِلْحِسَابِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ

---

(١) قوله : « ببغداد » عن « ط » .

(٢) مُحْبَسَة : موقوفة .

(٣) فى « م » : « ضياع » بالرفع ، لاتصح . والضِّياع : العقارات ، وتطلق أيضاً على الأرض المُغِلَّة . مفردها : ضيعة .. والخانات : جمع خان ، وهى ماينزل بها المسافرون .

(٤) فى « م » : « وكملت » .

(٥) السُّؤْدُدُ : بهمز وبغير همز : السيادة والمجد والشرف .

(٦) طبَّق الأرضَ خبرُهُ : عمَّها وانتشر فى أنحائها .

(٧) فى « م » و « ط » : « لا فى سنى عشر الخمسين » .. والمعروف أن المدرسة النظامية ببغداد شرع فى عمارتها سنة ٤٥٧ هـ وافتُتِحت للتدريس سنة ٤٥٩ هـ ، وجدير بالذكر أن نظام المُلك قد أنشأ عدة مدارس أخرى على شاكلتها ، منها المدرسة النظامية بِنَيسابُور ، وأخرى بطوس ، وقد قام بالتدريس فيها حجة الإسلام أبو حامد الغزالى وغيره من أعلام الإسلام .

(٨) فى « م » : « مِنَ الكُتَّاب والحُسَّاب » . ونمَى الخبر : شاع وانتقل .

(٩) فى « م » : « نحواً من » بالنصب ، لاتصح .

(١٠) فى « م » : « أصفهان » بالفاء ، وكلاهما صواب .

إِلَى الْخَلِيفَةِ أَبِى الْعَبَّاسِ (١) يَقُولُ (٢) : هَلْ لَكَ فِى أَنْ أُطَبِّقَ الأَرْضَ بِذِكْرِكَ ، وَأَنْشُرَ لَكَ فَخْرًا لا تَمْحُوهُ الأَيَّامُ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ نَمْحُو اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ عَنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَنَكْتُبُ عَلَيْهَا اسْمَكَ (٣) وَتَزِنُ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ لَهُ : أَرْسِلْ (٤) مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ (٥) ، فَقَالَ لَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ : إِنَّكَ قَدْ رَفَعْتَ (٦) إِلَيْنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَفَقَةً ، وَأُحِبُّ إِخْرَاجَ الْحِسَابِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لا تُطِلِ الْخِطَابَ ، إِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا اسْمَ غَيْرِكَ ، وَأَرْسِلْ مَعِى مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ نِظَامُ الْمُلْكِ بِذَلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا (٧) لَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَمْحُ اسْمَنَا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ الأَمْوَالِ الرِّبَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ ، وَاشْتَرَى الضِّيَاعَ وَالْخَانَاتِ وَالْبَسَاتِينَ وَالدُّورَ ، وَأَوْقَفَ (٨) جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، فَالصُّوفِيَّةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِى رِبَاطِ أَبِى سَعِيدٍ الصُّوفِيِّ وَأَوْقَافِهِ يَتَقَلَّبُونَ بِبَغْدَادَ ، فَفِى مِثْلِ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ (٩) فَلْيَتَنَافَسِ

---

(١) هكذا فى « ط » . وفى « م » : « أبا العباس » بالنصب ، خطأ من الناسخ .. وقد وَهِمَ المؤلف – رحمه الله – حينما ذكر الخليفة أبا العباس ، والصواب أنه الخليفة القائم بأمر الله أبو جعفر ، عبد الله بن القادر ، وقد ولى الخلافة سنة ٤٢٢ هـ وتوفى سنة ٤٦٧ هـ . وكان – رحمه الله – وَرِعاً ، دَيِّناً ، زاهداً ، قوىَّ اليقين بالله تعالى .
أمّا أبو العبّاس فهو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن محمد المقتدى بالله ، وقد ولد سنة ٤٧٠ هـ ، وبويع له عند موت أبيه وله ستّ عشرة سنة ، وتوفى سنة ٥١٢ هـ . وقد سبق أن المدرسة النظامية ببغداد فُرِغ من إنشائها وافتُتِحت سنة ٤٥٩ هـ ، أى : قبل أن يولد الخليفة المذكور بإحدى عشرة سنة .
[انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٨٠ – ٤٨٤ ، وص ٤٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤] .

(٢) فى « م » : « ويقول » .

(٣) فى « م » : « تمحو .. وتكتب اسمك عليها » .

(٤) فى « ط » : « أنفذ » وكلاهما بمعنى واحد .

(٥) فى « م » : « أصفهان » .

(٦) فى « م » : « إنك رفعت » .

(٧) سوغنا : أبَحْنا وأجزْنا .

(٨) فى « ط » : « وَوَقَف » .

(٩) فى « ط » : « ففى هذه المناقب » .

الْمُتَنَافِسُونَ ، وَلِمِثْلِ هَذَا [١] فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، فَإِنَّ فِيهَا عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الآخِرَةِ ، وَحُسْنَ الصِّيتِ ، وَخُلُودَ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، فَإِنَّا [٢] لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ [٣] إِلَّا الذِّكْرَ - حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا شَيْءَ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثًا ... جَمِيلَ الذِّكْرِ فَالدُّنْيَا حَدِيثُ

فَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الْعُمْرِ وَمُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا وَنُفُوذَ الأَمْرِ ، وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ كَمَا قَدَّمُوا ، تُذْكَرُ بِالصَّالِحَاتِ كَمَا ذُكِرُوا ، وَادَّخِرْ لِنَفْسِكَ فِى الآخِرَةِ كَمَا ادَّخَرُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَأْكُولَ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبَ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَتْرُوكَ لِلْعَدُوِّ ، فَاخْتَرْ أَىَّ الثَّلَاثِ شِئْتَ ، وَالسَّلَام .

وَكَانَ ابْنُ أَبِى دُوَادٍ [٤] الْوَزِيرُ وَاسِعَ النَّفْسِ ، مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ ، يُعْطِى الْجَزِيلَ ، وَيَسْتَقِلُّ الْكَثِيرَ ، وَلَا يَرُدُّ سُؤَالًا [٥] ، وَيَبْتَدِئُ بِالنَّوَالِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [٦] يَوْمًا : بَلَغَنِى [٧] بَسْطُ يَدِكَ بِالإِعْطَاءِ ، وَهَذَا يُتْلِفُ بُيُوتَ الأَمْوَالِ .. فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذَخَائِرُ أَجْرِهَا وَاصِلٌ إِلَيْكَ ، وَمَفَاتِيحُ شُكْرِهَا

---

(١) فى « م » : « ولِمِثْلِها » .

(٢) فى « ط » : « فإنَّما » .

(٣) فى « م » : « فى الدهر » .

(٤) فى « م » : « ابن داود » تحريف .. وهو : أحمد بن أبى دُوَاد بن جرير بن مالك الإيادى ، أبو عبد الله المعتزلى ، قاضى قُضاة المعتصم والواثق ، وهو رأس فتنة القول بخلق القرآن ، وكان من الشرف والكرم بالمنزلة العالية .. قال عنه الذهبى: حَمَل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت عليه الألسنة .. توفى مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٢٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤١ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ - ٩١ ، وطبقات المعتزلة ص ٦٢ وصفحات أخرى متفرقة ، وثمار القلوب ص ٢٠٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٣٩ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٩] .

(٥) السُّؤَال : طلب الصدقة .

(٦) هو : الواثق بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد .. من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ، ولد ببغداد سنة ١٩٠ هـ - وقيل سنة ١٩٦ هـ - وولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧ هـ ، وامتحن الناس بخلق القرآن ، وقتل أحمد بن نصر الخزاعى لكونه أغلظ له ، وكان إماماً قَوَّالًا للحق ، أمَّارًا بالمعروف ، وتوفى الواثق سنة ٢٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، ٦٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥ - ٢١ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٨ - ١٤١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٠٠ - ٤٠٦] .

(٧) فى « ط » : « قد بلغنى » .

مَوْصُولٌ [١] بِكَ ، وَإِنَّمَا لِى [٢] مِنْ ذَلِكَ تَعَشُّقِى فى إِيصَالِ الثَّنَاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْوَاثِقُ : لله أَنْتَ ، جُدْ بِالْعَطَاءِ ، وَأَكْثِرْ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ !

* * *

(١) فى « ط » : « موصلة » .
(٢) فى « م » : « لك » .

البَابُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ

فى سِيرَةِ السُّلْطَانِ فى الإنفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَسِيرَةِ الْعُمَّال

اعْلَمْ أَنَّ يُوسُفَ الصِّدِّيقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١] لَمَّا مَلَكَ خَزَائِنَ الأَرْضِ كَانَ يَجُوعُ وَيَأْكُل خُبْزَ الشَّعِيرِ [٢] ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، غَدَا إِلَى السُّوقِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : السُّوقَ . قَالَ : قَدْ جَاءَكَ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ السُّوقِ . قَالَ : سُبْحَانَ [٣] اللهِ ! يَشْغَلُنِى عَنْ عِيَالِى ؟ قَالَ : نَفْرِضُ لَكَ بِالْمَعْرُوفِ . قَالَ : فَأَنْفَقَ فى سَنَتَيْنِ وَبَعْضِ أُخْرَى [٤] ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ مِنْ مَالِهِ فى بَيْتِ الْمَالِ [٥] .

---

(١) فى « م » : صلى الله عليه وسلم » .

(٢) فى « ط » : « ويأكل الشعير » .

(٣) فى « م » : « ياسبحان الله » .

(٤) وبعض أُخرَى : أى وبعض شهور من السنة الثالثة .

(٥) فى « م » : « ووصَّى أن تُرَدَّ فى بيت المال من ماله » .

[والحديث رواه البيهقى فى السنن الكبرى ، باب مايكون للوالى الأعظم ووالى الإقليم من مال الله ج ٦ ص ٣٥٣ ، وفى باب مايُكْرَهُ للقاضى من الشراء والبيع والنظر فى النفقة على أهله ج ١٠ ص ١٠٧] .

وَرَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةُ ، قَالَ : انْظُرُوا كَمْ أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِ اللهِ ، فَوَجَدُوا قَدْ أَنْفَقَ فى سَنَتَيْنِ ، وَنِصْفٍ [(١)] ثَمَانِيَةَ آلافِ دِرْهَمٍ . قَالَ : اقْضُوهَا عَنِّى . فَقَضَوْهَا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ مَا تَرَوْنَ ، وَلَابُدَّ لَكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَلِى أَمْرَكُمْ ، وَيُصَلِّى بِكُم ، وَيُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمُ اجْتَمَعْتُمْ وَائْتَمَرْتُ [(٢)] لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُم اجْتَهَدْتُ لَكُمْ ، فَوَالَّذِى لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ما آلُوكُمْ وَنَفْسِى خَيْرًا [(٣)] . فَبَكَوْا وَقَالُوا : أَنْتَ خَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا فَاخْتَرْ لَنَا . فَقَالَ : قَدِ اخْتَرْتُ لَكُمْ عُمَرَ .

وَرَوَى مَالِكٌ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، قَالَ : بَلَغَنِى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَلِىَ لَمْ يُنْفِقْ مِنْ مَالِ اللهِ شَيْئًا ، وَغَدَا يَوْمًا مِنْ بَنِى عَمْرِو بْن عَوْفٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فى جِمَالٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا [(٤)] ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ هَذَا يَشْغَلُكَ عَنِ النَّاسِ وَعَنِ النَّظَرِ فى أُمُورِهِمْ [(٥)] . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالُوا : تَتَفَرَّغُ لِلنَّظَرِ فى أُمُورِهِمْ وَتَسْتَنْفِقُ مِنْ هَذَا الْمَالِ . فَبَاعَ تِلْكَ الإِبِلَ وَغَيْرَهَا مِنْ مَالِهِ ، إِلَّا الأَرْضَ ، ثُمَّ طَرَحَهُ فى بَيْتِ الْمَالِ ، فَكَانَ يُنْفِقُ مِنَ الْمَالِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ . ثُمَّ كَانَ عُمَرُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَلِيَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمْ يُنْفِقْ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَا قَدْ عَلِمْتَ . قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنِّى أَخَذْتُ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، فَإِنْ يَكُنْ لِى فِيهِ حَقٌّ فَقَدِ اسْتَوْفَيْتُ وَزِدْتُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ . قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ [(٦)] : قُلْتُ

---

(١) هذا على التقريب ، فقد كانت مُدة خلافته – رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ .. وقيل : سنتين وأربعة أشهر إلّا أربع ليالٍ . [انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٤] .

(٢) ائتمرتُ : استمعْتُ وأطعْتُ .

(٣) أى : لا أجتهد لكم إلّا خيراً .

(٤) فى « م » : « فى جِمَالٍ لها تريد بيعها » .

(٥) فى « ط » : « أمرِهِم » .

(٦) فى « م » : « ابن غانم » تحريف .. وابن القاسم هو : عبد الرحمٰن بن القاسم بن خالد بن جُنادة العُتَقى المصرى ، أبو عبد الله ، ويُعرف بابن القاسم ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك ونظرائه ولد بمصر سنة ١٣٢ هـ وتوفى بها سنة ١٩١ هـ .

« انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٢٩] .

لِمَالِكٍ : فَأَيْنَ قَوْلُهُمْ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رَدَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟ قَالَ : كَذَبُوا ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا أَعْدَاءُ اللهِ ، هُوَ لَمْ يُجِزْ لِوَلَدِهِ سَلَفَ أَبِى مُوسَى إِيَّاهُ حِينَ (١) أَخَذَ مِنْهُ نِصْفَهُ ، فَكَيْفَ يَأْخُذُ مِنْ مَالِ اللهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟

فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ اسْتَرْجَعَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَجَاءَ مُسْرِعًا بَاكِيًا ، وَقَالَ : رَحِمَكَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ كُنْتَ (٢) وَاللهِ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَكْمَلَهُمْ إِيمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وأَخْوَفَهُمْ للهِ (٣) تَعالَى ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْبَهَهُمْ بِهِ هَدْيًا وَخُلُقًا ، وَسَمْتًا وَفَضْلًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلَامِ خَيْرًا ، صَدَّقْتَ رَسُولَ اللهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، فَسَمَّاكَ اللهُ فِى كِتَابِهِ صِدِّيقًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (٤) . وَآنَسْتَهُ حِينَ تَخَلَّفُوا (٥) ، وَقُمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَصَحِبْتَهُ فِى الشِّدَّةِ حِينَ تَفَرَّقُوا ، أَكْرَمَ الصُّحْبَةِ ، ثَانِىَ اثْنَيْنِ ، وَصَاحِبَهُ فِى الْغَارِ ، وَرَفِيقَهُ فِى الْهِجْرَةِ ، وَالْمُنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَخَلَّفْتَهُ فِى أُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ ، فَقَوِيتَ حِينَ ضَعُفَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتَ حِينَ اسْتَكَانُوا ، وَقُمْتَ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا (٦) ، وَمَضَيْتَ بِقُوَّةٍ إِذْ وَقَفُوا (٧) ، كُنْتَ أَطْوَلَهُمْ صَمْتًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ، وَأَشْجَعَهُمْ قَلْبًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَحْسَنَهُمْ عَمَلًا ، كُنْتَ (٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَعِيفًا فِى بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِى أَمْرِ دِينِكَ ،

---

(١) فى « م » : « حتى » تحريف .
(٢) فى « م » : « يا أبا بكر ، كُنْتَ أول القوم إسلاماً » .
(٣) فى « م » : « الله » تصحيف من الناسخ .
(٤) صورة الزُّمَر ، الآية ٣٣ .. والذى جاء بالصِّدْق هو سيدنا محمد ﷺ ، والذى صدَّق به : أبو بكر ، رضى الله عنه .
(٥) وفى رواية : « وواسيته حين بخلوا » .
(٦) فَشِلوا : تراخَوْا .
(٧) فى « م » : « حين وقفوا » .
(٨) فى « م » : « أنت » .

مُتَوَاضِعًا فى نَفْسِكَ ، عَظِيمًا مَحْبُوبًا إِلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (١) ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا وَعَنِ الإِسْلَامِ خَيْرًا .

وَقَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا (٢) . وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ عَنْ عُمَرَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنِّى أَنْزَلْتُ نَفْسِى مِنْ مَالِ اللهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ (٣) وَلِىِّ الْيَتِيمِ ، إِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ ، وَإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .. وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى : إِنِ احْتَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ ، فَإِذَا (٤) أَيْسَرْتُ رَدَدْتُهُ . وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى : أُخْبِرُكُمْ بِمَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ اللهِ تَعَالَى – وَمَا قَالَ : يَحِلُّ لِى – أَسْتَحِلُّ مِنْهُ حُلَّتَيْنِ : حُلَّةً لِلشِّتَاءِ ، وَحُلَّةً لِلْقَيْظِ (٥) وَمَا أَحُجُّ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ ، وَقُوتِى وَقُوتَ عِيَالِى كَقُوتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لا مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَلَا مِنْ فُقَرَائِهِمْ (٦) ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُصِيبُنِى مَا أَصَابَهُمْ (٧) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : غَلَا الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٨) ، فَأَكَلَ خُبْزَ الشَّعِيرِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لا يَأْكُلُهُ ، فَاسْتَنْكَرَهُ بَطْنُهُ فَصَوَّتَ ، فَضَرَبَهُ (٩) بِيَدِهِ وَقَالَ : هُوَ وَاللهِ مَا تَرَى حَتَّى يُوَسِّعَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِىُّ (١٠) : رَأَيْتُ

(١) فى « م » : « وأهل الأرض » .
(٢) فى « م » : « تعباً عظيماً » والأول هو الأشهر والوارد فى السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ .
(٣) هكذا فى « ط » وفى نص الحديث فى المرجع السابق .. وفى « م » : « مَنْزِلة » .
(٤) فى « م » : « وإذا » .
(٥) فى « م » : « للقيض » بالضاد على الإبدال .
(٦) فى « م » : « ولا فقرائهم » .
(٧) انظر هذه الروايات فى السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ باب مايكون للوالى .
(٨) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٩) فى « م » : « فضرب » .
(١٠) هو : عبد الرحمٰن بن مَلّ – اللام مُشَدَّدة والميم مثلثة – من قُضاعة ، أدرك النبى ، ﷺ ، ولم يره ، وشهد فتح القادسية وجَلُولاء ، وتُستَر ، ونهاوند ، واليرموك ، وأذربيجان ، وكان من ساكنى الكوفة ، فلما قُتل الحسين ، رضى الله عنه ، تحول إلى البصرة فنزلها وقال : لا أسكُن بلداً قُتل فيه ابن بنت رسول الله ، ﷺ ، وتوفى فى أول ولاية الحجاج بالبصرة .
[انظر المعارف ص ٤٢٦] .

عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ (١) فِيهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ (٢) رُقْعَةً ، إِحْدَاهَا بِأَدَمٍ (٣) أَحْمَرَ .

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ (٤) : اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّائِبَ بْنَ الأَقْرَعِ (٥) عَلَى الْمَدَائِنِ ، فدخل إِيوَانًا مِنْ إِيوَانِ (٦) كِسْرَى ، فَإِذَا صَنَمٌ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى الأَرْضِ قَدْ عَقَدَ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : وَاللهِ مَا يُشِيرُ هَذَا إِلَى الأَرْضِ إِلَّا وَثَمَّ شَيْءٌ . فَاحْتَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَفَطًا (٧) فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي دَخَلْتُ إِيوَانًا مِنْ إِيوَانِ كِسْرَى فَرَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَاحْتَفَرْتُ فَأَخْرَجْتُ سَفَطًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّمَا أَصَبْنَا شَيْئًا تَحْتَ الأَرْضِ . فَلَمَّا قَدِمَ السَّفَطُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ خَاتَمُ السَّائِبِ ، فَرَأَى عُمَرُ [فى مَنَامِهِ] (٨) فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ نَارًا أُجِّجَتْ وَهُوَ يُرَادُ أَنْ يُلْقَى (٩) فِيهَا . فَكَتَبَ إِلَى السَّائِبِ أَنِ اقْدَمْ عَلَيَّ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَطُوفُ فى إِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَطُفْتُ مَعَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا لِي بِمَاءٍ فَاغْتَسَلْتُ ، ثُمَّ ذَهَبَ

---

(١) فى « ط » : « جُبَّة صُوف » .

(٢) فى « م » : « اثنا عشر » لا تصح .

(٣) الأَدَم ، بفتحتين ، وبضمَّتَين أيضاً ، جمع أديم ، وهو : الجلد المدبوغ .

(٤) هو : عطاء بن السائب بن زيد الثقفى ، ويُكْنَى أبا زيد الكوفى ، محدث ، وأحد علماء التابعين ، روَى عن عبد الله بن أبى أوفى ، وأنس ، ووالده ، وغيرهم . وخلط وساء حفظه فى آخر عمره ، وتوفى سنة ١٣٦ هـ .
[انظر المعارف ص ٤٧٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧٠ – ٧٣]

(٥) هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، من بنى مالك ، من ثقيف .. وأُمُّه مليكة .. دخل مع أمه على النبى ، ﷺ فمسح رأسه ودعا له .. شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مُقَرن ، ثم استعمله عمر على المدائن ، وولى أصبهان ، ومات بها .
[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٩١] .

(٦) فى « م » : « من أبواب » تحريف .. والإيوان : مجلس كبير على هيئة صُفَّة واسعة ، لها سقف محمول من الأمام على عَقْد ، يجلس فيها كبار القوم .

(٧) فى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٨ والفاروق عمر ص ٣٠ – ٣٢ أنهما سَفَطان .

(٨) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٩) فى « ط » : « وهو يُراد يُلْقَى » .

إِلَى مَنْزِلِهِ فَأُتِيَ بِلَحْمٍ غَلِيظٍ وَخُبْزٍ مُتَحَمِّشٍ [١] فَقَالَ : انْظُرْ مَنْ عَلَى البَابِ ، فَإِذَا سُودَانٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ [٢] فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ ، فَإِذَا لَحْمٌ غَلِيظٌ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسِيغَهُ ، وَقَدْ كُنْتُ تَعَوَّدْتُ دَرْمَكَ [٣] أَصْبَهَانَ ، إِذَا وَضَعْتُهُ فِى فَمِى دَخَلَ بَطْنِى . ثُمَّ دَعَا بِالسَّفَطِ وَقَالَ : أَتَعْرِفُ خَاتَمَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : كَتَبْتَ تَرَفُّقَ لِى [٤] تَزْعُمُ أَنِّى أَحَقُّ بِهِ ! مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَهُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . قَالَ : اذْهَبْ فَاجْعَلْهُ فِى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ الشَّامَ ، فَصُنِعَ لَهُ طَعَامٌ لَمْ يَرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : هَذَا لَنَا ؟ فَمَا لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ لا يَشْبَعُونَ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ؟ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : لَهُمُ الْجَنَّةُ . فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : لَئِنْ كَانَ حَظُّنَا فِى هَذَا الطَّعَامِ وَذَهَبُوا بِالْجَنَّةِ ، لَقَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا [٥] .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِىُّ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، حِينَ قَدِمَ الشَّامَ قَالَ لأَبِى عُبَيْدَةَ [٦] : اذْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ . قَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تُغَضَّ عَيْنَيْكَ عَلَىَّ [٧] : قَالَ : فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ مَتَاعُكَ ؟ لا أَرَى إِلَّا لِبْدًا وَشَنًّا وَصَحْفَةً [٨] وَأَنْتَ أَمِيرٌ ! أَعِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جُونَةٍ [٩] فَأَخْرَجَ مِنْهَا

---

(١) خبز متحمش : أسود جاف .

(٢) سودان من الصوفية : أشخاص ممن يلبسون الصوف تقشفاً .

(٣) الدَّرْمَكُ : الخبز الجيد المصنوع من الدقيق الأبيض .

(٤) قوله : « قلت : نعم » عن « ط » .. وفى « م » : « قال : كتبت ترفق لى .. » ورفَقَ به وله وعليه ، يرفُق : لاَنَ جانِبُهُ وحَسُنَ صَنِيعُهُ .

(٥) باينونا بوناً بعيداً : طاوَلونا وسبقونا فى الفضل والمروءة .

(٦) هو : أبو عبيدة بن الجرّاح ، عامر بن عبد الله بن الجرّاح ، صحابى جليل ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد بمكة سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وتوفى فى طاعون « عمواس » سنة ١٨ هـ . ودُفن فى غور بيسان .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤١٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٠] .

(٧) هكذا فى « م » .. وتُغضُّ عينيك ، أى : تخفضهما استحياء أو تؤلمهما .. وفى « ط » : « ماتريد إلى أن تقصر عينك علىّ » وتقصر : تؤلم .. وفى رواية « تعصر » بالعين المهملة .

(٨) فى « ط » : « أو شنّا » « أو » خطأ مطبعى . واللِّبْدُ : بساط من صوف أو شَعر .. والشَّنُّ : القِرْبَةُ الصغيرة .. والصَّحْفَةُ : إناء من آنية الطعام .

(٩) الجُونَة : السَّلَّة الصغيرة .

كِسْرَاتٍ [١] . فَبَكَى عُمَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّكَ تَغُضُّ [٢] عَيْنَيْكَ عَلَيَّ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَكْفِيكَ مِنَ الدُّنْيَا [٣] مَا بَلَّغَكَ الْمَقِيلَ [٤] . فَقَالَ عُمَرُ : غَرَّتْنَا الدُّنْيَا بَعْدَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ [٥] : بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُصَدِّقِينَ [٦] ، فَأَبْطَئُوا عَلَيْهِ ، وَبِالنَّاسِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا بِالصَّدَقَاتِ ، فَقَامَ فِيهَا مُتَّزِرًا بِعَبَاءَةٍ يَخْتَلِفُ فِى أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ، يَقُولُ : هَذِهِ لِآلِ فُلَانٍ ، وَهَذِهِ لِآلِ فُلَانٍ ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ وَجَاعَ ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ ، حَتَّى إِذَا أَمْكَنَ أَكْلُهُ [٧] أَكَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ [٨] أَبْعَدَهُ اللهُ . وَقَالَ طَاوُوسُ : أُجْدِبَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَمَا أَكَلَ سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ [٩] إِنَّ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَدِمَ الْكُوفَةَ وَهُوَ خَلِيفَةٌ وَعَلَيْهِ

---

(١) فى « م » : « كِسْرات يابسة » وهى القطع المكسورة من الخبز .. مفردها : كِسْرة .

(٢) فى « ط » : « تقصر » انظر الهامش رقم ٤٥ .

(٣) فى « م » : « من الزَّاد » .

(٤) المَقِيل : الموضع يُقْضَى فيه وقت القيلولة ، وهى الاستراحة نصف النهار ، والمراد هنا ألّا يمسك أو يخزن من المال أو الطعام إلّا قَدْرَ حاجته فى يومه .. وفى الحديث : « كان لايقبل مالاً ولا يُبيِّتُهُ » أى : كان لايمسك من المال ماجاءه صباحاً إلى وقت القائلة ، وماجاءه مساءً لايمسكه إلى الصباح .
[انظر لسان العرب ، مادة : قَيَل]

(٥) هو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى ، المعروف بالأشتر ، أمير من كبار الشجعان ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأول ماعُرِف عنه أنه حضر خطبة « عمر » فى الجابية .. وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك ، وذهبت عينه فيها .. وكان مِمَّنْ أَلَّبَ على عثمان وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل وأيام صفِّين مع علىٍّ ، وكان من أشدِّ أنصارِه ، وولَّاهُ علىٌّ « مصر » فقصدها ، لكنه مات فى الطريق سنة ٣٧ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٩ ، والمعارف ص ١٩٦ ، ٥٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ٧ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٤]

(٦) المُصَدِّقين : الذين يأخذون الحقوق من الإبل والغنم .

(٧) أى : جَاءَهُ أو تيسَّر له .

(٨) قوله : « النار » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٩) هو : سعيد بن جبير ، أبو عبد الله ، الأسدى بالولاء ، الكوفى .. تابعى ، من أصل حبشى ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان عالماً فذًا ، وَرِعاً ، تَقِياً ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر .. قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ ودُفن بها .. قال ميمون بن مهران : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . =

إِزَارَانِ قَطَرِيَّانِ ، قَدْ رَقَعَ إِزَارَهُ بِخِرْقَةٍ لَيْسَتْ بِقَطَرِيَّةٍ مِنْ وَرَائِهِ ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ الْخِرْقَةِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ ، وَالْبَسْ ، وَارْكَبْ ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ أَوْ مَقْتُولٌ . قَالَ : إِنَّ هَذَا (١) خَيْرٌ لِي فِي صَلَاتِي ، وَأَصْلَحُ لِقَلْبِي ، وَأَشْبَهُ بِسُنَّةِ (٢) الصَّالِحِينَ قَبْلِي ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِي (٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٤) بَيْنَمَا هُوَ يَعُسُّ (٥) فِي الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحْمِلُ قِرْبَةً ، فَسَأَلَهَا ، فَذَكَرَتْ أَنَّ لَهَا عِيَالًا ، وَأَنْ لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ فَتَسْقِيهِمُ الْمَاءَ ، وَتَكْرَهُ أَنْ تَخْرُجَ بِالنَّهَارِ ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَنْهَا الْقِرْبَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَهَا وَقَالَ : اغْدِي عَلَى عُمَرَ غُدْوَةً (٦) يُخَدِّمْكِ خَادِمًا (٧) . قَالَتْ : لَا أَصِلُ إِلَيْهِ . قَالَ : إِنَّكِ سَتَجِدِينَهُ (٨) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . فَغَدَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا هِيَ بِهِ ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي حَمَلَ قِرْبَتَهَا ، فَذَهَبَتْ تُوَلِّي ، فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهَا ، وَأَمَرَ لَهَا بِخَادِمٍ وَنَفَقَةٍ . وَلَمَّا حَجَّ عُمَرُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَمْ بَلَغَتْ نَفَقَتُنَا يَا يَرْفَأُ (٩) ؟ قَالَ : ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِينَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيْحَكَ ، أَجْحَفْنَا (١٠) بِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

= [انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٣ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٧٢ - ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٤ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٦٧ ، وطبقات الشيرازى ص ٨٢ ، ٨٣ ، وانظر كتاب « والموعد الله » لخالد محمد خالد ص ١١٦ - ١١٨] .

(١) إشارة إلى الإزار .

(٢) فى « ط » : « بشبه » .

(٣) فى « م » : « يقتدى به من أتى بعدى » .

(٤) مابين المعقوفتين عن « م » .

(٥) فى « ط » : « بينا » وهى بمعناها . ويَعُسُّ : يطوف بالليل ليحرس الناس ويكشف أهل الريبة .

(٦) فى « م » : « اغد » بدون ياء .. لاتصح .. والغُدْوَة : الغَدَاة .

(٧) أى : يأتيك بخادمٍ يخدمُكِ .

(٨) فى « ط » : « ستجديه » لاتصح .

(٩) يَرْفَأ : مولى عمر .. وقد مَرَّ .

(١٠) أَجْحَفَ : اشتدَّ فى الإضرار به .

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ [١] : لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ طَافَ بِكُوَرِهَا [٢] حَتَّى نَزَلَ حِمْصَ [٣] فَقَالَ : اكْتُبُوا إِلَيَّ فُقَرَاءَهُمْ . فَرَفَعُوا إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ ، وَإِذَا فِيهَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ [٤] ، فَقَالَ : مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالُوا : أَمِيرُنَا ! فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ أَمِيرُكُمْ فَقِيرًا ؟ فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُمْسِكُ شَيْئًا [٥] ، فَبَكَى عُمَرُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا فِى حَاجَتِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ [٦] ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَالَكَ [٧] ؟ أَصَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَىْءٍ ؟ قَالَ [٨] : أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ! أَتَتْنِى الدُّنْيَا ، دَخَلَتْ عَلَىَّ الدُّنْيَا ، وَإِنِّى سَمِعْتُ النَّبِىَّ [٩] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا [١٠] بِأَرْبَعِينَ عَامًا ، فَوَاللهِ مَا يَسُرُّنِى أَنِّى حُبِسْتُ عَنِ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ ، وَأَنَّ لِى بِهِ مَا طَلَعَتْ

---

(١) هو : شَهْرُ بن حَوْشَب الأشعرى ، فقيه قارئ ، من رجال الحديث ، شامىُّ الأصل ، ولد سنة ٢٠ هـ وسكن العراق ، وكان يتزيا بزىِّ الجُند ، وولى بيت المال مُدَّة .. وكان يسمع الغناء بالآلات ، وهو متروك الحديث .. توفى سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٧٨ ، والمعارف ص ٤٤٨ ، وثمار القلوب ص ١٦٩ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والضعفاء الكبير ج ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٣ – ٢٨٥] .

(٢) أى : بأصقاعها أو بمدنها وقُراها .

(٣) فى « م » : « حمصاً » بالتنوين ، لانصح .. وهى بلدة بين دمشق وحلب .. وقال سيبويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف .. وقال الجوهرى حِمْص : يُذَكَّر ويؤنث .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٢ مادة « حمص » ولسان العرب – المادة نفسها] .

(٤) هو : سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحِى القُرشى ، صحابىٌّ ، من الولاة .. أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد فتح خيبر ومابعدها من المشاهد .. ولَّاه عمر إمْرَة « حمص » بعد افتتاح الشام ، وكان – رحمه الله – مشهوراً بالزهد ، وله فيه أخبار .. توفى بالشام سنة ٢٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ونسب قريش ص ٣٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩] .

(٥) أى : لا يدَّخِرُ شيئاً .

(٦) فى « م » : « فجعَلَتْ » تحريف .. ويسترجع ، أى : يقول : إنَّا لله ، وإنَّا إليه راجعون .. والإنسان عادة يسترجع عندما تحل به مُصيبة ، والعياذ بالله .

(٧) قوله : « مالك ؟ » عن « ط » .

(٨) فى « م » : « فقال » .

(٩) فى « م » : « رسول الله » .

(١٠) فى « م » : « إن فقراء الجنة يدخلون قبل أغنيائها » .

عَلَيْهِ الشَّمْسُ ! قَالَتْ : فَاصْنَعْ فِيهِ مَا شِئْتَ . قَالَ : هَلْ عِنْدَكِ مَعُونَةٌ [١] ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَتَتْهُ بِخِمَارِهَا ، فَصَرَّ الدَّنَانِيرَ فِيهَا صُرَرًا ، ثُمَّ جَعَلَهَا فِي مِخْلَاةٍ ، وَبَاتَ يُصَلِّي وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ ، فَأَعْرَضَ جَيْشًا مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ [٢] فَأَمْضَاهَا كُلَّهَا ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ : رَحِمَكَ اللهُ ، لَوْ حَبَسْتَ مِنْهَا شَيْئًا نَسْتَعِينُ بِهِ ! فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ [٣] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوِ اطَّلَعَتِ [٤] امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ لَمَلأَتِ الأَرْضَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » وَإِنِّي - وَاللهِ - مَا أَخْتَارُكِ عَلَيْهِنَّ . فَسَكَتَتْ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] [٥] اسْتَعْمَلَ عَلَى حِمْصَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ [٦] فَلَمَّا مَضَتِ السَّنَةُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ عُمَرُ إِلَّا [٧] أَنْ قَدِمَ مَاشِيًا حَافِيًا ، مَعَه [٨] عُكَّازَتُهُ وَإِدَاوَتُهُ وَمِزْوَدَتُهُ وَقَصْعَتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ [٩] ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ : يَا عُمَيْرُ ، أَجُنِنْتَنَا أَمِ الْبِلَادُ بِلَادُ سَوْءٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَجْهَرَ بِالسُّوءِ وَعَنْ سُوءِ الظَّنِّ ؟ وَمَا تَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقَدْ جِئْتُكَ بِالدُّنْيَا أَجُرُّهَا بِقِرَابِهَا [١٠] ؟ فَقَالَ : وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : عُكَّازَةٌ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَدْفَعُ بِهَا عَدُوًّا

---

(١) أى : ماعون .

(٢) أمرَّهم عليه واحداً واحداً ليعطيهم الدنانير .

(٣) فى « م » : « رسول الله » .

(٤) فى « م » : « طلعت » وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ظهرتْ أو نظرتْ .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٦) هو : عمير بن سعد بن عبيد الأوسى الأنصارى ، من فضلاء الصحابة ، ومن الولاة الزُّهَّاد ، شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على « حمص » فأقام سنة ،ودعاه إلى المدينة ، فجاءها ، فأراد عمر إعادته ، فأبى .. وكان عمر يقول : وَدِدْتُ أَنَّ لى رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين .. توفى رحمه الله - فى أيام عمر .. وقيل : عاش إلى خلافة معاوية نحو ٤٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠]

(٧) سقطت « إلا » من « م » سهواً من الناسخ .

(٨) « معه » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٩) العُكَّازَة : عصاً يتوكأ عليها .. والإداوةُ : إناء صغير يُحمل فيه الماء .. والمُزْوَدة : وعاء الزاد . وستأتى .

(١٠) فى الحِلْيَة : « أجُرُّها بِقَرْنها » والقِراب : صِوانٌ من جلد يضع فيه المسافر أدواته وزاده .

إنْ لَقِيتُهُ ، وَمِزْوَدِى أَحْمِلُ فِيهِ طَعَامِى ، وَإِدَاوَتِى هَذِهِ أَحْمِلُ فِيهَا مَاءً لِشُرْبِى وَصَلَاتِى ، وَقَصْعَتِى هَذِهِ أَتَوَضَّأُ فِيهَا وَأَغْسِلُ فِيهَا رَأْسِى وَآكُلُ فِيهَا طَعَامِى ، فَوَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الدُّنْيَا بَعْدُ إِلَّا تَبَعٌ [١] لِمَا مَعِى . قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِى بَكْرٍ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ [٢] اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِى بِصَاحِبَىَّ غَيْرَ مُفْتَضَحٍ وَلَا مُبَدِّلٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا صَنَعْتَ فى عَمَلِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ الرِّقَّةَ مِنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ [٣] وَالإِبِلَ مِنْ أَهْلِ الإِبِلِ ، وَأَخَذْتُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَنْ يَدٍ [٤] وَهُمْ صَاغِرُونَ ، ثُمَّ قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، فَوَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ بَقِىَ مِنْهَا شَىْءٌ عِنْدِى أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : عُدْ إِلَى عَمَلِكَ . فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ لا تَرُدَّنِى [٥] إِلَى عَمَلِى ، فَإِنِّى لَمْ أَسْلَمْ مِنْهُ [٦] حَتَّى قُلْتُ لِذِمِّىٍّ : أَخْزَاكَ اللهُ ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَخْصِمَنِى لَهُ مُحَمَّدٌ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [٧] وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ [٨] يَقُولُ : « أَنَا حَجِيجُ الْمَظْلُومِ ، فَمَا حَاجَجْتُهُ حَجَجْتُهُ » [٩] ، وَلَكِنِ ائْذَنْ لِى آتِى أَهْلِى [١٠] . فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَى أَهْلَهُ ، فَبَعَثَ عُمَرُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ خُبَيْبٌ [١١] بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : ائْتِ عُمَيْرًا فَانْزِلْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا [١٢] فَإِنْ يَكُ خَائِنًا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فى عَيْشِهِ وَحَالِ

---

(١) فى « م » و « ط » : « ما الدنيا إلّا تبعاً » بالنصب ، ولاتصح .. وفى الحلية : « ماالدنيا إلّا تبع لمتاعى » .
(٢) فى « م » : « وقال » .
(٣) الرِّقّة : الأرض المستوية السهلة ، والمراد أنه جَبَا ماعليها من خراج .
(٤) قوله : « من أهل الذمة » عن « ط » وسقطت من « م » ، وعن يدٍ : عن انقيادٍ وطاعة .
(٥) فى « م » : « أن تردُّنى » وسقطت منها « لا » سهواً من الناسخ .. وفى الحلية : قال لعمر : « لاعملتُ لك ولا لأحد بعدك ، والله ماسلمتُ ، بل لم أسلم ، لقد قلت لنصرانى : أى أخزاك الله .. فهذا ماعرضتنى له ياعمر » .
[انظر الحلية ج ١ ص ٢٤٨]
(٦) فى « م » : « ولم أسلم منه » . وحتى قُلْت ، أى : حين قلت .
(٧) مابين المعقوفتين عن « ط » .. ويَخْصِمُنى : يغلبنى فى الخصام .
(٨) فى « م » : « فإنى سمعته » .
(٩) حاججتُه : جادلته .. وحججتُه : غلبتُه بالحجة .
(١٠) آتى أهلى : أعود إلى منزلى .. وفى « ط » : « إلى » مكان « آتى » وسقطت جملة : « فأذِنَ له » من « م » .
(١١) فى « م » : « حبيب » بالحاء المهملة فى المواضع كلها .. وفى الحلية : « الحارث » .
(١٢) أى : تكون فى ضيافته ثلاث ليالٍ .

أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُ [١] خَائِنًا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْمِائَةَ . فَأَتَاهُ خُبَيْبٌ فَنَزَلَ بِهِ [٢] ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَرَ لَهُ عَيْشاً إِلَّا الشَّعِيرَ وَالزَّيْتَ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثٌ [٣] قَالَ : يَاخُبَيْبُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى جِيرَانِنَا فَلَعَلَّ أَنْ يَكُونُوا أَوْسَعَ عَيْشًا مِنَّا ، أَمَّا نَحْنُ ، فَوَاللهِ [٤] لَوْ كَانَ عِنْدَنَا غَيْرُ هَذَا لآثَرْنَاكَ بِهِ . قَالَ : فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِائَةَ وَقَالَ : بَعَثَ [٥] بِهَا إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعَا بِفَرْوٍ خَلَقٍ [٦] لِامْرَأَتِهِ فَصَرَّهَا الْخَمْسَةَ ، وَالسِّتَّةَ ، وَالسَّبْعَةَ ، فَقَسَّمَهَا ، فَقَدِمَ خُبَيْبٌ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَزْهَدِ النَّاسِ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا لا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ [٧] عُمَرُ وَقَالَ : مَا صَنَعْتَ فِى الْمِائَةِ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : لا تَسْأَلْنِى عَنْهَا . قَالَ : لِتُخْبِرْنِى . قَالَ : قَسَمْتُهَا بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَانِى الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقَىْ طَعَامٍ [٨] وَثَوْبَيْنِ ، فَقَالَ [٩] : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا الثَّوْبَانِ فَأَقْبَلُ ، وَأَمَّا الْوَسْقَانِ فَلَا حَاجَةَ لى بِهِمَا ، عِنْدَ أَهْلِى صَاعٌ مِنْ بُرٍّ [١٠] هُوَ كَافِيهِمْ حَتَّى أَرْجِعَ [١١] إِلَيْهِمْ .

وَرُوِىَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، صَرَّ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِغُلَامِهِ [١٢] : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَكَّأْ سَاعَةً فِى الْبَيْتِ حَتَّى تَرَى

---

(١) فى « م » : « يكن » .
(٢) فى « م » : « فنزل عليه » .
(٣) فى « م » : « ثلاثاً » بالنصب خطأ ، والصواب بالرفع .
(٤) قوله : « فَوَاللهِ » عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٥) فى « م » : « قد بعث » .
(٦) خَلَقٍ : بالٍ .
(٧) فى « م » : « فبعث له » .
(٨) الوَسْقُ : ستون صاعاً ، والصاع : خمسة أرطال وثلث . والمراد هنا : حِمْلُ البعير أو نحوه .
(٩) فى « ط » : « قال » .
(١٠) البُرّ : القمح .
(١١) فى « م » : « أعود » .
(١٢) فى « ط » : « للغلام » .

مَا يَصْنَعُ . فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِى بَعْضِ حَاجَتِكَ . قَالَ : وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَىْ يَاجَارِيَةُ ، اذْهَبِى بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ ، حَتَّى أَنْفَدَهَا [1] ، وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، وَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ بِهَذِهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ [2] وَتَلَكَّأْ فِى الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فِيهَا ، فَذَهَبَ [3] . بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِى بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : رَحِمَهُ اللهُ وَوَصَلَهُ [4] ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَةُ ، اذْهَبِى إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، وَإِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ : وَنَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا [5] ، وَلَمْ يَبْقَ فِى الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ ، فَرَمَى بِهِمَا إِلَيْهَا [6] . فَرَجَعَ الْغُلَامُ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عُمَرَ [7] ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

* * *

---

(١) أنفدها : أفناها .. وفى « م » : « أنفذها » بالذال المعجمة : أمضاها .

(٢) فى « م » : « وقال : مُرّ بها إليه » .

(٣) فى « م » : « فَقَدِمَ » .

(٤) وصَلَهُ : أحسَن إليه .. وفى « ط » : « ووَاصَلَه » أى : أبلغه مايأمل .

(٥) فى « م » : « فأعطونا » بإثبات الياء .. لاتصح .

(٦) فى « م » : « فدحا » مكان « فرمى » وهى بمعنى : دَفَع .. و « إليهما » مكان « إليها » تحريف .

(٧) فى « م » : « فأخبره بذلك » .

البَابُ الْمُوفِى خَمْسِينَ

فى سِيرَةِ السُّلْطَانِ فى تَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ وَفَرْضِ الأَرْزَاقِ وَسِيرَةِ الْعُمَّالِ

اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى [1] – أَنَّ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الدَّوَاوِينَ وَفَرَضَ الأَرْزَاقَ [2] – عَلَى مَا رُوِىَ [3] – عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى أَجْرَى عَلَى العَامَّةِ شَيْئًا وَاحِدًا ، ثَلاثَمِائَةٍ وَأَرْبَعَمِائَةٍ ، وَفَرَضَ لِلْعِيَالِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فى كُلِّ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ [4] رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، يُسَاوِى بَيْنَ النَّاسِ فى الْعَطَاءِ ، وَلَا يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا عَمِلُوا لله ، فَأُجُورُهُمْ عَلَى اللهِ ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْخُذُهُ [5] الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَلَيْسَ ثَمَنًا لأَعْمَالِهِمْ .

---

(١) فى « م » : « اعلموا – رحمكم الله » .

(٢) فى « ط » : « وأجرى الأعْطِيَة » وهى بمعناها .

(٣) فى « م » : « ما رأى » .

(٤) فى « م » : « أبو بكر الصِّدِّيق » .

(٥) فى « ط » : « يأكله » .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ ، وَلَمْ يُقَدِّرْ عُمَرُ الأَرْزَاقَ إِلَّا فِى وِلَايَةِ عَمَّارٍ [١] ، فَأَجْرَى عَلَى عَمَّارٍ سِتَّمِائَةِ دِرْهَمٍ ، مَعَ عَطَائِهِ لِوُلَاتِهِ ، وَكُتَّابِهِ ، وَمُؤَذِّنِيهِ [٢] ، وَمَنْ كَانَ يَلِى مَعَهُ فِى كُلِّ شَهْرٍ لَمَّا بَعَثَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ [٣] إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ نِصْفَ شَاةٍ وَرَأْسَهَا وَجِلْدَهَا وَأَكَارِعَهَا [٤] ، وَنِصْفَ جَرِيبٍ كُلَّ يَوْمٍ [٥] ، وَأَجْرَى عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رُبْعَ شَاةٍ وَخَمْسَةَ دَرَاهِمَ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ عَطَائِهِ ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وَأَجْرَى عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِى كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُبْعَ شَاةٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَجْرَى عَلَى شُرَيْحٍ الْقَاضِى [٦] مِائَةَ دِرْهَمٍ فِى كُلِّ شَهْرٍ وَعَشَرَةَ أَجْرِبَةٍ ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ عَمَّارًا عَلَيْهِمْ لأَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّلَاةِ .

---

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى ، أبو اليقظان ، صحابى جليل ، وأحد السابقين إلى الإسلام .. شهد بدرًا ، وأُحُدًا والخندق ، وبيعة الرضوان ، وغيرها .. وكان من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، ولَّاه عمر الكوفة ، فأقام زمنًا وعزله عنها . وشهد الجمل وصفِّين مع علىٍّ ، رضى الله عنه ، وقتل فى صفين سنة ٣٧ هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٥ ، والمحبر ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٦٤ ، والمعارف ص ٢٥٦ - ٢٥٨] .

(٢) فى « م » : « ومؤذنه » تحريف .

(٣) ابن مسعود هو : الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل .. وقد مرَّ التعريف به .. أمَّا عثمان فهو : عثمان ابن حُنَيْف بن وهب الأنصارى ، الأوسى ، أبو عمرو ، صحابى ، من الولاة ، شهد أُحُدًا وما بعدها .. وولَّاه عمر على سواد العراق ، ثم ولَّاه علىٌّ البصرة . وسكن الكوفة ، وتوفى سنة ٤١ هـ فى خلافة معاوية .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٠٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٧٧ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٧ وما بعدها] .

(٤) الأكارع : جمع كُراع ، وهو من البقر والغنم ما دون الركبة إلى الكعب ..

(٥) فى « م » : « فى كل يوم » . والجريب : مكيال قدره أربعة أَقْفِزَة ، والقفيز : مكيال يختلف مقداره فى البلاد ، ويعادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا .

(٦) هو : شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، أبو أمية ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام .. وأصله من اليمن ، وولى قضاء الكوفة فى زمن عمر ، وعثمان ، وعلىٍّ ، ومعاوية .. وكان ثقة فى الحديث ، مأموناً فى القضاء ، وله باع فى الأدب والشعر ، وعُمِّر طويلاً ، ومات بالكوفة عن ١٢٠ سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٦١ ، والمعارف ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ١٣٢ - ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٣١ - ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٠ ، ٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٩] .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ لا يَفْرِضُ لِصَغِيرٍ رَضِيعٍ ، فَإِذَا فُطِمَ فَرَضَ لَهُ ، فَمَرَّ مِنَ اللَّيْلِ وَصَبِيٌّ يَبْكِي يَبْغِي الرَّضَاعَ ، وَأُمُّهُ لَا تُرْضِعُهُ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : أَرْضِعِيهِ . قَالَتْ : إِذًا لا يَفْرِضُ لَهُ عُمَرُ . قَالَ : بَلَى هُوَ يَفْرِضُ لَهُ . ثُمَّ فَرَضَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَوْلُودِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فى كُلِّ سَنَةٍ . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ (١) : وَفَرَضَ عُمَرُ لِلْعِيَالَاتِ ، لِكُلِّ عَيِّلٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى جَرِيبَيْنِ مِنْ بُرٍّ فى كُلِّ شَهْرٍ ، وَقِسْطَيْنِ (٢) مِنْ زَيْتٍ ، وَقِسْطًا مِنْ خَلٍّ (٣) ، وَمِائَةَ دِرْهَمٍ فى كُلِّ سَنَةٍ ، قَالَ : وَالْجَرِيبُ قَفِيزٌ بِالْقُرْطُبِيِّ ، وَالْقِسْطُ قَدْرُ ثُمْنِ رُبْعِ الزَّيْتِ بِالْقُرْطُبِيِّ .

قَالَ الْحَسَنَ : وَكَانَ عَطَاءُ سَلْمَانَ (٤) خَمْسَةَ آلافٍ ، وَكَانَ عَلَى زُهَاءِ ثَلاثِينَ أَلْفًا (٥) مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ (٦) فى عَبَاءَةٍ يَلْبَسُ نِصْفَهَا وَيَفْتَرِشُ نِصْفَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ يَسُفُّ الْخُوصَ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ (٧) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٨) وَفْدٌ مِنَ الْبَصْرَةِ مَعَ

---

(١) هكذا فى « م » .. ولعله محمد بن حبيب بن أمية ، الهاشمى بالولاء ، وهو من موالى بنى العباس ، وعلّامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، وله العديد من المصنفات والتآليف ، أشهرها « المحبر » وكتبه صحيحة .. ولد فى بغداد وتوفى بسرّ من رأى سنة ٢٤٥ هـ .. وفى « ط » : « قال ابن جبلة » وربما كان هذا القول له أيضًا ، فابن جبلة (عبد الله بن حيان الكنانى ، المتوفى سنة ٢١٩ هـ) فقيه ، وإمام من أهل الكوفة ، وله عدة مصنفات ، منها : « الرجال » و « النوادر » و « الصفة فى الغيبة » وغيرها .

[انظر ابن حبيب فى الأعلام ج ٦ ص ٧٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والمحبر ص ٥٠٦ – ٥٢٠ .. وانظر ابن جبلة فى الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، وانظر الأحكام السلطانية للماوردى ، الباب الثامن عشر ص ١٧٢ – ١٧٤] .

(٢) العَيِّل : أهل بيت الرجل الذين يُنفَق عليهم .. والقِسط : المقدار ، أو الحصة والنصيب .

(٣) فى « م » : « خيل » تحريف .

(٤) هو الصحابىُّ الجليل سَلمان الفارسى ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ثمانين ألف » هكذا . خطأ .. وما ورد فى « م » مطابق لما ورد فى طبقات ابن سعد عن الحسن بنصه .

[انظر المصدر السابق ج ٤ ص ٨٧] .

(٦) فى « م » : « للناس » وكلاهما صواب .

(٧) أمضاه : فرَّقه . ويَسُفُّ الخوصَ : ينسجه بأصابعه . ويأكل من سفيف يده ، أى : مما ينسجه من حُصُرٍ ومكاتل .

(٨) ما بين المعقوفتين عن « م » .

أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ، قَالَ : فَكُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ كُلَّ يَوْمٍ [١] خُبْزُ ثَلَاثٍ ، فَرُبَّمَا وَافَقْنَاهَا مَأْدُومَةً بِسَمْنٍ ، وَأَحْيَانًا بِزَيْتٍ ، وَأَحْيَانًا بِلَبَنٍ [٢] ، وَرُبَّمَا وَافَقْنَا الْقَدِيدَ اليَابِسَ قَدْ دُقَّ ، ثُمَّ أُغْلِىَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ ، وَرُبَّمَا وَافَقْنَا اللَّحْمَ الْغَرِيضَ [٣] ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا : إِنِّى أَرَى – وَاللهِ – تَقْذِيرَكُمْ وَكَرَاهِيَتَكُمْ [٤] لِطَعَامِى ، فَإِنِّى لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا ، وَأَرَقَّكُمْ عَيْشًا ، أَمَا وَاللهِ مَا أَجْهَلُ كَرَاكِرَ وَأَسْنِمَةً ، وَأَعْرِفُ صِلَاءً ، وَصِنَابًا وَصَلَائِقَ [٥] قَالَ : والصِّلَاءُ : الشِّوَاءُ [٦] ، والصِّنَابُ : الْخَرْدَلُ ، والصَّلَائِقُ : الْخُبْزُ الرُّقَاقُ ، وَلَكِنِّى سَمِعْتُ اللهَ تَعَالَى عَيَّرَ أَقْوَامًا بِأَمْرٍ فَعَلُوهُ ، فَقَالَ : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا** ﴾ [٧] . فَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى [٨] فَقَالَ : لَوْ كَلَّمْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفَرَضَ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ طَعَامًا فَأَكَلْتُمُوهُ ، [فَكَلَّمْنَاهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الأُمَرَاءِ ، هَلْ تَرْضَوْنَ لأَنْفُسِكُمْ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِى ؟] [٩] فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَدِينَةَ أَرْضٌ [١٠] الْعَيْشُ بِهَا شَدِيدٌ ، وَلَا نَرَى طَعَامًا [١١] يُغْنِينَا ، وَلَا يُؤْكَلُ طَعَامُكَ ، وَإِنَّا بِأَرْضٍ ذَاتِ رِيفٍ ، وَإِنَّ أَمِيرَنَا يُغْنِينَا ، وَإِنَّ طَعَامَهُ يُؤْكَلُ . قَالَ : فَنَظَرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ

---

(١) فى « م » : « فى كل يوم » .

(٢) فى « ط » : « باللَّبن » .

(٣) الغريض : الطَّرِىّ .

(٤) « وكراهيتكم » عن « ط » .

(٥) الكَرَاكِر : جمع كِرْكِرة ، وهى صدْرُ كُل ذى خُفّ .. والأسنمة : جمع سَنام ، وهى كُتَل من الشحم مُحَدَّبة على ظهر البعير والناقة . والصِّناب : طعام يُؤتَدمُ به من الخردل والزيت .. أمَّا الصلائق فهى جمع صَلِيق ، وهو اللَّحم النضيج المشوى ، والخبز الرقيق .

(٦) فى « م » : « الشوى » .

(٧) فى « م » و « ط » : واستمعتم بها » خطأ .. والصواب ماأثبتناه .. انظر سورة الأحقاف – الآية ٢٠ .

(٨) فى « م » : « وكلّمنا أبو موسى الأشعرى » .

(٩) ما بين المعقوفتين عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(١٠) فى « م » : « بَلَد » .

(١١) فى « ط » : « طعامك » .

رَأْسَهُ فَقَالَ (١) : قَدْ فَرَضْتُ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَاتَيْنِ وَجَرِيبَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ بِالْغَدَاةِ فَضَعْ (٢) إِحْدَى الشَّاتَيْنِ عَلَى أَحَدِ (٣) الْجَرِيبَيْنِ وَكُلْ أَنْتَ وَأَصْحَابَكَ ، ثُمَّ أُدْعُ بِشَرَابٍ ، ثُمَّ اسْقِ الَّذِى عَنْ يَمِينِكَ ، ثُمَّ اسْقِ الَّذِى عَنْ شِمَالِكَ ، ثُمَّ قُمْ لِحَاجَتِكَ ، وَإِذَا (٤) كَانَ الْعِشَاءُ (٥) فَضَعِ الشَّاةَ الْغَابِرَةَ (٦) عَلَى الْجَرِيبِ الآخَرِ ، فَكُلْ أَنْتَ وَأَصْحَابَكَ ، أَلَا وَأَوْسِعُوا النَّاسَ فِى بُيُوتِهِمْ ، وَأَطْعِمُوا عِيَالَهُمْ ، وَاللهِ مَا أَظُنُّ رُسْتَاقًا (٧) يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ شَاتَانِ وَجَرِيبَانِ إِلَّا يُسْرِعَانَ فِى خَرَابِهِ . وَكَانَ عُمَرُ (٨) قَدْ أَطْعَمَ جَرِيبَيْنِ بِالْخَلِّ وَالزَّيْتِ لِثَلَاثِينَ رَجُلًا فَكَفَاهُمْ ، فَأَجْرَاهُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ فِى كُلِّ شَهْرٍ مِمَّنْ كَانَ فِى الدِّيوَانِ مَكَانَ ما كَانَتْ فَارِسٌ تُجْرِيهِ عَلَى خُيُولِهِمْ وَأَسَاوِرِهِمْ (٩) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ (١٠) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، أَبَا الْعِيَالِ ، يُسَلِّمُ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ وَيَقُولُ : أَلَكُنَّ حَاجَةٌ ؟ وَأَيَّتُكُنَّ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِىَ شَيْئًا ؟ فَيُرْسِلْنَ مَعَهُ بِحَوَائِجِهِنَّ ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَىْءٌ اشْتَرَى لَهَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ

---

(١) فى « م » : « وقال » .

(٢) كان حق السياق أن يُقال : « فضعوا » ولكن الكلام هنا موجه إلى أبى موسى الأشعرى وحده .

(٣) فى « م » و « ط » : « إحدى » وهذا جائز على تأنيث « الجريب » بمعنى « الكيلة » أو المزرعة .. وما أثبتناه أوجه .

(٤) فى « م » : « فإذا » .

(٥) العِشاء ، بكسر العين المهملة : وقت العَشِىّ . وبفتحها : طعام العَشِىّ .

(٦) الغابرة : الباقية .

(٧) الرُّسْتاق ، أو الرُّزداق : لفظة معربة وتُطلق على الناحية أو الموضع الذى فيه مُزْدَرَع وقُرًى ، أو بيوت مجتمعة .

(٨) فى « م » : « عمر بن الخطاب » .

(٩) الأساوِرُ : القُوّاد من الفُرسان .

(١٠) هو : سعيد بن المُسَيِّب . بن حَزْن بن أبى وهب المخزومى ، القُرشى ، أبو محمد ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة والزيت ، ولا يأخذ عطاءً ، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطّاب وأقضيته حتى سُمِّى راوية عمر .. وتوفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ . ومولده سنة ١٣ هـ . =

مِنْ بَعْضِ الثُّغُورِ يَتَتَبَّعُهُنَّ بِنَفْسِهِ فِى مَنَازِلِهِنَّ بِكُتُبِ أَزْوَاجِهِنَّ وَيَقُولُ : أَزْوَاجُكُنَّ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَأَنْتُنَّ فِى بَلَدِ [١] رَسولِ اللهِ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكُنَّ مَنْ يَقْرَأُ وَإِلَّا فَاقْرُبْنَ مِنَ الأَبْوَابِ حَتَّى أَقْرَأَ لَكُنَّ ، ثُمَّ يَقُولُ : الرَّسُولُ يَخْرُجُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَاكْتُبْنَ حَتَّى نَبْعَثَ بِكُتُبِكُنَّ ، ثُمَّ يَدُورُ عَلَيْهِنَّ بِالْقَرَاطِيسِ وَالدَّوَاةِ يَقُولُ : هَذِهِ دَوَاةٌ وَقِرْطَاسٌ ، فَادْنِينَ مِنَ الأَبْوَابِ [٢] حَتَّى أَكْتُبَ لَكُنَّ ، وَيَمُرُّ إِلَى الْمُغِيبَاتِ [٣] فَيَأْخُذُ كُتُبَهُنَّ فَيَبْعَثُ بِهَا [٤] إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِىُّ [٥] : كُنْتُ عَامِلًا لأَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ هُوَ وَعُمَّالُهُ ، وَأَنْ يَسْتَخْلِفُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُ يَرْفَأَ ، فَقُلْتُ : يَا « يَرْفَأُ » مُسْتَرْشِدٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، أَىُّ الْهَيْئَاتِ أَحَبُّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَى فِيهَا عُمَّالَهُ ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى الْخُشُونَةِ ، فَاتَّخَذْتُ خُفَّيْنِ مُطَارَقَيْنِ [٦] ، وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ ، وَلَبِسْتُ عِمَامَتِى عَلَى رَأْسِى ، فَدَخَلْنَا عَلَى عُمَرَ فَصَفَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصَوَّبَ [٧] فَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنُهُ غَيْرِى ، فَدَعَانِى فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِىُّ . قَالَ : وَمَا تَتَوَلَّى مِنْ أَعْمَالِنَا ؟ قُلْتُ : الْبَحْرَيْنِ .

= أما أبو سلمة ، فهو : الفقيه أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف . وقد مر التعريف به .

[انظر ترجمة سعيد بن المُسيب فى الأعلام ج ٣ ص ١٠٢ ، وطبقات الشيرازى ص ٣٩ ، ٤٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١١٩ - ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٨ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٦١ - ١٧٥ ، والمعارف ص ٤٣٧ ، ٤٣٨] .

(١) فى « ط » : « بلاد » .

(٢) فى « م » : « الباب » .

(٣) المُغِيبات : النساء اللاتى غاب عنهن أزواجهن . جمع مُغِيب .

(٤) فى « م » : « ويبعث بهن » أى : الرسائل .

(٥) هو : الربيع بن زياد بن أنس الحارثى ، من بنى الديان ، أمير فاتح ، أدرك عصر النُّبوة ، وولى البحرين ، وقدم المدينة فى أيام عمر ، وولّاه عبد الله بن عامر « سجستان » سنة ٢٩ هـ فَفُتحت على يديه . وله مع عمر بن الخطاب أخبار ، وكان - رحمه الله - شجاعًا تقيا .. وتوفى سنة ٥٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤ ، والمعارف ص ٤٤١] .

(٦) مطارَقَين : مَخْصُوفين .

(٧) فصَعَّد فينا وصَوَّب : نظر فينا إلى أعلى وأسفل يتأمَّلنا .

قَالَ : وَكَمْ تُرْزَقُ ؟ قُلْتُ : أَلْفًا . قَالَ : كَثِيرٌ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَا [(١)] ؟ قُلْتُ : أَتَقَوَّتُ مِنْهَا شَيْئًا وَأَعُودُ عَلَى أَقَارِبَ لِي ، فَمَا فَضَلَ عَنْهُمْ [(٢)] فَعَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ، ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مَوْضِعِي مِنَ الصَّفِّ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصَوَّبَ ، فَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ إِلَّا عَلَيَّ ، فَدَعَانِي فَقَالَ : كَمْ سِنُّكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالَ : الآنَ حِينَ اسْتَكْمَلْتَ [(٣)] . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ ، وَأَصْحَابِي حَدِيثُو عَهْدٍ بِلِينِ الْعَيْشِ ، وَقَدْ تَجَوَّعْنَا [(٤)] لَهُ ، فَأُتِيَ بِخُبْزٍ وَأَعْضَاءِ بَعِيرٍ ، فَجَعَلَ أَصْحَابِي يَعَافُونَ ذَلِكَ [(٥)] ، وَجَعَلْتُ آكُلُ ، وَجَعَلْتُ [(٦)] أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَلْحَظُنِي مِنْ بَيْنِهِمْ ، ثُمَّ سَبَقَتْ مِنِّي كَلِمَةٌ تَمَنَّيْتُ أَنِّي سُخْتُ [(٧)] فِي الأَرْضِ وَلَمْ أَقُلْهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سَلَامَتِكَ ، فَلَوْ عَمَدْتَ [(٨)] إِلَى طَعَامٍ أَلْيَنَ مِنْ هَذَا ! فَزَجَرَنِي ، ثُم قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ تَنْظُرُ إِلَى قُوتِكَ مِنَ الطَّحِينِ أَنْ يُخْبَزَ لَكَ قَبْلَ إِرَادَتِكَ إِيَّاهُ بِيَوْمٍ ، وَيُطْبَخَ لَكَ اللَّحْمُ كَذَا ، فَتُؤْتَى [(٩)] بِالْخُبْزِ لَيِّنًا ، وَبِاللَّحْمِ غَرِيضًا [(١٠)] . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ثُمَّ قَالَ : هَاهُنَا رُعْتَ [(١١)] ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَال [(١٢)] يَا رَبِيعُ : إِنَّا لَوْ شِئْنَا لَمَلَأْنَا هَذِهِ الرِّحَابَ مِنْ صَلَائِقَ وَسَنَابِكَ ، يَعْنِي خُبْزَ الْحُوَّارَى [(١٣)] ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى عَابَ عَلَى قَوْمٍ شَهَوَاتِهِمْ فَقَالَ : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ**

---

(١) فى « م » : « قال : فما تصنع بها ؟ » .
(٢) فَضَل عنهم : زاد على الحاجة .
(٣) فى « م » : « استحكمت » .
(٤) تجوَّعنا : تعمَّدنا الجوع .
(٥) يعافون ذلك ، أى : كرهوا ذلك الطعام وتركوه .
(٦) فى « م » : « ثم جعلتُ » .
(٧) سُخْتُ : غُصْتُ .
(٨) عَمَدْتَ : قصَدْتَ .
(٩) فى « م » : « فيؤتى » .
(١٠) غريضًا : طريًّا طازجًا .
(١١) ها هنا رُعْتَ ؟ أى : آلآن كَفَفْتَ ، وأنهيت كلامك ؟ .
(١٢) فى « م » : « فقال » .
(١٣) الحَوَّارَى : الدقيق الأبيض ، ويُطلق أيضاً على كل ماحُور من طعامٍ ، أى : بُيِّضَ .

بِهَا ﴾ [١] . ثُمَّ أَمَرَ أَبَا مُوسَى بِإِقْرَارِي عَلَى عَمَلِي ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِأَصْحَابِي .

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ [٢] : دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ سَعْدٍ [٣] ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ حِمْصَ ، فَقَالَ : عَلَامَ يُحِبُّكَ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُمْ فَأَحَبُّونِي . قَالَ : مَالَكَ الْيَوْمَ [٤] ؟ قُلْتُ : عَبْدِي ، وَفَرَسِي ، وَبَغْلِي [٥] وَخَادِمِي . قَالَ : فَمَاذَا تَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ؟ قُلْتُ : عِصَابَةٌ أَشُدُّ بِهَا رَأْسِي ، وَجُبَّةٌ وَكِسَاءٌ . قَالَ : فَمَا تَلْبَسُ فِي الصَّيْفِ ؟ قُلْتُ : قَمِيصًا وَرَيْطَةً [٦] . فَأَعْطَانِي عُمَرُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقَالَ : خُذْهَا وَاسْتَنْفِقْ [٧] مِنْهَا ، وَأَعْطِ مِنْهَا . قُلْتُ : لَا أَرَبَ لِي فِيهَا ، وَسَتَجِدُ مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهَا مِنِّي ، قَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَعَ إِلَيَّ مَالًا وَهُوَ دُونَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتَ لِي ، فَقَالَ لِي [٨] : يَا عُمَرُ ، مَا آتَاكَ اللهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِضَ لَهُ أَوْ تَشَرَّفَ [٩] لَهُ نَفْسُكَ فَاقْبَلْهُ . فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ : أَتَرَيْنَ رَجُلًا لَهُ هَذَا ، مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ هُوَ أَمْ [١٠] مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ؟ فَقَالَتْ : بَلْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَقَسَّمَهَا حَتَّى [١١] بَقِيَتْ مِنْهَا صُرَّةٌ ، أَظُنُّ فِيهَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا [١٢] أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ ، أَلَيْسَ لِي أَنَا حَقٌّ ؟ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا [١٣] .

---

(١) « واستمتعتم بها » لم ترد فى « م » . والآية سبق تخريجها .

(٢) هو : قَبِيصَةُ بن ذُؤَيب الخُزَاعِيُّ ، أبو إسحاق ، صحابى ، ومن وجوه الفقهاء ، ولد فى حياة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ثم كان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشام . وتوفى بدمشق سنة ٨٦ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والمعارف ص ٤٤٧] .

(٣) فى « م » : « عبد الله بن سعيد » . لم أقف عليه .

(٤) « اليوم » عن « م » .

(٥) فى « ط » : « وبَعْلِى » بالعين المهملة ، أى : وزوجى .

(٦) الرَّيْطَةُ : كل ثوب ليِّن رقيق .

(٧) استنفِقْ : أنْفِقْ .

(٨) فى « ط » : « فقال : ياعمر » .

(٩) تشَرَّف له : تتطلع إليه .

(١٠) فى « م » : « أو » مكان « أم » .

(١١) فى « م » : « حين » مكان « حتى » تحريف .

(١٢) « دينارًا » عن « م » .

(١٣) فى « ط » : « إياه » .

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ [١] بَيْنَا نَحْنُ بِخُنَاصِرَةَ [٢] إِذَا بِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ عَنْ دَارِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَرْشَدْنَاهَا إِلَى الدَّارِ ، فَرَأَتْ [٣] دَارًا مُتَهَشِّمَةً ، فَقَالَتْ لِخَيَّاطٍ هُنَاكَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى فَاطِمَةَ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : فَادْخُلِي [٤] وَصَوِّتِي بِهَا ، فَإِنَّهَا تَأْذَنُ لَكِ . فَدَخَلَتْ ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْ مَا هُنَاكَ [٥] قَالَتْ : جِئْتُ أَرُمُّ فَقْرِي مِنْ بَيْتِ الْفُقَرَاءِ ، وَإِذَا رَجُلٌ [٦] يَعْمَلُ فِي الطِّينِ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : هُوَ ذَاكَ [٧] يَعْمَلُ فِي الطِّينِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ زَوْجِي وَتَرَكَ لِي ثَمَانِي بَنَاتٍ [٨] . فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : تَفْرِضُ لَهُنَّ ، قَالَ : نَفْرِضُ لِلْكُبْرَى ، مَا اسْمُهَا ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ للهِ . قَالَ : مَا اسْمُ الثَّانِيَةِ ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ للهِ [٩] ، حَتَّى كَتَبَ السَّابِعَةَ ، فَقَالَتْ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَطَرَحَ الْقَلَمَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ لَهَا : أَمَا أَنَّكِ لَوْ وَلَّيْتِ الْحَمْدَ أَهْلَهُ [١٠] لَأَتْمَمْنَاهُنَّ لَكِ ، مُرِي السَّبْعَ فَلْيُوَاسِينَ الثَّامِنَةَ [١١] .

* * *

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « زياد بن حيوة » خطأ . وهو : رَجَاءُ بن حَيْوَة بن جَرْول الكندى ، شيخ أهل الشام ، وكان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز ، وهو الذى أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر .. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٢) خُنَاصِرَة : بُلَيْدَة من أعمال « حلب » تحاذى « قنسرين » نحو البادية .

(٣) فى « م » : « فرأى » تحريف .

(٤) فى « م » : « فقال : ادخلى » .. وصَوِّتى بها ، أى : ناديها .

(٥) فى « م » : « هنالك » .

(٦) فى « م » : « برَجُلٍ » .

(٧) فى « ط » : « ذلك » .

(٨) فى « ط » و « م » أيضا : « ثمان » بدون الياء ، والمعروف أن « الثمانية » إذا أُضيفت إلى مؤنث تثبتُ الياء فيها ثبوتها فى « القاضى » وتُعرب إعراب المنقوص . تقول : جاء ثمانى نسوة ، ورأيتُ ثمانىَ نسوة .

[انظر – المصباح المنير – مادة ثَمَن] .

(٩) قوله : « فقالت : الحمد لله » عن « ط » .

(١٠) فى « م » : « لأهْلِه » .

(١١) فى « ط » : « هذه الثامنة » .

الْبَابُ الْحَادِى وَالْخَمْسُونَ

فى أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمـٰنِ بْنُ غَنْمٍ [1] قَالَ : كَتَبْنَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، حِينَ صَالَحَ نَصَارَى أَهْلِ الشَّامِ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا : إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمُ الأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذَرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا [2] وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لا نُحْدِثَ فى مَدَائِنِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا قَلِيَّةً [3] وَلَا صَوْمَعَةَ رَاهِبٍ ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا مَا كَانَ مُخْتَطًّا مِنْهَا [4] فى خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ فى لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَأَنْ نُوَسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَأَنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، نُطْعِمُهُمْ ، وَلَا نَأْوِىَ فى كَنَائِسِنَا وَلَا فى مَنَازِلِنَا جَاسُوساً ، وَلَا نَكْتُمَ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُعَلِّمَ أَوْلَادَنَا الْقُرْآن ، وَلَا نُظْهِرَ شَرْعَنَا ، وَلَا نَدْعُوَ إِلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا نَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ ذَوِى قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فى

---

(١) هو : عبد الرحمـٰن بن غَنْم الأشعرى ، رَأْسُ التابعين وشيخ أهل فلسطين ، وفقيه الشام فى عصره ، ولد فى حياة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها .. وكان – رحمه الله – عالمًا كبير القَدر .. وتوفى سنة ٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١] .

(٢) فى « م » : « وأموالنا وذُرِّيَّاتنا » .

(٣) قَلِيَّة : صَوْمَعَة .

(٤) فى « م » : « ولا ما كان منها » .

الإِسلَامِ إِنْ أَرَادَهُ ، وَأَنْ نُوَقِّرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَقُومَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ ، وَلَا نَتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : مِنْ [1] قَلَنْسُوَةٍ ، وَلَا عِمَامَةٍ ، وَلَا نَعْلَيْنِ ، وَلَا فَرْقِ شَعْرٍ ، وَلَا نَتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِمْ ، وَلَا نَتَكَنَّى بِكُنَاهُمْ ، وَلَا نَرْكَبَ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا نَتَقَلَّدَ [2] بِالسُّيُوفِ ، وَلَا نَتَّخِذَ شَيْئًا مِنَ السِّلَاحِ ، وَلَا نَحْمِلَهُ مَعَنَا ، وَلَا نَنْقُشَ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا نَبِيعَ الْخُمُورَ ، وَأَنْ نَجُزَّ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا ، وَنَلْزَمَ زِيَّنَا حَيْثُمَا كُنَّا ، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَانِيرَ [3] عَلَى أَوْسَاطِنَا ، وَلَا نُظْهِرَ صُلْبَانَنَا وَكُتُبَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ [4] الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا أَسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نَضْرِبَ نَوَاقِسَنَا فِي كَنَائِسِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا ، وَلَا نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا فِي شَيْءٍ مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُخْرِجَ شَعَانِينَنَا وَلَا بَاعُوثَنَا [5] ، وَلَا نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا ، وَلَا نُظْهِرَ النِّيرَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نُجَاوِرَهُمْ بِمَوْتَانَا ، وَلَا نَتَّخِذَ مِنَ الرَّقِيقِ مَا جَرَى [6] عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نَطَّلِعَ [7] عَلَى مَنَازِلِهِمْ » .

فَلَمَّا أَتَيْتُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ : « وَلَا نَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، شَرَطْنَا [8] ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَقَبِلْنَا عَلَيْهِ الأَمَانَ [9] ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ مِمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَضَمِنَّاهُ [10] عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا ، وَقَدْ حَلَّ مِنَّا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمُعَانَدَةِ وَالشِّقَاقِ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ أَمْضِ مَا سَأَلُوهُ ،

---

(١) فى « م » : « فى » مكان « من » .
(٢) فى « م » : « يركب .. ولا يتقلد » بالياء .. تحريف من الناسخ .
(٣) الزنانير : جمع زُنّار ، وهو ما يشده النصرانى على وسطه .
(٤) من هنا إلى قوله : « حضرة المسلمين » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .
(٥) الشّعانين : عيد مسيحى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفِصْح ، يُحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .. والباعوث : صلاة ثانى الفصح عند النصارى ، وهى لفظة سريانية معربة .
(٦) فى « م » : « ما يجرى » .
(٧) فى « ط » : « نتطلّع » .
(٨) فى « م » : « وشرطْنا » .
(٩) « الأمان » عن « ط » .
(١٠) فى « م » : « عن شيء مما وصَفْنا لكم وشرطناه » .

وَالْحِقْ فِيهِ حَرْفَيْنِ اشْتَرَطْتُهُمَا (١) عَلَيْهِمْ ، مَعَ مَا شَرَطُوا (٢) عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَنْ لا يَشْتَرُوا شَيْئًا مِنْ سَبَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ مُسْلِمًا عَمْدًا فَقَدْ خَلَعَ عَهْدَهُ .

وَرَوَى نَافِعٌ عَنْ أَسْلَمَ (٣) مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٤) أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فِى النَّصَارَى أَنْ يُقْطَعَ رَكْبُهُمْ ، وَأَنْ يَرْكَبُوا عَلَى الأُكُفِ (٥) ، وَأَنْ يَرْكَبُوا فِى شِقٍّ وَاحِدٍ (٦) ، وَأَنْ يَلْبَسُوا خِلافَ زِىِّ الْمُسْلِمِينَ لِيُعْرَفُوا .

وَرُوِىَ أَنَّ بَنِى تَغْلِبَ (٧) دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ، افْرِضْ لَنَا . قَالَ : نَصَارَى ؟ قَالُوا : نَصَارَى . قَالَ : ادْعُوا لِى حَجَّامًا ، فَفَعَلُوا ، فَجَزَّ نَوَاصِيَهُمْ (٨) ، وَشَقَّ مِنْ أَرْدِيَتِهِمْ (٩) حُزُمًا يَحْتَزِمُونَهَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْكَبُوا السُّرُوجَ ، وَيَرْكَبُوا (١٠) الأُكُفَ مِنْ شِقٍّ وَاحِدٍ .

وَرُوِىَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ (١١) أَقْصَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُمْ ،

---

(١) فى « م » : « اشترطهما » .

(٢) فى « م » : « شرطوه » .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « سالم » خطأ .. وهو : أسلم ، أبو زيد العدوى ، مولى عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين ، وأصله حبشى ، اشتراه عمر سنة ١١ هـ لما حج .. وقيل : هو من سَبْي « عين التمر » . وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٠ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣] .

(٤) ما بين المعقوفتين عن « م » .

(٥) الأُكُف : جمع إكاف ، وهو برذعة الحمار وغيره .

(٦) « واحد » عن « م » .. والشِّقُّ : الجانب والناحية .

(٧) فى « م » : « ثعلب » تحريف .. وتغلب قبيلة عظيمة تنتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن دُعْمِىّ ، وتتفرع منها فروع عديدة .

[انظر لسان العرب ، مادة « غلب » ، ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٢٠ – ١٢٣] .

(٨) أى : قصَّ مُقدَّم شعر رُءوسهم .

(٩) فى « م » : « وشق أرديتهم » .

(١٠) أى : وأن يركبوا .. وفى « م » : « ويركبون » . والأول أصح .

(١١) هو الخليفة العباسى المتوكل على الله جعفر ، أبو الفضل بن المعتصم بن هارون الرشيد .. ولد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ . وبويع له بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ . وكان جوادًا محبًّا للعمران ، ومات مقتولًا سنة ٢٤٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦٥ – ١٧٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٦ – ٤١٧] .

وَأَذَلَّهُمْ [(١)] وَأَقْصَاهُمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ زِيِّهِمْ وَزِيِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ مِثَالًا لِلشَّيَاطِينِ ، لأَنَّهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَ مِنْهُ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَبَاعَدَ عَنْهُ [(٢)] أَهْلَ الْبَاطِلِ وَالأَهْوَاءِ ، فَأَحْيَا اللهُ بِهِ الْحَقَّ ، وَأَمَاتَ بِهِ الْبَاطِلَ [(٣)] فَهُوَ يُذْكَرُ بِذَلِكَ ، وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : لا تَسْتَعْمِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ رِشًا فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَحِلُّ فِي دِينِ اللهِ الرِّشَا [(٤)] . وَلَمَّا اسْتَقْدَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ مِنَ الْبَصْرَةِ - وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا - لِلْحِسَابِ ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاسْتَأْذَنَ لِكَاتِبِهِ [(٥)] وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : قَاتَلَكَ اللهُ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ ، وَلَّيْتَ ذِمِّيًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾** [(٦)] أَلَا اتَّخَذْتَ حَنِيفًا [(٧)] ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ . فَقَالَ : لا أُكْرِمُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللهُ ، وَلَا أُعِزُّهُمْ إِذْ أَذَلَّهُمُ اللهُ ، وَلَا أُدْنِيهِمْ ، إِذْ أَقْصَاهُمُ اللهُ .

وَكَتَبَ بَعْضُ الْعُمَّالِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] [(٨)] أَنَّ الْعَدُوَّ [(٩)] قَدْ كَثُرَ ، وَأَنَّ الْجِزْيَةَ قَدْ كَثُرَتْ ، فَنَسْتَعِينُ بِالأَعَاجِمِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ [(١٠)] : أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ

---

(١) « وأذلّهم » عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٢) فى « م » : « باعَدَ منه » .
(٣) فى « م » : « أهل الباطل » .
(٤) فى « م » : « ولا يحل الرِّشا » .
(٥) فى « م » : « لكاتبه حُمْران » .
(٦) سورة المائدة - من الآية ٥١ .
(٧) حنيفاً : مسلمًا ثابتًا على الإسلام .
(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .
(٩) هكذا فى « م » وفى المستطرف ج ١ ص ٢٤٩ .. وفى « ط » : « العَدد » خطأ .
(١٠) فى « م » : « عمر بن الخطاب » .

اللهِ ، وَأَنَّهُمْ لَنَا غَشَشَةٌ [١] فَأَنْزِلُوهُمْ حَيْثُ أَنْزَلَهُمُ اللهُ ، وَلَا تَرُدُّوا إِلَيْهِمْ شَيْئًا . وَقَالَ عِمْرَانُ [٢] بْنُ أَسِيدٍ : أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ فِي عَمَلِكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : حَسَّانُ بْنُ بَرْزَى ، عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] . وَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ حَسَّانَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُ ، وَإِنْ أَبَى فَلَا تَسْتَعِنْ بِهِ [٤] وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ [٥] غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ .

وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٦] إِلَى بَدْرٍ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَحِقَهُ [٧] عِنْدَ الْحَرَّةِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ . قَالَ [٨] : تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَفَرِحَ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٩] ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ ، فَقَالَ [١٠] : جِئْتُكَ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَخَرَجَ بِهِ . وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِكَافِرٍ ، هَذَا وَقَدْ خَرَجَ

---

(١) غَشَشَة : جمع غاشٍّ .

(٢) فى « م » : « عمر » .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧ .

(٤) فى « م » : « فإنَّا لا نستعين به » .

(٥) فى « ط » : « ولا تأخذ » خطأ .. و « من » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٦) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٧) فى « م » : « فلقيه » .

(٨) فى « م » : « فقال » .

(٩) فى « ط » : « عليه السلام » .

(١٠) فى « م » : « قال » .

لِيُقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] وَيُرَاقَ دَمُهُ ، فَكَيْفَ اسْتِعْمَالُهُمْ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لا تُوَلُّوا عَلَى أَعْمَالِنَا إِلَّا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ : إِنَّا وَجَدْنَا فِيهِمْ خِيَانَةً . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِى أَهْلِ الْقُرآنِ خَيْرٌ فَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَكُونَ فِى غَيْرِهِمْ خَيْرٌ .

فصــل

وَمَتَى نَقَضَ الذِّمِّيُّ الْعَهْدَ [٢] بِمُخَالَفَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الشُّرُوطِ الْمَأْخُوذَةِ عَلَيْهِ لَمْ يُرَدَّ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَالإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالاسْتِرْقَاقِ . وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ : وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِى اللِّبَاسِ ، فَإِنْ [٣] لَبِسُوا قَلَانِسَ مَيَّزُوهَا عَنْ قَلَانِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْخِرَقِ ، وَيَشُدُّونَ الزَّنَانِيرَ فِى أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَكُونُ فِى رِقَابِهِمْ [٤] خَاتَمٌ مِنْ رَصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ [٥] ، أَوْ جَرَسٌ يَدْخُلُ مَعَهُمُ الْحَمَّامَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا الْعَمَائِمَ وَالطَّيْلَسَانَ [٦] .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَشُدُّ الزُّنَّارَ تَحْتَ الإِزَارِ ، وَقِيلَ : فَوْقَ الإِزَارِ ، وَهُوَ الأَوْلَى ، وَيَكُونُ فِى عُنُقِهَا خَاتَمٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَّامَ ، وَيَكُونُ أَحَدُ خُفَّيْهَا أَسْوَدَ وَالآخَرُ أَبْيَضَ ، وَلَا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ ، وَيَرْكَبُونَ الْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ بِالأُكُفِ عُرْضًا [٧] ، وَلَا يَرْكَبُونَ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا يَتَصَدَّرُونَ [٨] فِى الْمَجَالِسِ ، وَلَا يُبْدَءُونَ بِالسَّلَامِ ، وَيُلْجَئُونَ إِلَى أَضْيَقِ الطُّرُقِ [٩] ،

---

(١) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٢) فى « م » : « عهد الذِّمَّة » .

(٣) « فى اللباس » عن « ط » .. وفيها : « وإنْ » مكان « فإن » .

(٤) فى « م » : « أرقَابِهِم » خطأً . فجمع رقبة : رقَبٌ ورقَبَاتٌ وَرِقاب .

(٥) قوله : « أو نحاس » عن « ط » .

(٦) الطَّيْلَسان : ضَرْبٌ من الأَوْشِحَة يُلْبَسُ على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خالٍ من التفصيل والخياطة ، وهو ما يُعرف بالعامية المصرية بالشال .. وهو فارسى مُعَرَّب .

(٧) العُرْض ، بضم العين المهملة : الجانب والناحية ، أى : من ناحية واحدة .

(٨) فى « م » : « ولا يصَّدَّرُون » وكلاهما صواب .

(٩) فى « ط » : « الطريق » .

وَيُمْنَعُونَ أَنْ يَعْلُوا [١] عَلَى الْمُسْلِمِينَ فى الْبِنَاءِ ، وَتَجُوزُ الْمُسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لا تَجُوزُ ، بَلْ يُمْنَعُونَ . وَإِنْ تَمَلَّكُوا دَارًا عَالِيَةً أُقِرُّوا عَلَيْهَا ، وَيُمْنَعُونَ مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ ، كَالْخَمْرِ [٢] وَالْخِنْزِيرِ وَالنَّاقُوسِ ، وَالْجَهْرِ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، وَيُمْنَعُونَ مِنَ الْمُقَامِ [٣] فى الْحِجَازِ ، وَهِىَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ .

وَيَجْعَلُ الإِمَامُ عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ [٤] مِنْهُمْ رَجُلًا يَكْتُبُ أَسْمَاءَهُمْ وَحُلَاهُمْ ، وَيَسْتَوْفِى جَمِيعَ مَا يُؤْخَذُونَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُوطِ . وَإِنِ امْتَنَعُوا مِنْ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَالْتِزَامِ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ [٥] انْتَقَضَ عَهْدُهُمْ . وَإِنْ زَنَى أَحَدُهُمْ بِمُسْلِمَةٍ ، أَوْ أَصَابَهَا بِنِكَاحٍ ، أَوْ آوَى عَيْنًا [٦] لِلْكُفَّارِ ، أَوْ دَلَّ عَلَى عَوْرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، أَوْ فَتَنَ مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ ، أَوْ قَتَلَهُ ، أَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، أَوْ ذَكَرَ اللهَ [تَعَالَى] [٧] وَرَسُولَهُ بِمَا لا يَجُوزُ ، قِيلَ : يَنْتَقِضُ ، وَقِيلَ : لا يَنْتَقِضُ [٨] . وَإِنْ فَعَلَ مَا يُمْنَعُ مِنْهُ ، مِمَّا لَا ضَرَرَ فِيهِ ، كَتَرْكِ الْغِيَارِ ، وَإِظْهَارِ الْخَمْرِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، عُزِّرَ عَلَيْهِ [٩] . وَمَتَى فَعَلَ مَا يُوجِبُ [١٠] نَقْضَ الْعَهْدِ رُدَّ إِلَى مَأْمَنِهِ ، فى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَقُتِلَ فى الْحِينِ ، فى الْقَوْلِ الآخَرِ .

فصــــل

فى [١١] تَقْدِيرِ الْجِزْيَةِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِرَةُ الأَقَلِّ وَالأَكْثَرِ [١٢]

---

(١) فى « م » : « ويمنعوا » لا تصح .. وفيها : « أن يصلوا » مكان « أن يعلوا » تحريف .
(٢) فى « م » : « والخمر » .
(٣) فى « م » : « ويُمنعون المُقام » .
(٤) فى « م » : « على طائفة منهم » .
(٥) فى « م » : « من أحكام المِلّة وأداء الجِزْيَة » .
(٦) عينًا : جاسوسًا .
(٧) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٨) قوله : « وقيل : لا ينتقض » عن « م » ولم ترد فى « ط » .
(٩) عُزِّر : أُدِّب وعُوقب عليه .
(١٠) فى « م » : « ومَنْ فعل مالا يوجِبُهُ » .
(١١) فى « م » : « وفى » .
(١٢) هكذا فى « ط » والمستطرف .. وفى « م » : « بالأقل » .

عَلَى مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ بِالْكُوفَةِ ، فَوَقَعَ عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَحَدُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ ، وَجَعَلُوهُ كَأَنَّهُ حُكْمُ إِمَامٍ فَلَا يُنْقَضُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَرْدُودَةٌ إِلَى الإِمَامِ فى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ ، وَهُوَ الأَقْيَسُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِرَةُ الأَقَلِّ دُونَ الأَكْثَرِ ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ عُمَرُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْقُصَ عَنْهُ [1] . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُمْ ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارٌ . وَقَالَ مَالِكٌ : يُؤْخَذُ مِنَ الْمُوسِرِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَمِنَ الْفَقِيرِ دِينَارٌ وَعَشَرَةُ دَرَاهِمَ . وَيَتَخَرَّجُ [2] عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ فى وُجُوبِ تَقْدِيرِ طَرَفَيْهَا قَوْلَانِ ، بِنَاءً عَلَى الْعُشْرِ الْمَأْخُوذِ مِنْهُمْ [3] هَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ شَرْعِيٌّ لا [4] تَجُوزُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ ؟ وَعَنْ مَالِكٍ فِيهِ رِوَايَتَانِ ، وَلَا جِزْيَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْمَمَالِيكِ وَالصِّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ [5] : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ وَجَوْرٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَسُنَنٌ سَيِّئَةٌ سَنَّهَا عَلَيْهِمْ عُمَّالُ السُّوءِ ، فَاحْرُزْ عَلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ ، وَلَا تَحْمِلْ خَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ، وَلَا عَامِرًا عَلَى خَرَابٍ ، وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الْخَرَابِ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ ، وَلَا مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةَ الْخَرَاجِ ، إِلَّا وَزْنَ سَبْعَةٍ لَيْسَ لَهَا أُسٌّ ، وَلَا أُجُورِ الضَّرَّابِينَ [6] ، وَلَا أَدَاةِ الْفِضَّةِ ، وَلَا هَدِيَّةِ

---

(١) فى « م » : « منه » .

(٢) فى « م » : « ويخرج » .

(٣) فى « ط » : « منه » .

(٤) فى « م » : « ولا » .

(٥) هو : عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب العدوى ، أبو عمر ، والٍ من أهل المدينة ، وثقة فى الحديث .. استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة . وتوفى بحرّان فى خلافة هشام بن عبد الملك نحو سنة ١١٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والمعارف ص ١٨٠ ، ٤٦٥] .

(٦) الضَّرَّابين : الحاسبين الذين يُعيِّنون أو يفرضون الأنصبة — وفى « م » : « الطَّرَّابين » على الإبدال .

النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ ، وَلَا ثَمَنِ الْمُصْحَفِ ، وَلَا أُجُورِ الْبُيُوتِ ، وَلَا دَرَاهِمِ النِّكَاحِ ، وَلَا خَرَاجَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ .

وَالْوَاجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ مَا ضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَهُوَ : مِنْ كُلِّ جَرِيبِ كَرْمٍ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ ، ومِنْ كُلِّ جَرِيبِ نَخْلٍ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبِ (١) حِنْطَةٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبِ شَعِيرٍ دِرْهَمَانِ .

فصــل

وَأَمَّا (٢) الْكَنَائِسُ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنْ تُهْدَمَ كُلُّ كَنِيسَةٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ الإِسْلَامِ ، وَمَنَعَ أَنْ تُحْدَثَ (٣) كَنِيسَةٌ ، وَأَمَرَ أَنْ لا تَظْهَرَ عِلِّيَّةٌ (٤) خَارِجَةٌ مِنْ كَنِيسَةٍ ، وَلَا يَظْهَرُ صَلِيبٌ خَارِجٌ (٥) مِنْ كَنِيسَةٍ إِلَّا كُسِرَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ . وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَهْدِمُهَا بِصَنْعَاءَ ، وَهَذَا مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ . وَشَدَّدَ فِى ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُتْرَكَ فِى دَارِ الإِسْلَامِ بِيعَةٌ وَلَا كَنِيسَةٌ بِحَالٍ ، قَدِيمَةٌ وَلَا حَدِيثَةٌ . وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُهْدَمَ الْكَنَائِسُ الَّتِى فِى الأَمْصَارِ الْقَدِيمَةُ وَالْحَدِيثَةُ ، وَيُمْنَعَ (٦) أَهْلُ الذِّمَّةِ مِنْ بِنَاءِ مَا خَرِبَ . قَالَ الإِصْطَخْرِيُّ (٧) : إِنْ طَيَّنُوا ظَاهِرَ الْحَائِطِ مُنِعُوا ، وَإِنْ طَيَّنُوا دَاخِلَهُ الَّذِى يَلِيهِمْ لَمْ يُمْنَعُوا . وَيُمْنَعُونَ أَنْ يَعْلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِى الْبِنَاءِ ، وَتَجُوزُ الْمُسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لا تَجُوزُ .

* * *

(١) سقطت « جريب » من « م » سهوًا من الناسخ . والجريبُ مكيال قَدْرُ أربعة أَقْفِزَة ، والقفيز يختلف مقداره فى البلاد ، ويعادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) فى « م » : « فأمَّا » .

(٣) أى : تُبْنَى حديثا .. وفى المستطرف : « تجدد » .. وفى « م » .. « تحدث كل كنيسة » .

(٤) فى « م » : « عِلْية خارج » . والعِلِّيَّةُ بكسر العين وضمِّها : الغرفة الثانية من البناء وما فوقها .

(٥) فى « م » : « صليبًا خارجًا » بالنصب . لا يصح .

(٦) فى « م » : « جميع » مكان « ويمنع » تحريف .

(٧) هو : الحسن بن أحمد بن يزيد الاصْطَخْرِىّ ، أبو سعيد ، فقيه شافعى ، كان من نظراء أبى العباس وابن سُرَيج ، وَلِىَ قضاء « قُمْ » بين أصفهان وساوة ، ثم حِسْبَة بغداد .. واستقضاه المقتدر على سنجستان .. ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفى سنة ٣٢٨ هـ وله الكثير من المصنفات .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وطبقات الشيرازى ص ١١٩] .

البَابُ الثَّانِى وَالْخَمْسُونَ

فِى بَيَانِ الصِّفَاتِ (*) الْمُعْتَبَرَةِ فى الْوُلاَةِ

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ [تعَالَى] (١) أَنَّ مَنْزِلَةَ الْعُمَّالِ مِنَ الْوَالِى مَنْزِلَةُ السِّلاَحِ مِنَ الْمُقَاتِلِ ، فَاجْتَهِدْ جَهْدَكَ فى ابْتِغَاءِ صَالِحِ (٢) الْعُمَّالِ . وَإِذَا فَقَدَ الْوَالِى عُمَّالَ (٣) الصِّدْقِ ، كَانَ كَفَقْدِ الْمُقَاتِلِ السِّلاَحَ يَوْمَ الْحَرْبِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى طَبَقَاتِ الرِّجَالِ كَمَا تَحْتَاجُ الْحَرْبُ (٤) إِلَى أَصْنَافِ الْعُدَّةِ ، فَمِنْهَا الدَّرَقُ لِلاِسْتِجْنَانِ (٥) ، وَالسَّيْفُ لِلْمُنَاجَزَةِ ، وَالرُّمْحُ لِلْمُطَاعَنَةِ ، وَالسَّهْمُ لِلْمُبَاعَدَةِ (٦) ، وَالدِّرْعُ لِلتَّحَصُّنِ ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا مَوْضِعٌ لَيْسَ لِلآخَرِ .

وَالرِّجَالُ لِلْمَلِكِ كَالأَدَاةِ لِلصَّانِعِ ، لا يَسُدُّ بَعْضُهَا مَسَدَّ بَعْضٍ ، كَذَلِكَ طَبَقَاتُ الرِّجَالِ لِلْمَلِكِ ، مِنْهُمْ لِلرَّأْيِ (٧) وَالْمَشُورَةِ ، وَمِنْهُمْ لإِدَارَةِ الْحَرْبِ ،

(*) فى « م » : « فى الصفات » .
(١) مابين المعقوفتين عن « ط » .
(٢) فى « م » : « مصالح » .
(٣) فى « م » : « عيال » تحريف .
(٤) فى « ط » : « يحتاج » بالياء .. والحرب مؤنثة فى الغالب ، وقد تُذَكَّر على معنى القتال .
(٥) فى « م » : « والاستجنان » .. والدَّرَق : جمع دَرَقَة ، وهى التُّرسُ من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب .. وقوله : للاستِجْنَان ، أى : للاسْتِتَار بها .
(٦) للمناجزة : للمقاتلة والنزال .. والمطاعنة ، صيغة مفاعَلة تدور بين اثنين ، أى : يطعن كل منهما الآخر .. والسهم للمباعدة ، للمقاتلة عن بُعْد .
(٧) فى « م » : « الرأى » .

وَمِنْهُمْ لِمُبَاشَرَةِ الْحَرْبِ ، وَمِنْهُمْ لِجَمْعِ الأَمْوَالِ ، وَمِنْهُمْ لِحِفْظِهَا ، وَمِنْهُمْ لِلْجِبَايَةِ [1] ، وَمِنْهُمْ لِلْكِتَابَةِ ، وَمِنْهُمْ لِلْجَمَالِ وَالْفَخْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلْمُبَاهَاةِ وَالذِّكْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلدُّعَاءِ وَالْوَقَارِ ، وَمِنْهُمْ لِلْعِلْمِ وَالْفُتْيَا وَحِفْظِ أَسَاسِ الْمِلَّةِ ، فَلَا يَكْمُلُ لِلْمَلِكِ مُلْكٌ مَالَمْ يَجْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَمَّا مَاتَ كِسْرَى بَلَغَ مَوْتُهُ رَسُولَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَخْلَفُوا ؟ قَالُوا : ابْنَتَهُ « بُورَانَ » [2] قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ الْحَرَّةِ [3] قِيلَ : مَنِ اسْتَعْمَلَ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : عَبْدَ اللهِ بْنَ مُطِيعٍ [4] عَلَى قُرَيْشٍ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الرَّاهِبِ [5] عَلَى الأَنْصَارِ . قَالَ : أَمِيرَانِ ؟ هَلَكَ وَاللهِ الْقَوْمُ .

---

(١) فى « ط » : « للحماية » مكان « للجباية » .

(٢) حينما وليت بوران بنت كسرى مُلْكَ أبيها لَمْ تَجْبِى الخراج ، وفرقت الأموال بين الجُنْد والأشراف ، فكانت مُدة مُلْكها سنة وستة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٦] .

(٣) الحرَّة : هى حَرَّة واقم بالمدينة ، وبها كانت وقعة الحَرَّة المشهورة فى أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ . وكان سببها خَلْع أهل المدينة ليزيد ومبايعتهم لعبد الله بن الزبير .. وكان أمير الجيش فيها من قِبَل يزيد مسلم بن عقبة المُرِّى ، وسموه – لقبيح صنعه – « مُسْرِفًا » ، فبينما قَدِم المدينة نزل حرة واقم ، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم ، وقتل من الموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، ومن الأنصار ألفًا وأربعمائة ، وقيل : ألفًا وسبعمائة ، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة ، ودخل جنوده المدينة فنهبوا الأموال ، وسبوا الذريَّة ، وفعلوا ما يندى له جبين الحُر .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩ ، مادة « حرة واقم »] .

(٤) هو : عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبى القرشى العدوى ، من جِلَّة قريش جَلَداً وشجاعة ، وكان على قريش يوم الحَرَّة ، فلما انهزم أصحابه تَوارَى فى المدينة ، ثم سكن مكة ، واستعمله ابن الزبير على الكوفة فأخرجه المختار بن أبى عبيد منها ، فعاد إلى مكة ، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير فى حصار الحَجَّاج له سنة ٧٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٩ ، والمعارف ص ٣٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، والمحبر ص ٤٩٤ ، ٤٩٥] .

(٥) هو : عبد الله بن حَنْظَلة بن أبى عامر الراهب الأنصارى الأوسى .. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِلَ أبوه فى أُحُد شهيدًا وخلَّفه جنينًا فى بطن أمه ، فنشأ يتيماً ، وعُرِف بالشجاعة .. ولما ثار أهل المدينة « يوم الحَرَّة » ، وأخرجوا عُمَّال بنى أُميَّة ، أجمعوا عليه ، فولَّوه أمرهم ، فبايعهم على الموت ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٥ – ٦٨] .

وَلَيس يُشترطُ النَّسَبُ [١] إلَّا فى الإمَامَةِ الْعُظْمَى دُونَ سَائِرِ الْوِلَايَاتِ . وَلَمَّا اسْتَحضَرَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ [٢] مِنَ الْخُطَبَاءِ ، قَالَ لَهُ هِشَامٌ : بَلَغَنِى أَنَّكَ تَخْطُبُ الْخِلَافَةَ وَلَا تَصْلُحُ لَهَا ، لأَنَّكَ ابْنُ أَمَةٍ . قَالَ زَيْدٌ : فَقَدْ كَانَ إسْمَاعِيلُ بْنُ إبْرَاهِيمَ ابْنَ أَمَةٍ ، وَإسْحَاقُ ابْنَ حُرَّةٍ ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ . ثُمَّ اتَّهَمَهُ فى أَمْرٍ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَنَا أَحْلِفُ لَكَ . قَالَ هِشَامٌ : وَمَنْ يُصَدِّقُكَ ؟ قَالَ زَيْدٌ : إنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : دُلُّونِى عَلَى رَجُلٍ أَسْتَعْمِلُهُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَهَمَّنِى . قَالُوا : وَكَيْفَ تُرِيدُهُ ؟ قَالَ : إذَا كَانَ فى الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرَهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ ، وَإذَا كَانَ فى الْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ [٣] كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إلَّا الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِىَّ . قَالَ : صَدَقْتُمْ هُوَ لَهَا .

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ اسْتَشَارَ فى قَوْمٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : عَلَيْكَ بِأَهْلِ الْعَدْلِ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالُوا : الَّذِينَ إنْ عَدَلُوا فَهُوَ مَا رَجَوْتَ ، وَإنْ

---

(١) « النسب » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٢) فى « م » : « وكانوا » تحريف من الناسخ .. وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأمُّه أم ولد « سندية » .. من خطباء بنى هاشم ، قال عنه أبو حنيفة : ما رأيت فى زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولًا .. وكانت إقامته بالكوفة وأُشْخِصَ إلى الشام ، فضيَّق عليه هشام بن عبد الملك وحبسه خمسة أشهر ، وعاد إلى العراق ، ثم إلى المدينة ، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين ، ورجعوا إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسُّنَّة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وردِّ المظالم .. ونشبت بينه وبين بنى أمية معارك انتهت بمقتله فى الكوفة على يد يوسف بن عمر الثقفى سنة ١٢٢ هـ فى عهد هشام ، وكان عمره اثنين وأربعين عامًا . وأخباره كثيرة فى المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبرى وابن الأثير وغيرهما .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٩ ، والمعارف ص ٢١٦ و ٣٦٥ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ – ٣٨ ، وطبقات المعتزلة ص ١٧ و ٣٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦] .

(٣) فى « م » : « وإذا كان أميرهم » .

قَصرُّوا قَالَ النَّاسُ : اجْتَهَدَ عُمَرُ . وَلَمَّا قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ سَأَلَهُ عَنْ بِشْرٍ ، فَقَالَ [١] : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الشَّدِيدُ فى غَيْرِ عُنْفٍ ، اللَّيِّنُ فى غَيْرِ ضَعْفٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ الأَغَرُّ [٢] الأَجْوَدُ ، الَّذِى كَانَ يَأْمَنُ [٣] عِنْدَهُ الْبَرِىءُ ، وَيَخَافُ لَدَيْهِ السَّقِيمُ ، وَيُعَاقِبُ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ الْعَفْوِ ، الشَّدِيدُ فى غَيْرِعُنْفٍ [٤] اللَّيِّنُ فى غَيْرِ ضَعْفٍ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ .

وَقَالَ الْحَكِيمُ : اعْتَبِرِ الرِّجَالَ بِأَفْعَالِهِمْ لَا بِعِظَمِ أَجْسَامِهِمْ ، فَإِنَّ النَّسْرَ مَعَ عِظَمِهِ [٥] لا يَأْكُلُ إِلَّا مَيْتًا ، وَطَيْرَ الْمَاءِ مَعَ ضَعْفِهِ يَتَحَامَى مَيْتَ السَّمَكِ [٦] وَيَأْكُلُ الْحَىَّ مِنْهَا .

وَفِى حِكَمِ الْهِنْدِ : السُّلْطَانُ الْحَازِمُ رُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ فَأَقْصَاهُ وَاطَّرَحَهُ مَخَافَةَ ضَرِّهِ ، كَالْمَلْسُوعِ يَقْطَعُ أُصْبُعَهُ لِئَلَّا يَنْتَشِرَ السُّمُّ فى جِسْمِهِ ، وَرُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ فَأَكْرَهَ نَفْسَهُ عَلَى تَوْلِيَتِهِ وَتَقْرِيبِهِ لِغَنَاءٍ يَجِدُهُ عِنْدَهُ ، كَتَكَارُهِ الْمَرْءِ عَلَى الدَّوَاءِ الْبَشِعِ لِنَفْعِهِ .

إِلَّا أَنَّ لِلإِسْلَامِ شُرُوطًا ، فَلَا تَسْتَقِيمُ هَذِهِ السِّيرَةُ عَلَيْهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، كَانَ مُعَاوِيَةُ وَالِيًا عَلَى الشَّامِ مِنْ قِبَلِ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، فَاسْتَشَارَ فى أَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَقِرَّهُ عَلَى إِمْرَتِهِ وَأَرْسِلْ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ ، فَإِذَا دَخَلَ فى بَيْعَتِكَ فَاعْزِلْهُ . فَقَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللهُ ، أَتَأْمُرُنِى أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ ؟ ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَكَانَ سَبَبَ عِصْيَانِهِ . وَهَكَذَا أَشَارُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ

---

(١) فى « ط » : « قال » .

(٢) فى « ط » : « ذاك الأعسر » أى : الذى يعمل بيده اليُسرى .

(٣) فى « م » : « الذى يأمن » .

(٤) فى « ط » : « ضَعْف » .

(٥) فى « م » : « مع ضعفه » تحريف .

(٦) يتحامى مَيْتَ السَّمك : يتجنب الميِّتَ منه .

الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَضَّلْتَ هَؤُلَاءِ الأَشْرَافَ وَمَنْ نَتَخَوَّفُ [١] مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ أَصْحَابُ دُنْيَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْثَقَ الأَمْرُ عُدْتَ إِلَى التَّسْوِيَةِ . فَقَالَ : أَتَأْمُرُونِى أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ؟ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَالِيَ [٢] لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ وَلَمْ أُفَضِّلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَكَيْفَ وَالْمَالُ لَهُمْ .

وَإِعْطَاءُ الْمَالِ فِى غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَسَرَفٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ فِى الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ عِنْدَ اللهِ فِى الآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضَعَ امْرُؤٌ [٣] مَالَهُ فِى غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ تَعَالَى شُكْرَهُمْ ، وَيَصِيرُ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ ، فَإِنْ بَقِىَ مَعَهُ مِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ لَهُ الْوُدَّ وَالشُّكْرَ ، فَذَلِكَ مَلَقٌ وَخَدِيعَةٌ لِيَنَالَ مِنْهُ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا مَا [٤] فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِ وَمُكَافَأَتِهِ عَلَى [٥] مَا سَلَفَ مِنْ مَبَرَّتِهِ فَشَرُّ خَلِيلٍ ، وَأَلْأَمُ خَدِينٍ [٦] .

وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْوَالِى وَحُبَّ الْمَدْحِ ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ الْمَدْحَ عُدَّ [٧] كَمَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا عُلِمَ ذَلِكَ مِنْكَ جَعَلَهُ النَّاسُ سُلَّمًا لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ مِنْكَ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ لِنَفْسِكَ لَا لَهُمْ . وَقَالَ النَّبِىُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : « احْثُوا فِى وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ » . وَسَمِعَ الْمِقْدَادُ رَجُلًا يَمْدَحُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَأَخَذَ كَفاً مِنْ تُرَابٍ فَأَلْقَاهُ فِى وَجْهِهِ . وَسَمِعَ النَّبِىُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَمْدَحُ رَجُلًا فَقَالَ : « قَطَعْتَ ظَهْرَ أَخِيكَ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ بَعْدَهَا » .

وَوَصَفَ أَعْرَابِىٌّ أَمِيرًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وَلِىَ لَمْ يُطَابِقْ بَيْنَ جُفُونِهِ ، وَأَرْسَلَ الْعُيُونَ عَلَى عُيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْمُحْسِنُ رَاجٍ ، وَالْمُسِىءُ خَائِفٌ ،

---

(١) فى « م » : « نخوف » أى : نتخوّف .
(٢) فى « م » : « لو كان لى مال » .
(٣) فى « م » : « أمر » تحريف .
(٤) « ما » عن « ط » .
(٥) « على » عن « م » وساقط من « ط » .
(٦) سقطت « ألأم » من « م » . والخدين : الصاحب والصديق .
(٧) فى « م » : « هو » مكان « عُدّ » .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا : لا يَبْعُدَنَّ ابْنُ هِنْدٍ (١) أَنْ كَانَتْ فِيهِ لَمَخَارِجُ مَا نَجِدُهَا فى أَحَدٍ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَاللهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ (٢) وَمَا اللَّيْثُ الْحَرِبُ عَلَى بَرَاثِنِهِ بِأَجْرَأَ مِنْهُ ، فَيَتَفَارَقُ لَنَا (٣) وَإِنْ كُنَّا لَنَخْدَعُهُ ، وَمَا ابْنُ لَيْلَةٍ مِنَ الأَرْضِ بِأَدْهَى مِنْهُ ، وَاللهِ (٤) لَوَدِدْتُ أَنَّا مُتِّعْنَا بِهِ مَادَامَ فى هَذَا حَجَرٌ ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِى قُبَيْسٍ (٥) ، لا يَتَخَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ ، وَلَا يَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ .

وَقَالَ الصُّنَابِحِيُّ (٦) : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٧) إِلَى أَبِى عُبَيْدَةَ كِتَابًا فى مِثْلِ أُذُنِ الفَارَةِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ فى النَّاسِ (٨) إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، بعِيدُ الْغُرَّةِ (٩) ، لا يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَحْنَقُ (١٠) فى الْحَقِّ عَلَى الْجُرْأَةِ ، وَلَا يَخَافُ فى اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

وَقَالَ مَالِكٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فى أَمْرٍ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِنَا فَأْتِنِى بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ ، فَقَالَ : اطْلُبْ عِنْدَهُمْ شَيْئًا ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ إِلَّا أُذُنَ مِزْوَدٍ ، فَكَتَبَ لَهُ فى تِلْكَ الأُذُنِ .

---

(١) يريد بابن هند : معاوية بن أبى سفيان .. وأمه : هند بنت عُتبة .

(٢) قوله : « والله أنْ كُنَّا لنعرفه » عن « ط » . والليث الحَرِب : الشديد الغضب .

(٣) فيتفارق لنا ، أى : فيُظهر لنا الجزع والخوف .

(٤) فى « م » : « وَوَالله » .

(٥) أبو قُبَيْس : جبل مشرف على مكة .. ولا يتخوَّن له عقل : لا ينقص عقله .

(٦) هو : صفوان بن عسَّال ، من بنى الرَّبض بن زاهر ، صحابى ، غزا مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، اثنتى عشرة غزوة ، وسكن الكوفة . والصُّنَابِحُى : نسبة إلى صُنَابح ، بطن من العرب ، « من مراد » .
[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٧ ، ولسان العرب ، مادة « صنبح »] .

(٧) « رضى الله عنه » عن « م » .

(٨) فى « م » : « والناس » .

(٩) فى « ط » : « حصيف العقدة » أى : جيد الرأى ، ومُحكَم العقل .. وبعيد الغُرَّة : كثير الخبرة . أو : سيد القوم وشريفهم .

(١٠) يَحْنَقُ : يغتاظ .

وَلَمَّا وَلَّى الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، بَعْدَ أَنِ اسْتَمْحَنَ [١] عَقْلَهُ وَعِلْمَهُ ، وَامْتَحَنَهُ بِمَسَائِلَ فَوَجَدَهُ فَوْقَ مَايُرِيدُ ، فَتَلَقَّاهُ وُجُوهُ الْبَصْرَةِ ، فَرَأَوْا شَابًّا صَبِيًّا مَابَقَلَتْ لِحْيَتُهُ [٢] ، فَتَعَجَّبُوا ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُقَلِّبُونَ الأَكُفَّ ، وَيَغْمِزُونَ الْحَوَاجِبَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : كَمْ سِنُّ الْقَاضِى ، أَصْلَحَهُ اللهُ ؟ قَالَ : مِثْلُ سِنِّ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ لَمَّا وَلَّاهُ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣] مَكَّةَ ، فَهَابُوهُ لِحِدَّةِ جَوَابِهِ ، وَعَرَفُوا فَضْلَهُ ، وَكَانَ لِعَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً لَمَّا وَلِىَ مَكَّةَ .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لا يَصْلُحُ أَنْ يَلِىَ أُمُورَ النَّاسِ [٤] إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، وَافِرُ الْعِلْمِ ، قَلِيلُ الْغِرَّةِ [٥] ، بَعِيدُ الْهِمَّةِ ، شَدِيدٌ فى غَيْرِ عُنْفٍ ، لَيِّنٌ فى غَيْرِ ضَعْفٍ ، جَوَادٌ فى غَيْرِ سَرَفٍ ، لا يَخَافُ فى اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ . وَقَالَ أَيْضًا : يَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ فى الْوَالِى مِنَ الشِّدَّةِ مَا يَكُونُ ضَرْبُ الرِّقَابِ عِنْدَهُ فى الْحَقِّ كَقَتْلِ عُصْفُورٍ ، وَيَكُونَ فِيهِ [٦] مِنَ الرِّقَّةِ وَالْحُنُوِّ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا يَجْزَعُ مِنْ قَتْلِ عُصْفُورٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

---

(١) استمحَن : استخبر واختبر .

(٢) ما بقلت لحيته : ما نبتت . وفى « م » : « ما فقلت » تحريف .

(٣) فى « ط » : « عليه السلام » .. وعتّاب هو : عَتّاب بن أسيد بن أبى العِيص بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمٰن ، صحابى ، أموى ، قرشى ، من أشراف العرب ، أسلم يوم فتح مكة ، واستعمله النبى ، صلى الله عليه وسلم عليها عند مخرجه إلى « حنين » سنة ٨ هـ . وأقره أبو بكر ، فاستمر فيها إلى أن مات ، يوم مات أبى بكر ، وفى المؤرخين من يذكر أنه عاش والياً على مكة إلى أواخر أيام عمر ، فتكون وفاته سنة ٢٣ هـ . وكان – رحمه الله – رجلًا خيِّرًا صالحاً ..

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٩ ، والمعارف ص ٧٣ و ٢٨٣] .

(٤) فى « م » : « يلى على أمور المسلمين » .

(٥) الغِرَّة : الغَفْلَة .

(٦) فى « م » : « ويكون عنده » .

وَيُرْوَى أَنَّ الرَّشِيدَ أَحْضَرَ رَجُلًا لِيُوَلِّيَهُ الْقَضَاءَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّى لا أُحْسِنُ الْقَضَاءَ ، وَلَا أَنَا فَقِيهٌ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ : لَكَ شَرَفٌ ، وَالشَّرَفُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَلَكَ حِلْمٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْجَلْ قَلَّ خَطَؤُهُ [١] ، وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فى أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ ، وَأَمَّا الْفِقْهُ فَنَضُمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ [٢] ، فَوَلِىَ ، فَمَا وَجَدُوا فِيهِ مَطْعَنًا .

وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : اسْتَحْضَرَنِى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ [٣] فَحَضَرْتُ ، فَسَاكَتَنِى [٤] فَسَكَتُّ ، فَلَمَّا أَطَلْتُ قَالَ : إِيهٍ [٥] . قُلْتُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُفَرِّضُ الْفَرَائِضَ [٦] . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفُ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَعْلَمُ . قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفُ [٧] مِنْ أَيَّامِ الْعَجَمِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَعْلَمُ . قَالَ : إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعِينَ بِكَ . قُلْتُ : إِنَّ فِيَّ ثَلَاثًا – أَصْلُحُ مَعَهُنَّ لِلْعَمَلِ . قَالَ : مَا [٨] هُنَّ ؟ قُلْتُ : أَنَا دَمِيمٌ كَمَا تَرَى ، وَأَنَا حَدِيدٌ ، وَأَنَا عَيٌّ [٩] .

---

(١) فى « م » : « قل خطؤه وكثر صوابه » وستأتى .. وسقط مابينهما .

(٢) فى « م » : « فَيُضَم إليكَ مَنْ تَفَقَّهُ به » .

(٣) هو : عمر بن هبيرة بن سعد بن عدىّ الفزارى ، أبو المثنى ، أمير ، من الدهاة الشجعان ، صحب عمرو بن معاوية العقيلى فى سيره لغزو الروم ، فأظهر بسالة ، وشارك فى مقتل مطرف بن المغيرة المناوئ للحَجَّاج الثقفى ، وأخذ رأسه ، وسيَّره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فَسُرَّ به عبد الملك .. وولَّاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة .. وفى خلافة يزيد بن عبد الملك ولَّاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته فى الكوفة ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ومات سنة ١١٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٠٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧١ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٨١ وغيرها من الصفحات] .

(٤) سَاكَتَنِى : طلب سكوتى .

(٥) إيه : اسم فعل بمعنى « حَسْبُكَ » .. ويكون أيضًا بمعنى الاستزادة .. والأول هو المراد هنا .

(٦) فى « م » : « قال : تعرف الفرائض ؟ » . وتُفَرِّض الفرائض ، بالتشديد ، أى : تستطيع أن تُبَيِّنَ ما فيها من الحلال والحرام والحدود .. وبالتخفيف : تلتزم بما فُرِضَ فيها .

(٧) فى « م » : « تعلم » .

(٨) فى « م » : « وما » .

(٩) حديد : حادّ سيىء الخُلُق .. والعَىُّ والعَيِىُّ : العاجز عن التعبير اللفظى بما يفيد المعنى المقصود .

قَالَ : أَمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّى لا أُرِيدُ أَنْ أُحَاسِنَ [1] بِكَ ، وَأَمَّا الْعَىُّ فَإِنِّى أَرَاكَ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِكَ ، وَأَمَّا سُوءُ الْخُلُقِ فَيُقَوِّمُكَ السَّوْطُ ، فَوَلَّانِى وَأَعْطَانِى أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا تَمَوَّلْتُهُ [2] . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ : مَا مُلَاقَاةُ لَبُوَةٍ [3] سُلِبَتْ أَشْبَالُهَا بِأَصْعَبَ مِنْ لِقَاءِ جَاهِلٍ رَاضٍ عَنْ نَفْسِهِ .

* * *

(١) فى « م » : « أحاشر » تحريف .
(٢) فى « م » : « أول مالٍ تموّلته » .
(٣) اللَّبُوَةُ ، بهمز وبغير همز : أنثى الأسد .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

فى بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ الَّتِى تُؤْخَذُ عَلَى الْعُمَّالِ

اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ – أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُوَلَّى عَلَى الأَعْمَالِ أَهْلُ الْحَزْمِ وَالْكِفَايَةِ (١) وَالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ ، وَتَكُونَ التَّوْلِيَةُ لِلْغَنَاءِ (٢) لا لِلْهَوَى . وَمَلاَكُ الْوِلَايَاتِ (٣) وَأَسَاسُهَا أَنْ لايُوَلَّى الأَعْمَالَ طَالِبٌ لَهَا ، وَلَا رَاغِبٌ فِيهَا (٤) . رَوَى الْبُخَارِيُّ فى صَحِيحِهِ عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِى رَجُلٌ ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ صَاحِبِى : يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَعْمِلْنِى ،فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّا لا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ (٥) مَا عَرَفْتُ الَّذِى فى نَفْسِهِ » .

وَقَدْ رُوِىَ عَنْ بُزُرْجَمِهْرَ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَابَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ (٦) صَارَ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : لأَنَّهُمْ قَلَّدُوا كِبَارَ الأَعْمَالِ صِغَارَ الرِّجَالِ . وَللهِ دَرُّ عَمْرِو بْنِ

---

(١) فى « م » : « والديانة » مكان « والكفاية » .
(٢) الغَناء : النفع والكفاية .
(٣) فى « م » : « ومَلاك السياسات » .. ومَلاك ، بفتح الميم وكسرها ، أى : قِوامُها وخلاصتها .
(٤) فى « م » : « راغب فيها ولا طالب لها » .
(٥) فى « م » : « والذى بعثك بالحق نبياً » .
(٦) فى « م » : « مُلك ساسان » .

الْعَاصِ [١] حَيْثُ قَالَ : مَوْتُ أَلْفٍ مِنَ الْعِلْيَةِ [٢] أَقَلُّ ضَرَرًا مِنَ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السِّفْلَةِ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ : غَضِبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لا أَمَاتَكَ اللهُ أَوْ يُبَلِّغَكَ دَوْلَةَ السِّفْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣] لِرَجُلٍ قَدْ آذَاهُ : « أَدْرَكَتْكَ إِمْرَةُ الصِّبْيَانِ » . وَقَالَ الْمُسْتَوْغِرُ الْأَكْبَرُ [٤] ، وَكَانَ قَدْ عُمِّرَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ :

وَمَا سَقَطَتْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أُمَّةٌ ... إِلَى الذُّلِّ إِلَّا أَنْ يَسُودَ ذَمِيمُهَا
إِذَا سَادَ فِينَا بَعْدَ ذُلٍّ لَئِيمُنَا ... تَصَدَّى لَنَا ذُلٌّ وَقُدَّ أَدِيمُهَا
وَمَا قَادَهَا لِلْخَيْرِ إِلَّا مُجَرَّبٌ ... عَلِيمٌ بِإِقْبَالِ الْأُمُورِ كَرِيمُهَا
وَمَا كُلُّ ذِى لُبٍّ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ ... وَلَكِنْ لِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ حَكِيمُهَا [٥]

وَاعْلَمُوا [٦] أَنَّ مُعْظَمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الدُّوَلِ مِنَ الْفَسَادِ مِنْ تَقْلِيدِ الْأَعْمَالِ أَهْلَ الْحِرْصِ عَلَيْهَا ، لأَنَّهُ لا يَخْطُبُهَا [٧] إِلَّا لِصٌّ فِى ثَوْبِ نَاسِكٍ ، وَذِئْبٌ فِى مِسْلَاخِ [٨] عَابِدٍ حَرِيصٍ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا ، نَابِذٍ لِدِينِهِ وَمُرُوءَتِهِ [٩] ، دَلِيلٍ عَلَى الْخِيَانَةِ ، يَتَّخِذُونَ عِبَادَ اللهِ خَوَلًا [١٠] وَأَمْوَالَهُمْ دُوَلًا [١١] . وَإِذَا اهْتُضِمَتْ حُقُوقُ الْمُسْلِمِينَ وَأُكِلَتْ

---

(١) فى « ط » : « العاصى » وكلاهما صواب .
(٢) فى « ط » : « العيلة » خطأ .
(٣) فى « م » : « عليه السلام » .
(٤) فى « م » : « المستعين » تحريف .. والمُستَوْغِر هو : عمرو بن ربيعة بن كعب التميمى السعدى ، أبو بَيْهَس ، شاعر ، من المعمرين الفرسان فى الجاهلية .. وقيل : أدرك الإسلام ، أو كاد يدرك أوله .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وأمالى المرتضى ج ١ ص ١٦٩ – ١٧١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥] .
(٥) فى « م » : « حليمها » .
(٦) فى « م » : « واعلم » .
(٧) لا يخطبها : لا يطلبها .
(٨) مسلاخ : جلد .
(٩) جاء فى « م » بعد هذا : « يبتغى عَرَض الحياة الدنيا ، وقد سبق المَثَل والحرص على الأمانة » .
(١٠) خولًا : عبيدًا وأتباعاً .
(١١) دُوَلًا : مُتَدَاوَلًا .

أَمْوَالُهُمْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَقَلَّتْ طَاعَاتُهُمْ [١] ،فَانْتَقَضَتِ الأُمُورُ ، وَدَبَّ الْفَسَادُ إِلَى الْمَمَالِكِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِى أَوَّلِ الْكِتَابِ الآثَارَ فِى كَرَاهِيَةِ الْوِلَايَاتِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا فُتِقَ [٢] عَلَىَّ قَطُّ فَتْقٌ فِى مَمْلَكَتِى إِلَّا وَجَدْتُ سَبَبَهُ جَوْرَ الْعُمَّالِ . فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلِكِ : ﴿ **اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٣] ، قُلْنَا : يُوسُفُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى ، وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ [٤] بِالْكِفَايَةِ وَالأَمَانَةِ بَيْنَ يَدَىْ مَنْ لا يَتَحَقَّقُ بَوَاطِنَ أَسْرَارِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ خَصَائِصَهُ [٥] وَفَضَائِلَهُ ، وَيَرَى الأُمُورَ وَالأَعْمَالَ وَالْوِلَايَاتِ فِى أَيْدِى مَنْ لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا ، وَيَجُوزُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمَ لِمَنْ حَصَلَ بَيْنَ يَدَىْ جَبَّارٍ لا يَعْلَمُ مَنْزِلَتَهُ وَلَا مَاعِنْدَهُ مِنَ الْخِصَالِ وَالْفَضَائِلِ أَنْ يَذْكُرَ بَعْضَ مَايَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ لِيُعْلِمَ قَدْرَهُ ، فَيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّهِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِىِّ : إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ فِى يَدِ مَنْ لا يَصْلُحُ لَهُ ، وَجَبَ أَنْ يَخْطُبَهُ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فَرْضًا عَلَيْهِ . وَفُقَهَاءُ الأَمْصَارِ عَلَى خِلَافِ هَذَا الرَّأْىِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُوحِىَ إِلَيْهِ بِمَا يَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَدْلِ وَنَشْرِ كَلِمَةِ الإِسْلَامِ ، فَلِهَذَا نَبَّهَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَمِنْ عَجِيبِ مَا يُرْوَى فِى هَذَا الْبَابِ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ حَبَشِيًّا غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ [٦] ، لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِى الْحَسْحَاسِ [٧] ، وَكَانَ جَلِيسًا لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّبُوَّةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ الَّذِى يَصْطَفِى لِنُبُوَّتِهِ مَنْ

---

(١) فى « م » : « طاعتهم » .

(٢) الفَتْق : الشقاق والخلاف بين الجماعة ، وتصدُّع الكلمة .

(٣) سورة يوسف – الآية ٥٥ .

(٤) فى « م » : « واثقاً من الله نفسه » .

(٥) فى « م » : « خصائله » .

(٦) مُصَفَّح القدمين : مستوى القدمين .

(٧) بنو الحسحاس : قومٌ من العرب – من الأزد . وفى « م » : « بنو الخشحاش » بالشين المعجمة . تحريف . [انظر لسان العرب ، مادة « حسس » ، وانظر لقمان الحكيم لعبد الله كنون ط دار المعارف ص ١٩] .

يَشَاءُ ، فَقَالَ لُقْمَانُ : يَا جِبْرِيلُ ، إِنْ أَمَرَنِى [١] رَبِّى فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ ، وَإِنْ خَيَّرَنِى اخْتَرْتُ الْحِكْمَةَ ، فَرَضِىَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ [٢] الْحِكْمَةَ ، وَصَرَفَ عَنْهُ الرِّسَالَةَ [٣] إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ دَاوُدُ يَقُولُ : طُوبَى لَكَ يَا لُقْمَانُ ، أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَأُوتِىَ دَاوُدُ الْبَلِيَّةَ . وَرُوِىَ أَنَّهُ جَالَسَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَاوُدُ يَعْمَلُ الدُّرُوعَ [٤] ، فَأَقَامَ حَوْلًا يُبْصِرُ صَنْعَةَ الدِّرْعِ وَلَا يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَلَا يَسْأَلُ [٥] عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَمَّ حَوْلٌ [٦] لَبِسَ دَاوُدُ الدِّرْعَ وَقَالَ : دِرْعٌ حَصِينَةٌ لِيَوْمِ حَرْبٍ ! فَقَالَ لُقْمَانُ : الصَّمْتُ حِكْمَةٌ [٧] وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، إِذَا بَعَثَ عَامِلًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِ [٨] أَنْ لا يَرْكَبَ الْبَرَاذِينَ ، وَلَا يَلْبَسَ الرَّقِيقَ ، وَلَا يَأْكُلَ النَّقِىَّ ، وَلَا يَتَّخِذَ حَاجِبًا ، وَلَا يُغْلِقَ بَابًا عَنْ حَوَائِجِ النَّاسِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِنِّى [٩] لاأَسْتَعْمِلُكَ عَلَى أَبْشَارِهِمْ [١٠] وَلَا أَعْرَاضِهِمْ وَلَا أَعْمَالِهِمْ [١١] ، وَإِنَّمَا أَسْتَعْمِلُكَ لِتُصَلِّىَ بِهِمْ ، وَتَقْضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

---

(١) فى « م » : « جبرنى » .

(٢) فى « م » : « وأعطاه » .

(٣) فى « م » : « وصرف الرسالة » .

(٤) فى « م » : « أنه كان جالساً عند داود ، وداود يعمل الدِّرْع » والدِّرْعُ ، يُذَكَّر ويُؤنث ، وهو : قميص من حلقات من الحديد متشابكة ، يُلْبَسُ وقاية من السلاح ، وجمْعُه : أَدْرَاع أو أَدْرُع ، ودُروع .

(٥) فى « م » : « ولا يسأله » .

(٦) حَوْل : سَنة .. وفى « م » : « حولاً » بالنصب .. لا تصح .

(٧) فى « م » : « حكم » تحريف .

(٨) فى « م » : « اشترط عليه أربعة : لا يركب .. » وما هنا أكثر من أربعة شروط .

(٩) فى « م » : « ويقول : إنى » .

(١٠) أبشارهم ، أى : ظاهر جلودهم .. وفى الحديث : « لم أبعث عُمَّالى ليضربوا أبشاركم » جمع بَشَرَة .

(١١) قوله : « ولا أعمالهم » عن « ط » .

وَرَوَى عَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ (١) قَالَ : بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (٢) أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ اتَّخَذَ قَصْرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بَابًا وَقَالَ : انْقَطَعَ الصُّوَيْتُ (٣) ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ (٤) ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُؤْتَى بِالأَمْرِ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بَعَثَهُ ، فَقَالَ لَهُ (٥) : ائْتِ سَعْدًا فَأَحْرِقْ عَلَيْهِ بَابَهُ . فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ أَخْرَجَ زَنْدَهُ ، وَاسْتَوْرَى (٦) نَارًا ، ثُمَّ أَحْرَقَ الْبَابَ ، فَأُتِيَ سَعْدًا الْخَبَرُ ، وَوُصِفَ لَهُ بِصِفَتِهِ فَعَرَفَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قُلْتَ : انْقَطَعَ الصُّوَيْتُ (٧) ، فَحَلَفَ سَعْدٌ بِاللهِ مَاقَالَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : نَفْعَلُ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ (٨) وَنُؤَدِّي عَنْكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَطْنِ الْبَرِّيَّةِ أَصَابَهُ مِنَ الْخَمْصِ (٩) وَالْجُوعِ مَا اللهُ بِهِ أَعْلَمُ ، فَأَبْصَرَ غَنَمًا ، فَأَرْسَلَ غُلَامَهُ بِعِمَامَتِهِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَابْتَعْ مِنْهُمْ شَاةً ، فَجَاءَ الْغُلَامُ بِالشَّاةِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَرَادَ (١٠) ذَبْحَهَا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ

---

(١) فى « م » : « عباية » . تحريف . وهو عباية بن رفاعة بن خديج ، أبو رفاعة الأنصاريّ الحارثى .. من رواة الحديث الثقات .

[انظر رجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٩٤ ، ولسان العرب ، مادة « عبا »] .

(٢) قوله : « قال : بلغ عمر بن الخطاب » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٣) فى « م » : « التصويت » .. والصُّوَيت : الكثير التصويت .

(٤) هو : محمد بن مَسْلَمة بن خالد بن عدى ، الأوسى الأنصارى ، الحارثى ، أبو عبد الرحمن ، صحابى ، من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها ، إلّا غزوة تبوك ، واستخلفه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، على المدينة فى بعض غزواته ، وولّاه عمر على صدقات جهينة .. واعتزل الفتنة فى أيام علىٍّ ، فلم يشهد الجمل ولا صفّين ، وكان عند عمر مُعَدًّا لكشف أمور الولاة فى البلاد .. وتوفى بالمدينة ، واختلف فى تاريخ وفاته مابين سنة ٤٣ هـ إلى ٤٧ هـ وقيل . كان عمره سبعاً وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٢ ، ١١٣ ، والمعارف ص ٢٦٩] .

(٥) « له » عن « ط » .

(٦) فى « م » : « أخرج زندًا فاستورَى » . والزَّنْدُ : العود الأعلى الذى تُقدح به النار . واستورَى : أخرج ناره .

(٧) فى « م » : « التصويت » .

(٨) فى « م » : « أمَرنا به عُمر » .

(٩) الخَمْصُ : الجوع .

(١٠) فى « م » : « فلما أراد » .

كُفَّ (١) ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ : أُنْظُرْ ، فَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوكَةً مُسِيمَتُها (٢) فارْدُدِ الشَّاةَ وَخُذِ الْعِمَامَةَ ، وَإِنْ كَانَتْ (٣) حُرَّةً فَاذْبَحِ (٤) الشَّاةَ . فَذَهَبَ ، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ ، فَرَدَّ الشَّاةَ وَأَخَذَ الْعِمَامَةَ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ (٥) نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ (٦) لا يَمُرُّ بِبَقْلَةٍ إِلَّا خَطِفَهَا ، حَتَّى آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى قَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِخُبْزٍ وَلَبَنٍ وَقَالُوا : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا أَتَيْنَاكَ بِهِ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللهِ ، كُلُّ حَلَالٍ أَذْهَبَ السَّغَبَ (٧) خَيْرٌ مِنْ مَأْكَلِ السُّوءِ ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ بِأَهْلِهِ ، فَابْتَرَدَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ رَاحَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ عُمَرُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ : لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ مَارَأَيْنَا أَنَّكَ أَدَّيْتَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَسْرَعَ السَّيْرَ (٨) ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَهُوَ يَعْتَذِرُ وَيَحْلِفُ بِاللهِ مَا قَالَ (٩) . فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ آمُرُ لَكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ (١٠) مَكَانًا أَنْ تَأْمُرَ (١١) لِي . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَرْضَ الْعِرَاقِ (١٢) أَرْضٌ رَفِيقَةٌ ، وَإِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَمُوتُونَ حَوْلِي مِنَ الْجُوعِ ، فَخَشِيتُ أَنْ آمُرَ لَكَ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكَ بَارِدُهُ وَلِيَ الْحَارُّ .

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هَنِيًّا ، عَلَى الْحِمَى ، فَقَالَ : يَا هَنِيُّ ، اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ (١٣) ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ

---

(١) فى « م » : « أنْ يَكُفَّ » .
(٢) أى : « راعيتُها » . وفى « م » : « مُسيمها » .
(٣) فى « م » : « كان » .
(٤) فى « م » : « فارْدُد » لا تصح معنًى .
(٥) فى « م » : « وأخذ » .. والخِطَام : الزمام .
(٦) فى « م » : « وجعل » .
(٧) السَّغَب : الجوع » .
(٨) فى « م » : « المسير » .
(٩) فى « م » : « وهو يحذر بالله ويحلف ما قاله » .
(١٠) فى « م » : « قال : قد رأيتُ » .
(١١) فى « م » : « يأمر » .
(١٢) فى « م » : « إن العراق » .
(١٣) اضمم جناحك عن المسلمين ، أى : أَلِنْ جانبك لهم .

الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَأَدْخِلْ رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَالْغُنَيْمَةِ (١) ، وَإِيَّاكَ وَنَعَمَ (٢) ابْنِ عَوْفٍ ، وَنَعَمَ ابْنِ عَفَّانَ (٣) فَإِنَّهُمَا أَنْ تَهْلِكَ مَاشِيَتُهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى زَرْعٍ وَنَخْلٍ ، وَإِنَّ رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَالْغُنَيْمَةِ (٤) أَنْ تَهْلِكَ مَاشِيَتُهُمَا يَأْتِينِي بِبَنِيهِ فَيَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَتَارِكُهُمْ (٥) أَنَا لا أَبَا لَكَ ؟ فَالْمَاءُ (٦) وَالْكَلَأُ أَيْسَرُ عَلَيَّ مِنَ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ (٧) ، وَايْمُ اللهِ ، إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُهُمْ ، إِنَّهَا لَتِلَادُهُمْ (٨) قَاتَلُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَسْلَمُوا عَلَيْهَا فِي الإِسْلَامِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا الْمَالُ الَّذِي أَحْمِلُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا حَمَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ شِبْرًا (٩) . وَمَرَّ يَوْمًا بِبِنَاءٍ يُبْنَى بِحِجَارَةٍ وَجِصٍّ (١٠) فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ (١١) لِعَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ : أَبَتِ الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ (١٢) أَعْنَاقَهَا ، وَقَاسَمَهُ مَالَهُ . وَكَانَ يَقُولُ : عَلَى كُلِّ خَائِنٍ أَمِينَانِ : الْمَاءُ وَالطِّينُ .

وَكَانَ أَنُوشِرْوَانُ يَكْتُبُ عَلَى عَهْدِ الْعُمَّالِ : سُسْ خِيَارَ النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ ، وَامْزُجْ لِلْعَامَّةِ الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ، وَسُسْ سِفْلَةَ (١٣) النَّاسِ بِالإِخَافَةِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ،

---

(١) يعنى : فى الحِمَى والمَرْعَى ، يريد صاحب الإبل القليلة ، والغنم القليلة .

(٢) فى « م » : « وإياى » تحريف .. والنَّعَم : الإبل ، وجمعه : أنعام ونُعمان .. وهو جمع لا واحد له من لفظه .. وابن عوف هو : عبد الرحمن بن عوف .

(٣) فى « م » : « عنان » بالنون ، تحريف .. وهو عثمان بن عفان .

(٤) فى « م » : « وربُّ الغُنَيْمَة والصُّرَيمة » .

(٥) فى « م » : « أفأتركهم » .

(٦) فى « م » : « فالملأ » تحريف .

(٧) فى « م » : « أيسر من النهب والرزق » ، والأخيرة تحريف .. والوَرِق : الفضة .

(٨) لتلادهم ، أى : أموالهم الأصلية القديمة .. وفى « م » : « لبلادهم » .

(٩) فى « م » : « شيئًا » .. وما حميتُ عليهم من بلادهم ، أى : ما جعلتها حِمًى لا يُقرَب .

(١٠) الجِصّ ، بفتح الجيم وكسرها : من مواد البناء ، لفظة معربة .
[انظر الصحاح والقاموس] .

(١١) فى « م » : « فذكروا أنه » .

(١٢) فى « م » : « أن لا تخرج » .

(١٣) فى « م » : « سفل » .

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : كَمَا يَصْلُحُ الْمِهْمَزُ لِلْفَرَسِ ، وَالرَّسَنُ [١] لِلْحِمَارِ ، كَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لِظَهْرِ الْجُهَّالِ [٢] . وَفِي الأَمْثَالِ : مَنْ لَمْ يَصْلُحْ بِاللِّينِ أُصْلِحَ بِالتَّلْيِينِ . وَقَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَافَ [٣] : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِقْدَادَ [٤] عَلَى سَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ رَأَيْتَ الإِمَارَةَ أَبَا مَعْبَدٍ [٥] ؟ قَالَ : خَرَجْتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا أَرَى لِي فَضْلًا عَلَى الْقَوْمِ [٦] فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكَأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِي . قَالَ : وَكَذَلِكَ الإِمَارَةُ أَبَا مَعْبَدٍ ، إِلَّا مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّهَا . قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ [٧] لا أَعْمَلُ عَلَى عَمَلٍ أَبَدًا » .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَايَمْنَعُكَ أَنْ تُفْشِيَ الْعَمَلَ [٨] فِي الأَفَاضِلِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ [٩] : هُمْ أَجَلُّ مِنْ أَنْ

---

(١) المِهْمَز : ما يُهْمَزُ به .. ويطلق أيضًا على الحديدة التي في مؤخر حذاء الفارس .. وفي « م » : « المَهْر » .. والرَّسَنُ : ماكان من الأزِمَّةِ على الأنف .

(٢) في « م » : « وكذلك يصلح القضيب لظهر الرجال » والقضيب : العصا تُتَّخَذُ من الغصن المقطوع .

(٣) في « م » و « ط » : « هلال بن سياف » والصواب ما أثبتاه ، وهو : هلال بن يَسَاف - أو إساف - الأشجعي ، الكوفي ، وكنيته : أبو الحسن ، تابعي ، من رواة الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، روى عن أبي يحيى ، وسويد بن مقرن ، وفروة بن نوفل ، ورَوَى عنه منصور بن المعتمر ، وحصين بن عَبْدَة .

- [انظر رجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٥ ، والمغني في ضبط أسماء الرجال ص ٢٧٦ ، وعيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣١] .

(٤) هو : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، ويُعرف بابن الأسود ، وكنيته : أبو معبد .. صحابي من الأبطال ، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول مَنْ أظهروا الإسلام بمكة ، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله ، شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومناقبه كثيرة .. توفي سنة ٣٣ هـ - وقيل سنة ٣٠ هـ - ودُفن بالمدينة وهو ابن سبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٨٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٥١ - ٢٥٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٦ ، والجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، والمعارف ص ٢٦٢] .

(٥) في « ط » : « أبا مغيرة » في الموضعين ، خطأً ، وكنيته : أبو معبد - كما تقدم في ترجمته في الهامش السابق .

(٦) في « ط » : « وما أدرى أن لي فضلًا على أحدٍ من القوم » .

(٧) في « م » : « بعثك بالحق نبيًّا » .

(٨) تُفشي العمل : تُكثره وتنشره .

(٩) في « م » : « قال » .

أُدَنِّسَهُمْ بِالْعَمَلِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ [١] : كَانَ عُمَرُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْوَفْدُ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ ، وَعَمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَعَنْ أَمِيرِهِمْ : هَلْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الضَّعِيفُ ؟ وَهَلْ يَعُودُ الْمَرِيضَ ؟ فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ،حَمِدَ اللهَ تَعَالَى ، وَإِنْ قَالُوا : لَا ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبِلْ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا وَلَّى الْعُمَّالَ الظَّالِمِينَ ، مَثَلُ مَنْ يَسْتَرْعِي غَنَمَهُ الذِّئَابَ ، وَمَثَلُ مَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ . وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَتَشْتُمُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، وَالْخَاصَّةَ تَلُومُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، لِأَنَّهُ اسْتَرْعَاهُ [٢] الرَّعِيَّةَ . وَقَدْ قِيلَ :

وَمَنْ يَرْبِطِ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ ... فَعَقْرُ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ رَابِطِ الْكَلْبِ

وَكَانَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ لَمَّا وَلِيَ فَارِسَ مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ يَكْتُبُ عَهْدَ الْعُمَّالِ فَيَقْرَؤُهُ عَلَى مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَيَقُولُ : أَنْتُمْ عُيُونِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْفُوهُ مِنْهُ ، وَمَنْ تَظَلَّمَ إِلَيَّ مِنْهُ فَعَلَيَّ إِنْصَافُهُ وَنَفَقَتُهُ جَائِيًا وَرَاجِعًا ، وَيَأْمُرُ الْعُمَّالَ أَنْ يَقْرَءُوا [٣] عَهْدَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَيَقُولُ [٤] لَهُمْ : هَلِ اسْتَوْفَيْتُمْ ؟!

* * *

(١) فى « م » : « أبو هريرة » .. وقد رواه إبراهيم النَّخَعِىُّ عن الأسود بن يزيد فى تاريخ الطبرى ، الجزء الرابع ص ٢٢٦ .. وإبراهيم النخعى هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى الكوفىّ ، أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية ، وحفظًا للحديث ، روَى عن علقمة بن قيس ، وعبيدة السلمانى ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وغيرهم .. وتوفى – رحمه الله – سنة ٩٦ هـ متخفيًا من الحجاج ، وفى تاريخ وفاته اختلاف .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ١ ص ٨٠ ، وطبقَات ابن سعد ج ٦ ص ٢٧٠ – ٢٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٠ – ٥٢٩ ، والمعارف ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٦٠ ، ٦١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٣] .

(٢) فى « م » : « ولأنه الذى استرعاه » . واسترعاه : ولّاه أمر الرعية .

(٣) فى « م » : « ويأمرُ العاملَ أن يقرأ » .

(٤) فى « م » : « وأن يقول » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِى هَدَايَا الْعُمَّالِ وَالرِّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ

رَوَى [1] أَبُو دَاوُدَ فى السُّنَنِ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ شَفَعَ لأَخِيهِ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا » [2] . وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ [3] مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ ، أَوِ الْيَدِ الْقَاهِرَةِ ، صَارَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْكَ .

وَرَوَى الْبُخَارِىُّ فى صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اسْتَعْمَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ » [4] ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِى .. فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ [5] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « مَا بَالُ الرَّجُلِ [6] نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذا لى [7] ، أَفَلا قَعَدَ فى بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ ؟! » [8] .

---

(١) فى « م » : « وروى » .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب البيوع ، باب فى الهدية لقضاء الحاجة ج ٣ ص ٢٩٠ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٣) فى « ط » : « حاجة » .

(٤) هو : عبد الله بن اللُّتْبِيَّة الأَزْدِىُّ ، استعمله النبى ، صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى سليم .
[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وكتاب الخراج لأبى يوسف ص ٨٨] .

(٥) فى « ط » : « قال : فغضب النبىُّ .. » .

(٦) فى البخارى : « فما بالُ العامِلِ » وفى مسلم : « ما بال عاملٍ ... » .

(٧) فى البخارى : « هذا من عَمَلِكم وهذا أُهدِى لى .. » وفى مسلم : « هذا لكم وهذا أُهدِى لى » .

(٨) فى البخارى : « هل يُهدَى له أم لا » .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يُشَاطِرُ الْعُمَّالَ ، فَيَأْخُذُ نِصْفَ أَمْوَالِهِمْ ، وَشَاطَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : دَوَابُّ تَنَاتَجَتْ ، وَتِجارَاتٌ تَدَاوَلَتْ . فَقَالَ أَدِّ الشَّطْرَ . وَإِنَّمَا شَاطَرَهُمْ حِينَ ظَهَرَتْ لَهُمْ (١) أَمْوَالٌ بَعْدَ الْوِلَايَةِ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لَهُمْ .

وَرَوَى مَالِكٌ (٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ اشْتَرَى هُوَ وَعُبَيْدُ اللهِ (٣) أَخُوهُ إِبِلًا ، فَبَعَثَا بِهَا إِلَى الْحِمَى ، فَرَعَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ : رَعَيْتُمَا (٤) فِي الْحِمَى ؟ فَشَاطَرَهُمَا . وَشَاطَرَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ . كَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ مَا أَصَابَ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ رِشْوَةٍ - وَإِنْ كَانَ حَلَالًا - فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ، لأَنَّ لَهُ بِالْإِمْرَةِ قُوَّةً عَلَى أَنْ يَنَالَ مِنَ الْحَلَالِ مَالًا يَنَالُهُ غَيْرُهُ ، فَجَعَلَهُ كَالْمُضَارِبِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا دَفَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مَالًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِعَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ ابْنَيْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْبَصْرَةِ ، اشْتَرَيَا مِنْهُ بِضَاعَةً فَرَبِحَتْ (٥) بِالْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَأْخُذَ (٦) جَمِيعَ الرِّبْحِ ، فَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللهِ ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِنِصْفِ الرِّبْحِ ، فَأَخَذَا جَمِيعًا نِصْفَ الرِّبْحِ ، وَأَخَذَ عُمَرُ النِّصْفَ لِبَيْتِ الْمَالِ .

= [انظر الحديث فى صحيح البخارى ، فى كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبى ، صلى الله عليه وسلم ، المجلد الثالث ج ٨ ص ١٦٢ ط دار الشعب ، وج ١١ ص ٥٢٤ من فتح البارى ط دار المعرفة .. وصحيح مسلم باب تحريم هدايا العمال ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢٢٢ ، وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٢ باب فى العامل إذا أصاب شيئًا من عمله] .

(١) « لهم » عن « ط » .

(٢) فى « م » : « مالك عن أبيه عن ابن عمر » .. وهو الإمام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى ، وقد مر التعريف به .

(٣) فى « م » : « عبد الله » تحريف .. وهو عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، والقرشى ، أخو عبد الله بن عمر لأمه ، صحابى من أنجاد قريش وفرسانهم ، ولد فى عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأسلم بعد أبيه ، ثم سكن المدينة ، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد ، ورحل إلى الشام فى أيام علىٍّ ، وشهد « صفين » مع معاوية ، وقُتل فيها سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٢٧ - ٥٢٩] .

(٤) فى « م » : « رعيتها » على الإفراد .

(٥) فى « م » : « خرجت » .

(٦) فى « م » : « يأخذها » .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَّالِهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمَنْعِهِمُ الْحَقَّ حَتَّى يُشْتَرَى ، وَبَسْطِهِمُ الْبَاطِلَ حَتَّى يُقْتَدَى (١) .. الْمُلْكُ بِالدِّينِ يَقْوَى ، وَالدِّينُ بِالْمَلَكِ يَبْقَى . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ إِذَا قَدِمَ (٢) عَلَيْهِ الْعُمَّالُ أَنْ يَدْخُلُوا نَهَارًا وَلَا يَدْخُلُوا لَيْلًا ، كَيْلَا يَحْتَجِبُوا (٣) شَيْئًا مِنَ الأَمْوَالِ .

وَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ : وَاللهِ مَا أَصَبْتُ فِى عَمَلِى الَّذِى وَلَّانِى النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا ثَوْبَيْنِ مُعَقَّدَيْنِ (٤) كَسَوْتُهُمَا مَوْلَاىَ كَيْسَانَ . وَرُوِىَ أَنَّ عَلِيًّا ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ أَبَا مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىَّ عَلَى السَّوَادِ (٥) ، فَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَقَدِ امْتَلَأَتْ ، فَقَالَ مَاهَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا: كَذَلِكَ يَصْنَعُونَ بِالرَّجُلِ إِذَا اسْتُعْمِلَ . قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا فِى أَمَانَتِى ! وَيُرْوَى : فِى إِمَارَتِى . فَرَجَعَ إِلَى عَلِىٍّ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٦) وَقَالَ : لا حَاجَةَ لِى فِى الْعَمَلِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ ابْنَ سَمُرَةَ (٧) لِيَسْتَعْمِلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ اخْتَرْ لِى . قَالَ : اقْعُدْ فِى بَيْتِكَ .. وَفِى الأَمْثَالِ : إِنَّ الْهَدِيَّةَ تُعْمِى وَتُصِمُّ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الرِّشْوَةُ رِشَاءُ الْحَاجَةِ (٨) . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا أَتَتِ الْهَدِيَّةُ دَارَ قَوْمٍ ... تَطَايَرَتِ الأَمَانَةُ مِنْ كُوَاهَا (٩)

---

(١) فى « ط » : « يُقتدى » بالفاء الموحدة .
(٢) فى « م » : « قدموا » .
(٣) فى « م » : « كى يحتجنوا » بالنون ، أى : يقتطعوا .
(٤) فى « م » : « مقعدين » تحريف .. والمُعَقَّدُ : ضَرْبٌ من بُرْد « هَجَر » .
(٥) السواد : ما حول الكوفة من القُرى .. أمّا أبو مسعود الأنصارى فهو : عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى ، البدرى ، وكنيته أبو مسعود ، وهو مشهور بها ، شهد العقبة وأُحُدًا وما بعدها ، ولم يشهد بدرًا ، وإنما سكن بها ، ونزل الكوفة ، وكان من أصحاب علىٍّ ، فاستخلفه عليها لمّا سار إلى « صفّين » . وتوفى سنة ٤٠ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٧ ، وانظر معجم البلدان ، مادة « سور »] .
(٦) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٧) هو الصحابى عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب القُرَشىّ ، وقد مَرَّ التعريف به .
(٨) الرشاء : الحبل .. والمراد هنا : الوُصْلَةُ التى يُتوصل بها إلى قضاء الحاجة بالمصانعة .
(٩) البيت من الوافر .. وكواها : نوافذها ، جمع كُوَّة .

وَلِبَعْضِهِمْ :

إِنَّ الْهَدِيَّـــةَ حُلْـــوَةٌ كَالسِّحْرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا (١)
تُدْنِى الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيبَـــا (٢)
وَتَرُدُّ مُضْطَغِـــنَ الْعَـــدَا وَةِ بَعْدَ جَفْوَتِهِ حَبِيبَا (٣)

وَمِمَّا قُلْتُهُ فِى الرَّشْوَةِ :

وَأَكْرَمُ مَنْ يَدُقُّ الْبَابَ شَخْصٌ ثَقِيلُ الْحَمْلِ مَشْغُولُ الْيَدَيْنِ
يَنُوءُ إِذَا مَشَى نَفَسًا وَنَفْخًا وَيَنْطَـحُ بَابَهُ بِالرُّكْبَتَيْـــنِ
وَأَكْرَمُ شَافِعٍ يَمْشِى عَلَيْهَا أَبُو الْمَنْقُوشِ فَوْقَ الصَّفْحَتَيْنِ (٤)

وَقُلْتُ (٥) أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِى حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمُ (٦)
فَأَرْسِلْ بِأَكْمَهَ خَلَّابَـــةٍ بِهِ صَمَمٌ أَغْطَشُ أَبْكَمُ (٧)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى قَاضِيهِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، وَقَدِ ارْتَشَى بِكَرْمَةٍ (٨) :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابِ بَيْتٍ تَقَحَّمَتْ لِتَسْكُنَ فِيهِ وَالأَمَانَةُ فِيهِ (٩)
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ (١٠)

* * *

(١) الأبيات من مجزوء الكامل المرفل ، وتجتلب : تجتذب .
(٢) فى عيون الأخبار : « تدنى البغيض » .
[انظر ج ٢ ص ٤٢ ط دار الكتب العلمية] .
(٣) فى المصدر السابق : « نُفْرَتِهِ » مكان « جَفْوَته » . والمُضْطَغِن : المنطوى على الحقد .
(٤) هذا البيت عن « ط » ولم يرد فى « م » .. وأبو المنقوش كناية عن الدرهم والدينار .
(٥) فى « م » : « وقال » .
(٦) الأبيات من المتقارب ، ومُغْرم : مولع وحريص .
(٧) الأكْمَه : الأعمى . والخَلَّابة : الذى يسلب العقل بلطف حديثه .. والأغطش : المُتغافِل المُتعامِى .
(٨) الكَرْمَة : حديقة العنب .
(٩) البيتان من الطويل ، وتقحَّمَتْ : دخَلَتْ بعد رَوِيَّة .
(١٠) هَرَبًا منه ، أى : من البيت الذى دخلته الرشوة .. وفى « م » : « هربًا منها » أى : من الرشوة .

الْبَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِى مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ

اعْلَمُوا ، أَرْشَدَكُمُ اللهُ [تَعَالَى] (١) أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِمَّا غَلِطَ الْخَلْقُ فِيهِ ، وَقَلَبُوا الْقَوْسَ رَكْوَةً (٢) ، فَعَمَدُوا إِلَى أَخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَخَلَائِقِ الْغَوْغَاءِ وَالْأَدْنِيَاءِ (٣) ، وَمَا يَجْرِى بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوْا وَتَعَاشَرُوا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِى مَدْحِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَتَعَاطِيهِمُ الْكَذِبَ وَالتَّصَنُّعَ وَالْمَلَقَ وَالْمُرَاءَاةَ وَالْمَعَارِيضَ (٤) عَنِ الْأُمُورِ الْمَكْنُونَةِ الَّتِى يَسُوءُ إِظْهَارُهَا ، وَالِانْخِرَاطُ فِى سِلْكِ الْمُزَاحِ وَالْمُهَاتَرَةِ (٥) ، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ عِنْدَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا نَقِيضُ مَانَصَّ اللهُ عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَحْتَوِ (٦) الْأَرْضُ عَلَى بَشَرٍ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ مُحَمَّدٍ ،

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٢) أصل الرَّكْوَة : الدلو الصغيرة .. وقلبوا القوس ركوة : مَثَل يُضْرَبُ فى الإِدْبَار وانقلاب الأمور .
[انظر لسان العرب – مادة : ركو] .

(٣) فى « م » : « والدُّنَآء » وهى بمعناها ، فكلاهما جمع دنىء ، بمعنى خسيس ودون .

(٤) المراءاةُ : أن يُظهر الإنسان أنه متصف بالخير والصلاح ، على خلاف ما هو عليه . والمعاريض : جمع مِعْراض ، وأصله التورية والستر .. وفى الحديث : « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » .

(٥) المُزاح : المداعبة .. والمهاترة : القول الذى ينقض بعضُه .. بعضًا .

(٦) فى « م » : « لا تحتوى » .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُلُّ مَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (١) أَوْ قَارَبَهَا ، أَوْ بَعْضِهَا (٢) كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، وَكُلُّ خُلُقٍ لَيْسَ يُعَدُّ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ فِى هَذَا الْبَابِ لِمَنْ عَقَلَ ، وَإِنَّمَا أُوتِىَ النَّاسُ فِى هَذَا الْبَابِ لأَنَّهُمُ اسْتَحْسَنُوا الأَخْلَاقَ الْعَامِّيَّةَ ، وَاسْتَخْشَنُوا الأَخْلَاقَ النَّبَوِيَّةَ ، لِجَهْلِهِمْ بِأَخْلَاقِ الْمُصْطَفَى ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالأَوْلِيَاءِ وَالأَصْفِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَا نَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِهِ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَصَفِيِّهِ مُحَمَّدٍ (٣) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (٤) . فَخَصَّ اللهُ نَبِيَّهُ مِنْ كَرِيمِ الطِّبَاعِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ ، مِنَ الْحَيَاءِ (٥) وَالْكَرَمِ ، وَالصَّفْحِ (٦) وَحُسْنِ الْعَهْدِ بِمَا لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ ، ثُمَّ مَا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِشَىْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ بِمِثْلِ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ . وَعَنْ هَذَا قَالَ الشُّيُوخُ : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ دَعَا الْخَلْقَ إِلَى حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَدَعَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ (٧) بْنُ عُمَيْرٍ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ [رَضِىَ اللهُ عَنْهَا] (٨) : صِفِى لِى خُلُقَ (٩) رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لِى : أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ كَانَ

---

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .
(٢) بفتح الضاد المعجمة على المفعولية ، أى : قاربَ بعضَها .. وبكسرها على تقدير حرف الجر المتقدم ، أى : « أو تخلّق ببعضها » .
(٣) « محمد » عن « ط » .
(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .
(٥) فى « م » : « الحفا » تحريف .
(٦) فى « م » : « والصّفح عن الجانى » .
(٧) فى « م » : « عبد الله » تحريف .. وهو : عبيد الله بن عمير – أبو عبيد بن عمير – بن قتادة ، أبو عاصم الليثى المكّى ، وهو ممن سمع عائشة وأبا موسى .. وقد مر التعريف به .
(٨) ما بين المعقوفتين عن « م » .
(٩) فى « م » : « أخلاق » .

خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . وَحَسْبُكَ بِهَذَا الْقَوْلِ مَنْقَبَةً لِلرَّسُولِ [١] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْرِيفًا لَكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِذَا كَانَ خُلُقُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْقُرْآنَ ، فَالْقُرْآنُ يَجْمَعُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَيَحُثُّ عَلَيْهَا ، وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ نَقِيصَةٍ وَرَذِيلَةٍ ، وَيُوَضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا ، وَلِذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [٢] قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ كَمَا تَرَى . فَانْظُرْ أَيْنَ أَخْلَاقُ الْعَامَّةِ مِنْ هَذَا النَّمَطِ ؟ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَقْطَعُ مَنْ وَصَلَهُ ، وَيَحْرِمُ مَنْ أَعْطَاهُ ، وَيَظْلِمُ مَنْ سَالَمَهُ ، وَيَغْضَبُ عَلَى مَنِ اتَّهَمَهُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، لِأَنَّهَا أُصُولُ الْفَضَائِلِ ، وَيَنْبُوعُ الْمَنَاقِبِ ، لِأَنَّ فِي أَخْذِ الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِ ، وَالصَّفْحَ عَنِ الظَّالِمِ ، وَإِعْطَاءَ الْمَانِعِ ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ تَقْوَى اللهِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ ، وَصَوْنَ اللِّسَانِ ، وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَفِي تَقْوَى اللهِ يَدْخُلُ جَمِيعُ آدَابِ الشَّرْعِ ، فَرْضُهَا وَنَفْلُهَا ، وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّفْحَ وَالْحِلْمَ ، وَفُتُوَّةَ النَّفْسِ عَنْ مُمَارَاةِ السَّفِيهِ وَمُجَارَاةِ اللَّحُوحِ [٣] ، فَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثُ تَتَضَمَّنُ مَحَاسِنَ الشَّرْعِ نَصًّا وَتَنْبِيهًا ، وَضِمْنًا [٤] وَاعْتِبَارًا .

وَرَوَى أَنَسٌ : « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ [٥] الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ [٦] الْأَخْلَاقِ » . اقْتَضَى الْحَدِيثُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَبْعُوثٍ إِلَى أُمَّةٍ إِنَّمَا بُعِثَ

---

(١) فى « م » : « منقبة للرسول عليه السلام » والمنقَبة : المفْخَرة والفعل الكريم .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) فُتوة النفس : غلبتها .. وفى « م » : « عن مجاراة اللحوح ومماراة السفيه » .. والمماراة : المسايرة .

(٤) فى « م » : « وتنبيهًا واعتبارًا » .

(٥) فى « م » : « أنى » مكان « أى » تحريف .

(٦) فى « م » : « محاسن » . والأول أشهر .

لِيُعَلِّمَ الْخَلْقَ حُسْنَ الْخُلُقِ ، وَأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا (١) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بُعِثَ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ (٢) الأَخْلَاقِ ، فَإِذَنْ حُسْنُ الْخُلُقِ (٣) امْتِثَالُ الشَّرَائِعِ بِأَسْرِهَا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، قَالَ : « وَإِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَكَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَجَبَذَهُ (٥) أَعْرَابِيٌّ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى أَثَّرَتْ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ فِى عُنُقِهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرْ لِى مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِى آتَاكَ ، فَلَسْتَ تَأْمُرُ لِى بِمَالِكَ وَلَا بِمَالِ أَبِيكَ (٦) ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) وَقَالَ : مُرُوا لَهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ بِشَىْءٍ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ (٨) : حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ (٩) بْنَ جَبَلٍ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَفْضَلُ مَنَاقِبِ الْعَبْدِ ، وَبِهِ يَظْهَرُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . وَالإِنْسَانُ مَسْتُورٌ بِخُلُقِهِ ، مَشْهُورٌ بِخُلُقِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٠) بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ، ثُمَّ لَمْ يُثْنِ عَلَيْهِ بِشَىْءٍ مِنْ خِصَالِهِ بِمِثْلِ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ بِخُلُقِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** (١١) .

---

(١) فى « م » : « محمد » لا تصح .. والنصب هنا على البدلية .

(٢) فى « م » : « محاسن » .

(٣) فى « م » : « إذَنْ فحُسْنُ الخُلُق .. » .

(٤) فى « م » : « عليه السلام » .

(٥) جبذه : جذبه .

(٦) فى « م » : « من مالِك ولا من مال أبيك » .

(٧) هنا كرر الناسخ « إليه » سهوًا .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) فى « م » : « معاذ » بدون « يا » .

(١٠) فى « م » : « عليه السلام » .

(١١) سبق تخريجها فى هذا الباب .

قَالَ : لا تُخاصِمْ وَلَا تُخاصَمْ مِنْ شِدَّةِ مَعْرِفَتِكَ بِاللهِ تَعَالَى [١] . وَقِيلَ : لَمْ يُؤَثِّرْ فِيكَ جَفَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ بِالْحَقِّ . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ [٢] : كَظْمُ الْغَيْظِ ، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ ، إِلَّا لِمُبْتَدِعٍ أَوْ فَاجِرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا إِذَا انْبَسَطْتَ إِلَيْهِ اسْتَحْيَا وَأَقْلَعَ [٣] ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِّينَ إِلَّا بِأَدَبٍ [٤] أَوْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهَدٍ ، إِلَّا لِتَغْيِيرِ مُنْكَرٍ ، أَوْ أَخْذِ مَظْلِمَةٍ لِمَظْلُومٍ [٥] ، فَهَذَا حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لا تَتَغَيَّرَ مِمَّنْ يَقِفُ فى الصَّفِّ بِجَنْبِكَ . وَقِيلَ لِلْأَحْنَفِ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ ؟ قَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيِّ ، قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فى دَارِهِ إِذْ جَاءَتْهُ خَادِمٌ لَهُ بِسَفُّودٍ [٦] عَلَيْهِ شِوَاءٌ ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهَا ، فَوَقَعَ عَلَى ابْنٍ لَهُ فَمَاتَ ، فَدَهِشَتِ الْجَارِيَةُ [٧] ، فَقَالَ : لا رَوْعَ عَلَيْكِ ، أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى [٨] . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا رَأَى وَاحِدًا مِنْ عَبِيدِهِ يُحْسِنُ الصَّلَاةَ يُعْتِقُهُ ، فَعَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ خُلُقِهِ ، فَكَانُوا يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ مُرَاءَاةً لَهُ ، فَكَانَ يُعْتِقُهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ فى ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْ خَدَعَنَا فى اللهِ انْخَدَعْنَا لَهُ . وَقَالَ الْفُضَيْلُ [٩] : لَوْ أَنَّ امْرَأً أَحْسَنَ الإِحْسَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَتْ لَهُ دَجَاجَةٌ وَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَكَانَ الْمُحَاسِبِيُّ يَقُولُ : فَقَدْنَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : حُسْنَ الْوَجْهِ مَعَ الصِّيَانَةِ ، وَحُسْنَ الْقَوْلِ مَعَ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنَ الإِخَاءِ مَعَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ :

---

(١) فى « م » : « معرفة الله تعالى » .
(٢) هو : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ، وقد مَرَّ التعريف به .
(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « إذا انبسطتَ استحيا » .
(٤) فى « م » : « إلَّا بإذن » .
(٥) أى : ردّ ما أُخِذَ منه ظُلماً .
(٦) فى « م » : « لها » مكان « له » تحريف .. والسَّفُّود ، عود « سيخ » من حديد يُنظم فيه اللحم ليُشوَى .
(٧) دَهِشَت الجارية : ذهب عقلها خوفاً وهلعاً .. وهذه الجملة عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٨) فى « م » : « فقال : أنتِ حُرّة لوجه الله » .
(٩) هو : أبو على ، الفُضَيل بن عياض ، وقد سبق التعريف به .

عُنْوَانُ الشَّرَفِ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ [١] يَقُولُ : حُسْنُ الْخُلُقِ اسْتِصْغَارُ مَا مِنْكَ ، وَاسْتِعْظَامُ [٢] مَا إِلَيْكَ . وَقَالَ سَهْلٌ [٣] : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لا تَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ تَعَالَى . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ : تَحَمُّلُ أَثْقَالِ الْخَلْقِ . وَقَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ [٤] : عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ كَفُّ الأَذَى ، وَاحْتِمَالُ الْمُؤَنِ . وَقِيلَ [٥] : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَرِيبًا ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ غَرِيبًا . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ قَبُولُ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْ جَفَاءِ الْخَلْقِ ، وَقَضَاءُ الْحَقِّ بِلَا ضَجَرٍ وَلَا قَلَقٍ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ الْحَسَنُ احْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ بِحُسْنِ الْمُدَارَاةِ . وَقَالَتِ امْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ [٦] : يَامُرَائِيُّ ! فَقَالَ : يَا هَذِهِ ، وَجَدْتِ [٧] اسْمِيَ الَّذِى أَضَلَّهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ !

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ سَعُوهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ » . وَرُوِىَ أَنَّ أَبَا عُثْمَانَ [٨] اجْتَازَ بِسِكَّةٍ [٩]

---

(١) هو العارف بالله أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز ، المشهور بالرازى ، تلميذ العالم الزاهد أبى عثمان الحيرى ، من أهل الرى ، وجاور بالحرم سنين كثيرة ، وكان من الورعين القائلين بالحق .. صحب الجنيد ، وأبا جعفر ، وأبا عمران الكبير ، وكان ثقة عظيم الشأن .. توفى سنة ٣٨٣ هـ وقيل : العشر والثلاثمائة .

[انظر سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٨ – ٢٩٠ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٩٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٨] .

(٢) فى « م » : « واستصغار » مكررة .

(٣) هو : سهل بن عبد الله التسترى ، وقد مَرَّ التعريف به .

(٤) فى « م » : « اشاه » تحريف .. وهو : شاه بن شجاع الكِرمانى ، أبو الفوارس ، من أولاد الملوك ، صَحِبَ أبا تراب النَّخْشَبِىَّ ، وأبا عبيدة البُسْرِىَّ ، وكان من أَجَلِّ الفتيان والعلماء ، وله رسالات مشهورة .. ويقال : إن أصله من « مرو » .. ومات قبل سنة ٣٠٠ هـ .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والرسالة القشرية ج ١ ص ١٣٦ ، وطبقات الصوفية ص ١٩٢ – ١٩٤ ، وطبقات الشعرانى ص ٩٠] .

(٥) فى « م » : « وقد قيل » .

(٦) هو العارف بالله مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى ، وقد مر التعريف به .

(٧) فى « م » : « : « فقدتِ » أى : افتقدت ، بمعنى : طَلَبتِ .

(٨) فى « م » : « وروى أبا عثمان » وسقطت « أنَّ » سهواً من الناسخ ، والسياق يتطلب وجودها هنا .

(٩) بِسِكَّة : بطريق .

وَقْتَ الْهَاجِرَةِ ، فَأُلْقِىَ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ سَطْحٍ طَسْتُ [(١)] رَمَادٍ ، فَتَغَيَّرَ أَصْحَابُهُ وَبَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فى الْمُلْقِى ، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لا تَقُولُوا شَيْئًا ، مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُصَبَّ [(٢)] عَلَيْهِ النَّارُ فَصُولِحَ عَلَى الرَّمَادِ لَمْ يَجُزْ [(٣)] أَنْ يَغْضَبَ . وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : هَلْ فَرِحْتَ فى الدُّنْيَا قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَرَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا : كُنْتُ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَىَّ ، وَالثَّانِيَةُ : كُنْتُ جَالِسًا فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَصَفَعَنِى [(٤)] . وَكَانَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِىُّ [(٥)] إِذَا رَآهُ الصِّبْيَانُ رَمَوْهُ [(٦)] بِالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ كَانَ لَابُدَّ [(٧)] فَارْمُونِى بِالْحِجَارَةِ الصِّغَارِ كَيْلَا تُدْمُوا عَلَىَّ سَاقِى فَتَمْنَعُونِى الصَّلَاةَ [(٨)] .

وَرُوِىَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، دَعَا غُلَامًا لَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَدَعَاهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَآهُ مُضْطَجِعًا ، فَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ يَا غُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ جَوَابِى ؟ قَالَ : أَمِنْتُ عُقُوبَتَكَ فَتَكَاسَلْتُ . قَالَ : امْضِ ، فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ [تَعَالَى] [(٩)] . وَهَذَا كَمَا تَرَى قُوَّةٌ إِلٰهِيَّةٌ يُفْرِغُهَا اللهُ عَلَى الْمُصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ [(١٠)] ، وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ

---

(١) فى « م » : « طشت » بالشين المعجمة .. والطَّسْتُ : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه .. وهى لفظة أعجمية .. وقال الأزهرى : هى لفظة دخيلة فى كلام العرب ، لأن التاء والطاء لايجتمعان فى كلمة عربية .

(٢) فى « م » : « تُصَب » .

(٣) فى « م » : « لم ينبغى » هكذا .

(٤) فى « م » : « وصَفَعنى » .

(٥) هو : أُوَيْس بن عامر بن جَزْء بن مالك القَرَنىُّ ، من بنى قَرَن بن رَدْمان ، من بنى مُراد .. أحد النُّسَّاك العُبَّاد المقدَّمين ، ومن سادات التَّابعين ، وأصله من اليمن ، أدرك حياة النبى ، ﷺ ، ولم يره ، ووفد على عمر بن الخطَّاب ، ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة « صِفِّين » مع علىٍّ ، ويرجح الكثيرون أنه قُتل فيها سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٢ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٧٩ - ٨٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٢] .

(٦) فى « م » : « يرموه » لاتصح ، إذ لم يتقدمها ناصب ولا جازم .

(٧) فى « م » : « ولابد » .

(٨) فى « م » : « كى لاتدموا ساق فتمنعونى عن الصلاة » .

(٩) مابين المعقوفتين عن « م » .

(١٠) فى « م » : « قوة المُصْطَفَين الإلٰهية يفرغها الله على من يشاء من عباده » .

لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] ، فَجَرَّدَهُ عَنْ حَقَائِقِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ نُعُوتِ[2] الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى قَوَّاهُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ ، وَصَبَّرَهُ[3] عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ ، مَعَ الَّذِى كَانَ يُقَاسِيهِ مِنْ أَخْلاقِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِ مُسْتَغْرِقًا باسْتِيلَاءِ الْحَقِّ تَعَالَى عَلَيْهِ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَقَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ آلِفٌ[4] مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » . وَإِنَّمَا سُمِّىَ بِالْآدَمِىِّ[5] لأَنَّهُ تَأَلَّفَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَلْوَانِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلَيْنِ مُتَبَاغِضَيْنِ : « آدَمَ[6] اللهُ بَيْنَكُمَا » . أَىْ أَلَّفَ بَيْنَكُمَا ، وَمِنْهُ سُمِّىَ الْأَدَمُ[7] الْمَأْكُولَ ، لأَنَّهُ يُؤَلِّفُ الطَّعَامَ وَيُحَسِّنُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً : « انْظُرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا » ، أَىْ يُؤَلَّفَ بَيْنَكُمَا . وَرُوِىَ أَنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِىَّ نَزَلَ الدِّجْلَةَ يَتَوَضَّأُ ، وَوَضَعَ مُصْحَفَهُ وَمِلْحَفَتَهُ ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَأَخَذَتْهُمَا ، فَتَبِعَهَا مَعْرُوفٌ وَقَالَ : يَا أُخْتِى ، أَنَا مَعْرُوفٌ ، لا بَأْسَ عَلَيْكِ ، أَلَكِ ابْنٌ يَقْرَأُ ؟ قَالَتْ : لا[8] . قَالَ : فَزَوْجٌ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : فَهَاتِى الْمُصْحَفَ وَخُذِى الثَّوْبَ .

وَرُوِىَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ عَلَى حَوْضٍ يَسْقِى إِبِلَهُ ، فَأَسْرَعَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَانْكَسَرَ الْحَوْضُ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، فَقِيلَ لَهُ فى ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .
(٢) فى « م » : « جَرَّدَه » بدون الفاء .. « وألبسه من نعت » .
(٣) فى « م » : « وصَبَر » .
(٤) فى « م » : « أَلوف » .
(٥) فى « م » : « آدم » .
(٦) فى « م » : « أدام » تحريف .
(٧) الأُدْم : الإدام وما يُسْتَمْرَأُ من الخبز ، ويُطلق أيضاً على الأُلْفَة والاتفاق .
(٨) فى « م » : « فلا » .

وَسَلَّمَ (١) أَمَرَنَا إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّا لَنُصَافِحُ أَكُفًّا نَرَى قَطْعَهَا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ (٢) وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ (٣) : يُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَّاءِ كُلُّ طَلِيقٍ مِضْحَاكٍ (٤) ، فَأَمَّا الَّذِي تَلْقَاهُ بِبِشْرٍ وَيَلْقَاكَ بِعُبُوسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ اللهُ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : بُنَيَّ ، لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً ، وَلْيَكُنْ وَجْهُكَ طَلْقًا ، وَلْتَكُنْ (٥) أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السُّوءِ لا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَغْنَمْ .

وَرُوِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ الْبَرَارِي ، فَاسْتَقْبَلَهُ جُنْدِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ الْعُمْرَانُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَأَوْضَحَهُ (٦) ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ قِيلَ لَهُ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ زَاهِدُ خُرَاسَانَ ، فَجَاءَهُ (٧) يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَمَّا ضَرَبْتَنِي سَأَلْتُ اللهَ لَكَ الْجَنَّةَ . فَقَالَ : لِمَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي أُوجَرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ نَصِيبِي مِنْكَ الْخَيْرَ وَنَصِيبُكَ مِنِّي الشَّرَّ .

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا عُثْمَانَ الْحِيرِيَّ (٨) دَعَاهُ إِنْسَانٌ إِلَى ضِيَافَةٍ ، فَلَمَّا وَافَى بَابَ الدَّارِ قَالَ : يَا أُسْتَاذُ ، لَيْسَ لِي وَجْهٌ فِي دُخُولِكَ وَقَدْ نَدِمْتُ ، فَانْصَرِفْ رَحِمَكَ اللهُ ، فَرَجَعَ

---

(١) فى « م » : « عليه السلام » .

(٢) نَكْشِرُ فى وجوه القوم : نضحك فى وجوههم ونُباسطهم .

(٣) الحارث بن قيس : من أصحاب عبد الله بن مسعود الذين حفظوا حديثه ، ومن القُرّاء .
[انظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٠ ، ١١]

(٤) طليق مِضْحاك : منطلق كثير الضحك والبشاشة .. وفى « م » : « طَلِق » وهى بمعناها .

(٥) فى « م » : « تكون » .

(٦) فأوضَحَهُ : فشجَّهُ حتى وضح العظم .

(٧) فى « م » : « فجاء » .

(٨) هو : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحيرى ، وُلد بالرى ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفى بها سنة ٢٩٨ هـ . والحيرى : نسبة إلى قرية يُقال لها « الحيرة » من قُرى نيسابور .. وكان – رحمه الله – أوحد المشايخ فى سيرته ، وقد صحب يحيى بن معاذ ، وشاه بن شجاع الكرمانى .. قال عنه عبد الله بن محمد الرازى : لم أر أحدًا أعرف بالطريق إلى الله عزَّ وجَلَّ من أبى عثمان الحيرى . =

أَبُو عُثْمَانَ ، فَلَمَّا وَافَى مَنْزِلَهُ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ : يَا أُسْتَاذُ ، نَدِمْتُ ، وَأَخَذَ يَعْتَذِرُ وَقَالَ : احْضُرِ السَّاعَةَ ، فَقَامَ أَبُو عُثْمَانَ وَمَضَى مَعَهُ ، فَلَمَّا وَافَى دَارَهُ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ فِى الأُولَى ، وَأَخَذَ يَعْتَذِرُ ، ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ [1] فِى الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ ، وَأَبُو عُثْمَانَ يَنْصَرِفُ وَيَحْضُرُ ، ثُمَّ قَالَ [2] : يَا أُسْتَاذُ إِنَّمَا أَرَدْتُ اخْتِبَارَكَ وَالْوُقُوفَ عَلَى أَخْلَاقِكَ ، وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لَا تَمْدَحْنِى عَلَى خُلُقٍ تَجِدُ مِثْلَهُ مَعَ الْكِلَابِ ، فَالْكَلْبُ إِذَا دُعِىَ حَضَرَ ، وَإِذَا زُجِرَ انْزَجَرَ .

وَرُوِىَ أَنَّ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ نَزَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ جَعْفَرٌ يَخْدِمُهُ وَالْفَقِيرُ يَقُولُ : نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ يَهُودِيًّا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ [3] : عَقِيدَتِى لَا تَقْدَحُ فِيمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَسَلْ لِنَفْسِكَ الشِّفَاءَ وَلِىَ الْهِدَايَةَ . وَرُوِىَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْقُمُودِىَّ [4] الْمُتَعَبِّدَ لَقِيَهُ بَعْضُ الأَجْنَادِ وَمَعَهُ كَلْبٌ لِلصَّيْدِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَا الْكَلْبَ وَقُدْهُ خَلْفِى ، فَأَبَى ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّوْطِ حَتَّى أَوْجَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَارِّينَ : وَيْحَكَ ، هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْعَابِدُ [5] ! فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ له : أَنْتَ [6] فِى حِلٍّ . قَالَ [7] إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْقُمُودِىَّ لَيَالِىَ

= [انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٤ – ٢٤٦ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٩٩ – ١٠٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وطبقات الصوفية ص ١٧٠ – ١٧٥ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٠ – ١٢٢] .

(١) « فعل » عن « م » .

(٢) فى « م » : « قال له » .

(٣) فى « م » : « أبو » زيادة من الناسخ .. وجعفر بن حنظله من مُعاصرى الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، وممَّنْ كانوا يدخلون عليه .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٤ ، والرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٠] .

(٤) لم أقف على ترجمة له .. والقمودى من الرجال – بضم القاف والميم : الذى يتصف بالشدة والإباء .. وقد تكون النسبة هنا إلى « قمودة » وهى بلدة فى إفريقيا ورد ذكرها فى الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٣١ ، ١٣٢ فى حوادث سنة ٢٩٦ هـ ولم ترد فى معجم البلدان .

(٥) فى « ط » : « أبو جعفر القمودى العابد » .

(٦) فى « ط » : « فقال : أنت » .

(٧) فى « م » : « وقال » .

عِدَّةً [١] إذَا فَرَغَ مِنْ حِزْبِهِ فى جَوْفِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِصَاحِبِ الْكَلْبِ وَارْحَمْهُ .

وَقِيلَ : مَكْتُوبٌ فى الإنْجِيل : عَبْدِى ، اُذْكُرْنِى حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٢] أىْ : كُلُّ مَنْ لَقِيتَهُ فَقُلْ لَهُ حُسْنًا مِنَ الْقَوْلِ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ثَلاثَةٌ لا يُعْرَفُونَ إِلَّا فى ثَلاثَةٍ : الْحَلِيمُ [٣] عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالشُّجَاعُ فى الْحَرْبِ ، وَالأَخُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَرُوِىَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ الْخَيَّاطَ كَانَ لَهُ مَجُوسِىٌّ يَخِيطُ عِنْدَهُ الثِّيَابَ وَيَدْفَعُ لَهُ دِرَاهِمَ زُيُوفًا [٤] ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْخُذُهَا ، فَجَاءَ الْمَجُوسِىُّ يَوْمًا بِالدَّرَاهِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَعْطَاهَا لِتِلْمِيذِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَدَفَعَ لَهُ صِحَاحًا ، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللهِ قَالَ تِلْمِيذُهُ [٥] : وَهَذِهِ دَرَاهِمُ الْمَجُوسِىِّ ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : بِئْسَمَا فَعَلْتَ ، إِنَّهُ يُعَامِلُنِى [٦] بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مُنْذُ أَعْوَامٍ وَأَنَا أَصْبِرُ عَلَيْهَا وَأُلْقِيهَا فى الْبِئْرِ لِئَلَّا يَغُرَّ بِهَا غَيْرِى .

وَرُوِىَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ يَضْرِبُ أَمَةً لَهُ ، فَقَالَ : أَتَضْرِبُ مَنْ لا تَمْتَنِعُ مِنْكَ [٧] ؟ لَقَدْ حَالَتِ الْقُدْرَةُ بَيْنِى وَبَيْنَ أُولِى التِّرَاتِ [٨] . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ ضِيقُ الصَّدْرِ [٩] ، وَضِيقُهُ عَلَى قِسْمَيْنِ ، أَدْنَاهُ وَأَهْوَنُهُ أَنْ لا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْخَلْقِ ، وَأَقْصَاهُ وَشَرُّهُ أَنْ لا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْحَقِّ [١٠] . وَقَالَ الْمُحَاسِبِىُّ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ

---

(١) فى « ط » : « عديدة » .
(٢) سورة البقرة ، من الآية ٨٣ .
(٣) فى « ط » : « الحلم » .
(٤) زُيوفاً : مُزيفة .
(٥) فى « م » : « لتلميذه » اللام الأولى زيادة من الناسخ .
(٦) فى « ط » : « مُعامِلى » .
(٧) فى « م » : « عليك » .
(٨) فى « م » : « التراتب » مكان « الترات » تحريف .. وأُولى الترات : أصحاب الثأر .
(٩) فى « ط » : « ضيق القلب » .
(١٠) فى « م » : « لمراد الخالق » .

الإِعْجَابُ (١) ، وَهَلْ يَسُوءُ (٢) خُلُقُ الرَّجُلِ إِلَّا مِنْ عُجْبِهِ وَتَكَبُّرِهِ ، وَأَنَّهُ لا يَرَى (٣) فَوْقَهُ أَحَدًا ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ نَفْسِهِ فَتَدَاخَلُهُ (٤) الْعِزَّةُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٥) أَىْ : وَخُلُقَكَ فَحَسِّنْ . وَكَانَ لِبَعْضِ النُّسَّاكِ شَاةٌ ، فَرَآهَا عَلَى ثَلاثِ قَوَائِمَ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا ؟ فَقَالَ غُلامُهُ : أَنَا فَعَلْتُهُ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَغُمَّكَ بِهَا ، فَقَالَ : لَأُغُمَّنَّ مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا (٦) اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ .

وَرَوَى الْبُخَارِىُّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « رَأَى عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ (٧) – رَجُلًا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ (٨) أَتَسْرِقُ ؟ فَقَالَ : كَلَّا وَالَّذِى لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَىَّ » (٩) .

وَقَالَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : فَسَادُ الأَخْلَاقِ مُعَاشَرَةُ السُّفَهَاءِ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ السَّيِّءُ يُضَيِّقُ قَلْبَ صَاحِبِه ، لأَنَّهُ لا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ مُرَادِهِ ، كَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ لا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ صَاحِبِهِ . وَيُقَالُ : مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ أَنْ يَقَعَ بَصَرُكَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ غَيْرِكَ .

وَسُئِلَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الشُّؤْمِ ، فَقَالَ : « سُوءُ

---

(١) فى « م » : « الأصحاب » مكان « الإعجاب » تحريف .
(٢) فى « م » : « يُسىء » والأول من « ساء » والثانى من « أساء » .
(٣) فى « م » : « ولا يرى » . والعُجْبُ : التكبر والزَّهو .
(٤) فتداخَلُه ، أى : فتتداخَلُهُ .
(٥) سورة المدثر ، الآية الرابعة .
(٦) فى « م » : « بها » .
(٧) فى « ط » : « عيسى بن مريم » .. و « عليه السلام » عن « م » .
(٨) « له » عن « ط » .
(٩) فى « م » : « عيناى » .

الْخُلُق » (١) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قِيلَ لَهُ : أُدْعُ اللهَ (٢) عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَابًا » .

وَلَمَّا وَصَّى يَعْقُوبُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْلَادَهُ قَالَ : احْفَظُوا عَنِّى خَصْلَتَيْنِ (٣) : مَا انْتَصَفْتُ مِنْ ظَالِمٍ قَطُّ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَمَا رَأَيْتُ حَسَنَةً إِلَّا وَأَفْشَيْتُهَا ، وَمَا رَأَيْتُ سَيِّئَةً إِلَّا وَسَتَرْتُهَا ، كَذَلِكَ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِذَا سَمِعْتُمُونِى أَقُولُ لِمَمْلُوكٍ : أَخْزَاهُ اللهُ ، فَاشْهَدُوا أَنَّهُ حُرٌّ . وَيُقَالُ : السَّيِّءُ الْخُلُقِ هُوَ الَّذِى لا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَقِيلَ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ مُطَالَبَةُ غَيْرِكَ أَنْ يُوَافِقَكَ (٤) دُونَ أَنْ تَطْلُبَ نَفْسَكَ بِمُوَافَقَةِ غَيْرِكَ . وَعَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ أَنْ تَحْتَمِلَ مُعَامَلَةَ سَيِّءِ الْخُلُقِ لِتَسْتُرَ بِهِ سُوءَ الْخُلُقِ . وَقِيلَ : الْعَارِفُ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ وَلَا يُعَاتِبُ خُلُقَهُ ، وَعَلَامَةُ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عِتَابٌ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُلُقِهِ عِتَابٌ .

وَرُوِىَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ فِى حِجْرِهِ (٥) يَتِيمٌ سَيِّءُ الْخُلُقِ ، فَمَاتَ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَجِدُ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَمَنْ لِى بِسُوءِ خُلُقِهِ (٦) . وَكَانَ لِيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِىِّ (٧) غُلَامُ سُوءٍ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تُمْسِكُ هَذَا الْغُلَامَ ؟ قَالَ (٨) لأَتَعَلَّمَ عَلَيْهِ الْحِلْمَ .

---

(١) قوله : « وسُئل النبى » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٣) الظاهر هنا ثلاث خصال ، إلا إذا عددنا إفشاء الحسنة وستر السيئة بمثابة خصلة واحدة .

(٤) فى « م » : « بموافقتك » .

(٥) فى حِجْرِه : فى كَنَفِه ورعايته .

(٦) فى « م » : « بمثل سوء خُلقه » .

(٧) هو : يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثى ، أبو الفضل ، شاعر ماجن من أهل الكوفة ، وكان يُرْمَى بالزندقة ، وله فى السَّفَّاح والمهدى العباسيَّين مدائح ، وهو ابن خال السفاح .. أقام ببغداد مُدة ، ولم يحمد زمانه فيها ، فخرج عنها ، وتوفى فى أيام المهدى نحو سنة ١٦٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠٦ — ١٠٨ ، وأمالى المرتضى ج ١ ص ٩٩] .

(٨) فى « م » : « فقال » .

وَقِيلَ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (١) الظَّاهِرَةُ : تَسْوِيَةُ الْخَلْقِ ، وَالْبَاطِنَةُ : حُسْنُ الْخُلُقِ . وَقَالَ الْفُضَيْلُ : لأَنْ يَصْحَبَنِى فَاجِرٌ حَسَنُ الْخُلُقِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ يَصْحَبَنِى عَابِدٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ رُوِىَ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ (٢) وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، الْتَقَيَا ، فَقَالَ يَحْيَى لِعِيسَى : تَلْقَانِى ضَاحِكًا كَأَنَّكَ آمِنٌ ! فَقَالَ عِيسَى : وَأَنْتَ تَلْقَانِى عَابِسًا كَأَنَّكَ آيِسٌ ! فَأَوْحَى اللهُ (٣) إِلَيْهِمَا أَنَّ أَحَبَّكُمَا إِلَىَّ أَبَشُّكُمَا بِصَاحِبِهِ . قُلْنَا : كَذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ .

وَلَيْسَ إِطْلَاقُ الْوَجْهِ (٤) وَالتَّبَسُّمُ فى وَجْهِ أَخِيكَ مَنْهِيًّا (٥) عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ مَا ذَكَرْنَاهُ فى أَوَّلِ الْبَابِ مِنَ التَّمَلُّقِ (٦) وَالتَّصَنُّعِ ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ فى هَذَا الْبَابِ (٧) مَا رَوَى هِنْدُ بْنُ أَبِى هَالَةَ (٨) فى صِفَةِ مَجْلِسِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَانَ أَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لا يَبْرَحُ وَلَا يَتَحَرَّكُ (٩) وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَلَا يَطْرِفُ بِعَيْنِهِ ، حَذَرًا أَنْ يَنْفِرَ الطَّائِرُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَ لِى صَدِيقٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فى عَيْنِى ، وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظَّمَهُ

---

(١) سورة لقمان ، من الآية ٢٠ .. وأسبغ : أكمَلَ وأتمَّ .

(٢) فى « ط » : « عيسى ويحيى » .

(٣) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٤) فى « م » : « طلاقة الوجه » أى : ظهور الفرح والبشاشة عليه .

(٥) فى « م » : « منهىٌّ » لاتصح .

(٦) فى « م » : « المَلَق » وهى بمعناها .

(٧) فى « م » : « فى الباب » .

(٨) فى « م » : « محمد » مكان « هند » تحريف من الناسخ .. وهو : هند بن أبى هالة ، واختُلف فى اسم أبى هالة ، فقيل : نبَّاش بن زرارة ، وقيل مالك بن زرارة .. وكان أبو هالة زوج السيدة خديجة قبل النبى (ﷺ) فولدت له هند بن أبى هالة ، وشهد هند بدرًا ، وقيل : بل شهد أُحُدًا ، وقُتِلَ مع علىٍّ يوم الجمل .

[انظر ترجمته والحديث الذى رواه فى صفة النبى (ﷺ) فى أسد الغابة ج ٥ ص ٤١٧ – ٤١٩] .

(٩) فى « ط » : « فإنه لايتحرك » .

فى عَيْنِى صِغَرُ الدُّنْيَا فى عَيْنِهِ ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَشْتَهِى مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا ما وَجَدَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ [١] فَرْجِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُؤْنَةٌ [٢] ، وَلَا يَسْتَخِفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا [٣] ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فَلَا يُقْدِمُ أَبَدًا إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ [٤] . كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِذَا قَالَ بَذَّ [٥] الْقَائِلِينَ ، وَكَانَ مُتَضَاعِفًا [٦] مُسْتَضْعَفًا ، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا [٧] . كَانَ لا يَدْخُلُ فى دَعْوَى ، وَلَا يَشْتَرِكُ فى مِرَاءٍ ، وَلَا يُدْلِى بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا عَدْلًا وَشُهُودًا عُدُولًا ، وَكَانَ لا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فى مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اعْتِذَارُهُ . كَانَ لا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرْءَ ، وَلَا صَاحِبًا [٨] إِلَّا لِمَنْ يَرْجُو عِنْدَه النَّصِيحَةَ لَهُمَا جَمِيعًا [٩] . وَكَانَ لا يَتَبَرَّمُ وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَشْتَكِى ، وَكَانَ لا يَنْتَقِمُ عَلَى الْوَلِىِّ ، وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ [١٠] ، وَلَا يَخُصُّ نَفْسَهُ دُونَ إِخْوَانِهِ بِشَىْءٍ مِنَ اهْتِمَامِهِ وَحِيلَتِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَاقْفُ [١١] هَذِهِ الأَخْلَاقَ ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ فَخُذِ الْقَلِيلَ [١٢] خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ .

وَرُوِىَ أَنَّ حَكِيمًا سَمِعَ رَجُلًا [١٣] يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ

---

(١) من قوله : « بطنه » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » ، وهذا الوصف فى الأدب الكبير ص ١٣٣ ، وانظر العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ط دار المعارف .

(٢) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مُؤُونة » ولعله يريد بهما « المَائَة » وهى السُّرَّة وماحولها من البطن .. أما فى المصدرين السابقين فجاءت مكانهما كلمة « ريبة » وهى أوضح .

(٣) قوله « ولا بدَناً » عن « ط » والمصدرين السابقين ، ولم ترد فى « م » : .

(٤) هكذا فى « ط » والمصدرين السابقين .. وفى « م » : « لمنفعة » .

(٥) فى « م » : « فإذا ماقال » .. وبَذَّ : غَلَبَ وفاقَ .

(٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى المصدرين السابقين : « وكان يُرى » . ومتضاعفاً أى : يبدو ضعيفاً .

(٧) عادياً : واثباً .

(٨) فى الأدب الكبير : « وكان لايستشير صاحباً » .

(٩) قوله : « لهما جميعاً » لم ترد فى المصدرين السابقين .

(١٠) هكذا فى المصدرين السابقين .. وفى « م » و « ط » : « ولا ينتقم من الولىِّ على العدوّ ، ولا يغفُل عن الولى » . والولى المُحب والصديق .

(١١) فاقْفُ : فاتَّبِعْ .. وفى الأدب الكبير : « فعليكَ بهذه الأخلاق إنْ أطقتَ » أى : إن استطعت .

(١٢) فى « م » : « فإن لم تقدر فَأَخْذُ القليل » .

(١٣) فى « م » : « وروى أن رجلاً سمع حكيماً » . وما ورد فى « ط » هو المناسب للمعنى هنا .

النَّاسُ (١) وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يُصْحَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَنْتَ طَلَبْتَ صَاحِبًا تُؤْذِيهِ فَلَا يَنْتَصِرُ ، وَتَنَالُ مِنْهُ فَلَا يَنْتَصِفُ ، وَتَأْكُلُ رَحْلَهُ وَلَا يَرْزَؤُكَ بِشَيْءٍ ، وَتَجْفُو عَلَيْهِ فَيَحْلُمُ ، فَلَمْ تُنْصِفْ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمْ تَجِدْ حَاجَتَكَ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ صَاحِبًا يُؤْذِيكَ فَلَا تَنْتَصِرُ ، وَيَجْفُوكَ فَلَا تَنْتَقِمُ ، وَيَأْكُلُ رَحْلَكَ فَلَا تَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَجَدْتَ أَصْحَابًا وَإِخْوَانًا وَخُلَّانًا ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَصْحَبُكَ .

فَصْــلٌ

فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمُدَاهَنَةِ وَالْمُدَارَاةِ

مَنْ دَارَى سَلِمَ ، وَمَنْ دَاهَنَ أَثِمَ (٢) ، وَهَذَا بَابٌ اخْتَلَطَ عَلَى مُعْظَمِ الْخَلْقِ ، فَدَاهَنُوا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُدَارُونَ (٣) ، فَالْمُدَاهَنَةُ مَنْهِيٌّ عَنْهَا (٤) ، وَالْمُدَارَاةُ مَأْمُورٌ بِهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمُدَاهَنَةِ : « وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ » (٥) . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمُدَارَاةِ : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ (٦) التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ » (٧) .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا سَقِمَتِ (٨) الْمُدَارَاةُ صَارَتْ مُدَاهَنَةً ، وَالْمُدَاهَنَةُ (٩) أَنْ تُدَارِيَ النَّاسَ عَلَى وَجْهٍ يَذْهَبُ فِيهِ دِينُكَ ، وَالْمُدَارَاةُ مُخَالَفَتُهُمْ عَلَى وَجْهٍ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،

---

(١) قوله : « قد فسد الناس » عن « ط » ولم يرد في « م » .
(٢) دَارَى : لاطَفَ ولايَنَ وَاتَّقَى .. وداهَنَ : أَظْهَرَ خِلافَ ما أَبْطَنَ ، أو : خادَعَ وغَشَّ .
(٣) في « م » : « يداروا » لاتصح .
(٤) في « م » : « عليها » تحريف .
(٥) سورة القلم ، الآية التاسعة .
(٦) في « م » : « بعد المعرفة بالله » وماورد في « ط » : هو المطابق لنص الحديث .
(٧) الحديث ورد مجتزأ في السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٠٩ في كتاب آداب القاضي .
(٨) سَقِمَت : طالَتْ .
(٩) في « ط » : « فالمُداهَنَة » .

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ (١) نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ : يَا مُحَمَّدُ ، اُعْبُدْ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنُؤْمِنُ بِكَ ، فَأَبَى . قَالُوا : فَشَهْرًا ، فَأَبَى . قَالُوا : فَيَوْمًا ، فَأَبَى . قَالُوا : فَسَاعَةً (٢) ، فَأَبَى . قَالُوا : فَاسْتَلِمْهَا (٣) بِيَدِكَ وَنُؤْمِنُ بِكَ . فَوَقَفَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي ذَلِكَ ، وَطَمِعَ إِنْ فَعَلَ أَنْ يُؤْمِنُوا (٤) : فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ (٥) . وَقِيلَ لَهُ : ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** ﴾ (٦) . وَمِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ لِلظَّالِمِ : أَبْقَاكَ اللهُ ، وَمَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ سُبْحَانَهُ (٧) ، وَهَذَا بَابٌ يَنْبَغِي (٨) لِذَوِي الدِّينِ حِفْظُهُ .

وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْعُهْدَةِ بِالتَّعْرِيضِ (٩) ، وَكَانَ الْفَقِيهُ ابْنُ الْحَصَّارِ (١٠) بِقُرْطُبَةَ لَهُ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ يَقْضِي حَوَائِجَهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَكَانَ الْفَقِيهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ له (١١) : أَبْقَاكَ اللهُ وَتَوَلَّاكَ ، أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ ، يَسُرُّنِي وَاللهِ مَا يَسُرُّكَ ، جَعَلَ اللهُ

---

(١) فى « م » : « أنَّ الآية » .

(٢) فى « ط » : « ساعة » .

(٣) فاستَلِمْها : المسْها . ومنه : استلم الحاج الحجر الأسود ، أى : لمسه بالقُبلة أو باليد .

(٤) فى « م » : « إن فعَلَ يؤمنوا » .

(٥) سبق تخريجها فى هذا الفصل .

(٦) فى « م » : « كدت أن تركن » .. « أن » زيادة من الناسخ .. والآيتان من سورة الإسراء : ٧٤ ، ٧٥ .

(٧) فى « م » : « أن يُعصَى الله فى الأرض » .

(٨) فى « م » : « وهكذا ينبغى » .

(٩) التعريض : التورية .

(١٠) فى « ط » : « الحضار » بالضاد المعجمة .. خطأ ، والصواب بالصاد المهملة المشددة ، وهو : أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشر ، المعروف بابن الحَصَّار ، وكان فقيهاً وعالماً وأديباً ، وقاضى الجماعة بقرطبة ، وتوفى سنة ٤٢٢ هـ .

[انظر ترجمته فى المُغرب فى حُلى المغرب ج ١ ص ١٥٨ ، وجذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس للحميدى ج ٢ ص ٤٢٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٣] .

(١١) « له » عن « م » .

يَوْمِى قَبْلَ يَوْمِكَ . لا يَزِيدُهُ [١] عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَيَبْتَهِجُ [٢] النَّصْرَانِىُّ بِهَا وَتَسُرُّهُ ، فَعُوتِبَ الْفَقِيهُ فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَدْعُو بِمَعَارِيضَ قَدْ [٣] عَلِمَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِى ، أَمَّا قَوْلِى : أَبْقَاكَ اللهُ وَتَوَلَّاكَ ، فَأُرِيدُ أَنْ يُبْقِيَهُ اللهُ لِغُرْمِ الْجِزْيَةِ ، وَيَتَوَلَّاهُ [٤] بِالْعَذَابِ ، وَأَمَّا قَوْلِى : أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ ، فَأُرِيدُ أَنْ تَقِرَّ حَرَكَتُهَا بِسَتْرٍ يَعْرِضُ لَهَا فَلَا تَتَحَرَّكُ جُفُونُهَا ، وَأَمَّا قَوْلِى : يَسُرُّنِى وَاللهِ ما يَسُرُّكَ ، فَإِنَّ الْعَافِيَةَ تَسُرُّنِى كَمَا تَسُرُّهُ ، وَأَمَّا قَوْلِى : جَعَلَ اللهُ يَوْمِى قَبْلَ يَوْمِكَ ، فَأُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ تَعَالَى الْيَوْمَ الَّذِى أَدْخُلُ فِيهِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِى يَدْخُلُ فِيهِ النَّارَ بِكُفْرِهِ .

* * *

---

(١) ل « م » : « لايزيد » .

(٢) ف « م » : « فينتجع » مكان « فيبتهج » .. ويقال : أنجح الرَّجُلَ ، إذا قُضِيَتْ له الحاجَةُ .

(٣) ل « م » : « وقد » .

(٤) ل « م » : « وتولّاه » .

البابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

فى الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) . فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ الله وَرَسُولِهِ (٤) كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ : الْكُفْرُ ، وَالظُّلْمُ وَالْفِسْقُ (٥) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦) . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَضْرَوَيْهِ (٧) : لَوْ أُذِنَ لِى فى الشَّفَاعَةِ مَا بَدَأْتُ إِلَّا

---

(١) سورة المائدة ، من الآية ٤٤ . ولفظة « تعالى » بعدها عن « ط » فى الموضعين .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٤٧ .

(٤) فى « م » : « وعند رسوله » .

(٥) فى « م » : « الظلم والكفر والفسوق » .

(٦) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٧) هو الزاهد الكبير أحمد بن خضرويه - أو الخضر - البلخى ، وكنيته أبو حامد ، وهو من كبار مشايخ خراسان ، صحب أبا تراب النخشبى وحاتماً الأصمّ ، ورحل إلى أبى يزيد البسطامى ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٣ - ١٠٦ ، وطبقات الأولياء ص ٣٧ - ٣٩ ، وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٨٢ ، وجامع كرامات الأولياء ج١ ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٤٢ ، ٤٣ ، وكشف المحجوب للهجويرى ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٣٧ ، ١٣٨] .

بِالظَّالِمِينَ ، لأَنَّى تَثَبَّتُّ لِتَعْزِيَةِ اللهِ تَعَالَى فى قَوْلِهِ : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [١] . قَالَ : وَلَا أَغْتَنِمُ سَفَرًا لا يَكُونُ فِيهِ مَنْ لا يُؤْذِينِى وَيَظْلِمُنِى ، شَوْقًا مِنِّى لِتَعْزِيَةِ اللهِ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِينَ . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : كَفَى بِهَذِهِ الآيَةِ وَعِيدًا لِلظَّالِمِ وَتَعْزِيَةً لِلْمَظْلُومِ . وَقَالَ كَعْبٌ لأَبِى هُرَيْرَةَ : فِى التَّوْرَاةِ : مَنْ يَظْلِمْ يُخْرَبْ بَيْتُهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ فى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾ [٢] . فَالظُّلْمُ [٣] أَدْعَى شَىْءٍ إِلَى سَلْبِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فى صَحِيحِهِ [٤] عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ ، قَالَ : « يَا عِبَادِى ، إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِى ، كُلُّكُمْ ، ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِى ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ [٥] ، فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِى ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِى ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِى ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى [٦] فَتَضُرُّونِى ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى . يَا عِبَادِى ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ [٧] مَا زَادَ ذَلِكَ فى مُلْكِى شَيْئًا . يَا عِبَادِى ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا . يَا عِبَادِى ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِى ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ

---

(١) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٢) سورة النمل ، من الآية ٥٢ .

(٣) فى « م » : « والظلم » .

(٤) فى « ط » : « فى الصحيح » .

(٥) فى « م » : « استطعمته » تحريف .

(٦) الضُّرّ ، بضم الضاد المعجمة : الفاقة والفقر ، وبفتحها : ماكان ضد النفع ، وهو المراد هنا ، وكذا ورد فى صحيح مسلم .

(٧) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « رجل منكم » فى الموضعين .

مِمَّا عِنْدِى إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ [1] إِذَا دَخَلَ فى الْبَحْرِ . يَاعِبَادِى ، إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ [تَعَالَى] [2] ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » [3] . يَرْوِيهِ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِىُّ [4] عَنْ أَبِى ذَرٍّ ، وَمُسْنَدًا إِلَى النَّبِىِّ [5] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَهُ جَثَا [6] عَلَى رُكْبَتِهِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [7] . وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » [8] . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ

---

(١) فى « م » : « إلاَّ كما أُدْخِل المِخْيَط إذا أُدْخِل البحر » . والمخيط : آلة الخياطة ، كالإبرة ونحوها .. والمعنى : لا ينقص شيئاً ، لأن ماعند الله لا يدخله النقص ، وإنما يدخل النقص المحدود الفانى ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان لايتطرق إليهما نقص ، فضرب للمثل بالمخيط فى البحر لأنه غاية مايضرب به المثل فى القِلَّة ، والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه ، فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء .

[انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٣٣] .

(٢) مابين المعقوفين عن « م » .

(٣) فى « م » : « يلوم » . وماهنا هو الأشهر والمطابق لنص الحديث .. والحديث رواه مسلم فى كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٢ ، وأبو نعيم فى الحلية ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والبيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب الغصب ج ٦ ص ٩٣ ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، فى الترغيب فى كثرة الدعاء وما جاء فى فضله ج ٢ ص ٤٧٣ – ٤٧٦ ط دار الحديث .

(٤) هو عالم أهل الشام عائذ الله بن عبد الله بن عمرو ، أبو إدريس الخولانى ، من فقهاء التابعين ، ولد عام حنين (سنة ٨ هـ) وروى عن معاذ بن جبل ، وأبى الدرداء ، وأبى ذَرٍّ ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم .. وكان واعظ أهل دمشق وقاضيهم .. وتوفى سنة ٨٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ١٢٢ – ١٢٩] .

(٥) فى « م » : « رسول الله » .

(٦) جثا : جلس .

(٧) أى : أن الظلم يكون ظُلمات على صاحبه يوم القيامة فلا يهتدى سبيلا يوم يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم . ويحتمل أن يكون المراد بالظلمات : الشدائد .

[انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٤ ، وفتح البارى ج ٥ ص ١٠٠ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، والبيهقى فى السنن الكبرى ، باب الغصب ج ٦ ص ٩٣] .

(٨) أخرجه البخارى فى باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ من فتح البارى ، والبيهقى فى المصدر السابق .

رَسُولُ اللهِ (١) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ مِنْ عَرَضٍ أَوْشَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ (٢) كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ ، وَإِنْ (٣) لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » (٤) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ (٥) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا (٦) طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُقَلَّبُ شُجَاعًا أَقْرَعَ فَيُطَوِّقُهُ (٧) . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَانِعُ الزَّكَاةِ (٨) يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ (٩) وَيَقُولُ : أَنَا مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ » ، فَكَانَ هَذَا دَاخِلًا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١٠) .

---

(١) فى « م » : « قال النبى » .

(٢) سقطت « إنْ » من « م » سهوًا من الناسخ .

(٣) فى « م » : « فإنْ » .. وفى البخارى : « وإن لم تكُنْ » .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج ٥ ص ١٠١ .. والمَظْلِمَة ، بكسر اللام على المشهور ، وقد سبق شرحها .

(٥) هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القُرشى ، أبو الأعور ، من خيار الصحابة ، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة ، وقد أسلم هو وامرأته قبل عمر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلَّا بدرًا ، فقد كان غائباً فى مهمة أرسله بها النبى ﷺ ، وضرب له رسول الله بسهمه وأجره فيها .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأى والبسالة ، وشهد اليرموك وحصار دمشق ، وولَّاه أبو عبيدة دمشق .. وتوفى فى المدينة سنة ٥١ هـ . وله فى كتب الحديث ٤٨ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٩٤ ، وطبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٧٩ – ٣٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٥ – ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٧ – ٣٨٩] .

(٦) فى البخارى : « شيئاً » مكان « شبرًا » وكلاهما مروى .

[انظر كتاب المظالم فى المصدر السابق ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض .. وسنن الدارمى ج ٢ ص ٢٦٧ كتاب البيوع ، باب من أخذ شبرًا من الأرض] .

(٧) أى : يسلط عليه ثعباناً ضخماً يجعله له طوقاً فيعذبه بذلك .. وقد يكون المراد : أن الظلم المذكور لازم له فى عنقه لزوم الإثم .

(٨) فى « ط » : « فى مانع الزكاة » .

(٩) « يتبعه » عن « ط » .

(١٠) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » [١] . وَرَوَى أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ [٢] حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، وَقَرَأَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [٣] . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدِهِ » [٤] . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [٥] أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : نَاسٌ [٦] مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ [٧] ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مَائِلَاتٌ

---

(١) أراد بالغنيّ : القادر على أداء ما استحق أداؤه ، ولو كان فقيرًا ، ومَطْلُهُ : منع أدائه وتأخيره .. وبقية الحديث : « وإذا أُحِلْتَ على مَلِيءٍ فاتْبَعْهُ » . أو « فَلْيَتْبَعْ » . والملِيء : الغنى الكريم .. واتبعْه : اقْبَلْهُ ..

[الحديث رواه البخارى مجزءًا فى الاستقراض ، باب مطل الغنى ظلم ج ٥ ص ٦١ من فتح البارى ، ورواه أيضاً فى الحوالات .. ورواه مسلم فى المساقاة ، باب تحريم مطل الغنى وصحة الحوالة واستحباب قبولها ج ١٠ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ وزاد فيه الزيادة المذكورة آنفاً .. ورواه ابن ماجه فى سننه فى الصدقات ، باب الحوالة ج ٢ ص ٨٠٣ .. والدارمى فى البيوع ، باب مطل الغنى ظلم ج ٢ ص ٢٦١ ، وأبو داود فى البيوع ، باب فى المطل ج ٣ ص ٢٤٥ ، والنسائى فى البيوع فى مطل الغنى ج ٧ ص ٣١٦ بشرح جلال الدين السيوطى ، والترمذى فى البيوع باب ماجاء فى مطل الغنى ج ٦ ص ٤٣ – ٤٥ بشرح ابن العربى] .

(٢) فى سنن ابن ماجه : « يُمْلِى » .. ويُملى للظالم : يمهله ويتركه مدة .

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٢ .. وانظر الحديث فى سنن ابن ماجه فى كتاب الفتن ، باب العقوبات ج ٢ ص ١٣٣٢ .

(٤) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى البخارى : « هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يديه » أى : تكفُّهُ عن الظلم بالفعل إنْ لم يكفّ بالقول .. والحديث أخرجه البخارى فى كتاب المظالم ، باب أَعِنْ أخاك ظالماً أو مظلوماً ج ٥ ص ٩٨ من فتح البارى .

(٥) فى « م » : « ورُوِى » بالبناء للمجهول .. والحديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة .

(٦) فى صحيح مسلم : « قَوْمٌ » .

(٧) المراد بأصحاب السياط : غلمان والى الشرطة ، ولم يكونوا على عهد رسول الله ، ﷺ ، لذا فإن النووى عَدَّ هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ .

مُمِيلَاتٌ (١) ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ مِثْلُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ (٢) لا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا » (٣) .

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا (٤) أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ (٥) . وَفِي الآيَةِ تَأْوِيلَانِ ، أَحَدُهُمَا : أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا ، أَيْ : خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَالثَّانِي عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ (٦) أَيْ : كَثَّرْنَا عَدَدَهُمْ ، وَأَسْبَغْنَا النِّعَمَ عَلَيْهِمْ ، فَعَصَوْا وَتَبَاغَوْا . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ » (٧) ، أَيْ : كَثِيرَةُ النِّتَاجِ .

---

(١) أى : كاسيات من الثياب ، عاريات من فِعل الخير والاهتمام بآخرتهن ، والاعتناء بالطاعات .. أو : يكشفن شيئاً من أبدانهن إظهارًا لجمالهن ، فهن كاسياتٌ عاريات .. أمّا مائلات مُميلات فتعنى : زائغات عن طاعة الله ومايلزمهن من حِفْظ الفروج وغيرها ، ويُعلمن غيرهن مثل فِعلهن .

(٢) فى مسلم : « رءوسُهن كأسْنِمَة البُخْتِ » .. والبُخْتُ : نوع من الإبل .. والمراد بتشبيه رءوسهن بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر (الضفائر) وشدها إلى فوق وجمعها فى وسط الرأس حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس ، كما يميل السنام ، فتنة للناس .. وقيل : يجوز أن يكون معناه : أنهن يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم أبصارهن ، ولاينكسن رءوسهن حياءً .. والله أعلم .

(٣) فى مسلم : « لايدخلن الجنة » . وهذا محمول على من استحلت حراماً مع علمها بتحريمه .. والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب جهنم – أعاذنا الله منها . ج ١٧ ص ١٩٠ بشرح النووى .

(٤) فى « م » : « فإذا » بالفاء .. مخالف للآية .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ١٦ .

(٦) أى : بمد الهمزة « آمَرْنا » . هكذا فى أُمهات كتب التفسير .. وفى « م » : « المدائنى » وهى تحريف للكلمتين : « لِلْمَدِّ ، أىْ » .. وفى « ط » : « على قراءة المدنى » ولعله يريد به أحمد بن قالون المدنى ، وقد قرأ عليه الحسن بن أبى مهران ، وهذا الأخير جاء فى اللسان وفى كتب القراءات أنه قرأ « آمَرْنا » بالمد .

[انظر لسان العرب مادة « أمر » وطبقات القراء ج ١ ص ١٨٢ ، وصحيح البخارى ج ٨ ص ٣٩٤ كتاب التفسير ، باب « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » ، وانظر تفسير القرطبى ج ٥ ص ٣٨٤٨ – ٣٨٥١ ، وتفسير الكشاف للزمخشرى ج ٢ ص ٤٤٢ ، وتفسير الفخر الرازى ج ١٠ ص ١٧٥ – ١٧٨ ، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢ ، ٣٣ ، والمغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ج ٢ ص ٣٤٠] .

(٧) السِّكَّةُ : الطَّرِيقُ المُصْطَفَّةُ من النخل .. والمأبورة : الملقَّحة . يريد : خير المال نتاج وزرع .

[انظر القرطبى وغيره من كتب التفاسير السابقة] .

وَاعْلَمُوا أَنَّ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَهَوَامَّهَا تَلْعَنُ الْعُصَاةَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : إِذَا أَشْعَثَتِ الْأَرْضُ [١] تَقُولُ الْبَهَائِمُ : هَذَا مِنْ أَجْلِ عُصَاةِ بَنِي آدَمَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾ [٢] . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْحِسْلَ لَتَمُوتُ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » [٣] يَعْنِي : أَنَّ بِذُنُوبِ الْخَلْقِ يَمْتَنِعُ الْقَطْرُ [٤] فَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ، فَتَتَهَالَكُ الدَّوَابُّ وَالْحَشَرَاتُ . وَسَمِعَ أَبُو هُرَيْرَةَ [٥] رَجُلًا يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ . فَقَالَ : بَلَى ، وَاللهِ إِنَّ الْحُبَارَى [٦] لَتَمُوتُ هَزْلًا [٧] فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : خَطِيئَةُ بَنِي آدَمَ قَتَلَتِ الْحِسْلَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ » [٨] . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَاظَهَرَ الْغُلُولُ [٩] فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أَلْقَى اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَا فَشَا الزِّنَى فِي قَوْمٍ إِلَّا [١٠] فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ ، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا انْقَطَعَ عَنْهُمُ [١١]

---

(١) أشعثت الأرضُ : تغيَّرتْ وقلَّ خيرها .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ١٥٩ .

(٣) الحِسْلُ : ولد الضبِّ . والحديث لم يرد فى الكتب الستة .

(٤) القَطْر : المطر .

(٥) فى « م » : « رضي الله عنه » .

(٦) فى « م » : « حتى إنَّ الحُبَارَى » . والحُبارَى : طائر طويل العُنُق ، رمادى اللون ، على شكل الإوَزّة ، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء .

(٧) هَزْلاً : ضَعْفاً .. وفى « م » : « منزلاً » تحريف .

(٨) قضيباً من أراك : عوداً من شجر الأراك ، وهو شجر كثير الفروع ، متقابل الأوراق ، ينبت فى البلاد الحارة ، ويتخذ منه المسواك .. والحديث أخرجه مسلم بِعِدَّة روايات فى كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ج ٢ ص ١٥٧ بشرح النووى .

(٩) الغُلُول : الخيانة والسرقة فى المغنم وغيره .. وقد مرت .

(١٠) قوله : « ألقى الله » إلى هنا .. عن « م » وساقط من « ط » .

(١١) فى « م » : « قُطِعَ منهم » .

الرِّزْقُ ، وَلَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ ، وَلَا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ (١) إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ » (٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اُذْكُرْ عِنْدَ الظُّلْمِ عَدْلَ اللهِ فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْكَ ، وَلَا (٣) يُعْجِبَنَّكَ رَحْبُ الذِّرَاعَيْنِ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ ، فَإِنَّ لَهُ قَاتِلًا لا يَمُوتُ . وَرُوِىَ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ رَقَمَ عَلَى بِسَاطِهِ (٤) :

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِى إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ (٥)

وَأَنْشَدَنَا قَاضِى الْقُضَاةِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِىُّ (٦) رَحِمَهُ اللهُ بِبَغْدَادَ :

إِذَا مَاهَمَمْتَ بِظُلْمِ الْعِبَادِ ... فَكُنْ ذَاكِرًا هَوْلَ يَوْمِ الْمَعَادِ
فَإِنَّ الْمَظَالِمَ يَوْمَ الْقِصَاصِ ... لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرُّ زَادِ (٧)

---

(١) هكذا فى « م » : والمُوَطَّأ .. ومعنى خَتَر بالعهد : نقضَه وغَدَر به .. وفى « ط » : « خفَر » وهى بمعناها .

(٢) فى « م » : « إلا سلَّطَ اللهُ عليهم العدو » .. والحديث رواه مالك فى مُوَطَّئه فى كتاب الجهاد ، باب ماجاء فى الغُلول ص ٤٦٠ ط دار الكتاب المصرى .

(٣) فى « م » : « لا » بدون واو العطف .. ورَحْبُ الذراعين : واسع القوة .

(٤) رقَمَ على بساطه : كتب عليه .. والبيتان من البسيط .

(٥) هكذا فى « م » و « ط » .. والشطرة الأولى فى المستطرف – ج ١ ص ٢٣٦ : « تنام عيناك والمظلوم مُنْتَبِهٌ » .

(٦) فى « ط » : « أنشدنا » بدون عطف .. وأبو عبد الله الدامغانى هو : محمد بن على بن حسن بن عبد الملك ، أبو عبد الله الدَّامَغَانىُّ ، شيخ الحنفية فى زمانه ، ويُنْعَت بقاضى القُضاة ، وُلد بِدَامَغان – بلد بين الرى ونَيْسَابور – سنة ٣٩٨ هـ – وفى معجم البلدان سنة ٤٠٠ هـ – وتفقه بها وبنيسابور ، ثم ببغداد سنة ٤١٨ هـ ، وولى بها القضاء سنة ٤٤٧ هـ ، وطالت أيامه ، وكان مثل القاضى أبى يوسف فى أيامه حشمة وجاهاً وسؤددًا وعقلاً ، وبقى فى القضاء ثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٣ مادة « دامَغان »] .

(٧) البيتان من المتقارب .. ويوم المعاد ، ويوم القِصَاص : يوم القيامة .

وَقَالَ سَحْنُونُ بْنُ سَعِيد [١] : كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ [٢] يَقُولُ : مَاهِبْتُ شَيْئًا قَطُّ هَيْبَتِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنْ لا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللهُ ، فَيَقُولُ لِي : حَسِيبُكَ اللهُ [٣] ، اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ [٤] : اتَّقُوا اللهَ فِيمَنْ لا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللهُ . وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] [٥] عَرَفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوه ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ بُرْقُعٌ ، فَخَلَا بِكَبِيرِهِمْ ، وَكَانَ ابْنَ خَالَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : بِمَ [٦] أَوْصَاكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : بِأَرْبَعٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : يَا بُنَيَّ لا تَتَّبِعْ هَوَاكَ فَتُفَارِقَ إِيمَانَكَ ، فَإِنَّ الإِيمَانَ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْهَوَى يَدْعُو إِلَى النَّارِ ، وَلَا تُكْثِرْ مَنْطِقَكَ بِمَا [٧] لا يَعْنِيكَ فَتَسْقُطَ

---

(١) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّنوخِيّ ، المُلَقَّب بِسَحْنُون ، قاضٍ وفقيه مالكى ، انتهت إليه رياسة العِلم فى المغرب ، وكان عفيف النفس زاهدًا ، لايهاب سُلطاناً فى حق يقوله ، وُلد فى القيروان سنة ١٦٠ هـ ، وولى القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ ، واستمر إلى أن توفى سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٤ ص ٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٣٤٠ ، وقضاة قرطبة للخشنى ، صفحات متفرقة ، وجذوة المقتبس ، صفحات متفرقة ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٤ ، وطبقات الشيرازى ص ١٦٠ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٣٧] .

(٢) فى « ط » : « يزيد بن حاتم الحكيم » .. وفى « م » : « يزيد بن حكيم » والأخير تحريف من « حاتم » .. وهو : يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الأزدى ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان فى العصر العباسى ، ولى الديار المصرية سنة ١٤٤ هـ للمنصور ، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر ، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولَّاه إفريقية سنة ١٥٤ هـ ، فوجه إليها وقاتل الخوارج ، واستقر بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، قضَى فى خلالها على كثير من الفتن . وتوفى بالقيروان سنة ١٧٠ هـ . وكان جوادًا ممدوحاً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٨٠ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢١ - ٣٢٦ ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٦ ، وفيها إشارة إلى قوله : « ماهبت شيئاً .. الخ »] .

(٣) الحسيب : المُحاسِب .. وفى « م » : « حسبُكَ الله » أى : كافيك .

(٤) هكذا فى « م » وفى الحلية .. وفى « ط » : « ابن سعيد » خطأ . وهو من العُبَّادِ الزاهدين ، وكان واعظاً ومُحَدِّثاً .. قال عبد الله بن المبارك : كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبى الحسن بالبصرة .

[انظر ترجمته وأقواله فى حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٢١ - ٢٣٤] .

(٥) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٦) فى « م » : « بما » لاتصح ، فالميم هنا استفهامية سُبقت بحرف جر ، فتحذف ألفها . ومثلها : عَمَّ ، ومِمَّ ، وعلامَ الخ ..

(٧) فى « م » : « فيما » .

مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَا تُسِيءْ بِرَبِّكَ الظَّنَّ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكَ ، وَلَا تَكُن ظَالِمًا فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تُخْلَقْ لِلظَّالِمِينَ .

وَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ (١) يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : ما يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي إِذَا وَقَفَ غَدًا (٢) بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى وَلَمْ تَكُنْ (٣) لَهُ حُجَّةٌ .

وَلِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ (٤) :

إِنِّى وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي ... وَتَرَكْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي (٥)

وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا ... لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي (٦)

رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِحْـ ... ـسَانِى فَآبَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ (٧)

وَغَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ ... وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالإِثْمِ (٨)

مَازَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ ... حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ (٩)

وَكَأَنَّمَا الإِحْسَانُ كَانَ لَهُ ... وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِى الْحُكْمِ

---

(١) فى « م » : « الفضل » خطأ .. وهو على بن الفُضيل بن عياض ، من كبار الصالحين .
[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٩٧ - ٣٠٠ ، وانظر طبقات الأولياء ص ٢٧٠] .

(٢) قوله : « غدًا » عن « ط » .

(٣) فى « ط » : « يكن » بالياء .

(٤) مر التعريف به .. والأبيات من الكامل ، وقد وردت فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٣ صفة الحلم ومايصلح له .

(٥) فى العقد الفريد : « غفرتُ » مكان « وتركتُ » .

(٦) أَسْدَى إلىَّ يدًا : قدَّم إلىَّ معروفاً .

(٧) هكذا البيت فى « ط » .. وجاء البيت فى « م » : مكسورًا ، حيث سقطت منه كلمة « وإحسانى » .. وفيه « فساد » مكان « فآب » . والبيت فى العقد الفريد :

« رجَعَتْ إساءَتُهُ عليه وإحْـ ... ـسانى إلىَّ مُضَاعَفَ الغُنْمِ » .

(٨) فى العقد الفريد : « بكسب الظلم والإثم » .

(٩) فى « م » : « يظلمنى فأَرحُمه » . وترتيب هذا البيت فى العقد الفريد بعد الذى يليه ، وأوله : « ومازال » والواو هنا زيادة لاتصح ، فبها ينكسر الوزن .

وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « يَقُولُ اللهُ [تَعَالَى] [١] اشْتَدَّ غَضَبِى عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِى » . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لَمَّا كَشَفَ اللهُ الْعَذَابَ عَنْ قَوْمِ يُونُسَ تَرَادُّوا الْمَظَالِمَ [٢] ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ [٣] لَيَقْلَعُ الْحَجَرَ مِنْ أَسَاسِهِ فَيَرُدُّهُ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ [٤] : الْحَجَرُ فِى الْبُنْيَانِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ عُرْبُونٌ عَلَى خَرَابِهِ [٥] . وَقَالَ غَيْرُهُ : لَوْ أَنَّ الْجَنَّةَ – وَهِىَ دَارُ الْبَقَاءِ – أُسِّسَتْ عَلَى حَجَرٍ مِنَ الظُّلْمِ لأَوْشَكَ أَنْ تَخْرَبَ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : الْعَدْلُ حُرْمَةٌ ، وَالظُّلْمُ ظُلْمَةٌ ، فَالْعَدْلُ [٦] يَجُرُّ إِلَيْكَ الْحَوَائِجَ ، وَبِالْجَوْرِ تَهْجُمُ عَلَيْكَ الْجَوَائِحُ [٧] ، فَاحْذَرْ مَنْ لَا جُنَّةَ [٨] لَهُ إِلَّا الثِّقَةُ بِنُزُولِ الْغِيَرِ ، وَلَا سِلَاحَ لَهُ إِلَّا الابْتِهَالُ إِلَى مُقَلِّبِ الدُّوَلِ .

قَالَ [٩] مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : قَرَأْتُ فِى بَعْضِ الْكُتُبِ : يَا مَعْشَرَ الظَّلَمَةِ [١٠] ، لا تُجَالِسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُونِى ذَكَرْتُهُمْ بِرَحْمَتِى ، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِى ذَكَرْتُكُمْ بِلَعْنَتِى .

---

(١) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٢) تَرادُّوا المظالم : ردَّ كل واحد منهم ما أخذه من أخيه ظلماً .

(٣) فى « ط » : « حتى إنْ كان الرجل » .

(٤) فى « م » و « ط » كليهما : « زيد » مكان « يزيد » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، حيث ورد قوله هنا فى الحلية منسوباً إليه ، وقد شُبِّه على المصنف بثور بن زيد شيخ مالك ، وهو غير ثور بن يزيد .. وهو : أبو خالد ثور بن يزيد الحمصى ، أحد الحفاظ ، روى عن خالد بن معدان ، وعطاء ، وطائفة ، وروَى عنه يحيى القطان وأبو عاصم وغيرهما .. قال أحمد بن حنبل : كان ثور يرى القَدَر .. وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه وأحرقوا داره لكلامه فى القَدَر .. وتوفى سنة ١٥٣ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وميزان الاعتدال ج١ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٩٣ – ١٠٠ ، و ج ٥ ص ٢١٠ ومابعدها ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٣٤] .

(٥) فى الحلية : « عربون خرابه » .

(٦) فى « م » : « والعدل » : ويجُر : يجلب .

(٧) فى « ط » : « والجور يهجم عليك الجوائح » .. والجوائح : المصائب ، مفردها : جائحة .

(٨) الجُنَّة : السُّترة ، وكل ما وَقَى ، من سلاح وغيره .

(٩) فى « م » : « وقال » .

(١٠) فى « م » : « الظُّلَماء » على وزن فُعَلاء .. وكلاهما صحيح .

والظَّلَمَةُ : المانعون أَهْلَ الحقوق حقوقهم .

[انظر لسان العرب مادة « ظلم » ، والفيصل فى ألوان الجموع ص ٧٣] .

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ (١) : يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا ما بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتٍ (٢) حُمِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّآتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوا ، حَتَّى يَرِدُوا الدَّرْكَ الأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِم ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ (٣) مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ ، وَقَدْ أُقِيمُوا فى الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : يُعَذَّبُونَ فى الْخَرَاجِ ! فَقَالَ (٤) : أَمَا إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (٥) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فى الدُّنْيَا » (٦) .

وَأَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ الْعِلْمَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كَانَ هَا هُنَا شَيْخٌ كَانَ (٧) عَيْنًا لِلْمَكَّاسِينَ ، يَدُورُ حَوْلَهُمْ ، فَرَأَيْتُهُ فى النَّوْمِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟

---

(١) هو : صُدَىُّ بن عجلان بن الحارث – وقيل : ابن وهب – الباهلى ، صحابى ، غلبت عليه كُنْيَتُه ، وكان مع علىٍّ فى « صفِّين » ، وسكن الشام ، وتوفى فى أرض حِمْص سنة ٨١ هـ ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وله فى الصحيحين ٢٥٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٠٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦ وج ٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٣٦٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٤٥٤] .

(٢) فى « م » : « فإن لم تكن حسنات » .

(٣) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشى ، الأسدى ، صحابى ابن صحابى ، أسلم يوم الفتح ، ودخل الشام فى أيام الفتوح ، وعاش كالسائح ، لم يتخذ أهلاً ، ولا كان له ولد ، وكان يتنقل ومعه نفر من أهل الشام للإصلاح والنصيحة ، والترغيب بالخير والزجر عن الشر ، وليس لأحد عليهم إمارة .. وتوفى بعد سنة ١٥ هـ قبل أبيه حكيم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٨ – ٤٠٠ ، والمعارف ص ٢١٩ وص ٣١١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٤] .

(٤) فى « ط » : « قال » .

(٥) فى « ط » : « النبى » .

(٦) رواه مسلم فى كتاب البر ، باب الوعيد الشديد لِمَنْ عذَّب الناس بغير حق ج ١٦ ص ١٦٧ بشرح النووى .. ورواه أبو داود فى كتاب الخراج والإمارة والفىء ، باب فى التشديد فى جباية الجزية ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) فى « م » : « شيخٌ عيناً » والأخيرة بالنصب على تقدير فعل الكينونة .. وفى « ط » : « يكون عيناً » . وكان عيناً للمَكَّاسين : كان جاسوساً للمُكَّاس وغيرهم الذين يجبون المكوس « الضرائب » من التجار .

فَقَالَ لِى [١] : لَا تَسْأَلْ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لا تَسْأَلْ [٢] ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : مِنَ الْجَحِيمِ . فَقُلْتُ لَهُ : فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : إِلَى مِثْلِ الدَّارِ الَّتِى خَرَجْتُ مِنْهَا . قُلْتُ : فَكَيْفَ لَقِيتَ ؟ قَالَ : وَمَاذَا لَقِيتُ ؟ كَانَ لَحْمِى قَدْ جُعِلَ فِى هَاوُنٍ [٣] وَدُقَّ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْمُخِّ [٤] .

وَأَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، قَالَ : رَأَيْتُ فُلَانًا الْبَيَّاعَ فِى النَّوْمِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ .

قَالَ : أَنَا مَحْبُوسٌ عَنِ الْجَنَّةِ . قُلْتُ : فَبِمَاذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ أَبِيعُ فِى الدُّكَّانِ فَيَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَىَّ ، فَآخُذُ دَرَاهِمَهُمْ فَأَضَعُهَا فِى فَمِى ، وَكُلَّمَا تَفَرَّغْتُ [٥] وَزَنْتُهَا وَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ ، فَاخْتَلَطَتْ فِى فَمِى الْفَضَلَاتُ [٦] ، فَجَاءَ اثْنَانِ ، فَدَفَعْتُ [٧] لِأَحَدِهِمَا بِفِضَّةِ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ أَنْقَصَ مِنْ فِضَّتِهِ بِحَبَّةٍ ، ثُمَّ حُوسِبْتُ فَبَقِىَ عَلَىَّ حَبَّةٌ ، فَقُلْتُ [٨] : فَادْفَعْ لَهُ الْحَبَّةَ وَتَخَلَّصْ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ وَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ أَدْفَعُ لَهُ ؟ مِنْ أَيْنَ أَدْفَعُ لَهُ ؟ فَكَرَّرَهَا مَرَّاتٍ [٩] .

وَيُرْوَى أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا نُبِذَ بِالْعَرَاءِ ، وَأَنْبَتَ اللهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ [١٠] كَانَ يَأْوِى إِلَى ظِلِّهَا ، فَيَبِسَتْ ، فَبَكَى عَلَيْهَا ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :

---

(١) « لى » عن « ط » .
(٢) قوله : « فأعَدْتُ عليه ، فقال : لاتسأل » عن « ط » . ولم ترد فى « م » .
(٣) الهاون ، بضم الواو وبفتحها : وعاء مجوف من الحديد أو النحاس يُدَقُّ فيه .
(٤) المُخ : نِقْىُ العظم ، أو ما أُخرِجَ من العَظْمِ .
(٥) أى : تخلَّيْتُ لها .
(٦) الفضلات : مابقى وفَضَل .. وفى « م » : « الفِضَّتان » .
(٧) قوله : « فجاء اثنان » عن « ط » .. وفى « م » : « ودفعتُ » .
(٨) فى « م » : « فقلتُ له » .
(٩) فى « م » جاء قوله : « من أين أدفع له » مرة واحدة لامرتين .. وفيها : « يكررها » مكان « فكرَّرها » .
(١٠) اليقطين : ما لا ساق له من النبات ، كالقثاء والبطيخ ونحوهما ، وغلب على القرع .

تَبْكِي عَلَى شَجَرَةٍ فَقَدْتَهَا وَلَا تَبْكِي عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ أَرَدْتَ أَنْ أُهْلِكَهُمْ ؟ وَقِيلَ لِابْنِ السَّمَّاكِ الأَسَدِيِّ ، أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : بَيْنَ مَظْلُومٍ لا يَنْتَصِفُ وَظَالِمٍ لا يَنْتَهِي . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفْقَرُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ ، لأَنَّهُ اسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رَدِّهِ . وَقَالَ رَجُلٌ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَذُكِرَ الْحَجَّاجُ فَسَبَبْتُهُ وَوَقَعْتُ فِيهِ (١) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَظْلِمُ بِالْمَظْلِمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَشْتُمُ الظَّالِمَ وَيَسُبُّهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ ، فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ حَقٌّ عَلَيْهِ (٢) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ (٣) : نَادَى رَجُلٌ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ (٤) : مَنْ رَآنِي فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ ذِرَاعُهُ مِنْ عَضُدِهِ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : مَنْ رَآنِي فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ (٥) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِى بَعْضِ سَوَاحِلِ الشَّامِ إِذْ مَرَرْتُ بِنَبَطِيٍّ (٦) قَدِ اصْطَادَ تِسْعَةَ أَنْوَانٍ (٧) ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ نُونًا وَهُوَ كَارِهٌ بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتُ رَأْسَهُ ، فَعَضَّ النُّونُ إِبْهَامِي عَضَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ أَكَلْنَاهُ ، فَوَقَعَتِ الأَكِلَةُ فِى إِبْهَامِي (٨) ، فَاتَّفَقَتِ الأَطِبَّاءُ عَلَى قَطْعِهِ ، فَقَطَعْتُهُ (٩) ، فَوَقَعَتْ فِى كَفِّي ثُمَّ

---

(١) وقع فيه : شتمه وعابه .

(٢) فى « م » : « فَضْلٌ عليه » .

(٣) هو : عمرو بن دينار ، الجُمَحي بالولاء ، أبو محمد الأثرم ، فقيه ومُحَدِّث ، كان مفتى أهل مكة ، فارسى الأصل ، ولد بصنعاء سنة ٤٦ هـ ، وتوفى بمكة سنة ١٢٦ هـ – وقيل سنة ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٥٨ ، ٥٩ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٦٨] .

(٤) قوله : « نادى رجل ... » ومابعده عن « ط » .. وفى « م » : « إنَّ الرَّجُل فى بنى إسرائيل يقول : من رآنى فلا يظلمنَّ أحداً .. فَسُئل عن حالة .. » وسيأتى .

(٥) « أسير » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٦) نسبة إلى النَّبَط . والأنباط – أو النبط – شعب سامِيٌّ كانت له دولة فى شمالى الجزيرة العربية ، وعاصمتهم « سَلْع » وتُعرف اليوم بالبتراء .

(٧) أَنْوَان : جمع نون ، وهو الحوت ، أو السمكة الكبيرة .

(٨) الأَكَلَةُ والآكِلَةُ : الحِكَّةُ .. ووقعت فيه : أنخرته وأفسدته .

(٩) فى « م » : « عَلَى قطعها فقطعتها » وكلاهما صواب ، فالأُصبع تُذَكَّرُ وتُؤَنَّث .

سَاعِدِى [١] ، ثُمَّ عَضُدِى ، فَمَنْ رَآنِى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، فَخَرَجْتُ أَسِيحُ فى الْبِلَادِ ، وَأُرِيدُ قَطْعَ عَضُدِى إِذْ رُفِعَتْ لِى شَجَرَةٌ ، فَأَوَيْتُ إِلَى ظِلِّهَا ، فَنَعَسْتُ ، فَقِيلَ لى فى الْمَنَامِ : لِأَىِّ شَىْءٍ تَقْطَعُ أَعْضَاءَكَ ؟ رُدَّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجِئْتُ الصَّيَّادَ فَقُلْتُ لَهُ [٢] : يَا عَبْدَ اللهِ ، أَنَا مَمْلُوكُكَ فَأَعْتِقْنِى ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُكَ . فَأَخْبَرْتُهُ ، فَبَكَى وَتَضَرَّعَ وقَالَ : أَنْتَ فى حِلٍّ . فَلَمَّا قَالَهَا تَنَاثَرَ [٣] الدُّودُ مِنْ عَضُدِى ، وَسَكَنَ الْوَجَعُ . فَقُلْتُ لَهُ : بِمَاذَا دَعَوْتَ عَلَىَّ ؟ قَالَ : لَمَّا ضَرَبْتَ رَأْسِى وَأَخَذْتَ السَّمَكَةَ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَبَكَيْتُ فَقُلْتُ : يَارَبِّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ عَدْلٌ ، تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ [٤] وَأَنَّكَ الْحَقُّ ، تُحِبُّ الْحَقَّ ، وَخَلَقْتَنِى وَخَلَقْتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ [٥] قَوِيًّا وَجَعَلْتَنِى ضَعِيفًا ، فَأَسْأَلُكَ يَا مَنْ [٦] خَلَقْتَنِى وَخَلَقْتَهُ أَنْ تَجْعَلَهُ عِبْرَةً لِخَلْقِكَ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الانْتِقَامِ ، وَإِنَّ أَنْقَصَ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ دُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الظُّلْمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ [٧] : ظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ ، وَظُلْمٌ لا يَتْرُكُهُ اللهُ ، وَظُلْمٌ لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ [٨] ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لا يَغْفِرُهُ اللهُ فَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لا يَتْرُكُهُ اللهُ فَمَظَالِمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ فَظُلْمُ الْعَبْدِ مَا [٩] بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى .

---

(١) فى « م » : « فى كفّ ثم فى ساعدِى » .
(٢) فى « ط » : « فقلتُ : ياعبد الله » .
(٣) فى « م » : « تناثرت » .
(٤) قوله : « تحب العدل ، وهذا منك عدل » عن « ط » .
(٥) قوله : « وجعلته » عن « ط » .
(٦) فى « م » : « فأسألك بالذى » .
(٧) فى « م » : « الظُّلم ثلاثة » .
(٨) فى « ط » : « لايعبأُ الله به شيئاً » .
(٩) « ما » عن « ط » .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ظَلَمَ رَجُلًا مَظْلِمَةً فَفَاتَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا فَاسْتَغْفَرَ اللهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ، رَجَوْتُ (١) أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَظْلِمَتِهِ . وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ (٢) : تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَوَجَدُوا (٣) عَلَيْهِ وَجْدًا شَدِيدًا ، وَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى (٤) الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (٥) ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَدَعَا ، فَأَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ ، فَسَأَلَ عِيسَى (٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللهِ مَا عَصَيْتُ قَطُّ ، إِلَّا أَنِّي مَرَرْتُ بِمَظْلُومٍ فَلَمْ أَنْصُرْهُ ، فَتَنَعَّلْتُ هَاتَيْنِ النَّعْلَيْنِ (٧) . وَأَمَّا أَنَا فَأُوصِيكَ إِذَا فَعَلْتَ بِأَحَدٍ مَكْرُوهًا فَادْعُ اللهَ تَعَالَى لَهُ (٨) وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٩) لَمَّا آذَى هَارُونَ وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ (١٠) ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَرَاءَتُهُ ، وَأَنَّ (١١) بَنِي إِسْرَائِيلَ غَلَبُوهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٢) .

---

(١) فى « م » : « كلاه » بالكاف مكان « صلاة » تحريف من الناسخ .. وفيها : « وجب » مكان « رجوت » .

(٢) هو : يوسف بن أسْبَاط الشيبانى ، الزاهد الواعظ ، رَوَى عن سُفيان الثورى وغيره ، ورَوَى عنه المُسَيَّب بن واضح ، وعبد الله بن خبيق الأنطاكى .. وَثَّقه يحيى بن معين .. وقال البخارى : « كان قد دفَن كتبه ، فكان لايجىء بحديثه كما ينبغى .

[انظر طبقات الصوفية ص ٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٦٢ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٣٧ – ٢٥٣] .

(٣) وَجَدُوا : حَزِنُوا .

(٤) فى « م » : « على » تحريف .

(٥) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٦) « عيسى » عن « ط » .

(٧) تنعلتُ : لبستُ النَّعْل . وفى « م » : « فنعلت هاتين النعلتين » .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) فى « م » : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) أخذ بلحيته ورأسه : جَذَبَهُ من شعر لحيته ورأسه ، وذلك حينما عاد موسى من مناجاة ربه فوجد قومه قد أضَلَّهم السامرىُّ بعجله فعبدوه ، فغضب موسى على أخيه لأنه أمره أن يخلفه فى قومه ، فظن أنه قصر فى القيام بواجبه نحوهم ، فقال لأخيه : أَلَمْ آمُرْكَ أن تخلفنى فى هؤلاء القوم وأن تصلح فيهم ؟ فما منعك إذْ رأيت القوم قد انخدعوا بكيد السَّامِرىِّ وضلُّوا باتباعه ، ومالوا إلى عبادة العجل أن تتبعنى وتلحق بى لتخبرنى بحالهم ؟ فأجابه بأنه نصحهم وأمرهم بالثبات على دينهم ، فعصوه ..

[انظر سورة طه ، الآيات من ٨٥ ومابعدها .. وسورة الأعراف ، الآيات من ١٤٨ ومابعدها] .

(١١) فى « م » : « فإنَّ » .

(١٢) سورة الأعراف – الآية ١٥١ .

وَرُوِىَ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانَتْ فِيهِمْ عَشْرُ خِصَالٍ ، فَأَهلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى [١] بِهَا : كَانُوا يَتغَوَّطُونَ [٢] فى الطُّرُقَاتِ ، وَتَحْتَ الأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَفِى الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ ، وَفِى شُطُوطِ الأَنْهَارِ ، وَكَانُوا يَخْذِفُونَ [٣] النَّاسَ بِالْحَصَى فَيُدْمُونَهُمْ [٤] ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا فى الْمَجَالِسِ أَظْهَرُوا الْمُنْكَرَ بِإِخْرَاجِ الرِّيحِ مِنْهُم ، وَاللَّطْمِ عَلَى رِقَابِهِمْ ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَ ثِيَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَوَّطُوا ، وَيَأْتُونَ بِالطَّامَّةِ [٥] الْكُبْرَى ، وَهِىَ اللِّوَاطَةُ [٦] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فى نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ** ﴾ [٧] . وَالنَّادِى : الْمَجْلِسُ . وَيَلْعَبُونَ بِالْحَمَامِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَامِقِ [٨] وَضَرْبِ الدُّفِّ [٩] ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ [١٠] ، وَقَصِّ اللِّحْيَةِ ، وَتَطْوِيلِ الشَّارِبِ ، وَالتَّصْفِيقِ ، وَلُبْسِ الْحُمْرَةِ [١١] وَتَزِيدُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الأُمَّةُ بِإِتْيَانِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا [١٢] ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى إِتْيَانِ الرِّجَالِ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ ثِمَارٌ كَثِيرَةٌ فى مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِطِهِمْ [١٣] فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَقِلَّةٌ مِنَ الثِّمَارِ ، فَقَالُوا : بِأَىِّ

---

(١) « تعالى » عن « م » .

(٢) فى « م » و « ط » : « عشرة خصال » .. خطأ فى اللغة ، والصواب ما أثبتناه . وكلمة يتغوّطون : يتبرّزون .

(٣) يَخْذِفون : يقذفون .

(٤) أى : حتى يسيل منهم الدم .. وفى « م » : « فيعورونهم » أى : يُصيّرونهم عُورًا .

(٥) فى « م » : « الطّامة » أى : الداهية العظيمة .

(٦) اللّواطة : نوع من الشذوذ الجنسى .. وفى « م » : « اللوطية » مصدر صناعى من : لَاطَ يلُوطُ ، إذا عَمِلَ عَمَل قوم لوط .

(٧) سورة العنكبوت ، من الآية ٢٩ .

(٨) الجَلامِق : جمع جُلْمَق ، وهى : القوس – فارسى معرب – وفى « ط » : « بالجَلاهِق » وهو : البندق الذى يُرْمَى به .. أو هو الطين المُدَوّر الأملس .. وهى أيضاً لفظة فارسية مُعَرَّبة .

(٩) الدُّفّ : آلة من آلاتِ الطرب .. وضرب الدُّفّ : النقر عليه .

(١٠) فى « ط » : « الخمور » .

(١١) الحُمْرَة : اللّوْن الأحمر .

(١٢) فى « ط » : « بإتيان النساء بعضهن بعضاً » .

(١٣) حوائطهم : بساتينهم .

شَيْءٍ نَمْنَعُ ثِمَارَنَا حَتَّى لا يَطْرُقَهَا (١) أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنَّ مَنْ وَجَدُوهُ فِيهَا نَكَحُوهُ وَغَرَّمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، فَفَعَلُوا ، وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ (٢) مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ بَدْءُ الْفَاحِشَةِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِذَلِكَ ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فِى هَيْئَةِ صَبِىٍّ أَجْمَلَ شَيْءٍ رَآهُ النَّاسُ (٣) ، فَنَكَحُوهُ وَتَجَرَّءُوا (٤) عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَمَا وَاللهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ ... وَلَكِنَّ الْمُسِيءَ هُوَ الظَّلُومُ
إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِى ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَلِ الأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ ... فَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَرُوِى أَنَّ أَنُوشِرْوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ ، فَعَلَّمَهُ حَتَّى فَاقَ فِى الْعُلُومِ (٥) ، فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ ، فَحَقَدَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَلِىَ الْمُلْكَ قَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَاصَنَعْتَ مِنْ ضَرْبِى يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ظُلْمًا ؟ قَالَ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِى الْعِلْمِ رَجَوْتُ لَكَ الْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ ، فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : زِهْ (٦) .

* * *

---

(١) يطرقها : يأتيها ويسلك إليها .
(٢) فى « م » : « مِنْ أَحَدٍ » .
(٣) فى « م » : « أجمل مايكون من أحسن شيء رآه الناس » .
(٤) فى « م » : « وجرءوا » .
(٥) فاق فى العلوم : تفوّق فيها .
(٦) زِهْ : كلمة فارسية تُقال عند الاستحسان ، وقد تقال عند الاستهجان تهكُّمًا وسُخْرِيَة .. وهى هنا للاستحسان .. وفى « م » : « زاه » تحريف .

الْبَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِى تَحْرِيمِ السِّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَقُبْحِهِمَا وَمَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيمَةِ (*)

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (١) ، فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فى الْقُرْآنِ أَصْنَافَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ ، وَالتَّثْلِيثِ وَأَهْلَ الدَّهْرِ (٢) وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَأَشْبَاهَهُمْ ، وَلَمْ يَسُبَّ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، إِلَّا النَّمَّامَ فى هَذِهِ الْآيَةِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا خِسَّةً (٣) وَرَذِيلَةً وَسُقُوطًا وَضَعَةً (٤) . وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ (٥) فى أَصَحِّ الْأَقْوَالِ . وَالْهَمَّازُ :

(*) فى « م » : « النميمة والسعاية .. والأخلاق الذميمة » ومعنى السعاية : الوشاية .

(١) سورة القلم ، الآيات من ١٠ - ١٣ .. والحلَّاف : الكثير الحَلِف فى الحق والباطل . والمَهِين : الحقير فى الرأى والتمييز ، أو الكذاب . والهَمَّاز : العيَّاب ، أو الذى يغتاب الناس .. ومشّاء بنميم : يسعى بين الناس بالنميمة والإفساد .. والعُتُل : الغليظ الجاف ، أو الفاحش اللئيم .. والزَّنيم : الدَّعِيُّ المُلْصَقُ بقومه ، أو الشرير ، وستأتى .

(٢) أهل التثليث : النصارى .. وأهل الدهر : الدهريون .. وقد مرت .

(٣) فى « م » : « بفاحشة » وهى تحريف من قوله : « بها خسَّة » حيث جاء مابعدها منصوب على التمييز ، ولو كانت الأولى لكان العطف عليها بالجر ، وهذا غير وارد .

(٤) الضَّعة : الانحطاط واللؤم والدناءة .

(٥) هو : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ، أبو عبد شمس ، من قُضاة العرب فى الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها .. ولد سنة ٩٥ قبل الهجرة ، وتوفى فى السنة الأولى منها ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٢٢ ، والمعارف ص ٥٥١] .

الْمُغْتَابُ الَّذِى يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ ، الطَّاعِنُ فِيهِمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : هُوَ الَّذِى يَغْمِزُ بِأَخِيهِ (١) فِى الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ الْهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ . وَالْعُتُلُّ فِى اللُّغَةِ : الْغَلِيظُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَتْلِ ، وَهُوَ : الدَّفْعُ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ (٢) . وَقَالَ عَلِىٌّ [رَضِىَ اللهُ عَنْهُ] (٣) وَالْحَسَنُ الْبَصْرِىُّ : الْعُتُلُّ : الْفَاحِشُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْعُتُلُّ : الْفَاتِكُ الشَّدِيدُ ، الْمُنَافِقُ . وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ : الْعُتُلُّ : الأَكُولُ ، الشَّرُوبُ (٤) الْقَوِىُّ الشَّدِيدُ ، يُوضَعُ فِى الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً . وَقَالَ يَمَانُ (٥) : هُوَ الْجَافِى الْقَاسِى اللَّئِيمُ الْعَسِرُ (٦) . وَقَالَ مُقَاتِلٌ (٧) : الْعُتُلُّ : الضَّخْمُ . وَقَالَ الْكَلْبِىُّ (٨) : الشَّدِيدُ فِى كُفْرِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ عُتُلٌّ (٩) . وَقِيلَ : الْعُتُلُّ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ ، وَالزَّنِيمُ : هُوَ الَّذِى لا يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ .. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (١٠) :

---

(١) يغمز بأخيه : يسعى به شرًّا .

(٢) فى « م » : « وهو الدفع بالعنف » .

(٣) مابين المعقوفتين عن « ط » .

(٤) الشَّرُوب : الكثير الشرب .

(٥) هو الصحابى حُسَيْل – أو حِسْل – بالتكبير – بن جابر بن ربيعة العَبْسِىّ ، وهو والد الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان ، واليمان لقبٌ له . قُتل حسيل يوم أُحُد خطأً ، اختلفت عليه أسياف المسلمين وهم لايعرفونه ، فقتلوه ، فأراد رسول الله ، ﷺ أن يَدِيَهُ ، فتصدَّق حذيفة بِدِيَتِهِ على المسلمين .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ ، و ج ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والمعارف ٢٦٣] .

(٦) العَسِرُ : الصَّعْبُ .

(٧) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى ، من أعلام المفسرين . وقد مرت ترجمته .

(٨) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبى ، أبو النضر ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب والأنساب ، وقد أجمعوا على تركه ، وقد أُتُّهِمَ بالكذب والرفض .. ولد بالكوفة ، وبها توفى سنة ١٤٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٣٣ ، والمعارف ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٥٦ – ٥٥٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٠٩ – ٣١١ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ١٥٨] .

(٩) فى « م » : « هو : الشديد فى كُفره ، وكل شديد عند العرب عُتُل » .

(١٠) هو : أبو الوليد ، حسَّان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى ، من بنى النجار ، صحابى ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، وعمى قبل وفاته .. لم يشهد مع النبى ، ﷺ مشهدًا ، لأنه كان جباناً ، ويُعَدُّ من فحول الشعراء ، كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمانيين فى الإسلام ، وكان شديد الهجاء . توفى بالمدينة سنة ٥٤ هـ =

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِى آلِ هَاشِمٍ   كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ (١)

وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ   بَغِىُّ الأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ (٢)

وَقَالَ أَكْثَرُ النَّقَلَةِ : هَذَا رَجُلٌ إِنَّمَا ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِى عَشْرَةَ سَنَةً (٣) . وَعَنْ هَذَا قَالَ الْقُدَمَاءُ : لا يَكُونُ نَمَّامًا إِلَّا وَفِى نَسَبِهِ شَىْءٌ . وَسَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ بِرَجُلٍ (٤) ، وَكَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : انْصَرِفْ حَتَّى أَكْشِفَ عَنْكَ ، فَكَشَفَ عَنْهُ (٥) ، فَإِذَا هُوَ لِغَيْرِ رَشْدَةٍ (٦) ، يَعْنِى وَلَدَ زِنًى . وَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ : لا يَبْغِى عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَدُ بَغِىٍّ .

وَقِيلَ : الزَّنِيمُ الَّذِى لَهُ زَنَمَةٌ (٧) فِى عُنُقِهِ يُعْرَفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرَفُ الشَّاةُ . قَالَ ابْنُ

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥ – ٧ ، والمعارف ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٠٥ – ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، وديوان حسان بن ثابت « التمهيد » ص ٩ ط دار المعارف ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والأغانى ج ٤ ص ١٣٤٨ – ١٣٨٤] .

(١) البيت من الطويل ، وهو من قصيدة يهجو بها حسَّانُ أباسُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان قد هجا النبى ، ﷺ ، فقال النبى : « مَنْ لهذا ؟ » فأتاه عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، فقال لحسّان : اهجه وجبريل معك ، أيدك الله بروح القدس .

ونيط بالقوم ، أى : ليس منهم ، أو : لايتعلق بنسبهم .. والقَدَحُ الفَرْدُ : القدح الذى يُعَلَّقُ فى آخر الرَّحْل عند فراغه من تَرْحَالِه . والمراد : أنه مؤخَّر فى الذِّكْرِ .. وفى رواية : « وكُنْتَ دعِيًّا » مكان « وأنت زنيمٌ » .. وفى الأغانى : « وأنت هجين » .

[انظر ديوان حسان بن ثابت ط دار المعارف ص ١١٨ ، وديوان حسان ط مطبعة السعادة ص ١٣٣ ، واللسان ، مادة « قدح » و « زنم »] .

(٢) البيت من الوافر ، وذو حَسَبٍ لئيم : ليس لآبائه شرف أو مناقب يفخر بها .

(٣) فى « م » : « ثمانية عشر سنة » لاتصح .

(٤) قوله : « برَجُل » عن « ط » .. وسعَى برجُلٍ : وشَى به . وبلال بن أبى بردة الأشعرى ، أمير البصرة وقاضيها . وقد مرت ترجمته .

(٥) فى « م » : « انصرف حتى أكشف لك عنه » .

(٦) الرِّشْدَةُ ، بفتح الراء المهملة المشددة وكسرها : صحيح النسب .

(٧) زَنَمة : لحمة مُتدلية .

عَبَّاسٍ : لَمَّا وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْحَالِ الْمَذْمُومَةِ لَمْ يُعْرَفْ [١] حَتَّى قِيلَ : زَنِيمٌ ، فَعُرِفَ ، لأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَنَمَةٌ يُعْرَفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرَفُ الشَّاةُ بِزَنَمَتِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ** ﴾ [٢] ، نَزَلَتْ فِى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ [٣] ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى بَنِى الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ الْوَقْعَةِ [٤] ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَزِعَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : مَنَعُونِى صَدَقَاتِهِمْ وَأَرَادُوا قَتْلِى ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ [٥] ، ثُمَّ كَشَفَ أَمْرَهُمْ فَوَجَدَ مَا قَالَهُ كَذِبًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ، وَسَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى فَاسِقًا .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** ﴾ [٦] .. فَشَرَكَ

---

(١) فى « م » : « لم نعرفه » .

(٢) فى « م » : « بجهالة » تحريف .. وتمام الآية : ﴿ فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾ وهى الآية السادسة من سورة الحجرات .. ومعنى فاسق : كاذب .. فتبينوا : فتثبَّتوا .. بجهالة : بخطأ .

(٣) هو : الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ، أبو وهب الأموى ، القرشى ، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم ، فيه ظُرف ومجون ولهو ، وهو أخو عثمان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، وبعثه رسول الله ، ﷺ على صدقات بنى المُصْطَلِق ، ثم ولّاه عمر صدقات بنى تغلب ، وولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقّاص سنة ٢٥ هـ فانصرف إليها ، وأقام إلى سنة ٢٩ هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر ، فعزله ، ودعا به إلى المدينة ، فجاء وأقام عليه الحد ، وحبسه ، ولما قُتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها ، واعتزل الفتنة بين علىٍّ ومعاوية ، ولكنه رثى عثمان وحرَّض معاوية على الأخذ بثأره . ومات بالرقة سنة ٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٢٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٥١ – ٤٥٣ ، والمعارف ص ٣١٨ ، ٣٢٠] .

(٤) الوقعة : غزوة بنى المُصْطَلِق .

(٥) « عليهم » عن « ط » .. وكان سبب غضبه ، ﷺ ، أنَّ عُقْبَة أخبره أنهم قد ارتدُّوا عن الإسلام ، فبعث النبى ، ﷺ إليهم خالد بن الوليد ، وأَمَرَهُ أن يتثبت ولايتعجل حتى يتأكد من صحة الخبر ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونه إليهم ، فلما عادوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، ورأى صحة ماذكروه ، فعاد إلى النبى ، ﷺ ، وأخبره ، فنزلت الآية المذكورة .

(٦) سورة المائدة ، من الآية ٤٢ ، وقد نزلت فى اليهود .. سَمَّاعُون للكَذِب : يسمع بعضهم من بعض الأكاذيب والمفتريات .. أكَّالُون للسُّحْت : أكَّالُون للكسب الدَّنِىء والحرام ، كالرشوة ونحوها .

اللهُ تَعالَى بَيْنَ السَّامِعِ وَالْقَائِلِ فى الْقُبْحِ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمَا [١] فى الذَّمِّ ، فَكَانَ فِيهِ تَنْبِيهٌ [٢] عَلَى أَنَّ السَّامِعَ نَمَّامٌ [٣] فى الْحُكْمِ ، وَأَمَّا مَا رُوِىَ [٤] فِيهِ عَنِ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فى الصَّحِيحِ قَالَ هَمَّامٌ [٥] كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ [٦] إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ » وَفِى لَفْظٍ آخَرَ : نَمَّامٌ [٧] . وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « مِنْ شِرَارِكُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ [٨] ، الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ » . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَلْعُونٌ ذُو الْوَجْهَيْنِ [٩] ، مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ [١٠]

---

(١) فى « م » و « ط » : « بينهم » .

(٢) فى « م » : « تنبيهاً » بالنصب .. ولاتصح .. اسم كان .

(٣) فى « م » : « نماماً » بالنصب .. خطأ ، والصواب بالرفع ، خبر أنَّ .

(٤) هنا فى « م » : قدَّم الناسخ على هذا الحديث قول النبى ، ﷺ : « أَلَا أخبركم بشراركم .. الخ » وسيأتى .. ثم كرره بعد ذلك سهوًا .

(٥) هو : هَمَّامُ بن الحارث النَّخَعِىُّ ، الكوفِىُّ ، تابعى ثقة ، روَى عن حذيفة بن اليمان فى الإيمان ، وعائشة فى الوضوء ، وعَدِىِّ بن حاتم فى الصيد ، والمقداد بن الأسود فى المدَّاحين وغيرهم .. قال ابن سعد : توفى فى ولاية الحجاج .

[انظر رجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٧٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٠] .

(٦) يرفع الحديث : ينقله على سبيل النميمة ، وهى نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم .

(٧) القتَّاتُ والنمَّام بمعنىً واحدٍ .. والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب تغليظ النميمة ج ٢ ص ١١٢ ، ١١٣ بشرح النووى ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى القتَّات ج ٤ ص ٢٦٩ ، والترمذى فى أبواب البر والصِّلَة ، باب ماجاء فى النَّمام ج ٨ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، فى الترهيب من النميمة ج ٣ ص ٤٩٥ .

(٨) فى « م » : « المُفَرِّقون بين الأحِبَّة » . وكلاهما مروىٌّ .. والباغون : الطالبون . أخرجه المنذرى فى الباب السابق ص ٤٩٩ .

(٩) ذو الوجهين : الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، أى : يتزلف إلى الفريقين ليوهم كُلًّا منهما أنه من أنصاره وأوليائه ، ويخبرهما أخبارًا كاذبة تزيد الجفاء والنفور ، وتغرس الضغائن والأحقاد فى قلوبهما ، فتشتعل نار العداوة بينهما .

(١٠) ذو اللسانين : الذى يقابل هذا فيذم عدوه ويقدح فى عرض خصمه ، وإذا قابل هذا الخصم أثْنَى عليه وذَمَّ مَنْ كان يمدحه .. وفى الحديث : « مَنْ كان ذا لسانين جَعَل الله له يوم القيامة لسانين من نارٍ » .. ليذوق أشد الآلام ، ويصطلى لسانه النار مضاعفة .

=

مَلْعُونٌ كُلُّ سَفَّارٍ [١] مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ » . فَالسَّفَّارُ : الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْقَتَّاتُ : النَّمَّامُ ، وَالْمَنَّانُ : الَّذِى يَعْمَلُ [٢] الْخَيْرَ وَيَمُنُّ بِهِ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ [٣] ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ [٤] ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ » ، فَأَخَذَ [٥] جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ [٦] ، فَغَرَزَ فِى كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَالَمْ يَيْبَسَا » [٧] . وَذَلِكَ لِبَرَكَةِ يَدِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا السِّعَايَةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى كُلِّ ذِى قُدْرَةٍ وَمُكْنَةٍ [٨] فَهِىَ الْمُهْلِكَةُ وَالْحَالِقَةُ ، لِأَنَّهَا [٩] تَجْمَعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ الْغِيْبَةَ وَلُؤْمَ النَّمِيمَةِ [١٠] ، وَالتَّغْرِيرَ بِالنُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ [١١] ، وَالْقَدْحَ فِى الْمَنَازِلِ وَالأَحْوَالِ [١٢] ، وَتَسْلُبُ الْعَزِيزَ عِزَّهُ ، وَتَحُطُّ الْمَكِينَ

= [انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى .. ترهيب ذى الوجهين وذى اللسانين ج ٣ ص ٦٠٢ — ٦٠٤ ، ومجمع الزوائد للهيثمى ، باب فى ذى الوجهين واللسانين ج٨ ص ٩٨ ، ٩٩] .

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « شفار » فى الموضعين ، بالشين المعجمة ، ولم أقف عليها فى نص الحديث فى المصدرين السابقين ، ولا فى الكتب الستة أيضاً .

(٢) فى « م » : « يفعل » .

(٣) أى : أنهما لم يُعَذَّبَا فى أمر كان يكبر ويشق عليهما الاحتراز عنه .. وفى « ط » : « فى كثير » .

(٤) لايستبرئ : لايتطهر .. وفى رواية : « لايستنزه » أى : لايجتنب ولايتحرز من وقوعه عليه .

(٥) فى « م » : « ثم أخذ » .

(٦) فى « م » : « بنصفين » .

(٧) الحديث رواه البخارى فى كتاب الوضوء ، باب من الكبائر ألّا يستتر من بوله ، وباب ماجاء فى غسل البول ، وغيرهما من الأبواب ج ١ ص ٣١٧ ، ٣٢٢ من فتح البارى .. وابن ماجه فى سُنَنِه فى كتاب الطهارة ، باب التشديد فى البول ج ١ ص ١٢٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، فى الترهيب من النميمة ج ٣ ص ٤٩٨ باختلاف يسير فى ألفاظه ، وابن حبّان فى صحيحه ، فى ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النميمة ج ٥ ص ٥٢ .

(٨) فى « م » : « كل ذى مُكْنَة » . والمُكنة : القُدْرَة والاستطاعة .

(٩) « لأنها » عن « م » .. وفيها : « فهى الحالقة المهلكة » . والحالقة : المنية .. والسَّنَة تأتى على كل شىء .

(١٠) فى « م » : « الغيبة والنميمة » .

(١١) التغرير بالنفوس والأموال : تعريضها للهَلَكة .

(١٢)القدح فى المنازل والأحوال : العيب والتَّنَقُّصُ لذوى المراتب والمكانة الرفيعة .

عَنْ مَكَانَتِهِ (١) ، وَالسَّيِّدَ عَنْ مَرْتَبَتِهِ ، فَكَمْ مِنْ دَمٍ (٢) أَرَاقَهُ سَعْىُ سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ (٣) أُسْتُبِيحَ بِنَمِيمَةِ بَاغٍ (٤) ، وَكَمْ مِنْ صَفِيَّيْنِ تَقَاطَعَا ، وَمِنْ مُتَوَاصِلَيْنِ تَبَاعَدَا ، وَمِنْ مُحِبَّيْنِ تَبَاغَضَا ، وَمِنْ إِلْفَيْنِ تَهَاجَرَا ، وَمِنْ زَوْجَيْنِ افْتَرَقَا ، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ سَاعَدَتْهُ الأَيَّامُ ، وَتَرَاخَتْ عَنْهُ الأَقْدَارُ ، أَنْ يَصِيخَ لِسَاعٍ (٥) ، أَوْ يَسْمَعَ لِنَمَّامٍ .

وَرَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الْجَنَّةُ لا يَدْخُلُهَا دَيُّوثٌ وَلَا قَلَّاعٌ » . فَالدَّيُّوثُ : الَّذِى يَجْمَعُ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ (٦) ، سُمِّىَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُدَيِّثُ بَيْنَهُمْ (٧) ، وَالْقَلَّاعُ : السَّاعِى الَّذِى يَقَعُ فى النَّاسِ عِنْدَ الأُمَرَاءِ ، لأَنَّهُ يَقْصِدُ الرَّجُلَ الْمُتَمَكِّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَا يَزَالُ يَقَعُ فِيهِ حَتَّى يَقْلَعَهُ (٨) . وَقَالَ كَعْبٌ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (٩) ، فَخَرَجَ مُوسَى يَسْتَسْقِى بِبَنِى إِسْرَائِيلَ ، فَلَمْ يُسْقَوْا ، ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً ، فَلَمْ يُسْقَوْا ، ثُمَّ خَرَجَ الثَّالِثَةَ ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنِّى لا أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ ، فَإِنَّ فِيكُمْ نَمَّامًا . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هُوَ حَتَّى نُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى ، أَنْهَاكُمْ عَنِ النَّمِيمَةِ وَآتِيهَا (١٠) ؟ فَتَابُوا ، فَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ (١١) عَلَيْهِمُ الْغَيْثَ .

---

(١) تحط المكين عن مكانته : تسلب العظيم منزلته ورفعة شأنه وقَدْرَه .

(٢) فى « م » : « فكَمْ دمٍ » .

(٣) الحريم : ماحُرِّمَ فلا يُنْتَهك .

(٤) فى « م » : « بنميمةٍ مِنْ باغ » .

(٥) يصيخ لساعٍ : يستمع لِوَاشٍ نَمَّام .

(٦) فى « م » : « بين الرجال والنساء » .

(٧) أى : يُذَلِّل ويُسَهِّل بينهم العقبات ، وهى من « دَيَّثَ » .. وفى « م » و « ط » : « يَدُثُّ » من « دَثَّ » ومعناه : دَفَعَ .

(٨) أى : يخوض فى حق ذلك الإنسان بالباطل لدى السلطان حتى يعزله .. وقد مرت .

(٩) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) فى « م » : « وأكون نَمَّاماً ؟ » .

(١١) فى « م » : « تعالَى » .

وَلَمَّا لَقِيَ أُسْقُفُ (١) نَجْرَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، احْذَرْ قَاتِلَ الثَّلَاثَةِ . قَالَ : وَمَنْ قَاتِلُ الثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِي الإِمَامَ بِالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَيَقْبَلُهُ (٢) الإِمَامُ ، فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَإِمَامَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَاكَ أَبْعَدْتَ (٣) . وَوَجَدْنَا فِي حِكَمِ الْقُدَمَاءِ : أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ الْمُثَلِّثُ (٤) ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ : هُوَ الرَّجُلُ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ بِأَخِيهِ إِلَى الإِمَامِ ، فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ وَإِمَامَهُ . وَذُكِرَ السُّعَاةُ (٥) عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ (٦) عِنْدَ اللهِ تَعَالَى . وَقَالَ حَكِيمُ الْفُرْسِ : الصِّدْقُ زَيْنٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ (٧) إِلَّا السِّعَايَةَ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ أَذَمُّ وَآثَمُ مَا يَكُونُ إِذَا صَدَقَ .

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا سَعَى بِجَارٍ لَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَمَّا أَنْتَ فَتُخْبِرُنَا أَنَّكَ جَارُ سُوءٍ ، إِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَبْغَضْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقَبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ (٨) . قَالَ : تَارِكْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ تَارَكْنَاكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الإِسْكَنْدَرِ حِينَ وَشَى إِلَيْهِ وَاشٍ بِرَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ الإِسْكَنْدَرُ : إِنْ شِئْتَ قَبِلْنَاكَ عَلَى صَاحِبِكَ بِشَرْطِ أَنْ نَقْبَلَهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقَلْنَاكَ (٩) . قَالَ : أَقِلْنِي . قَالَ : قَدْ أَقَلْنَاكَ . كُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكُفَّ عَنْكَ الشَّرُّ .

---

(١) الأُسْقُفُّ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المطران .

(٢) في « م » : « فيقتله » .

(٣) أَبْعَدْتَ : شَطَطْتَ ، أو جاوزت الحقيقة فيما قلت .

(٤) في « م » : « الثلث » تحريف .. وفي اللسان : « شَرُّ النَّاسِ الْمُثَلِّثُ » [انظر المصدر السابق ، مادة : ثلث]

(٥) في « ط » : « وذُكِرَت السعاية » .

(٦) في « ط » : « مايكون » .

(٧) أي : جميلٌ وحَسَنٌ مِن كل إنسان .. وفي « ط » : « زَيْنٌ كُلِّ أَحَدٍ » .

(٨) تَارَكْنَاكَ : صَالَحْنَاكَ على تَرْكِهِ .

(٩) أَقَلْنَاكَ : أعفيناك .

وَمِنَ الْعَجَبِ الَّذى لاعَجَبَ بَعْدَهُ ، أَنَّ الرَّجُلَ يَشْهَدُ عِنْدَكَ فى بَاقَةِ بَقْلٍ فَلَا تَقْبَلُهُ حَتَّى تَسْأَلَ النَّاسَ عَنْهُ : هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ ، ثُمَّ يَنِمُّ عِنْدَكَ (١) بِحَدِيثٍ فِيهِ الْهَلَاكُ وَفَسَادُ الأَحْوَالِ فَتَقْبَلُهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ (٢) : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا لَمَّا سُقِىَ السُّمَّ : أَخْبِرْنِى مَنْ سَقَاكَ ؟ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : أَنَا فى آخِرِ قَدَمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ قَدَمٍ مِنَ الآخِرَةِ تَأْمُرُنِى أَنْ أَغْمِزَ (٣) ؟ قَالَ رَجُلٌ لِلْمَهْدِىِّ : عِنْدِى نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ هَذِهِ ؟ أَلَنَا ، أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ الْمَهْدِىُّ : لَيْسَ السَّاعِى بِأَعْظَمَ عَوْرَةً ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا ، مِمَّنْ قَبِلَ سِعَايَتَهُ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا نُشْفِى (٤) لَكَ غَيْظًا ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا نُعَاقِبُ لَكَ عَدُوَّكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لايَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا للهِ فِيهِ رِضًا وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ .

وَرُوِىَ أَنَّ سَاعِيًا سَعَى بِرَجُلٍ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ (٥) ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : نَحْنُ

---

(١) فى « م » : « عنك » تحريف .

(٢) هو : يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار مع أبيه على بنى مروان ، وقُتل أبوه وصُلِبَ بالكوفة ، فانصرف إلى « بلخ » ودعا إلى نفسه سرًّا ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه ، وقُتِلَ يحيى فى « الجوزجان » سنة ١٢٥ هـ ، وحُمل رأسه إلى الوليد بن يزيد فى دمشق ، وصُلِبَ جسده بالجوزجان وبقى مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراسانى واستولى على « خراسان » فأنزل جثة يحيى وصَلَّى عليها ودُفنت هناك .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ج٥ ص ١٢٣ ، والمحبر ص ٤٨٣ ، ٤٨٤]

(٣) أغمِز ، أى : أسْعَى فى الشرّ .

(٤) فى « م » : « يشفى » .

(٥) هو : الفضل بن سهل السَّرْخَسِىُّ ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره ، اتصَلَ به فى صباه وأسلم على يديه سنة ١٩٠ هـ ، وكان مجوسيًّا ، وصحبه قبل أن يلى الخلافة فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان يُلَقَّبُ بذى الرياستين (الحرب والسياسة) .. وكان حازماً عاقلاً ومن الأكْفَاء .. وقد ولد الفضل سنة ١٥٤ هـ ، وتوفى فى « سَرَخْسَ » بخراسان سنة ٢٠٢ هـ ، قتلته جماعة حينما كان فى الحمّام .. وقيل : إن المأمون دسَّهم له وقد ثقل عليه أمره .. وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ - ٤٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٤ ، ٥ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٥ ، والعبر للذهبى ج ١ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥]

نَرَى قَبُولَ السِّعَايَةِ أَشَرَّ مِنَ السِّعَايَةِ ، لِأَنَّ السِّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ (١) ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ (٢) ، لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ أَشَرُّ مِمَّنْ قَالَ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا رَفَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ نَصِيحَةً (٣) فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِهَا : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدْ (٤) بِهَا وَجْهُ اللهِ تَعَالَى ، وَلَا جَوَابَ عِنْدَنَا لِمَنْ آثَرَنَا عَلَى اللهِ تَعَالَى .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْمَأْمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللهَ اللهَ (٥) فِى أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ إِنْ أُعْطُوا كَذَبُوا ، وَإِنْ حُرِمُوا كَذَبُوا ، فَإِنْ (٦) أُعْطُوا مَدَحُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ ، وَإِنْ حُرِمُوا ذَمُّوا وَهُمْ كَاذِبُونَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِلَّهِ دَرُّهَا مِنْ كَلِمَةٍ مَا أَصْدَقَهَا (٧) وَأَبْيَنَ فَضْلَهَا ! وَأَمَرَ أَنْ تُثْبَتَ فِى أُمُورِ (٨) أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْعَبْسِىُّ (٩) : يَا بَنِى عَبْسٍ ، احْفَظُوا عَنِّى ثَلَاثًا : مَنْ نَقَلَ إِلَيْكُمْ نَقَلَ عَنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّزْوِيجَ فِى الْبُيُوتَاتِ السُّوءِ ، وَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الصَّدِيقِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْتَقِلُّوا مِنَ الْعَدُوِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اسْتِكْثَارَهُ مُمْكِنٌ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : احْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَلُصُوصَ الْمَوَدَّاتِ ، وَهُمُ السُّعَاةُ وَالنَّمَّامُونَ ، إِذَا سَرَقَ اللُّصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا الْمَوَدَّاتِ . وَقَالَ حَكِيمُ الْعَرَبِ : إِيَّاكَ

---

(١) الدَّلَالَة : الإرشادُ .. والإجازةُ : الإمضاء والتنفيذ .

(٢) فى « ط » : « قَبِلَ وأجازَ » .

(٣) فى « م » : « رقْعَة » .

(٤) فى « م » : « لم تُرِدْ » .

(٥) فى « م » كرر لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات .

(٦) فى « م » : « وإنْ » .

(٧) فى « ط » : « ما أقْصَدَهَا » أى : ما أسدها .

(٨) فى « م » : « فى أصحاب » .

(٩) هو : مروان بن زِنْبَاع بن جَذِيمة بن رَواحَة العَبْسِىّ ، جاهلى ، من المُغِيرِين ، كان يغير على أهل القَرَظ – فى اليمن – فنُسِبَ إلى ذلك ، فقيل : مروان القَرَظ .. ويُعَدُّ من أوفياء العرب فى الجاهلية ، وكان من وفائه أن أخذ عُودًا من الأرض فدفعه رهناً بمائة من الإبل ، فوفى بها .

[انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤٠٥ ، والمحبر ص ٣٤٩ – ٣٥١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥١ ، ولسان العرب مادة : قَرَظ] .

وَالسُّعَاةَ ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ عَقْلِكَ وَلُصُوصُ عَدْلِكَ ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَفِى الْمَثَلِ (١) السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِىَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ . وَقَدْ يُقْطَعُ الشَّجَرُ فَيَنْبُتُ ، وَيُقْطَعُ اللَّحْمُ بِالسَّيْفِ فَيَنْدَمِلُ (٢) ، وَاللِّسَانُ لا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِرِعَايَةِ مَا رَسَمْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَنَقَلْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَمِ ، وَاسْتَوْدَعْتُهُ مِنْ هَذِهِ السِّيَرِ ، مَنْ آتَاهُ اللهُ سُلْطَانًا ، وَمَكَّنَ لَهُ فِى الأَرْضِ قَدَمًا ، فَذُو الْقُدْرَةِ إِذَا أَطَاعَ الْوَاشِىَ هَلَكَ الْعَالَمُ . وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٣) يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ الإِثْمِ وَيَبْقَى لَهُ الإِخْوَانُ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَاضِيًا عَدْلًا ، وَيَحْكُمَ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَقْبَلَ أَحَدًا فِى أَحَدٍ ، وَلَا فِى نَفْسِهِ ، إِلَّا بِشُهُودٍ وَتَعْدِيلٍ (٤) ، فَإِنَّا قَدْ أَحْبَبْنَا بِقَوْلِ أَقْوَامٍ وَأَبْغَضْنَا بِقَوْلِ آخَرِينَ (٥) فَأَصْبَحْنَا نَادِمِينَ .

وَمِنْ لَطِيفِ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِى النَّمِيمَةِ ، لِمَا عَلِمَ مِنْ شُؤْمِهَا ، وَاسْتِطَارَةِ شُرُورِهَا (٦) ، وَعُمُومِ مَضَرَّتِهَا فِى الْوَرَى ، حَكَمَ بِفِسْقِ النَّمَّامِ حَتَّى لا يُقْبَلَ لَهُ قَوْلٌ فَيَسْتَرِيحَ الْخَلْقُ مِنْ شَرِّهِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَفْدُ اللهِ الْحَاجُّ ، وَوَفْدُ الشَّيْطَانِ قَوْمٌ يُرْسِلُهُمُ السُّلْطَانُ (٧) إِلَى النَّاسِ ، وَيَسْأَلُهُمْ (٨) عَنْ حَالِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ النَّاسَ رَاضُونَ (٩) وَلَيْسُوا بِرَاضِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَى أَنْحَاءٍ شَتَّى (١٠) ، لَسْنَا نَذْكُرُهَا الآنَ لِكَثْرَتِهَا

---

(١) فى « م » : « والمَثَل » .
(٢) يندمل : يبرأ ويشفى .
(٣) فى « م » : « بعض العلماء » .
(٤) التعديل : التسوية .
(٥) فى « م » : « بقول أقوامٍ وآخرين » .
(٦) فى « م » : « شررها » .. والاستطارة : الإفشاء والانتشار .
(٧) فى « م » : « الشيطان » تحريف .
(٨) فى « م » : « فيسألهم » .
(٩) فى « م » : « رَاضِين » لاتصح ، خبر أنَّ .
(١٠) قوله : « شتى » عن « ط » .

وَطُولِ تَتَبُّعِهَا ، فَخَلَقَ اللهُ الْحَوَاسَّ الشَّرِيفَةَ ، وَالأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ [١] ، فَمِنْ أَفْضَلِ مَا رَكَّبَ فِيهِ اللِّسَانُ ، الَّذِى هُوَ آلَةُ النُّطْقِ وَالْبَيَانِ ، وَبِهِ فَصَلَ [٢] بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِ فِى أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمٰنِ [٣] فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [٤] . وَخَلَقَ فِيهِ [٥] أَعْضَاءً تُذَلُّ [٦] وَتُسْتَهَانُ وَجَعَلَهَا مَجْرًى لِفُضُولِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ [٧] وَيَرْوِى عَثَرَاتِ الأَنَامِ الَّتِى هِىَ كَالْعَوْرَاتِ الْوَاجِبِ سَتْرُهَا وَدَفْنُهَا ، كَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ أَشْرَفَ الآلَاتِ فِى أَخَسِّ [٨] الْمُسْتَعْمَلَاتِ ، فَصَارَ كَمَنْ لَحِسَ بِلِسَانِهِ سَوْأَةَ أَخِيهِ ، وَجَعَلَ أَكْرَمَ جَوَارِحِهِ لأَخَسِّ أَجْنَاسِ الْمُسْتَعْرِضِينَ [٩] ، وَرَضِىَ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّاسِ [١٠] مَوْقِعَ الذُّبَابِ مِنَ الطَّيْرِ ، يَتَتَبَّعُ نَغَلَ الْجَسَدِ [١١] وَيَتَحَامَى صَحِيحَهُ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِى نَشْرِ الْمَحَاسِنِ [١٢] شُغْلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُ كُلِّ ذِى حَالٍ [١٣] أَوْلَى بِهَا ، وَفِى هَذَا سَبَقَ الْمَثَلُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مِلْحًا تُصْلِحُ فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ [١٤] . وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ فَلْتَكُنْ هِمَّتُهُ تَرْكُ الرَّذَائِلِ . وَإِذَا تَتَبَّعَ الإِمَامُ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ .

---

(١) فى « م » : « فَخَلَقَ الله تعالى الأعضاء النافعة النفيسة » .

(٢) فى « م » : « فضل » بالضاد المعجمة .. تحريف .

(٣) فى « م » : « فى سورة الرحمٰن » .

(٤) سورة الرحمٰن ، الآيات من ١ – ٤ .

(٥) فى « م » : « وخلق فيه أيضاً » .

(٦) فى « ط » : « تُذَلل » .

(٧) سقطات الكلام : الخطأ والزَّلل .

(٨) فى « م » : « أحسن » تحريف .. وفى « ط » : « أَخصّ » بالصاد المهملة .

(٩) المستعرضين : الذين يبحثون عن معايب الناس ونقائصهم .

(١٠) فى « م » : « بين الناس » .

(١١) نَغَلُ الجَسَدِ : مواضع المرض والعفونة فيه ، كالجروح ونحوها .. وفى « ط » : « ثُقْل الجسد » أى : فضلاته .. ويتحامَى : يتجنب .

(١٢) فى « م » : « الفضائل » .

(١٣) فى « م » : « كل حال » .

(١٤) فى « م » : « إنْ لم يَكُنْ ملحاً يصلح فلا يكن ذُباباً يُفسد » .

وَرُوِى أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَمَّ بِالْخُروجِ يَوْمًا ، فَسَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، حَذَرَ أَنْ لَا يَفْسَدَ (١) قَلْبُهُ عَلَيْهِمْ . وَلَوْ عَلِمَ الَّذِى يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ مَاجَنَى عَلَى نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّ الصَّمَمَ كَانَ أَهْنَأَ (٢) لِعَيْشِهِ ، وَأَنْعَمَ لِبَالِهِ مِنْ سَمَاعِ الأَخْبَارِ ... مَاذَا عَمِلَ نَقَلَةُ الأَخْبَارِ (٣) ؟ حَمَلُوا إِلَيْكَ الصِّدْقَ أَوِ الْكَذِبَ (٤) ، فَتَكُونُ فى سَمَاعِ الْكَذِبِ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ (٥) : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** ﴾ (٦) . وَتَكُونُ (٧) فى سَمَاعِ الصِّدْقِ حَمَّالًا لِلْهَمِّ ، حَرِجَ الصَّدْرِ عَلَى الْخَلْقِ . مُعَادِيًا لَهُمْ ، مُتَتَبِّعًا لِعَثَرَاتِ الْخَلْقِ ، وَخَزَّانًا لِسَقَطَاتِهِمْ ، قَدْ وَعَيْتَ مِنْهُمْ مَايَجِبُ سَتْرُهُ ، وَحَفِظْتَ مَايَجِبُ نِسْيَانُهُ ، ثُمَّ لاتَسْتَطِيعُ النَّصَفَةَ مِنْ قَائِلٍ (٨) ، لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ أَهْلَكْتَ الرَّعِيَّةَ ، ثُمَّ لاتَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْلِكَ جَمِيعَ الرَّعِيَّةِ ، وَإِنْ كُنْتَ سُوقَةً لَمْ يَشْفِ غَيْظُكَ ، ثُمَّ أَفْسَدْتَ إِخْوَانَكَ وَأَبْغَضْتَ (٩) مَنْ يَجِبُ أَنْ تُحِبَّهُ ، وَأَحْبَبْتَ مَنْ يَجِبُ أَنْ تُبْغِضَهُ ، ثُمَّ لا تَزَالُ تَتَحَمَّلُ الْخَسَائِفَ ، وَتَزِيدُ (١٠) الأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ ، وَتَرْصُدُ لِكُلِّ قَائِلٍ مَا يَشْفِى غَيْظُكَ فِيهِ (١١) ، فَمَا أَغْنَى الْعَاقِلَ عَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، وَلِلهِ دَرُّ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، رُوِىَ أَنَّهُ لَاحَاهُ (١٢) رَجُلٌ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَا وَاللهِ إِنْ عِشْتُ لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (١٣) : الآنَ وَقَعْتَ فى الشُّغْلِ يَا بْنَ أَخِى .

* * *

(١) فى « م » : « حذرًا ألّا يفسد » وكلاهما صواب .
(٢) فى « م » : « آمَنًا » .
(٣) فى « ط » : « ياواحد ماذا عَمِلَ نقلة الأخبار » ولم ترد هذه العبارة فى « م » .
(٤) فى « م » : « الصدق والكذب » .
(٥) « فيه » عن « ط » .. وفى « م » : « فيكون » مكان « فتكون » .
(٦) سورة المائدة ، من الآية ٤٢ .. السُّحْت : المال الحرام .. والآية نزلت فى اليهود .
(٧) فى « م » : « ويكون » .
(٨) فى « م » : « النَّصَفَة بينهم من قائل » .. والنَّصَفة : الإنصاف .. وقد مرت .
(٩) فى « م » : « فأَبْغَضْتَ » .
(١٠) فى « م » : « ثم لايزال يتحمل الخسائف ويزيد » والخسائف : النقائص والعيوب .
(١١) فى « ط » : « يوماً يشفى صدرُك فيه » .
(١٢) لا حَاه : نازَعَه وخاصَمه .
(١٣) فى « م » : « فقال له عمرو : الآن » .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

فِى الْقِصَاصِ وَحِكْمَتِهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ ﴾ (١) يَعْنِى : إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ وَالْقَاطِعُ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ أَحْجَمَ وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَيَكُونُ فِى ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ الَّذِى هَمَّ بِهِ . رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِى الدِّمَاءِ » (٢) . رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا (٣) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ (٤) . فَإِنْ قِيلَ : يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ

---

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٧٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الديات ، باب الحكم فى الدماء ج ٦ ص ١٧٣ ، ١٤٨ بشرح ابن العربى ... والبيهقى فى السنن الكبرى ، فى كتاب الجنايات ، باب تحريم القتل ج ٨ ص ٢١ .

(٣) فى « م » : « فليتحللها منها » والأخيرة تحريف .. ونص الحديث فى البخارى : « مَنْ كانت له مَظْلِمَةٌ لأخيه من عِرْضِهِ أو شىءٍ فليتحلَّلْهُ منه اليوم قبل ألّا يكون دينارٌ ولا درهم – يعنى يوم القيامة .. » الخ . وللحديث أكثر من رواية .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له ، ج ٣ ص ١٧٠ وفى الرقائق ، باب القصاص يوم القيامة ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط دار الشعب ، وج ٥ ص ١٠١ و ج ١١ ص ٣٩٥ من فتح البارى ، والحديث سبق التعليق عليه .

تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [١] ، فَكَيْفَ يُؤْخَذُ الظَّالِمُ بِذَنْبٍ رَكِبَهُ [٢] الْمَظْلُومُ ؟ قُلْنَا : مَعْنَى الآيَةِ : لا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ ابْتِدَاءً ، وَأَمَّا فِى مَسْأَلَتِنَا فَمَظْلِمَةٌ بَقِيَتْ عِنْدَهُ وَلَيْسَ لَهُ وَفَاءٌ بِهَا ، فَهُوَ الَّذِى اكْتَسَبَ هَذَا الْوِزْرَ ، وَهُوَ الْمَعْنِىُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[٣] .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « يَخْلُصُ [٤] الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِيُقْتَصَّ [٥] لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِى الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا [٦] وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِى دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ [٧] لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِى الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِى الدُّنْيَا » [٨] .

وَرُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِى مَظْلِمَةٌ فَلْيَأْتِ حَتَّى أُقِصَّهُ [٩] مِنْ نَفْسِى » . فَقَامَ سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةَ [١٠] فَقَالَ : يَا رَسُولَ

---

(١) أي : لاتحمل نفس آثِمَة حِمْلَ نَفْسٍ أُخْرَى ، فكل نفس مأخوذة بجُرمها ، ومُعَاقَبَة بإثمها .. وقد ورد قوله تعالى هذا فى عدة سُوَر من القرآن الكريم :
ورد فى سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .
وفى سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .
وفى سورة فاطر ، من الآية ١٨ .
وفى سورة الزمر ، من الآية ٧ .
(٢) رَكِبَه : فَعَلَهُ .
(٣) سورة العنكبوت ، من الآية ١٣ .
(٤) فى « م » : « يخلصون » وهى مخالفة للفظ الحديث .. ومعنى يخلص المؤمنون من النار ، أى : بعد نجاتهم من السقوط فيها بعدما جازوا على الصراط .
(٥) وفى رواية : « فَيُقَصُّ » . وأخرى : « فَيَقْتَصُّ » .
(٦) فى « م » : « هُدوا » تحريف .. وَهُذِّبوا وَنُقُّوا : تخلَّصُوا من التَّبِعَات .
(٧) فى البخارى : « فَوَالَّذِى نفسُ محمد بيده » .
(٨) أخرجه البخارى فى الرقاق ، باب القِصاص يوم القيامة ج ١١ ص ٣٩٥ من فتح البارى ، وج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط الشعب .
(٩) حتى أُقِصَّهُ : حتى أُمَكِّنَهُ مِنَ القِصاص .
(١٠) فى « ط » : « سَوَّار » بتشديد الواو ، وآخره راء مهملة فى الموضعين ، وهو خطأ ، والصواب : « سَوَاد » بالواو المخففة المفتوحة ، وآخره دال مهملة ، وهو : سَوَادُ بن غَزِيَّة الأنصارى ، من بنى عدىّ بن النَّجّار ، وقيل : هو حليف لهم من بنى بَلِيّ بن عمرو .. شهد بدرًا ومابعدها من المشاهد ، وكان عامل رسول الله ، ﷺ ، على خيبر . [انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٤٨٤] .

اللهِ ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِى عَلَى بَطْنِى لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِى (١). فَقَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) : دُونَكَ فَاقْتَصَّ ، فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِى وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبَطْنِ (٣) . فَكَشَفَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَطْنَهُ ، فَإِذَا هُوَ (٤) كَالْقُبَاطِىِّ (٥) ، يَعْنِى ثِيَابَ مِصْرَ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ ، فَقَالَ : يَا سَوَادُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، دَنَا لِقَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا نَدْرِى (٦) ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ أُقَبِّلَ بَطْنَكَ .

فَهَذَا رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُصُّ (٧) مِنْ نَفْسِهِ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَدَعُ الْقِصَاصَ فِى الْمَظَالِمِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَدَعَ مَظْلِمَةً لِأَحَدٍ عِنْدَ نَبِىٍّ ، وَلَا غَيْرِهِ . وَفِى الْحَدِيثِ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَنَا ظَالِمٌ إِنْ فَاتَنِى ظُلْمُ ظَالِمٍ » . وَيُرْوَى أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَقْدُمُهُ خَصْمُهُ (٨) إِلَى اللهِ [تَعَالَى] (٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْضِى لَهُ

---

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « إنك ضربتنى ليلة العقبة فأوجعتنى .. » وقوله : « ليلة العقبة » وهم من المصنف ، رحمه الله ، فالمعروف أنه يوم بدر ، وليس ليلة العقبة ، فقد كان النبى ، ﷺ يُعَدِّلُ الصفوف فى ذلك اليوم ، وفى يده قِدْحٌ – قطعة من الخشب – يعدل به القوم ، فَمَرَّ بِسَوادِ بن غَزِيَّةَ وهو متقدم من الصَّفِّ ، فطعنه رسول الله ، ﷺ ، بالقِدْح وقال : استَوِ ياسَوَادُ . فقال : يارسول الله ، أَوْجَعْتَنِى ، وقد بعثَكَ الله بالحق ، فَأَقِدْنى .. فكشف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن بطنه وقال : استَقِدْ .. فاعْتَنَقَهُ سَوادٌ وقَبَّلَ بطنَهُ !! فقال ، ﷺ : ماحمَلَكَ على هذا ياسَوادُ ؟ فقال : يارسول اللهِ ، حَضَرَ ما ترى – أى من القتال – ولَمْ آمَنْ من القتل ، فإنى أُحِبُّ أَنْ أكون آخِرَ العهد بك أَنْ يَمَسَّ جلدى جلدك ! فدعا له رسول الله ﷺ بخير .

[انظر المصدر السابق] .

(٢) فى « م » : « عليه السلام » .

(٣) فى « م » : « إنك لَضَرَبْتَنى وأنا لَمَشُوف البطن » .

(٤) فى « م » : « هى » والبطن مُذَكَّر فى اللغة .

(٥) القُبَاطِىُّ ، بضم القاف وفتحها ، جمع قُبْطِيَّة ، على غير قياس ، وهى : ثياب من كَتَّانٍ أبيض رقيق .

(٦) أى : ولا ندرى ، فربما أُقْتَل .. وفى « م » : « دنا لقاء هؤلاء ، يعنى : لقاء المشركين » وسقط منها قوله : « ولا ندرى » وهذا القول منه يؤكد أنها حدثت فى غزوة بدر كما هو معروف ، وليس فى ليلة العقبة كما ذكر أوَّلاً .

(٧) فى « ط » : « يقتصُّ » أى : يأخذ القِصاص .

(٨) الخَصْم : المُخَاصِم .

(٩) مابين المعقوفتين عن « م » .

عَلَيْهِ ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى أُورِيَّا سِلْمًا (١) ، ثُمَّ يَسْتَوْهِبُهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أُورِيَّا (٢) ، ثُمَّ يُعَوِّضُ أُورِيَّا عَنْ (٣) ذَلِكَ الْجَنَّةَ .

وَقَالَ حَبِيبٌ (٤) : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَوَجَدَ غُلَامَهُ يَعْلِفُ نَاقَةً لَهُ ، وَإِذَا فِي عَلَفِهَا شَيْءٌ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ : قُمْ فَاقْتَصَّ مِنِّي ، فَأَبَى الْغُلَامُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ : أَعْرُكُ أَعْرُكُ (٥) وَهُوَ يَقُولُ : شُدَّ شُدَّ ، حَتَّى عَرَفَ عُثْمَانُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاهًا لِقِصَاصِ الدُّنْيَا قَبْلَ قِصَاصِ الآخِرَةِ .

رَوَى (٦) عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ (٧) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا خَادِمًا لَهُ (٨) فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ كَانَ نَائِمًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا الْقِصَاصُ (٩)

---

(١) سِلْماً : مُسالَمَة .. وأُوريَّا ، هو : أُوريَّا بن حنان ، أحد القُوَّاد فى جيش داود ، تزوج داود امرأة أوريا ، بعد الفتنة ، وأنجب منها سليمان ، عليه السلام . وللمتقدمين فى هذا الموضوع كلام كثير ، وقد أشار القرآن الكريم إلى القصة ، وفسرها بعض المفسرين أن داود ، عليه السلام ، كان يرى ماعند غيره فيستحسنه ، فيتمنى لو أنه كان صاحبه ، فنبهه الله سبحانه وتعالى ، أنَّ الرجل الصالح – فضلاً على النبيِّ – لايجوز له بحالٍ أن يمد عينيه إلى مايملكه غيره ، سواء أكان هذا الشيء زوجة ، أم خطيبة ، أم مالاً ، أم عيالاً ، أم أى شيء آخر .

[انظر تفسير سورة « ص » الآيات من ٢١ – ٢٥ ، والمعارف ص ٤٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٠٢] .

(٢) فى « م » : « من أوريا لداود » .

(٣) فى « ط » : « على » .

(٤) هو : حبيب بن مسلمة بن مالك الفِهْرى القُرَشى ، أبو عبد الرحمٰن ، قائد من كبار الفاتحين ، ولد بمكة سنة ٢ قبل الهجرة ، ورأى رسول الله ، ﷺ ، وخرج مجاهدًا إلى الشام أيام أبى بكر ، فشهد اليرموك ، ودخل دمشق مع أبى عبيدة بن الجَرَّاح ، فولَّاه أبو عبيدة أنطاكية ، وولَّاه عمر على الجزيرة ، وضم إليه أرمينية وأذربيجان ، ثم عزله ، فأقام فى الشام .. وكان يقال له : « حبيب الروم » لكثرة دخوله بلادهم ونيله منهم .. وتوفى فى أرمينية سنة ٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٦ ، والمعارف ص ٦١٥] .

(٥) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « ثم قال : يَعْرُك » .

(٦) فى « م » : « ورَوَى » .

(٧) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى ، من ثقات التابعين .. وقد مَرَّ .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) فى « م » : « لولا قِصاص الدنيا » .

لأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ». وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ فِى مُوَطَّئِهِ [١] عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: وَقَدْ أَقَادَ النَّبِىُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَلِيفَتَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِيُسْتَنَّ بِهِمْ، وَلَمْ يَتَعَمَّدُوا حَيْفًا [٢] وَكَانُوا سَلاَطِينَ. وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [٣] أَنَّ النَّبِىَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ [٤] وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ [٥] حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَاعَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ » [٦].

قَالَ مَالِكٌ وَبَلَغَنِى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ، لَمَّا وَلِىَ الْخِلَافَةَ ضَرَبَ رَجُلًا، ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ: مَالِى وَلِهَذَا، أَلَا رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ [٧]. فَسَمِعَتْهُ [٨] عَائِشَةُ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُمَرَ، فَجَاءَهُ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّى قَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا، وَقَدْ كُنْتُ مُعَافًى مِنْ هَذَا أَنْ أَضْرِبَ، فَقَالَ عُمَرُ كَذَلِكَ الإِمَامُ. فَقَالَ [٩]: فَمَا الْمَخْرَجُ؟ قَالَ: أَنْ تَأْتِىَ الرَّجُلَ فَتَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِى حِلٍّ. فَأَتَيَاهُ فَاسْتَحَلَّاهُ [١٠].

دَلَّتِ الآثَارُ عَلَى أَنَّ الأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ فِى الْقِصَاصِ سَوَاءٌ إِذَا جَنَى أَحَدُهُمَا عَلَى

---

(١) هو: الحافظ عبد الله بن وهب بن مسلم الفِهْرى، فقيه من الأئمة، ومن أصحاب الإمام مالك، ومن كتبه: الموطأ فى الحديث، والجامع، فى الحديث أيضاً. وقد مرت ترجمته.

(٢) حيفاً: جَوْراً وظُلماً.

(٣) فى « م »: « رضى الله عنه ».

(٤) فى « م »: « يأتى بصلاة ».

(٥) فى « م »: « فإنْ فَنِيَتْ ».

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصِّلَة، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٥، ١٣٦ بشرح النووى.

(٧) أى: الخلافة.

(٨) فى « م »: « فسمعتْ ».

(٩) فى « م »: « قال ».

(١٠) فاستحلّاهُ: طلَبا منه أن يُحِلَّهُ من التَّبِعَة.

الآخَرِ ، وَأَنَّ الأَمِيرَ إِذَا ظَلَمَ الْمَأْمُورَ زَالَ تَأَمُّرُهُ عَلَيْهِ فى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ الأَمِيرُ فى ذَلِكَ الْمَعْنَى كَبَعْضِ الْمُؤَمَّرِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَتَحَاكَمُوا إِلَى السُّلْطَانِ [١] وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّمَا بَعَثْتُ أُمَرَائِى لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَيَقْسِمُوا بَيْنَهُمْ فَيْئَهُمْ ، وَيَعْدِلُوا فِيهِمْ [٢] ، وَلَمْ أَبْعَثْهُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ ، وَيَحْلِقُوا أَشْعَارَهُمْ ، فَمَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرٌ فَلَا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِى حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ . قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : اللهَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَدَّبَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، إِنَّكَ لَتُقِصُّهُ مِنْهُ [٣] ؟ فَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ [٤] لا أُقِصُّهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ ؟

فَأَمَّا الْقِصَاصُ بَيْنَ الْبَهَائِمِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فى حَشْرِهَا ، وَفِى جَرَيَانِ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : حَشْرُهَا : مَوْتُهَا . قَالَ : وَحَشْرُ كُلِّ شَىْءٍ الْمَوْتُ ، إِلَّا الْجِنَّ وَالإِنْسَ ، فَإِنَّهُمَا يُوَافِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [٥] . وَقَالَ مُعْظَمُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّهَا تُحْشَرُ وَيُقْتَصُّ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : تُحْشَرُ الْبَهَائِمُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : يُحْشَرُ كُلُّ شَىْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِىُّ [٦] : لا نَقْطَعُ بِإِعَادَةِ الْبَهَائِمِ وَالْمَجَانِينَ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ

---

(١) فى « ط » : « السلطان الأعظم » .

(٢) فى « م » : « ويقسمون بينهم ويعدلون فيهم » بثبوت النون فى الفعلين .. وهذا لايصح ، ووجه الخطأ أن الفعلين هنا من الأفعال الخمسة ومعطوفان على الفعل « يُعَلّموا » المنصوب بلام التعليل ، وعلامة النصب حذف النون .

(٣) أى : إنك تمكنه من الاقتصاص منه .

(٤) فى « م » : « أنا » مكان « كيف » والأخيرة هى المناسبة للسياق .

(٥) يوافيان يوم القيامة ، أى : يُحْشَران ويُحَاسَبَان على أفعالهما ، وينال كُلٌّ منهما جزاء ماقدم من عمل وافياً تامًّا .

(٦) « الأشعرى » عن « ط » .. وهو : على بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ، من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ومؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد فى البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفى ببغداد سنة ٣٢٤ هـ وبلغت مُصنفاته حوالى ٣٠٠ ثلاثمائة كتاب .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ – ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، والخطط المقريزية ج ٢ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، والعبر للذهبى ج ٢ ص ٢٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٣١ – ٤٣٥] .

الدَّعْوَةُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعَادُوا وَيُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَيَجُوزُ أَنْ لا يُعَادُوا ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ثُبُوتِ الإِعَادَةِ فى الْجُمْلَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فى صَحِيحِهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » (٣) . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : انْتَطَحَتْ شَاتَانِ عِنْدَ النَّبِىِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « أَتَدْرُونَ فِيمَ (٤) انْتَطَحَتَا ؟ قُلْتُ : لا أَدْرِى . قَالَ : لَكِنَّ اللهَ يَدْرِى وَسَيَقْضِى بَيْنَهُمَا » . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تَرَكَنَا النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فى السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّ الْحَجَرَ لَيُسْأَلُ عَنْ نَكْبِهِ أُصْبُعَ الرَّجُلِ . وَفِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فى مُسْلِمٍ وَالْبُخَارِىِّ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَا يأْتِينِى أَحَدُكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ (٥) ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ ، وَعَلَى (٦) رَقَبَتِهِ شَاةٌ تَيْعَرُ (٧) ، ثُمَّ بُسِطَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ (٨) فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا ،

---

(١) سورة التكوير ، الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « حتى يُقادَ الشاة » .. وماهنا هو المطابق لنص الحديث ، وقد رواه مسلم فى كتاب البر والصِّلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٦ بشرح النووى .. والشاة الجلحاء ، هى الجَمَّاء التى لاقرن لها .

(٤) فى « م » و « ط » : « فيما » . سبق التعليق عليها .

(٥) فى البخارى ومسلم : « لا أُلفِيَنَّ أحَدَكُم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رُغاء ، يقول : يارسول الله أغِثْنى ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتُك ... » . أى : لاتعملوا عملاً أجدكم بسببه يوم القيامة على هذه الصفة .. والرُّغاء : صوت البعير .

(٦) فى « م » و « ط » : « على » بدون واو العطف فى الموضعين .. والخُوار : صوت البقر .

(٧) تَيْعَر : تصيح .. وفى النسائى : « لها يَعَار » واليَعَار : صوت المعز .. وفى مسلم : « لها ثُغاء » .

(٨) فى « م » : « يبسطها » تحريف .. وفى رواية : « أُقْعِدَ لها بقاع قَرْقَر » .. وأُقعِدَ لها : يعنى صاحِبَها .. وَقَاعٌ قَرْقَر ، أى : أملَس .

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا عَادَتْ أُخْرَاهَا » [١] . وَالْحَدِيثُ وَارِدٌ فِى مَانِعِ الزَّكَاةِ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لا تَجُوزُ الْمُقَاصَّةُ [٢] بَيْنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ ، وَلَا يَجْرِى عَلَيْهَا الْقَلَمُ . قَالَ : وَمَا وَرَدَ فِى ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ ، نَحْوَ قَوْلِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣] : « يُقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ » وَ« يُسْئَلُ الْعُودُ لِمَ خَدَشَ الْعُودَ » فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالإِخْبَارِ عَنْ شِدَّةِ التَّقَصِّى فِى الْحِسَابِ ، وَأَنَّهُ لابُدَّ أَنْ يُقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ . وَأَبَى ذَلِكَ الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الأَسْفَرَايِينِى [٤] ، قَالَ فِى الْجَامِعِ الْجَلِىِّ : يُجْرَى الْقِصَاصُ بَيْنَهَا . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْقِلُ هَذَا الْقَدْرَ فِى دَارِ الدُّنْيَا ، فَلِهَذَا أُجْرِىَ فِيهِ الْقِصَاصُ .

وَكَلَامُ الأُسْتَاذِ لَهُ وَجْهٌ فِى الصِّحَّةِ ، لأَنَّ الْبَهِيمَةَ تَعْرِفُ النَّفْعَ وَالضَّرَّ ، فَتَنْفِرُ مِنَ الْعَصَا ، وَتُقْبِلُ إِلَى الْعَلَفِ ، وَيَنْزَجِرُ الْكَلْبُ إِذَا زُجِرَ ، وَيَسْتَأْسِدُ إِذَا أُشْلِىَ [٥] ، وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ يَفِرُّ مِنَ الْجَوَارِحِ اسْتِدْفَاعًا لِشَرِّهَا ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهَا [٦] الْقَتْلُ فِى الدُّنْيَا فَإِنَّمَا رُفِعَ [٧] الْقَتْلُ عَنْهَا فِى الأَحْكَامِ ، فَإِنْ قِيلَ : الْقِصَاصُ انْتِقَامٌ ، وَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٣ ص ٢٦٧ من فتح البارى ، وأخرجه أيضاً فى عدة أبواب أخرى .. ومسلم فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٧ ص ٧٠ ، وفى كتاب الإمارة ، باب تحريم غلظ الغلول ج ١٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وفى تحريم هدايا العمال ص ٢١٩ بشرح النووى .. والنسائى فى كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة الإبل ج ٥ ص ٢٣ ، ٤٤ بشرح جلال الدين السيوطى .. ورواه غيرهم باختلاف فى ألفاظه .

(٢) المُقَاصَّة : المُحاسَبَة .

(٣) فى « م » : « عليه السلام » .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، وكان يُلقب بركن الدين ، نشأ فى « أَسْفَرايين » بين « نيسابور » و « جُرْجَان » .. ثم خرج إلى نيسابور ، وبُنِيَتْ له فيها مدرسة عظيمة ، فدرَّس فيها ، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق ، فاشتهر .. وله كتاب « الجامع » فى أصول الدين ، ورسالة فى أصول الفقه ، وكان ثقة فى رواية الحديث .. وله مناظرات مع المعتزلة .. ومات فى نيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن فى أسفرايين .
[انظر الأعلام ج ١ ص ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠] .

(٥) أى : يجترأ جُرْأة الأسد إذا أُغرِى على الصيد ونحوه .

(٦) فى « م » : « عليهم » . والأول أوْجَه ، لأن الضمير لغير العاقل .

(٧) فى « م » : « وقع » تحريف .

جِنَايَةٍ وَقَعَتْ مِنْ مُخَالَفَةِ الأَمْرِ ، وَالْبَهَائِمُ لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ وَلَا لَهَا عُقُولٌ ، وَلَا جَاءَهَا رَسُولٌ ، وَالْعُقُولُ عِنْدَكُمْ لا يَجِبُ [١] بِهَا شَيْءٌ عَلَى الْعُقَلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي هَذَا انْفِصَالٌ عَنْ قَوْلِ الأُسْتَاذِ : إِنَّهَا كَانَتْ تَعْقِلُ هَذَا الْقَدْرَ ، إِذْ لايَجِبُ بِالْعَقْلِ شَيْءٌ ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [٢] ، فَالْجَوَابُ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مُكَلَّفَةً [٣] ، لِأَنَّ مِنْ ضَرُورَةِ التَّكْلِيفِ أَنْ يُعْلَمَ [٤] الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْعُقَلَاءِ ، وَهُمُ الثَّقَلَانِ [٥] ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُكَلَّفَةً كَانَتْ فِى الْمَشِيئَةِ [٦] يَفْعَلُ اللهُ بِهَا مَا أَرَادَ [٧] كَمَا سَلَّطَ عَلَيْهَا فِى الدُّنْيَا الاسْتِسْخَارَ [٨] وَالذَّبْحَ ، فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ ، وَلِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ فِى مُلْكِهِ مَا أَرَادَ [٩] مِنْ تَنْعِيمٍ وَتَعْذِيبٍ ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُؤْلِمَ الْبَهِيمَةَ [١٠] ابْتِدَاءً ، جَازَ أَنْ يُؤْلِمَهَا بَعْدَ حَيَاتِهَا ، وَالآيَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الرَّسُولَ وَالْمُرْسَلَ ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِمُ الْقَلَم فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا [١١] رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْهَا فِى الأَحْكَامِ ، وَلَكِنْ فِيمَا بَيْنَها تُؤَاخَذُ [١٢] .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اُقْتُلُوا الْوَزَغَ فَإِنَّهُ كَانَ

---

(١) فى « م » : « لم يجبْ » .

(٢) سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

(٣) فى « م » : « والجواب أنها ليست بمُكَلَّفَة » .

(٤) فى « م » : « تَعْلَم » .

(٥) الثَّقلان : الإنس والجن .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « وإذا لم يكونا مُكَلَّفَيْن كانوا فى المشيئة » .. يريد الإنس والجن ، ولايصح هذا مَعْنًى .. وما ورد فى « ط » هو المقصود .

(٧) فى « م » : « يفعل الله بهم مايشاء » .

(٨) فى « م » : « سلَّط عليهم الاستسخار » .. والاستسخار : السُّخْرَةُ ، وهى التكليف بالعمل بلا أجرٍ ولا ثمن .

(٩) فى « م » : « مَنْ شاء » .. الصواب : « ماشاء » .

(١٠) فى « م » : « البهائم » .

(١١) فى « م » : « وإنما » .

(١٢) فى « م » : « ولكن فيما بينهم يُؤَاخَذُونَ به » .

يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » [(١)] . فَهَذِهِ عَجْمَاءُ [(٢)] عُوقِبَتْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِ جِنْسِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ للهِ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ [(٣)] بِمِلْكِهِ لا بِالْمَعْصِيَةِ . وَقَدْ ضَرَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَجَرَ الَّذِى فَرَّ بِثَوْبِهِ [(٤)] وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عَوْرَتَهُ [(٥)] . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ وَالْحَجَرُ يَفِرُّ ، وَمُوسَى يَقُولُ : ثَوْبِى حَجَرُ ، ثَوْبِى حَجَرُ » [(٦)] . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ لَنَدِبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ [(٧)] .

وَرُوِىَ فى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [(٨)] أَنَّهَا الْحِجَارَةُ الَّتِى يَكْسِرُ النَّاسُ [(٩)] فى الدُّنْيَا . وَرُوِىَ أَنَّ الْمَسِيحَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَرَّ بِجَبَلٍ فَسَمِعَ أَنِينَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ فَلَا أَدْرِى أَكُونُ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ أَمْ لَا ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ : حَشْرُهَا مَوْتُهَا ، تُحْشَرُ لِضَرْبٍ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا ، ثُمَّ تَصِيرُ تُرَابًا . قُلْتُ : وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعِيدٌ ،

---

(١) فى « م » : « فإنها كانت تنفخ ... » والحديث أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٣٨٩ ، وكتاب بدء الخلق ج ٦ ص ٣٥١ من فتح البارى .. ورواه ابن ماجه فى كتاب الصيد ، باب قتل الوَزَغ ج ٢ ص ١٠٧٦ ، ورواه غيرهما .. والوزغ ، جمع وزَغَة : ضرب من الزواحف ، يطلقون عليه : سامٌ أبرصَ .

(٢) العجماء : البهيمة

(٣) فى « م » : « أنَّ الله تعالى له أن يُعَذِّبَ » .

(٤) فى « ط » : « مَرَّ بثوبه » أى : تدحرج .. وفى البخارى : « عَدَا بثوبه » أى : مَضَى مسرعاً .

(٥) كان بنو إسرائيل يغتسلون عرايا ، وكان موسى حَيِيًّا ، يغتسل وحده ، ويستتر عند اغتساله ، فادَّعَى قوم منهم أنه آدر – منتفخ الخصية ، له قُلِيط « قليطة » – وقالوا : مايستتر إلَّا لعيب فى بدنه .. فانطلق يوماً يغتسل ، وجعل ثيابه على حجر ، فطارت ثيابه لهبوب الريح ، وانطلق وراءها عرياناً ، حتى انتهى إلى مَلَإٍ من بنى إسرائيل ، فنظروا إليه فرأوه على غير ماظنوا ، وبرَّأه الله مما قالوا .

[انظر تفسير القرآن لحمزة وآخرين – ج ٢٢ ص ٤٤ تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب] .

(٦) ثَوْبِىَ ، هو بفتح الياء الأخيرة ، أى : أعطنى ثَوْبِىَ ، أو رُدَّ ثوبِىَ .. وحجر ، بالضم ، على حذف حرف النداء ، أى ياحَجَرُ .

(٧) لَنَدِب : لترك نُدوباً ، أى : علامات من أثَرِ الضرب .. وفى رواية : « إنَّ فى الحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً » .. والحديث أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ج٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ من فتح البارى ، وأخرجه غيره .

(٨) سورة البقرة ، من الآية ٢٤ . وسورة التحريم من الآية ٦ .

(٩) فى « ط » : « تكسر الناس » .

لأَنَّ الْحَشْرَ الْجَمْعُ ، وَلَيْسَ فى مَوْتِهَا جَمْعُهَا ، بَلْ فِيهِ تَفْرِقَتَهَا [١] وَتَفرِقَةُ أَجْزَائِهَا ، ثُمَّ قَدْ قَالَ : و ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٢] ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَشْرُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِإِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا ، وَجَمْعِهَا إِلَى رَبِّهَا .

* * *

(١) فى « م » : « وليس فى موتها جمعاً ، بل فيه تفرقها » .

(٢) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ . والآية بتمامها : ﴿ وما مِنْ دابَّة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم ، مافرَّطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى رَبِّهم يُحشَرُون ﴾ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِى الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾[١] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[٢] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[٣] . وَقَالَ الْحَسَنُ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَبْشِرُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمُ الْيُسْرُ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِى جُحْرٍ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ ، وَلَنْ[٤] يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ عَرَّفَ[٥] الْعُسْرَ وَنَكَّرَ الْيُسْرَ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرَتِ اسْمًا مُعَرَّفًا[٦] ثُمَّ أَعَادَتْهُ كَذَلِكَ[٧] فَهُوَ هُوَ ، فَإِذَا نَكَّرَتْهُ[٨] ثُمَّ كَرَّرَتْهُ كَذَلِكَ فَهُمَا اثْنَانِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ[٩] :

---

(١) سورة الشورى ، من الآية ٢٨ ، ولم ترد هذه الآية فى « م » فى هذا الموضع ، بل أتت بعد قوله : « ولن يغلب عُسْرٌ يُسْرَين » وستأتى .

(٢) سورة النمل ، من الآية ٦٢ .

(٣) سورة الشرح ، الآية ٦ .

(٤) فى « ط » : « لن » بدون الواو .

(٥) فى « م » : « أنه لَمَّا عَرَّف » .

(٦) فى « م » : « معروفاً » تحريف .

(٧) قوله : « كذلك » عن « ط » فى الموضعين .

(٨) فى « م » : « ذكرته » مكان « نكَّرته » تحريف .

(٩) الأبيات فى المستطرف ج ٢ ص ١٤١ وهى غير منسوبة لقائلها .

إنْ يَكُنْ نَالَكَ الزَّمانُ بِبَلْوَى   عَظُمَتْ عِنْدَهَا الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ [١]
وَتَلَتْهَا قَوَارِعٌ نَاكِيَاتٌ   سَئِمَتْ دُونَهَا الْحَيَاةُ وَمُلَّتْ [٢]
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ مَدَاهَا   فَالرَّزَايَا إذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ [٣]
وَإذَا أَوْهَنَتْ قُوَاكَ وَجَلَّتْ   كُشِفَتْ عَنْكَ جُمْلَةً فَتَجَلَّتْ [٤]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ النُّطُقَ [٥] مِنْ قِبَلِ أُمِّ إسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا [٦] عَلَى سَارَةَ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إبْرَاهِيمُ وَابْنِهَا إسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، عِنْدَ دَوْحَةٍ [٧] فَوْقَ زَمْزَمَ فِى أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهَا هُنَالِكَ ، وَوَضَعَ عِنْدَهَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَلَ [٨] إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا [٩] الْوَادِى ، لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ إذًا لَا يُضَيِّعُنَا .

---

(١) البيت فى المصدر السابق :

« وإذا مَسَّكَ الزمان بضُر   عَظُمَتْ دونه الخطوب وجَلَّتْ »

والخطوب : الحوادث والرزايا .

(٢) قوارع : مصائب .. ناكيات : قاتلات .. والبيت فى المستطرف :

« وأتَتْ بَعْدَه نوائب أُخرَى   سئمت نفسك الحياة ومَلَّتْ »

(٣) الشطرة الأولى فى المصدر السابق : « فاصطبرْ وانتظر بلوغ الأمانى » .

(٤) فى المصدر السابق : « وتخلت » مكان « فتجلَّتْ » .

(٥) النُّطُق : جمع نِطاق ، وهو حبلٌ تشدُّ به المرأة وسطها .. وفى « م » والبخارى : « المِنْطَق » وهو بمعناه .

(٦) لتعفى أثرها : لتخفيه .. وكان السبب فى ذلك أنَّ « سارة » كانت وهبت « هاجر » لإبراهيم ، فحملتْ منه بإسماعيل ، فلما ولدته غارت منها ، فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وخرجت ، وجَرَّتْ ذيلها لتخفى أثرها على سارة .

[انظر فتح البارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ص ٣٩٦ ، ٤٠٠] .

(٧) الدَّوْحة : الشجرة الكبيرة .

(٨) قَفَلَ : رجع .. وفى « ط » والبخارى : « قَفَّى » أى : وَلَّى راجعاً إلى الشام .

(٩) فى « م » : « فى هذا » .

ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ (١) حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ بِوَجْهِهِ ، ثمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ (٢) : ﴿ رَبَّنَا (٣) إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (٤) حَتَّى بَلَغَ « يَشْكُرُونَ » .

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ (٥) وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِى السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِى الأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِى (٦) هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعْىَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِىَ ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ (٧) بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا ، فَقَالَتْ : صَهٍ (٨) ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ (٩) ، فَإِذَا هِىَ بِالْمَلَكِ (١٠) عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ – أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ – حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ (١١) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا (١٢) ، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِى

---

(١) فى « م » : « الرندة الثنية » . ولم ترد لفظة « الرندة » فى نص الحديث الذى رواه البخارى .

(٢) فى « م » : « وقال » .

(٣) فى « م » و « ط » : « ربِّ » .. وماهنا مطابق لنص الآية .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٥) فى « م » : « لإسماعيل » .

(٦) نص الحديث فى البخارى : « ثم استقبلت الوادى تنظر ... » .

(٧) فى البخارى : « فذلك سَعْىُ الناس » .

(٨) صَهٍ : بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء ، وبكسرها مُنَوَّنة ، كأنها خاطبتْ نفسها فقالت لها : اسكُتِى .

(٩) هكذا فى « ط » والبخارى .. وفى « م » : « عليك » مكان « عندك » تحريف .. وجواب الشرط محذوف ، والتقدير : « إن كان عندك غواثٌ فَأَغِثْنِى » .

(١٠) المَلَك : جبريل ، عليه السلام .

(١١) تُحَوِّضُه : أى تجعله مثل الحوض .. وفى « م » : « تخوضه » بالخاء المعجمة .. والأول هو المطابق لما ورد فى البخارى .

(١٢) وتقول بيدها هكذا : هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل .. وفى حديث علىٍّ : « فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه فإنها رواء » .

سقَائِهَا ، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَمَا تَغْرِفُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] : يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ : لَوْ لَمْ تَغْرِفْ [٢] لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا [٣] . قَالَ : فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ : لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ [٤] ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ تَعَالَى يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ .

وَمِنْهَا قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ، وَذَلِكَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِك [٥] ، وَمُرَارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ [٦] ، وَهِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ [٧] ، تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ « تَبُوكَ » ، وَنَهَى النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٨] عَنْ كَلَامِ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ كَعْبٌ [٩] : فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرَتْ لَنَا الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، فَمَا هِىَ الَّتِى أَعْرِفُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ فى الأَسْوَاقِ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُكَلِّمُنِى أَحَدٌ ، وَآتِى رَسُولَ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمَ [١٠] عَلَيْهِ ، وَأَقُولُ فِى نَفْسِى : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَىَّ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِى قَتَادَةَ [١١] ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّى وَأَحَبُّ النَّاسِ

---

(١) فى « م » : « عليه السلام » .

(٢) فى « م » : « أو قال : لم تغرف » وسقطت « لو » منها سهوًا من الناسخ .. وهذا القول شك من الراوى .

(٣) فى « م » : « لكانته » تحريف .. وعيناً معيناً ، أى : كان الماء ظاهرًا جارياً على وجه الأرض .

(٤) الضَّيْعَة : الهلاك .

(٥) هو : كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى السَّلَمِىُّ الخزرجى ، صحابى من أهل المدينة ، ومن أكابر الشعراء ، ومن شعراء النبى ، ﷺ ، شهد أكثر الوقائع معه .. توفى سنة ٥٠ هـ تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٨٧ – ٤٨٩ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٦) هو : مُرَارة بن الرَّبيع الأنصارى ، من بنى عمرو بن عوف ، صحابى ، وهو مِمَّنْ شهدوا بدرًا .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٤ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٧) هو : هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصارى الواقفى ، صحابى ، قديم الإسلام ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وهو الذى كسَّر أصنام بنى واقف ، وكانت معه رايتهم يوم فتح مكة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٨) فى « م » : « عليه السلام » .

(٩) « كعب » عن « ط » .

(١٠) فى « م » : « وأُسَلِّم » .

(١١) فى « م » : « حائط جدار أبى قتادة » . وأبو قتادة هو : أبو قتادة الأنصارى ، واسمه : الحارث بن رِبْعِىّ بن بلدَمة الخزرجى السَّلَمِىّ ، فارس رسول الله ، ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها .. توفى بالمدينة سنة ٥٤ هـ .. وقيل : توفى بالكوفة فى خلافة علىٍّ ، وصلَّى عليه علِىٌّ ، رضى الله عنهما .

[انظر أُسْد الغابة ج ٦ ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

إِلَيَّ ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَارَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَلَمَّا تَمَّتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ يَوْمِ نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ كَلَامِنَا ، صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] ، أَوْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، لا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ ، فَأَنْزَلَ اللهُ [تَعَالَى] [2] تَوْبَتَنَا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ [3] مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ : يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ ، أَبْشِرْ ! فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لله تَعَالَى ، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ ، فَجَعَلْتُ ثَوْبَيَّ عَلَى الصَّارِخِ لِبُشْرَاه [4] ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، فَقَالَ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ [6] .

وَرُوِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا شَبَّ وَدَرَجَ فِي مَوْضِعِ رُبِّيَ [7] ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ** [8] **رَأَى كَوْكَبًا** ﴾ يُقَالُ : إِنَّهُ رَأَى الزُّهَرَةَ ﴿ **قَالَ** [9] **هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ** ﴾ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ﴿ **قَالَ : لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا** ﴾

---

(١) « صلى الله عليه وسلم » عن « م » .

(٢) مابين المعقوفين عن « م » .

(٣) فى « م » : « خارج » تحريف .

(٤) فى « ط » : « بُشْرَاهُ » بدون اللام .

(٥) فى « م » : « عليه السلام » .

(٦) انظر الحديث فى فتح البارى ، كتاب التفسير ، سورة براءة « التوبة » باب ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا ﴾ ج ٨ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٧) فى « ط » : « رُبِّيَ فيه » . ودَرَج : دَبَّ . يقال : دَرَج الصَّبِيُّ : أخذ فى الحركة وابتدأ فى المشى .

(٨) جَنَّ عليه الليل : ستره .

(٩) فى « م » و « ط » : « فقال » .. وما هنا مطابق للآية . والزُّهَرَة : أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة ، وهو ثانى كوكب فى البعد عن الشمس ، يقع بين عطارد والأرض ، وهو ألمع جُرْم سماوى ، باستثناء الشمس والقمر .

أَصْبَحَ وَ ﴿ رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ : أَتُحَاجُّونِّى فِى اللهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ يَعْنِى إِلَى الإِسْلَامِ ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . قَالُوا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَمَا تَخَافُ مِنْ آلِهَتِنَا أَنْ تُصِيبَكَ بِسُوءٍ إِنْ أَنْتَ سَبَبْتَهَا أَوْعِبْتَهَا ؟ قَالَ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

وَكَانَ آزَرُ يَصْنَعُ أَصْنَامًا يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، ثُمَّ يُعْطِيهَا إِبْرَاهِيمَ يَبِيعُهَا ، فَيَكْسِرُهَا وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى نَهْرٍ لَهُمْ فَيَصُبُّهَا فِيهِ عَلَى رُءُوسِهَا ، وَيَقُولُ لَهَا [2] : اشْرَبِى ، اسْتِهْزَاءً بِهَا ، وَإِظْهَارًا لِقَوْمِهِ فَسَادَ مَاهُمْ عَلَيْهِ ، فَفَشَا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ نَمْرُوذَ ، فَأَوَّلُ مَابَدأَ قَوْمَهُ أَنْ ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً [3] فِى النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ يَعْنِى : مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ ، فَظَنُّوا أَنَّهُ مَطْعُونٌ ، وَكَانُوا يفِرُّونَ مِنَ الطَّاعُونِ إِذَا سَمِعُوا بِهِ ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ ﴾ فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهُمْ قَدْ وَضَعُوا لَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا ﴿ فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ * مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ [4] عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ وَكَسَّرَهَا ، وَقَطَّعَ أَيْدِيَهَا وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاذًا [5] ، وَأَرَاقَ طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا ، وَعَمَدَ إِلَى الْفَأْسِ فَعَلَّقَهَا [6] بِيَدِ إِلَٰهِهِمُ الأَعْظَمِ [7] ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا ، فَلَمَّا

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ فلما جَنَّ عليه الليل ﴾ إلى هنا من سورة الأنعام – الآيات من ٧٦ – ٨١ .

(٢) فى « م » : « فيصبُّها فيه ثم يقول لها » .

(٣) نص الآية : ﴿ فنظر نظرة ﴾ .

(٤) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لما ورد فى القرآن .. وفى « ط » : « فأقبل عليهم » . والمعنى : أنه مال إلى آلهتهم خفية ليحطمها .. والآيات من سورة الصافات ، من الآية ٨٨ – ٩٣ .

(٥) جُذاذًا : قطعاً صغيرة .

(٦) فى « م » و « ط » : « فعلَّقَهُ » والفأس مؤنثة فى اللغة .. وعَمَدَ :قَصَدَ .

(٧) فى « ط » : « العظيم » .

رَجَعَ قَوْمُهُ مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا [١] بَيْتَ أَصْنَامِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَاصُنِعَ بِهَا رَاعَهُمْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُوهُ [٢] و ﴿ **قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا** [٣] : **سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ سَمِعْنَاهُ يَسُبُّهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا ، فَقَالَ نَمْرُوذُ : ﴿ **فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ** ﴾ . فَلَمَّا أُتِيَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٤] ﴿ **قَالُوا : أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ قَالُوا [٥] : إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَاهُ بِمَا نَسَبْنَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا [٦] وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا لا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ : أَفَتَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [٧] فَقَالَ لَهُ نَمْرُوذُ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ [٨] : صِفْ لَنَا [٩] إِلَٰهَكَ الَّذِى تَعْبُدُ وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ . ﴿ **قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّىَ** [١٠] **الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ** ﴾ نَمْرُوذُ : و ﴿ **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** ﴾ . قَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : آخُذُ رَجُلَيْنِ قَدِ اسْتَوْجَبَا الْقَتْلَ فِى حُكْمِى ، فَأَقْتُلُ أَحَدَهُمَا ، فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُّهُ ، وَأَعْفُو عَنِ الآخَرِ ، فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ ! فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَحْيِ الَّذِى قَتَلْتَ بِرَغْمِكَ ، وَأَخْرِجْ رُوحًا مِنْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْتُلَهُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا . وَأَنَّ [١١] ﴿ **اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ**

---

(١) فى « م » : « ودخلوا » .
(٢) أى : أنكَرُوهُ .. وفى « م » : « عَظَّمُوهُ » أى : رأوه عظيماً .
(٣) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لِمَا ورد فى القرآن .. وفى « ط » : « فقال بعضهم » .
(٤) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .
(٥) « قالوا » عن « ط » ولم يرد فى « م » .
(٦) فى « م » : « ثم قال » .
(٧) من قوله تعالى : « قال من فَعَل هذا بآلِهَتنا » إلى هنا ، من سورة الأنبياء ، الآيات من ٥٩ – ٦٧ بتصرف يسير .
(٨) فى « م » : « حين سمع منه ذلك » .
(٩) فى « م » : « صِفْ لى » .
(١٠) هكذا فى « م » ، وهو مُطابق لنص الآية .. وفى « ط » : « إنَّ رَبِّى » .
(١١) فى « م » : « فإنَّ » . وكذا وردت فى القرآن .

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ ﴾ [١] عِنْدَ ذَلِكَ نَمْرُوذُ وَلَمْ يَرُدَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا ، وَأَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَلَبِثَ فِيهِ سَبْعَ سِنِينَ ، وَجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ السِّجْنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى الإِسْلَامِ ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ وَفَشَا ، وَاتَّبَعَهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ عَلَى دِينِهِ .

فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْرِقُوا إِبْرَاهِيمَ ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَنَوْا حَيِّزًا [٢] طُولُ جِدَارِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، وَوَضَعُوهُ إِلَى سَفْحِ جَبَلٍ مُنِيفٍ لَا يُرَامُ وَلَا يُرْقَا [٣] ، وَبَلَطُوا الْجِدَارَ ، فَلَا يَمْشِي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا زَلَقَ عَنْهُ [٤] ، وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ نَمْرُوذَ : أَيُّهَا النَّاسُ احْتَطِبُوا لِنَارِ إِبْرَاهِيمَ [٥] ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ عَنْهَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى ، وَلَا حُرٌّ وَلَا عَبْدٌ ، وَلَا شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ أُلْقِيَ فِى تِلْكَ النَّارِ ، فَعَمِلُوا فِى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ تَنْذِرُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهَا ، لَئِنْ رَجَعَ غَائِبُهَا [٦] أَوْ أَفَاقَ عَلِيلُهَا ، حَتَّى إِذَا كَمَلَ ذَلِكَ قَذَفُوا فِيهِ النَّارَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ وَهَجَ النَّارِ [٧] عَلَى الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ، وُضِعَ إِبْرَاهِيمُ فِى كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ ، قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : فَبَلَغَنِى أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبِحَارَ وَمَافِيهَا ضَجُّوا إِلَى اللهِ تَعَالَى ضَجَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، لَيْسَ فِى أَرْضِكَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرُهُ ، فَأْذَنْ لَنَا فِى نُصْرَتِهِ ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ : إِنِ اسْتَغَاثَ بِشَيْءٍ مِنْكُمْ فَانْصُرُوهُ وَأَغِيثُوهُ [٨] ، وَإِنْ دَعَانِى فَأَنَا وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ **قال إبراهيم** ﴾ إلى هنا ، ورد فى سورة البقرة ، من الآية ٢٥٨ والآية بتمامها : ﴿ **ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى رَبّه أن آتاه الله المُلْك ، إذْ قال إبراهيم : رَبِّى الذى يحيى ويميت . قال : أنا أُحْيى وأُميتُ . قال : فإنَّ الله يأتى بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب . فَبُهِتَ الذى كفَرَ ، والله لايهدى القوم الظَّالمين** ﴾ .

(٢) الْحَيِّز : يُطلق على المكان والبناء .. وفى « م » : « حَيْرًا طويلا » . والحير ، بالراء المهملة : مكان يشبه الحظيرة أو الحِمَى .

(٣) سفح الجبل : أسفله .. وفى « م » : « صَفْح جبل » بالصاد ، أى : جانبه أو عُرْضُه .. والمُنِيف : العالى .. ولايُرام : لايطْلَب .. ولايُرْقاً : من الصعب على الإنسان أن يعلوه .

(٤) أى : زَلَّ ولم تَثْبتْ قدماه .

(٥) فى « م » : « احتطبوا النَّارَ لإبراهيم » أى : اجْمَعُوا الحطب لها .

(٦) فى « م » : « لئن رجع ابْنُها وأَفَاقَ » .

(٧) وهج النار ، بفتح الهاء وسكونها ، أى : يسمع صوت اتقادها .

(٨) فى « م » : « إن استغاث بكم فأغيثوه وانصروه » .

فَلَمَّا وَضَعُوهُ [١] فى كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ وَقَذَفُوهُ قَالَ : حَسْبِىَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيمَانِى بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِى فِيكَ ، فَانْصُرْنِى عَلَيْهِمْ ، وَنَجِّنِى مِنَ النَّارِ . فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى النَّارِ [٢] أَنْ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَأَطَاعَتِ النَّارُ رَبَّهَا ، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ سَلَامًا لَمَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ . وَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ فى النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَظَنَّ قَوْمُهُ أَنَّهُ قَدِ احْتَرَقَ ، ثُمَّ قَالَ نَمْرُوذُ : انْظُرُوا مَاذَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَإِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فى نَوْمِى أَنَّ جِدَارَ هَذَا الْحَيِّزِ [٣] قَدْ تَهَدَّمَ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِى ، قَالَ : وَذَابَ النُّحَاسُ الَّذِى سُدَّ بِهِ بَابُ الْحَيِّزِ ، وَاحْتَرَقَ الْجِدَارُ فَصَارَ رَمَادًا ، فَاطَّلَعُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَرَأَوْهُ صَحِيحًا سَلِيمًا [٤] ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ [٥] ، فَلَما رَآهُمْ خَرَجَ يَمْشِى حَتَّى [٦] قَعَدَ إِلَى أُمِّهِ ، وَهِىَ فى الْجَمْعِ ، وَأَقْبَلَتْ سَارَةُ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، حَتَّى جَلَسَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، إِنِّى آمَنْتُ بِالَّذِى جَعَلَ النَّارَ عَلَيْكَ [٧]، بَرْدًا وَسَلَامًا . قَالَتْ لَهَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ : احْذَرِى الْقَتْلَ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَتْ [٨] : إِلَيْكِ عَنِّى ، فَإِنِّى لا أَخَافُ شَيْئًا وَقَدْ آمَنْتُ بِإِلٰهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَوْلَ إِبْرَاهِيمَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ لا يُحْصَى عَدَدُهُمْ ، يَأْتَمِرُونَ لِيُجَدِّدُوا لَهُ عَذَابًا ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا عَاصِفًا ، فَسَفَّتْ [٩] رَمَادَ تِلْكَ النَّارِ فى وُجُوهِهِمْ وَعُيُونِهِمْ فَفَرُّوا عَنْهُ ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا إِلَى اللهِ تَعَالَى وَمُذَكِّرًا بِهِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا [١٠] : إِنَّ نَبِىَّ اللهِ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ،

---

(١) فى « م » : « فلما وُضِعَ » .
(٢) فى « م » : « إليها » .
(٣) فى « م » : « الحَيْرَ » فى الموضعين .. انظر الهامش رقم « ٢ » من ص ٦٤٠ .
(٤) فى « م » : « سالمًا » .
(٥) فى « م » : « الحالة » .
(٦) فى « م » : « حين » تحريف .
(٧) « عليك » عن « م » .
(٨) فى « م » : « قالت » .
(٩) فَسَفَّتْ : فطَيَّرتْ .
(١٠) فى « م » : « وغيرهم » لاتصح لغة .

انطَلَقَ إلَى الْحَمَّامِ (١) وَمَعَهُ جِنِّيٌّ يُقَالُ لَهُ صَخْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْخُلُ الْخَلاءَ (٢) بِالْخَاتَمِ ، فَدَخَلَ الْحَمَّامَ وَأَعْطَى الشَّيْطَانَ خاتَمَهُ ، فَأَلْقَاهُ فى الْبَحْرِ ، فَالْتَقَمَتْهُ سَمَكَةٌ ، وَنُزِعَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ مِنْهُ (٣) ، وَأُلْقِىَ عَلَى الشَّيْطَانِ شَبَهُ سُلَيْمَانَ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَسُلِّطَ عَلَى جَمِيعِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ غَيْرَ نِسَائِهِ ، فَجَعَلَ يَقْضِى بَيْنَ النَّاسِ وَالنَّاسُ يُنْكِرُونَ قَضَايَاهُ ، حَتَّى قَالُوا : لَقَدْ فُتِنَ نَبِىُّ اللهِ سُلَيْمَانُ ، وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ فى حَالَتِهِ تِلْكَ وَهُوَ جَائِعٌ نَائِعٌ (٤) ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَيَّادِينَ فى الْبَحْرِ ، فَاسْتَطْعَمَ (٥) أَحَدَهُمْ مِنْ صَيْدِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنَا سُلَيْمَانُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ بِعَصًا (٦) فَشَجَّ وَجْهَهُ ، فَجَعَلَ (٧) يَغْسِلُ دَمَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَلَامَ الصَّيَّادُونَ صَاحِبَهُمْ عَلَى ضَرْبِهِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَعْطَوْا سُلَيْمَانَ سَمَكَتَيْنِ مِمَّا قَدْ تَغَيَّرَ عِنْدَهُمْ وَنَتَنَ (٨) ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَاكَانَ فِيهِ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ أَنْ يَقُومَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَشَقَّ بَطْنَيْهِمَا (٩) وَغَسَلَهُمَا ، فَوَجَدَ خاتَمَهُ فى بَطْنِ أُحدِهِمَا (١٠) فَأَخَذَهُ فَلَبِسَهُ ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَهَاءَهُ وَمُلْكَهُ ، وَجَاءَتِ الطَّيْرُ فَحَامَتْ (١١) عَلَيْهِ ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهُ سُلَيْمَانُ ، فَجَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ .

وَرَوَى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَهَبَ لِإبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ ، فَلَمَّا كَانَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ قُرْبَانًا ، فَكَتَمَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ عَنْ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ وَجَمِيعِ النَّاسِ ، وَأَسَرَّهُ إِلَى خَلِيلٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ : إِلعَازَرُ ، وَكَانَ أَوَّلَ

---

(١) فى « م » : « الحجام » تحريف .
(٢) المراد بالخلاء : المكان الذى يقضى فيه الإنسان حاجته .
(٣) فى « م » : « فيه » تحريف .
(٤) نائع : عَطِشٌ .. وقيل : نائع اتباعٌ لجائع .
(٥) فاستطعَمَ : فطلَبَ طعاماً .
(٦) فى « م » : « فضربه ضرباً » .. وشجَّ : جَرَح .
(٧) فى « م » : « قال : فجعل ... » .
(٨) أى : خبُثَتْ رائحته .
(٩) فى « م » و « ط » : بُطُونهما » . والصواب ما أثبتناه .
(١٠) هكذا فى « م » و « ط » .. والصواب : « إحداهما » .
(١١) فى « م » : « حتى حامَتْ » .

مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ يَوْمَ أُحْرِقَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ رَفَعَ اسْمَكَ فِى الْمَلأِ الأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلاءِ ، حَتَّى كُنْتَ أَرْفَعَهُمْ بَلِيَّةً ، لِيَرْفَعَكَ اللهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِى الْمَنَازِلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْتَلِكَ [(١)] بِذَلِكَ لِيَفْتِنَكَ ، وَلَا لِيُضِلَّكَ ، فَلَا يَسُوأَنَّ بِاللهِ ظَنُّكَ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَتْمًا [(٢)] مِنِّى عَلَى اللهِ تَعَالَى ، أَوْ سَخَطًا بِحُكْمِهِ الَّذِى حَكَمَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَكِنَّ هَذَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ ، فَإِنْ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِىِّ الْعَظِيمِ .

فَتَعَزَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ ، وَأَسْنَدَ لَهُ رَأْيَهُ وَبَصِيرَتَهُ ، وَانْطَلَقَ بِإِسْحَاقَ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْجَبَلَ وَمَعَهُ السِّكِّينُ وَالْحَبْلُ وَأَدَاةُ الْقُرْبَانِ ، فَقَالَ لَهُ [(٣)] إِسْحَاقُ : يَا أَبَتِ ، أَرَى مَعَكَ أَدَاةَ الْقُرْبَانِ وَلَا أَرَى قُرْبَانًا ! قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَىَّ ، الْقُرْبَانُ بِعَيْنِ رَبِّكَ [(٤)] يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ شَاءَ رَحِمَ أَبَاكَ . فَلَمْ يَفْطُنْ [(٥)] إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا وَافَى رَأْسَ الْجَبَلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَىَّ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَنِى أَنْ أَذْبَحَكَ وَأَجْعَلَكَ قُرْبَانًا يَرْفَعُكَ إِلَيْهِ [(٦)] وَيَتَقَبَّلُكَ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَتَهَلَّلَ إِسْحَاقُ وَاسْتَبْشَرَ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدُهُ : لَقَدْ فَجَعْتُكَ [(٧)] يَا بُنَىَّ بِأَمْرٍ مَافَجَعَ بِهِ وَالِدٌ وَلَدَهُ ، وَإِنِّى لَأَرَى [(٨)] مِنْ سُرُورِكَ بِذَلِكَ وَشُكْرِكَ لِرَبِّكَ أَمْرًا أَرْجُو بِهِ الْعَافِيَةَ وَالْفَرَجَ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ لَمْ يَكُنْ شَىْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَىَّ مِنَ الْبِرِّ بِكَ وَبِأُمِّى ، وَقَدْ حَرَمَنِيهِ رَبِّى ، فَإِذَا أَرَدْتَ ذَبْحِى فَاشْدُدْ وَثَاقِى [(٩)] فَإِنِّى أَخَافُ حِينَ يُفَارِقُنِى عَقْلِى وَأَجِدُ أَلَمَ الْحَدِيدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنِّى عُضْوٌ فَيُؤْذِيكَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَخْتِمَ بِذَلِكَ عَمَلِى ،

---

(١) فى « م » : « لم يبتليك » خطأً فى اللغة .

(٢) فى « م » : « أن يكون حتماً » .

(٣) « له » عن « ط » .

(٤) فى « م » : « بعين الله » .

(٥) لم يَفْطُن ، بفتح الطاء المهملة وبضمّها : لم يدرك مقصد والده .

(٦) فى « م » : « يرفَعُك الله » .

(٧) فجَعْتُك : آلمْتُك إيلاماً شديدًا .

(٨) فى « م » : « وإنى أرى » .

(٩) الوَثاقُ : مايُشَدُّ به ، كالحبل ونحوه .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِى فَأَقْرِئْ أُمِّى السَّلَامَ [١] وَقُلْ لَهَا : لا تَجْزَعِى ، فَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ ابْنَكِ فى جَنَّاتِهِ [٢] .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ عَمَدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٣] إِلَيْهِ فَعَصَبَهُ بِعِمَامَتِهِ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ [٤] إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، ثُمَّ كَبَّهُ لِوَجْهِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ وَجْهَهُ لِكَيْلَا [٥] تُدْرِكَهُ لَهُ رَحْمَةٌ إِذَا هُوَ تَشَحَّطَ [٦] ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ حَلْقِهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحُزَّ انْقَلَبَ السِّكِّينُ ، فَأَوْجَسَ إِبْرَاهِيمُ فى نَفْسِهِ [٧] ، ثُمَّ عَادَ الثَّانِيَةَ [٨] ، فَلَمَّا أَرَادَ أَن يَحُزَّ ، انْقَلَبَ السِّكِّينُ ، وَنُودِىَ : **﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾** [٩] ، هَذَا فِدَاءُ ابْنِكَ قَدْ فَدَاهُ اللهُ لَكَ بِهِ ، فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ خَلْفَهُ فَإِذَا بِكَبْشٍ [١٠] قَدْ لُوِىَ قَرْنُهُ الأَيْمَنُ عَلَى سَاقِ شَجَرَةٍ ، فَوَجَّهَهُ [١١] إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَقِبْلَتُهُ يَوْمَئِذٍ مَكَّةُ [١٢] ، فَذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَصَبَهُ [١٣] إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهُ وَضَعَاهُ قُرْبَانًا ، فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَتَقَبَّلَهُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمَّا صَارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ وَاسْتُرِقَّ [١٤] بَعْدَ الْحُرِّيَّةِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَبْكِى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ وَوَطَنِهِ وَمَا ابْتُلِىَ بِهِ

---

(١) فى « م » : « فَأَقْرِئْ مِنى السلام على أُمِّى » .

(٢) فى « ط » : « أَكْرَمَ اللهُ لَكِ ابْنَكِ » .. وفى « م » : « حياته » مكان « جنَّاته » .

(٣) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .. وعَمَد : ذهب وقصد .

(٤) عَصَبَهُ : شَدَّهُ ولَفَّهُ .. والمنكب : مجتمع رأس العضد والكتف .

(٥) فى « ط » : « كى لا » .

(٦) تشَحَّطَ : اضطرب وتخبَّطَ فى دَمِه .

(٧) يَحُزّ : يقطع .. أَوْجَسَ : وقع فى نفسه الخوف .

(٨) فى « م » : « الثالثة » . وهى المحاولة الثانية لا الثالثة .

(٩) سورة الصَّافَّات ، الآيات من ١٠٤ - ١٠٧ .

(١٠) فى « م » : « فإذا هو بكبش » .

(١١) فى « م » : « فتوَجَّهَ » .

(١٢) فى « م » : « بمكة » .

(١٣) قَصَبَهُ : قطعه .

(١٤) استُرِقّ : صار مملوكاً يُعامَل مُعامَلة الأرِقَّاءِ .

مِنَ الرِّقِّ ، فَأَحْيَا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ وَوَطَنِي ، فَاجْعَلْ لِي فِي ذَلِكَ خَيْرًا وَفَرَجًا وَمَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ ، وَمِنْ حَيْثُ لا أَحْتَسِبُ ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، وَحَبِّبْهَا إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْخُلَهَا [١] وَحَبِّبْنِي إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ ، وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبَوَيَّ وَإِخْوَتِي [٢] فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ [٣] تَجْمَعُ لَنَا بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

فَأُتِيَ [٤] يُوسُفُ فِي نَوْمِهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اسْتَجَابَ لَكَ دُعَاكَ وَأَعْطَاكَ مُنَاكَ ، وَوَرَّثَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَسُلْطَانَهَا ، وَجَمَعَ إِلَيْكَ أَبَوَيْكَ وَإِخْوَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، فَطِبْ نَفْسًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ . وَبِدُعَاءِ يُوسُفَ صَارَتْ مِصْرُ مَحْبُوبَةً ، يُحِبُّهَا مَنْ دَخَلَهَا فَلَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهَا ، قَالَ قَتَادَةُ : مَا سَكَنَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَلَمَّا جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ وَتَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ فَقَالَ : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [٥] .

وَلَمَّا وَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ [٦] إِلَى الْعِرَاقِ لِيُطْلِقَ أَهْلَ

---

(١) قوله : « وحَبِّبْهَا إلى كل من يدخلها » عن « ط » .
(٢) في « م » : « بيني وبين إخوتي وأبَوَيَّ » .
(٣) في « م » : « وعافية ونعمة وبسرور » .
(٤) في « م » : « قال » مكان « فَأُتِيَ » .
(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠١ .
(٦) هو : محمد بن يزيد ، القُرَشِيُّ بالولاء ، أمير إفريقية ، أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام سنة ٩٧ هـ ، والياً عليها ، وكانت الأندلس تابعة لها .. وعزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ، فكانت ولايته سنتين وأشهرًا .. ولمَّا ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ هـ ، ولَّى علَى إفريقية يزيد ابن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، فأراد هذا أن يسير في إفريقية بسيرة الحجَّاج ، فقتله أهلها ، وأعادوا محمد بن يزيد ، وكتبوا إلى الخليفة : إنَّا لم نخلع أيدينا من الطَّاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سَامَنَا مالا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأَعَدْنَا علينا محمد بن يزيد .. فكتب إليهم الخليفة : إني لم أَرْضَ بما صنع ابن أبي مسلم .. وأقرَّ محمد بن يزيد على عمله .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٤] .

السُّجُونِ ، وَيُقَسِّمَ الأَمْوَالَ ، ضَيَّقَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِى مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا وَلِىَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ وَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِى مُسْلِمٍ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَاسْتَخْفَى مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَطَلَبَهُ يَزِيدُ ابْنُ أَبِى مُسْلِمٍ ، فَأُتِىَ بِهِ فى شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، وَفِى يَدِ ابْنِ أَبِى مُسْلِمٍ عُنْقُودُ عِنَبٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ حِينَ دَنَا مِنْهُ : مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا وَاللهِ لَطَالَمَا [١] سَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَنِى مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَنَا وَاللهِ فَطَالَمَا سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُجِيرَنِى مِنْكَ وَيُعِيذَنِى . فَقَالَ يَزِيدُ : فَوَاللهِ مَا أَجَارَكَ وَلَا أَعَاذَكَ ، وَإِنْ سَابَقَنِى مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى قَبْضِ رُوحِكَ لَسَبَقْتُهُ [٢] ، وَاللهِ لا أَكَلْتُ هَذِهِ الْحَبَّةَ حَتَّى أَقْتُلَكَ . فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ الصَّلَاةَ ، فَوَضَعَ يَزِيدُ الْعُنْقُودَ وَتَقَدَّمَ لِيُصَلِّىَ ، وَكَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ قَدِ [٣] اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا رَكَعَ ضَرَبَهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ بِعَمُودٍ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ ابْنِ يَزِيدَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ . فَسُبْحَانَ مَنْ قَتَلَ الأَمِيرَ وَأَحْيَا الأَسِيرَ ، سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فى عِبَادِهِ ، طُلُوعُ الْحَيَاةِ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ [٤] ، وَحُضُورُ الْمَوْتِ مِنْ مَعْدِنِ الْحَيَاةِ .

وَيُرْوَى أَنَّ سُلْطَانَ صِقِلِّيَةَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ : أَنْفِذِ [٥] الآنَ مَرْكَبًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِى بِأَخْبَارِهَا ، فَعَمَرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ [٦] وَأَرْسَلَهُ لِحِينِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فى مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ [٧] ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدِ امْتَثَلْتُ أَمْرَكَ وَأَنْفَذْتُ الْمَرْكَبَ ، فَرَجَعَ بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ [٨] ، فَجَاءَ [مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ] [٩] وَمَعَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ

---

(١) فى « م » : « طالما » .
(٢) فى « م » : « قبضْتُهُ » .
(٣) « قد » عن « ط » .
(٤) شفار الموت : حافته .
(٥) أَنْفِذْ : أَرْسِلْ .
(٦) عَمَرَ الْمَرْكَبَ : أَعَدَّهُ .. وفى « م » : « عمد » بالدال ، أى : أقامه بعماده ودَعَمَهُ .
(٧) « به » عن « ط » ولم ترد فى « م » .. وكذا « قد » بعدها .
(٨) قوله : « وسيُحَدِّثك مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ » عن « ط » .. ومُقَدَّمُ المَرْكب : قائده والمسئول عنه .
(٩) مابين المعقوفين عن « م » .

الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ بِالْمَرْكَبِ (١) فَبَيْنَا أَنَا فِى جَوْفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَّارُونَ يُقَذِّفُونَ (٢) إِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يا أَللهُ يَا أَللهُ ، يَا غَيَّاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ (٣) ، يُكَرِّرُهَا مِرَارًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِى أَسْمَاعِنَا نَادَيْنَاهُ مِرَارًا : يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ ، وَهُوَ يُنَادِى : يا اللهُ يَاغَيَّاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ ، وَقَذَفْنَا (٤) الْمَرْكَبَ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَأَلْفَيْنَا هَذَا الرَّجُلَ غَرِيقًا فِى آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَأَخَذْنَاهُ (٥) مِنَ الْبَحْرِ ، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : كُنَّا مُقْلِعِينَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ فَغَرِقَتْ سَفِينَتُنَا مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَمَازِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِالْغَوْثِ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ ! فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا ، وَأَرَّقَ جَبَّارًا فِى قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِى الْبَحْرِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ : ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ! .

وَأَخْبَرَنِى رَجُلٌ كَانَ إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كُنْتُ بِصِقِلِّيَّةَ أَيَّامَ فِتَنِ الْعَدُوِّ ، فَزَحَفَ إِلَيْنَا فِى الْبَحْرِ سُفُنٌ تُقَارِبُ مِائَةَ (٦) سَفِينَةٍ ، وَأَرْسَتْ فِى السَّاحِلِ ، فَرَأَيْنَا أَمْرًا مَهُولًا ، وَفِينَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ العَابِدُ ابْنُ الْمُسْتَطَارِىُّ (٧) ، فَلَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَجْمَعُوا حَوْلَهُ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ ، وَيَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ حِينًا وَسَجَدَ وعَفَّرَ خَدَّيْهِ بِالأَرْضِ يُقَلِّبُهُمَا (٨) يميناً وَشِمَالًا ، قَالَ : فَوَاللهِ مَاذَهَبْنَا حَتَّى هَبَّتْ رِيحٌ مَزَّقَتْهَا كُلَّ مُمَزَّقٍ (٩) ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا اثْنَانِ .

---

(١) فى « م » : « فى المركب » .
(٢) يُقَذِّفُون : يُجَدِّفُون .. ومنه المِقْذَاف ، والمِقْذَف ، وهو : المجداف .
(٣) فى « م » : « ياغياث المستغيثين ، ونحن نجيبه .. » .
(٤) قَذَفْنَا : دَفَعْنَا .
(٥) فى « م » : « فاستَقَيْنَاهُ » .. وهى بمعناها .
(٦) فى « ط » : « ثلثمائة » .
(٧) فى « م » : « ابن السمتطارى » لم أقف عليه .
(٨) فى « م » : « يقلبها » لا يصح .
(٩) أى : فَرَّقَت سُفُنَ الأعداء فى كل جهة .

وَأَخْبَرَنِى أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ فَاتِكٍ (١) رَحِمَهُ اللهُ ، قَالَ : كُنْتُ فى طَرِيقِ الْحِجَازِ ، فَعَطِشَ النَّاسُ (٢) فى مَفَازَةِ تَبُوكَ ، فَفُقِدَ (٣) الْمَاءُ ، وَلَمْ يُوجَدْ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبٍ لِى جَمَّالٍ ، فَجَعَلَ يَبِيعُهُ بالدَّنَانِيرِ بِأَرْفَعِ الأَثْمَانِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ كَانَ مَوْسُومًا بِالصَّلَاحِ ، عَلَيْهِ مُقَطَّعَةٌ ، يَحْمِلُ رِكْوَةً (٤) ، وَمَعَهُ شَىْءٌ مِنْ دَقِيقٍ ، فَتَشَفَّعَ بِى إِلَى الْجَمَّالِ لِيَبِيعَهُ الْمَاءَ بِذَلِكَ الدَّقِيقِ ، فَكَلَّمْتُهُ فَأَبَى (٥) ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ فَأَبَى ، قَالَ : فَبَسَطَ الرَّجُلُ النِّطْعَ فى الأَرْضِ وَنَثَرَ عَلَيْهِ الدَّقِيقَ ، ثُمَّ رَمَقَ السَّمَاءَ (٦) وَقَالَ :إِلٰهِى ، أَنَا عَبْدُكَ ، وَهَذَا دَقِيقُكَ ، وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ أَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ فى النِّطْعِ وَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لا بَرِحْتُ (٧) حَتَّى أَشْرَبَ ، فَوَاللهِ مَا تَفَرَّقْنَا حَتَّى نَشَأَ السَّحَابُ ، فَأَمْطَرَ لِلْحِينِ ، فَشَرِبَ الْمَاءَ وَلَمْ يَبْرَحْ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِىُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ (٨) لا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » (٩) .

وَأَخْبَرَنِى شَيْخٌ مُسِنٌّ مِمَّنْ كَانَ يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ ، يُقَالُ لَهُ : جَرِيرٌ (١٠) قَالَ : أَخْبَرَنِى عَبْدُ الْكَافِى الدِّيبَاجِى ، قَالَ : رَأَيْتُ بِالْقَيْرَوَانِ آيَةً عَظِيمَةً ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِصَبِىٍّ (١١) لَهُ وَقَدْ أُسْكِتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْفَقِيهِ أَبِى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ

---

(١) فى « م » : « هايل » مكان « فاتك » .

(٢) فى « م » : « فعطش القائد » .

(٣) فى « م » : « فنفد » .

(٤) فى « م » : « عليه قطعة نِطْع يحمل ركوة » .. والمُقَطَّعَةُ : القصير من الملابس ، وكل مايُفَصَّلُ ويُخاط ويُجْعَل ملابس ، كالقُمصان والجِبَاب وغيرهما .. والنُّطْع : البساط من الجلد .. والرَّكْوَةُ : الإناء الصغير .. وقد مرت .

(٥) فى « ط » : « فَأَبَى عَلَىَّ » .

(٦) « السماء » لم ترد فى « م » .. ورَمَقَ السَّمَاءَ : أدام النظر إليها .

(٧) لابَرِحْتُ : لا أُغادِرُ مكانى .

(٨) فى « م » : « رُبَّ ذى طِمْرَيْن » والطِّمْرُ : الثوبُ البالى .

(٩) لا يُؤْبَهُ له : لا يُلْتَفَتُ إليه ولايُحتفل به .. وأَبَرَّهُ : أجابه إلى ما أُقسم عليه .. والحديث رواه مسلم فى كتاب البر .. والترمذى فى المناقب .

(١٠) فى « ط » : « حرير » .

(١١) فى « م » : « لِصَبِىٍّ » تحريف .

الرَّحْمـٰنِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ ابْنِى هَذَا قَدْ أُسْكِتَ مُنْذُ أَيَّامٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُفَرِّجَ مَا نَزَلَ بِهِ ، قَالَ : فَدَعَا الشَّيْخُ سَاعَةً ، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَ الصَّبِىِّ ، فَاسْتَفَاقَ الصَّبِىُّ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : لا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ . فَقَالَ الصَّبِىُّ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : اكْتُمْهَا عَلَىَّ إِلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ [١] إِلَى جَارِيَتِهِ فَقَالَ : اكْتُمِى علَىَّ هَذَا [٢] إِلَى الْمَوْتِ وَأَنْتِ حُرَّةٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تُوُفِّىَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِجَنَازَتِهِ ، وَتَكَاثَرَتِ الْأُمَمُ ، قَامَ [٣] الرَّجُلُ فَاسْتَنْصَتَ النَّاسَ ، فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْقَيْرَوَانِ ، اسْمَعُوا قِصَّتِى مَعَ هَذَا الشَّيْخِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا سُقْنَاهُ .

وَحَدَّثَنِى هَذَ الشَّيْخُ قَالَ : نَزَلَ [٤] عِنْدَنَا بِالْقَيْرَوَانِ قِصَّةٌ لَمْ يُسْمَعُ فى السَّالِفِينَ مِثْلُهَا [٥] ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْجَزَّارِينَ أَضْجَعَ كَبْشًا لِيَذْبَحَهُ ، فَتَخَبَّطَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَفْلَتَ مِنْهُ وَذَهَبَ ، فَقَامَ الْجَزَّارُ يَطْلُبُهُ ، وَجَعَلَ يَمْشِى إِلَى أَنْ دَخَلَ خَرِبَةً ، فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَخَبَّطُ فى دَمِهِ ، فَفَزِعَ وَخَرَجَ هَارِبًا ، وَإِذَا [٦] صَاحِبُ الشُّرْطَةِ وَالرَّجَّالَةُ [٧] عِنْدَهُمْ خَبَرُ الْقَتِيلِ ، وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ خَبَرَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، فَأَصَابُوا بِيَدِهِ السِّكِّينَ وَهُوَ مُلَوَّثٌ بِالدَّمِ ، وَالرَّجُلُ مَقْتُولٌ بِالْخَرِبَةِ ، فَقَبَضُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعمْ . قَالَ : فَمَا زَالُوا يَسْتَنْطِقُونَهُ [٨] وَهُوَ يَعْتَرِفُ اعْتِرَافًا لا إِشْكَالَ فِيهِ ، فَأَمَرَ بِهِ

---

(١) فى « م » : « ثم التفت الرَّجُلُ » .

(٢) فى « م » : « اكتُمِى هذه عَلَىَّ » .

(٣) فى « م » : « فقام » . والجنازة ، بفتح الجيم وكسرها : النعش ووراءه المُشيعون .

(٤) نَزَلَ : حَدَثَ . وفى « م » : « نزلتْ » .

(٥) فى « م » : « بمِثْلِهَا » .

(٦) فى « م » : « فَإِذَا » .

(٧) الرَّجَّالَة : جمع رَاجِلٍ ، وهو خلاف الفارس .

(٨) يستنطقونه : يطلبون منه أن يتكلم بإسهاب .

السُّلْطَانُ لِيُقْتَلَ ، فَأُخْرِجَ لِلْقَتْلِ ، وَاجْتَمَعَ الأُمَمُ لِيَبْصِرُوا [١] قَتْلَهُ ، فَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ انْدَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلْقَةِ الْمُجْتَمِعِينَ [٢] فَقَالَ لَهُمْ : لا تَقْتُلُوهُ ، أَنَا قَاتِلُ الْقَتِيلِ ، فَقُبِضَ وَحُمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ فَاعْتَرَفَ ، وَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : قَدْ كُنْتَ مُعَافًى مِنْ هَذَا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى الاعْتِرَافِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ يُقْتَلُ ظُلْمًا فَكَرِهْتُ أَنْ أَلْقَى اللهَ تَعَالَى بِدَمِ رَجُلَيْنِ ! فَأَمَرَ بِهِ السُّلْطَانُ فَقُتِلَ ، ثُمَّ قَالُوا لِلرَّجُلِ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالْقَتْلِ وَأَنْتَ بَرِئٌ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : فَمَا حِيلَتِي ؟ رَجُلٌ مَقْتُولٌ بِالْخَرِبَةِ ، وَأَخَذُونِي وَأَنَا خَارِجٌ مِنَ الْخَرِبَةِ [٣] وَبِيَدِي السِّكِّينُ مُلَطَّخَةٌ بِالدَّمِ ، فَإِنْ أَنْكَرْتُ مَنْ يَقْبَلُنِي ؟ وَإِنْ اعْتَذَرْتُ مَنْ يَعْذِرُنِي ؟ فَخُلِّيَ سَبِيلُهُ وَانْصَرَفَ مُكْرَمًا .

وَلَمَّا وَزَرَ [٤] فَخْرُ الْمُلْكِ نِظَامُ الدِّينِ لِسَنْجَارِ الْمَلِكِ [٥] ، وَكَانَ لِفَخْرِ الْمُلْكِ ابْنُ عَمٍّ يُقَالُ لَهُ شِهَابُ الْمُلْكِ ، وَكَانَ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى مَنْزِلَتِهِ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ سَنْجَارَ : لا حَيَاةَ لِي مَعَكَ إِلَّا أَنْ تَقْتُلَ ابْنَ عَمِّي شِهَابَ الْمُلْكِ ، فَأَبَى سَنْجَارُ ، فَمَا زَالَ يُرَاجِعُهُ إِلَى أَنْ أَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ [٦] بَيْهَقُ ، وَكَانَ وَالِي ذَلِكَ الْبَلَدِ [٧] يُكْرِمُهُ لِجَلَالَتِهِ وَجَلَالَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَخْلَى لَهُ دَارًا فِي الْقَلْعَةِ مُشْرِفَةً [٨] ، ثُمَّ جَعَلَ فَخْرُ الْمُلْكِ يُفْسِدُ قَلْبَ

---

(١) ليبصروا : ليروا وينظروا .

(٢) فى « م » : « المجتمعة » وكلاهما صواب .

(٣) فى « م » : « فى الخرِبَة » .

(٤) وَزَرَ : صار وزيرًا .

(٥) فى « م » : « لسنجار » بدون إضافة « الملك » إليه .. واسمه فى ابن الأثير وغيره من المصادر : « سَنْجَر » وفخر المُلك هو : علىُّ بن الحسَن بن على بن إسحاق ، أبو المظفر ، فخر المُلك ابن نظام المُلك .. وزيرٌ ، وأصل أبيه من طوس .. تولى الوزارة للسلطان « بركيارق » سنة ٤٨٨ هـ ، ثم فارقه قاصدًا نيسابور ، فاستوزره صاحبها الملك « سنجار » فاغتاله فيها أحد الباطنية . وكان أكبر أولاد نظام المُلك .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٧٣] .

(٦) فى « ط » :« لها » .. وبَيْهَقُ : لفظه فارسية معناها : الأجود .. وهى كورة واسعة ، كانت كثيرة البلدان والعمارة ، من نواحى نيسابور . [انظر معجم البلدان – مادة بيهق] .

(٧) فى « م » : « تلك البلدة » .

(٨) مُشرفَة : عالية .

سَنْجَارَ وَيَحْمِلُهُ عَلَى قَتْلِ شِهَابِ الْمُلْكِ ، إِلَى أَنْ أَرْسَلَ سَنْجَارُ إِلَى وَالِيهِ بِقَتْلِ شِهَابِ الْمُلْكِ ، فَاسْتَعْظَمَ الْوَالِي قَتْلَهُ وَأَخَّرَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ لَمْ يَجِدْ بُدًا مِنْ قَتْلِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ فِى يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَبَيْنَا شِهَابُ الْمُلْكِ يَطَّلِعُ مِنْ طَاقَاتِ الدَّارِ ، إِذَا [١] بِفَارِسٍ يَرْكُضُ ، فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مِنْهُ ، وَقَالَ : هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنِى [٢] ، فَوَصَلَ الْفَارِسُ وَقَالَ : مَاتَ فَخْرُ الْمُلْكِ ، فَخُلِّىَ سَبِيلُ شِهَابِ الْمُلْكِ ، ثُمَّ وَزَرَ [٣] لِسَنْجَارَ ! فَسُبْحَانَ الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ .

أَخْبَرَنِى أَبُو الْفَضْلِ الْمُعَبِّرُ بِمِصْرَ قَالَ : كَانَ بِمِصْرَ مُلُوكُ بَنِى حَمْدَانَ [٤] ، وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ [٥] ، وَكَانَ يَشْكُو وَجَعَ الْقُولَنْجِ [٦] ، فَأَعْيَا الأَطِبَّاءَ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شِفَاءٌ ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأُرْصِدَ لَهُ رَجُلٌ مَعَهُ خِنْجَرٌ ، فَلَمَّا جَاءَ [٧] فِى بَعْضِ دَهَالِيزِ الْقَصْرِ ، وَثَبَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخِنْجَرِ ، فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ فِى أَسْفَلِ خَاصِرَتِهِ [٨] فَأَصَابَ طَرَفُ الْخِنْجَرِ الْمِعَى الَّذِى هُوَ الْقُولَنْجُ ، فَخَرَجَ مَافِيهِ مِنَ الْخَلْطِ [٩] ، ثُمَّ عَافَاهُ اللهُ تَعَالَى ، فَصَحَّ وَبَرِىءَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ .

---

(١) فى « م » : « وإذا » .

(٢) فى « م » : « يريد قتلى » .

(٣) فى « م » : « ثم ولِّى لسنجار » .

(٤) ملوك بنى حمدان يُنسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن حمدون الذى كان عاملاً على الموصل للمعتضد بالله العباسى .. وَلَّى العباسيون الحمدانيين فى الموصل وأرض الجزيرة والشام ، ثم استقل الحمدانيون بالأمر ، وبسطوا سلطانهم على حلب وشمال سورية فى عهد على بن عبد الله سيف الدولة ، وكانت بداية انحطاطهم فى عهد سعد الدولة ، وقضى عليهم الفاطميون .

(٥) ناصر الدولة هو : الأمير أبو على الحسن الحمدانى ، نشأ بمصر ، وولى فيها قيادة جيوش المستنصر لدين الله الفاطمى .

(٦) القُولَنْج : مرض مِعَوِىٌّ يصعب معه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون (المِعَى الغليظ الضيِّق الذى يتصل بالمستقيم) .

(٧) فى « م » : « فلما كان » .

(٨) فى « م » : « أسفل فى خاصرته » والخاصرة : مابين رأس الوَرِك وأسفل الأضلاع .. وهما خاصرتان .

(٩) قوله : « من الخلط » عن « ط » .

وَلَمَّا كُنتُ بِالإسْكَنْدَرِيَّةِ نَزَلَتْ سُفُنُ الْعَدُوِّ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ بَرْقَا [١] ، فَأَخَذُوا قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَأَسَرُوا بَعْضَهُمْ ، فَأُخِذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَشُدَّ كِتَافُهُ مِنْ خَلْفِهِ [٢] ، فَلَمَّا نَهَبُوا السَّفِينَةَ عَمَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الأَعْلَاجِ [٣] فَرَفَسَهُ وَأَلْقَاهُ فى الْبَحْرِ ، ثُمَّ طَعَنَهُ بِرُمْحٍ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُخْطِئْ [٤] نَصْلُ الرُّمْحِ حَبْلَ الْكِتَافِ فَقَطَعَهُ وَانْحَلَّتْ يَدُ الرَّجُلِ ، فَسَبَحَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّاطِئِ سَلِيمًا ، وَوَصَلَ إِلَى الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى عَافِيَةٍ .

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الشَّامِيِّينَ أَنَّ رَجُلًا خَبَّازًا [٥] بَيْنَمَا هُوَ يَخْبِزُ فى تَنُّورِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ إِذْ عَبَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْمِشْمِشَ [٦] ، قَالَ : فَاشْتَرَى مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ بِالْخُبْزِ الْحَارِّ ، فَلَمَّا فَرَغَ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَنَظَرُوا [٧] فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِ ، وَيَحْمِلُونَ لَهُ الأَطِبَّاءَ فَيَلْمِسُونَ دَلَائِلَهُ وَمَوَاضِعَ [٨] الْحَيَاةِ مِنْهُ ، فَقَضَوْا بِأَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ إِلَى الْجَبَّانَةِ ، فَبَيْنَا هُمْ خَارِجُونَ بِهِ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ اسْتَقْبَلَهُمْ رَجُلٌ طَبِيبٌ يُقَالُ لَهُ : الْيَبْرُودِيُّ ، وَكَانَ طَبِيبًا مَاهِرًا حَاذِقًا بِالطِّبِّ ، فَسَمِعَ النَّاسَ يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ [٩] فَقَالَ لَهُمْ : حُطُّوهُ حَتَّى أَرَاهُ ، قَالَ : فَحَطُّوهُ ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ وَيَنْظُرُ فى أَمَارَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ فَمَهُ وَسَقَّفَهُ شَيْئًا ، أَوْ قَالَ : حَقَنَهُ ، فَانْدَفَعَ مَا هُنَالِكَ بِسَبِيلٍ ، وَإِذَا الرَّجُلُ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَكَلَّمَ ، وَعَادَ كَمَا كَانَ إِلَى دُكَّانِهِ .

---

(١) « بَرْقَة » هكذا فى « م » وفى معجم البلدان .. وفى « ط » : « برقا » بالألف .. وهى اسم صُقْع كبير يشتمل على مُدُن وقُرى بين الإسكندرية وإفريقية .

(٢) فى « م » : « وَشُدَّ كِتافه وخلفه » .. والكتاف : ماشُدَّ به ، من حبلٍ ونحوه .

(٣) أى : قَصَدَ إليه بعضُ الرِّجال الغِلاظ الأشدَّاء .

(٤) فى « م » : « فلم يَخْطُ » .

(٥) فى « م » : « وكان رجُلاً خبازًا » .. والتَّنُّور : الفرن .

(٦) المشمش : الفاكهة المعروفة ، وهو مُثلَّث الميمين .

(٧) فى « م » : « فنظر » .

(٨) فى « م » : « وموضع » .

(٩) يلهجون بقِصَّتِه : يُرَدِّدُونها .

وَكَانَ رَجُلٌ يَمْشِي بِبَغْدَادَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فى الطَّرِيقِ إِذَا بِدَارٍ قَدْ وَقَعَتْ [١] عَلَيْهِ فَخَرَّتْ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا فى الْحَائِطِ طَاقَةٌ فَمَا أَخْطَأَتْ رَأْسَهُ ، فَصَارَتِ الدَّارُ كَوْمًا ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الطَّاقَةِ سَلِيمًا .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْيَمَنِ فى أَرْضِ الصُّلَيْحِيِّ [٢] فَوُشِيَ بِي إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِي ، فَأُخْرِجْتُ وَقُدِّمْتُ [٣] لِلْقَتْلِ ، وَتَرَكَنِي السَّيَّافُ ثُمَّ قَالَ لِي [٤] : مُدَّ رَقَبَتَكَ ، فَمَدَدْتُ عُنُقِي لِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ لِي السَّيَّافُ : اشْتَدَّ ، فَقُلْتُ : دُونَكَ يَا هَذَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا بِصَائِحٍ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ : لا تَقْتُلُوهُ ، لا تَقْتُلُوهُ ، فَخَلُّوا سَبِيلِي [٥] .

وَجَرَتْ بِقُرْطُبَةَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ فى أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ السِّنْبِسِيِّ [٦] شُهِدَ عَلَيْهِ بِالزَّنْدَقَةِ ، فَحَبَسَهُ الْمَنْصُورُ مُدَّةً مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُدَبَاءِ مِنْ وُجُوهِ قُرْطُبَةَ يُرْمَقُونَ [٧] بِالِانْهِمَاكِ فى الزَّنْدَقَةِ [٨] ، وَكَانَ يُنَادَى عَلَيْهِمْ فى كُلِّ جُمُعَةٍ يُوقَفُونَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِبَابِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فِيهِمْ فَلْيُؤَدِّهَا . فَثَبَتَ عَلَى قَاسِمٍ عِنْدَ الْقَاضِي سِجِلُّ شَهَادَاتِ الشُّهُودِ [٩] بِأَنْوَاعٍ مُنْكَرَةٍ [١٠] تَتَضَمَّنُ الزَّنْدَقَةَ وَالْكُفْرَ ، فَطَلَعُوا إِلَى الْقَصْرِ وَعَقَدُوا مَجْلِسًا

---

(١) فى « م » : « إذا بدارٍ وقعت » .
(٢) الصُّلَيْحِيّ : نسبة إلى الصُّلَيحيين ، وهم سُلالة حكمت اليمن ، وكانت تابعة للخلافة الفاطمية .
(٣) فى « م » : « فَقُدِّمْتُ » .
(٤) فى « م » : « وقال لى » .
(٥) فى « م » : « لا تقتلوه وخَلُّوا سبيله » .
(٦) نسبته إلى « سِنْبِس » وهو أبو حَيٍّ من طَيِّئ .
[انظر لسان العرب – مادة : سنبس .. والأعلام ج ٦ ص ١١٦ ترجمة السِّنْبِسى « محمد بن خليفة »] .
(٧) هكذا فى « م » .. ويرمقون : يتهمون . أو يُنظر إليهم شَذْرًا نظر العداوة .. وفى « ط » : « مرموقون » بالرفع ، على أنها خبر لمبتدإ مَحْذوف ، والأفضل فيها الجر على الوصفية .
(٨) فى « ط » : « بالانهماك والزندقة » .
(٩) فى « م » : « سِجل الشهادةِ من الشهود » .
(١٠) « مُنكَرة » عن « ط » .

عَظِيمًا [١] ، وَاسْتُشِيرَ الْفُقَهَاءُ فِيهِ ، فَأَوْجَبُوا قَتْلَهُ ، فَاسْتُحْضِرَ قَاسِمٌ فَحَضَرَ ، وَحَضَرَ أَبُوهُ ، وَحَضَرَ ابْنَانِ صَغِيرَانِ لِقَاسِمٍ ، وَلَبِسُوا ثِيَابَ الْحِدَادِ ، وَحَمَلَ أَبُوهُ مَعَهُ نَعْشًا وَحَمَّالِينَ [٢] ، وَجَعَلَ أَبُوهُ وَالصَّبِيَّانِ يَبْكُونَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَأُحْضِرَ [٣] لِضَرْبِ عُنُقِهِ سَيَّافٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْجُنْدِيِّ ، وَدُفِعَتْ إِلَيْهِ أَسْيَافٌ مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَعَلَ يَرُوزُهَا وَيَلْمِسُ شِفَارَهَا [٤] ، وَأَبُوهُ وَابْنَاهُ يَنْظُرُونَ [٥] ، وَحَضَرَ الْفَقِيهُ أَبُو عَمْرٍو الْمَكْودِيُّ الإِشْبِيلِيُّ [٦] عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ ، وَكَانَ يَأْبَى الْحُضُورَ ، فَاسْتَفْتُوهُ فَقَالَ : يَاهَؤُلَاءِ ، إِنَّ الدِّمَاءَ لا تُسْفَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ [٧] دُونَ الشُّبَهِ ، احْسَبُوا أَنَّ السَّبِيِّ فَرُوجًا ، بِمَاذَا تَذْبَحُونَهُ [٨] ؟ فَقَالَ الْقَاضِي ابْنُ الشَّرَفِيِّ : بِمَا ثَبَتَ عِنْدِي وَأَمْعَنْتُ النَّظَرَ فِيهِ . قَالَ الْفَقِيهُ : أَوْقِفْنِي عَلَيْهِ . فَأَخَذَ السِّجِلَّ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي بِمَنْ قَتَلْتَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ ؟ قَالَ بِهَذَا وَهَذَا ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً . قَالَ الْفَقِيهُ : فَبِجَمِيعِهِمْ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ [٩] . قَالَ : فَلَوْ شَهِدَ مِنْهُمُ اثْنَانِ خَاصَّةً كُنْتَ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ لا ، إِنَّمَا قَوَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَزَكَّى أَكْثَرُهُمْ عِنْدِي . فَالْتَفَتَ الفَقِيهُ إِلَى الْفُقَهَاءِ الْمُشَاوَرِينَ فَقَالَ [١٠] :

---

(١) فى « م » : « وعُقِدَ مجلسٌ عظيم » .

(٢) فى « م » : « نعش وحمالون » بالرفع ، لاتصح .. والصواب بالنصب على المفعولية .

(٣) فى « م » : « فأحضِرَ » .

(٤) يروزها : يختبرها ويجربها .. وشفارها : حَدُّها وحروفها .

(٥) فى « ط » : « ينظران » .

(٦) فى « م » : « أبو عمرو بن الملوى الإشبيلى » لم أقف على ترجمة له .

(٧) « الواضح » عن « ط » .

(٨) فى « م » : « تذبحوه » لاتصح .

(٩) من قوله : « قال نعم » إلى « تقتله » عن « ط » وساقط من « م » .

(١٠) فى « ط » : « فقالوا » .. والأول هو المراد .

يا هؤلاء ، بالدَّعائم يُقتَل المُسلِمون عِندَكُم وتُسفَكُ (١) دِماؤُهم ، فلستُ أرى قتلَه ولا أشير به .

فرجع الفقهاءُ إلى قولِه ولم يروا عليه شيئًا بعدما أفتوا بقتلِه منذ ستة أشهرٍ ، فانفضَّ الجمعُ وشِيمَ السيفُ (٢) وطار البشيرُ إلى ابنِ أبي عامرٍ فأخبرَه بالمجلسِ ، فقال ابنُ أبي عامرٍ : مضيتُم تقتلون ابنَ السَّنبِسِيّ ، فدفنتمُ القاضيَّ .. قد اجتهدنا للدِّينِ ولا قاتِلَ لمؤجَّلٍ ، فحُبِس أيامًا ثم أُطلِق ، فكان ابنُ ذكوانَ الفقيهُ يقولُ للقاضي في مثلِ هذا إذا سُئِلَ (٣) : بِمَ عرفتَ الله ؟ قال : بنقضِه عزائِمي ، ومعنى الدَّعائمِ على لِسانِ الفقيهِ ، هم الشُّهودُ الذين لو انفرد منهم اثنانِ لم يثبُتِ الحُكْمُ ، ولا قبلا فيه ، فإذا كثُروا قوَّى بعضُهم بعضًا فلا يثبُتُ الحُكْمُ بهم .

وفي نقيضِ هذا حدَّثني (٤) القاضي أبو مروانَ الدّانيُّ بطرطوشةَ ، وقد ولِيَ قضاءَها ، فتذاكرنا (٥) يومًا فقال : نزلت قافلةٌ بقريةٍ خربةٍ من أعمالِ دانيةَ (٦) فأووا إلى دارٍ خرابٍ هناك ليستكِنُّوا (٧) من الرِّياحِ والأمطارِ ، واستوقدوا نارَهم ، وسوَّوا معيشتَهم ، وقُرْبَ تلك الخربةِ حائطٌ مائلٌ قد أشرف على الوقوعِ ، فقال رجلٌ منهم لأهلِ القافلةِ : يا هؤلاءِ ، لا تقعُدوا تحت هذا الحائطِ ولا تدخلوا هذه البقعةَ ، فأبوا إلّا دخولَها ، وبات الرَّجلُ منتبذًا (٨) خارجًا عنهم ، لم يقرب ذلك المكانَ ، ثم أصبحوا في عافيةٍ ، وحمَّلوا دوابَّهم ، فبينما هم كذلك إذ دخل الرَّجلُ الخربةَ

---

(١) في « ط » : « ويُسفَك » .

(٢) شِيمَ السيفُ : أُغمِدَ .

(٣) في « ط » : « في مثل هذا قال القائل : إذا سُئل » .

(٤) في « ط » : « ما حدَّثني » .

(٥) في « م » : « فتذاكر » .

(٦) دانية : مدينة بالأندلس ، كانت من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً .

(٧) ليستكِنُّوا : ليستتروا .

(٨) مُنتبذًا ، أي : متخذاً مكاناً بعيدًا عن القوم ومنعزلاً عنهم .

لِيَسْتَوْقِدَ[١] بِبَقِيَّةِ النَّارِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِ الْحَائِطُ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ[٢] .

وَبَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ جَيْشًا مِنَ الْجُيُوشِ كَانَ بِصِقِلِّيَّةَ نَاهِضًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَقَعَدُوا سَاعَةً لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَإِذَا عَقْرَبٌ يَدِبُّ[٣] ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ الأَجْنَادِ بِمِقْرَعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ الْمِقْرَعَةَ إِلَى نَحْوِ عُنُقِهِ ، فَإِذَا بِالْعَقْرَبِ قَدْ[٤] تَشَبَّثَتْ بِأَهْدَابِ الْمِقْرَعَةِ وَهُوَ لا يَشْعُرُ ، فَلَدَغَتْهُ فى عُنُقِهِ ، فَقَضَى مَكَانَهُ[٥] .

وَأَخْبَرَنِى الْقَاضِى أَبُو الْوَلِيدِ البَاجِىُّ عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ بِبَغْدَادَ جُزْءًا مِنَ الْحَدِيثِ فى حَانُوتِ رَجُلٍ يَبِيعُ الْعِطْرَ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُ فى الْحَانُوتِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الطَّوَّافِينَ مِمَّنْ يَبِيعُ الْعِطْرَ فى طَبَقٍ[٦] يَحْمِلُهُ فى يَدِهِ ، فَأَعْطَاهُ[٧] عَشَرَةَ دَرَاهِمَ وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَىَّ[٨] أَشْيَاءَ سَمَّاهَا مِنَ الْعِطْرِ ، فَأَخَذَهَا فى طَبَقِهِ وَمَشَى ، فَسَقَطَ الطَّبَقُ مِنْ يَدِهِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَاكَانَ فِيهِ ، فَبَكَى الطَّوَّافُ وَجَزِعَ حَتَّى رَحِمْنَاهُ ، فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِصَاحِبِ الْحَانُوتِ : لَعَلَّكَ تَجْبُرُ لَهُ[٩] بَعْضَ هَذِهِ الأَسْبَابِ ، قَالَ : نَعَمْ . فَنَزَلَ وَجَمَعَ مَا تَجَمَّعَ مِنْهَا ، وَجَبَرَ لَهُ مَا نَقَصَ ، وَأَقْبَلَ[١٠] الشَّيْخُ عَلَى الطَّوَّافِ يُصَبِّرُهُ وَيَقُولُ لَهُ : لا تَجْزَعْ ، فَأَمْرُ

---

(١) فى « م » : « ليسخن » .

(٢) فى « م » : « فقتله » .

(٣) فى « م » : « تدبُّ » وكلاهما صواب ؛ فالعقرب تُطلَق على الذكر والأنثى ، فإذا أريد تأكيد التذكير ، قيل : عُقْرُبان ، بضم العين والراء .

(٤) فى « م » : « حتى » مكان « قد » تحريف .

(٥) فقضَى : فمات .. وفى « م » : « فلدغتْهُ فمات مكانه » .

(٦) من قوله : « فبينا » إلى هنا عن « م » .. ومكانها فى « ط » : « فجاء رجل طوّاف بطبق » .

(٧) فى « ط » : « وأعطاه » .

(٨) فى « م » : « ادفعْ لى » .

(٩) فى « ط » : « تجبر لنا » مِنْ جَبَرَ الشيءَ ، إذا أخذَ فى سبيل إصلاحه وتعويضه .

(١٠) فى « م » : « فأقْبَلَ » .

الدُّنْيَا أَيسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الطَّوَّافُ : أَتَظُنُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنَّ جَزَعِي لِضَيَاعِ مَا ضَاعَ ؟ لَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنِّي [١] كُنْتُ فِي الْقَافِلَةِ الْفُلَانِيَّةِ ، فَضَاعَ لِي هِمْيَانٌ [٢] فِيهِ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ ، أَوْ أَرْبَعَةُ آلافِ دِينَارٍ – الشَّكُّ مِنْ أَبِي ذَرٍّ – وَمَعَهَا فُصُوصٌ قِيمَتُهَا مِثْلُ ذَلِكَ ، فَمَا جَزِعْتُ لِضَيَاعِهَا [٣] ، وَلَكِنْ وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ فَاحْتَجْتُ [٤] فِي الْبَيْتِ إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النُّفَسَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الْعَشَرَةِ الدَّرَاهِمِ [٥] ، فَأَشْفَقْتُ أَنْ أَشْتَرِيَ بِهَا حَوَائِجَ النُّفَسَاءِ فَأَبْقَى [٦] بِغَيْرِ رَأْسِ مَالٍ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى التَّكَسُّبِ ، فَقُلْتُ : أَشْتَرِي بِهَا شَيْئًا وَأَطُوفُ بِهِ صَدْرَ نَهَارِي [٧] فَعَسَى أَسْتَفْضِلُ مِنْهُ شَيْئًا أَسُدُّ بِهِ رَمَقَ أَهْلِي [٨] وَيَبْقَى [٩] رَأْسُ الْمَالِ أَتَصَرَّفُ فِيهِ ، فَلَمَّا قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى بِضَيَاعِهِ جَزِعْتُ ، فَقُلْتُ : لا عِنْدِي مَالٌ أَرْجِعُ بِهِ [١٠] إِلَيْهِمْ ، وَلَا مَا أَكْتَسِبُ بِهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا الْفِرَارُ مِنْهُمْ وَتَرْكُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَهْلِكُونَ بَعْدِي ، فَهَذَا الَّذِي أَوْجَبَ جَزَعِي .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ جَالِسًا عَلَى بَابِ دَارِهِ يَسْتَوْعِبُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : أَنَا أَرْغَبُ إِذَا تَمَّمْتُمْ أَمْرَهُ [١١] أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُ

---

(١) « تعالى » عن « ط » وفيها : « متى » مكان « أنى » .

(٢) هِمْيَان : كيسٌ للنَّفَقَة يُشَدُّ في الوسط .

(٣) في « م » : « فما جَزِعتُ لها » .

(٤) في « م » : « ولكن طلَع لي الليلة مولودٌ فاحتاج .. » .

(٥) في « م » و « ط » : « العشرة دراهم » .

(٦) في « م » : « وأبقى » .

(٧) في « ط » : « وأطوف صدر نهاري » .

(٨) في « ط » : « استفضل شيئًا أسُد به رمقي » .

(٩) في « م » : « ورمق » مكان « ويبقى » تحريف .

(١٠) في « م » : « ماعندي ما أرجع به » .

(١١) في « م » : « فقال للشيخ أبي حفص : إذا تمَّمْتُم أمره فأريد .. » .

عِنْدِى ، وَقَامَ ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ [١] شَيْئًا ، قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَنَا ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ لِلطَّوَّافِ : عَجِبْتُ مِنْ جَزَعِكَ ! فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : وَكُنْتَ فِى تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَانَ بِهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ [٢] فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَعَلِمَ الْجُنْدِيُّ صِحَّةَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَامَةُ الْهِمْيَانِ ؟ وَفِى أَىِّ مَوْضِعٍ سَقَطَ مِنْكَ ؟ فَوَصَفَ [٣] الْمَكَانَ وَالْعَلَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنْدِيُّ : لَوْ رَأَيْتَهُ كُنْتَ تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ الْجُنْدِيُّ هِمْيَانًا [٤] وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ [٥] : هَذَا هِمْيَانِى ، وَعَلَامَةُ صِحَّةِ قَوْلِى أَنَّ فِيهِ مِنَ الأَحْجَارِ مَاصِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَفَتَحَ الْهِمْيَانَ فَوَجَدَ الأَحْجَارَ عَلَى مَاذَكَرَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : خُذْ مَالَكَ ، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِ ، فَقَالَ الطَّوَّافُ : هَذِهِ الأَحْجَارُ قِيمَتُهَا مِثْلُ الدَّنَانِيرِ أَوْ أَكْثَرُ ، فَخُذْ أَنْتَ الدَّنَانِيرَ ، فَنَفْسِى طَيِّبَةٌ بِذَلِكَ . فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : لا آخُذُ [٦] عَلَى أَمَانَتِى شَيْئًا . فَدَخَلَ الطَّوَّافُ وَهُوَ مِنَ الْفُقَرَاءِ ، وَخَرَجَ وَهُوَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ . فَبَكَى الْجُنْدِيُّ بُكَاءً شَدِيدًا وَانْتَحَبَ [٧] ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَفْصٍ : عَلَامَ [٨] تَبْكِى وَقَدْ أَدَّى اللهُ أَمَانَتَكَ ، وَقَدْ بَذَلَ لَكَ مَالًا كَثِيرًا ، وَإِنْ شِئْتَ عَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِى لِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَبْكِى لأَنِّى أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِى ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ بَقِىَ [٩] أَمَلٌ أُؤَمِّلُهُ وَلاَ أُمْنِيَةٌ أَتَمَنَّاهَا إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَنِى

---

(١) فى « م » : « يريد يعطيه » .

(٢) فى « م » : « وكنت فى تلك القافلة ، وكان بها من أعلام الناس » .

(٣) فى « م » : « ووصف » .

(٤) فى « م » : « هميان » بالرفع ، لا تصح .

(٥) فى « م » : « قال » .

(٦) فى « م » : « ماكنتُ آخذ » .

(٧) الانتحاب : البكاء الشديد .

(٨) فى « م » : « على ما » والصواب : وَصْل « ما » بحرف الجر وحذف ألفها ، وقد سبق التعليق عليها .

(٩) فى « م » : « وإنه ما كان بقى لى » .

اللهِ بِصَاحِبِ هَذَا الْمَالِ فَيَأْخُذَهُ [١] ، فَلَمَّا قَضَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَلَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي . قَالَ الشَّيْخُ أَبو ذَرٍّ : فَمَا انْقَضَى شَهْرٌ حَتَّى تُوُفِّيَ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ [٢] بِالْمُوصِلِ ، قَالَ : لَقَدْ جَرَتْ هَاهُنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَهَذِهِ الدَّارِ وَهَذَا الْحَانُوتِ [٣] – وَأَشَارَ إِلَيْهَا – قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ ، كَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الدَّارَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ مِمَّنْ يُسَافِرُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي تِجَارَةِ الْخَزِّ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَمِّلُ الْخَزَّ فِي خُرْجِهِ [٤] عَلَى حِمَارِهِ [٥] وَهُوَ جَمِيعُ مَالِهِ ، نَزَلَتِ الْقَافِلَةُ ، فَأَرَادَ إِنْزَالَهُ عَنِ الْحِمَارِ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ إِنْسَانًا هُنَاكَ فَأَعَانَهُ عَلَى إِنْزَالِهِ ، ثُمَّ جَلَسَ يَأْكُلُ ، فَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الرَّجُلَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ وَأَكَلَ مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ لِأَمْرٍ أَزْعَجَهُ دُونَ زَادٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : تَكُونُ مَعِي وَتُعِينُنِي عَلَى سَفَرِي وَيَكُونُ طَعَامُكَ عِنْدِي ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي حَرِيصٌ عَلَى خِدْمَتِكَ وَمُحْتَاجٌ إِلَى طَعَامِكَ .

فَسَارَ مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ، فَخَدَمَهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، قَالَ : فَوَصَلَا تِكْرِيتَ [٦] ، فَنَزَلَتِ الرُّفْقَةُ [٧] خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلْخَادِمِ : احْفَظْ رَحْلَنَا حَتَّى أَدْخُلَ وَأَشْتَرِيَ حَاجَتَنَا ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، فَأَبْطَأَ هُنَاكَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَجِدِ الرُّفْقَةَ وَلَا وَجَدَ صَاحِبَهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمَّا رَحَلَتِ

---

(١) فى « م » : « بصاحب هذا الهِمْيان فيأخذ ماله » .

(٢) فى « م » : « أبو القاسم بن حبيش » .

(٣) فى « ط » : « والحانوت » وهو دكان البائع .

(٤) فى « م » : « يُحَوِّل الخزَّ » .. والخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عِدْلَيْن ، يوضع على ظهر الدَّابَّة لوضع الأمتعة فيه .

(٥) فى « م » : « على حمار له » .

(٦) تكريت : مدينة فى العراق على شاطىء دجلة الأيمن شمالى سامراء .

(٧) فى « م » : « ونزلت القافلة » .. والرُّفقة : الصُّحبة .

الرُّفْقَةُ (١) رَحل مَعَها ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْعَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرُّفْقَةِ بَعْدَ الْجَهْدِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ صاحِبِهِ ، فَقَالُوا : مَا جَاءَ مَعَنا وَلَا رأَيْنَاهُ ، وَلَكِنَّهُ ارْتَحَلَ الأَسْبَابَ عَلَى الْحِمَارِ وَدَخل (٢) عَلَى إِثْرِكَ ، وَظَنَنَّاكَ أَمَرْتَهُ بِذَلِكَ .

فَكَرَّ الرَّجُلُ رَاجِعًا إِلَى تِكْرِيتَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا ، وَلَا سَمِعَ لَهُ خَبَرًا ، فَيَئِسَ مِنْهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمُوصِلِ مَسْلُوبَ الْمَالِ ، فَوَافَاهَا (٣) نَهَارًا جائِعًا عُرْيَانًا فَقِيرًا مَجْهُودًا ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يَدْخُلَ نَهَارًا فَيَشْمَتُ الْعَدُوُّ وَيَحْزَنُ الصَّدِيقُ ، فَبَقِيَ حَتَّى أَمْسَى ثُمَّ دَخَلَ فَدَقَّ بَابَ الدَّارِ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ فُلَانٌ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، فَأَظْهَرُوا سُرُورًا عَظِيمًا وحَاجَةً إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى جَاءَ بِكَ فى هَذَا الْوَقْتِ ، عَلَى مَانَحْنُ فِيهِ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ (٤) ، حَمَلْتَ جَمِيعَ مَالِكَ ، وَطَالَ سَفَرُكَ ، وَاحْتَاجَ (٥) أَهْلُكَ ، وَقَدْ وُلِدَتْ (٦) الْيَوْمَ وَلَدًا ، وَوَاللهِ مَا وَجَدْنَا مَا نَشْتَرِى بِهِ شَيْئًا لِلنُّفَسَاءِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ طاوِيَةً عَلَى حَالِهَا (٧) فَتَحَيَّلْ لَنَا فى دَقِيقٍ وَدُهْنٍ نُسْرِجُ بِهِ (٨) ، فَلَا سِرَاجَ عِنْدَنَا . فَزادَهُ ذَلِكَ غَمًّا ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِحَالِهِ فَيُحْزِنَهُمْ .

وَأَخَذَ (٩) وِعَاءً لِلزَّيْتِ وَجِرَابًا لِلدَّقِيقِ ، وَخَرَجَ إِلَى هَذَا الْحَانُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ

---

(١) فى « م » : « القافلة » .

(٢) فى « م » : « ودخل المدينة » .. وارتحل الأسباب على الحمار : جعل عليه الرَّحْل .

(٣) فوافاها : فأتاها وأدركها .

(٤) فى « ط » : « والحاجة والفاقة » .

(٥) فى « م » : « فاحتاج » .

(٦) وُلِدَتْ : أنجبت لك زوجتك .

(٧) طاوية على حالها ، أى : باتت جائعة .. وتَحَيَّل ، أى : استعمل الحيلة فى أن تأتى لنا بدقيق .. الخ .

(٨) ودهن نُسرج به ، أى : وزيت نوقد به المصباح .

(٩) فى « م » : « فأخذ » .

رَجُلٌ يَبِيعُ الدَّقِيقَ وَالزَّيْتَ وَالْعَسَلَ وَنَحْوَهُ ، وَقَدْ أَغْلَقَ دُكَّانَهُ وَأَطْفَأَ مِصْبَاحَهُ وَنَامَ ، فَنَادَاهُ ، فَأَجَابَهُ وَعَرَفَهُ ، وَشَكَرَ (١) اللهَ عَلى سَلَامَتِهِ ، فَقَالَ التَّاجِرُ لِصَاحِبِ الْحَانُوتِ : اقْدَحْ زِنَادًا (٢) أَزِنُ لَكَ الدَّرَاهِمَ فى دَقِيقٍ وَزَيْتٍ وَعَسَلٍ احْتَجْتُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِتَأْخِيرِ الثَّمَنِ فَيَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَقَدَحَ الْبَيَّاعُ الزِّنَادَ وَاسْتَصْبَحَ (٣) ، فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : زِنْ لِى مِنَ الدَّقِيقِ كَذَا ، وَمِنَ الزَّيْتِ كَذَا ، وَمِنَ الْعَسَلِ كَذَا ، وَمِنَ السَّمْنِ كَذَا ، وَمِنَ الْمِلْحِ كَذَا ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ (٤) إِذْ حَانَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ إِلَى قَعْرِ الْحَانُوتِ فَرَأَى (٥) فِيهِ خُرْجَهُ الَّذِى هَرَبَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ وَالْتَزَمَهُ (٦) ، وَأَلْقَى يَدَهُ فى أَطْوَاقِ (٧) صَاحِبِ الْحَانُوتِ ، وَجَذَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ : يَاعَدُوَّ اللهِ ، أَيْنَ مَالِى ؟ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحَانُوتِ : مَالَكَ يَافُلَانُ ؟ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ مُتَعَدِّيًا وَلَا عَلِمْتَنِى جَنَيْتُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى سِوَاكَ ، فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : خُرْجِى فَرَّ (٨) بِهِ خَادِمٌ لِى خَدَمَنِى بِجَمِيعِ مَالِى وَبِحِمَارِى . قَالَ : مَالِى عِلْمٌ غَيْرَ أَنَّ رَجُلًا وَرَدَ عَلَىَّ بَعْدَ العِشَاءِ (٩) وَاشْتَرَى مِنِّى عَشَاءً وَاسْتَضَافَنِى (١٠) فَأَضَفْتُهُ ، وَجَعَلْتُ هَذَا الْخُرْجَ فى حَانُوتِى ، وَهَذَا الْحِمَارَ فى دَارِ جَارِنَا ، وَالرَّجُلُ فى الْمَسْجِدِ بَائِتٌ . فَقَالَ لَهُ (١١) : احْمِلْ مَعِى (١٢) الْخُرْجَ وَانْهَضْ إِلَى الرَّجُلِ ، فَرَفَعَ

---

(١) فى « م » : « فشكر » .
(٢) اقدَحْ زِنادًا : أشْعِلْ عودًا .
(٣) استصبَحَ : أوْقَدَ المصباح .
(٤) قوله : « وبينما هو كذلك » عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٥) فى « م » : « فوافى » .
(٦) التزمَهُ : تَعَلَّقَ بِهِ .
(٧) الأطواق : جمع طوق ، وهو كل ما أحاط والتفَّ بالشىء .
(٨) فى « م » : « مَرَّ » والأول أوجه .
(٩) العِشاء ، بكسر العين : أول ظلام الليل .. وبفتحها : طعام العَشِىِّ .
(١٠) فى « م » : « فاشترى » .. واستضافنى : طلب منى أن ينزل ضيفاً عندى .
(١١) « له » عن « ط » .
(١٢) « معى » عن « م » .

الْخُرْجَ مَعَهُ وَأَلْقَاهُ (١) عَلَى عَاتِقِهِ ، وَمَشَى مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا (٢) الرَّجُلُ نَائِمٌ فى الْمَسْجِدِ ، فَرَكَضَهُ (٣) بِرِجْلِهِ ، فَقَامَ الرَّجُلُ مَذْعُورًا ، فَقَالَ (٤) : مَالَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ مَالِى يَا خَائِنُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا عَلَى عُنُقِكَ ، وَاللهِ مَا تَغَادَرَ (٥) مِنْهُ ذَرَّةٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الْحِمَارُ ؟ قَالَ : هُوَ عِنْدَ هَذَا الْجَائِى (٦) مَعَكَ ، فَنَهَضَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ مَتَاعَهُ سَلِيمًا ، وَاسْتَخْرَجَ الْحِمَارَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِى كَانَ فِيهِ ، وَوَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِقِصَّتِهِ ، فَزَادَ (٧) أَهْلُهُ فَرَحًا وَتَبَرُّكًا بِذَلِكَ الْمَوْلُودِ .

وَلَمَّا وَفَى (٨) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصِهْرِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأَجَلَ الَّذِى أَجَّلَاهُ (٩) لِرَعْيِ غَنَمِ شُعَيْبٍ (١٠) الَّتِى رَعَاهَا مُوسَى عِوَضًا عَنْ مَهْرِ ابْنَتِهِ ، أَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتَهُ وَكَرَّ رَاجِعًا مِنْ « مَدْيَنَ » ، فَلَمَّا وَافَى الْوَادِىَ الْمُقَدَّسَ عِنْدَ جَانِبِ الطُّورِ أَجَنَّهُمُ (١١) اللَّيْلُ بِظُلْمَتِهِ ، فَأَمْسَوْا بَائِتِينَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ ضَرَبَ زَوْجَتَهُ الطَّلْقُ (١٢) ، وَكَانَتْ حَامِلًا ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النُّفَسَاءُ مِنَ الْغِذَاءِ وَالدَّوَاءِ ، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ شَأْنُهُمْ ، فَبَقُوا فى ضِيقٍ مِنَ الْحَالِ وَقِلَّةٍ مِنَ الْحِيلَةِ ،

---

(١) « م » : « فألقاه » .
(٢) « م » : « وإذا » .
(٣) « م » : « فرفسه » أى : ضربه برجله ، غير أنها وردت بالصاد مكان السين ، ولا تصح .
(٤) فى « ط » : « فقال له » .
(٥) ما تغادَرَ : ما تخلَّف ، أو ما نقص .
(٦) فى « م » : « عند الجائى » والأخيرة جاءت مكررة ، ويعنى بها : الشخص الذى أتى معه .
(٧) « م » : « فزادوا » .
(٨) وَفَى الأَجَل : أتمَّهُ .
(٩) أى : المُدَّة التى اتفقا عليها .. وقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة القصص ، من الآية ٢٧ وما بعدها .
(١٠) « م » : « لِرَعْى غنمٍ لشعيب » .
(١١) أجنَّهم الليل : سترهم .. وجاء هنا بضمير الجمع ، لأنهم كانوا أربعة : موسى – عليه السلام – وزوجته ، وابنه ، وتابع له .
(١٢) الطَّلْق : وجع الوِلادة .

فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْتَفِتُ وَيَنْظُرُ [١] ، يميناً وَشِمَالًا عَسَى فَرَجٌ [٢] لِمَا أَمْسَوْا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ [٣] ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [٤] ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَضْيَقَ مَا يَكُونُ ذَرْعًا ، وَأَحْرَجَهُ قَلْبًا ، وَآيَسَهُ عَنْ رَفَقٍ [٥] نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ : يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ . وَهَكَذَا لَطَائِفُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَعَ مَنْ سَلَّمَ لِأَمْرِهِ ، وَرَجَا فَضْلَهُ ، وَتَكَلَّمَ بِالْهُدَى وَالْبُشْرَى ، يَفْسَحُ اللهُ فِيهِ أَمَلَهُ ، وَيُعْطِيهِ فَوْقَ مَاسَأَلَهُ .

هَذَا مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – خَرَجَ يَقْتَبِسُ نَارًا ، نُودِيَ بِالنُّبُوَّةِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا : لَيْسَ فِي خِصَالِ الْخَيْرِ – وَإِنْ جَلَّتْ – وَلَا فِي أَنْوَاعِ الْأَعْمَالِ [٦] – وَإِنْ عَظُمَتْ – أَعْلَى مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى . وَنَظَمَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ [٧] :

أَيُّهَا الْعَبْدُ كُنْ لِمَا لَسْتَ تَرْجُو ... مِنْ نَجَاحٍ أَرْجَى لِمَا أَنْتَ رَاجِ

إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَقْبِسَ نَارًا ... مِنْ ضِيَاءٍ رَآهُ وَاللَّيْلُ دَاجِ

فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّـ ... ـهَ وَنَاجَاهُ وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِ

وَكَذَا الْكَرْبُ كُلَّمَا اشْتَدَّ بِالْعَبْـ ... ـدِ دَنَتْ مِنْهُ رَاحَةُ الانْفِرَاجِ

وَرُوِيَ أَنَّ الْعَدُوَّ نَزَلَ بِسَاحِلِ [٨] إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاكِبِ ، فَفَنِيَ مَاؤُهُمْ وَعَطِشُوا ، فَنَفَرَ [٩] الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ تِلْكَ السَّوَاحِلِ وَالْحُصُونِ ،

---

(١) فى « م » : « يلتفت ينظر » .
(٢) أى : عسى أن يأتى فرج .
(٣) فى « م » : « من الضرّ » .
(٤) سورة طه ، الآية ١٠ .
(٥) الرَّفَق : المَطْلَب السهل .
(٦) فى « م » : « أنواع البِرّ » .
(٧) فى « م » : « فقال فى ذلك » .. والأبيات من الخفيف .
(٨) فى « ط » : « بساحة » .
(٩) فنفر : فأسرع .

فَمَنَعُوهُمُ النُّزولَ (١) لِاسْتِقَاءِ الْمَاءِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُخَلُّوهُمْ (٢) وَاسْتِقَاءَ الْمَاءِ ، فَأَبَوْا ، فَتضاعَفَ عَطَشُهُمْ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ (٣) ، فَفَتَحُوا أَنَاجِيلَهُمْ وَأَخَذُوا فى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِسْقَاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ (٤) ، فَلَمْ يَكُ بِأَوْشَكَ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ أَلْقَتْ بِأَرْوَاقِهَا (٥) ، ثُمَّ أَرْخَتْ مَاءً كَثِيرًا ، فَبَسَطَ (٦) الْقَوْمُ أَنْطَاعَهُمْ وَجِفَانَهُمْ وَآلَاتِهِمْ ، فَشَرِبُوا (٧) وَمَلَئُوا أَوَانِيَهُمْ ، فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا (٨) : هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ وَأَعْدَاءُ اللهِ (٩) وَرَسُولِهِ ، قَدْ أَخْلَصُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ (١٠) مَاءً يُحْيُونَ (١١) بِهِ رَمَقَهُمْ ، فَأَغَاثَهُمْ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالدُّعَاءِ (١٢) وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَوْلَى بِالإِجَابَةِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ جَدَّ (١٣) الْمُسْلِمُونَ فى الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فى أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً (١٤) يَقْوَى بِهَا قُلُوبُ الضُّعَفَاءِ ، وَيَتَزَايَدُ شُكْرُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ (١٥) وَالأَوْلِيَاءِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللهُ [تَعَالَى] (١٦) عَلَيْهِمْ رِيحًا فَبَدَّدَتْهُمْ ، ومَزَّقَتْهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، وَكَسَّرَتْ مَرَاكِبَهُمْ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمُ اثْنَانِ .

---

(١) فى « م » : « فمنعوهم من النزول » وكلاهما صواب ، فالفعل « منع » يتعدى بنفسه وبحرف الجر .

(٢) فى « م » : « وراسلوا » مكان « وأرسلوا » .. ويُخلُّوهم : يتركوهم .

(٣) فى « م » : « حتى همّوا بالهلاك » والأول أوجه .

(٤) فى « م » : « فأخذوا فى الدعاء والتضرع والاستسقاء » .

(٥) فى « م » : « التقت » تحريف .. وألقت السماء بأرْوَاقها ، أى : بدأت تسقط أمطارها .

(٦) فى « م » : « فبسطوا » .

(٧) فى « م » : « وشربوا » .

(٨) فى « م » : « فقالوا » . وضَجَّ : فَزِعَ .

(٩) فى « م » : « كفار أعداء الله » .

(١٠) فى « م » : « وأنابوا وسألوه » .

(١١) فى « م » : « مايحلو » تحريف .. والرَّمق : بقية الروح .

(١٢) فى « م » : « فنحن بالدعاء أحَقُّ منهم » .

(١٣) فى « م » : « ثم أخذ » .

(١٤) فى « م » : « يريهم الله آية » .

(١٥) فى « م » : « أهل النعمة » .

(١٦) مابين المعقوفين عن « م » .

وَمِنْ عَجَائِبِ (١) صُنْعِ اللهِ تَعَالَى فى هَذَا الْبَابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ جَاءَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَزَارَ قَبْرَ الْخَلِيلِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٢) وَأَكَلَ مِنْ ضِيَافَتِهِ ، فَطَارَتْ حَبَّةُ عَدَسٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فى خَيْشُومِهِ ، وَرَامَ خُرُوجَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ فَأَعْجَزَتْهُ ، حَتَّى تَرَكَتْهُ مُضْنًى (٣) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ عَطَسَ فَطَارَت الْعَدَسَةُ (٤) فى الْأَرْضِ ، فَإِذَا طَائِرٌ قَدِ الْتَقَطَهَا لِوَقْتِهَا ، وَبَرِىءَ الرَّجُلُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ أَنْفَ هَذَا الرَّجُلِ حِرْزًا لِقُوتِ هَذَا الطَّائِرِ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ وَالْمَسَافَةِ (٥) .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ مِنْ بَلَدِى إِلَى الْمَشْرِق (٦) فى طَلَبِ الْعِلْمِ ، كُنْتُ لا أَعْرِفُ التِّجَارَةَ ، وَلَا لِى حِرْفَةٌ أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، فَجَزِعْتُ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ : إِنْ ذَهَبَتْ نَفَقَتِى مَاذَا أَفْعَلُ ؟ وَكَانَ أَقْوَى الْآمَالِ (٧) فى نَفْسِى أَنْ أَحْفَظَ الْبَسَاتِينَ بِالْأُجْرَةِ وَأَدْرُسَ الْعِلْمَ بِاللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى وَرَحَلْتُ ، وَكَانَ مَعِى (٨) نَفَقَةٌ وَافِرَةٌ فى هِمْيَانٍ عَلَى وَسَطِى (٩) ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْمُسَافِرِينَ يَقُولُونَ : مَنْ نَامَ بِاللَّيْلِ فى الْفَيَافِى وَلَهُ نَفَقَةٌ عَلَى وَسَطِهِ فَلْيَحُلَّهَا ، فَإِنَّ اللُّصُوصَ إِذَا كَابَرَتِ الْخَلْقَ (١٠) يَبْتَدِرُونَ أَوْسَاطَهُمْ (١١) ، فَخَرَجْتُ مِنْ بِلَادِ السُّوَيْدِيَّةِ (١٢) إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَهِىَ إِذْ ذَاكَ

---

(١) فى « م » : « ومن عجيب » .

(٢) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٣) مُضنًى : مريضاً سقيماً .. وفى « م » : « مُغْمًى » تحريف .

(٤) فى « م » : « فطارت الحبة » .

(٥) فى « م » : « وطول المسافة » .

(٦) فى « م » : « الشرق » .

(٧) فى « ط » : « الأمل » .

(٨) فى « ط » : « فرحلتُ وكانت معى » .

(٩) فى « م » : « على هميانى فى وسطى » .

(١٠) كابرتِ الخَلْق : طاولتهم وغالبتهم .. وفى « م » : « كاثَرت الناس » أى : غالبتهم بالكثرة .

(١١) يبتدرون أوساطهم : يسارعون إليها لكى يسرقوا ماحولها .. وفى « م » : « يبتدروا » بحذف النون .. خطأ .

(١٢) السُّوَيْدِيَّة : بلدة صغيرة كانت ترسو فيها مراكب الإفرنج ، يرفعون منها أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية . [انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٨ – مادة أنطاكية] .

حَرْبٌ لِلرُّومِ ، فَسَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وأَصْبَحْنَا [١] عَلَى بَابِ أَنْطَاكِيَّةَ ، فَأَخَذَتْنِى عَيْنِى ، وَحَلَلْتُ الْهِمْيَانَ وَنِمْتُ ، وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا ضَحْوَةَ النَّهَارِ [٢] فاسْتَيْقَظْتُ ، وَمَدَدْتُ يَدِى إِلَى الْهِمْيَانِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْقَافِلَةِ وَأَلْتَفِتُ إِلَى النَّاسِ [٣] وَقَدْ أُسْقِطَ فى يَدِى ، وَلَمْ يَبْقَ لى حِيلَةٌ ، فَاسْتَرْجَعْتُ [٤] وَرَفَعْتُ أَمْرِى إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا [٥] رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَافِلَةِ مُلْتَفِتًا إِلَىَّ ، فَوَقَعَ وَجْهِى فى وَجْهِهِ ، فَإِذا هُوَ يَضْحَكُ لَمَّا رَأَى مَابِى ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَيُّهَا الْفَقِيهُ ؟ قُلْتُ : خَيْرٌ ، فَرَاجَعَنِى ، فَقُلْتُ : خَيْرٌ [٦] . فَقَامَ إِلَىَّ وَقَالَ : خُذْ هِمْيَانَكَ عَافَاكَ اللهُ . فَسَأَلْتُهُ : كَيْفَ ظَفِرْتَ [٧] بِهِ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ قَدْ تَدَحْرَجْتَ [٨] ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالْتَفَتُّ فَرَأَيْتُ سَوَادًا فى الْمَوْضِعِ الَّذِى كُنْتَ فِيهِ نَائِمًا ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْهِمْيَانُ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَرِضْوَانُهُ لَدَيْهِ .

* * *

---

(١) فى « م » : « فأصبحنا » .. وسرينا ليلتنا : قطعناها بالسير .

(٢) فى « م » : « إلى ضحوة نهار » .. وضحوة النهار : قُرْب انتصاف النهار .

(٣) فى « م » : « وأنظر إلى وجوه الناس » .

(٤) فاسترجعتُ ، أى : قُلتُ : إنَّا لله ، وإنَّا إليه راجعون .

(٥) فى « م » : « إلى الله تعالى فإذا ... » .

(٦) فى « م » : « وقال : مالك ؟ قلتُ : خيرًا .. فقال : أيها الفقيه ، مابك ؟ قلت : خيرًا .. فراجعنى ، فقلتُ : خيرًا » .. خيرًا بالنصب : أى أنزل الله بى خيرًا .. وبالرفع : أى هو خيرٌ ، أو : نزل بى خير .. فكلاهما له وجه فى اللغة .

(٧) فى « م » : « ظَفِرَ » .

(٨) فى « م » : « رأيتُك قد خرجت » .. وفى « ط » : « رأسك » مكان « رأيتك » .

البَابُ السِّتُّونَ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْخِصَالِ

وَيَنْبُوعُ الْفَضَائِلِ ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ تَكْمُلْ (*) فِيهِ خَصْلَةٌ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهَا بِالصَّبْرِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهَا بِقُوَّةِ النَّفْسِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَصْلُ (١) الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا فى ثَبَاتِ الْقَلْبِ ، وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، وَهُوَ (٢) الثُّبُوتُ وَالْقُوَّةُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ العَدْلُ (٣) وَالْعِلْمُ . وَالْجُبْنُ غَرِيزَةٌ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى ، وَالشَّجَاعَةُ غَرِيزَةٌ يَجْمَعُهَا حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ تَعَالَى (٤) . سُئِلَ الأَحْنَفُ عَنِ الشَّجَاعَةِ فَقَالَ (٥) : صَبْرُ سَاعَةٍ . وَسُئِلَ أَبُو جَهْلٍ عَنِ الشَّجَاعَةِ فَقَالَ : تَصْبِرُونَ عَلَى حَرِّ السُّيُوفِ فَوَاقَ نَاقَةٍ . وَهُوَ مَابَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ (٦) .

(*) فى « ط » : « يكمل » .

(١) فى « م » : « وأصل » .

(٢) فى « م » : « ومنها تستمد جميع الفضائل ، وهى .. » .

(٣) فى « م » : « العقل » مكان « العدل » .

(٤) فى « م » : « والشجاعة حالة متوسطة بين الجبن والتهور ، وسئل .. » .

(٥) فى « م » : « قال » .

(٦) حَرُّ السيوف : اشتداد القتال ، أى : تصبرون على شدة القتال وقتاً قَدْرَ الزمان الذى بين الحلبتين .

وَاعْلَمْ أَنَّ الفَارَّ مِنَ الْقِتَالِ (١) طَرِيدَةٌ مِنْ طَرَائِدِ الْمَوْتِ ، فَاسْتِقْبَالُ (٢) الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنَ اسْتِدْبَارِهِ . وَقَدْ قَالَ الأَوَّلُ (٣) : رُبَّ حَيَاةٍ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْوَفَاةِ ، وَوَفَاةٍ سَبَبُهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ (٤) . وَمَنْ حَرَصَ عَلَى الْمَوْتِ فِى الْجِهَادِ وُهِبَتْ (٥) لَهُ الْحَيَاةُ . وَقَالُوا : الْعَزِيمَةُ شَفْرَةٌ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ . وَالفَارُّ يُمَكِّنُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالْمُقَاتِلُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ . وَقَالُوا : ثَمَرَةُ الشَّجَاعَةِ الأَمْنُ مِنَ الْعَدُوِّ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِى الْحَرْبِ مُدْبِرًا أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ مُقْبِلًا . وَقَالُوا : تَأْخِيرُ الأَجَلِ حِصْنُ الْمُحَارِبِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِى أَىِّ جُنَّةٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ؟ قَالَ : فِى أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ . وقيل لآخَرَ : فِى أَىِّ سِلَاحٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ (٦) ؟ قَالَ : بِإِدْبَارِ دَوْلَتِهِ وَانْقِضَاءِ مُدَّتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ ، وَإِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تُغْنِ كَثْرَةُ الْعَدَدِ . وَقَالَ عَلِىٌّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ كَانَتِ الْهَلَكَةُ فِى الْحِيلَةِ .

واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ كَرِيهَةٍ تُرْفَعُ ، أَوْ مَكْرُمَةٍ تُكْتَسَبُ (٧) لا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَمْنَحَ (٨) شَيْئًا مِنْ مَالِكَ خَارَ طَبْعُكَ ، وَوَهَنَ قَلْبُكَ ، وَعَجَزَتْ نَفْسُكَ ، فَشَحَحْتَ بِهِ ، وَإِذَا (٩) حَقَّقْتَ عَزْمَكَ ، وَقَوَّيْتَ نَفْسَكَ ، وَقَهَرْتَ ذَلِكَ الْعَجْزَ ، أَخْرَجْتَ الْمَالَ الْمَضْنُونَ بِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْقَلْبِ وضَعْفِهِ تَكُونُ (١٠)

---

(١) فى « ط » : « أن القادم للقتال » والأول أوجه .

(٢) فى « م » : « واستقبال » .

(٣) الأُوَل : جمع الأَوَّل .

(٤) فى « م » : « ووفاة طلبها سبب الحياة » .

(٥) فى « م » : « وجَبَتْ » .

(٦) من قوله : « قال : فى أجل متأخر » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٧) فى « م » : « أنَّ كل كريهة تدفع ، أو مكرمة تتسب » .

(٨) فى « م » : « تنتج » مكان « تمنح » تحريف .

(٩) فى « م » : « فإذا » .

(١٠) فى « م » : « يكون » .. وطيبة النفس : سماحتها .

طِيبَةُ النَّفسِ بِإِخْرَاجِهِ ، أَوْ كَرَاهِيَةُ النَّفسِ لإِخْرَاجِهِ مَعَ إِخْرَاجِهِ ، وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ جَمِيعُ الفضَائِلِ ، مَهْمَا لَمْ تُقَارِنْهَا [١] قُوَّةُ نَفسٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، وَكَانَتْ مَخْدُوعَةً [٢] .

وَرُوِىَ أَنَّ الرَّسُولَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الشَّجَاعَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللهُ تَعَالَى فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » . فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالشُّجَاعُ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لا يَئُوبُ بِهِ [٣] إِلَى رَحْلِهِ ، فَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ امْتِثَالُ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ الزَّوَاجِرِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ اكْتِسَابُ الْفَضَائِلِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُنْتَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالتَّضَمُّخِ بِالرَّذَائِلِ [٤] قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالْخُضُوعَ لِرَبِّهِ ... مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابَ فِى الْمِحْرَابِ [٥]

وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ الْجَلِيسُ عَلَى إِيذَاءِ [٦] الْجَلِيسِ وَجَفَاءِ الصَّاحِبِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَكْتُمُ الأَسْرَارَ وَيَدْفَعُ الْعَارَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَقْتَحِمُ الأُمُورَ الصِّعَابَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَتَحَمَّلُ أَثْقَالَ الْمَكَارِهِ [٧] ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ عَلَى أَخْلَاقِ الرِّجَالِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ تُنَفَّذُ كُلُّ عَزِيمَةٍ وَرَوِيَّةٍ أَوْجَبَهَا الْحَزْمُ وَالْعَدْلُ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَضْحَكُ [٨] الرِّجَالُ فِى وُجُوهِ الرِّجَالِ وَقُلُوبُهُمْ [٩] مَشْحُونَةٌ بِالضَّغَائِنِ وَالأَحْقَادِ ، كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « إِنَّا

---

(١) فى « ط » : « يقارنها » .
(٢) فى « م » : « مخدوجة » أى : ناقصة .
(٣) فى « م » : « مَن لا يحوب به » ويحوب : يرجع .
(٤) التَّضمُّخ بالرذائل : التَّلَطُّخ بها .
(٥) البيت من الكامل .. والمراد بالمحراب الأول : الشجاع الخبير بالحرب .. والمحراب الثانى : مقام الإمام فى المسجد .
(٦) فى « م » : « أذى » .
(٧) من قوله : « وبقوة القلب يقتحم الأمورَ الصِّعاب » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .
(٨) فى « م » : « تضحك » .
(٩) فى « م » : « وقلوبها » .

لنَكْشِرُ (١) فى وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ » (٢) . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « إِنَّا لَنُصَافِحُ أَكُفًّا نَرَى قَطْعَهَا » .

وَلَيْسَ الصَّبْرُ وَالشَّجَاعَةُ وَقُوَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَكُونَ مُصِرًّا فى المِحَالِ (٣) ، لَجُوجًا فى البَاطِلِ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ جَلْدًا عِنْدَ الضَّرْبِ ، صَبُورًا عَلَى التَعَبِ ، مُصَمِّمًا عَلَى التَّعْزِيرِ (٤) وَالتَّهَوُّرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الْحَمِيرِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ صَبُورًا عَلَى أَدَاءِ الْحُقُوقِ عَلَيْكَ ، صَبُورًا عَلَى سَمَاعِهَا وَإِلْقَائِهَا إِلَيْكَ ، غَالِبًا لِهَوَاكَ ، مَالِكًا لِشَهَوَاتِكَ ، مُلْتَزِمًا لِلْفَضَائِلِ بِجَهْدِكَ ، عَامِلًا فى ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ التى لا يُحِيلُكَ (٥) عَنْهَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتٌ ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَكَ مَوْتُكَ عَلَى الْخَيْرِ الَّذِى أَشَارَ بِهِ الْعِلْمُ وَأَوْجَبَهُ الْعَدْلُ ، خَيْرًا (٦) مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى مَا أَوْجَبَ رَفْضَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ . كَمَا قَالَ عَلِيٌّ لِلْحُسَيْنِ (٧) رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمَا (٨) : يَابُنَيَّ ، وَمَا يُبَالِى أَبُوكَ لَوْ أَنَّ الْخَلْقَ خَالَفُوهُ إِذَا كَانَ عَلَى الْحَقِّ ، وَهَلِ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِلْمُحِقِّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَعَنْ (٩) هَذَا قَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ مِنْ نَفْسِهِ مُعِينٌ (١٠) كَانَ فى جَمِيعِ أُمُورِهِ ضَعِيفًا مَخْذُولًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُبْنَ مَقْتَلَةٌ ، وَالْحِرْصَ مَحْرَمَةٌ ، وَالْعَجْزَ ذُلٌّ ، والْجُبْنَ ضَعْفٌ . وَالْجَبَانُ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ ، يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ .

---

(١) فى « ط » : « وإنَّا » .. ونَكْشِرُ : نَتَبَسَّمُ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى عن أبى الدَّرْداء فى كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس ج ١٠ ص ٥٢٧ من فتح البارى .

(٣) فى « م » : « الحال » تحريف .. والمِحال : ما ليس يُرام بالحيلة أو القوة الشديدة .. ولجوجاً : متمادياً .

(٤) التَّعزير : التأديب .

(٥) لا يُحِيلُك : لا يمنعك .

(٦) فى « م » : « خير » بالرفع .. خطأ .

(٧) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « على بن الحسين » والأول هو المراد هنا .

(٨) فى « م » : « رضى الله عنه » .

(٩) فى « ط » : « ومِنْ » .

(١٠) فى « م » : « من مُعين » .

واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ كَرِيهَةٍ مَابَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ (١) ، وَالشُّجَاعُ يَحْمِي عَمَّنْ لا يُنَاسِبُهُ ، وَيَقِي مَالَ الْجَارِ وَالرَّفِيقِ بِمُهْجَتِهِ ، وَالْجَبَانُ يَخَافُ مَالَا يُحِسُّ بِهِ (٢) ، وَالْجَبَانُ حَتْفُهُ مِنْ فَرَقِهِ (٣) .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ عِنْدَ اللِّقَاءِ عَلَى (٤) ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

رَجُلٌ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَتَزَاحَفَ الزَّحْفَانِ وَاكْتَحَلَتِ الأَحْدَاقُ بِالأَحْدَاقِ (٥) بَرَزَ مِنَ الصَّفِّ إِلَى وَسَطِ الْمُعْتَرَكِ ، يَحْمِلُ وَيَكِرُّ ، وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ .

وَالثَّانِي : إِذَا الْتَحَمَ الْقَوْمُ وَاخْتَلَطُوا (٦) وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ ، يَكُونُ رَابِطَ الْجَأْشِ ، سَاكِنَ الْقَلْبِ حَاضِرَ اللُّبِّ ، لَمْ يُخَامِرْهُ الدَّهَشُ ، وَلَا خَالَطَتْهُ الْحِيرَةُ ، فَيَتَقَلَّبُ (٧) بِقَلْبِ الْمَالِكِ لأَمْرِهِ ، الْقَائِمِ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالثَّالِثُ : إِذَا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ يَلْزَمُ السَّاقَةَ (٨) ، وَيَضْرِبُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ ، وَيُقَوِّي قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَيُرَجِّي (٩) ضَعِيفَهُمْ ، وَيَمُدُّهُمْ بِالْكَلَامِ الْجَمِيلِ ، وَيُشَجِّعُ نُفُوسَهُمْ ، فَمَنْ وَقَعَ أَقَامَهُ ، وَمَنْ وَقَفَ حَمَلَهُ ، وَمَنْ كَرْدَسَ فَرَسَهُ (١٠) كَشَفَ عَنْهُ حَتَّى يَيْئَسَ الْعَدُوُّ مِنْهُمْ ، وَهَذَا أَحْمَدُهُمْ شَجَاعَةً ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا : الْمُقَاتِلُ مِنْ (١١) وَرَاءِ الْفَارِّينَ كَالْمُسْتَغْفِرِ مِنْ وَرَاءَ الْغَافِلِينَ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْكَرَمِ الدِّفَاعُ عَنِ الْحُرَمِ (١٢) .

---

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « الحيلتين » .

(٢) في « م » : « مَن لا يحس به » .

(٣) حتفه من فَرَقِهِ : هلاكه من خوفه الشديد .. وفي « م » : « من فوقه » بالواو ..

(٤) « على » عن « ط » .

(٥) اكتحلت الأحداق بالأحداق : نظر بعضهم إلى بعض .

(٦) في « م » : « إذا بايت القوم واكتحلوا واختلطوا » .. وبايت : أقام معهم ليلا .

(٧) في « ط » : « فينقلب » .. والحِيرة : التردد والاضطراب .

(٨) السَّاقَة : مُؤَخَّر الجيش .

(٩) يُرَجِّي : يؤخر .

(١٠) كَرْدَسَ فَرَسَهُ : قَيَّدَهُ وأوثقه .

(١١) « من » عن « م » .

(١٢) في « م » : « الحريم » .. والحريم : ما حُرِّمَ فلا يُنْتَهَكُ .

وَقَالُوا : لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَانِ لابُدَّ مِنهُمَا ، أُحَدُهُمَا : لا يَعْجَلُ عَلَيْهِ ، وَالثَّانِي : لا يَغْفُلُ عَنْهُ ، فَمَا لِلْجَبَانِ وَالْفِرَارَ ؟ . وَكَانَ [١] شُيُوخُ الْجُنْدِ يَحْكُونَ فى بِلَادِنَا ، قَالُوا : دَارَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ ، ثُمَّ افْتَرَقُوا ، فَوَجَدُوا فى الْمُعْتَرَكِ قِطْعَةً مِنْ بَيْضَةِ الْحَدِيدِ ، قُدَّ [٢] ثُلُثُهَا بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يُرَ قَطُّ ضَرْبَةٌ أَقْوَى مِنْهَا [٣] .

وَكَانَ شُيُوخُ الْجُنْدِ فى بَلَدِنَا طُرْطُوشَةَ يَحْكُونَ [٤] أَنَّهُمْ خَرَجُوا فى أَيَّامِ سَيْفِ [٥] الْمِلَّةِ فى سَرِيَّةٍ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ [٦] إِذْ لَقِيَتْهُمْ سَرِيَّةٌ لِلرُّومِ يُرِيدُونَ مِنَّا مَا نُرِيدُ [٧] مِنْهُمْ ، قَالَ : وَعَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا [٨] ، وَكَانَ فِينَا صَنَادِيدُ الْفُرْسَانِ ، وَفِيهِمْ صَنَادِيدُ الرُّومِ [٩] ، فَتَوَاقَفْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ شَدَدْنَا وَشَدُّوا ، فَالْتَقَيْنَا وَتَجَالَدْنَا [١٠] سَاعَةً ، ثُمَّ مَنَحَنَا اللهُ تَعَالَى [١١] أَكْتَافَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا كَأَنَّهُمْ جُزُرٌ عَلَى الْأَوْضَامِ [١٢] ، وَكَانَ هُنَاكَ بِقُرْبِهِمْ قِرْبَةٌ فِيهَا شَىْءٌ مِنَ الْخَمْرِ ، فَشَرِبْنَاهُ وَسَكِرْنَا ، ثُمَّ اشْتَهَيْنَا شَرَائِحَ اللَّحْمِ ، فَقُمْنَا نَقْطَعُ مِنْ لُحُومِهِمْ وَنَجْعَلُ عَلَى النَّارِ ، وَنَأْكُلُ

---

(١) من أول قوله : « وكان » إلى نهاية الفقرة ، عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٢) أى : شُقَّ .. وفى « ط » : « قُلَّ » .. والأول أوجه . وبيضة الحديد : خوذة الرأس .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .

(٤) فى « م » : « يحكمون » تحريف .

(٥) فى « م » : « سيد » تحريف .

(٦) فى « م » : « يسهرون » تحريف .

(٧) فى « م » : « مانريده » .

(٨) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فوافقنا ساعة » مكان « قال : وعرف بعضهم بعضاً » .

(٩) قوله : « وفيهم صناديد الروم » عن « ط » ولم ترد فى « م » :

(١٠) تجالَدْنا : تضاربنا بالسيوف .

(١١) « تعالى » عن « ط » .

(١٢) فى « م » : « جُزُر فى الأَوْضام » . والجُزُر : جمع جَزُورٍ ، وهو مايصلح للذبح ، كالإبل ونحوها من الأنعام ، والمراد هنا : اللحوم .. أمَّا الأَوْضام ، فهى : جمع وَضَم ، وهو كل مايوضَعُ عليه اللحم ، من خشب ونحوه ، كالمائدة .

مِنْهَا (١) ، فَفَزِعَ مَنْ كُنَّا أَسَرْنَاهُ مِنْهُمْ (٢) ، وَبَلَغَ الْحَدِيثُ إِلَى الرُّومِ ، فَقَصَتِ النَّصَارَى (٣) تَعَجُّبًا مِنَّا ، وَقُذِفَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَقِيَ عَمْرَو بْنَ مَعْدِي كَرِبَ (٤) فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ، أَيُّ السِّلَاحِ أَفْضَلُ فِي الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ : عَنْ أَيِّهَا تَسْأَلُ ؟ قَالَ : مَا تَقُولُ فِي السِّهَامِ ؟ قَالَ : مِنْهَا مَا يُخْطِئُ وَيُصِيبُ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الرُّمْحِ ؟ قَالَ : أَخُوكَ ، وَرُبَّمَا خَانَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي السَّيْفِ ؟ قَالَ : ذَاكَ ذَاكَ لَا أُمَّ لَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي التُّرْسِ (٥) ؟ قَالَ : هُوَ الدَّائِرَةُ ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ (٦) .

وَكَانَ عَمْرٌو هَذَا مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهَا ، نَزَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى النَّهْرِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي عَابِرٌ عَلَى الْجِسْرِ ، فَإِنْ أَسْرَعْتُمْ مِقْدَارَ جَزْرِ الْجَزُورِ (٧) وَجَدْتُمُونِي وَسَيْفِي بِيَدِي أُقَاتِلُ بِهِ تِلْقَاءَ وَجْهِي (٨) وَقَدْ عَقَرَنِي الْقَوْمُ وَأَنَا قَائِمٌ بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبْطَأْتُمْ وَجَدْتُمُونِي قَتِيلًا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ انْغَمَسَ (٩) فَحَمَلَ عَلَى

---

(١) فى « ط » : « وأكلنا منها » .

(٢) فى « م » : « مَنْ كان أسَرْنَاهُ من الروم » .

(٣) فقصت النصارى ، أى : أحجمت عن الهجوم خوفاً منا .. وفى « م » : « فانقلبت النصرانية » .

(٤) هو : عمرو بن مَعْدِى كَرِب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدى ، وكنيته أبو ثور ، فارس اليمن ، وصاحب الغارات المذكورة .. وفد على المدينة سنة ٩ هـ فى عشرة من بنى زبيد ، فأسلم وأسلموا ، وعادوا ، ولمَّا تُوفى النبى ، ﷺ ارتد عمرو فى اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه عمر إلى العراق ، فشهد القادسية ، وكان عَصِىَّ النفس ، أبيًّا ، فيه قسوة الجاهلية ، وله شعر جيد .. توفى على مقربة من الرىِّ سنة ٢١ هـ .. وقيل : قُتِلَ عطشاً يوم القادسية .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٣ – ٢٧٥ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٧٢ – ٣٧٥ ، والمحبر ص ٢٦١] .

(٥) التُّرس : ما يُتَوَقَّى به فى الحرب ، وهو مستدير الشكل .

(٦) عليه تدور الدوائر : تنزل به المكاره .

(٧) مقدار جَزْر الجَزُور ، أى : مقدار الوقت الذى يستغرق فى ذبحها .

(٨) فى « م » : « أقاتل تلقاء وجهى » .. والتلقاء مصدر لَقِىَ ، وتوسعوا فيه فاستعملوه ظرف مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة ، ونصبوه على الظرفية .. وعَقَرنى القوم ، أى ، أصابونى .

(٩) انغمس : رمى نفسه وسط الحرب .

الْقَوْمِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، يَا بَنِى زُبَيْدٍ [١] ، عَلَامَ تَدَعُونَ [٢] صَاحِبَكُمْ ؟ وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهُ حَيًّا . فَحَمَلُوا [٣] فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ وَقَدْ صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ [٤] وَقَدْ أَخَذَ بِرِجْلِ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ فَأَمْسَكَهَا ، وَإِنَّ الْفَارِسَ لَيَضْرِبُ فَرَسَهُ [٥] فَمَا يَقْدِرُ الْفَرَسُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا غَشِيْنَاهُ رَمَى الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَخَلَّى فَرَسَهُ ، فَرَكِبَهُ عَمْرٌو وَقَالَ : أَنَا أَبُو ثَوْرٍ [٦] كِدْتُمْ وَاللهِ تَفْقِدُونِى ! قَالُوا : أَيْنَ فَرَسُكَ ؟ قَالَ : رُمِىَ بِنُشَّابَةٍ [٧] فَعَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِى [٨] .

وَيُرْوَى أَنَّ عَمْرًا حَمَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى رُسْتُمَ [٩] ، وَهُوَ الَّذِى قَلَّمَهُ يَزْدَجِرْدُ [١٠] مَلِكُ الْفُرْسِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَقْبَلَ عَمْرٌو رُسْتَمَ [١١] عَلَى فِيلٍ ، فَقَطَعَ عُرْقُوبَهُ ، فَسَقَطَ رُسْتُمُ وَسَقَطَ الْفِيلُ عَلَيْهِ مَعَ خُرْجٍ كَانَ عَلَيْهِ ، فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

---

(١) زُبَيْدٌ ، بالضمّ : رهط عمرو بن معدى كرب .

(٢) فى « م » : « تتركون » .

(٣) فى « م » : « فحملوا عليه » .

(٤) صُرِعَ عن فرسه : أُسْقِطَ .. وفى « م » : كرر الناسخ بعدها « قد » سهوًا .

(٥) فى « م » : « ليضربه » .

(٦) فى « ط » : « أبو نور » بالنون ، خطأ ، والصواب « أبو ثور » ، بالثاء المعجمة للثلثة ، وهى كنيته ، وقد مرت فى التعريف به .

(٧) النُّشَّابَة : وَاحِدَة النَّبْلِ .

(٨) فَعَارَ وشبَّ فصَرَعنى ، أى : فحادَ عن السير ورفع يديه وألقانى على الأرض .

(٩) رُستم ، بفتح التاء وضمها ، والضم أشهر ، وهو : رستم بن الفَرُّخزَاد ، قائد فارسى من قواد يَزْدَجِرْد ، وكان جريئاً طموحاً ، ويذكر المؤرخون أنه كان عالماً بالنجوم .. وقُتِلَ فى وقعة القادسية .

[انظر الفاروق عمر ص ١٠٥ ومابعدها ، وص ١٦٧ ط دار المعارف] .

(١٠) هو : يَزْدَجِرْدُ بن شهريار بن كسرى ، تولى مُلك أبيه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : كان فى الحادية والعشرين من عمره .. وكانت مُدة مُلكه عشرين سنة ، وهو آخر ملوك الفُرس ، قُتِلَ فى « مَرْو » – أثناء هروبه من العرب الفاتحين – فى طريق « سجستان » سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر المصدر السابق ص ١١٩ ، والمعارف ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، وإعجام الأعلام ص ١٩٨] .

(١١) فى « م » : و « ط » : « رستما » فى الموضعين ، خطأ ؛ والصواب ما أثبتناه ، فهو ممنوع من الصرف للعَلَمِية والعجمة .

فَقَتَلَ رُسْتُمَ وَانْهَزَمَتِ الْعَجَمُ . وَرُوِىَ أَنَّ قَاتِلَ رُسْتُمَ زَنِيمُ بْنُ فُلاَنٍ (١) .

وَأَمَّا الضَّرْبَةُ الَّتِى حَكَيْنَاهَا الَّتِى حَازَتْ ثُلُثَ الْبَيْضَةِ (٢) بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فى جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلامٍ ، فَحَمَلَتْهَا الرُّومُ وَعَلَّقَتْهَا فى كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا عُيِّرُوا بِانْهِزَامِهِمْ يَقُولُونَ : لَقِينَا أَقْوَامًا هَذَا ضَرْبُهُمْ ، فَيَرْحَلُ (٣) أَبْطَالُ الرُّومِ إِلَيْهَا لِيَرَوْهَا . وَإِنَّمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْخَرُ فى هَذَا الْبَابِ بِقَوْلِ النَّمِرِ بْنِ تَوْلَبٍ (٤) يَصِفُ ضَرْبَةَ سَيْفٍ :

أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالأَيَّامَ مِنْ نَمِرٍ ... آثَارُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثْرُهُ بَادِى (٥)

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ ... بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْقَيْدَيْنِ وَالْهَادِى (٦)

وَيُنْشَدُ قَوْلُ النَّابِغَةِ (٧) فى السَّيْفِ أَيْضًا :

---

(١) فى الفاروق عمر لهيكل : أن الذى قتله هو هلال بن علقمة .
[انظر المصدر المذكور ج ١ ص ١٦٧] .

(٢) فى « م » : « تلك البيضة » . وهى خوذة الرأس ، وقد مرت فى هذا الباب ص ٦٧٢ .

(٣) فى « م » : « فترحل » .

(٤) هو : النَّمِر بن تَوْلَب بن زهير بن أُقيش العكلى ، شاعر مخضرم ، عاش عمرًا طويلاً فى الجاهلية ، وكان فيها شاعر « الرباب » .. ولم يمدح أحدًا ولا هجا .. وكان من ذوى النعمة والوجاهة ، جَوادًا . وأدرك الإسلام وهو كبير السِّن ، وَفَدَ على النبى ، ﷺ ، وأسلم ، فكتب عنه كتاباً لقومه .. وقد توفى سنة ١٤ هـ تقريباً .
و « نَمِر » يُضْبَط فى كثير من الكتب بفتح النون وكسر الميم ، وفى بعض الكتب بكسر النون وتسكين الميم .. وفى الأغانى : كل نمر فى العرب – كالنمر بن قاسط – مكسور النون مجزوم الميم ، إلاَّ النمر بن تولب ، فهو بفتح النون وكسر الميم .
[انظر الأعلام ج ٨ ص ٤٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٥٧ – ٣٥٩ ، والأغانى ج ٢٦ ص ٩٠٠٣ – ٩٠١٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٠٩ – ٣١١ ، وانظر مايقع فيه التصحيف والتحريف لابن سعيد العسكرى ص ٣٩٠ ط مصطفى الحلبى ، والإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٣٦٤] .

(٥) البيتان من البسيط .. وأثْر السيف : تَسَلْسُلُهُ وديباجته ، والمراد هنا : أَثَرُهُ ، بالتحريك ، أى : ضَرْبَتُهُ ، أو مابقى من رسم الشىء ، وسُكن هنا للضرورة .

(٦) هكذا البيت فى « م » و « ط » والعقد الفريد ج ١ ص ١٥٥ .. وفى الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١١ : « والسَّاقَيْن » مكان « والقَيْدَين » .. والهادى : العُنُق .. أى : أنه قطع ذلك كله ثم رسب فى الأرض حتى احتاج إلى أن يحفر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب ، والمبالغة فى الوصف .. وقد عِيبَ ذلك على الشاعر .

(٧) هو النابغة الذبيانى ، زياد بن عمرو بن معاوية وقد مر التعرف به .

يَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ   وَيُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ (١)

وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَدِّ الْحَدِيدِ بِمَا حَوَاهُ مِنَ الرَّأْسِ (٢) ؟ وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثَّرَى (٣) ؟ وَأَيْنَ الْحُسَامُ مِنَ الْمِنْجَلِ (٤) ؟ وَلَوْلَا كَرَاهَةُ التَّطْوِيلِ لَذَكَرْنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا مَافِيهِ الْعَجَبُ . وَقَدْ قَالُوا : السَّيْفُ ظِلُّ الْمَوْتِ . السَّيْفُ لُعَابُ الْمَنِيَّةِ ، وَالرُّمْحُ رَشَاءُ الْمَنِيَّةِ (٥) ، وَالسِّهَامُ رُسُلٌ لا تُؤَامِرُ (٦) مَنْ أَرْسَلَهَا ، وَالرُّمْحُ أَخُوكَ وَرُبَّمَا خَانَكَ ، وَالدِّرْعُ مَشْغَلَةٌ لِلرَّاجِلِ (٧) وَمَتْعَبَةٌ لِلْفَارِسِ (٨) ، وَإِنَّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ ، وَالتُّرْسُ يَجُنُّ (٩) وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ .

* * *

---

(١) هكذا البيت فى « م » و « ط » وهو من الطويل ، ومن قصيدة النابغة الشهيرة التى مطلعها :
« كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصبِ » و « يَقُدُّ » : يقطع .. وفى الديوان : « تَقُدُّ » أى : السيوف . والسَّلُوقِىّ : دروع منسوبة إلى مكان تُنسَب إليه الدروع والكلاب .. والمضاعف : الذى نُسِجَ حلقتين حلقتين ، وخصه هنا لأنه أشد على السيوف .. والصُّفَّاح : حجارة عِراض .. والحُباحِب : دُوَيْبَّة تضىء بالليل ، فضربها الشاعر مثلاً لما ينقدح من الحجارة إذا قرعتها السيوف .. ويُوقِد بالصُّفَّاح ، يعنى : يضرب السيف الحجارة فتقدح نارًا .. وفى الديوان : « تُوقِد » .. يريد أن يقول : إن هذا السيف يقطع الدروع وكل شىء حتى يصير إلى الحجارة فيورى فيها — أى : يقدح النار — وهذا إفراط غير مستحب فى الوصف .
[انظر ديوان النابغة الذبيانى ص ٤٦ ، والعقد الفريد ج ١ ص ١٥٥] .
(٢) فى « م » : « بما حوته الرأس » والرأس مُذكر فى اللغة .
(٣) الثُّريا : مجموعة من النجوم فى صورة الثور .. والثرى : الأرض .
(٤) الحُسام : السيف .. والمنجل : آلة لحصد الزرع .
(٥) رَشَاء المنية ، أى : الحبل الذى يوصل للموت .
(٦) لا تُؤَامِرُ : لا تُشاوِرُ .
(٧) مشغلة للراجل ، أى : تشغل المحارب الذى يقاتل وهو مُترجِّل ، وهو عكس الفارس .
(٨) فى « م » : « متعبة للفارس » بدون واو والعطف .. أى : وتُتعب الذى يقاتل على فرس .
(٩) يَجُنُّ : يحفظ ويستر .

الْبَابُ الْحَادِى وَالسِّتُّونَ
فى ذِكْرِ الْحُرُوبِ وَتَدْبِيرِها وَحِيَلِهَا وَأَحْكَامِهَا

مِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُحَقِّرَ [1] عَدُوَّهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا ، وَلَا يَغْفُلَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا ، فَكَمْ مِنْ بُرْغُوثٍ [2] أَسْهَرَ فِيلًا ، وَمَنَعَ الرُّقَادَ مَلِكًا جَلِيلًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ ... وَإِنْ كَانَ فى سَاعِدَيْهِ قِصَرْ [3]

فَإِنَّ السُّيُوفَ تَحُزُّ الرِّقَابَ ... وَتَعْجَزُ عَمَّا تَنَالُ الإِبَرْ

وَفِى الأَمْثَالِ : لا تَحْقِرَنَّ الذَّلِيلَ ، فَرُبَّمَا شَرِقَ [4] بِالذُّبَابِ الْعَزِيزُ . وَمَثَلُ [5] الْعَدُوِّ مَثَلُ النَّارِ ، إِنْ تَدَارَكْتَ أَوَّلَهَا سَهُلَ إِطْفَاؤُهَا ، وَإِنْ تُرِكَتْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ ضِرَامُهَا [6] صَعُبَ مَرَامُهَا ، وَتَضَاعَفَتْ بَلِيَّتُهَا . وَمَثَلُهُ [7] أَيْضًا مَثَلُ الْجُرْحِ الرَّدِىءِ ، إِنْ تَدَارَكْتَهُ

---

(١) فى « م » : « وَمِنْ حزم المَلِكِ ألَّا يحتقر » .

(٢) فى « م » : « فكم برغوث » .

(٣) البيتان من المتقارب ، وقد وردا فى نفح الطِّيب منسوبين إلى الفكيك ، ج ٤ ص ٢١٩ ، وج ١١ ص ٧٤ .

(٤) شَرِقَ : غَصَّ (وقف فى حلقه) .. وفى « م » : « يَشْرَقُ » .

(٥) فى « م » : « ومثال » .

(٦) ضِرامُها : اشتعالها .

(٧) فى « م » : « ومثاله » .

سَهُلَ بُرْؤُهُ ، وَإِنْ أَغْفَلْتَهُ حَتَّى نَغِلَ (١) عَظُمَتْ بَلِيَّتُهُ ، وَأَعْيَا (٢) الأَطِبَّاءَ بُرْؤُهُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ وَضَعُوا فى تَدْبِيرِ الْحُرُوبِ كُتُبًا ، وَرَتَّبُوا فِيهَا تَرْتِيبًا ، فَلَا يَسَعُ أَهْلَ سَائِرِ الأَقَالِيمِ حَمْلُهَا (٣) ، إِذْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِي الْغَالِبِ نَوْعٌ مِنَ التَّدْبِيرِ ، وَصِنْفٌ مِنَ الْحِيلَةِ ، وَضَرْبٌ مِنَ الْمَكِيدَةِ ، وَجِنْسٌ مِنَ اللِّقَاءِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ ، وَتَعْبِيَةِ الْمَوَاكِبِ (٤) ، وَحَمْلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنْ نَصِفُ مِنْهُ أَشْيَاءَ تَجْرِى مَجْرَى الْمَعَاقِدِ (٥) ، لا تَكَادُ (٦) تَخْتَلِفُ فى إِنْهَاءِ أَزِمَّةِ الْحُرُوبِ .

وَنَبْدَأُ أَوَّلًا بِمَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فى الْقُرْآنِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٧) ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَافِى مَقْدُورِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْآلَةِ وَالْحِيلَةِ . وَفَسَّرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُوَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى أُنَاسٍ يَرْمُونَ ، فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ » . وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ لا يَقُصُّ أَظْفَارَهُ وَيَتْرُكُهَا عُدَّةً (٨) ، وَيَرَاهَا قُوَّةً ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ اللِّقَاءِ عَمَلًا صَالِحًا ، مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ ، وَرَدُّ مَظْلِمَةٍ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَدُعَاءِ مُخْلِصٍ ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَتَغْيِيرِ مُنْكَرٍ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ . وَرُوِىَ أَنَّ بَرِيدًا (٩)

---

(١) أى : « فَسَدَ » .

(٢) فى « م » : « وأعْضَلَ » .. وأعضل الأطباء برؤه : أعجزهم أن يداووه .

(٣) « حمْلُها » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٤) تعبية المواكب وتعبئتها : تهيئتها .

(٥) المعاقد : مواضع انعقاد المجالس .. جمع مَعْقِد .. وجرى مَجْرَى فلان ، أى : كانت حاله كحاله .

(٦) فى « م » : « ولا تكاد » .

(٧) سورة الأنفال ، من الآية ٦٠ .

(٨) عُدَّة : استعدادًا .. أو ما يُعَدُّ لأمرٍ يحدث .

(٩) البريد : الرسول .. وفى « م » : « زيدًا » تحريف .

وَرَدَ عَلَيْهِ بِفَتْحٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَىَّ وَقْتٍ لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ ؟ قَالَ : غُدْوَةً . قَالَ : وَمَتَى انْهَزَمَ ؟ قَالَ عِنْدَ الزَّوَالِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَامَ الشِّرْكُ لِلْإِيمَانِ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى الزَّوَالِ ؟ لَقَدْ أَحْدَثْتُمْ بَعْدِى حَدَثًا ، أَوْ أَحْدَثْتُ بَعْدَكُمْ حَدَثًا ! .

وَالشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ فى اسْتِجَادَةِ الْقُوَّادِ [١] ، وَانْتِخَابِ الأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ الْوِلَايَةِ [٢] ، فَقَدْ [٣] قَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَجَمِ : أَسَدٌ يَقُودُ أَلْفَ ثَعْلَبٍ خَيْرٌ مِنْ ثَعْلَبٍ يَقُودُ أَلْفَ أَسَدٍ . فَلَا يَنْبَغِى أَنْ يُقَدَّمَ عَلَى الْجَيْشِ إِلاَّ الرَّجُلُ ذُو الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ ، ثَبْتُ الْجَنَانِ [٤] ، صَارِمُ الْقَلْبِ جَرِيئُهُ [٥] ، رَابِطُ الْجَأْشِ ، صَادِقُ الْبَأْسِ ، مِمَّنْ قَدْ تَوَسَّطَ الْحُرُوبَ ، وَمَارَسَ الرِّجَالَ وَمَارَسُوهُ ، وَنَازَلَ الأَقْرَانَ وَنَازَلُوهُ [٦] ، وَقَارَعَ الأَبْطَالَ ، عَارِفًا بِمَوَاضِعِ الْفُرَصِ [٧] ، خَبِيرًا بِمَوَاقِعِ الْقَلْبِ وَالْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَمَا الَّذِى يَجِبُ شَحْنُهُ بِالْحُمَاةِ وَالأَبْطَالِ مِنْ ذَلِكَ ، بَصِيرًا بِصُنُوفِ الْعَدُوِّ وَمَوَاقِعِ الْغُرَّةِ مِنْهُ [٨] وَمَوَاقِعِ الشِّدَّةِ [٩] ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَصَدَرَ [١٠] الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، كَانَ جَمِيعُهُمْ [١١] كَأَنَّهُ مِثْلُهُ ، فَإِنْ رَأَى لِقِرَاعِ الْكَتَائِبِ وَجْهًا ، وَإِلَّا رُدَّ رَدَّ الْغَنَمِ [١٢] لِلزَّرِيبَةِ .

---

(١) فى « م » : « القوادين » .
(٢) فى « م » : « الألوية » وهى جمع لواء .. وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية : اختيارهم .
(٣) فى « م » : « وقد » .
(٤) ثَبْت الجَنَان : الشجاع الثابت القلب .
(٥) فى « م » : « حَزْمُه » مكان « جريئه » .
(٦) « ونازَلُوهُ » عن « م » .
(٧) فى « م » : « الغرض » أى : الهدف .
(٨) فى « م » : « بصيرًا بموقع الغُرَّة وصنوف العدو » .
(٩) فى « م » : « ومواضع الشدة » .
(١٠) فى « م » : « فصَدَر » . وصدَر الكل عن رأيه ، أى : رجعوا إلى رأيه وانتهوا إليه .
(١١) فى « م » : « جَمْعُهم » .
(١٢) فى « م » : « وإلا ردَّ الغنم » وسقطت « رُدَّ » ولاتصح .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ ، وَآخِرُ (١) مَا يَجِبُ رُكُوبَهُ قَرْعُ الْكَتَائِبِ ، وَحَمْلُ الْجُيُوشِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَلْنَبْدَأْ بِتَصْرِيفِ الْحِيلَةِ فِى نَيْلِ الظَّفَرِ .

قَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ : كُنْتُ أَمِيرَ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ مَرْوَانَ الْجَعْدِىِّ ، آخِرِ مُلُوكِ بَنِى أُمَيَّةَ ، قَالَ : وَكَانَ (٢) عُظَمَاءُ التُّرْكِ يَقُولُونَ : يَنْبَغِى لِلْقَائِدِ الْعَظِيمِ (٣) أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشَرَةُ أَخْلَاقٍ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ (٤) : شَجَاعَةُ الدِّيكِ ، وَبَحْثُ الدَّجَاجَةِ ، وَقَلْبُ الأَسَدِ ، وحَمْلَةُ الْخِنْزِيرِ (٥) ، وَرَوَغَانُ الثَّعْلَبِ (٦) ، وَصَبْرُ الْكَلْبِ عَلَى الْجِرَاحِ ، وَحِرَاسَةُ الْكُرْكِىِّ (٧) ، وَغَارَةُ الذِّئْبِ (٨) وَسِمَنُ نُغَيْرٍ ، وَهِىَ دُوَيْبَّةٌ تَكُونُ بِخُرَاسَانَ تَسْمَنُ عَلَى التَّعَبِ وَالشَّقَاءِ .

وَكَانَ يُقَالُ : أَشَدُّ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى عَشَرَةٌ : فَأَشَدُّ خَلْقِ اللهِ الْجِبَالُ (٩) ، وَالْحَدِيدُ يَنْحِتُ الْجِبَالَ ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِىءُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ (١٠)

---

(١) فى « م » : « وأحْسَن » مكان « وآخِر » .

(٢) فى « م » : « كان » بدون واو العطف .

(٣) فى « ط » : « العظيم القياد » .

(٤) ما ورد فى « م » و « ط » تسع صفات وليس عشرًا كما ذكر .

(٥) حَمْلَةُ الخنزير : كَرَّةُ فى الحرب .. وفى حياة الحيوان الكبرى للدميرى : أنه من القوة حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل مالاقى من جسده من عظم وعصب .
[انظر المصدر المذكور ج ١ ص ٤٣١] .

(٦) روَغان الثعلب : خديعته .

(٧) الكُركِىُّ : طائر كبير أغبر اللون ، طويل العُنق والرجلين ، أبتر الذَّنب ، قليل اللحم ، يأوى إلى الماء أحياناً ، ومن طبعه الحَذَرُ والتحارس بالنوبة ، والذى يحرس يهتف بصوت خفى ينذر بأنه حارس ، فإذا قضى نوبته فى الحراس قام الذى كان نائماً ليحرس مكانه .
[انظر الدميرى ج ٢ ص ٢٤٤] .

(٨) المعروف عن الذئب أنه إذا كَدَّهُ الجوع عَوَى ، فتجتمع له الذئاب ، ويغيرون مجتمعين على الفريسة .

(٩) قوله : « فأشد خلق الله » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(١٠) فى « ط » : « تحمل » .

الْمَاءَ ، وَالرِّيحُ تُصَرِّفُ السَّحَابَ [١] ، وَالإِنْسَانُ يَقْنِى الرِّيحَ [٢] لِحَاجَتِهِ ، وَالسُّكْرُ [٣] يَصْرَعُ الإِنْسَانَ ، وَالنَّوْمُ يُذْهِبُ السُّكْرَ ، وَالْهَمُّ يَمْنَعُ النَّوْمَ ، فَأَشَدُّ خَلْقِ رَبِّكَ الْهَمُّ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَبُثَّ [٤] جَوَاسِيسَهُ فِى عَسْكَرِ عَدُوِّهِ ، يَسْتَعْلِمُ أَخْبَارَهُ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَيَسْتَعْلِمُ رُؤَسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَذَوِى الشَّجَاعَةِ مِنْهُمْ ، وَيَدُسُّ إِلَيْهِمْ [٥] ، وَيَعِدُهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا ، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ بِضُرُوبِ الْخُدْعَةِ ، وَيُقَوِّى أَطْمَاعَهُمْ فِى أَنْ يَنَالُوا [٦] مَا عِنْدَهُ مِنَ الْهِبَاتِ الْفَاخِرَةِ ، وَالْوِلَايَاتِ [٧] السَّنِيَّةِ ، وَإِنْ رَأَى وَجْهًا عَاجَلَهُمْ بِالْهَدَايَا [٨] وَالتُّحَفِ ، وَسَأَلَهُمْ [٩] إِمَّا الْغَدْرَ بِصَاحِبِهِمْ وَإِمَّا اعْتِزَالَهُ وَقْتَ اللِّقَاءِ ، وَيُنْشِىءُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ كُتُبًا مُدَلَّسَةً إِلَيْهِ [١٠] وَيَبُثُّهَا فِى عَسْكَرِهِ ، وَيَكْتُبُ عَلَى السِّهَامِ أَخْبَارًا مُزَوَّرَةً وَيَرْمِى بِهَا فِى جُيُوشِهِمْ ، وَيَضْرِبُ بَيْنَهُمْ بِمَا فِى الْمَيْسُورِ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَاذَكَرْنَا تُنْفَقُ فِيهِ الأَمْوَالُ وَالْحِيَلُ ، وَاللِّقَاءُ تُنْفَقُ فِيهِ الأَرْوَاحُ وَالنُّفُوسُ [١١] ، وَوُجُوهُ الْخِدَاعِ فِيهِ لا تُحْصَى ، وَالْحَاضِرُ فِيهِ [١٢] أَبْصَرُ مِنَ

---

(١) تُصَرِّف السحاب : تُوجهه .. وفى « م » : « تُفرق السحاب » .

(٢) يَقْنِى الريح : يتخذها للاستفادة منها لحاجته .. وفى « م » : « يبقى الريح » .

(٣) السُّكْر : غيبوبة العقل واختلاطه من الشراب المُسْكِر .

(٤) فى « م » : « يُثَبِّت » .

(٥) يَدُسُّ إليهم : يرسل إليهم خفية .

(٦) فى « م » : « تَنال » .

(٧) فى « م » : « الولايات » .

(٨) فى « م » : « وإن رأى وجهاً قابلهم بالعطايا » . والوجه هنا بمعنى القبول والانقياد لرأيه .

(٩) فى « م » : « وسامهم » تحريف .

(١٠) كتباً مُدَلَّسَة : رسائل مزيفة يخدع بها العدو .

(١١) فى « ط » : « الأرواح والرءوس » .

(١٢) فيه ، أى : فى اللقاء .. وفى « ط » : « فيها » أى : فى الحرب .

الْغَائِبِ . وَللهِ دَرُّ الْمُهَلَّبِ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْتَعْجِلُهُ فى حَرْبِ الأَزَارِقَةِ [١] ، رَدَّ الْجَوَابَ فَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْبَلاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْىُ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُهُ لا عِنْدَ مَنْ يُبْصِرُهُ .

وَقَالَ الْمُخْتَارُ لِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ [٢] حِينَ وَلَّاهُ الْجَزِيرَةَ وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ [٣] : امْضِ إِلَى عَدُوِّكَ بَرَأْيٍ غَيْرِ مُسْتَبِدٍّ ، وَبِحَزْمٍ غَيْرِ مُتَّكِلٍ ، وَلَا تَرْكَنْ إِلَى الدَّوْلَةِ ، فَرُبَّمَا انْقَلَبَتْ ، وَاسْتَشِرْ مَنْ لا يَطْمَعُ فى عَمَلِكَ ، وَلَا تَسِرْ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَخِرِ اللهَ تَعَالَى قَبْلَ إِقْدَامِكَ تُوَفَّقْ .

وَأَوْصَتْ أُمُّ الذَّيَالِ الْعَبْسِيَّةُ ابْنَهَا الْفَتَّاكَ ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ : يَا بُنَىَّ لا تَنْشَبْ فى حَرْبٍ [٤] إِنْ وَثَقْتَ بِشِدَّتِكَ [٥] حَتَّى تَعْرِفَ وَجْهَ الْمَهْرَبِ مِنْهَا ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقْوَى شَىْءٍ إِذَا وَجَدَتْ سَبِيلَ الْحِيلَةِ ، وَأَضْعَفُ شَىْءٍ إِذَا يَئِسَتْ مِنْهَا ، وَأَحْمَدُ الشِّدَّةِ [٦] ما كَانَتِ الْحِيلَةُ مُدَبِّرَةً لَهَا ، إِذَا لَمْ يَكُنِ النَّصْرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَابْذُلْهَا ، وَاخْتَلِسْ مِنَ

---

(١) فى « م » : « يُعَجِّله » أى : يحثه .. والأزارقة : فرقة من الخوارج ، نُسبوا إلى نافع بن الأزرق الحنفى ، كفَّروا عليًّا بالتحكيم ، وأصحابه ، والقاعدين عن القتال ، وجَوَّزُوا قتل المخالفين لهم وسَبْى نسائهم .

[انظر التعريفات للجرجانى ص ٣٢ ، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢] .

(٢) المختار ، هو : المختار الثقفى ، وقد مَرَّ التعريف به .. ويزيد هو : يزيد بن أنس المالكى الأسدى ، قائد من الشجعان من أصحاب المختار الثقفى ، خرج معه على بنى أمية مطالباً بدم الحسين ، فكان من قادة جيشه ، ووجهه المختار على رأس ثلاثة آلاف من الكوفة لدخول الموصل ، وفيها عبيد الله بن زياد ، وعلم ابن زياد بخبره ، فأرسل لقتاله فَيْلَقَيْن ، كل منهما ثلاثة آلاف ، وعلى الأول ربيعة بن مخارق الغنوى ، وعلى الثانى عبد الله بن جملة الخثعمى ، وتقدم ربيعة يوماً ، فانهزم من معه بعد معركة ، وقُتل ، وأقبل الخثعمى ، فَقُتِلَ أيضاً ، وتفرق رجاله ، وكان يزيد فى حالة إعياء شديد من مرض حلَّ به ، فأوصى بمن يخلفه إنْ مات . وشهد المعركة الأولى وهو على حمار يمسكه بعض الرجال ، وشهد الثانية وهو فى قلب جيشه على سرير . وسقط ميتاً فى المساء بعد الظفر فى الحربين سنة ٦٦ هـ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٩ ، ١٨٠] .

(٣) فى « م » و « ط » : « عبد الله » والصواب ما أثبتناه .. وهو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وقد مر التعريف به .

(٤) لا تنشَبْ فى حرب ، أى : لا تقع فيها .

(٥) فى « ط » : « إن وثقت شدتك » أى : صارت محكمة فى القوة .

(٦) فى « م » : « السورة » تحريف .. وأحمد الشدة : الشدة المحمودة ، والفعل أفعل تفضيل من الحمد .

الْمُحَارِبِ (١) خَلْسَةَ الذِّئْبِ ، وَطِرْ مِنْهُ طَيَرَانَ الْغُرَابِ ، فَإِنَّ الْحَذَرَ زِمَامُ الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّهَوُّرَ عَدُوُّ الشِّدَّةِ .

وَقَالَ أَبُو السَّرَايَا – وَكَانَ أَحَدَ الْفُتَّاكِ (٢) – لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، كُنْ بِحِيلَتِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ ، وَبِحَذَرِكَ (٣) أَوْثَقَ مِنْكَ بِشَجَاعَتِكَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمُتَهَوِّرِ وَغَنِيمَةُ الْحَذِرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّوَلَ إِذَا زَالَتْ صَارَتْ حِيَلُهَا (٤) وَبَالًا عَلَيْهَا ، وَإِذَا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى فى حُلُولِ الْبَلَاءِ كَانَتِ الآفَةُ فى الْحِيلَةِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ كَانَ الْعَطَبُ (٥) فى الْحِيلَةِ ، وَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ الدُّوَلِ أَدْبَرَتْ سُنَّةُ الْغَفْلَةِ عَنْ سُنَّةِ الْحَذَرِ (٦) وَيَغْلِبُ الضَّعِيفُ بِإِقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، كَمَا يُغْلَبُ الْقَوِىُّ بِفَنَاءِ مُدَّتِهِ (٧) .

وَقَالُوا : سُعُودُ الدُّوَلِ وَنُحُوسُهَا مَقْرُونَةٌ بِسُعُودِ الْمُلْكِ وَنُحُوسِهِ (٨) . وَقَالُوا : أَبْهَى زِىٍّ (٩) عَلَى كُلِّ امْرِىءٍ دَوْلَتُهُ ، فَإِذَا انْقَضَتْ بَدَتْ عَوْرَتُهُ . وَقَالَ (١٠) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا وَلَّتْ دَوْلَةٌ ، وَلَّتْ أُمَّةٌ ، وَإِذَا زَالَتْ دَوْلَةٌ نُسِخَتْ أُمَّةٌ (١١) . وَقَالُوا : رُبَّ حِيلَةٍ أَهْلَكَتِ الْمُحْتَالَ . فَمِنَ الْحَزْمِ الْمَأْلُوفِ عِنْدَ سُوَّاسِ الْحُرُوبِ (١٢) أَنْ

---

(١) اختلس : اختطف بسرعة وغفلة ، والخَلْسَة بفتح الخاء المعجمة : اسم مَرَّة ، وبالضم : ما يُخْلَسُ .. وفى « م » : « وأخلس مَنْ تُحارب » وهى بمعناها .

(٢) الفُتَّاك : جمع فاتك ، وهو الذى يركب الشدائد ولا يبالى بالموت .

(٣) فى « م » : « وبجِدَّتك » .

(٤) فى « م » : « حيلتها » .

(٥) العَطَبُ : الهلاك والفساد .

(٦) السُّنَّة : الطبيعة ، والصورة ، والطريقة . والسِّنَةُ : الفَفْوَةُ والنعاس . وكلاهما له وَجْهٌ .

(٧) أى : بانتهاء أَجَلِه .

(٨) السُّعود : اليُمن والتوفيق – نقيض الشقاء .. والنُّحوس : الجَهْدُ والضَّرر .

(٩) سقطت لفظة « زِىٍّ » من « م » سهوًا من الناسخ .

(١٠) من قوله : « قال .. » إلى قوله : « نُسخت أُمة » عن « م » . وساقط من « ط » .

(١١) إلى هنا ينتهى الساقط من « ط » .. ونُسِخَتْ أُمَّة : أُزِيلَتْ .

(١٢) سُوَّاس الحروب : سَاسَتُها .. والكُماة : جمع كَمِىّ ، وهو : الشجاع الجرىء من الأبطال .

تَكُونَ حُمَاةُ الرِّجَالِ وَكُمَاةُ الأَبْطَالِ فى الْقَلْبِ ، فَإِنَّهُ مَهْمَا انْكَسَرَ الْجَنَاحَانِ فَالْعُيُونُ نَاظِرَةٌ إِلَى الْقَلْبِ ، فَإِذَا كَانَتْ رَايَاتُهُ تَخْفُقُ ، وَطُبُولُهُ تُضْرَبُ ، كَانَتْ حِصْنًا لِلْجَنَاحَيْنِ ، يَأْوِى إِلَيْهِ كُلُّ مُنْهَزِمٍ ، وَإِذَا انْكَسَرَ الْقَلْبُ تَمَزَّقَ الْجَنَاحَانِ ، مِثَالُ ذَلِكَ : الطَّائِرُ إِذَا انْكَسَرَ إِحْدَى جَنَاحَيْهِ يُرْجَى عَوْدُهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَإِنِ انْكَسَرَ [١] الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَنَاحَانِ ، وَلَا تُحْصَى كَثْرَةُ انْكِسَارِ جَنَاحَيِ الْعَسْكَرِ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْفَارُّونَ إِلَى الْقَلْبِ وَيَكُونُ الظَّفَرُ لَهُمْ . وَقَلَّ عَسْكَرٌ انْكَسَرَ قَلْبُهُ فَأَفْلَحَ أَوْ تَرَاجَعَ [٢] ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكِيدَةً مِنْ صَاحِبِ الْجَيْشِ ، فَيُخِلَّ الْقَلْبَ [٣] قَصْدًا وَتَعَمُّدًا ، وَلَا يُغَادِرُ بِهِ كَبِيرَ أَمْرٍ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَهُ الْعَدُوُّ اشْتَغَلَ بِنَهْبِهِ [٤] ، وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الْجَنَاحَانِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَكَايِدِ فى الْحَرْبِ الْكُمَنَاءُ [٥] ، وَلَا يُحْصَى كَثْرَةً . كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ اسْتُبِيحَتْ بَيْضَتُهُ وَقَلَّ عَزْمُهُ بِالْكُمَنَاءِ [٦] ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَارِسَ لا يَزَالُ عَلَى حَمِيَّةٍ فى الدِّفَاعِ وَحِمَى الذِّمَارِ [٧] حَتَّى يَلْتَفِتَ فَيَرَى وَرَاءَهُ بَنْدًا مَنْشُورًا [٨] ، أَوْ يَسْمَعَ ضَرْبَ الطُّبُولِ [٩] ، فَحِينَئِذٍ هِمَّتُهُ خَلَاصُ نَفْسِهِ . وَلْتَكُنْ هِمَّتُكَ وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْحُرُوبِ فى اصْطِنَاعِ الشُّجْعَانِ [١٠] ، وَاخْتِيَارِ الأَبْطَالِ ، فَاصْطَنِعْ ذَوِى الْبَسَالَةِ وَالإِقْدَامِ وَالْجَرَاءَةِ [١١] ، وَلَا عَلَيْكَ أَلَّا يَكْثُرُوا ، وَبَعِيدٌ [١٢] عَلَيْكَ أَنْ يَكْثُرُوا ، وَلَا تَنْسَ بَيْتَ الشَّاعِرِ :

---

(١) فى « ط » : « كُسِرَ » .. وجناحا العسكر : جانباه .

(٢) فى « م » : « فَأَفْلَحَ وتراجع » .

(٣) فيُخِلَّ القَلْبَ : يغيبُ عنه ويتركه .

(٤) فى « م » : « واشتغل بنفسه » .

(٥) الكُمَنَاء : القوم الذين يكمنون ويتوارون فى الحرب ، حيلة .. ومن هنا إلى قوله : « قلّ عزمه بالكمناء » ساقط من « م » .

(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .. ومعنى استُبِيحَتْ بيضَتُهُ ، أى : دخل العدو مكانهم واستباح حِمَاهُم .

(٧) فى « م » : « على حَمِيَّتِه » .. والذِّمار : ما ينبغى حياطته والذَّوْد عنه ، كالأهل والعِرض .

(٨) بندًا منشورًا : علماً مرفوعاً .

(٩) فى « م » : « أو ضرب الطبول » .

(١٠) اصْطِناع الشجعان : اختيارهم والإحسان إليهم .

(١١) فى « م » : « والجُرأة » .

(١٢) فى « م » : « أو بعيدٌ » .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُو كَوَاحِدٍ   وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَى [١]

بَلْ قَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ فَوُجِدَ مِنْهُمْ خَيِّرًا [٢] مِنْ عَشَرَةِ آلافٍ ، وَسَأَحْكِي لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ [٣] ، فَهُمْ فِي الْجَيْشِ ، وَإِنْ قَلُّوا ، كَالإِنْفَحَّةِ فِي اللَّبَنِ [٤] ، فَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا الْتَقَى الْمُسْتَعِينُ بْنُ هُودٍ [٥] مَعَ الطَّاغِيَةِ ابْنِ رُذْمِيلَ [٦] النَّصْرَانِيِّ عَلَى مَدِينَةِ « وَشْقَةَ » [٧] فِي ثُغُورِ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرَانِ كَالْمُتَكَافِئَيْنِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرَاهِقُ [٨] عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ بَيْنَ خَيْلٍ وَرَجْلٍ [٩] ، فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ مِنَ الأَجْنَادِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَا اللِّقَاءُ قَالَ الطَّاغِيَةُ ابْنُ رُذْمِيلَ لِمَنْ يَثِقُ بِعَقْلِهِ وَمُمَارَسَتِهِ لِلْحُرُوبِ [١٠] مِنْ رِجَالِهِ : اسْتَعْلِمْ مَنْ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ نَعْرِفُهُمْ كَمَا يَعْرِفُونَنَا ، وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ وَمَنْ حَضَرَ . فَذَهَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَةَ رِجَالٍ . قَالَ : انْظُرِ

---

(١) عَنَى : نَزَلَ ووقع .

(٢) فى « م » : « خير » .. لا تصح .

(٣) فى « م » : « مايفضى فيه العجب » .

(٤) الإِنْفَحَّة ، بتشديد الحاء المهملة وتخفيفها : مادة خاصة تُستَخْرَج من معدة الرضيع من العجول والجداء ، أو نحوهما ، بها خميرة تُجَبِّنُ اللبن .

(٥) فى « م » : « المستجيب بن هود » . تحريف .. وهو : المستعين بالله أحمد يوسف بن هود ، رابع ملوك الدولة الهودية – من دول الطوائف بالأندلس – وكان مقام ملوكها فى سرقسطة .. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٨ هـ . وكان من الغُزاة .. وكانت فى أيامه وقعة « وَشْقَة » سنة ٤٨٩ هـ ، وقُتل فيها نحو ١٠ آلاف من جيشه .. واستمر فى الإمارة إلى أن قُتل شهيدًا فى معركة لدفع العدو بظاهر سرقسطة سنة ٥٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٣ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٤٢٣] .

(٦) فى « م » : « ابن بردميل » فى المواضع كلها .. وهو تحريف .. وقد ورد اسمه فى الكامل لابن الأثير : « ابن ردمير » بالراء .. [انظر ابن الأثير ج ٨ ص ٣٠٢ وغيرها] .

(٧) وَشْقَة : مدينة شرقى أسبانيا . فتحها العرب سنة ٩٥ هـ .

(٨) يُراهِق : يُقارب .

(٩) فى « م » : « مِنْ خَيْل ورَجْل » ، والرَّجْل ، جمع راجِل ، وهو : الماشى على رجليه .

(١٠) فى « م » : « وممارسة الحروب » .

الآنَ (١) مِنَ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ . فَعَدُّوهُمْ فَوَجَدُوهُمْ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لا يَزِيدُونَ ، فَقَامَ الطَّاغِيَةُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا بَيَاضَكَ مِنْ يَوْمٍ ! ثُمَّ نَاشَبَ (٢) الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ ، فَلَمْ تَزَلِ الْمُصَابَرَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، لَمْ يُوَلِّ أَحَدُهُمْ دُبُرَهُ (٣) ، وَلَا تَزَحْزَحَ عَنْ مُقَامِهِ (٤) حَتَّى فَنِيَ أَكْثَرُ الْعَسْكَرَيْنِ وَلَمْ يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ نَظَرُوا إِلَيْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةً وَاحِدَةً (٥) وَداخَلُونَا مُداخَلَةً ، فَفَرَّقُوا بَيْنَنَا وَصِرْنَا شَطْرَيْنِ ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَصْحَابِنَا ، وَصَارُوا بَيْنَنَا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَهْنِنَا وَضَعْفِنَا ، وَلَمْ تَقُمِ الْحَرْبَ إِلَّا سَاعَةً وَنَحْنُ فِي خَسَارَةٍ مَعَهُمْ ، فَأَشَارَ مُقَدَّمُو (٦) الْعَسْكَرِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ ، وَانْكَسَرَ (٧) عَسْكَرُ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَمَلَكَ الْعَدُوُّ مَدِينَةَ « وَشْقَةَ » . فَلْيَعْتَبِرْ ذُو الْحَزْمِ وَالْبَصِيرَةِ مِنْ جَمْعٍ يَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَلَا يَحْضُرُهُ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَعْدُودِينَ إِلَّا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَلْيَعْتَبِرْ بِضَمَانِ الْعِلْجِ (٨) بِالظَّفَرِ وَاسْتِبْشَارِهِ بِالْغَنِيمَةِ لَمَّا زَادَ فِي أَبْطَالِهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .

وَسَمِعْتُ أُسْتَاذَنَا الْقَاضِي أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ ، رَحِمَهُ اللهُ ، يَحْكِي ، قَالَ : بَيْنَمَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِذْ وَقَفَ عَلَى نَشَزٍ (٩) مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٍ ، فَرَأَى جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ (١٠) قَدْ مَلَئُوا السَّهْلَ

---

(١) فى « م » : « قال : الآن انظر » .

(٢) ناشَبَ : نابَذَ وجاهَرَ .

(٣) لم يُوَلِّ أحدهم دُبُره : لم يَفِرّ .

(٤) مُقامِه : موقع إقامته ومكانه .

(٥) قوله : « واحدة » عن « م » .

(٦) فى « م » : « مقدم » .

(٧) فى « م » : « فانكسر » أى : فانهزم .

(٨) أصل العِلْج : حمار الوحش الغليظ ، وأُطْلِق على الرجل الضخم من كُفَّار العجم ، وبعض العرب يطلقونه على الكافر مطلقاً .. وقد مر .

(٩) النَّشَز ، بفتح الشين وسكونها : ما ارتفع وظَهَر من الأرض .

(١٠) فى « م » : « وعن يساره » .

وَالْجَبَلَ ، فَالْتَفَتَ إِلَى مُقَدَّمِ الْعَسْكَرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى هَذَا الْعَسْكَرَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ؟ قَالَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَرَى جَمْعًا كَثِيرًا وَجَيْشًا وَاسِعًا . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لا يَعْجُزُ [١] أَنْ يَكُونَ فِى هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ مُقَاتِلٍ [٢] مِنْ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالْبَسَالَةِ ؟ فَسَكَتَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَا سُكُوتُكَ ؟ أَلَيْسَ فِى هَذِهِ الْجُيُوشِ [٣] أَلْفُ مُقَاتِلٍ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَفِيهِمْ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَبْطَالِ الْمَعْدُودِينَ ؟ قَالَ : لا . فَحَنِقَ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَفِيهِمْ مِائَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : أَفِيهِمْ خَمْسُونَ مِنَ الأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لا . فَسَبَّهُ الْمَنْصُورُ وَاسْتَخَفَّ بِهِ [٤] ، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ عَلَى أَقْبَحِ صِفَةٍ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ ، وَتَصَافَّ [٥] الْجَمْعَانِ ، فَبَرَزَ [٦] عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، شَاكٍ فِى سِلَاحِهِ يَكُرُّ وَيَفِرُّ [٧] وَهُوَ يُنَادِى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَقَتَلَهُ [٨] الْعِلْجُ ، فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ وَصَاحُوا [٩] ، وَاضْطَرَبَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْعِلْجُ يَمْرَحُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَيُنَادِى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ اثْنَيْنِ لِوَاحِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ [١٠] الْعِلْجُ ، وَجَعَلَ يَكُرُّ وَيَحْمِلُ [١١] وَيُنَادِى : هَلْ

---

(١) فى « ط » : « لا يعجزنا » .

(٢) هنا فى « م » : « قال : لا .. قال : فتَعَجَّبَ المنصور ثم انعطف عليه فقال : أمَا فى هذا الجيش ألف مقاتل » ، وستأتى مع تغيير طفيف .

(٣) فى « م » : « فى هذا الجيش » .

(٤) فَحَنِقَ : فاغتاظ .. واستخفَّ به : استهان به وأهانه .

(٥) تصافَّ الجَمْعان : وقفوا فى صفوف متقابلة .. وفى « م » : « وتضَاقَ » أى : انضم بعضهم إلى بعض .

(٦) فى « م » : « وبرَز » .

(٧) أى : يحمل عُدَّة الحرب ومُتأهب للقتال .

(٨) فى « م » : « ثم قتله » .

(٩) فى « م » : « وصاحوا به » .

(١٠) فى « م » : « ثم قتله العلج ففرح المشركون » .

(١١) فى « م » : « يكرّ ويفرّ » .

مِنْ مُبَارِزٍ ثَلاثَةٍ لِوَاحِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [١] فَقَتَلَهُ الْعِلْجُ ، فَصَاحَ الْمُشْرِكُونَ ، وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَادَتْ تَكُونُ كَسْرَةٌ ، فَقِيلَ لِلْمَنْصُورِ : مَالَهَا غَيْرُ ابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ! فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَلَا تَرَى مَايَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ الْكَلْبُ مُنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بِعَيْنِي جَمِيعُ مَاجَرَى . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِى تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَنْ تَكْفِيَ [٢] الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . قَالَ : نَعَمِ الآنَ .

ثُمَّ قَصَدَ إِلَى رِجَالٍ يَعْرِفُهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ عَلَى فَرَسٍ قَدْ نَشَزَتْ أَوْرَاكُهَا هُزَالًا [٣] ، وَهُوَ يَحْمِلُ قِرْبَةَ مَاءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْفَرَسِ ، وَالرَّجُلُ فِى نَفْسِهِ وَحِلْيَتِهِ غَيْرُ مُتَصَنِّعٍ [٤] ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ مُنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَمَاذَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ أُرِيدُ رَأْسَهُ الآنَ [٥] . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَلَ الْقِرْبَةَ إِلَى رَحْلِهِ ، وَلَبِسَ لَأْمَةَ حَرْبِهِ وَبَرَزَ إِلَيْهِ [٦] ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَلَمْ يَرَ النَّاسُ إِلَّا الْمُسْلِمَ خَارِجًا إِلَيْهِمْ يَرْكُضُ ، وَلَا يَدْرُونَ مَاهُنَالِكَ ، وَإِذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ رَأْسَ الْعِلْجِ ، فَأَلْقَى الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَىِ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : عَنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِى عَسْكَرِكَ مِنْهُمْ أَلْفٌ ، وَلَا خَمْسُمِائَةٍ ، وَلَا مِائَةٌ ، وَلَا خَمْسُونَ ، وَلَا عِشْرُونَ ، وَلَا عَشَرَةٌ [٧] . فَرَدَّ ابْنَ الْمُصْحَفِيِّ إِلَى مَنْزِلَتِهِ وَأَكْرَمَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ شَكْوَى ، وَأَوْسَطَهَا نَجْوَى ، وَآخِرَهَا بَلْوَى . الْحَرْبُ شَعْثَاءُ [٨] عَابِسَةٌ ، شَوْهَاءُ ، كَالِحَةٌ ، حَرُورٌ [٩] فِى حِيَاضِ الْمَوْتِ ، شَمُوسٌ فِى

---

(١) قوله : « من المسلمين » عن « م » .

(٢) فى « م » : « قال : أكفى » .

(٣) أى : ظهرت وبرزت عظامها من الضعف .

(٤) فى « م » : « غير متضيِّع » . ربما يريد أنه غير فقير .

(٥) فى « م » : « قال : فما ترى فيه ؟ قال له : أريد رأسه الآن » .

(٦) فى « م » : « ونزل إليه » . واللَّأْمَةُ : أداةُ الحرب كلها ، من رمح وبيضة ومِغْفَر وسيف ودرع .

(٧) فى « م » : « ولا خمسون ولا عشرة » .

(٨) الحربُ شَعْثاء ، أى : تشبه المرأة الشعثاء الشعر فى هيئتها وقُبح منظرها .

(٩) الحَرُور : الرياح الحارة .. وفى « م » : « جَزُور » .. والجَزور : ما يُذْبَح .

الْوَطِيس (١) ، تتغذَّى بِالنُّفوسِ . الْحَرْبُ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ وَآخِرُهَا الْحِمَامُ (٢) . الْحَرْبُ مُرَّةُ الْمَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ (٣) عَنْ سَاقٍ ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عَرَفَ ، وَمَنْ ضَعُفَ عَنْهَا تَلِفَ (٤) . جِسْمُ الْحَرْبِ الشَّجَاعَةُ ، وَقَلْبُهَا التَّدْبِيرُ ، وَعَيْنُهَا الْحَذَرُ ، وَجَنَاحُهَا الطَّاعَةُ ، وَلِسَانُهَا الْمَكِيدَةُ ، وَقَائِدُهَا الرِّفْقُ ، وَسَائِقُهَا النَّصْرُ (٥) . وَقَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) : « الْحَرْبُ خُدْعَةٌ » . وَقَالُوا : الْحَرْبُ غَشُومٌ (٧) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تَتَخَطَّى إِلَى غَيْرِ الْجَانِي . قَالَ (٨) الشاعِرُ :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللـ ـهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي (٩)

وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا أُنَاسٌ وَيَصْلَى حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ (١٠)

وَقَالَ آخَرُ :

الْحَرْبُ أَوَّلَ مَاتَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِبِزَّتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ (١١)
حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلِ (١٢)

---

(١) الشَّمُوس : النَّفُور العَسِرُ الصَّعْبه . والوطيس : شدة الحرب .
(٢) أى : المَوْت .
(٣) قلصَتْ : كشفَتْ .
(٤) تَلِفَ : هلك .
(٥) فى « م » : « النُّصْرَة » .
(٦) فى « م » : « عليه السلام » .
(٧) الغَشُوم : الذى يخبط الناسَ ويأخذ كُلَّ ما قدر عليه .
(٨) فى « م » : « كما قال » .
(٩) البيت من الخفيف .. وهو فى « م » :
« لم أَكُنْ مِنْ حُداتها علم الله وإنى لحربها اليوم صَالِى »
لم أكن من حُداتها : لستُ سبباً فى قيامها والحث عليها .. وصالى : محترق بنارها .
(١٠) البيت من الوافر .. وفى « م » : « يجيها أُناس » .. وفى عيون الأخبار ج ٢ ص ٦١ : « يجنيها رجال » .
(١١) الأبيات من الكامل .. وتسعى بِبزَّتها ، أى : بهيئتها وشارتها .. وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٨٦ ، وعيون الأخبار ج ١ ص ٢١٠ : « تَسْعَى بزينتها » .. والجهول : الغِرُّ .
(١٢) شب ضرامها : اتَّقَد لَهَبُهَا .. وفى العقد الفريد : « حتى إذا حميتْ » .. وفى عيون الأخبار : « حتى إذا استعَرَتْ » .

شَمْطَاءُ يَنكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرتْ مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ (١)

قَالَ (٢) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : قَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَى (٣) آدَابَ الْحَرْبِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) . وَاسْتَوْصَى قَوْمٌ (٥) أَكْثَمَ بْنَ صَيْفِيٍّ فِى حَرْبٍ أَرَادُوهَا (٦) فَقَالَ : أَقِلُّوا الْخِلَافَ عَلَى أُمَرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ فَشَلٌ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنِ اخْتَلَفَ (٧) ، وَتَثَبَّتُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ (٨) .

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ جِثِيًّا (٩) عَلَى الرُّكَبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْحَيَّاتِ (١٠) . وَرَأَيْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ أُلِفَ فِى الْحُرُوبِ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ ، وَيَقُولُونَ : يَذْكُرُ اللهَ فِى نَفْسِهِ .

وَاعْلَمْ أَرْشَدَكَ (١١) اللهُ تَعَالَى ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَوْضَحَ لَنَا فِى كِتَابِهِ عِلَّةَ النَّصْرِ وَعِلَّةَ الْهَزِيمَةِ (١٢) وَالْفِرَارِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ

---

(١) ينكُرُ لونها : يصير منكراً ، من نَكُرَ يَنكُرُ .. وفى عيون الأخبار :

« شمطاء جَزَّتْ رأسها وتنكَّرتْ مكروهةً لِلثَّمِ والتقبيلِ »

والشطرة الأولى من البيت فى العقد الفريد تُماثل ما ورد فى عيون الأخبار .. والشمطاء : المرأة التى خالط سوادَ شعرها البياضُ .

(٢) « وقال » .

(٣) فى « م » : « جمع الله – تعالى – لنا » .

(٤) سورة الأنفال ، الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) استوصَى قومٌ : طلبوا الوصية والنصيحة .

(٦) فى « م » : « أرادَها » .

(٧) فى « م » : « لِمَن اختُلِفَ عليه » .

(٨) الركينُ : الشديد الذى يُعْتَمَدُ عليه .

(٩) جثيًّا على الرُّكَب : جالسين .. وفى « م » : « جثَى » .. لا تصح .

(١٠) فى « م » : « خُرْص » بالصاد المهملة ، أى : كالجِرَاب الواقفة .. والأول أوْجَه .. ويتلمظون تَلَمُّظ الحيَّات : يُخرِجون ألسنتهم كالحيات ، وهى هنا كناية عن الغيظ والتحفُّز .

(١١) فى « م » : « واعلموا – أرشدكم الله » .

(١٢) فى « م » : « عِلَّة النصر والهزيمة » .

وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١] يَعْنِى : إِنْ تَنصُرُوا رَسُولَهُ وَدِينَهُ . وَأَمَّا الْفِرَارُ فَعِلَّتُهُ الْمَعَاصِى [٢] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَاكَسَبُوا ﴾[٣] أَىْ : بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ الَّذِى رَسَمَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤] رَتَّبَ الرُّمَاةَ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى ثُلْمَةِ الْجَبَلِ [٥] لِيَمْنَعُوا قُرَيْشًا أَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ كَمِينًا [٦] مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ ، فَانْهَزَمَ الْكُفَّارُ ، فَقَالَ الرُّمَاةُ : لا تَفُوتُنَا الْغَنَائِمُ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْغَنَائِمِ وَتَرَكُوا الْمَرْكَزَ الأَوَّلَ ، فَخَرَجَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ [٧] مِنْ هُنَاكَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَتْ مَقْتَلَةُ أُحُدٍ [٨] .

وَلْيُخْفِ قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَلامَةَ الَّتِى هُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، فَإِنَّ عَدُوَّهُ قَدْ يَسْتَعْلِمُ حِلْيَتَهُ [٩] وَأَلْوَانَ خَيْلِهِ وَرَايَتَهُ ، وَلَا يَلْزَمُ خَيْمَتَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلْيُبَدِّلْ زِيَّهُ ، وَيُغَيِّرْ خَيْمَتَهُ ، وَيُعَمِّى مَكَانَهُ [١٠] كَيْلَا يَلْتَمِسَ عَدُوُّهُ غِرَّتَهُ ، وَإِذَا سَكَنَتِ الْحَرْبُ فَلَا يَمْشِ فِى النَّفَرِ الْيَسِيرِ مِنْ قَوْمِهِ خَارِجَ عَسْكَرِهِ ، فَإِنَّ عُيُونَ عَدُوِّهِ قَدِ انْكَبَّتْ عَلَيْهِ [١١] . وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ جُيُوشَ إِفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ فَتْحِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَرْبَ سَكَنَتْ فِى وَسَطِ النَّهَارِ ، فَخَرَجَ مُقَدَّمُ الْعَدُوِّ يَمْشِى خَارِجَ الْعَسْكَرِ يَتَمَيَّزُ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ ،

---

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .

(٢) فى « م » : « فَمِنْ غَلَبَة المعاصى » .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٥ .

(٤) فى « م » : « عليه السلام » .

(٥) ثُلْمَة الجبل : حافته .

(٦) فى « م » : « أن يخرجوا كميناً » أى : كامنين مُتخفين .

(٧) فى « م » : « فخرجت المشركون » .

(٨) فى « م » : « فكانت قتلة أُحد » .. والمَقْتَلة : المعركة .

(٩) فى « م » : « قد استعلَمَ حيلته وألوان حِلْيته » أى : استخبر عن حيلته وعلامته وعرفهما .

(١٠) يُعَمِّى مكانه : يخفيه .

(١١) فى « م » : « فإن عيون عدوه قد أُذْكِيَتْ عليه » .. وعيون العدو : جواسيسه .. وأُذكيت : أُرسِلَتْ .

فَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّرحِ [١] وَهُوَ نَائِمٌ فِى قُبَّتِهِ ، فَخَرَجَ [٢] فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ رِجَالِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَقَتَلَ الْمَلِكَ ، وَكَانَ الْفَتْحُ .

وَلَمَّا عَبَرَ طَارِقٌ [٣] مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِيَفْتَتِحَهَا ، وَمُوسَى إِذْ ذَاكَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، خَرَجُوا فِى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَتَحَصَّنُوا فِى الْجَبَلِ الَّذِى يُسَمَّى الْيَوْمَ جَبَلَ طَارِقٍ ، وَهُمْ فِى أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَطَمِعَتِ الرُّومُ فِيهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَلَى الرُّومِ « تُدْمِيرُ » اسْتَخْلَفَهُ لُذَرِيقُ [٤] مَلِكُ الرُّومِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ

---

(١) فى « م » : « ابن السرح » خطأ . وهو : عبد الله بن سعد بن أبى السَّرح القُرَشِىُّ العامرىُّ ، من بنى عامر بن لؤى .. بطل من أبطال الصحابة وفاتح إفريقية ، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة ، أسلم قبل فتح مكة – وهو من أهلها – وكان مِنْ كُتَّاب الوحى للنبى ، ﷺ ، وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر .. وولى مصر سنة ٢٥ هـ بعد عمرو بن العاص ، فاستمر نحو ١٢ عاماً ، زحف فى خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علىٍّ ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبد الله بن الزبير ، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ، ودانت له إفريقية كلها ، وغزا الروم بحرًا وظفر بهم فى معركة ذات الصوارى سنة ٣٤ هـ ، وعاد إلى المشرق ، وبينما كان فى طريقه بين مصر والشام – علم بمقتل عثمان ، وأن عليًّا أرسل إلى مصر والياً آخر ، هو قيس بن سعد بن عبادة ، فتوجه إلى الشام قاصدًا معاوية ، واعتزل الحرب بينه وبين علىٍّ بصفِّين ، ومات بعسقلان فجأة سنة ٣٧ هـ وهو قائم يصلى . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٩ – ٢٦١ ، والمعارف ص ٣٠٠ ، ٣٠١] .

(٢) قوله : « فخرج » عن « ط » .

(٣) هو : طارق بن زياد ، الليثى بالولاء ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر ، وأسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله ، ولما تم لموسى فتح طنجة وَلَّى عليها طارقاً سنة ٨٩ هـ ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ . وقاد الجيش الذى أعده موسى من البربر لغزو الأندلس ، فنزل بهم البحر واستولى على جبل طارق ، وفتح حصن قرطاجنة ، وتغلغل فى أرض الأندلس بعد أن أحرق السفن التى جاء عليها بجيشه ، وحاربه الملك رذريق ، فقتله طارق ، وافتتح إشبيلية ، وأستجة ، وأرسل من استولى على قرطبة ومالقة ، ثم احتل طليطلة ، عاصمة الأندلس ، وتوجه شمالا واستولى على عدة مدن ، ثم عاد إلى طليطلة سنة ٩٣ هـ فالتقى بموسى بن نصير ، وكان قد حذَّره من التوغل فى الفتوح والمغامرة بمن معه ، فعاقبه بالعزل من القيادة ، ثم أعاده الوليد بن عبد الملك ، وأصلح ما بينه وبين موسى ، وعاد طارق إلى غزواته فصعد من طليطلة شرقاً إلى منابع نهر التاجة ، واستعان بموسى على فتح سرقسطة ، فافتتحها ، واحتل طُرطُوشة وبلنسية ، وشاطبة ، ودانية ، واستدعاه الوليد إلى الشام ، فقصدها مع موسى سنة ٩٦ هـ .. وأقوال المؤرخين مضطربة فى خاتمته .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٧ ، والمعارف ص ٥٧٠ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٣٨ ومابعدها ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها] .

(٤) فى « ط » : « لدريق » بالدال المهملة .. ولاسمه عدة صور أخرى ، منها « رودريك » و « رودريجو » =

إِلَى لُذَرِيقَ يُعْلِمُهُ أَنَّ قَوْمًا لا نَدْرِى أَمِنَ الأَرْضِ (١) أَمْ مِنَ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلُوا إِلَى بِلَادِنَا ، وَقَدْ لَقِيتُهُمْ ، فَانْهَضْ إِلَىَّ (٢) بِنَفْسِكَ .

فَأَتَاهُ لُذَرِيقُ فى تِسْعِينَ أَلْفَ عِنَانٍ (٣) ، وَلَقِيَهُمْ طَارِقٌ وَعَلَى خَيْلِهِ مُغِيثٌ الرُّومِىُّ (٤) مَوْلَى الْوَلِيدِ (٥) بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَرَأَى طَارِقٌ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ ، فَقَامَ فَحَضَّهُمْ (٦) عَلَى الصَّبْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ فى الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ فى آمَالِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الْمَفَرُّ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ مِنْكُمْ ، وَالنَّصْرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنَا فَاعِلٌ شَيْئًا فَافْعَلُوا كَفِعْلِى ، فَوَاللهِ لَأَقْصِدَنَّ طَاغِيَتَهُمْ ، فَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَإِمَّا أَنْ أُقْتَلَ دُونَهُ .

فَاسْتَوْثَقَ طَارِقٌ مِنْ خَيْلِهِ ، وَعَرَفَ حِلْيَةَ (٧) لُذَرِيقَ وَعَلَامَتَهُ وَخَيْمَتَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ

= Roderic والعرب تسميه « لُذريق » .. وهو آخر ملوك القوط الغربيين فى أسبانيا ، ولم يكن من أبناء الملوك ، ولا بصحيح النسب فى القوط ، وإنما نال المُلك عن طريق الغصب والتسوُّر ، وقد قُتل بعد معركة نهر وادى « بكة » بينه وبين طارق بن زياد .

[انظر الأعلام المصدر السابق ، ونفح الطيب ج ١ ص ١٣٩] .

(١) فى « م » : « مِنَ الأرض هُم .. » .

(٢) فى « م » : « إلينا » .

(٣) العِنان : سير اللجام الذى تُمسَك به الدَّابَّة ، والمراد هنا : الفارس .

(٤) قال المقرى : هو ليس برومى على الحقيقة ، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة ابن الأيهم الغسَّانى ، سُبِىَ من الروم بالمشرق وهو صغير ، فأدَّبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد ، وأنجب فى أولاده ، وصار منه « بنو مغيث » الذين نجبوا فى قرطبة وسادوا .. ونشأ مغيث بدمشق ، فأفصح بالعربية ، وقال الشعر ، وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجَّهَهُ عبد الملك إلى الأندلس غازيًا مع طارق بن زياد ، فقدمه طارق لفتح قرطبة فى سبعمائة فارس ، فافتتحها سنة ٩٢ هـ وأسر ملكها .. وتوفى نحو سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦ ، ونفح الطيب ج ٤ ص ١٢ ومابعدها] .

(٥) فى « ط » : « مَوْلًى للوليد » .

(٦) فى « م » : « فقام فخطبهم وحضَّهُم » .

(٧) فى « م » : « حيلة » .

مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى لُذَرِيق بَعْدَ قَتْلٍ ذَرِيعٍ فى الْعَدُوّ ، وَحَمَى اللهُ تَعَالَى (١) الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُم كَثِيرٌ (٢) ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَاحْتَزَّ طَارِقٌ رَأْسَ لُذَرِيق وَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُوسَى ، وَبَعَثَ بِهَا مُوسَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَارَ (٣) مُغِيثٌ إِلَى قُرْطَبَةَ ، وَسَارَ طَارِقٌ إِلَى طُلَيْطُلَةَ (٤) ، وَلَمْ يَكُنْ هَمُّهُ غَيْرَ الْمَائِدَةِ الَّتِى يَذْكُرُ (٥) أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِما السَّلَامُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ أُخْتِ لُذَرِيق الْمَائِدَةَ وَالتَّاجَ ، فَقُوِّمَتِ الْمَائِدَةُ بِمِائَتَىْ أَلْفٍ ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِى لَمْ يُرَ مِثْلُهَا .

وَبِهَذِهِ الْحِيلَةِ قَهَرَ أَلْبْ أَرْسِلَانُ (٦) مَلِكُ التُّرْكِ مَلِكَ الرُّومِ وَقَمَعَهُ (٧) ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ وَأَبَادَ جَمْعَهُ ، وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ جَمَعَتْ جُيُوشًا يَقِلُّ أَنْ يَجْتَمِعَ (٨) لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُهَا ، وَكَانَ مَبْلَغُ عَدَدِهِمْ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، كَتَائِبَ مُتَوَاصِلَةً ، وَعَسَاكِرَ مُتَرَادِفَةً ، وَكَرَادِيسَ (٩) يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا لا يُدْرِكُهُمُ الطَّرْفُ ، وَلَا يُحْصِيهِمُ الْعَدَدُ ، وَقَدِ

---

(١) « تعالى » عن « ط » .

(٢) فى « م » : « ولم يُقتل منهم كبير شىء » .

(٣) فى « م » : « وصار » فى الموضعين .

(٤) طُلَيْطُلة : مدينة فى أواسط أسبانيا ، قرب مدريد .

(٥) فى « ط » : « تذكر » .. وفى « م » : « لم يكن لهم هِمَّةٌ غير المائدة » بالجمع .

(٦) فى « م » و « ط » : « البارسلان » فى كل المواضع .. وهو : أبو شجاع ، الملقب عضد الدولة ، المُسَمَّى باللغة التركية « ألْب أرْسِلان » ومعناه : أسد شجاع ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .. وقد وُلِد ألب أرسلان سنة ٤٢١ هـ . وقد ملك بعد عمه طُغْرُلْبك .. وكان عمه قد أوصى لأخيه داود ، ولكنه تغلب عليه ، فاستولى على الممالك ، وعظمت هيبته . وهو من ملوك الدولة السلجوقية .. وقد قُتل سنة ٤٦٥ هـ وهو فى الرابعة والأربعين من عمره .

[انظر إيران والعراق فى العصر السلجوقى ، الفصل الرابع ص ٥٣ ، وإعجام الأعلام ص ٦٦ ، ٦٧] .

(٧) فى « م » : « وقبضه » .

(٨) فى « ط » : « يُجمع » .

(٩) قوله : « كراديس » عن « ط » ، وهو جمع كُرْدوسَة ، وتُطلق على الطائفة العظيمة من الخيل والجيش .

اسْتَعَدُّوا مِنَ الْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ وَالْمَجَانِيقِ [١] وَالآلاتِ الْمُعَدَّةِ لِفَتْحِ الْحُصُونِ [٢] فى الْحَرْبِ بِمَا لا يُحْصَى [٣] ، وَكَانُوا قَدْ قَسَّمُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ : الشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَالْعِرَاقَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَدِيَارَ بَكْرٍ ، وَلَمْ يَشُكُّوا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ [٤] دَارَتْ لَهُمْ ، وَأَنَّ نُجُومَ السُّعُودِ [٥] قَدْ خَدَمَتْهُمْ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَوَاتَرَتْ أَخْبَارُهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاضْطَرَبَتْ لَهَا مَمَالِكُ الإِسْلَامِ ، فَاحْتَشَدَ لِلِقَائِهِمْ أَلْبُ أَرْسِلَانَ التُّرْكِيُّ ، وَهُوَ الَّذِى يُسَمَّى الْمَلِكَ الْعَادِلَ ، وَجَمَعَ جُمُوعَهُ بِمَدِينَةِ أُصْبَهَانَ [٦] ، وَاسْتَعَدَّ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَؤُمُّهُمْ ، فَلَمْ يَزَلِ الْعَسْكَرَانِ يَتَدَانَيَانِ إِلَى أَنْ عَادَتْ طَلَائِعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ [٧] وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِلَان : غَدًا يَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، فَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَالرُّومُ [٨] فى عَدَدٍ لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا الَّذِى خَلَقَهُمْ ، وَمَا الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ [٩] إِلَّا أَكْلَةَ جَائِعٍ ، فَبَقِىَ الْمُسْلِمُونَ وَاجِمِينَ لِمَا دَهَاهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَبَاحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَهَالَ الْمُسْلِمِينَ مَا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ [١٠] وَقُوَّتِهِمْ وَآلاتِهِمْ ، فَأَمَرَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ أَنْ يُعَدَّ [١١] الْمُسْلِمُونَ ، فَبَلَغُوا اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ تُرْكِيٍّ ، وَإِذَا هُمْ

---

(١) فى « م » : « والمناجيق » . تحريف ، والأول هو الصواب .

(٢) فى « م » : « وآلات العُدّة وفتح الحصون » .

(٣) قوله : « بما لا يُحصَى » عن « ط » .

(٤) « قد » عن « ط » .

(٥) نجوم السُّعود : عدة كواكب يُقال لكل واحد منها : سَعْدُ كذا ، ومنها سعد السعود .

(٦) فى « م » : « أصفهان » وكلاهما صواب

(٧) فى « م » : « فلم يزل العساكر تتواصل إلى أن تدانت العسكران ، فعادت طلائع المسلمين للمسلمين » .

(٨) فى « م » : « والقَوْم » .

(٩) فى « م » : « ومالهم فى المسلمين » .

(١٠) فى « م » : « من كثرة القوم » .

(١١) فى « م » : « يحتدّ » .

مِنْهُمْ كالرَّقْمَةِ فى ذِرَاعِ الْحِمَارِ [١] ، فَجَمَعَ ذَوِى الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالتَّدْبِيرِ والشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرِ فى الْعَوَاقِبِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ [٢] فى اسْتِخْلَاصِ صَوَابِ الرَّأْيِ ، فَتَشَاوَرُوا بُرْهَةً ، ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى اللِّقَاءِ ، فَتَوَادَعَ الْقَوْمُ وَتَحَالَفُوا [٣] وَنَاصَحُوا الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ تَأَهَّبُوا أُهْبَةَ اللِّقَاء [٤] وَقَالُوا لِأَلْب أَرْسِلَانَ : نُسَمِّى الله تَعَالَى [٥] وَنَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ أَلْبُ أَرْسِلانَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الإِسْلَامِ ، أَمْهِلُوا [٦] فَإِنَّ هَذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْطُبُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَيَدْعُونَ لَنَا فى شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَفَاءَتِ الأَفْيَاءُ [٧] وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَلُّوا وَدَعَوْا لَنَا وَصَلَّيْنَا نَحْنُ عَمِلْنَا أَمْرَنَا .

فَصَبَرُوا إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلُّوا [٨] وَدَعَوُا الله تَعَالَى أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ ، وَأَنْ يَرْبطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَأَنْ يُوهِنَ عَدُوَّهُمْ ، وَأَنْ يُلْقِىَ فى قُلُوبِهُمُ الرُّعْبَ . وكَانَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ قَدِ اسْتَوْثَقَ مِنْ خَيْمَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَعَلَامَتِهِ وَفَرَسِهِ وَزِيِّه ، ثُمَّ قَالَ لِرَجْلِهِ [٩] : لا يَتَخَلَّفْ أَحَدُكُمْ [١٠] أَنْ يَفْعَلَ كَفِعْلِي ، وَيَضْرِبَ بِسَيْفِه [١١]

---

(١) الرَّقْمَة ، بضم الراء المشددة وفتحها : هَنَةٌ ناتئة تشبه الظُّفر فى ذراع الدَّابَّة ، أو هى نقطة سوداء كالدرهم .

(٢) فى « م » : « فاستشارهم » .

(٣) فى « م » : « وتحالَّوا » أى : سأل كل واحدٍ منهم رفيقه أن يُحَلِّلَهُ من التَّبِعات التى عليه ، وأن يُحِلَّه منها .. وتوادَعَ القوم : تصالحوا أو تهادنوا .

(٤) فى « م » : « تأهبوا للقاء » .

(٥) « تعالى » عن « م » .

(٦) أمهلوا : لا تتعجلوا واتئدوا .

(٧) فاءَتِ الأفْياء : رجعت الظِّلال بعد الزوال .

(٨) فى « م » : « وصلُّوا » .

(٩) فى « م » : « لرجاله » وهما بمعنى واحد .

(١٠) فى « م » : « أحد منكم » .

(١١) فى « م » : « بسيفى » تحريف .

وَيَرمِى بِسَهْمِه حَيْثُ أَضْرِبُ بِسَيْفِى وَأَرْمِى بِسَهْمِى ، ثُمَّ حَمَلَ [١] جَمِيعُهُمْ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَةِ [٢] مَلِكِ الرُّومِ ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ دُونَهَا ، فَخَلَصُوا إِلَيْهِ ، وَقُتِلَ مَنْ حَوْلَهُ ، وَأُسِرَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَجَعَلُوا يُنَادُونَ بِلِسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ الْمَلِكُ ، قُتِلَ الْمَلِك [٣] ، فَسَمِعَتِ الرُّومُ أَنَّ مَلِكَهُمْ قَدْ قُتِلَ ، فَتَبَدَّدُوا وَتَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ ، وَعَمِلَ السَّيْفُ فِيهِمْ أَيَّامًا ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَغَنَائِمَهُمْ ، وَاسْتُحْضِرَ مَلِكُ الرُّومِ بَيْنَ يَدَىْ أَلْبِ أَرْسِلَان بِحَبْلٍ فى عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَلْبُ أَرْسِلَان : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِى لَوْ أَخَذْتَنِى [٤] ؟ قَالَ : فَهَلْ تَشُكُّ أَنِّى كُنْتُ أَقْتُلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَلْبُ أَرْسِلَانَ : أَنْتَ أَقَلُّ فى عَيْنِى مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ ، اذْهَبُوا بِهِ وَبِيعُوهُ [٥] فِيمَنْ يَزِيدُ ، فَكَانَ يُقَادُ بِالْحَبْلِ فى عُنُقِهِ وَيُنَادَى عَلَيْهِ : مَنْ يَشْتَرِى مَلِكَ الرُّومِ ؟ وَمَازَالُوا كَذَلِكَ يَطُوفُونَ بِهِ عَلَى الْخِيَامِ وَمَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ [٦] وَيُنَادَى عَلَيْهِ بِالدَّرَاهِمِ وَالْفُلُوسِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ [٧] فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، حَتَّى بَاعُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ بِكَلْبٍ ، فَأَخَذَ الَّذِى كَانَ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْكَلْبَ وَالْمَلِكَ ، وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، وَقَالَ : قَدْ طُفْتُ جَمِيعَ الْعَسْكَرِ وَنَادَيْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْذُلْ فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ دَفَعَ لِى فِيهِ كَلْبًا . قَالَ : قَدْ أَنْصَفَ [٨] ، لأَنَّ الْكَلْبَ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَاقْبِضِ الْكَلْبَ وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلْبَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِهِ ، فَذَهَبَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَعَزَلَتْهُ الرُّومُ وَكَحَلَتْهُ [٩] بِالنَّارِ . فَانْظُرْ مَاذَا يَتَأَتَّى عَلَى الْمُلُوكِ إِذَا عَرَفُوا فى الْحُرُوبِ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْقَصْدِ فى الْمَكِيدَةِ [١٠] ! .

---

(١) فى « م » : « وحَمَلَ » .
(٢) فى « م » : « إلى خيمة الملك » .
(٣) فى « ط » : « قُتِلَ الملك » لم تتكرر .
(٤) فى « م » : « لو أخذتنى بحبل فى عُنُقى » .
(٥) فى « م » : « فبيعوه » .
(٦) فى « م » : « ومنابر المسلمين » .
(٧) فى « م » : « ولم يدفع » وسقطت « أحد » منها سهواً من الناسخ .
(٨) فى « م » : « قد أنصفك » .
(٩) فى « م » : « وكحلوه » .
(١٠) فى « م » : « بالمكيدة » .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُدَمَاءَ قَالُوا : الْكَثْرَةُ لِلرُّعْبِ ، وَالْقِلَّةُ لِلنَّصْرِ . وَقَدْ قَالَ (١) تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (٢) ، فَالْكَثْرَةُ أَبَدًا يَصْحَبُهَا (٣) الإِعْجَابُ ، وَمَعَ الأَعْجَابِ الْهَلَاكُ . وَخَيْرُ الأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ ، وَلَنْ يُغْلَبَ جَيْشٌ يَبْلُغُ (٤) اثْنَى عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ .

فَأَمَّا صِفَةُ اللِّقَاءِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ تَرْتِيبٍ رَأَيْنَاهُ (٥) فى بِلَادِنَا ، وَهُوَ أَرْجَى تَدْبِيرٍ نَفْعَلُهُ فى لِقَاءِ عَدُوِّنَا ، [فَهُوَ] (٦) أَنْ نُقَدِّمَ الرَّجَّالَةَ بِالدَّرَقِ الْكَامِلَةِ ، وَالرِّمَاحِ الطِّوَالِ ، وَالْمَزَارِيقِ (٧) الْمَسْنُونَةِ النَّافِذَةِ ، فَيَصُفُّوا صُفُوفَهُمْ ، وَيَرْكُزُوا مَرَاكِزَهُمْ ، وَرِمَاحُهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ فى الأَرْضِ ، وَصُدُورُهُمْ شَارِعَةٌ (٨) إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَهُمْ جَاثِمُونَ فى الأَرْضِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْقَمَ الأَرْضَ رُكْبَتَهُ (٩) الْيُسْرَى ، وَتُرْسُهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُم الرُّمَاةُ الْمُخْتَارُونَ الَّذِينَ (١٠) تَمْرُقُ سِهَامُهُمْ مِنَ الدُّرُوعِ (١١) ، وَالخَيْلُ خَلْفَ الرُّمَاةِ ، فَإِذَا حَمَلَتِ الرُّومُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَزَحْزَحِ الرَّجَّالَةُ عَنْ هَيْآتِهِمِ (١٢) ، وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ مِنْهُمْ (١٣) عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَإِذَا قَرُبَ الْعَدُوُّ

---

(١) فى « م » : « قال الله » .
(٢) سورة التوبة ، من الآية ٢٥ .
(٣) فى « م » : « يتبعها » .
(٤) فى « م » : « ولن يُؤْتَى جيش إذا اجتمع .. » أى : لن يُغْلَبَ .
(٥) فى « م » : « رأينا » .
(٦) مابين المعقوفتين زيادة من عندنا .
(٧) فى « م » : « والمزارق » وكلاهما جمع مِزْرَاق ، وهو : الرمح القصير .. والدَّرَقُ : جمع دَرَقة ، وهى الترس يُتَوَقَّى به .. والرَّجَّالة : الذين يقاتلون مُتَرَجِّلين .
(٨) فى « م » : « وصدورها شارعة » أى : مُتجهة ومسددة .
(٩) أَلْقَمَ الأرض رُكْبته ، أى : وضع وثَبَّتَ رُكبَتَهُ عليها .
(١٠) فى « م » و « ط » : « التى » .
(١١) تَمْرُقُ سهامهم : تنطلق فى سرعة .. وفى « م » : « تمزق سهامهم الدروع » .
(١٢) فى « م » و « ط » : « هَيْآتها » .
(١٣) فى « م » : « ولا قام منهم رجل » .

رَشَقَهُمُ الرُّمَاةُ بِالنُّشَّابِ (١) ، وَالرَّجَّالَةُ بِالْمَزَارِيقِ ، وَصُدُورُ الرِّمَاحِ تَلْقَاهُمْ ، فَأُخِذُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، فَتَخْرُجُ (٢) خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الرُّمَاةِ وَالرَّجَّالَةِ فَتَنَالُ (٣) مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ .

وَلَقَدْ حَدَّثَنِى مَنْ حَضَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِى بَلَدِى « طُرْطُوشَةَ » قَالَ : صَافَفَتِ (٤) الرُّومُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا ، فَبَيْنَا (٥) رَجُلٌ مِنَّا كَانَ فِى آخِرِ الصَّفِّ فَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عِلْجٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَصَابَ غُرَّتَهُ فَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا بَرَزَ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ بْنُ هَودٍ (٦) مَلِكُ الأَنْدَلُسِ مِنْ سَرَقُسْطَةَ فِى ثُغُورِ بِلاَدِ الأَنْدَلُسِ لِلِقَاءِ الطَّاغِيَةِ رُذْمِيلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدِ احْتَشَدَ بِمَا فِى مَيْسُورِهِ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ ، ثُمَّ تَنَازَلُوا لِلْقِتَالِ وَتَصَافَفُوا ، وَدَامَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ صَدْرًا كَبِيرًا (٧) مِنَ النَّهَارِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِى خُسْرَانٍ ، فَأَفْزَعَ الْمُقْتَدِرَ ذَلِكَ ، وَفَرِقَ الْمُسْلِمُونَ (٨) مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَدَعَا الْمُقْتَدِرُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ فِى الثُّغُورِ أَعْرَفُ بِالْحَرْبِ مِنْهُ (٩) يُسَمَّى سَعْدَارَةَ (١٠) ، فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ : كَيْفَ تَرَى فِى هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ سَعْدَارَةُ : هَذَا يَوْمٌ أَسْوَدُ ، وَلَكِنْ قَدْ بَقِيَتْ لِى حِيلَةٌ ،

---

(١) النُّشَّاب : النَّبل .

(٢) فى « ط » : « فيخرجُ » .

(٣) فى « م » : « فينالون » .

(٤) فى « م » : « صافقنا » أى : قاتلنا صفوفاً .

(٥) فى « م » : « فبيننا » .

(٦) هو : أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، الملقب بالمقتدر بالله ، من ملوك الطوائف بالأندلس ، وهو ثانى ملوك آل هود ، وفى أيامه اقتحم الروم مدينة « بشتر » وارتكبوا فيها فظائع ، فزحف عليهم بجيش ضخم ، فقتل منهم نحو ألف فارس ، وخمسة آلاف راجل سنة ٤٥٧ هـ ومحا أثرهم .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٣٢] .

(٧) فى « م » : « كثيرًا » .

(٨) فَرِقَ المسلمون : جزعوا واشتد خوفهم .

(٩) فى « م » : « أعرف منه بالحرب » .

(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « سعدادة » فى كل المواضع ، ولم أقف عليه .

فَذَهَبَ سَعْدَارَةُ ، زِيُّهُ زِيُّ الرُّومِ ، وَكَلَامُهُ كَلَامُهُمْ ، لِمُجَاوَرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ مُخَالَطَتِهِمْ ، فَانْغَمَسَ فِي عَسْكَرِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ صَعِدَ (١) إِلَى الطَّاغِيَةِ رُذْمِيلَ ، فَأَلْفَاهُ شَاكًّا فِي السِّلَاحِ (٢) ، مُكَفَّنًا فِي الْحَدِيدِ ، لا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَتَخَيَّلُهُ (٣) وَيَتَرَصَّدُ غِرَّتَهُ إِلَى إِنْ أَمْكَنَتْهُ الْفُرْصَةُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ (٤) فِي عَيْنِهِ ، فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ (٥) وَالْفَمِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُنَادِي بِلِسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ السُّلْطَانُ يَامَعْشَرَ الرُّومِ ، فَشَاعَ قَتْلُهُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَتَخَاذَلُوا وَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ ، وَكَانَ (٦) الْفَتْحُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى (٧) .

وَلَمَّا اسْتَضْعَفَ الرُّومُ صِقِلِّيَةَ وَضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، وَيَحْمِلُونَ الأَمْوَالَ إِلَى الْعَرَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَيَسْتَنْجِدُونَ بِهِمْ عَلَى الرُّومِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ يَا أَهْلَ صِقِلِّيَةَ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ زَوْجَتَانِ : عَجُوزٌ وَصَبِيَّةٌ ، فَكَانَ إِذَا بَاتَ عِنْدَ الصَّبِيَّةِ تَلْقُطُ الشَّيْبَ (٨) مِنْ لِحْيَتِهِ لِتُصَبِّيَهُ فَيَزْهَدَ فِي الْعَجُوزِ (٩) ، وَإِذَا بَاتَ عِنْدَ الْعَجُوزِ ، تَلْقُطُ (١٠) الشَّعْرَ الأَسْوَدَ مِنْ لِحْيَتِهِ لِتُشَيِّخَهُ (١١) فَتَزْهَدَ الصَّبِيَّةُ فِيهِ ، فَيُوشِكُ إِنْ دَامَ هَذَا بِهِ أَنْ يُصْبِحَ أَطْلَسَ (١٢) ، كَذَلِكَ حَالُكُمْ

---

(١) فى « م » : « ثم قصد » .

(٢) فألفاه شاكًّا فى السلاح : وجده مُرتدياً زى الحرب بكامل هيئته وسلاحه .

(٣) فى « م » : « فجعل يترصده » .

(٤) فى « ط » : « فطعنه » . والغِرَّة : الغفلة .

(٥) فى « م » : « للعين » .

(٦) فى « م » : « فكان » .

(٧) « تعالى » عن « ط » .

(٨) تلقُط الشيب : تستأصل الشعيرات البيضاء بالمِلْقاط .

(٩) « فيزهد فى العجوز » عن « ط » ولم ترد فى « م » .. ومعنى لتُصبيه ، أى : لتجعله يبدو فى الأعين أصغر من سِنّه .

(١٠) فى « ط » : « تلتقط » .

(١١) لتُشيخه : لتجعله يبدو مُسِنًّا .

(١٢) أطلس ، أى : فى لونه غُبْرَةٌ إلى سوادٍ .

مَعِى وَمَعَ الْعَرَبِ ، إِذَا أَدَّيْتُمْ المَالَ [١] لِى وَلَهُمْ يُوشِكُ أَنْ تَنفَدَ أَمْوَالُكُمْ فَتَبْقَوا فُقَرَاءَ ضُعَفَاءَ ، فَأَتَسَلَّمُكُمْ وَأَتَسَلَّمُ البِلَادَ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِحِصَارِ صِقِلِّيَّةَ أَمَرَ أَنْ يُبْسَطَ بِسَاطٌ فى الْأَرْضِ ، ثُمَّ جَعَلَ فى وَسَطِهِ دِينَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِوُجُوهِ رِجَالِهِ : مَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ هَذَا الدِّينَارَ [٢] وَلَمْ يَطَإِ البِسَاطَ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، فَوَقَفُوا [٣] حَوْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ ذَلِكَ طَوَى نَاحِيَةً مِنَ البِسَاطِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ [٤] أَنْ يَطْوِىَ مِمَّا يَلِيهِ ، حَتَّى طَوَى البِسَاطَ ، فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فَلَحِقُوا الدِّينَارَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ : إِذَا أَرَدْتُمْ مَدِينَةَ صِقِلِّيَّةَ خُذُوا مَاحَوْلَهَا مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ الصِّغَارِ ، وَالضِّيَاعِ وَالْقُرَى [٥] ، حَتَّى إِذَا ضَعُفَتْ أَخَذْتُمُوهَا .

وَكَانَ بِسَرَقُسْطَةَ فَارِسٌ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ فَتْحُونَ ، وَكَانَ يُنَاسِبُنِى [٦] فَيَقَعُ خَالَ وَالِدَتِى ، وَكَانَ أَشْجَعَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ أَبُو الْمُقْتَدِرِ يَرَى لَهُ ذَلِكَ وَيُعَظِّمُهُ ، وَكَانَ يُجْرِى عَلَيْهِ [٧] فى كُلِّ عَطِيَّةٍ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِأَسْرِهَا قَدْ عَرَفَتْ مَكَانَهُ ، وَهَابَتْ لِقَاءَهُ ، فَيُحْكَى أَنَّ الرُّومِىَّ إِذَا سَقَى فَرَسَهُ فَلَمْ يَشْرَبْ يَقُولُ لَهُ : اشْرَبْ ، هَلِ [٨] ابْنَ فَتْحُونَ رَأَيْتَ فى الْمَاءِ ؟ فَحَسَدَهُ نُظَرَاؤُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَأَوْغَرُوا بِهِ صَدْرَ الْمُسْتَعِينِ [٩] ، فَمَنَعَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ إِنَّ

---

(١) فى « م » : « الأموال » .
(٢) فى « م » : « هذه الدنانير » .
(٣) فى « م » : « فوقفنا » .
(٤) فى « م » : « كل واحد منهم » .
(٥) فى « م » : « من الحصون والمدن والقرى الصغار والضياع » .. الضياع : الأراضى المُغِلَّة ، جمع ضيعة .
(٦) يُناسبنى : يشاركنى فى النسب والقرابة .
(٧) يجرى عليه : يديم العطاء له .. وفى « م » : « يجزى له » .
(٨) فى « م » : « أو » مكان « هل » .
(٩) أى : ملئوه غيظاً وحقدًا .

الْمُسْتَعِينَ أَنْشَأَ غَزْوَةً إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَتَوَاقَفَتِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ صُفُوفًا ، ثُمَّ بَرَزَ عِلْجٌ إِلَى وَسَطِ الْمَيْدَانِ يُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، وَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا ، وَانْكَسَرَتْ نُفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ الرُّومِيُّ يَكُرُّ [١] بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَيُنَادِي : هَلْ مِنَ اثْنَيْنِ لِوَاحِدٍ [٢] ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، فَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا وَانْكَسَرَتْ نُفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَيُنَادِي وَيَقُولُ : ثَلَاثَةٌ لِوَاحِدٍ ؟ فَلَمْ يَسْتَجْرِئْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ ، فَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ : مَالَهَا إِلَّا أَبُو الْوَلِيدِ [٣] بْنُ فَتْحُونٍ ، فَدَعَاهُ وَتَلَطَّفَ بِهِ [٤] وَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ [٥] ؟ فَقَالَ : هُوَ بِعَيْنِي ! قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ فَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : فَمَاذَا تُرِيدُ [٦] ؟ فَقَالَ : اكْفِ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . فَقَالَ [٧] : السَّاعَةَ يَكُونُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى [٨] .

فَلَبِسَ قَمِيصَ كَتَّانٍ وَاسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ [٩] سَرْجِهِ بِلَا سِلَاحٍ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ سَوْطًا طَوِيلَ الطَّرَفِ ، وَفِي طَرَفِهِ عُقْدَةٌ [١٠] مَعْقُودَةٌ ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ [١١] مِنْهُ النَّصْرَانِيُّ ، ثُمَّ حَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَلَمْ تُخْطِ طَعْنَةُ النَّصْرَانِيِّ سَرْجَ

---

(١) فى « م » : « يكرُّ ويفرُّ » .

(٢) من قوله : « هل من اثنين » إلى قوله : « وينادى ويقول : ثلاثة » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) فى « م » : « إلّا الوليد » سقطت « أبو » سهوًا من الناسخ .

(٤) فى « م » : « واستلطفه » .

(٥) فى « م » : « أما ترى هذا العلج مايصنع منذ اليوم ؟ » .

(٦) فى « م » : « فماذا ترى » .

(٧) فى « م » : « قال » .

(٨) فى « م » : « الساعة يكون إن شاء الله » .

(٩) قوله : « ظَهر » عن « م » .

(١٠) فى « م » : « عُقَد » .

(١١) فى « ط » : « فعجب » .

ابنِ فَتحُونٍ ، وَإِذَا ابنُ فَتحُونٍ مُتَعَلِّقٌ بِرَقَبَةِ الْفَرَسِ ، وَنَزَلَ [١] إِلَى الأَرْضِ لا شَيْءَ مِنْهُ فى السَّرْجِ ، ثُمَّ طَفَرَ [٢] عَلَى سَرْجِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ فى عُنُقِهِ ، فَالْتَوَى عَلَى عُنُقِهِ ، فَجَذَبَهُ [٣] بِيَدِهِ مِنَ السَّرْجِ فَاقْتَلَعَهُ مِنْ سَرْجِهِ وَجَاءَ بِهِ يَجُرُّهُ ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُسْتَعِينِ ، فَعَلِمَ الْمُسْتَعِينُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فى صَنْعِهِ مَعَهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ .

أَيُّهَا الأَجْنَادُ ، أَقِلُّوا الْخِلَافَ عَلَى الأُمَرَاءِ ، فَلَا ظَفَرَ مَعَ اخْتِلَافٍ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنِ اخْتُلِفَ عَلَيْهِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [٤] . وَأَوَّلُ الظَّفَرِ الاجْتِمَاعُ ، وَأَوَّلُ الْخِذْلَانِ [٥] الافْتِرَاقُ ، وَعِمَادُ الْجَمَاعَةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَإِنَّمَا أُتِىَ [٦] عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ [٧] يَوْمَ صِفِّينَ مِنَ الْعِصْيَانِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَضَعْضَعَتْ صُفُوفُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَحَسَّ [٨] بِالشَّرِّ وَأَنَّهُ مَغْلُوبٌ ، فَقَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : اذْهَبْ فَخُذْ لَنَا الأَمَانَ مِنِ ابْنِ عَمِّكَ ، يَعْنِى عَلِياً ، فَأَدَارَ عَمْرٌو الْحِيلَةَ ، فَأَمَرَهُمْ [٩] أَنْ يَرْفَعُوا الْمَصَاحِفَ فى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَيُنَادُونَ : نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ كَفُّوا عَنِ الْحَرْبِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : أَىْ قَوْمِ ، هَذِهِ مَكِيدَةٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ فى الْقَوْمِ دِفَاعٌ . فَعَصَوْهُ وَتَرَكُوا الْقِتَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْحَكَمَيْنِ .

---

(١) فى « م » : « أو نزل » .
(٢) طَفَر : قفز .
(٣) فى « م » : « فأخذ » .
(٤) سورة الأنفال : من الآية ٤٦ .
(٥) الخذلان : عدم النُّصرة والانهزام .
(٦) أُتِىَ الجيش ونحوه : دهمه العدو .
(٧) « رضى الله عنه ، من العصيان » عن « ط » .
(٨) فى « م » : « وأحس » .
(٩) فى « م » : « وأمرهم » .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَحْزَمِ مَكَايِدِ الْحَرْبِ إِذْكَاءَ الْعُيُونِ [١] ، وَاسْتِطْلَاعَ الأَخْبَارِ ، وَإِفْشَاءَ الْغَلَبَةِ ، وَإِظْهَارَ السُّرُورِ ، وَإِبَانَةَ الْحَذَرِ ، وَالاحْتِرَاسَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَنْ لا تُخْرِجَ هَارِبًا إِلَى قِتَالٍ ، وَلَا تُضَيِّقَ أَمَانًا عَلَى مُسْتَأْمِنٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ : كَثْرَةُ التَّكْبِيرِ [٢] عِنْدَ اللِّقَاءِ فَشَلٌ . غُضُّوا الأَصْوَاتَ ، وَتَجَلْبَبُوا [٣] السَّكِينَةَ ، وَأَكْمِلُوا الْوِئَامَ [٤] ، وَاحْتَمُوا الْجُبْنَ [٥] ، وَادَّرِعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .. اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْجَبَانَ وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .. اللَّيْلُ الْمَدَدُ الأَعْظَمُ .

الْحَازِمُ يَحْذَرُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ : الْمُوَاثَبَةُ إِنْ قَرُبَ ، وَالْغَارَةُ إِنْ بَعُدَ ، وَالْكَمِينُ إِنِ انْكَشَفَ ، وَالِاسْتِطْرَادُ إِذَا وَلَّى .. الْجَهْلُ قُوَّةُ الْجُرْأَةِ .. مَنِ اعْتَزَّ [٦] بِقُوَّتِهِ فَقَدْ وَهَنَ .. لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ التَّوَرُّطُ فى الْهُوَّةِ [٧] ، لَكِنْ أَشَدُّ ما كُنْتَ حَذِرًا مَاكُنْتَ عِنْدَ نَفْسِكَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعَدَدًا .. مَنِ اسْتَضْعَفَ عَدُوَّهُ اغْتَرَّ ، وَمَنِ اغْتَرَّ ظَفِرَ بِهِ عَدُوُّهُ .. أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ فى الْحَرْبِ [٨] الْجُرْأَةَ ، فَإِنَّهَا سَبَبُ الظَّفَرِ ، وَاذْكُرُوا الضَّغَائِنَ ، فَإِنَّهَا تَبْعَثُ [٩] عَلَى الإِقْدَامِ ، وَالْتَزِمُوا الطَّاعَةَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الْمُحَارِبِ .

---

(١) إذكاء العيون : إرسال الجواسيس .. وفى « ط » : « ذكاء العيون » والأول أوجه .. وفى « م » : بعدها : « واستصلاح » مكان « استطلاع » تحريف .

(٢) فى « م » : « كثرة التقبيل » .

(٣) تجلببوا : تزيّوا .. وفى « م » : « وتجلّبوا » . والأول أوجه .

(٤) الوئام : الوفاق .. وفى « م » : « اللوام » أى : الحاجة .

(٥) واحتموا الجُبْن ، أى : تجنبوه واتقوه .. وفى « م » : « الجُنَنَ » . ولعله أراد الاحتماء بها ، حيث إنها جمع جُنَّة ، وهى كل ماوَقى من سلاح وغيره .. وقد مرت .

(٦) فى « م » : « اغترّ » .

(٧) فى « م » : « القوة » .. مكررة .

(٨) « الحرب » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٩) « تبعث » عن « ط » .

إِذَا وَقَعَ اللِّقَاءُ بَرَزَ الْقَضَاءُ .. إِذَا لَقِيَ السَّيْفُ السَّيْفَ زَالَ الْخِيَارُ (١) .. رُبَّ مَكِيدَةٍ أَبْلَغُ مِنْ نَجْدَةٍ .. رُبَّ (٢) كَلِمَةٍ هَزَمَتْ عَسْكَرًا .. الصَّبْرُ سَبَبُ النَّصْرِ .. الظَّفَرُ مَعَ الصَّبْرِ .. اجْعَلْ قِتَالَ عَدُوِّكَ آخِرَ حِيَلِكَ .. النَّصْرُ مَعَ التَّدْبِيرِ .. لا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالأَقْوِيَاءِ لِفَضْلِ قُوَّتِهِمْ (٣) عَلَى الضُّعَفَاءِ .. لا تَجْبُنُوا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا تُمَثِّلُوا (٤) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ ، وَلَا تَغُلُّوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ ، وَنَزِّهُوا (٥) الْجِهَادَ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

* * *

(١) سقطت كلمة « السيف » الثانية من « م » .. والخيار : المخايرة والمفاضلة بين الأشياء .

(٢) فى « م » : « ورُبَّ » .

(٣) فى « م » : « قُوَّتك » .

(٤) لا تمثلوا : لاتنكلوا وتبالغوا فى العقوبة .. وفى « ط » : « لا تميلوا » أى : لا تظلموا .

(٥) لا تَغُلُّوا : لا تخونوا .. وفى « ط » : « نَزِّهُوا » بدون الواو ، أى : صونوا .

البَابُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ
فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالطَّلَبِ

اعْلَمْ – وَفَّقَكَ اللهُ تَعَالَى – أَنَّ مَذَاهِبَ الْخَلْقِ (١) فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَخَلْقِ الأَفْعَالِ وَإِرَادَةِ الْكَائِنَاتِ مُنْتَشِرَةٌ (٢) ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ (٣) ، وَحُكْمُهُ حَادِثٌ ، فَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ تَبَايَنَ الْخَلْقُ فِيهِ وَتَشَتَّتَتْ مَذَاهِبُهُمْ ، وَتَقَاطَعُوا فِيهِ وَتَدَابَرُوا ، وَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَلَمْ نَضَعْ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ لاسْتِيفَاءِ مَاقَالُوا وَالِاحْتِجَاجِ لِكُلِّ فَرِيقٍ ، لأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مُجَلَّدَاتٍ وَأَسْفَارًا ، وَإِنَّمَا نَذْكُرُ فِي هذا الْكِتَابِ أَحْكَامًا ظَاهِرَةً قَرِيبَةً مِنَ الْعُقُولِ لِتُقَرِّبَ (٤) الْفَائِدَةَ عَلَى النَّاظِرِ فِيهِ .

فَاعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ ، مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَنَفْعٍ وَضُرٍّ ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ (٥) ، وَكَذَلِكَ لا (٦) يَطِيرُ

---

(١) فى « م » : « مذهب أهل الحق » .
(٢) فى « م » : « متيسر » .
(٣) « وقَدَره » عن « ط » .
(٤) فى « م » : « لتقريب » .
(٥) « بقضاء وقَدَرٍ » عن « ط » .
(٦) فى « م » : « فلا » .

طَائِرٌ بِجَنَاحَيْهِ ، وَلَا يَدِبُّ حَيَوَانٌ عَلَى بَطْنِهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلَا تَطِيرُ بَعُوضَةٌ وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، كَمَا لا يَجْرِى شَىْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ وَالطَّلَبَ لا يَتَنَافَيَانِ ، وَالتَّوَكُّلَ وَالْكَسْبَ لا يَتَضَادَّانِ ، وَذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَاقَضَى اللهُ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ فَهُوَ كَائِنٌ لا مَحَالَةَ ، كَمَا أَنَّ مَاعَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَكُونُ فَهُوَ كَائِنٌ ، وَمَنْ خَالَفَنَا فِى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِى الْعِلْمِ ، فَرُبَّ أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى وُصُولَهُ إِلَيْكَ بِغَيْرِ طَلَبٍ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ [١] ، وَرُبَّ أَمْرٍ قَدَّرَ وُصُولَهُ إِلَيْكَ بَعْدَ الطَّلَبِ فَلَا يَصِلُ إِلَّا بِالطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الأَمْرِ [٢] الْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ الطَّلَبِ فِى أَنَّهُمَا مَقْدُورَانِ ، فَمِنْ هَاهُنَا قُلْنَا إِنَّهُمَا لا يَتَنَافَيَانِ ، وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ مَعَ الْكَسْبِ ، لِأَنَّ التَّوَكُّلَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَالكَسْبَ مَحَلُّهُ الجَوَارِحُ ، وَلَا [٣] يَتَضَادُّ شَيْئَانِ فِى مَحَلَّيْنِ بَعْدَمَا يَتَحَقَّقُ العَبْدُ أَنَّ الْمَقْدُورَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى ، فَإِنْ تَعَسَّرَ شَىْءٌ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَإِنِ اتَّفَقَ فَبِتَيْسِيرِهِ .

قَالَ أَنَسٌ : جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، أَدَعُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ فَقَالَ : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » . وَالتَّوَكُّلُ وَالاعْتِصَامُ بِالْقَدَرِ مِنَ الْعَقْلِ [٤] ، وَالطَّلَبُ وَالْكَسْبُ يُسْتَمَدَّانِ مِنَ الأَمْرِ ، فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى هُوَ الثِّقَةُ بِمَا ضَمِنَهُ ، وَالْقَطْعُ بِكَوْنِ مَا حَكَمَ بِهِ ، فَمَنْ رَامَ أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ لَيْسَ الطَّرِيقُ فِى تَحْصِيلِهِ أَنْ يَغْلِقَ بَابَهُ عَلَيْهِ ، وَيُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ ، وَيَنْتَظِرَ حُصُولَ ذَلِكَ الأَمْرِ ، بَلِ الطَّرِيقُ أَنْ يَشْرَعَ فِى طَلَبِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِى شَرَعَهُ اللهُ فِيهِ .

---

(١) « إليك » عن « م » .

(٢) فى « م » : « الأمل » تحريف .

(٣) فى « م » : « فلا » .

(٤) فى « م » : « والتوكل والاعتصام والعقل بالقدر يستمدان من الفعل » .

وَقَدْ ظَاهَرَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ دِرْعَيْنِ [(١)] ، وَاتَّخَذَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَظْهِرُ بِهِ [(٢)] وَيَحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَقَامَ الرُّمَاةَ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَحْفَظُوهُ مِنْ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ لَأْمَةَ الْحَرْبِ [(٣)] ، وَيُعَبِّىءُ الْجُيُوشَ ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ ، وَاسْتَرْقَى [(٤)] وَأَمَرَ بِالِاسْتِرْقَاءِ ، وَتَدَاوَى وَأَمَرَ بِالْمُدَاوَاةِ ، وَقَالَ : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِى أَنْزَلَ الدَّوَاءَ » ، فَإِنْ قِيلَ : قَدْ رُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنِ اسْتَرْقَى أَوِ اكْتَوَى فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ التَّوَكُّلِ » ، قُلْنَا : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ؟ وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ ، وَسَائِرِ مَاذَكَرْنَاهُ آنِفًا ؟ فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : مَعْنَاهُ : مَنِ اسْتَرْقَى وَاكْتَوَى مُتَّكِلًا عَلَى الرُّقْيَةِ وَالْكَىِّ ، وَأَنَّ الْبُرْءَ مِنْ قِبَلِهِمَا خَاصَّةً ، فَهَذَا يُخْرِجُهُ مِنَ التَّوَكُّلِ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ كَافِرٌ يُضِيفُ الْحَوَادِثَ إِلَى غَيْرِ اللهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ الأَسْبَابَ وَالأَدْوِيَةَ ، وَتَعَاطَى تَدْبِيرَ الأُمُورِ بِنَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمَالِهِ عَلَى مَاجَرَتْ بِهِ سِيرَةُ [(٥)] اللهِ تَعَالَى فِى أَرْضِهِ ، وَعَادَتُهُ [(٦)] فِى خَلْقِهِ ، غَيْرَ مُعْتَمِدٍ عَلَى شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ وَاثِقُ الْقَلْبِ أَنَّ مَا حَصَلَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَمَا تَعَسَّرَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، مُعْتَمِدًا فِى ذَلِكَ عَلَى الْمُسَبِّبِ لا عَلَى الأَسْبَابِ ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَوَكِّلُ [(٧)] ، لَكِنَّ شَرْطَهُ أَنْ يَمْشِىَ فِى ذَلِكَ كُلِّهِ مَعَ الأَثَرِ [(٨)] ، وَلَا يَسْلُكَ طَرِيقًا فِيهِ مَعْصِيَةٌ ، فَلَيْسَ يُسْتَدْرَجُ [(٩)] مَا عِنْدَ اللهِ بِمَعَاصِيهِ .

---

(١) ظَاهَرَ بين دِرْعَيْن : طابَقَ بينهما .

(٢) يستظهر به : يستعين به ويحتاط .

(٣) فى « م » : « لَأْمَةَ حربه » .. ولأمه الحرب : أداة الحرب ، من رُمْح ، وبيضة ، ومِغْفَر ، وسيف ، ودِرْع .. وقد مرت .

(٤) استَرْقَى : طَلَبَ مَنْ يَرْقيه .. والرُّقْيَة : العُوذَة التى يُرْقَى بها المريض ، ويقال فيها : بسم الله أرقيك ، والله يشفيك .. الخ .

(٥) فى « م » : « سُنَّة » .

(٦) فى « م » : « عاداته » .

(٧) فى « م » : « التوكل » .

(٨) فى « م » : « مع الأمر » .

(٩) يُستدرج : يُنال – على التدرج .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَنِ ابْتَغَى أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللهِ [١] كَانَ أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وأَقْرَبَ لِمَجِيء مَا اتَّقَى [٢] . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الطَّلَبَ وَالِاكْتِسَابَ يُنَاقِضُ [٣] التَّوَكُّلَ ، فَقَعَدَ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ مُتَّكِلًا عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي زَعْمِهِ [٤] ، كَانَ عَنِ الْعَقْلِ خَارِجًا ، وَفِي تِيهِ الْجَهْلِ وَالِجًا ، وَيُقَالُ لَهُ : قَبُحْتَ يَاهَذَا [٥] إِذْ جُعْتَ وَحَضَرَ الطَّعَامُ ، فَهُوَ إِلَى الطَّعَامِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ [٦] ، وَيَنْبَغِي لِأَهْلِهِ أَنْ يُدَاوُوهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمَرْيَمَ : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [٧] ، فَهَلَّا أَمَرَهَا بِالسُّكُونِ ثُمَّ حَمَلَ الرُّطَبَ إِلَى فِيهَا [٨] ؟ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَنْ لَهُ دَابَّةٌ أَوْ بُسْتَانٌ ، يُؤْمَرُ بِسَقْيِ الْبُسْتَانِ وَحَفْرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ [٩] ، وَيُؤْمَرُ بِأَنْ يَعْلِفَ الدَّابَّةَ وَيَسْقِيَهَا .

وَأَنْشَدُوا [١٠] :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ ... إِلَيْكِ فَهُزِّي الْجِذْعَ يَسَّاقَطُ الرُّطَبْ [١١]

---

(١) فى « م » : « لمعصية الله » .

(٢) فى « م » : « أبقى » .

(٣) فى « م » : « يناقض الأمر » .

(٤) « فى زعمه » عن « ط » .

(٥) فى « م » : « من هذا » .

(٦) فى « م » : « إذا جُعْت وحضر الطعام ألا تمُدُّ يدك إليه ، وألّا تفتح فمك له ، فإن تمادى على ذلك كان إلى العقل أحوج منه إلى المعرفة » .

(٧) سورة مريم ، من الآية ٢٥ .

(٨) فيها : فمها .

(٩) فى « م » : « وإصلاح بستانه » .

(١٠) البيتان من الطويل ، وقد وردا فى المستطرف ج ٢ فى الباب الخامس والخمسين ، فى العمل والتكسُّب ، ص ١٢٨ ، وص ٥٤٨ من الباب الثامن والسبعين ، فى القضاء والقدر وأحكامه ، وهما غير منسوبين إلى قائل .

(١١) الشطرة الثانية من البيت فى المستطرف :

« وهُزِّى إليكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطُ الرُّطَب »

وقبل هذا البيت :

« توكَّلْ على الرَّحمٰنِ فى الأمر كُلِّهِ ... ولا ترغَبَنْ فى العَجْزِ يوماً عَنِ الطَّلَبْ »

وَلَوْ شَاءَ أَحْنَى الْجِزْعَ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا إِلَيْهَا وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ (١)

وَهَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » (٣) ، فَلَمْ يَحْمِلْ أَرْزَاقَهَا إِلَيْهَا فِى أَوْكَارِهَا ، بَلْ أَلْهَمَهَا طَلَبَهُ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ (٤) . وَقَدْ كَانَ جُهَيْلٌ رَئِيسُ الْقُنْدُهَارِ (٥) يَرَى مِنْ تَصْدِيقِ الْقَدَرِ وَتَكْذِيبِ الطَّلَبِ دُونَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنَ الْمُلُوكِ مَا حَجَزَهُ عَنِ الطَّلَبِ والتَّدْبِيرِ ، فَأَخْرَجَهُ إِخْوَتُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَقَهَرُوهُ عَلَى مَمْلَكَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ تَرْكَ الطَّلَبِ يُضْعِفُ الهِمَّةَ وَيُذِلُّ النَّفْسَ ، وَصَاحِبُهُ سَائِرٌ إِلَى أَخْلَاقِ ذَوَاتِ الْأَجْحِرَةِ مِنَ الحَيَوانِ ، كالضَّبِّ وَسَائِرِ الحَشَرَاتِ ، تَنْشَأُ فِى أَجْحِرَتِهَا ، وَفِيهِ يَكُونُ مَوْتُهَا .

ثُمَّ جَمَعُوا بَيْنَ القَدَرِ وَالطَّلَبِ وَقَالُوا : إِنَّهُمَا كَالْعِدْلَيْنِ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ ، إِنْ حُمِلَ فِى وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَرْجَحَ مِمَّا حُمِلَ فِى الآخَرِ سَقَطَ حَمْلُهُ (٦) ، وَتَعِبَ ظَهْرُهُ ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ سَفَرُهُ ، وَإِنْ عَادَلَ بَيْنَهُمَا سَلِمَ ظَهْرُهُ ، وَنَجَحَ سَفَرُهُ ، وَتَمَّتْ بُغْيَتُهُ .

وَضَرَبُوا فِيهِ مِثَالًا عَجِيبًا فَقَالُوا : إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِى قَرْيَةٍ بِفَقْرٍ وَضُرٍّ ، لا قَائِدَ لِلْأَعْمَى ، وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ ، وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا كُلَّ يَوْمٍ احْتِسَابًا

---

(١) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « أَجْنَى » بالجيم المعجمة . والبيت فى المستطرف :

« ولو شاءَ أن تُجْنِيه مِنْ غير هَزِّهِ جَنَتْهُ ، ولكنْ كُلُّ رِزْقٍ له سَبَبْ »

(٢) فى « م » : « عليه السلام » .

(٣) حَقَّ تَوَكُّلِهِ : بأن لم يخطر ببالك مُدَاخَلَةٌ لغيره – تعالى – فى الرزق أصلاً .. وخماصاً : جياعاً .. وبطاناً : ممتلئة الأجواف .. والحديث أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين ج ٢ ص ١٣٩٤ ، والترمذى فى أبواب الزهد ، باب التوكل على الله ج ٩ ص ٢٠٨ بشرح ابن العربى .

(٤) فى « م » : « تَطَلُّبَه فى الرواح والغُدوّ » .

(٥) القُنْدُهار : من بلاد السند أو الهند .. وفى « م » : « القندمارس » .. وفى « ط » : « رهس القندهارس » ولعل الصواب ما أثبتناه .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ مادة قندهار] .

(٦) « حمله » عن « م » .

قُوتَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ والشَّرابِ ، فَلَمْ يَزَالَا فى عَافِيَةٍ إلى أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ ، فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا ، فَاشْتَدَّ جُوعُهُمَا ، وَبَلَغَ الضَّرَرُ [١] مِنْهُمَا جُهْدَهُ ، فَأَجْمَعَا [٢] رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ ، فَيَدُلُّهُ الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْتَقِلَّ الأَعْمَى بِحَمْلِ الْمُقْعَدِ [٣] فَيَدُورَانِ فى الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا ، فَفَعَلا ، فَنَجح أَمْرُهُمَا ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلا هَلَكَا . فَكَذَلِكَ القَدَرُ سَبَبُهُ الطَّلَبُ ، وَالطَّلَبُ سَبَبُهُ القَدَرُ ، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُعِينٌ لِصَاحِبِهِ .

فَأَخَذَ جُهَيْلٌ فِي الطَّلَبِ فَظَفِرَ بِأَعْدَائِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ ، فَكَانَ جُهَيْلٌ يَقُولُ : لَا تَدَعَنَّ الطَّلَبَ اتّكَالًا عَلَى القَدَرِ ، وَلَا تُجْهِدَنَّ نَفْسَكَ فِي الطَّلَبِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ ، مُسْتَهِينًا [٤] بِالْقَدَرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ بِالطَّلَبِ بِوُجُوهِ التَّدْبِيرِ الْمَحْمُودَةِ مُصَدِّقًا بِالْقَدَرِ ، نِلْتَ مَا تُحَاوِلُ ، وَلَمْ تَلْتَوِ عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِذَلِكَ فَالْتَوى عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنْ مَطْلُوبِكَ فَذَلِكَ مِنْ إِعَاقَةِ [٥] القَدَرِ ، وَأَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ [٦] ذَنْبًا ، فَتَفَقَّدْ جَوَارِحَكَ ، وَاسْتَكْشِفْ ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ ، وتُبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ ، وَاخْرُجْ مِنْ كُلِّ مَظْلِمَةٍ ظَلَمْتَهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَابَلَكَ الحَظُّ ، وَسَاعَدَكَ القَدَرُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى [٧] .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِى قَرَّرْنَاهُ يُخَرَّجُ عَلَيْهِ [٨] كُلُّ مَاوَرَدَ فى الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ

---

(١) فى « م » : « الضُّرُّ » .

(٢) فى « ط » : « فأجمعوا » .

(٣) فى « ط » : « ويستقل المقعد بحمل الأعمى » .

(٤) فى « م » : « مشتهياً » تحريف .

(٥) فى « ط » : « إعانة » .

(٦) فى « م » : « أذنبتَ » .

(٧) « تعالى » عن « ط » .

(٨) فى « م » : « واعلم أن على هذا الأصل الذى قررناه يخرج كُلُّ » .

الرَّسُولِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّوكُّلِ عَلَى اللهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ ، وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ (٢) . مِنْ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ الخَوَّاصَ (٣) تَلَا يَوْمًا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (٤) فَقَالَ : مَا يَنْبَغِى لِعَبْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى (٥) . قُلْنَا : مَعْنَاهُ : لَا يَلْجَأُ إِلَى الأَسْبَابِ اعْتِمَادًا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ يَلْجَأُ إِلَيْهَا وَاثِقًا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْلِ النَّاقَةِ ، وَلَبِسَ دِرْعَيْنِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ يَطْلُبُ الزَّرْعَ وَالْوَلَدَ ثُمَّ قَعَدَ فِى بَيْتِهِ لَمْ يَطَأْ زَوْجَتَهُ ، وَلَا بَذَرَ أَرْضَهُ ، مُعْتَمِدًا فِى ذَلِكَ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، وَاثِقًا بِهِ أَنْ تَلِدَ امْرَأَتُهُ مِنْ غَيْرِ وِقَاعٍ ، وَتُنْبِتَ أَرْضُهُ الزَّرْعَ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ ، كَانَ عَنِ الْمَعْقُولِ خَارِجًا ، وَلِأَمْرِ اللهِ تَارِكًا .

وَلِلْأَئِمَّةِ وَالحُكَمَاءِ فِي الْقَدَرِ أَلْفَاظٌ بَارِعَةٌ عَلَى السَّبْرِ (٦) وَ الامْتِحَانِ . .

مِنْهَا مَا رُوِىَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، سُئِلَ عَنِ القَدَرِ فَأَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ ، فَأَبَى إِلَّا الجَوَابَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَخْبِرْنِى ، أَخَلَقَكَ اللهُ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟! فَأَمْسَكَ الرَّجُلُ . فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَاضِرِينَ : أَتَرَوْنَهُ يَقُولُ كَمَا أَشَاءُ (٧) ؟ إِذًا وَاللهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : كَمَا يَشَاءُ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيُحْيِيكَ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَيُمِيتُكَ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَفَيَحْشُرُكَ كَمَا تَشَاءُ ، أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَفَيُدْخِلُكَ حَيْثُ تَشَاءُ أَوْ حَيْثُ يَشَاءُ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَشَاءُ . قَالَ : قُمْ فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

---

(١) فى « م » : « عليه السلام » .

(٢) فى « ط » : « والتسليم إليه والتفويض له » .

(٣) من الزهاد العارفين ، ومن معاصري إبراهيم بن أدهم .
[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧] .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٥٨ .

(٥) « تعالى » عن « م » .

(٦) السَّبر : الاختبار .

(٧) فى « م » : « يشاء » تحريف .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا قَدَرِيًّا وَمَجُوسِيًّا تَنَاظَرَا (١) ، فَقَالَ الْقَدَرِىُّ لِلْمَجُوسِىِّ : مَالَكَ لَا تُسْلِمُ ؟ فَقَالَ المَجُوسِىُّ : لَوْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى لأَسْلَمْتُ . فَقَالَ القَدَرِىُّ : قَدْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تُسْلِمَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَمْنَعُكَ . قَالَ المَجُوسِىُّ : فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا .

وَرُوِىَ فِى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى مَرَّ بِفَخٍّ مَنْصُوبٍ ، وإِذَا طَائِرٌ (٢) قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَقَالَ الطَّائِرُ ، يَانَبِىَّ اللهِ ، هَلْ رَأَيْتَ أَقَلَّ عَقْلًا مِنْ هَذَا .. نَصَبَ هَذَا الْفَخَّ لِيَصِيدَنِى فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ قال : فَذَهَبَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا الطَّائِرُ فِى الْفَخِّ . فَقَالَ لَهُ : عَجَبًا لَكَ (٣) ، أَوَلَسْتَ القَائِلَ آنِفًا كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : يَانَبِىَّ اللهِ ، إِذَا جَاءَ الحَيْنُ لَمْ تَبْقَ (٤) أُذُنٌ وَلَا عَيْنٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ لِعَلِىٍّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ مَنْ جَنَّبَنِى سُبُلَ الهُدَى ، وَسَلَكَ بِى سُبُلَ الرَّدَى ، أَأَحْسَنَ إِلَىَّ أَمْ أَسَاءَ ؟ فَقَالَ لَهُ (٥) عَلِىٌّ : إِنْ كُنْتَ اسْتَوْجَبْتَ عَلَيْهِ حَقًّا فَقَدْ أَسَاءَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ لِغَيْلَانَ القَدَرِىِّ (٦) : سَلْ ، فَأَقْوَى مَا تَكُونُونَ إِذَا سَأَلْتُمْ . فَقَالَ غَيْلَانُ : أَشَاءَ اللهُ أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ مَيْمُونٌ : أَيُعْصَى كَارِهًا ؟ فَانْقَطَعَ غَيْلَانُ .

---

(١) فى « م » : « تفاخرا » .

(٢) فى « م » : « بطائر » .

(٣) فى « م » : « عجباً لك ياطائر » .

(٤) فى « ط » : « لم تَبْقَ » . والحَيْن : الهلاك .

(٥) فى « م » : « لى » تحريف .

(٦) هو : غيلان بن مسلم الدمشقى ، أبو مروان ، كاتب من البلغاء ، وتُنسبَ إليه فرقة « الغيلانية » من القدرية ، وهو ثانى من تكلم فى القَدَر ودعا إليه ، ولم يسبقه فى هذا سوى معبد الجهنى .. قيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عمر ، جاهر بمذهبه ، فطلبه هشام بن عبد الملك ، وأحضر الأوزاعى لمُناظرته ، فأفتى الأوزاعى بقتله ، فصُلب على باب كيسان بدمشق بعد سنة ١٠٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٢٤ ، وطبقات المعتزلة ص ٢٥ – ٢٧ ، والمعارف ص ٦٢٥ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٩٥] .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبُزُرْجَمِهْرَ (١) : تَعَالَ نَتَنَاظَرْ فى الْقَدَرِ . فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ (٢) بِالْمُنَاظَرَةِ فى القَدَرِ ؟ رَأَيْتُ ظَاهِرًا اسْتَدْلَلْتُ بِهِ عَلَى البَاطِنِ ، وَرَأَيْتُ أَحْمَقَ (٣) مَرْزُوقًا ، وَعَاقِلًا مَحْرُومًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ التَّدْبِيرَ لَيْسَ إِلَى العِبَادِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ صَاحِبُهْ　　وَيُعْطَى الْمُنَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ طَالِبُهْ (٤)

وَلَمَّا قَدِمَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بَعْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ (٥) : أَنْتَ أَدْهَى النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ طَرَحْتَ نَفْسَكَ فى يَدَىْ سُلَيْمَانَ ؟ فَقَالَ مُوسَى : إِنَّ الهُدْهُدَ يُهَنْدِسُ الْمَاءَ فى الْأَرْضِ الفَيَافِى (٦) وَيُبْصِرُ القَرِيبَ مِنْهُ وَالْبَعِيدَ (٧) عَلَى بُعْدِهِ فى التُّخُومِ ، ثُمَّ يَنْصِبُ لَهُ الصَّبِىُّ الفَخَّ بِالدُّودَةِ وَالْحَبَّةِ فَلَا يُبْصِرُهُ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ .

---

(١) فى « م » : « قال له بُزُرْجَمِهْر » .

(٢) فى « م » : « وما نصنع » .

(٣) فى « م » : « أحمقاً » بالتنوين . خطأ ، ممنوع من الصرف .

(٤) البيت من الطويل ، وقد ورد فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١٢ هكذا :

« يخيبُ الفَتَى مِنْ حيثُ يُرْزَقُ غيرُهُ　　ويُعْطَى الفتى مِنْ حيث يُحرمُ صاحبُه »

(٥) هو : يزيد بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الأزدى ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان الأجواد ، ولى خُراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ فمكث نحو ست سنين ، وعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج — وكان الحجاج يخشى بأسه — فلما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولّاه العراق ثم خراسان ، فعاد إليها ، وافتتح جُرجان وطبرستان ، ثم نُقل إلى إمارة البصرة فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ، فعزله ، وطلبه فجىء به إلى الشام ، فحبسه بحلب .. ولما توفى عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن ، وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقين مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتل يزيد سنة ١٠٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ — ٣٠٩ ، والمعارف ص ٥٧١ وغيرها من الصفحات ، وأخباره منتشرة فى المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبرى ، وابن الأثير وغيرهما] .

(٦) الفياف : الأراضى الواسعة المستوية .. وفى « م » : « الأرض العَيْفَا » أى : التى تحتفظ بالماء فى باطنها فلا تشربه .

(٧) فى « م » : « من البعيد » .

وَفِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ : أَنَّ الهَدَاهِدَ كَانَتْ رَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (١) إِلَى المَاءِ ، فَتَتَقَدَّمُ مُعَسْكَرَهُ ، ثُمَّ تَنْظُرُ الأَرْضَ فَتَقولُ (٢) : المَاءُ هَاهُنَا عَلَى أَلْفِ قَامَةٍ ، أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ، فَتُبَادِرُ الْجِنُّ تَحْفِرُهُ (٣) فَلَا يَلْحَقُ سُلَيْمَانُ إِلَّا وَقَدِ اسْتَعَدَّ المَاءَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الهَارِبَ مِمَّا هُوَ مَقْضِيٌّ مُقَدَّرٌ كَالْمُنْقَلِبِ فى كَفِّ الطَّالِبِ .

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا ... وَفَرَرْتَ مِنْهُ فَنَحْوَهُ تَتَوَجَّهُ (٤)

وِلِبَشَّارٍ (٥) :

طُبِعْتُ عَلَى مَافِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ ... هَوَاىَ ، وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا (٦)

أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ ... وَقَصَّرَ عَامِي أَنْ يَنَالَ المُغَيَّبَا (٧)

وَأُصْرَفُ عَنْ قَصْدِى وَعِلْمِى مُقَصِّرٌ ... وَأُمْسِى وَمَا أُعْطِيتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا (٨)

---

(١) فى « م » : « عليه السلام » .

(٢) فى « م » : « ثم ينظر الأرضَ ويقول » .

(٣) فى « م » : « فتُبادِرُه الجن بحفرِه » .

(٤) البيت من الكامل ، وقد ورد فى المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ ، وفى نفح الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ غير منسوب لقائله .

(٥) هو : بشّار بن بُرْد بن يَهْنَن . والأبيات من قصيدة يشبب فيها بصفراء ، ويتخلص إلى أخلاقه ، وهى من الطويل .

[انظر ديوان بشار بن بُرد ج ١ ص ٢٤٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وج ١ ص ٢٦٩ الشركة التونسية للتوزيع] .

(٦) فى الديوان : « خُلِقْتُ » مكان « طُبِعْتُ » .

(٧) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » :

« أُريد فلا أُعطَى ، وأُعْطَى فلم أُرِدْ ... وقَصَّرَ عامى أن يَنال المُغَيَّبا »

والشطرة الثانية فى الديوان : « وقصَّر علمى أن أنالَ المُغَيَّبا » . وقد روى فى المختار بلفظ « ولم أُرِدْ » وبلفظ « وبقصر علمى » أى : يقصر عن أن أنال .. وهو أَوْلَى مما هنا ، إذ لا موقع للفاء فى قوله : « فلم » ، ولأن قوله : « وقَصَّرَ علمى » لا يعطى معنى إلّا بتكلف .

[انظر المرجعين السابقين] .

(٨) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الديوان : =

وَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ بالكُوفَةِ فَرَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَلَى حِمَارٍ لَهُ ، يَطْلُبُ النَّجَاةَ ، فَسَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

لَنْ يُسْبَقَ اللهُ عَلَى حِمَارِ ... وَلَا عَلَى ذِى مَنْعَةٍ طَيَّارِ (١)

أَوْ يَأْتِىَ الحَتْفُ عَلَى مِقْدَارِ ... قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِى (٢)

فَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى الكُوفَةِ وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللهُ أَمَامَ السَّارِى فَلَاتَ حِينَ مَهْرَبٍ (٣) .

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

أَقَامَ عَلَى المَسِيرِ وَقَدْ أُنِيخَتْ ... مَطَايَاهُ وغَرَّدَ حَادِيَاهَا (٤)

وقَالَ أَخَافُ عَادِيَةَ اللَّيَالِى ... عَلَى نَفْسِى وَأَنْ أَلْقَى رَدَاهَا (٥)

وَمَنْ كُتِبَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِى أَرْضٍ سِوَاهَا (٦)

وَلَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بُزُرْجِمِهْرَ وَجَدُوا فى مِنْطَقَتِهِ (٧) كِتَابًا فِيهِ : إِذَا كَانَ القَدَرُ حَقًّا

= « وأُصَرِّفُ عن قَصْدِى وحِلْمِىَ مُبْلِغِى ... وأُضْحِى وما اعْقَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبا »

وفى رواية : « وعِلْمِىَ ثاقبٌ » مكان « وحلمى مبلغى » .. وفى رواية : « وأُمْسِى » مكان « وأُضْحِى » .. وفى رواية : « فأَرْجِعُ ما أعقبتُ .. » [انظر المرجعين السابقين] .

(١) البيتان من الرجز ، وقد وردا فى عيون الأخبار ج ١ ص ٢٣١ ، ونفح الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ ، والشطرة الثانية من البيت فى العقد الفريد : « ولا على ذى مَيْعَةٍ مَطَّار » والميعة : الفَرَس . وميعة الفَرَس : أول جريه .. والمَنَعة : القوة .. وفى النفح : « ولا عَلَى ذى منسر طيار » .

(٢) الحَتْفُ : الهلاك .. والسارى : السائر ليلاً .

(٣) فَلاتَ حِينَ مهرب : لات : حرف نفى يعمل عمل « ليس » واسمه محذوف ، والتقدير : ولات الحينُ حينَ مهرب ، و« حين » الثانية خبر « لات » ومثله فى القرآن الكريم : ﴿ وَلاتَ حينَ مناص ﴾ .

(٤) الأبيات من الوافر ، وقد وردت فى المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ . ومعنى أُنِيخَت مطاياه : بَرَكَتْ .. وغرَّد حادياها : رفعا الصوت بالحُداء للتطريب .

(٥) عادية الليالى : نوائبها وشرورها . وفى المستطرف بعد هذا البيت :

« مشيناها خُطىً كُتِبَتْ علينا ... وَمَنْ كُتِبَتْ عليه خُطًى مَشَاهَا »

(٦) كُتِبَتْ مَنِيَّتُهُ : قُدِّرَ عليه أن يموت .. وفى المستطرف : « وَمَنْ كانت مَنِيَّتُهُ بأَرْضٍ » .

(٧) فى « م » : « وجد فى منطقته » أى : فى الحزام الذى يلف به خصره .

فالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وإذَا كَانَ الغَدْرُ فى النَّاسِ طِبَاعًا فَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ المَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَازِلًا [١] فَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمْقٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنُ البَصْرِىُّ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ [٢] : إِنَّمَا كَانَ الكَنْزُ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ [٣] بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتْعَبُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَغْفُلُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ! لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثٍ : رَجُلٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَ رِزْقِهِ بِتَدْبِيرِهِ وَهُوَ يَرَى تَنَاقُضَ تَدْبِيرِهِ ، وَرَجُلٌ شَغَلَهُ هَمُّ غَدِهِ ، وَعَالِمٌ مَفْتُونٌ يَعِيبُ عَلَى زَاهِدٍ مَغْبُوطٍ .

وَمِنْ عَجِيبِ مَا نَزَلَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ خَدَمِهِ السُّلْطَانِ غَابَ عَنْ خِدْمَتِهِ أَيَّامًا فَقَبَضَهُ الشُّرَطُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَانْسَابَ مِنْهُمْ فى بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وتَرَامَى فى بِئْرٍ ، وَالمَدِينَةُ مُسَرَّبَةٌ تَحْتَ الأَرْضِ بِأَسْرَابٍ يَمْشِى المَاشِى فِيهَا قَائِمًا ، يَخْتَرِقُهَا وَيَدُورُهَا ، لأَنَّ فى دُورِهَا آبَارًا [٤] عَلَى تِلْكَ السُّرُوبِ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْشِى إِلَى أَنْ لَاحَ لَهُ بِئْرٌ مُضِيئَةٌ ، فَطَلَعَ فِيهَا ، وإِذَا [٥] البِئْرُ فى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ فى دَارِ [٦] السُّلْطَانِ ، فَأَدَّبَهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ فِيهِ المَثَلُ السَّائِرُ : الفَارُّ مِنَ القَضَاءِ الغَالِبِ ، كَالْمُنْفَلِتِ [٧] فى يَدِ الطَّالِبِ .

---

(١) فى « م » : « نازلٌ » .. لا تصح ، والصواب بالنصب .
(٢) سورة الكهف ، من الآية ٨٢ .
(٣) فى « م » : « يوقن » فى المواضع الثلاث .
(٤) فى « م » : « آبار » . لا تصح . والصواب بالنصب .
(٥) فى « م » : « فإذا » .
(٦) فى « م » : « إلى دار » .
(٧) فى « م » والمستطرف ج ٢ ص ٥٥٤ : « كالمُنقلب » .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُشْرِفُ عَلَى الأَمْرِ مِنَ الإِمَارَةِ وَالتِّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهِمَا [١] ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، فَيَقُولُ لِلْمَلَكِ : اصْرِفْ عَنْ عَبْدِى هَذَا الأَمْرَ ، فَإِنِّى إِنْ أُيَسِّرْهُ لَهُ أُدْخِلْهُ بِهِ جَهَنَّمَ . فَيَظَلُّ يَتَغَيَّظُ عَلَى جِيرَانِهِ فَيَقُولُ : سَبَقَنِى فُلانٌ ، وَحَسَدَنِى فُلَانٌ ، وَمَا صَرَفَهُ عَنْهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى .

وَأَنْشَدُوا [٢] :

قَالُوا تُقِيمُ وَقَدْ أَحَا ... طَ بِكَ العَدُوُّ وَلَا تَفِرُّ

فَأَجَبْتُهُمْ وَالشَّيْخُ مَا ... لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ غِرُّ [٣]

لَا نِلْتُ خَيْرًا مَا بَقِيـ ... ـتُ وَلَا عَدَانِى الدَّهْرُ شَرُّ [٤]

إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ غَيْـ ... ـرَ اللهِ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ

اسْتَأْذَنَ العَقْلُ [٥] عَلَى الْجَدِّ فَقَالَ : اذْهَبْ لَا حَاجَةَ لِى بِكَ ، فَقَالَ العَقْلُ : وَلِمَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّكَ [٦] تَحْتَاجُ إِلَىَّ وَلَا أَحْتَاجُ إِلَيْكَ .

وَأَوْصَى حَكِيمٌ ابْنَهُ فَقَالَ : يَابُنَىَّ ، رَزَقَكَ اللهُ جَدًّا يَخْدُمُكَ بِهِ ذَوُو الْعُقُولِ ، وَلَا رَزَقَكَ عَقْلًا تَخْدُمُ بِهِ ذَوِى الجُدُودِ . وَكَانَ يُقَالُ : إِفْرَاطُ العَقْلِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ .

---

(١) فى « ط » : « أو غيرها » .

(٢) الأبيات من مجزوء الكامل ، وقد قالها المسترشد بالله العباسى الفضل بن أحمد لما كُبِّرَ وأشير عليه بالهزيمة .. وقد وردت فى فوات الوفيات ج ٣ ص ١٨٠ ، ووردت أيضاً فى المستطرف ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٣) هكذا البيت فى « م » .. وفى « ط » : « الشيخ » بدون الواو .. والبيت فى فوات الوفيات :

« فأجبتهم : المَرْءُ ما ... لم يَتَّعِظْ بالوَعْظِ غِرُّ »

ولم يرد هذا البيت فى المستطرف .. والغِرُّ : من ينخدع إذا خُدِعَ .

(٤) فى « م » : « ولا علانى » . وفى المستطرف :

« لانِلْتُ خيرًا إنْ بقيت » .. وفى فوات الوفيات : « لا نلتُ خيرًا ماحييتُ » .

(٥) فى « م » : « الفعل » تحريف .. والجَدُّ : الحَظُّ والرزق .. وبكسر الجيم : الاجتهاد فى العمل .

(٦) فى « ط » : « إنك » .

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلًا خُيِّرَ فى أَمْرٍ فَأَبَى أَنْ يَخْتَارَ ، وَقَالَ : أَنَا بِجَدِّى أَوْثَقُ مِنِّى بِعَقْلِى ، فَافْرُغوا . وفى الأَمْثَالِ : اسْعَ بِجَدٍّ لا بِكَدٍّ [١] . اسعَ بِجَدٍّ أَوْ دَعْ . جَدُّكَ لَا كَدُّكَ . الجَدُّ لَا الْجِدُّ . الْجَدُّ أَغْنَى مِنَ الكَدِّ [٢] .

وَاعْلَمْ أَنَّ زِمَامَ الأُمُورِ التَّوْفِيقُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ أَقَلُّ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالِاجْتِهَادِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [٣] . وَقَدْ كُنْتُ جَمَعْتُ فِيهِ كِتَابًا مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِى [٤] فى الأَسْرَارِ : هَلِ التَّوْفِيقُ مُكْتَسَبٌ [٥] ، أَوْ مَوْهِبَةٌ بِلَا سَبَبٍ ؟ فَلَا [٦] مَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَمِنْ لَطِيفِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فى مَجَارِى القَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَنَّ الهَارِبَ مِنَ المَقْدُورِ كَالْمُنْفَلِتِ [٧] فى يَدِ الطَّالِبِ ، مَا نَزَلَ [٨] فى مَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ فى قَضِيَّةِ [٩] الرَّجُلِ الَّذِى تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

* * *

(١) فى اللسان ، مادة « كَدد » : « بِجَدِّكَ لا بِكَدِّكَ » أى : إنك تدرك الأمور بما تُرْزَقُهُ مِنَ الجَدِّ لابما تعمله من الكَدِّ .

(٢) فى « م » : « أَغْنَى من العقل » .

(٣) سورة العنكبوت ، من الآية ٦٩ .

(٤) « من جملة كتابى » عن « ط » .. وهذا الكتاب لم تذكره المراجع التى أرّخت للطرطوشى وأحصت مؤلفاته ، ويبدو أن هذا الكتاب يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، وبالقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات .

[انظر أبو بكر الطرطوشى للدكتور جمال الدين الشيال ص ٧٨] .

(٥) فى « م » : « يُكتسب » .

(٦) فى « م » : « بلا » تحريف .

(٧) فى « م » : « كالمُنْقَلب من » .

(٨) فى « م » : « مانزل بنا » .

(٩) فى « م » : « من قضية » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ

وَهُوَ جَامِعٌ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ العَجَمِ وحِكَايَاتِهِمْ

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ [1] فُصُولٍ :

(الأَوَّلُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى أَخْبَارٍ رُفِعَتْ [2] إِلَيْنَا بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ ، فَأَلْحَقْنَاهَا .

(وَالثَّانِي) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ لَحكِيمِ الفُرْسِ خاصَّةً .

(وَالثَّالِثُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ لِحَكِيمِ [3] السِّنْدِ خاصَّةً .

(وَالرَّابعُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ لحَكِيمِ العَرَبِ خاصَّةً .

(وَالخَامِسُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ مَجْمُوعَةٍ مُنْتَخَبَةٍ .

رَسَمْنَا ذَلِكَ لِتَنْظُرَ [4] في عُقُولِ الْقَوْمِ وَأَغْرَاضِهِمْ ، وَمُنْتَهَى مَرَامِهِمْ ، مِنْ كِتَابِ جَاوِيدَانْ خُرَدِ [5] الفَارِسِيِّ ، قَالَ :

---

(١) في « م » : « خمس » لا تصح ، والصواب : خمسة .

(٢) في « م » : « وقعت » .

(٣) في « ط » : « حكيم » .

(٤) في « م » : « لتنظر » .

(٥) سبق أن أشرنا إلى هذا الكتاب ، وهو منسوب إلى هوسنك شاه ، وقد عَرَّبَه الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، ولخَّصَه أيضاً في تعريبه ، وأورد الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ هذا الملخص =

ثَلاَثَةٌ لا يَصْلُحُ فَسَادُهُنَّ بِشَىْءٍ [1] مِنَ الحِيَلِ : العَدَاوَةُ بَيْنَ الأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُدُ الأَكْفَاءِ [2] ، وَالرَّكَاكَةُ فى العُقُولِ .

وَثَلاَثَةٌ لاَ يُسْتَفْسَدُ صَلاَحُهُنَّ بِنَوْعٍ مِنَ المَكْرِ وَالحِيَلِ : العِبَادَةُ فى العُلَمَاءِ ، والقُنُوعُ فى المُسْتَبْصِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ فى ذَوِى الأَخْطَارِ .

وَثلاَثَةٌ [3] لاَ يُشْبَعُ مِنْهُنَّ : الحَيَاةُ ، وَالعَافِيَةُ ، وَالمَالُ .

وَقَالَ ابْنُ لُقْمَانَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ، مَا الدَّاءُ العَيَاءُ ؟ قَالَ : رُعُونَةٌ مَوْلُودَةٌ . قَالَ : فَمَا الجُرْحُ الدَّوِىُّ ؟ قَالَ : المَرْأَةُ السُّوءُ . قَالَ : فَمَا الحِمْلُ الثَّقِيلُ ؟ قَالَ : الغَضَبُ . وَلَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الحِكَايَةَ أَبو عَبَّادٍ الكَاتِبُ – وَكَانَ ظَرِيفًا [4] فى أَخْبَارِهِ – قَالَ : وَاللهِ ، الغَضَبُ أَخَفُّ عَلَىَّ مِنْ رِيشَةٍ ، وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ غَضَبًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا عَنَى لُقْمَانُ أَنَّ احْتِمَالَ الغَضَبِ ثَقِيلٌ ، فَقَالَ : لاَ وَاللهِ ، لاَ يَقْوَى عَلَى احْتِمَالِ الغَضَبِ إِلاَّ الجَمَلُ .

وَغَضِبَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَرَمَاهُ بِدَوَاةٍ فَشَجَّهُ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ ، فَقَالَ أَبُو عَبَّادٍ : صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ حَيْثُ قَالَ : « وَالَّذِينَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » [5] ، فَبَلَغَ ذَلِكَ المَأْمُونُ [6] ، فَاسْتَدْعَاهُ ، فَقَالَ [7] : وَيْحَكَ [8] ، لا تُحْسِنُ أَنْ تَقْرَأَ

= فى مقدمة كتابه المسمى بآداب العرب والفُرْس .. و« جاويدان » كلمة فارسية ، وتعنى : الخالد أو الدائم .. و« خُرَد » : الصغير من كل شىء .. وبكسر الخاء : العقل أو الذكاء .. وهذا يُعد الفصل الأول من الفصول الخمسة التى أشار إليها

[انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٧ ، وقاموس الفارسية للدكتور عبد النعيم حسنين] .

(١) فى « م » : « شىء » .

(٢) الأَكْفاء : المتماثلين المتساوين ، القادرين على تصريف الأمور .. جمع كُفْء .

(٣) فى « ط » : « وثلاث » .

(٤) فى « م » : « طريفاً » .

(٥) أخطأ أبو عبَّاد فى سرد هذه الآية .. والآية بتمامها : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، وإذا ما غَضِبُوا هُم يغفرون ﴾ . وهى الآية السابعة والثلاثون من سورة الشورى .

(٦) قوله : « فبلغ ذلك المأمون » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٧) فى « ط » : « فاستدعاه المأمون وقال » .

(٨) فى « م » : « ويْلَك » . وهما مصدران فيهما معنى التَّرحُّم والتوجُّع .

آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : بَلَى ، وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّى لَأَقْرَأُ مِنْ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ ، فَضَحِكَ المَأْمُونُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .

وَقِيلَ لِأَنُوشِرْوَانَ : مَا العَقْلُ ؟ قَالَ : القَصْدُ فى كُلِّ الأُمُورِ . قِيلَ : فَمَا الْمُرُوءَةُ ؟ قَالَ : تَرْكُ الرِّيبَةِ . قِيلَ [١] : فَمَا السَّخَاءُ ؟ قَالَ : أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ . قِيلَ : فَمَا الْحُمْقُ ؟ قَالَ : الإِغْرَاقُ فى الذَّمِّ وَالحَمْدِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ [٢] : سُوءُ الظَّنِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فى قَوْلِهِ : الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ [٣] سُوءَ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ لاَ بِغَيْرِهِ . قِيلَ : فَمَا الصَّوَابُ ؟ قَالَ : الْمَشُورَةُ [٤] . قِيلَ : فَمَا الَّذِى يَجْمَعُ القُلُوبَ عَلَى الْمَوَدَّةِ ؟ قَالَ : كَفٌّ بَذُولٌ ، وَبِشْرٌ جَمِيلٌ . قِيلَ : فَمَا الاحْتِيَاطُ ؟ قَالَ : الاقْتِصَادُ فى الحُبِّ وَالبُغْضِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادٍ حِينَ وَلاَّهُ العِرَاقَ : يَا زِيَاد ، لِيَكُنْ حُبُّكَ وَبُغْضُكَ قَصْدًا ، فَإِنَّ الْغِيرَةَ كَامِنَةٌ ، وَاجْعَلْ لِلرُّجُوعِ وَالنُّزُوعِ بَقِيَّةً مِنْ قَلْبِكَ ، وَاحْذَرْ صَوْلَةَ [٥] الانْهِمَاكِ ، فَإِنَّهَا تُؤَدِّى إِلَى المَهَالِكِ . وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَّا » [٦] . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الأَوَّلِ :

---

(١) فى « م » : « قال » .

(٢) فى « م » : « قيل » .

(٣) « به » عن « م » .

(٤) المَشُورة : ما يُتَنَصَّحُ به من رأى وغيره .

(٥) الصَّوْلة : السطوة والمغالبة فى الحرب ونحوها .. وفى « م » : « صورة » أى : صفة .

(٦) انظر الحديث فى صحيح الترمذى ، فى أبواب البِرِّ والصِّلة ، باب ماجاء فى الاقتصاد فى الحب والبُغْض ، وقد رُوِىَ مُسندًا إلى أبى هريرة يرفعه ، والصحيح أنه لعلىٍّ موقوف .
والمعنى : أَحْبِبْ حبيبك حُبًّا رفيقًا لَيِّنا ، ولا تبالغ فى الحُبِّ والبغض ، فإن الحبيب إذا أَمْكَنْتَهُ من نفسك حالة الحب ثم عاد بغيضاً ، كان بمعالم مضارك أقصد ، لِمَا اطَّلَعَ منك حال الحُب فأفضيت إليه بنيَّات صدرك ، وأطلعته على باطن أمرك .. وقد يعود البغيض حبيبًا ، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يُقلِّبُها كيف يشاء .
[انظر المصدر السابق ج ٨ ص ١٦٢] .

وَأَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبًّا رُوَيْدًا   فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تُصْرَمَا [(١)]

وَقَالَ آخَرُ :

ولا تَيْأَسَنَّ الدَّهْرَ مِنْ حُبِّ كَاشِحٍ   وَلاَ تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صَرْمَ حَبِيبِ [(٢)]

وَسُئِلَ بُزُرْجَمِهْرُ عَنِ العَقْلِ فَقَالَ : تَرْكُ مَا لا يَعْنِى . قِيلَ : فَمَا الحَزْمُ ؟ قَالَ : انْتِهَازُ الْفُرْصَةِ . قِيلَ : فَمَا الْحِلْمُ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ . قِيلَ : فَمَا الشِّدَّةُ ؟ قَالَ : مَلْكُ الْغَضَبِ . قِيلَ : فَمَا الْخُرْقُ [(٣)] ؟ قَالَ : حُبٌّ مُغْرِقٌ ، وَبُغْضٌ مُفْرِطٌ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَبَلَغَ فى المَنْزِلَةِ وَالقَدْرِ [(٤)] مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ زَمَانِهِ : مَا الَّذِى بَلَغَ بِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : عَفْوِى عِنْدَ قُدْرَتِى ، وَلِينِى بَعْدَ شِدَّتِى ، وَبَذْلِى الإِنْصَافَ ، وَلَوْمِى لِنَفْسِى [(٥)] ، وَإِبْقَائِى فى الْحُبِّ والْبُغْضِ مَكَانًا لِمَوْضِعِ الاسْتِبْدَالِ .

وَقَالَ الإِسْكَنْدَرُ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أَرْشِدْنِى لأَحْزَمِ أَمْرِى [(٦)] . قَالَ : لا تُمَلِّكَنَّ [(٧)] قَلْبَكَ مَحَبَّةَ الشَّىْءِ ، وَلاَ يَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْكَ بُغْضُهُ ، وَاجْعَلْهُمَا قَصْدًا ، فَإِنَّ القَلْبَ كَاسْمِهِ يَتَقَلَّبُ ، وَلَهُ خَاصِيَّةٌ فى القَلْبِ تَنْزِعُ وَتَرْجِعُ [(٨)] ، وَاجْعَلْ وَزِيرَكَ التَّثَبُّتَ ، وَسَمِيرَكَ التَّيَقُّظَ ، وَلاَ تُقْدِمْ إِلَّا بَعْدَ الْمَشُورَةِ ، فَإِنَّهَا نِعْمَ الدَّلِيلُ ، وَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ مَلَكْتَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ مِلْكَ اسْتِعْبَادٍ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا سُمِّىَ الإِنْسَانُ إِلَّا لأُنْسِهِ   وَلَا القَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ [(٩)]

---

(١) البيت من المتقارب .. ويعولك : يظلمك أو يخونك .. وأنْ تُصرَما : أن تُهجَر وتُقطَع .
(٢) البيت من الطويل .. والكاشح : العَدُوُّ المُبْغِض . وصرْم الحبيب : قطيعته وهجره .
(٣) الخُرق : الحُمْق .
(٤) فى « م » : « والقُدرة » .
(٥) فى « م » : « وَلَوْمِى نَفْسِى » .
(٦) أى : لأَحْكِمَهُ وأُتْقِنَه .. وربما كان المراد : لِأَحْزَمِ أُمْرِى ، بالتفضيل ، بمعنى : أَوْثَقَهُ وَأَتْقَنَهُ .. وفى « م » : « لأحزم أمورى » .
(٧) فى « م » : « لاتُمَكِّن » .
(٨) تنزع وترجع : تخاصم ثم تعود إلى ماكانت عليه .
(٩) البيت من الطويل .. لِأُنْسِهِ : لِمُؤانسته ومُلاطفته .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ : مَالدَّلِيلُ [١] النَّاصِحُ ؟ قَالَ : غَرِيزَةُ العَقْلِ مَعَ الطَّبْعِ . قِيلَ : فَمَا الْقَائِدُ [٢] الْمُشْفِقُ ؟ قَالَ : حُسْنُ الْمَنْطِقِ . قِيلَ : فَمَا العَنَاءُ الْمُعْيِى [٣] ؟ قَالَ : تَطْبِيعُكَ مَنْ لاَ طَبْعَ لَهُ .

وَقَالَ الفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ [٤] : سَأَلْتُ رَسُولَ مَلِكِ الرُّومِ عَنْ سِيرَةِ مَلِكِهِمْ قَالَ [٥] : بَذَلَ عُرْفَهُ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ القُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ، لاَ يُنَغِّصُ [٦] جُنْدَهُ ، وَلاَ يُحْرِجُ رَعِيَّتَهُ [٧] ، سَهْلَ النَّوَالِ ، حَزْنَ النَّكَالِ [٨] ، الرَّجَاءُ وَالخَوْفُ مَعْقُودَانِ فى يَدِهِ [٩] . قُلْتُ : فَكَيْفَ حُكْمُهُ ؟ قَالَ : يَرُدُّ الظُّلْمَ ، وَيَرْدَعُ الظَّالِمَ ، وَيُعْطِى كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ وَمُغْتَبِطٌ . قُلْتُ : فَكَيْفَ هَيْبَتُهُمْ لَهُ ؟ قَالَ : يَتَصَوَّرُ فى القُلُوبِ ، فَتُغْضِى لَهُ الْعُيُونُ [١٠] .

قَالَ : فَنَظَرَ رَسُولُ مَلِكِ الحَبَشَةِ إِلَى إِصْغَائِى إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالِ عَيْنِى عَلَيْهِ ، وَكَانَتِ الرُّسُلُ تَنْزِلُ عِنْدِى ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : مَا الَّذِى يَقُولُ الرُّومِيُّ ؟ قَالَ : يَصِفُ لَهُ مَلِكَهُمْ ، وَيَذْكُرُ سِيرَتَهُ . فَكَلَّمَ التُّرْجُمَانَ بِشَىْءٍ ، فَقَالَ لِى التُّرْجُمَانُ : يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُمْ ذُو أَنَاةٍ [١١] عِنْدَ القُدْرَةِ ، وَذُو حِلْمٍ عِنْدَ الغَضَبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمُغَالَبَةِ ،

---

(١) فى « م » : « ما القائد » .

(٢) فى « م » : « فما الرائد » .

(٣) فى « م » : « العياء المُعَنِّى » أى : الشاق المُتعب .

(٤) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، أبو العباس ، وزير ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء ، أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وكان المعتصم فى بلاد الروم ، فاستوزره ثلاث سنوات ، واعتقله ، ثم أطلقه ، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفى سنة ٢٥٠ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٥ – ٤٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢] .

(٥) فى « م » : « فقال » .. وَعُرْفَهُ : مَعْرُوفَهُ .

(٦) لا يُنَغِّص : لا يُكدِّر .. وفى « م » : « لا ينهض » .

(٧) فى « م » : « ولا تخرج رعيته » أى : لا تتمرد عليه وتخرج عن حكمه .

(٨) حَزْنَ النكال : شديد العقاب .

(٩) « فى يده » مكررة فى « م » سهوًا من الناسخ .

(١٠) تُغْضِى العُيون : تتحول عنه مهابةً .. والإغضاء : المقاربة بين الأجفان .

(١١) فى « م » : « إنه يقول : ملكهم ... » .. والأناة : الرفق واللين .

وَذُو عُقُوبَةٍ عِنْدَ الإِجْتِرَامِ (١) ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتَهُ جَمِيعَ نِعْمَتِهِ ، وَقَصَرَهُمْ تَعْنِيفَ عُقُوبَتِهِ (٢) ، فَهُمْ يَتَراعَوْنَهُ تَرائِيَ الهِلاَلِ حِيَالاً (٣) ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ المَوْتِ نَكَالاً (٤) ، وَقَدْ وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَرَدَّ عَنْهُمْ سَطْوَتَهُ عَقْلُهُ (٥) ، فَلاَ تَمْتَهِنُهُ مَزْحَةٌ (٦) ، وَلاَ تُؤْيِسُهُ غَفْلَةٌ ، إِذَا أَعْطَى أَوْسَعَ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعَ ، فَالنَّاسُ اثْنَانِ : رَاجٍ وَخَائِفٌ ، فَلاَ الرَّاجِى خَائِبُ الأَمَلِ ، وَلاَ الخَائِفُ بَعِيدُ الأَجَلِ . قُلْتُ : فَكَيْفَ رَهْبَتُهُمْ لَهُ (٧) ؟ قَالَ : لاَ تَرْفَعُ إِلَيْهِ العُيُونُ (٨) أَجْفَانَها ، وَلاَ تُتْبِعُهُ الأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَطًا (٩) فُرِّقَتْ عَلَيْهَا صُقُورٌ صَوَائِدُ .

قَالَ (١٠) : فَحَدَّثْتُ الْمَأْمُونَ بِهٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، فَقَالَ لِى : كَمْ قِيمَتُهُمَا (١١) عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : أَلْفَا (١٢) دِرْهَمٍ . قَالَ : يَا فَضْلُ ، إِنَّ (١٣) قِيمَتَهُمَا أَكْثَرُ مِنَ الْخِلاَفَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ حَدِيثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ (١٤) ، أَفَتَعْرِفُ أَحَدًا (١٥) مِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلَغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ

---

(١) الاجترام : ارتكاب الذنوب وما يستحق العقوبة .

(٢) قصرهم ، بالراء : كَفَّ عنهم وجَنَّبهم .. وفى « م » : « قصدهم بعنيف عقوبته » أى : تَوسَّط فيها ، لم يُفْرِط ولم يُفَرِّطْ .

(٣) الْحِيَال : قُبَالَةَ الشىء .. وفى « م » : « خيالاً » .

(٤) نكالاً : عقاباً .

(٥) فى « م » : « سطوته وكَلَبَته » أى : بطشه وأذاه .

(٦) تمتهنه : تبتذله . والمزحة : المداعبة والمباسطة .

(٧) فى « م » : « هيبتهم له » .

(٨) فى « م » : « لا ترفع العيون إليه » .

(٩) إنسانها : ناظرها .. والقَطا : اليمام ، واحدته قَطَاة .

(١٠) « قال » عن « ط » .

(١١) فى « م » : « قيمتها » فى الموضعين .. تحريف .

(١٢) فى « م » : « أَلْفَى » لا تصح .

(١٣) « إنَّ » عن « ط » .

(١٤) فى « م » : « تُحْسِن » تحريف .

(١٥) فى « م » : « أنَّ أحدًا من خلفاء الله الراشدين » وستأتى .

يَصِفَ مِنْ خُلَفَاءِ اللهِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ قُلْتُ : لاَ . قَالَ : فَقَدْ [١] أَمَرْتُ لَهُمَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعَجَّلَةٍ لَهُمَا ، وَاجْعَلِ العِدَةَ مَادَّةً [٢] بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا عَلَى العَوْدِ ، فَلَوْلاَ حُقُوقُ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهُمَا مَا فِى بَيْتِ المَالِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقَّانِهِ .

وَقَالَ الفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : كَانَ عِنْدِى رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ يُحَدِّثُنِى عَنْ أُخْتٍ لِلْمَلِكِ [٣] يُقَالُ لَهَا : خَاتُونُ ، قَالَ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ [٤] احْتَدَمَ شُوَاظُهَا عَلَيْنَا بِحَرَارَةِ المَصَائِبِ [٥] وَصُنُوفِ الآفَاتِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى المَلِكِ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ خَاتُونُ : أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّ الْحَزْمَ عَلَقٌ [٦] لاَ يَخْلُقُ جَدِيدُهُ ، وَلاَ يُمْتَهَنُ غَرْبُهُ [٧] ، وَهُوَ دَلِيلُ المَلِكِ عَلَى اسْتِصْلاَحِ رَعِيَّتِهِ ، وَزَاجِرٌ [٨] لَهُ عَنِ اسْتِفْسَادِهَا ، وَقَدْ فَزِعَتْ رَعِيَّتُكَ إِلَيْكَ لِفَضْلِ العَجْزِ عَنِ الالْتِجَاءِ إِلَى مَنْ لاَ تَزِيدُهُ الإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ عِزًّا ، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْعَوْدُ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا ، وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحَفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنَ الْمُوصِى [٩] ، وَلاَ بِرُكُوبِ الدَّلاَلَةِ [١٠] مِنَ الدَّالِّ ، وَلاَ بِحُسْنِ الرِّعَايَةِ مِنَ الرَّاعِى [١١] ، وَلَمْ تَزَلْ فِى نِعْمَةٍ لَمْ تُغَيِّرْهَا نِقْمَةٌ ، وَفِى رِضًا لَمْ يُكَدِّرْهُ سَخَطٌ ، إِلَى أَنْ جَرَى القَدَرُ بِمَا عَمِىَ مِنْهُ البَصَرُ ، وَذَهَلَ عَنْهُ الْحَذَرُ ، فَسُلِبَ الْمَوْهُوبُ ، وَالسَّالِبُ هُوَ الوَاهِبُ ، فَعُدْ [١٢] إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَعُذْ بِهِ [١٣] مِنْ فَظِيعِ النِّقَمِ ، فَمَتَى تَنْسَهُ

---

(١) فى « م » : « قد » .

(٢) مادَّة : مَدَدًا .. وهى عن « ط » ولم ترد فى « م »

(٣) فى « م » : « أخت الملك » .

(٤) السَّنَةُ : الجدب والقحط .

(٥) فى « م » : « المُصاب » .

(٦) العَلَق ، بفتحتين : الحبل والسَّيْر الذى تُعلَّق به القِرْبَةُ ونحوها .. وبكسر العين وسكون اللام : الثوب الجيد ، والنفيس من كل شىء ، والأول هو المراد هنا .. ولا يَخْلُق : لا يبلَى .

(٧) الغَرْبُ : الدلو العظيمة .. وفى « ط » : « ولا يُمتهن عزيزه » .

(٨) فى « م » : « وزاجرًا » .. لا تصح .

(٩) فى « م » : « بحفظ الرضا من المُرْضى » .

(١٠) الدَّلالة : الإرشاد .. وفى « م » : « الدَّالَّة » أى : الجرأة .

(١١) فى « م » : « المرعى » . والأول هو المناسب للمقام .

(١٢) فى « م » : « فيعد » .. لاتصح .

(١٣) فى « ط » : « وَعَذِّبْهُ » مكان « وعَذ بِهِ » .

يَنْسَكَ [١] ، وَلاَ تَجْعَلَنَّ الحَيَاءَ مِنَ التَّذَلُّلِ لِلْمُعِزِّ الْمُذِلِّ شِرْكًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ فَتَسْتَحِقَّ مَذْمُومَ العَاقِبَةِ ، وَلٰكِنْ مُرْهُمْ وَنَفْسَكَ بِصَرْفِ القُلُوبِ إِلَى الإِقْرَارِ لله بِكُنْهِ القُدْرَةِ ، وَتَذْلِيلِ الأَلْسُنِ فى الدُّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ [٢] ، فَإِنَّ الْمَلِكَ رُبَّمَا عَاقَبَ عَبْدَهُ لِيُرْجِعَهُ عَنْ شَيْءٍ فَعَلَ ، إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيَبْعَثَهُ عَلَى دَرْبِ شُكْرٍ [٣] يَحُوزُ بِهِ فَضْلَ أَجْرٍ .

فَأَمَرَها المَلِكُ أَنْ تَقُومَ فِيهِمْ فَتُنْذِرَهُمْ بِهَذَا الكَلاَمِ ، فَفَعَلَتْ ، فَرَجَعَ القَوْمُ عَنْ بَابِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ الله تَعَالَى مِنْهُمْ قَبُولَ [٤] الْوَعْظِ فى الأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَحَالَ عَلَيْهِمَا الحَوْلُ وَمَا بَيْنَهُمْ [٥] مُفْتَقِدٌ نِعْمَةً كَانَ سُلِبَهَا ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِمُ الزِّيَادَاتُ بِجَمِيلِ الصُّنْعِ ، فَاعْتَرَفَ الْمَلِكُ لَهَا بِالفَضْلِ ، فَقَلَّدَهَا الْمُلْكَ بَعْدَهُ ، وَجَمَعَ الرَّعِيَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا فى الْمَحْبُوبِ وَالمَكْرُوهِ . فَهَذَا فِعْلُ الله تَعَالَى [٦] بِأَعْدَائِهِ ، وَضَرَائِرِ نِعْمَتِهِ [٧] لَمَّا شَكَرُوهُ أَعَادَ لَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَا كَانَ قَدِ اسْتَرْجَعَ ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا تَمَنَّوْهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُوَحِّدُونَهُ وَيُؤْمِنُونَ [٨] بِهِ ، لَوْ صَدَقَتْ نِيَّاتُنَا وَصَحَّتْ ضَمَائِرُنَا ؟

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ [٩] : تُوُفِّيَ رَسُولُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بِدِمَشْقَ فى خِلاَفَةِ

---

(١) فى « م » : « ينساك » .. لاتصح .

(٢) محض الشكر : خالص الثناء .

(٣) فى « ط » : « وليبعثه على دوب شكر » وكلمة « دوب » هنا خطأ مطبعى .

(٤) « قبول » عن « م » .

(٥) فى « م » : « فحالَ الحَوْلُ عليهم وما فيهم » .

(٦) « تعالى » عن « م » .

(٧) فى « م » : « نِعَمِه » .. والضرائر : جمع ضرورة ، وهى : الحاجة .

(٨) فى « م » : « مِمَّن يُوَحِّدُوهُ ويؤمنوا به » ولا وَجه هنا لحذف النون من الفعلين .

(٩) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمى ، الأسلمى بالولاء ، المدنى ، أبو عبد الله الواقدى ، من أقدم المؤرخين فى الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حُفَّاظ الحديث ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وكان حَنَّاطاً (تاجر حنطة) بها ، وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ فى أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكى ، فقربه من الخليفة ، وأفاض عليه من عطاياه .. وولى القضاء ببغداد ، واستمر إلى أن توفى بها سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٦ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٥١٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٤٨ – ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣ – ٢١ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٢٥ – ٤٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٢ – ٦٦٦ ، وتذكرة الحُفَّاظ ج ١ ص ٣٤٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٧ – ٢٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨] .

هِشَامٍ [١] ، فَوُجِدَ فى جَيْبِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : إِذَا ذَهَبَ الوَفَاءُ [٢] نَزَلَ البَلاءُ ، وَإِذَا مَاتَ الاعْتِصَامُ عَاشَ الانْتِقَامُ ، وَإِذَا ظَهَرَتِ الْخِيَانَاتُ امْتُحِقَتِ الْبَرَكَاتُ [٣] .

وَقَالَ الوَضَّاحِىُّ [٤] : وَجَّهَ أَنُوشِرْوَانُ رَسُولاً لَهُ إِلَى مَلِكٍ [٥] قَدْ أَجْمَعَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَأَمَرَهُ [٦] أَنْ يَتَعَرَّفَ سِيرَتَهُ فى نَفْسِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَجَدْتُ عِنْدَهُ الهَزْلَ أَقْوَى مِنَ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبَ [٧] أَكْثَرَ مِنَ الصِّدْقِ ، وَالجَوْرَ أَرْفَعَ مِنَ العَدْلِ . فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : رُزِقْتَ الظَّفَرَ بِهِ ، سِرْ إِلَيْهِ ، وَلْيَكُنْ عَمَلُكَ فى مُحَارَبَتِهِ بِمَا هُوَ عِنْدَهُ أَضْعَفُ وَأَقَلُّ وَأَوْضَعُ ، فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ وَهُوَ مَخْذُولٌ . فَسَارَ إِلَيْهِ وَعَمِلَ بِمَا أَوْصَاهُ [٨] ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ .

وَقَالَ بُزُرْجِمِهْرُ : الْمَزْحُ آفَةُ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، والجَوْرُ مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْمَلِكُ الهَزْلَ ذَهَبَتْ هَيْبَتُهُ ، وَإِذَا اسْتَصْحَبَ الْكَذِبَ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وإِذَا بَسَطَ الجَوْرَ فَسَدَ سُلْطَانُهُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتُمَ ، وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ الفُرْسِ : الهَزْلُ مَبْغَضَةٌ ، والكَذِبُ مَنْقَصَةٌ ، وَالجَوْرُ مَفْسَدَةٌ . وَقُتِلَ [٩] لِبَعْضِ أَصْحَابِ اسْفِنْدِيَارَ رَجُلٌ مِنَ التُّرْكِ ، فَأُصِيبَ [١٠] فى عُنُقِهِ لَوْحُ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : آفَةُ الشِّدَّةِ التَّهَيُّبُ ، وَآفَةُ الْمَنْطِقِ الْحَيَاءُ ، وَآفَةُ كُلِّ شَىْءٍ الكَذِبُ .

---

(١) قوله : « فى خلافة هشام » عن « ط » .

(٢) فى « م » : « فيه مكتوب : إذا نزل الوفاء .. » .

(٣) امْتُحِقَت البركات : هلكت وبادت .

(٤) هو : محمد بن الحسين بن على بن يحيى بن حسان ، أبو عبد الله الأنبارى ، ويُعرف بالوضاحى ، أصله من الأنبار ، وانتقل إلى خراسان ، وسكن نيسابور .. سمع الحديث من القاضى أبى عبد الله المحاملى وغيره ، وهو شاعر أيضاً ، أورد له الخطيب البغدادى أبياتاً من قصيدة يعارض بها مُعلقة امرئ القيس .. وتوفى بنيسابور سنة ٣٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢] .

(٥) فى « م » : « رسولًا إلى ملك » .

(٦) فى « م » : « وأَمَرَ » .

(٧) فى « م » : « والكَذر » تحريف .

(٨) قوله : « وعمل بما أوصاه » عن « م » .

(٩) فى « م » : « وقيل » تحريف .

(١٠) فأُصِيبَ : فَوُجِدَ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا قِيمَةُ الصِّدْقِ ؟ قَالَ : الْخُلْدُ فِى الدُّنْيَا . قِيلَ : فَمَا قِيمَةُ الكَذِبِ ؟ قَالَ : مَوْتٌ عَاجِلٌ . قِيلَ : فَمَا قِيمَةُ العَدْلِ ؟ قَالَ : مُلْكُ الأَبَدِ . قِيلَ : فَمَا قِيمَةُ الْجَوْرِ ؟ قَالَ : ذُلُّ الْحَيَاةِ .

قَالَ : وَسَأَلَ مَلِكُ الْهِنْدِ الإِسْكَنْدَرَ ، وَقَدْ دَخَلَ بِلاَدَهُ : مَا عَلاَمَةُ الْمُلْكِ وَدَوْلَتُهُ ؟ قَالَ لَهُ : الجِدُّ فِى كُلِّ الأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلاَمَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزْلُ فِيهِ . قَالَ : فَمَا سُرُورُ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا رُزِقْتَ . قَالَ فَمَا غَمُّهَا ؟ قَالَ : الْحِرْصُ عَلَى مَا لَعَلَّكَ لاَ تَنَالُهُ .

وَقَالَ بُزُرْجَمِهْرُ : ثَلاَثٌ هُنَّ سُرُورُ الدُّنْيَا ، وَثَلاَثٌ هُنَّ غَمُّهَا ، فَأَمَّا السُّرُورُ فَالرِّضَا بِالقَسْمِ ، وَالْعَمَلُ [١] بِالطَّاعَةِ فِى النِّعَمِ ، وَنَفْىُ الاهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ لِغَدٍ . وَأَمَّا الغَمُّ فَحِرْصٌ مُسْرِفٌ ، وَسُؤَالٌ مُجْحِفٌ ، وَتَمَنِّى مَا يُلْهِفُ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلاَمٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْبَعِثٍ [٢] وَقَدْ عَنَّفَ عَلَيْهِ فِى السُّوقِ ، فَقَالَ : يَا غُلاَمُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الغُلاَمُ : يَا أَيُّهَا المَلِكُ ، فِى الرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ ؟ قَالَ : تَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفِى الْعُنْفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الإِحْسَانُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : يَخِفُّ حِمْلُهُ [٣] ، وَيَطُولُ أَكْلُهُ . فَأُعْجِبَ [٤] الْمَلِكُ بِكَلاَمِهِ ، وقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ : رِزْقٌ مَقْدُورٌ ، وَوَاهِبٌ مَأْجُورٌ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ اسْمِكَ فِى حَشَمِى . قَالَ : كُفِيتَ مَئُونَةً ، وَرُزِقْتَ بِهَا مَعُونَةً . قَالَ : لَوْلاَ أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لاَسْتَوْزَرْتُكَ [٥] . قَالَ : لَنْ يَعْدَمَ الفَضْلَ مَنْ رُزِقَ العَقْلَ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْحَمْدُ

---

(١) فى « ط » : « والرضا » .

(٢) غير منبعث ، أى مُقَيَّد بعقال ونحوه .

(٣) الحِمْل ، بكسر الحاء : مايُحْمَلُ على الظهر ونحوه .. وبفتحها : ماكان فى بطن أو على شجر .. والأول هو المراد هنا .

(٤) فى « م » : « قال : فأعجب » .

(٥) أى : لجعلتك وزيرًا .

وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ ، وَلاَ يَعْرِفُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوَهَا [١] . قَالَ : فَاسْتَوْزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَلِيبٍ ، وَفَهْمٍ رَحِيبٍ [٢] ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ .

قَالَ : وكَتَبَ الإِسْكَنْدَرُ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ ، وَقَدْ نَفَذَ [٣] فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَبَلَغَ مِنْهُمَا مَالَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ [٤] قَبْلَهُ : اكْتُبْ إِلَيَّ لَفْظًا مُوجَزًا يَنْفَعُ وَيَرْدَعُ [٥] . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِذَا اسْتَوْلَتْ بِكَ السَّلاَمَةُ فَجَدِّدْ ذِكْرَ الْعَطَبِ ، وَإِذَا هَنَتْكَ الْعَافِيَةُ [٦] فَحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالبَلاءِ ، وإِذَا اطْمَأَنَّ بِكَ الأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الْخَوْفَ ، وَإِذَا بَلَغْتَ نِهَايَةَ الأَمَلِ فَاذْكُرِ المَوْتَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فَلاَ تَجْعَلَنَّ لَهَا فى الإِسَاءَةِ إِلَيْهَا نَصِيبًا .

قَالَ : وَوَعَظَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَلِكًا فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ، وَالآخِرَةَ دَارُ ثَوَابٍ ، وَمَنْ لا يُقَدِّمْ لا يَجِدْ ، فَهَنِّ نَفْسَكَ حَلاَوَةَ عَيْشِهَا بِتَرْكِ الإِسَاءَةِ إِلَيْهَا [٧] . وَاعْلَمْ أَنَّ زِمَامَ العَافِيَةِ بِيَدِ الْبَلاَءِ ، وَأَمْنَ السَّلاَمَةِ تَحْتَ جَنَاحِ العَطَبِ ، وَبَابَ الأَمْنِ مَسْتُورٌ بِالْخَوْفِ ، فَلاَ تَكُونَنَّ فى حَالٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاَثَةِ [٨] غَيْرَ مُتَوَقِّعٍ لأَضْدَادِهَا [٩] ، وَلاَ تَجْعَلْ نَفْسَكَ غَرَضًا [١٠] لِسِهَامِ الهَلَكَةِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ عَدُوُّ ابْنِ آدَمَ ، فاحْتَرِزْ مِنْ عَدُوِّكَ بِغَايَةِ الاسْتِعْدَادِ ، وَإِذَا فَكَّرْتَ فى نَفْسِكَ وَعَدُوِّهَا [١١] اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْوَعْظِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الإِسْكَنْدَرُ عَلَى بَابِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ : أَجَلٌ قَرِيبٌ فى يَدِ غَيْرِكَ ، وَسَوْقٌ

---

(١) أى : يختبرها .

(٢) صليب : شديد قوى .. وفَهم رحيب : متّسع الفهم والعقل .

(٣) فى « م » : « نفذ يده » .

(٤) فى « م » : « مالم يبلغ أحدٌ طامع » .

(٥) « يردع » عن « ط » .

(٦) هَنَتْكَ العافية : لَذَّتْ وطابَتْ لك .

(٧) من قوله : « قال : ووعظ بعض الحكماء » إلى هنا عن « ط » .

(٨) فى « م » : « الثلاث » . وكلاهما صواب .

(٩) فى « م » : « خير موقع لأضداده » .

(١٠) غَرَضاً : هدفاً ظاهرًا .

(١١) فى « م » : « وعدمها » .

حَثِيثُ (١) مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِذَا انْتَهَتِ الْمُدَّةُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاحْتَلْ قَبْلَ الْمَنْعِ ، وَأَكْرِمْ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ السَّائِقَيْنِ (٢) ، وَإِذَا آنَسَتْكَ السَّلَامَةُ فَاسْتَوْحِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّهُ الغَايَةُ ، وَإِذَا فَرِحْتَ لِلْعَافِيَةِ فَاحْزَنْ لِلْبَلاءِ ، فَإِلَيْهِ تَكُونُ الرَّجْعَةُ ، وَإِذَا بَسَطَكَ الْأَمَلُ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الأَجَلِ ، فَهُوَ الْمَوْعِدُ ، وَإِلَيْهِ الْمَوْرِدُ .

وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَفَارِسَ حَجَرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : الْعَافِيَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَلاَءِ ، وَالسَّلاَمَةُ مَقْرُونَةٌ بالعَطَبِ ، وَالأَمْنُ مَقْرُونٌ بِالْخَوْفِ .

وَلَمَّا ضَرَبَ أَنُوشِرْوَانُ عُنُقَ بُزُرْجَمِهْرَ لَمَّا رَغِبَ عَنْ (٣) دِينِ الْمَجُوسِيَّةِ وانْتَقَلَ (٤) إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَجَدَ فِي مِنْطَقَتِهِ (٥) كِتَابًا فِيهِ ثَلاَثُ كَلِمَاتٍ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَازِلاً (٦) ، فَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمْقٌ .

وَلَمَّا تَابَ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، كَتَبَ (٧) عَلَى كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَّتِ الْعَافِيَةُ نَزَلَ البَلاَءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ السَّلاَمَةُ نَجَمَ الْعَطَبُ ، وَإِذَا تَمَّ الأَمْنُ عَلَنَ الْخَوْفُ (٨) .

وَحُفِرَ حَفِيرٌ (٩) بِفَارِسَ فَوُجِدَ فِيهِ لَوْحُ رُخَامٍ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ مَحْفُورَةٌ ، أَوَّلُهَا : أَيُّهَا الْمُعَافَى أَبْشِرْ بِالْبَلاَءِ . وَالثَّانِي : أَيُّها السَّالِمُ تَوَقَّعِ العَطَبَ . وَالثَّالِثُ : أَيُّهَا الآمِنُ خُذْ أُهْبَةَ الْخَوْفِ . وَالرَّابِعُ : أَيُّهَا الْمُوسِرُ لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الْعُسْرُ .

---

(١) السَّوْق : الحَثُّ : والحَثِيث : السريع الجاد فى أمره .. والمراد : أنه بمرور الأيام والليالى يصل الإنسان إلى نهاية أجله .. وفى « م » : « شوق » بالشين ، والأول أوجه .

(٢) السَّائِقَيْن : الليل والنهار يسوقان الإنسان إلى نهايته المحتومة .. وفى « م » : « السابقين » .

(٣) رغِبَ عن الشىء : تركه متعمدًا وزهد فيه .. وفى « م » : « غرب » .

(٤) فى « م » : « فانتقل » .

(٥) فى « م » : « وجد فيه مِنْطَقه » .. « فيه » تحريف .. ومِنْطَقه ومنطقته ، بمعنى واحد ، وهو : الحزام الذى يشد به وسطه .. وقد مر .

(٦) فى « م » : « نازل » لا تصح .

(٧) فى « م » : « وكتب » .. الواو زيادة من الناسخ .

(٨) عَلَن الخوف : شاعَ وظَهر .

(٩) الحَفِيرُ : البئر أو القبر ، أو ما يُحْفَرُ للكشف عن الآثار .

وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو مُسْلِمٍ مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدَ أَتَاهُ اسبهَنْدُهَا [١] فَقَالَ : أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّ بِالْقَنْدُهَارِ [٢] حَجَرًا مَدْفُونًا فِيهِ ثَلاَثَةُ أَسْطُرٍ ، وَجَدْتُ فِى الْكُتُبِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ، بَعَثَ بِهِ وَدُفِنَ فِى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَوُجِدَ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِى تَسْتَخْرِجُهُ ، وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ . فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَإِذَا أَوَّلُ سَطْرٍ مِنْهُ : الْحَزْمُ انْتِهَازُ الْفُرْصَةِ وَتَرْكُ الْوَنَى [٣] فِيمَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْفَوْتُ . وَالسَّطْرُ الثَّانِى : الرِّيَاسَةُ لاَ تَتِمُّ إِلاَّ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ . وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ : لَمْ يُقْتَلِ الآبَاءُ مِنْ تَرْكِ الأَبْنَاءِ ، وَلَمْ يُصَبْ مَنْ لَمْ يَخُبْ [٤] . فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَقُولُ : عِلْمٌ جَلِيلٌ بِهِ تَتِمُّ هَذِهِ الدَّوْلَةُ [٥] ، إِنْ لَمْ يَنْزِلِ الْقَدَرُ بِمَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الحَذَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعْمِلُ هَذَا الكَلاَمَ إِلَى أَنْ قَدِمَ العِرَاقَ ، فَأَعْمَاهُ الْقَدَرُ عَنِ الاِسْتِعَانَةِ بِالْحَذَرِ ، فَقَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ .

وَلَمَّا حَجَّ أَبُو مُسْلِمٍ قِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْحِيرَةِ نَصْرَانِيًّا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مَائِتَا سَنَةٍ [٦] ، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الأَوَّلِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأُتِىَ بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى أَبِى مُسْلِمٍ قَالَ : قَدِمْتَ بِالْكِفَايَةِ وَلَمْ تَأْلُ [٧] فِى الْعِنَايَةِ ، وَقَدْ بَلَغْتَ النِّهَايَةَ ، أَحْرَقْتَ نَفْسَكَ لِمَنْ سَيُسْكِتُ حِسَّكَ ، وَكَانَ قَدْ عَايَنْتَ رَمْسَكَ [٨] . فَبَكَى أَبُو مُسْلِمٍ ، فَقَالَ :

---

(١) هكذا فى « م » و « ط » .. ولعله يريد « اسبهبذها » أى : كبير قوادها .. والكلمة فارسية . [انظر قاموس الفارسية ص ٦٨ مادة « اسبهبذ »]

(٢) القُنْدُهار ، بضم القاف وسكون النون وضم الدال : من بلاد السند أو الهند ، وهى مشهورة فى الفتوح وقد مرت .
[انظر معجم البلدان ج ٤ مادة « قندهار »] .

(٣) الوَنَى : الفتور والضعف .. وفى « م » و « ط » : « الونا » بالألف .. والصواب ما أثبتناه .

(٤) لم يُصَبْ : سلم من الوقوع فى المصائب .. ومَنْ لم يَخُبْ ، أى : مَنْ يتأنى فى أمره ، ففى التأنى السلامة ، وفى العجلة الندامة .

(٥) فى « م » : « تم الدولة » .

(٦) فى « م » : « أتت له مائة سنة » .

(٧) لم تَأْلُ : لم تُقصِّر .

(٨) الرَّمْسُ : القبر مستوياً مع وجه الأرض .

لاَ تَبْلِكِ ، فإِنَّكَ لَمْ تُؤْتَ (١) مِنْ حَزْمٍ وَثِيقٍ ، وَلاَ مِنْ رَأْيٍ رَتِيقٍ (٢) ، وَلاَ تَدْبِيرٍ نَافِعٍ (٣) ، وَلاَ مِنْ سَيْفٍ قَاطِعٍ ، وَلَكِنْ مَا استَجْمَعَ أَحَدٌ لِأَمَلِهِ (٤) إِلَّا أَسْرَعَ فى تَقْرِيبِ أَجَلِهِ . قَالَ : فَمَتَى تَرَاهُ يَكُونُ ؟ قَالَ : إِذَا تَوَاطأَ الْخَلِيفَتَانِ عَلَى أَمْرٍ كَانَ ، وَالتَّقْدِيرُ فى يَدَىْ مَنْ يَبْطُلُ مَعَهُ التَّدْبِيرُ ، وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى خُرَاسَانَ سَلِمْتَ ، وَهَيْهَاتَ (٥) . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِالْمُضِيِّ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يَحُثُّهُ ، فَلَوْلَا أَنَّ الْبَصَرَ يَعْمَى إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ ، لَكَانَتْ هَذِهِ دَلَالَةً (٦) تَقَعُ مَوْقِعَ العِيَانِ ، وَتَبْعَثُ عَلَى التَّيَقُّظِ فى الْحَذَرِ والاحْتِيَالِ فى الْهَرَبِ (٧) ، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ غَايَةً ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ نِهَايَةً .

وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ ، وَهُوَ حَكِيمُ الطِّبِّ وفَيْلَسُوفُهُ ، وَقَدْ نَهَكَتْهُ الْعِلَّةُ (٨) : أَلَا تَتَعَالَجُ ؟ فَقَالَ : إِذَا كَانَ الدَّاءُ مِنَ السَّمَاءِ بَطَلَ الدَّوَاءُ ، وَإِذَا قَدَّرَ الرَّبُّ بَطَلَ حَذَرُ الْمَرْبُوبِ (٩) ، وَنِعْمَ الدَّوَاءُ الأَجَلُ ، وَبِئْسَ الدَّاءُ الأَمَلُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْغُزَاةِ : فَتَحْنَا حِصْنًا مِنْ بِلاَدِ الرُّومِ فَرَأَيْنَا فِيهِ صُورَةَ أَسَدٍ (١٠) مِنْ حَجَرٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : الْحِيلَةُ خَيْرٌ مِنَ الشِّدَّةِ ، وَالتَّأَنِّى أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَالْجَهْلُ فى الحَرْبِ أَحْزَمُ مِنَ العَقْلِ ، وَالتَّفَكُّرُ فى الْعَاقِبَةِ مَادَّةُ الْجَزَعِ .

---

(١) فى « م » : « لم تُؤْتَ عليك » .
(٢) رتيق : سديد .
(٣) فى « م » : « ولا مِنْ تدبير نافع » .
(٤) فى « م » : « ما استجمعت لأحد أمله » .
(٥) وهيهات ، أى : وبعيد أن تسلم .
(٦) فى « م » : « دلالة كافية » .
(٧) قوله : « وتبعث على التيقظ فى الحذر ، والاحتيال فى الهرب » عن « ط » .
(٨) نهكته العلة : أجهدته وغلبته .
(٩) المربوب : المخلوق .
(١٠) فى « ط » : « الأسد » .

وَقالَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ [١] : وَجَّهَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى هَارُونِ الرَّشِيدِ بِثَلاثَةِ أَسْيَافٍ مَعَ هَدَايَا كَثِيرَةٍ ، وَعَلَى سَيْفٍ مِنْهَا مَكْتُوبٌ : أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ احْمِلْ تَغْنَمْ ، وَلاَ تُفَكِّرْ فى العَاقِبَةِ فَتَهْزَم . وَعَلَى الثَّانِي مِنْهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا لَمْ تَصِلْ ضَرْبَةُ سَيْفِكَ فَصِلْهَا بِإِلْقَاءِ خَوْفِكَ . وَعَلَى الثَّالِثِ مَكْتُوبٌ : التَّأَنِّى فِيمَا لا يُخَافُ عَلَيْهِ الفَوَاتُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِدْرَاكِ الأَمَلِ .

وَقَالَ الحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ [٢] : قَرَأْتُ فى كِتَابِ « جَاوِيدَانْ خُرَدِ » : ثَلاَثٌ تُبْطِلُ مَعَ ثَلاَثٍ : الشِّدَّةُ مَعَ الحِيلَةِ ، وَالْعَجَلَةُ مَعَ التَّأَنِّى ، والإِسْرَافُ مَعَ القَصِدْ .

وَقَالَ الخضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : رَأَيْتُ بِعَدنَ حَجَرًا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِالْحِمْيَرِيَّةِ : أَيُّهَا الشَّدِيدُ [٣] احْذَرِ الحِيلَةَ ، أَيُّهَا الْعَجُولُ احْذَرِ التَّأَنِّى ، أَيُّهَا المُحَارِبُ تَأَيَّسْ مِنَ الفِكْرِ [٤] فى الْعَاقِبَةِ ، أَيُّهَا الطَّالِبُ مَوْجُودًا لا تَقْطَعْ أَمَلَكَ دُونَ بُلُوغِهِ [٥] .

وَكَتَبَ قَيْصَرُ إِلَى كِسْرَى : أَخْبِرْنِى بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَإِخَالُهَا [٦] عِنْدَكَ : أَخْبِرْنِى مَا عَدُوُّ الشِّدَّةِ ، وَصَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَمُدْرِكُ الأَمَلِ ، وَمِفْتَاحُ الْفَقْرِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : الْحِيلَةُ عَدُوُّ الشِّدَّةِ ، وَالصَّبْرُ صَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَالتَّأَنِّى مُدْرِكُ الأَمَلِ ، وَالْجَوْرُ [٧] مِفْتَاحُ الْفَقْرِ .

---

(١) هو : أحمد بن سهل ، أبو زيد البلخى ، من علماء الإسلام الأفذاذ ، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ، وُلد فى إحدى قُرى « بلخ » سنة ٢٣٥ هـ ، وساح سياحة طويلة .. وتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، وله الكثير من المصنفات ، وقد ذكرها ابن النديم فى الفهرست .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٣٤] .

(٢) هو : الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسى ، وزير المأمون العباسى .. وقد مرت ترجمته .

(٣) فى « م » : « أيها الطالب » .

(٤) فى « م » : « من التفكر » ... وتأيَّسْ : اقطع الرجاء .

(٥) فى « ط » : « من بُلوغه » .

(٦) إخالها : من الفعل خال يخال .. وبكسر الهمزة فى المضارع للمتكلم على غير قياس ، وبنو أسد يفتحونها على القياس ، وهو بمعنى : ظن .

(٧) الجور : الظلم .. وفى « م » و « ط » : « الجود » بالدال ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِحَكِيمٍ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أَوْقِفْنِى [١] عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ حِكْمَتِكَ أَعْمَلُ بِهَا فى سَفَرِى ؟ فَقَالَ لَهُ [٢] : اجْعَلْ تَأَنِّيكَ زِمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِيلَتَكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَعَفْوَكَ مِلْكَ قُدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ إِنْ لَمْ تُحْرِجْهُمْ بِالشِّدَّةِ عَلَيْهِمْ [٣] ، أَوْ تُبْطِرْهُمْ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : قَرَأْتُ فى كِتَابِ : « جَاوِيدَان خُرَد » وَهُوَ أَجَلُّ كِتَابٍ لِلْفُرْسِ : الْحِيلَةُ أَنْفَعُ مِنْ أَقْوَى الشِّدَّةِ ، وَأَقَلُّ التَّأَنِّى أَجَلُّ [٤] مِنْ أَكْثَرِ الْعَجَلَةِ ، وَالدَّوْلَةُ رَسُولُ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ ، وَإِذَا اسْتَبَدَّ الإِنْسَانُ بِرَأْيِهِ عَمِيَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاشِدُ .

وَكَانَ الْبَخْتَكَانُ [٥] أَبُو بُزُرْجَمِهْرَ خَامِلَ الْقَدْرِ ، وَضِيعَ الحَالِ ، مُفَهَّهَ الْمَنْطِقِ [٦] ، فَلَمَّا أَتَتْ لِبُزُرْجَمِهْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ [٧] سَنَةً حَضَرَ [٨] مَجْلِسَ المَلِكِ ، وَقَدْ جَلَسَتِ الْوُزَرَاءُ عَلَى كَرَاسِيِّهَا ، وَالْمَرَازِبَةُ فى مَجَالِسِهَا ، وَقَفَ فَحَيَّا [٩] المَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : الحَمْدُ لله الْمَأْمُولِ نِعَمُهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقَمُهُ ، الدَّالِّ عَلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، الْمُؤَيِّدِ الْمَلِكَ بِسُعُودِهِ [١٠] فى الْفَلَكِ ، حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَأَنَارَ بِهِ البِلاَدَ ، وَأَعَاشَ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَسَمَ لَهُ فى التَّقْدِيرِ وُجُوهَ التَّدْبِيرِ ، فَرَعَى رَعِيَّتَهُ [١١] بِفَضْلِ

---

(١) أَوْقِفْنِى : أَطْلِعْنِى .
(٢) « له » عن « م » .
(٣) « عليهم » عن « م » .
(٤) فى « م » : « أَجَدُّ » .
(٥) فى « م » : « التختكمان » وفى « ط » : « التجتكان » .. والتصويب من « إعجام الأعلام » فى ترجمة بُزرجمهر ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٦) مُفَهَّه المنطق ، أى : عَيِىّ .
(٧) فى « م » : « خمسة عشر » لا تصح .
(٨) فى « ط » : « وحَضَر فى .. » .
(٩) قوله : « والمرازبة فى مجالسها » عن « ط » ولم ترد فى « م » .. وفى « ط » : « وقف بحيال الملك » أى : بإزائه .
(١٠) فى « م » : « بسعود » .
(١١) فى « م » : « برعيته » .

نِعْمَتِهِ ، وَحَمَاهَا الْوَيْلاَتِ (١) ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِبَاتِ (٢) وَذَادَها عَنِ الآكِلِينَ (٣) ، وَأَلَّفَهَا بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ إِنْعَامًا مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَتَثْبِيتًا (٤) لِمَا فى يَدَيْهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ (٥) لَهُ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قَدْرَهُ فى السَّماءِ (٦) ، وَيَنْشُرَ ذِكْرَهُ تَحْتَ المَاءِ ، حَتَّى لا يَبْقَى لَهُ بَيْنَهُمَا مُناوِئٌ (٧) ، وَلاَ يَجِدَ لَهُ فِيهِمَا مُدَانِيَ (٨) ، وَأَسْتَوْهِبُ (٩) لَهُ حَيَاةً لاَ تَنْغِيصَ فِيهَا ، وَقُدْرَةً لاَ شَاذَّ عَنْهَا ، وَمُلْكًا لاَ بُؤْسَ فِيهِ ، وَعَافِيَةً تُدِيمُ لَهُ البَقَاءَ وَتُكْثِرُ لَهُ النَّمَاءَ ، وَعِزًّا يُؤَمِّنُهُ مِنَ انْقِلاَبِ رَعِيَّةٍ ، أَوْ هُجُومِ بَلِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ مَوْلَى الْخَيْرِ ، وَدَافِعُ الشَّرِّ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ فَحُشِيَ فَمُهُ بِثَمِينِ الْجَوَاهِرِ وَرَفِيعِهِ ، وَلَمْ يَدْفَعْ حَدَاثَةَ سِنِّهِ مَعَ نَبِيلِ كَلاَمِهِ أَنِ اسْتَوْزَرَهُ ، وَقَلَّدَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرَ خَارِجٍ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ : مَاللهِ عَلَى الْعَاقِلِ نِعْمَةٌ بَعْدَ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ مِنْ مُبَايَنَةِ هَذِهِ السَّفْلَةِ (١٠) بِالْفَهْمِ والعَقْلِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَا عُرِفَ اللهُ تَعَالَى إِلَّا بِالْجَهْلِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَ أُولِي النُّهَى وَذَوِي الأَلْبَابِ وَذَوِي البَصَائِرِ ، وَيَجِبُ عَلَى الْعِلْيَةِ أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى مُبَايَنَتِهِمْ (١١) هَذِهِ السَّفْلَةِ بالعُقُولِ وَالأَفْهَامِ ، كَمَا يَحْمَدُونَهُ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ .

---

(١) أى : منعها ودفع عنها الويلات .. وفى « ط » : « المؤيدات » .

(٢) شبه الرعية بالسائمة .. وأوردها المُعْشِبات : قادها إلى المراعى الكريمة النبات .

(٣) ذادها عن الآكلين : طردها ودفع عنها الضوارى والوحوش المفترسة .

(٤) فى « م » : « وتنبيهاً » .

(٥) يُخَيِّر : ينتقى ويختار .

(٦) فى « م » : « فى السَّوَاد » أى : بين الناس .

(٧) مناوئ ، أى : إنسان يفاخره ويعاديه .

(٨) أى : مقارب .. وفى « م » : « مُوَاتى » .

(٩) أستوهب : أسأل الله أن يهبَهُ .

(١٠) مُبايَنَة السَّفْلة : مخالفة الغوغاء من الناس .

(١١) فى « م » : « مُباينتها » .

وَقِيلَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ : مَا الَّذِى أَصَارَكَ إِلَى هٰـذَا ؟ قَالَ : الاسْتِبْدَادُ بِرَأْيِى ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَىَّ كُتُبُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنْ أُمُدَّهُ بِالأَمْوالِ وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فى نَفْسِى : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الاسْتِكْثَارَ مِنَ الأَمْوَالِ وَالْجُنْدِ بِمَا يُظْهِرُ لِي مِنْ فَسَادِ الدَّوْلَةِ قِبَلَهُ ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْتَقِضَ [١] عَلَىَّ خُرَاسَانُ . فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ مِنْ خُرَاسَانَ .

وَقَالَ الوَاقِدِىُّ : قَالَ الفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : لَمَّا دُعِىَ لِلْمَأْمُونِ فى كُوَرِ خُرَاسَانَ بِالْخِلاَفَةِ ، جَاءَتْنَا هَدَايَا الْمُلُوكِ سُرُورًا بِمَكَانِهِ مِنَ الْخِلاَفَةِ ، وَوَجَّهَ مَلِكُ « كَابُلِسْتَانَ » [٢] شَيْخًا يُقَالُ لَهُ ذَوْبَانُ ، وَكَتَبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ [٣] بِهَدِيَّةٍ لَيْسَ فى الأَرْضِ أَسْنَى مِنْهَا ، وَلاَ أَرْفَعُ وَلاَ أَنْبَلُ وَلاَ أَفْخَرُ مِنْهَا [٤] فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : سَلِ الشَّيْخَ مَامَعَهُ . فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : مَا مَعِى شَىْءٌ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِى . فَقُلْتُ [٥] : وَأَىُّ شَىْءٍ عِلْمُكَ ؟ قَالَ : رَأْىٌ يَنْفَعُ ، وَتَدْبِيرٌ يَقْطَعُ ، وَدَلاَلَةٌ تَجْمَعُ . قَالَ : فَسُرَّ المَأْمُونُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ [٦] بِإِنْزَالِهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَكِتْمَانِ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقِتَالِ أَخِيهِ قَالَ لِذَوْبَانَ : مَا تَرَى فى التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : رَأْىٌ وَثِيقٌ ، وَحَزْمٌ مُصِيبٌ ، وَمُلْكٌ قَرِيبٌ ، فَالسَّيْرُ مَاضٍ [٧] ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ . قَالَ لَهُ : فَمَنْ نُوَجِّهُ ؟ قَالَ : الْفَتَى الأَعْوَرُ ، الطَّاهِرُ الأَطْهَرُ ، يَسِيرُ وَلاَ يَعْثُرُ [٨] ، قَوِىٌّ مَرْهُوبٌ ،

---

(١) انتقض القوم على السلطان : خرجوا عليه وخلعوا طاعته .

(٢) كَابُلِسْتان : بين الهند ونواحى سجستان .

(٣) فى « م » : « تَوَجَّه » .

(٤) فى « م » : « ولا أنبل منها ولا أفخر » .

(٥) فى « ط » : « قُلْتُ » .

(٦) فى « ط » : « فأمَرَ » .

(٧) فى « م » : « قاضٍ » .

(٨) فى « م » : « يَفْتُرُ » .

مُقَاتِلٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ . قَالَ : فَكَمْ تُوَجِّهُ مَعَهُ [١] مِنَ الجُنْدِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلافٍ ، صَوَارِمُ الأَسْيَافِ ، لا يَنْتَقِصُونَ العَدَدَ [٢] ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْمَدَدِ .

فَسُرَّ المَأْمُونُ بِذَلِكَ [٣] ، وَوَجَّهَ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَخْرُجُ ؟ قَالَ : مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، يَجْمَعُ لَكَ الأَمْرَ ، وَيَصِيرُ [٤] إِلَى النَّصْرِ ، نَصْرٌ سَرِيعٌ ، وَقَتْلٌ ذَرِيعٌ ، وَتَفْرِيقُ تِلْكَ الْجُمُوعِ ، وَالنَّصْرُ لَهُ لاَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الأَمْرُ إِلَيْكَ [٥] وإِلَيْهِ . فَظَفِرَ طَاهِرٌ وَكَانَ لَهُ النَّصْرُ ، وَقَتَلَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى وَزِيرَ الأَمِينِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَحَازَ أَمْوالَهُ ، فَأَمَرَ المَلِكُ لِذَوْبَانَ بمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّ مَلِكِي لَمْ يُوَجِّهْنِي إِلَيْكَ لِأَنْقِصَكَ مَالَكَ ، فَلاَ تَجْعَلْ [٦] رَدِّي لِنِعْمَتِكَ تَسَخُّطًا [٧] ، وَسَأَقْبَلُ مَا يَفِي هَذَا [٨] المَالَ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ . قَالَ المأْمُونُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ كِتَابٌ يُوجَدُ بِالعِرَاقِ ، فِيهِ مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ ، وَعُلُومُ الآفَاقِ ، مِنْ كُتُبِ عَظِيمِ الْفُرْسِ ، فِيهِ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ صُنُوفِ الآدَابِ ، بِمَا لَيْسَ فِى كِتَابٍ ، عِنْدَ عَاقِلٍ لَبِيبٍ ، وَلاَ فَطِنٍ أَرِيبٍ ، يُوجَدُ تَحْتَ إِيوانِ كِسْرَى [٩] بِالمَدَائِنِ ، فَيُقَاسُ بِالذُّرْعَانِ [١٠] فى وَسَطِ الإِيوَانِ ، لاَ زِيَادَةَ ولا نُقْصَانَ ، فَاحْفِرِ الْمَدَرَ [١١] ، وَاقْلَعِ

---

(١) فى « م » : « فمن تُوَجِّه معه » والأخيرة لم ترد فى « ط » .
(٢) فى « م » : « لا ينتقض ، فخير العدد » .
(٣) « بذلك » عن « ط » .
(٤) فى « م » : « وتصير » .
(٥) فى « م » : « عليك » .
(٦) فى « م » : « فلا تَجْعَلَنَّ » .
(٧) تَسَخُّطاً : عدم رضا واستقلالاً .. وفى « م » : « سخطاً » أى : كراهة .. والأول أوجه .
(٨) فى « م » : « بهذا » .. ويفى : يوازى ويساوى .
(٩) سقطت « كسرى » من « ط » .
(١٠) الذُّرْعان : جمع ذِرَاعٍ ، وهى مقياس مقداره ستُّ قبضات معتدلات ، أو ٦٤ سنتيمتراً تقريباً .
(١١) المَدَر : الطين اللزج المتماسك .

الْحَجَرَ ، فَإِذَا وَصَلْتَ إلى السَّاجَةِ [١] فَاقْلَعْهَا تَجِدِ الْحَاجَةَ ، وَلاَ تَلْزَمْ لِغَيْرِهَا [٢] فَيَلْزَمُكَ غِبُّ [٣] ضَرِّهَا .

فَأَرْسَلَ المَأْمُونُ إِلَى إيوانِ كِسْرَى ، فَحَفَرُوا فى وَسَطِهِ ، فَوَجَدُوا صُنْدُوقًا صَغِيرًا مِنْ زُجَاجٍ [٤] عَلَيْهِ قُفْلٌ مِنْهُ ، فَحُمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ لِذَوْبَانَ : هَذَا بُغْيَتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : خُذْهَا وَانْصَرِفْ . فَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ ، وَنَفَخَ فى القُفْلِ فَانْفَتَحَ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ خِرْقَةَ دِيبَاجٍ فَنَشَرَهَا ، فَسَقَطَ مِنْهَا أَوْرَاقٌ ، فَعَدَّهَا مِائَةَ وَرَقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فى الصُّنْدُوقِ شَيْءٌ غَيْرُهَا ، فَأَخَذَ الأَوْرَاقَ وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ [٥] .

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ « جَاوِيدَانْ خُرَد » تَأْلِيفُ كَنْجُورَ [٦] وَزِيرِ مَلِكِ إيرَان شَهْر ، فَطَلَبْتُ [٧] مِنْهُ شَيْئًا ، فَدَفَعَ إِلَيَّ وَرَقَاتٍ مِنْهُ ، وَتَرْجَمَهَا لِي الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَخْبَرْتُ الْمَأْمُونَ فَقَالَ : احْمِلْ إِلَيَّ الْوَرَقَاتِ ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهَا فَقَالَ : هَـذَا – واللهِ – الكَلاَمُ [٨] لا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَيِّ أَلْسِنَتِنَا فى فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا ، وَلَوْلاَ أَنَّ الْعَهْدَ حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِينَا لأَخَذْتُهُ [٩] .

---

(١) السَّاجَة : الشجرة العظيمة .

(٢) أى : لا تتعداها لغيرها .. وفى « م » : « يلزم » .

(٣) الغِبُّ من كل شيء : عاقبته وآخره .. وفى « م » : « عبء » .

(٤) فى « م » : « صندوقاً من زجاج أسود » .

(٥) فى « م » : « المنزل الذى له » .

(٦) فى « م » : « سيجور » وقد سبق التعليق عليه .

(٧) فى « م » : « فطلب » .

(٨) فى « ط » : « والله هذا الكلام » .

(٩) من قوله : « فى فجوات أشداقنا » إلى نهاية الفصل ، عن « م » ولم يرد فى « ط » .

فَصْــلٌ

مِنْ نَوادِرِ بُزُرْجَمِهْرَ حَكِيمِ الْفُرْسِ قَالَ [١] : نَصَحَنِى النُّصَحَاءُ ، وَوَعَظَنِى الْوُعَظَاءُ [٢] شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا ، فَلَمْ يَعِظْنِى أَحَدٌ مِثْلُ شَيْبِى ، وَلاَ نَصَحَنِى مِثْلُ فِكْرِى . وَلَقَدِ اسْتَضَأْتُ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ ، فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِشَىْءٍ أَضْوَأَ مِنْ نُورِ قَلْبِى . وَكُنْتُ عِنْدَ الأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ فَلَمْ يَمْلِكْنِى أَحَدٌ ، وَلاَ قَهَرَنِى غَيْرُ هَوَاىَ ، وَعَادَانِى الأَعْدَاءُ ، فَلَمْ أَرَ أَعْدَى لِى مِنْ نَفْسِى إِذَا جَهِلَتْ . وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِى بِنَفْسِى مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ، حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً ، فَوَجَدْتُهَا أَشَرَّ [٣] الأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لاَ يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلاَّ مِنْ قِبَلِهَا . وَزَحَمَنِى الْمُضَايِقُ فَلَمْ يَزْحَمْنِى مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوْءِ . وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ [٤] وَأَطْوَلِ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فى شَىْءٍ أَضَرَّ عَلَىَّ مِنْ لِسَانِى . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ [٥] ، وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرَ نَارًا أَحَرَّ مِنْ غَضَبِى إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّى . وَطَالَبَنِى الطُّلاَّبُ فَلَمْ يُدْرِكْنِى مُدْرِكٌ مِثْلُ أَسَاتِى [٦] . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ ، وَمِنْ أَيْنَ نَالَنِى ؟ فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّى سُبْحَانَهُ . وَالْتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِى فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا [٧] مَالا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِحَارَ ، وَرَأَيْتُ الأَهْوَالَ ، فَلَمْ أَرَ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فى الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ ،

---

(١) « قال » عن « م » .

(٢) المشهور فى جمع واعِظ : وُعَّاظ ، لكن الوصف الذى على وزن « فاعل » يَطَّرِد جمعه على « فُعَلاء » نحو : عاقل وعُقلاء : وجاهل وجُهلاء ، وصالح وصُلحاء .. الخ .
والعرب اشترطوا أن يكون هذا الوصف دالاً على سَجِيَّة مدح أو ذم .

(٣) فى « م » : « أشدّ » .

(٤) فى « م » : « من البُعد » .

(٥) فى « م » : « الحَجَر » .

(٦) أى : إخوانى الذين يُواسُوننى ويُعَزُّوننى عند النوازل .. وفى « ط » : « إنسانى » .

(٧) فى « م » : « تَرْك » .

فَلَمْ أَرَ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْءِ [١] . وَعَالَجْتُ السِّبَاعَ وَالضِّبَاعَ وَالذِّئَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرَتْنِي ، وَغَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ السَّوْءِ ، وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ [٢] . وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ ، وَعَانَقْتُ الْحِسَانَ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ وَالسِّبَاعَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ الإِنْسَانِ السَّوْءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبِرَ ، وَشَرِبْتُ الْمُرَّ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَمَرَّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَتَعْبِئَةَ الْجُيُوشِ ، وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ ، وَصَارَعْتُ الأَقْرَانَ ، فَلَمْ أَرَ قِرْنًا [٣] أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوْءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ [٤] ، وَنَقَلْتُ الصَّخْرَ ، فَلَمْ أَرَ حِمْلاً أَثْقَلَ مِنَ الدَّيْنِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ [٥] الْعَزِيزَ ، وَيَكْسِرُ الْقَوِيَّ ، وَيَضَعُ الشَّرِيفَ [٦] ، فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ بِالنُّشَّابِ [٧] ، وَرُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ ، فَلَم أَرَ أَنْفَذَ [٨] مِنَ الْكَلَامِ السَّوْءِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَمَّرْتُ السِّجْنَ ، وَشُدِدْتُ فِي الْوَثَاقِ ، وَضُرِبْتُ بِعُمُدِ الْحَدِيدِ ، فَلَمْ يَهْدِمْنِي مِثْلُ مَا هَدَمَنِي مِنَ الْغَمِّ [٩] وَالْحَزَنِ . وَاصْطَنَعْتُ الإِخْوَانَ ، وَانْتَخَبْتُ الأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ [١٠] وَالشِّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَخْيَرَ [١١] مِنَ التَّكَرُّمِ عِنْدَهُمْ [١٢]

---

(١) فى « ط » : « فلم أرَ مثل القرين السوء » .

(٢) فى « م » : « الطير » .

(٣) قِرْنًا ، أى : كُفْئاً ونظيراً فى الشجاعة .. وفى « م » : « قريناً » .

(٤) عالجت الحديد : زاولتُ العمل فيه ومارسته .

(٥) فى « م » : « فيما يملك » .

(٦) « ويضع الشريف » : يجعله وَضِيعاً .. وهذه الجملة عن « ط » وساقطة من « م » .

(٧) أى : النَّبل .

(٨) فى « م » : « أثقل » .

(٩) فى « ط » : « مثل ما هدمنى الغم » ووصْل « ما » وفصلها بمثل جائز .

(١٠) العُدَّة : ما يُعَدُّ لأمْرٍ يحدث .

(١١) فى « م » : « خير » لا تصح .. والصواب بالنصب .

(١٢) فى « م » : « عليهم » .

وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وُجُوهِهِ ، فَلَمْ أَرَ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ ، فَلَمْ أَرَ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِى ضَلاَلَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ (١) وَالمَذَلَّةَ ، فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ مُقَاسَاةِ الْجَارِ (٢) السَّوْءِ . وَشَيَّدْتُ الْبُنْيَانَ لأَعِزَّ بِهِ وَأُذْكَرَ (٣) ، فَلَمْ أَرَ شَرَفًا أَرْفَعَ مِنَ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَبِسْتُ الْكُسَا الْفَاخِرَةَ ، فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ الصَّلاَحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَسُرِرْتُ بِعَطَايَا الْمُلُوكِ وَحِبَائِهِمْ (٤) ، فَلَمْ أُسَرَّ بِشَىْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْخَلاَصِ مِنْهُم .

فصـــل

وَمِنْ حِكَمِ شَابَاقَ السِّنْدِىِّ (٥) مِنْ كِتَابِهِ الَّذِى سَمَّاهُ « مُنْتَحَلُ الْجَوَاهِرِ » (٦) لِلْمَلِكِ ابْنِ قَمَايِصَ (٧) الهِنْدِىِّ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ (٨) ، اتَّقِ عَثَرَاتِ الزَّمَانِ ، وَتَخَشَّ (٩) تَسَلُّطَ الأَيَّامِ ، وَلَوْمَ غَلَبَةِ (١٠) الدَّهْرِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَاتَّقِ العَوَاقِبَ ، وللأَيَّامِ غَدَرَاتٌ (١١) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ ، وَلِلأَقْدَارِ مَغَيَّبَاتٌ (١٢) فَاسْتَعِدَّ لَهَا ، وَالزَّمَانُ مُنْقَلِبٌ (١٣) فَاحْذَرْ دَوْلَتَهُ ، لَئِيمُ الْكَرَّةِ فَخَفْ سَطْوَتَهُ ، سَرِيعُ الْغِرَّةِ فَلاَ تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ .

---

(١) فى « م » : « ورأيت الغُربة والوحدة » .

(٢) فى « م » : « جار » .

(٣) « وأذكر » عن « ط » .

(٤) حِبَائِهم : إكرامهم وعطاياهم .. وفى « م » : « وجاههم » .

(٥) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « شاباق الهندى ملك السند » .. وفى كشف الظنون ج ٢ ص ٥٣٥ أنه طبيبٌ وليس ملكاً .

(٦) فى المصدر السابق : « مُنتحل الجوهر » .

(٧) فى كشف الظنون : « ابن قمانص » بالنون .

(٨) فى « م » : « يا أيها الوالى » .

(٩) تَخَشَّ : خَفْ وَاخْشَ .

(١٠) فى « ط » : « عِلية الدهر » أى : قهره وغلبته .

(١١) فى « ط » : « عَثرات » .

(١٢) فى « ط » : « مغيبات » .

(١٣) فى « م » : « والزمان منقلب لوَلّى » .. وفى « ط » : « وللزمان » .

وَاعلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفسَهُ مِنْ سِقَامِ الآثَامِ (١) فى أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فى دَارٍ لَادَوَاءَ لَهُ بِهَا ، وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَّهُ وَاستَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ لِنَفسِهِ بَانَ (٢) فَضْلُهُ ، وَظَهَرَ نُبْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَضْبطْ نَفسَهُ وَهِىَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ وَهِىَ خَمْسٌ ، وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ مَعَ قِلَّتِهَا وَذِلَّتِهَا صَعُبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ ، فَكَانَتْ عَامَّةُ الرَّعِيَّةِ فى قَوَاصِى الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ المَمْلَكَةِ أَبعَدَ مِنَ الضَّبْطِ ، فَلْيَبْدَإِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفسِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفسِهِ ، ثُمَّ يَشْرَعُ فى قَهْرِ حَوَاسِّهِ الْخَمْسِ ، لأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ صَوَاحِبِهَا (٣) قَدْ تَأْبَى عَلَى النَّفسِ الْقَوِيَّةِ (٤) الْحَذِرَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ (٥) عَلَى وَاحِدَةٍ ؟

وَاعلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شِرَّةً لَيْسَتْ لِلأُخرَى ، فَمَيِّزْهَا (٦) تَسْلَمْ مِنْ شَرِّهَا ، وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ ، أَلَا تَرى أَنَّ الْفَرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ فَيَسْكُنُ مِنْ حَرِّهَا ، وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ ، وَالظَّبْىَ عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يُنْصِتُ لِلسَّمَاعِ الْمُونِقِ الْمُلْهِى ، فَيُمَكِّنُ الْقَانِصَ مِنْ نَفسِهِ ، وَذُبَابَ الْوَرْدِ (٧) الْمُتَّبِعَ لِطِيبِ الأَرَايِجِ يَطْلُبُ مَا يَقْطُرُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ لِطِيبِ رَائِحَتِهِ ، فَإِنَّهُ فى طِيبِ رَائِحَةِ الْمِسْكِ ، فَيُلْهِيهِ طِيبُ الرَّائِحَةِ (٨) عَنِ الاحْتِرَاسِ مِنْ تَحْرِيكِ الْفِيلِ أُذُنَهُ ، فَيَتَوَلَّجُ فى أَصْلِ أُذُنِهِ ،

---

(١) فى « م » : « الأيام » تحريف.

(٢) فى « م » : « أبان » .

(٣) فى « م » : « صَوَاحِبَاتِها » .

(٤) فى « م » : « القوة » تحريف .

(٥) فى « م » : « خمسة أنفس » وكلاهما صواب ، فالنفس مؤنثة إذا أُريد بها الروح .. قال تعالى : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ وإنْ أُريد بها الإنسان ذُكِّر .. وتجمع على أنفس ونفوس .

(٦) فى « م » : « فاقْهَرْها » مكان « فَمَيِّزْها » والشِّرَّة : الحِدَّة .

(٧) فى « م » : « الورد الطيب » .

(٨) فى « م » : « فيلهيه طِيبه » .

فَتَقَعُ (١) عَلَيْهِ ضَرْبَةُ الأُذُنِ فَتَقْتُلُهُ ، وَالسَّمَكَ فى الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطُّعْمِ (٢) أَنْ يَبْتَلِعَهُ ، فَتَحْصُلُ الصِّنَّارَةُ فى جَوْفِهِ فَيَكُون فِيهِ حَتْفُهُ .

وَذَكَر الْحَكِيمُ (٣) : أَنَّ خِصَالاً مَعْرُوفَةً قَتَلَتْ بِالإِفْراطِ فِيهَا مُلُوكًا مَعْرُوفِينَ ، فَالصَّيْدُ (٤) مَاتَ فِيهِ « قِيدَه » الْمَلِكُ ، وَالإِفْرَاطُ فى الْعَهَارِ (٥) مَاتَ مِنْهُ « سَيْبُ » (٦) الْمَلِكُ ، وَالإِفْرَاطُ فى السُّكْرِ مَاتَ فِيهِ « حَازِقُ » الْمَلِكُ ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ مَاتَ مِنْه « مُهْرِيقُ » الْمَلِكُ ، وَالْغَضَبُ « أَخْرَسْخِيُّ » الْمَلِكُ (٧) ، وَالطَّمَعُ « وائِلُ » وَالفَرَحُ « وَاطَابُ » (٨) ، وَالأَنَفَةُ « بُولِيسُ » والتَّوَانِى « زَمِيرُبُهْر » (٩) . وَأَخْلِقْ بِخِصَالٍ أَهْلَكَتْ مُلُوكًا أَنْ يَجْتَنِبَهَا الْمُلُوكُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ تَسْتَمْطِى (١٠) إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ اسْتِمْطَاءَ أَهْلِ الْجَدْبِ إِلَى الْغَيْثِ ، وَيَنْتَعِشُونَ بِطَلْعَتِهِ عَلَيْهِمْ كَانْتِعَاشِ النَّبَاتِ بِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْقَطْرِ ، بَلِ الرَّعِيَّةُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ أَتَمُّ نَفْعًا مِنْهَا بِالْغَيْثِ ، لِأَنَّ لِمَنْفَعَةِ الْغَيْثِ وَقْتًا مَعْلُومًا ، وَعَدْلُ الْمَلِكِ عَلَى الدَّوَامِ لاَ يَتَعَيَّنُ لَهُ وَقْتٌ ، وَيَحْسُنُ بِالمَلِكِ أَنْ تُشَبَّهَ (١١) تَصَارِيفُ تَدْبِيرِهِ

---

(١) ف « م » : « فى أصل الأذن » .

(٢) ف « م » : « يطلب لذّة الطُّعْم » .

(٣) فى « م » : « وذكَر هذا الحكيم » إشارة إلى الحكيم السندى « شاباق » .

(٤) فى « م » : « بالصيد » تحريف .. وستأتى أسماء ملوك هنود لم أقف عليها ، وهى : قيده ، وسيب ، وحازق ، ومهريق ، وأخرسخى ، ووائل ، وواطاب ، وبوليس ، وزميربهر .

(٥) العَهَار : الفجور .. وفى « م » : « القمار » تحريف .

(٦) من هنا إلى قوله « مهريق » عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) أى : مات منه « أَخْرَسْخِيُّ » وهكذا إلى نهاية الفقرة .

(٨) فى « ط » : « وَاطِبات » .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مهريق » ولعله سهو من الناسخ .

(١٠) تستمطى : تمد يديها .

(١١) فى « م » : « يُشبَّه » .

بِطِبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ (١) : الْغَيْثُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرِّيحُ ، وَالنَّارُ ، وَالأَرْضُ ، وَالمَاءُ ، وَالْمَوْتُ .

فَأَمَّا شِبْهُ الْغَيْثِ فَتَوَاتُرُهُ فى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِى لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِىَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ فى الأَرْبَعَةِ الأَشْهُرِ (٢) تَقْدِيرًا لِتَتِمَّةِ السَّنَةِ ، فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فى الْحَقِّ الَّذِى يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطَرِ (٣) بَيْنَ كُلِّ أَكَمَةٍ مُشْرِفَةٍ ، وَغَائِطٍ مُسْتَفِلٍ (٤) ، وَيَغْمُرُ كُلاًّ مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ (٥) ، ثُمَّ يَسْتَجْبِى الْمَلِكُ فى الثَّمَانِيَةِ الأَشْهُرِ حُقُوقَهُ مِنْ غَلاَّتِهِمْ وخَرَاجِهِمْ ، كَمَا تُسَخِّنُ (٦) الشَّمْسُ بِحَرِّهَا وَشِدَّةِ (٧) فِعْلِهَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ وَالأَمْطَارَ فى الأَرْبَعَةِ الأَشْهُرِ (٨) .

وَأَمَّا شِبْهُ الرِّيحِ ، فإِنَّ (٩) الرِّيحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ (١٠) تَسْرَحُ فى جَمِيعِ الْمَنافِذِ حَتَّى لا يَفُوتَهَا مَكَانٌ ، كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِى أَنْ يَتَوَلَّجَ (١١) قُلُوبَ النَّاسِ بِجَوَاسِيسِهِ وَعُيُونِهِ ، لاَ يَخْتَفُونَ عَنْهُ بِشَىْءٍ حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ فى بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ ، وَكَالْقَمَرِ إِذَا استَهَلَّ أَيَّامَهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الخَلْقِ ، وَسَرَّ النَّاسُ بِضَوْئِهِ (١٢) .

---

(١) فى « م » : « منها » لا تصح ، لأن الأشياء الثمانية ذُكِرَت كلها وليس بعضها .
(٢) فى « ط » : « الأربعة أشهر » .. والأول أصح .
(٣) فى « ط » : « بمنزلة ، كما يسوى المطر » .
(٤) غائط مُستفل ، أى : الأرض الجدباء ، أو الوادى المنقطع .
(٥) فى « ط » : « بقدر حبِّه » .
(٦) فى « م » : « كما تُحْيِى » .
(٧) فى « م » : « وَحِدَّة » .
(٨) فى « م » : « فى الأربعة الأشهر والأمطار » .
(٩) فى « م » : « لأن » .
(١٠) فى « م » : « المدخل » .
(١١) فى « م » : « يتولَّجُ على » أى : يدخل .
(١٢) فى « م » : « بضُره » تحريف .

يَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ (١) ، وَإِشْرَاقِهِ فى مَجْلِسِهِ ، وَإِينَاسِهِ رَعِيَّتَهُ بِبِشْرِهِ (٢) ، فَلاَ يَخُصُّ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِعَدْلِهِ ، وَكَالأَرْضِ فى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالأَمَانَةِ ، وَكَالنَّارِ عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ (٣) وَالْفَسَادِ ، وَكَعَاقِبَةِ الْمَوْتِ فى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، يَكُونُ ثَوابُهُ ، لاَ يُقَصِّرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَلاَ يَتَجَاوَزُهُ ، وَكَالْمَاءِ فى لِينِهِ لِمَنْ لاَيَنَهُ وَهَدَمَهُ ، وَإِقْلاَعِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمنْ حَارَبَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكْتَنِفُ السُّلْطَانَ (٤) مِنْ شِرَارِ النَّاسِ وَالأَعْوَانِ ، عَلَى الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، مَنْ يُسْتَبْشَعُ وَيُسْتَكْرَهُ ، كَالْحَيَّاتِ تَكْتَنِفُ بِالصَّنْدَلِ (٥) فَيَقْتُلُهَا الصَّنْدَلُ بِطِيبِ رَائِحَتِهِ وَبَرْدِهِ وَيُبْسِهِ ، وَيَنْتَفِعُ الصَّنْدَلُ بِهَا ، إِذْ لاَ يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ .

لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ تَلَطُّفِكَ تَشْدِيدُ الْبَلاءِ ، فَلاَ يُتَجَرَّأُ عَلَيْكَ (٦) ، فَإِنَّ الْقَمَرَ يُسْتَنَارُ بِضَوْئِهِ وَيُظْهَرُ لَهُ ، لِكَنَّ الشَّمْسَ يُسْتَظَلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُسْتَكَنُّ (٧) لَهَا ، وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ فى مِثْلِ هَذَا : لَا تَكُنْ حُلْوًا فَتُسْتَرطَ (٨) ، وَلاَ مُرًّا فَتُلْفَظَ . اجْعَلْ لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ أَعْدَائِكَ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَعْوَانِكَ يَسُوسُونَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَالْمَاءِ فى الأُذُنِ ، لاَ حِيلَةَ فى إِخْرَاجِهِ إِلَّا (٩) بِأَرْفَقَ مِنَ الْمَاءِ الَّذِى هُوَ مِنْ جِنْسِهِ .

إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَلَا تُعادِ جِنْسَهُ (١٠) ، وَاسْتَبْقِ مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، فَعسَى تَنْتَفِعُ بِهِ ،

---

(١) « زينته » عن « ط » .
(٢) فى « م » : « ببشرها » تحريف .
(٣) فى « ط » : « أهل الذُّعارة » بالذال المعجمة ، أى : الذين يُخيفون الناس ويُفزعونهم .
(٤) أى : يحيط به .
(٥) فى « م » : « بكنيف الصندل » أى : تتخذه كساتر وملجأ لها .
(٦) فى « م » : « تشديدًا لئلا يجرأ عليك » . وقوله « تشديدًا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع ، اسم « يكن » .
(٧) فى « ط » : « ويُسكن » .
(٨) فى « م » : « لا يكن حلوًا فيسترط » .. ومعنى تُسْتَرطُ ، أى : تُبْلَعُ بسهولة .
(٩) « إلّا » عن « ط » .
(١٠) فى « م » : « إذا عاديت رجلاً فاسقاً فلا تُعادِ كل جنسه » .

فَإِنَّ السَّيْفَ الْقَاتِلَ مِنْ جِنْسِ الدِّرْعِ الْوَاقِى ، وَلاَ تَطْمَعَنَّ فى الْكَذُوبِ وَالْمَطْبُوعِ عَلَى الشَّرِّ أَنْ تَعْطِفَهُمَا (١) بِالإِحْسَانِ ، فَإِنَّهُمَا كَالْقِرْدِ ، كُلَّمَا سَمِنَ بِإِطْعَامِ الْحَلاَوَةِ وَالدَّسَمِ ، ازْدَادَ وَجْهُهُ قُبْحًا .

قَدْ يَرُدُّ الْوَاحِدُ كَيْدَ الْجَمِيعِ إِذَا كَانَ عَاقِلاً ، كَمَا يَرُدُّ الظِّلُّ (٢) حَرَّ شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ وَافِيًا (٣) غَايَةً . أَرْمَى النَّاسِ أَنْ يَقْتُلَ بِسَهْمِهِ وَاحِدًا ، لَكِنَّ رَمْيَةَ عَاقِلٍ ذِهْنٍ (٤) تَقْتُلُ الْجَيْشَ بِأَسْرِهِ . وَالْمَلِكُ الشَّرِيفُ الْعَاقِلُ لاَ يَتَّقِدُ فِيهِ قَدْحُ أَهْلِ الْبَغْيِ (٥) ، مَنِ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَزِمَهُ كَانَ كَالجَوْهَرِ (٦) الْمُضِيءِ بِنُورِهِ ، لاَ تُطْفِئُهُ عُصُوفُ الرِّيَاحِ .

مِنْ كَانَ قَابِلاً لِمَا يُورَدُ عَلَيْهِ فى إِصْغَائِهِ (٧) إِلَى كُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ ، كَانَ كَالسِّرَاجِ (٨) يَمِيلُ بِهِ كُلُّ رِيحٍ لَيِّنَةٍ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ إِنْ عَصَفَتِ الرِّيَاحُ أَنْ يُطْفَأَ . تَدْبِيرُ الْمَلِكِ الحَازِمِ فى سُلْطَانِهِ ، كَتَعَاهُدِ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بِبُسْتَانِهِ ، يُخْرِجُ نَاحِلَ (٩) عِيدَانِهِ ، وَشَوْكَ شَجَرِهِ ، فَيَحِيطُ (١٠) بِهِ عَلَى ثَمَرِهِ وَزَرْعِهِ لِيَقِيَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، كَمَا يَنْتَخِبُ الْمَلِكُ أَهْلَ الشَّكِيمَةِ وَالشَّوْكَةِ فَيَجْعَلُهُمْ فى أَقَاصِيهِ وَحُدُودِهِ رِدْءًا (١١)

---

(١) فى « م » : « أن يستعطفه » .
(٢) « الظل » عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٣) فى « م » : « واقياً » .
(٤) فى « م » : « ذهن من » والذهن : الفَهْم والعقل .. ويُوصَف به فَيُقَال : فُلانٌ ذِهْنٌ ، أى : ذكىٌّ فَطِنٌ .
(٥) أى : لا يؤثر فيه عيب أهل البغى .. وفى « م » : « لا ينفذ » مكان « لا يتقد » .
(٦) فى « م » : « فَمَن انقطع إليه ولازَمَه كالجوهر » .
(٧) فى « م » : « ثقاته » .. والأول هو المناسب للسياق .
(٨) فى « م » : « كالزاج » وهو الزيت الذى يُوقَد به المصباح .
(٩) فى « م » : « إنَّ بُستانه يخرج قاحل » .
(١٠) فى « م » : « فيحط » .
(١١) رِدْءاً : دَعْماً وقُوّة .

لِلْمَمْلَكَةِ . وَلْيَكُنِ الْمَلِكُ أَحْذَرَ مَا يَكُونُ آمَنَ مَا يَكُونُ . قُلْتُ : وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ :

أَأَمِنْتُمُ رَيْبَ الْمَنُونِ فَنِمْتُمُ فَلَرُبَّ خَوْفٍ مُكْمَنٍ فى أَمَانِ [١]

قَالَ : أَلَا تَرى أَنَّ « بَهْرَشَانَ » الْمَلِكَ ، أَنَامَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى فِرَاشِهِ رَجُلاً ، فَلَمَّا رَامَ فِرَاشَهُ وَثَبَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، و « بَاسَرَاجَ » الْمَلِكَ قَتَلَتْهُ امْرَأَةٌ [٢] بِخَلْخَالٍ مَسْمُومٍ ، وَ « دَرُوفَ » الْمَلِكَ قَتَلَتْهُ امْرَأَتُهُ بِمُدْيَةٍ خَبَّأَتْهَا فى عِقَاصِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَلِمَ مِنْكَ مَوَاقِعَ الْغِرَّةِ [٣] ، وَمَوَاضِعَ الْحَذَرِ وَحَالَاتِ الأَمْنِ ، وَإِنَّمَا تَرَصُّدُهُ لَكَ [٤] فى حَالَاتِ الأَمْنِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِى تَظُنُّ الْعَدُوَّ لاَ يَكْمُنُ [٥] فِيهَا ، فَكُنْ أَحْذَرَ مَا تَكُونُ [٦] فِيهَا .

وَسَائِرُ حِكَمِ هٰذا الْبَابِ قَدْ قَدَّمْتُهَا فى تَرَاجِمِ كِتَابِنَا هَذَا [٧] .

فصل

قَالَ غَيْرُهُ : لاَ يَنْبَغِى لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا ، فَإِنَّ فى ذَلِكَ خِصَالًا مَذْمُومَةً ، مِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يَعُوقُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُمْسِكٌ مُهِمٌّ [٨] ، أَوْ بَعْضُ

---

(١) البيت من الكامل .. وريب المنون : حوادث الدهر .. وفى « م » : « ريب الزمان » فَرُبَّ خوف مكْمَنٍ : فى « ط » : « رُبَّ » .. والمكْمَن : الكامِنُ فيه ولا يُفطَنُ له .. وفى « م » : « ممكن » .

(٢) « امرأة » عن « م » .

(٣) « مواقع الغِرَّة » عن « م » . والمراد بها : أوقات الغَفْلَة .

(٤) « لك » عن « ط » .

(٥) فى « م » : « لا يمكن » .

(٦) فى « ط » : « يكون » .

(٧) « هذا » عن « م » .

(٨) فى « م » : « قد يعوق فى ذلك اليوم شغل مهم » .. وفى « ط » : « مُمْسِك يهم » وكلاهما صواب .

كَسَلٍ (١) ، أَوْ لَذَّةٌ مُغْتَنَمَةٌ ، فَيَلْزَمُهُ الْخُروجُ عَلَى كُرْهٍ . ومِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَخَلَّفَ عَنِ (٢) الظُّهُورِ فى ذَلِكَ الْيَوْمِ لأَمْرٍ مَّا ، تَطَاوَلَتِ الأَعْنَاقُ مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَكَثُرَ كَلاَمُهَا ، وقَالُوا : مَرِضَ الْمَلِكُ (٣) ، أَوْ مَاتَ ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ ، فَيَكْسِبُ الْعَدُوّ جُرْأَةً وَسُرُورًا ، وَيَكْسِبُ الْوَلِىّ حُزْنًا (٤) وَحَبْسًا . وَمِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يُوَاعِدُ (٥) عَدُوَّهُ لِيَوْمٍ يَلْتَقِيانِ فِيهِ ، فَلاَ يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ (٦) .

وَلاَ يَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ كَثِيرَ التَّصَرُّفِ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ ، وَخُبْثِ الرَّعِيَّةِ ، وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إذا كَانَ الْجَمَلُ كَثِيرَ الْقَفزِ (٧) كَانَ نَصِيبَ الذِّئْبِ .

فصــل

مِنْ نَوَادِرِ كَلاَمِ الْعَرَبِ : مِنْ حِكَمِ (٨) أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِىٍّ ، وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ ، وَقَدْ عَلِقَ (٩) النَّاسُ عَنْهُ حِكَمًا لَطِيفَةً ، وَأَلَّفُوا فِيهَا (١٠) تَصَانِيفَ ، فَمِنْ حِكَمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الأَهْوالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةِ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنِ احْتَاجَ إِلَى

---

(١) فى « م » : « بعض الكسل » .
(٢) فى « م » : « على » .
(٣) « الملك » عن « م » .. وبعدها : « أو مات » عن « ط » .
(٤) فى « م » : « خوفاً » .
(٥) فى « م » : « واعد » .
(٦) قوله : « فلا يتم له ذلك » عن « ط » ولم يرد فى « م » .
(٧) فى « م » : « الفقر » تحريف .
(٨) فى « م » : « من كلام » .
(٩) عَلِقَ : عَلِمَ .
(١٠) فى « م » : « فيه » .

لَئِيمٍ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ [١] ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . لاَ وَفَاءَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ حَيَاءٌ . قَدْ يُشْهَرُ [٢] السِّلاحُ فى بَعْضِ الْمُزَاحِ . مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ فَازَ بِالْحَمْدِ . الْمَوْتُ يَدْنُو وَالْمَرْءُ يَلْهُو . طُولُ الْغَضَبِ يُورِثُ الْوَصَبَ . رُبَّ عِتْقٍ شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . مَنِ اصْطَنَعَ قَوْمًا احْتَاجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مَّا [٣] . الْكَذِبُ بَهْتٌ [٤] وَالْحَلِفُ مَقْتٌ . مَنْ لَمْ يَكُفَّ أَذَاهُ لَقِىَ مَاسَاهُ [٥] . الْحُرُّ يَتَقَاضَى لَكَ مِنْ نَفْسِهِ [٦] وَاللَّئِيمُ يَسْتَحْسِنُ تَسْوِيفَهُ وَخَبْسَهُ [٧] . لَيْسَ بِإِنْسَانٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانٌ . أَنْتَ مُزْرٍ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . عَلَيْكَ بِالْمُجَامَلَةِ لِمَنْ لاَ تَدُومُ لَهُ مُوَاصَلَةٌ .

فى الأَسْفَارِ يَبْلُو الاخْتِيَارُ [٨] . أَفْسَدَ كُلَّ حَسَبٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ . أَفْضَلُ الْفِعَالِ صِيَانَةُ الْعِرْضِ بِالْمَالِ . لَيْسَ مَنْ حَادَثَ الْجَهُولَ بِذِى مَعْقُولٍ . لَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَّالَ فَلْيَسْتَعِدَّ لِقِيلٍ وَقَالٍ . مَاجَلاَ عَنْكَ النِّسْيَانَ مِثْلُ الْبَيَانِ ، وَلاَ نَفَى عَنْكَ الْبُهْتَانَ مِثْلُ الْبُرْهَانِ . لَمْ يَنْجُ مِنَ الْمَوْتِ غَنِىٌّ لِمَالِهِ ، وَلاَ فَقِيرٌ لإِقْلاَلِهِ . إِذَا أَرَدْتَ طَرْدَ الْحُرِّ فَسِمْهُ [٩] الْهَوَانَ . كَثْرَةُ الْعِلَلِ آيَةُ الْبُخْلِ . كُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ ، وَصُحْبَةُ الأَحْمَقِ شُؤْمٌ . إِنَّ مِنَ الْكَرَمِ لِينَ الشِّيَمِ .

إِيَّاكَ وَالْخَدِيعَةَ ، فَإِنَّهَا خُلُقٌ لَئِيمٌ . أَمْحِضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ [١٠] حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . رُبَّ سَبَّابٍ قَدْ هَاجَهُ الْعِتَابُ . الصُّدُودُ [١١] آفَةُ الْمِقَةِ . سَبَبُ الْحِرْمَانِ

---

(١) فى « م » : « تكررت هذه الجملة سهواً من الناسخ .. ومعنى تُقَال ، أى : يُتَجَاوَزُ وَيُصْفَحُ عنها .

(٢) يُشْهَرُ : يُسَلُّ من غمد ويُرْفَعُ .. وفى « م » : « شَهَر » .. والمُزاحُ ، بضم الميم وكسرها : المُلاعبة والهزل .

(٣) « ما » عن « ط » .

(٤) البَهْتُ والبُهتان : الكَذِب المُفْتَرى .

(٥) أى : ما ساءَهُ .

(٦) فى « م » : « لك نفسه » .

(٧) فى « م » : « وخبه » أى : وخِدَاعه .

(٨) فى « ط » : « الاخبار » .

(٩) سِمْهُ : أَذِلَّهُ : وفى « م » : « فَشِمْهُ » أى : عِبْهُ وَذِمَّهُ .

(١٠) أَمْحِضْ أخاك النصيحة : أخلصها له ، وأَصْدِقْهُ فيها ، من الفعل الرباعى « أَمْحَضَ » .

(١١) الصُّدودُ : الإعراض .

التواني . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ استَحَقَّ الْحِرْمَانَ . لَيسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ . إنَّ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةَ الزَّادِ . مَنْ حَلُمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ . لاَ تَرْغَبْ فِيمَنْ يَزْهَدُ فِيكَ . رُبَّ بَعِيدٍ [١] أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . المِزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ [٢] . سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . غَثُّكَ [٣] خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ ، مَنْ أَجَدَّ الْمَسِيرَ أَدْرَكَ الْمَقِيلَ [٤] . استُرْ عَوْرَةَ أَخِيكَ لِمَا يَعْلَمُ [٥] فِيكَ . لا تُكْثِرْ مِنَ الْمُزَاحِ فَتَذْهَبَ هَيْبَتُكَ ، وَلاَ مِنَ الضَّحِكِ فَيُسْتَخَفَّ بِكَ . مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . كَفَى بِالْحِلْمِ ناصِرًا . الْمِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ . نِعْمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَاجَةِ . رُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ ، وَرُبَّمَا غَشَّ النَّاصِحُ [٦] . الكَلاَمُ فِيمَا يَنْفَعُكَ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ ، والسُّكُوتُ عَمَّا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الكَلاَمِ . لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ جَاهِلٍ قَرَابَةٌ وَلاَ جِوَارٌ وَلاَ إِلْفٌ ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ [٧] مِنَ النَّارِ قُرْبًا ، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا تَلَهُّبًا .

ارْفُضْ أَهْلَ الدَّنَاءَةِ تَلْزَمْكَ الْمَهَابَةُ . دَعْ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الرِّيَبِ [٨] عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ يَسْلَمْ دِينُكَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ سُوءِ الْمَقَالِ . الكَرَمُ شُكْرُ الْبَلاءِ ، واللُّؤْمُ كُفْرُ النِّعْمَةِ . أَكْرَمُ الصَّنَائِعِ سَلاَمَةُ الصُّدُورِ . لَنْ تَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَسْلَمُوا مِنْكَ . مَنْ عَدِمَ الإِيمَانَ لَمْ تَزِدْهُ الرِّوَايَةُ فِقْهًا . الْحُزْنُ [٩] مَفْسَدَةٌ لِلْعَقْلِ ، وَمَقْطَعَةٌ لِلْحِيلَةِ . كَثْرَةُ النَّوْمِ إِمَاتَةٌ لِلْقَلْبِ [١٠] . شِدَّةُ الْحَذَرِ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ . مُحَادَثَةُ الْحَمْقَى

---

(١) فى « م » : « رُبَّ أَمْرٍ بعيد » .
(٢) « المزاح يورث الضغائن » عن « ط » وساقطة من « م » .
(٣) الغث : النحيف .
(٤) المَقيل : موضع القيلولة ، وهو وقت الاستراحة فى نصف النهار .
(٥) فى « م » : « لِمَا يعرف » .
(٦) فى « ط » : « المنصح » .
(٧) فى « ط » : « تكون » فى الموضعين .
(٨) الرِّيَبُ : جمع رِيبَة ، وهى : الظن ، والشك ، والتُّهَمَةُ .
(٩) فى « م » : « الجَدْبُ » .
(١٠) فى « م » : « أمانة القلب » .

وَالسُّفَهَاءِ تُورِثُ [١] سُوءَ الْخُلُقِ . الدَّلِيلُ عَلَى الْحُمْقِ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِعَقْلِهِ . مَنْ لَمْ يَسْمَعِ الْحَدِيثَ فَارْفَعْ عَنْهُ مُؤْنَتَهُ . مَنْ حَدَّثَ مَنْ لَا يَفْقَهُ كَمَنْ قَدَّمَ مَائِدَةً لِأَهْلِ الْقُبُورِ . مَنْ قَطَعَ عَلَيْكَ الْحَدِيثَ فَلاَ تُحَدِّثْهُ ، فَلَيْسَ بِصَاحِبِ أَدَبٍ .

مَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يُقْبَلْ [٢] صِدْقُهُ . مَنْ وَصَلَ [٣] مَنْ يَحْسُدُهُ قَوَّى عَدُوَّهُ ، وَقَصَّرَ بِنَفْسِهِ . اغْتَفِرْ زَلَّةَ صَدِيقِكَ . مَنْ غَضِبَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ [٤] رَضِيَ مِنْ لَا شَيْءَ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ طَالَ حُزْنُهُ . الرَّجُلُ عَبْدُ هَوَاهُ . لَوْلَا جَهْلُ الْجَاهِلِ مَا عُرِفَ عَقْلُ الْعَاقِلِ . مَنْ خَافَ رَبَّهُ كَفَّ ظُلْمَهُ . كَسَلُ الْفَقِيرِ هَلاَكُهُ . شُحُّ الغَنِيِّ فَضِيحَتُهُ . مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فى كَلاَمِهِ أَظْهَرَ فُجُورَهُ . كُلُّ شَيْءٍ لَا يُوَافِقُ الأَحْمَقَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَوَابٌ .

إِذَا غَلَبَتْكَ امْرَأَتُكَ فَجَاهِدْهَا ، فَإِنَّهَا عَدُوُّكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَأَلْحِقْهُ بِالبَهَائِمِ . مَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ الْبَخِيلِ مَاتَ جُوعًا . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ [٥] الْبَحْرِ ، لَا يَخَافُ الْعَطَشَ ، وَجَارُ الْبَخِيلِ فى الْمَفَازَةِ هَالِكٌ . إِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِمُصَادَقَةِ الأَحْيَاءِ فَأْتِ أَهْلَ الْقُبُورِ . مَنْ عَادَى مَنْ فَوْقَهُ أَبْغَضَهُ مَنْ تَحْتَهُ .

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ ، وَالْحَرِيصُ [٦] مَحْرُومٌ . مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ غَشَّ بَطْنَهُ [٧] وَأَبْغَضَهُ أَصْحَابُهُ . الْعِلْمُ زَيْنٌ وَمَنْفَعَةٌ ، وَالجَهْلُ شَيْنٌ وَمَضَرَّةٌ . الْجَاهِلُ يَسْتَطْعِمُ الشَّرَّ ، وَالْعَاقِلُ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ [٨] ، مَنْ لَمْ يَرْتَحْ لِلثَّنَاءِ فَلَيْسَ لَهُ

---

(١) فى « م » : « تدل على » مكان « تورث » .
(٢) فى « م » : « لم يَجُز » .
(٣) وَصَلَ : أحسنَ إليه .
(٤) فى « م » : « من شيء » .
(٥) فى « م » : « كمُجَاوَرَة » .
(٦) فى « م » : « والحرص » .
(٧) فى « م » : « غش نفسه » .
(٨) فى « م » : « من السوء » .

نصيبٌ فى الْمُرُوءَةِ . إذَا كَانَ لَكَ جارٌ أَوْ صَدِيقٌ لا يُنْتَفَعُ بِهِ فَصَوِّرْ مِثْلَهُ فى الْحائِطِ ، فَإِنَّهُ أَزْيَنُ لِلْحَائِطِ وَأَخَفُّ لِلْمُؤْنَةِ (١) . الْعَاقِلُ يَرْغَبُ فى الأَدَبِ ، وَالْجَاهِلُ يَهْرُبُ مِنْهُ . الْعَاقِلُ إذَا فَاتَهُ الأَدَبُ لَزِمَ (٢) الصَّمْتَ . لَا تَسْتَنْطِقْ مَنْ تُكَذِّبُهُ . الْعَاقِلُ يَتَّهِمُ رَأْيَهُ فى نَفْسِهِ ، وَالْجَاهِلُ يُقِيمُ عَلَى جَهْلِهِ . مَنْ لَمْ يَمْلِكْ (٣) عَقْلَهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ . مَنْ أَظْهَرَ مَحَاسِنَهُ وَدَفَنَ مَسَاوِيَهُ كَمَلَ عَقْلُهُ . مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلَهُ افْتَضَحَ .

مَنِ اسْتَشَارَهُ عَدُوُّهُ فى صَدِيقِهِ أَمَرَهُ (٤) بِقَطِيعَتِهِ . مُصَادَقَةُ الْكِرَامِ غَنِيمَةٌ ، وَمُصَادَقَةُ اللِّئَامِ نَدَامَةٌ . لا تُدْخِلْ عَلَى صَدِيقِكَ التُّهْمَةَ (٥) فَيَرْجِعَ لَكَ عَنِ النَّصِيحَةِ . إِذَا انقَطَعَ رَجَاؤُكَ عَنْ صَدِيقِكَ فَأَلْحِقْهُ بِعَدُوِّكَ . مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الإِخْوَانِ بِغَيْرِ شَىْءٍ فَلْيُصَادِقْ أَهْلَ الْقُبُورِ . الْعاقِلُ لَيْسَ فى مُصَادَقَتِهِ مُخَادَعَةٌ . رَأْسُ مَالِ الأَحْمَقِ الْخَدِيعَةُ ، وَفَائِدَتُهُ (٦) الْغَضَبُ ، وَالْحَلِيمُ رَأْسُ مَالِهِ الصَّمْتُ (٧) وَفَائِدَتُهُ الحِلْمُ . إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ الأَحْمَقُ فَالْبَسْ لَهُ سِلاَحَ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ . صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّ كُلِّ امْرِئٍ حُمْقُهُ .

مَن أَنْزَلَ نَفْسَهُ عَاقِلاً أَنْزَلَهُ النَّاسُ جاهِلاً . مَنْ قَنِعَ بَكَذِبِ الثَّنَاءِ أَظْهَرَ للنَّاسِ رَقَاعَتَهُ (٨) . السُّكُوتُ عَنِ الأَحْمَقِ جَوَابُهُ . السُّكُوتُ يَزِينُ (٩) الأَحْمَقَ ، وَالكَلاَمَ

---

(١) من قوله : « إذا كان لك جار » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) فى « م » : « لَزِمَهُ » .

(٣) فى « ط » : « يملكه » .

(٤) فى « ط » : « أمر » .

(٥) التُّهَمَة ، بسكون الهاء وفتحها : الاتهام .

(٦) فى « ط » : « وفائدتها » .

(٧) فى « م » : « الغضب » تحريف .

(٨) الرَّقاعة : الحماقة وضعف العقل .. وفى « م » : « رفاهته » تحريف .

(٩) يزين : يُجَمِّلُ ويُحَسِّنُ .. وفى « م » : « زَيْن » .

يَشِينُهُ . مَنِ استَطَالَ عَلَيْكَ بِمَلْبَسِهِ ، وَتَحَلَّى بِفَضْلِهِ ، فَلاَ أَكْثَرَ اللهُ فى النَّاسِ مِثْلَهُ . الْجَوَادُ مُحَبَّبٌ ، وَالْبَخِيلُ مُبْغَضٌ . إِذَا حَمَّلْتَ الْبَخِيلَ مُؤْنَةً (١) أَبْدَى لَكَ الْحِرْمَانَ وَالْعَدَاوَةَ . الْبَخِيلُ يَمْنَعُ مَا عِنْدَهُ ، وَيَبْخَلُ عَلَى الْجَوادِ بِجُودِهِ . مَنْ طَلَبَ مِنَ الْبَخِيلِ حَاجَةً فَهُوَ شَرٌّ مِنْهُ . مَنْ بَذَلَ لِبَخِيلٍ صِلَتَهُ ، وَرَفَعَ عَنْهُ مُؤْنَتَهُ (٢) دَامَتْ لَهُ مَوَدَّتُهُ . ضَيْفُ الْبَخِيلِ آمِنٌ مِنَ التُّخَمَةِ . مَنْ طَلَبَ (٣) مِنْ لَئِيمٍ حَاجَةً كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فى الْمَفَازَةِ . عِدَةُ الْكَرِيمِ (٤) نَقْدٌ ، وَعِدَةُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . الْكَرِيمُ يُواسِي إِخْوَانَهُ فى دَوْلَتِهِ ، وَاللَّئِيمُ يَقْطَعُهُمْ . لَا تَخْضَعْ لِلَئِيمٍ فَإِنَّهُ لَا يُعْطِيكَ . إِنَّمَا الصَّدِيقُ الَّذِى يَبْذُلُ (٥) لَكَ مَالَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَنَفْسَهُ عِنْدَ الْبَلِيَّةِ ، وَيَحْفَظُكَ عِنْدَ الْمَغِيبِ ، وَيَنْفَعُكَ عِنْدَ الرَّجَاءِ .

إِذَا صَادَقْتَ الْوَزِيرَ فَلاَ تَخْشَ الأَمِيرَ . مَنْ لَمْ يَنْصَحْكَ فى الصَّدَاقَةِ فَعَادِهِ . مَنْ غَشَّكَ فى الْعَدَاوَةِ فَلاَ تَلُمْهُ . مَنْ كَانَ النَّاسُ عِنْدَهُ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْدِقَاءُ . مَنْ صَادَقَ الإِخْوَانَ بِالمَكْرِ كَافَئُوهُ بِالْغَدْرِ . مَنْ لَمْ يُوَاسِ الإِخْوَانَ فى دَوْلَتِهِ ، خُذِلَ عِنْدَ مَأْمَنِهِ . إِيَّاكَ أَنْ تَبْغِيَ مَوَدَّةَ (٦) مَنْ يَحْسُدُكَ ، فَإِنَّهُ لا يَقْبَلُ إِخَاءَكَ . مَنْ حَسَدَكَ عَلَى عِلْمٍ لَكَ لَمْ يَسْتَمِعْ حَدِيثَكَ . الْحَاسِدُ يَفْرَحُ بِزَلَّتِكَ ، وَيَعِيبُ صَوَابَكَ . إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَحْسُدُكَ وَيَسُرُّكَ أَنْ تَسْلَمَ مِنْهُ فَعَمِّ عَلَيْهِ أُمُورَكَ . مَنْ صَبَرَ عَلَى مَوَدَّةِ الْكَاذِبِ فَهُوَ مِثْلُهُ . كُلُّ (٧) شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَمَوَدَّةُ الْكَاذِبِ لاَ شَيْءَ . مَنْ بَدَأَكَ بِجَهْلِهِ فَكَافِئْهُ بِحِلْمِكَ تَغُمُّهُ (٨) . أَوَّلُ الْمُرُوءَةِ طَلاَقَةُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ ، وَالثَّالِثَةُ الْفَصَاحَةُ .

---

(١) فى « م » : « معونة » وهما بمعنى واحد .
(٢) فى « م » : « صلته » مكررة .
(٣) فى « م » كرر الناسخ – سهواً – قوله : « من طلب » .
(٤) عِدَةُ الكريم : وَعْدُهُ .
(٥) فى « م » : « بَذَل » .
(٦) فى « م » : « فى مودّة » .
(٧) فى « ط » : « وكل » .
(٨) فى « م » : « بحلمك عنه » .

الْفَاجِرُ لَا يُبَالِي مَا قَالَ . وَالْوَرِعُ يَتَعَاهَدُ كَلَامَهُ . مَنْ شَغَلَ مَشْغُولاً فَقَدْ أَظْهَرَ ثِقَلَهُ . مَنْ صَبَرَ عَلَى شُغْلِ سَوْءٍ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى سُخْنَةِ عَيْنِهِ [١] . مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحُزْنَ بِالصَّبْرِ طَالَ غَمُّهُ .

مَنِ اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ فَلْيَصْبِرْ عَلَى الذُّلِّ وَالْهَوَانِ . لاَ تُحْقِرِ الْفَقِيرَ السَّرِيَّ [٢] ، وَلاَ تَرْغَبْ فِي الْغَنِيِّ الدَّنِيِّ . مَنْ تَشَبَّهَ بِالسَّرَاةِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ [٣] الدَّنَاءَةُ فَلاَ تُكْرِمْهُ . مَنْ أَغْضَبْتَهُ أَنْكَرْتَهُ . مَنْ أَغْنَيْتَهُ أَعْطَفْتَهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْقَلْبَ بِهَزِيمَةٍ . مَنْ صَانَعَ بِمَالِهِ لَمْ يَحْتَشِمْ مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ [٤] . مَنْ صَاحَبَ الْكُتَّابَ مَلُّوهُ [٥] ، وَمَنْ عَادَاهُمْ أَنْكَرُوهُ . مَنْ شَمَخَ عَلَيْكَ بِأَنْفِهِ ، وَطَمَحَ [٦] بِبَصَرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْكَ فَضْلُهُ ، فَلْيَهُنْ عَلَيْكَ سَلْبُهُ [٧] . السَّفِيهُ يَقْطَعُ مَوَدَّةً لَمْ تَزَلْ ، وَيَكْتَسِبُ عَدَاوَةً لَمْ تَكُنْ . حَمْلُ الْمُرُوءَةِ ثَقِيلٌ [٨] . مَنْ سَالَمَ النَّاسَ غَنِمَ . خِذْلَانُ الْجَارِ لُؤْمٌ ، وَرِجَالُ الْبَلاءِ قَلِيلٌ . احْفَظْ إِخْوَانَكَ تُذِلَّ أَعْدَاءَكَ . مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ عَلَى مَا لاَ بُدَّ لَكَ مِنْهُ . الْمَحْرُومُ مَنْ نَالَ نَصَبُهُ [٩] وَكَانَ لِغَيْرِهِ نَشَبُهُ . لَا قَوِيَّ أَقْوَى مِمَّنْ

---

(١) سُخْنَةُ عينه : عدم قُرَّتِهَا ، وهى كناية عن فَقْدِ الرضا والسرور .

(٢) الفقير السَّرِىّ : الشريف .

(٣) فى « م » : « وهانت عليه » .. والسَّرَاةُ : جمع سَرِىّ ، وهو جَمْعٌ عزيز لايكاد يُوجَدُ له نظير ، لأنه لايُجْمَعُ « فَعِيلٌ » على « فَعَلَة » .

(٤) لَمْ يحتشم : لم يخجل .. و « مِنْ طلب حاجته » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٥) فى « م » : « مَوَّلُوه » أى : قَدَّمُوا له ما يحتاج إليه من مال ونحوه .

(٦) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « ومن شمخ عليهم بأنفه وطمع » وهَمَ الناسخ أنها عطفٌ على سابقتها وشمخ بأنفه : تكبَّر .. وطمح ببصره : رفعه وحَدَّقَ .

(٧) فى « م » : « فضيلته عقلتهُن عليك سبلته » هكذا .. وما جاء فى « ط » هو المناسب للسياق .. والسَّلْبُ : ما يُسْلَب ، والمراد هنا : أنْ تسقطه من عينك .

(٨) من قوله : « السفيه » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٩) نَصَبُهُ : تَعَبُهُ وجهده .. ونَشَبُهُ : ماله .

قَوِىَ [1] عَلَى نَفْسِهِ ، وَلاَ عَاجِزَ أَعْجَزُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْهَا . الْخَيْرُ فى أَهْلِهِ غَرِيبٌ .
مَا أَضْعَفَ قُوَّةَ مَنْ يُغَالِبُ مَنْ لَا يُغْلَبُ !

* * *

(١) فى « م » : « مِنْ قَوِىٍّ » .

البَابُ الرَّابعُ وَالسِّتُّونَ

مُشْتَمِلٌ عَلَى حِكَمٍ مَنْثُورَةٍ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ [1] أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَمْتَحِنُ أَنْبِيَاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَضْطَرُّ أَوْلِيَاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ رِفْعَةً وَتَقْرِيبًا لأَنْبِيَائِهِ ، وَتَمْحِيصًا لِهَفَوَاتِ أَوْلِيَائِهِ ، وَذُخْرًا لَهُمْ عِنْدَهُ ، وَزُلْفَى لَدَيْهِ وَتَعْظِيمًا [2] لأَقْدَارِهِمْ ، وَتَشْرِيفًا لِمَنَازِلِهِمْ ، وَتَرْفِيعًا لِدَرَجَاتِهِم . قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعْزِيَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِعَظِيمِ مَاكَانَ يَلْقَاهُ مِنْ سَطَوَاتِ أَعْدَائِهِ : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [3] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [4] . يَامُحَمَّدُ ، لَا تَسْتَوْحِشْ مِنَّا وَلَا تَتَّهِمْنَا فِى سِيرَتِنَا فِيمَنْ نُحِبُّهُ وَيُحِبُّنَا ، فَالْبَلَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا كَفَّارَةٌ لِذَنْبٍ [5] ، وَالآخَرُ رَفْعُ

---

(١) فى « م » : « أيها الملك » .

(٢) فى « ط » : « تعظيماً » بدون الواو .. والزُّلْفَى : القُرْبَى والمَنْزِلَة .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية ١١٢ .

(٤) سورة الفُرقان ، من الآية ٣١ .

(٥) فى « ط » : « أحدهما لذنب » .

دَرَجَةٍ [١] وَتَوْفِيرُ أَجْرٍ ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَالبَلاءُ بَلاَآنِ : بَلاءُ رَحْمَةٍ لِتَضْعِيفِ دَرَجَةٍ ، وَتَمْحِيصِ سَيِّئَةٍ ، وَبُلُوغِ فَضِيلَةٍ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَةٍ ، وَبَلاءُ عُقُوبَةٍ ، لا نْتِهَاكِ حُرْمَةٍ وَاقْتِرَافِ مَعْصِيَةٍ . لَنْ تَخْلُوَ الْمَكَارِهُ أَنْ تَكُونَ لِحَادِثِ رَحْمَةٍ ، فَلَا رَغْبَةَ عَمَّا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ مِنْهَا ، أَوْ لِسَيِّئَةٍ عَنْ [٢] إِضَاعَةٍ ، فَلَا غِنًى عَنْ زَاجِرٍ عَنْهَا ، فَلأَيٍّ ذَلِكَ كَانَ حُلُولُهَا عَظُمَتْ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَوَجَبَتْ للهِ بِهِ النِّعْمَةُ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ [٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، إِذَا وَقَعَ فِى شَىْءٍ يَكْرَهُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَدَبًا ، وَلَا تَجْعَلْهُ غَضَبًا . وَفِى الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِىِّ ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِى رَأْسِ جَبَلٍ لَقَيَّضَ [٤] اللهُ لَهُ مَنْ يُؤْذِيهِ » .

يَامَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ ، وَحَرِجَ [٥] قَلْبُهُ ، وَسَاءَ خُلُقُهُ مِنْ عَدُوٍّ أَقْلَقَهُ ، وَحَاسِدٍ حَسَدَهُ ، طِبْ نَفْسًا ، وَقَرَّ عَيْنًا ، وَانْعَمْ عَيْشًا بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَكَ بِالإِيمَانِ ، وَلِعَدُوِّكَ [٦] بِالنِّفَاقِ ، بَخٍ بَخٍ إِنْ عَقَلْتَهَا ! أَمَا لَكَ [٧] فِى الأَنْبِيَاءِ أُسْوَةٌ ؟ أَمَا لَكَ فِى الصَّالِحِينَ قُدْوَةٌ ؟ فَلَوْ لَمْ نَلْقَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ [٨] مِنَ الْحَسَنَاتِ إِلَّا بِمَا اقْتَرَفْنَاهُ

---

(١) فى « م » : « درجات » .

(٢) فى « م » : « عند » .

(٣) هو : الإمام جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين ، المُلقب بالصَّادق .. سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية .. وُلد فى المدينة سنة ٨٠ هـ ، وكان مِنْ أجلاَّء التابعين ، وله منزلة رفيعة فى العلم .. وأخذ عنه جماعة ، منهم الإمامان : أبو حنيفة ، ومالك .. وكان جريئاً على خُلفاء بنى العباس ، صَدَّاعاً بالحق ، وتوفى بالمدينة ، ودُفن بالبقيع سنة ١٤٨ هـ ، وله رسائل مجموعة ورد ذكرها فى كشف الظنون .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٢ – ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨] .

(٤) فى « م » : « لَقَيَّظَ » لغة فى « قَيَّضَ » أى : قَدَّر وهيَّأ وأتاحَ .

(٥) حَرِجَ : ضاقَ .

(٦) فى « ط » : « وعدوك » .. وبَخٍ بَخٍ ، تُقال مكررة عند الرضا والإعجاب بالشىء ، أو المدح أو الفخر .

(٧) « لك » عن « ط » .

(٨) فى « م » : « الله تعالى » .

اخْتِيَارًا ، لَلَقِينَا اللهَ تَعَالَى فُقَرَاءَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، ثُقَلَاءَ مِنَ السَّيِّئَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

قَالَ [١] بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الَّذِي رَأَيْنَا مِمَّا نُحِبُّ فِيمَا نَكْرَهُ أَكْثَرُ مِمَّا رَأَيْنَا مِمَّا نُحِبُّ فِيمَا نُحِبُّ . وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ . السُّجُونُ قُبُورُ الأَحْيَاءِ ، وَشَمَاتَةُ الأَعْدَاءِ ، وَتَجْرِبَةُ الأَصْدِقَاءِ ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ كَانَ الْقَضَاءُ لَهُ مُسَاعِدًا ، وَكَانَ لِمُسَاعَدَتِهِ أَهْلًا . غَلَبَ عَلَى الْكَرِيمِ مَنْ بَدَرَ [٢] إِلَيْهِ الشَّمَاتَةَ . لُؤْمُ عَوَامِّ النَّاسِ عِدَّةٌ لِخَوَاصِّهِمْ . مَجِيءُ الْقَدَرِ يَسْبِقُ الْحَذَرَ . مَنْ سَخِرَ مِنْ شَيْءٍ حَاقَ بِهِ [٣] . مَنْ عَيَّرَ بِشَيْءٍ ابْتُلِيَ بِهِ [٤] . الْخَلْقُ نَهْبُ الْمَصَائِبِ . مُذَاكَرَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِأَلْبَابِهَا . أَقَلُّ مَا فِي طَلَبِ الْحِيلَةِ الْخُرُوجُ مِنَ الاسْتِكَانَةِ . جَانِي الْعُقُوبَةِ عَلَى نَفْسِهِ أَعْظَمُ جُرْمًا عَلَيْهَا مِنَ الْمُعَاقِبِ لَهُ عَلَيْهَا . قَرَابَةٌ بِغَيْرِ مَنْفَعَةٍ بَلِيَّةٌ عَظِيمَةٌ .

النِّعْمَةُ مُتْعَةٌ [٥] . كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ . الْحَمِيَّةُ شُؤْبُوبُ الْجَهْلِ [٦] . الأَنَفَةُ قِوَامُ السَّفِيهِ [٧] . قَلَّ أَنِفٌ لَمْ يُعْقِبْ ذُلًّا . الْعَادَةُ [٨] كَمِينٌ لَا يُؤْمَنُ . مِنَ ازْدِحَامِ [٩] الْكَلَامِ مَضَلَّةُ الصَّوَابِ . عَجِّلُوا الْقِرَى قَبْلَ سُوءِ الظَّنِّ وَالْحَاقِ السُّبَّةِ . أُعْجِبُ مَافِي هَذَا الإِنْسَانِ قَلْبُهُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا ، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ ،

---

(١) فى « م » : « وقال » .

(٢) بَدَرَ : أَبْدَى ، وأسرع .

(٣) حاقَ به : أصابه وأحاط به .

(٤) فى « م » : « بُلِيَ به » .

(٥) فى « م » : « منفعة » .

(٦) الحَمِيَّةُ : الأَنَفَة .. وشُؤْبُوبُ الجهل : شِدَّتُه .

(٧) فى « ط » : « السَّفَه » .

(٨) فى « ط » : « الغادر » .

(٩) فى « م » : « لا يُؤْمَنُ ازدحام » .

وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ (١) قَتَلَهُ الأَسَفُ ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ (٢) ، وَإِنِ اسْتَعَدَّ بِالرِّضَا (٣) نَسِيَ التَّحَفُّظَ . وَإِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ ، وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ (٤) ، وَإِنْ حَدَثَتْ لَهُ نِعْمَةٌ (٥) أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ، وَإِنِ امْتُحِنَ بِمُصِيبَةٍ فَضَحَهُ الْجَزَعُ ، وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى ، وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ شَغَلَهُ (٦) الْبَلَاءُ ، وَإِنْ أَجْهَدَهُ (٧) الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشِّبَعِ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ (٨) ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

أَفْضَلُ الْقَوْلِ بَدِيهَةُ امْرِئٍ وَرَدَتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ . أَشَدُّ النَّاسِ غَمًّا الَّذِي يَرَى غَيْرَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ (٩) أَوْلَى . مَا أَخَذَ اللهُ طَاقَةَ أَحَدٍ إِلَّا رَفَعَ عَنْهُ طَاعَتَهُ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ لَا تَرْضَى عَمَّنِ ابْتَغَى رِضَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَسْخَطَ عَلَيْهِ . زَئِيرُ الأَسَدِ يُشْبِهُ صَوْلَتَهُ . عَلَامَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ (١٠) بِالإِعْرَاضِ عِنْدَ الْمُنَادَهَةِ . لَا تُعَادُوا (١١) حَتَّى تَرَوْا . لَا تَفْخَرُوا حَتَّى تَفْعَلُوا . لَا تَأْنَفُوا حَتَّى تُظْلَمُوا . أَوْجَهُ الشَّفَاعَةِ (١٢) بَرَاءَةُ السَّاحَةِ . مَنْ لَزِمَ الصِّحَّةَ وَالاسْتِقَامَةَ لَزِمَتْهُ الْغِبْطَةُ والسَّلَامَةُ . قِصَصُ الأَوَّلِينَ مَوَاعِظُ الآخِرِينَ . الْبَحْثُ يُوضِّحُ الْحَقَّ كَمَا يُورِي النَّارَ الْقَدْحُ . لَيْسَ مَعَ الْحَسَدِ سُرُورٌ ، وَلَا مَعَ الْحِرْصِ رَاحَةٌ ، وَلَا مَعَ السُّخْطِ غِنَاءٌ .

---

(١) فى « م » : « الناس » تحريف .
(٢) فى « م » : « اشتد بالغيظ » .
(٣) فى « م » : « الرضى » .
(٤) فى « م » : « الأرض » مكان « الأمن » .. و« العِزّة » مكان « الغِرّة » .
(٥) فى « م » : « فإن حدثت له النعمة » .
(٦) فى « ط » : « أشغله » والفاقة : الحاجة والفقر .
(٧) فى « م » : « أجهد به » .
(٨) كَظَّتْهُ : البطنة : ضاقت به بسبب الامتلاء الشديد من الطعام .
(٩) فى « م » : « به » .
(١٠) فى « م » : « العلم » مكررة .. والمنادهة : الزجر ، والطرد بالصياح .
(١١) فى « م » : « لا تغاروا » والأول أوجه .
(١٢) فى « ط » : « الشُّفعاء » .

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ [(١)] : عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِأَرْبَعٍ كَيْفَ يَغْفُلُ عَنْ أَرْبَعٍ : لِمَنِ ابْتُلِىَ بِالضُّرِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ **مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [(٢)] وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَابِهِ مِنْ ضُرٍّ** ﴾ [(٣)] . وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِالْغَمِّ كَيْفَ [(٤)] يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [(٥)] ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [(٦)] .

وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ شَيْئًا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : حَسْبِىَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ [(٧)] . وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [(٨)] ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا** ﴾ [(٩)] . وَعَجِبْتُ لِمَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ [(١٠)] بِنِعْمَةٍ خَافَ زَوَالَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ** ﴾ [(١١)] . كَذَا سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ [(١٢)] فِيمَنْ صَدَقَ فِى الْتِجَائِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ فِى مُهِمَّاتِهِ إِلَّا عَلَيْهِ .

---

(١) « رضى الله عنه » عن « م » .
(٢) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٣ .
(٣) السورة السابقة ، من الآية ٨٤ .
(٤) فى « م » : « ابتُلى بالغَمّ أنْ .. » .
(٥) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٧ .
(٦) الآية ٨٨ من سورة الأنبياء .
(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٧٤ .
(٨) سورة غافر ، من الآية ٤٤ .
(٩) السورة السابقة ، من الآية ٤٥ .
(١٠) فى « م » : « أنعم الله عليه » وبعدها : « طاف » مكان « خاف » تحريف من الناسخ .
(١١) سورة الكهف ، من الآية ٣٩ .
(١٢) فى « م » : « الله تعالى » .

الْيَمِينُ مَأْثَمَةٌ أَوْ مَذَمَّةٌ [١] . أَلَذُّ الْمَوَارِدِ مَنْجَاةٌ مِنْ مَتْلَفَةٍ ، أَوْ قُدُومُ غَائِبٍ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ بِالْيَأْسِ مِنْهُ الرَّكَائِبُ ، وَأَشَرُّ الْمَصَادِرِ ظَفَرٌ عَلَى قُنُوطٍ . الطَّبِيعَةُ مُخَالِفَةٌ لِلْمُرُوءَةِ ، فَاصْبِرْ لِحَقٍّ وَجَبَ عَلَيْكَ وَإِنْ خَالَفَ هَوَاكَ . بَهَاءُ [٢] الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ بِالرَّجُلِ الْفَاضِلِ . الْيَقِينُ رَاحَةٌ وَرَوْحٌ . الْعَمَلُ [٣] النَّافِذُ بِالرَّجُلِ الْمُدَبِّرِ كَبَهَاءِ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ فِى تِيجَانِ الْمُلُوكِ . مَا أَنْوَرَ الْهُدَى ! مَا أَظْلَمَ الْعَمَى ! مَا أَكْرَمَ التُّقَى ! مَا أَخْدَعَ الْهَوَى ! مَا أَسْرَعَ الْبَلَا ! مَا أَجْلَدَ [٤] الصِّبَا !

الْجُودُ أَنْ يَهْضِمَ الرُّوحُ حَظَّ الْجَسَدِ ، وَالإِسْرَافُ أَنْ يَهْضِمَ الْجَسَدُ حَظَّ الرُّوحِ ، وَالْعَدْلُ أَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَظَّهُ ، وَالشُّحُّ أَنْ تَكُفَّ حُظُوظَهُمَا عَنْهُمَا . عَدُوٌّ يَخَافُ اللهَ فِيمَا تَكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ لَا يَخَافُهُ فِيمَا تُحِبُّ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ نَطْلُبَ فِى صِحَّةِ كُلِّ عِلْمٍ مَا يَنْفَعُنَا [٥] ، وَنَكِلَ الْعِلْمَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ عَنْ صِحَّتِهِ . لَا يَرُعْكَ الْبَاطِلُ مِمَّا تُرْمَى بِهِ ، وَلَكِنِ احْذَرْ أَنْ يَصْدَعَ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَشْهَدَ عَلَيْكَ عَيْنَاكَ وَوَجْهُكَ .

مَنْ بَطَلَ ثَنَاؤُهُ [٦] بَطَلَ مَنْحُهُ . الرَّاغِبُ فَقِيرٌ بِقَدْرِ رَغْبَتِهِ . الْحَقُّ يُعْطِى وَيُمْنَعُ . تَجَاوَزْ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ لِتَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتَنِبِ الذُّنُوبَ لِتَقِلَّ حُجَّتُهُمْ عَلَيْكَ . الْفَرَاغُ الْفَاضِلُ عَنِ الْحَمَّامِ مَفْسَدَةٌ . الْحَمِيَّةُ إِحْدَى الْعِلَّتَيْنِ . الْفَرَقُ [٧] يُنْسِى الْحُجَّةَ .. حَابِ الْعِلْيَةَ [٨] فِى كَلَامِكَ ، وَسَوِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّفْلَةِ فِى أَحْكَامِكَ . مَوْتٌ فِى عِزٍّ

---

(١) فى « م » : « مَنْدَمة » أى : ندامة .

(٢) « بهاء » عن « ط » .

(٣) فى « م » : « العلم » .

(٤) فى « م » : « ما أجهل » .

(٥) فى « م » : « ما يقنعنا » .

(٦) فى « ط » : « رشاؤه » .. وبَطَل : ذهب .

(٧) الفَرَق : شدة الخوف .

(٨) فى « م » : و « ط » : « حابى » لاتصح .. فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة .. أى : جامِلْهم .. والعِلية : أشراف القوم .

خيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فى ذُلّ . الأَكْفَاءُ مِنْ كُلّ نَمَطٍ مُتَبَاغِضُونَ [١] . مَا ضَاعَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَ نَفسِهِ .الدَّعَةُ [٢] الْهَنِيئَةُ تَكُونُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعَمَلِ . لَنْ يُفَارِقَ الْخَيْرُ صَاحِبَهُ حَتَّى يُفَارِقَهُ . خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ . الْحَاسِدُ يُظْهِرُ وُدَّهُ فى كَلَامِهِ وَبُغْضَهُ فى أَفْعَالِهِ ، فَاسْمُ الصَّدِيقِ [٣] وَمَعْنَى الْعَدُوِّ . الرِّيَاءُ [٤] يُفْسِدُ الْعَلانِيَةَ ، وَالْعُجْبُ يُفْسِدُ عَمَلَ السَّرِيرَةِ . إِذَا كَثُرَتِ الْقُدْرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ . مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ كَفَاكَ نَفسَهُ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا لِلْمُذْنِبِ إِلَى الْحَلِيمِ . لِسَانُ الْجَاهِلِ دَلِيلُ حَتْفِهِ . لا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِحَّةَ مَعَ نَهَمٍ ، وَلَا ثَنَاءَ [٥] مَعَ كِبْرٍ ، وَلَا صَدَاقَةَ مَعَ خِبٍّ [٦] . مَنْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ فَاكْفِهِ نَفْسَكَ . أَحَقُّ مَا رُدَّ مَا خَالَفَ شَهَادَةَ الْعَقْلِ .

قَطَعَ ظَهْرِى وَأَفْسَدَ الدِّينَ رَجُلَانِ : جَاهِلٌ نَاسِكٌ ، وَعَالِمٌ فَاجِرٌ ، هَذَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهْلِهِ بِنُسْكِهِ [٧] ، وَهَذَا يُنَفِّرُ النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِفِسْقِهِ . مَنْ قَوِىَ هَوَاهُ ضَعُفَ حَزْمُهُ . مَنْ ظَهَرَ [٨] غَيْظُهُ قَلَّ كَيْدُهُ . كَفَى بِالظُّلْمِ طَارِدًا لِلنِّعْمَةِ [٩] وَدَاعِيًا لِلنِّقْمَةِ . مَنْ قَبِلَ صِلَتَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مُرُوءَتَهُ [١٠] . الْهَدِيَّةُ تَفْقَأُ عَيْنَ الْحَكِيمِ . عَفْوُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنَ اسْتِكْرَاهِ [١١] الْفِكْرِ . مَا اسْتُنْبِطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمُشَاوَرَةِ ، وَلاَ حُصِّنَتِ النِّعْمَةُ

---

(١) فى « م » : « يتباهون » أى : يبغى بعضهم على بعض .

(٢) الدعة : الراحة وخفض العيش .

(٣) أى : له اسم الصديق .

(٤) فى « م » : « فالرياء » .

(٥) فى « م » : « ولا بقاء » .

(٦) فى « م » : « خبث » .

(٧) أى : بزهده وتعبده بغير علم .

(٨) فى « م » : « ظهر عليه » .

(٩) فى « ط » : « للمنفعة » والأول هو الأنسب للسياق .. وبعدها فى « م » : « ودافعاً » مكان « وداعياً » وهو تحريف .

(١٠) فى « م » : « بمروءته » .

(١١) فى « م » : « استكداده » .

بِمِثْلِ الْمُوَاسَاةِ [١] . مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ حَمِدَ اللهَ فَقَدْ فَخَرَ [٢] . مَا اكْتُسِبَتِ الْبَغْضَاءُ [٣] بِمِثْلِ الْكِبْرِ . مَنِ اسْتَغْنَى بِاللهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ . التَّقْصِيرُ يُخَلْخِلُ عَنِ الصَّوَابِ . الإِفْرَاطُ يُقْحِمُكَ فِى الْخَطَإِ . ثَلَاثُ خِصَالٍ مَا اجْتَمَعْنَ إِلَّا فِى كَرِيمٍ : حُسْنُ الْمَحْضَرِ ، وَاحْتِمَالُ الزَّلَّةِ ، وَقِلَّةُ الْمَلَالَةِ . كَفَى [٤] مُخْبِرًا عَمَّا بَقِىَ مَامَضَى ، وَكَفَى عِبَرًا لِذَوِى الأَلْبَابِ مَاجَرَّبُوا .

التَّهَاوُنُ بِالْمَطْلُوبِ أَوَّلُ أَسْبَابِ حِرْمَانِهِ . الشُّبْهُ [٥] ظُلْمَةٌ . لَنْ يُضِيعَ امْرُؤٌ صَوَابَ [٦] الْقَوْلِ حَتَّى يُضِيعَ صَوَابَ الْعَمَلِ . خَيْرُ الأُمُورِ مَا سَرَّ عَاجِلُهُ وَحَسُنَتْ عَاقِبَتُهُ . لا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا بِرَّ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ حِرْصٍ ، وَلَا مَحَبَّةَ مَعَ زَهْوٍ . بِإِجَالَةِ الْفِكْرِ يُسْتَخْرَجُ الرَّأْىُ الْمُصِيبُ ، وَبِحُسْنِ التَّأَنِّى تُدْرَكُ الْمَطَالِبُ ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُتَوَاصِلُونَ [٧] . الْفَاحِشَةُ عَارُ الأَبَدِ وَعُقُوبَةُ غَدٍ . الشَّمَاتَةُ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ . مَنْ سَخِرَ ابْتُلِىَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ [٨] .

إِذَا فُقِدَ الْمُتَفَضِّلُونَ هَلَكَ الْمُتَجَمِّلُونَ . رُبَّ صِيَانَةٍ غُرِسَتْ مِنْ لَحْظَةٍ ، وَحَرْبٍ جُنِيَتْ مِنْ لَفْظَةٍ . مَا شَاهِدٌ عَلَى غَائِبٍ بِأَدَلَّ مِنْ طَرْفٍ عَلَى قَلْبٍ . شَرُّ الْمَالِ مَا لَا يُنْفَقُ مِنْهُ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَاصِينَ بِهِ الْعِرْضُ ، وَبِالإِفْضَالِ تَشْرُفُ الأَقْدَارُ . الَّذِى يَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ نَفْسِهِ أَذَلُّ مِمَّنْ يُفْسِدُهُ عَدُوُّهُ أَوْدَهْرُهُ . لا تَعُدَّنَ وَدِيعَةً مَالًا . الشَّهْوَةُ رِقٌّ . الْحَرِيصُ كَلْبٌ . يُعَبِّرُ عَلَى الإِنْسَانِ اللِّسَانُ ، وَعَلَى الْمَوَدَّةِ الْعَيْنَانِ . لا شَرَفَ

---

(١) من قوله : « استنبط الصواب » إلى هنا من « م » .. وخُصّت : أُعطِيَتْ وَنِيلَتْ .
(٢) فَخَر : عَظُمَ وفَضُلَ .
(٣) فى « ط » : « ما اكتسب بمثل » ، وسقطت « البغضاء » .
(٤) فى « ط » : « وكَفَى » .
(٥) فى « م » : « الشبهة » .
(٦) فى « م » : « أمْر وصواب » .
(٧) النَّصَفَة : الإنصاف .. والمُتَواصِلُون : الذين يصِلُ بعضهم بعضاً .
(٨) سورة هود من الآية ٣٨ .

أَعْلَى مِنَ الإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا شَفِيعَ أَغْنَى [١] مِنَ التَّوْبَةِ . أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرٍ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِ . الْخَيْرُ مَوْضُوعٌ لِمَنْ أَرَادَهُ ، مَوْفُورٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ [٢] .

الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ الطَّلَبِ ، وَمَطِيَّةُ الْحَسْرَةِ . الْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى الْحِرْمَانِ . التَّنَفُّلُ بِالْحَسَنَةِ يَنْفِي السَّيِّئَةَ . الْمُكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ دُخُولٌ فِيهَا . الْبَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ [٣] . إِصْلَاحُ الرَّعِيَّةِ أَنْفَعُ [٤] مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . حَقُّ الْمَذْمُومِ التَّأْنِيبُ ، وَحَقُّ الْمَرْحُومِ الْمَعُونَةُ . مِنَ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزُونِ . الْمَحْزُونُ يَحْقِدُ عَلَى الْفَرِحِ وَيَشْكُرُ لِلْمُكْتَئِبِ . مِنْ ظِلِّ [٥] السَّلَامَةِ تَدِبُّ أَفَاعِي الآفَاتِ . أَعْظَمُ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا . مَا أَحْدَثَ مُحْدِثٌ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكَ بِهَا [٦] سُنَّةً . عَزَائِمُ الأُمُورِ خِيَارُهَا ، وَمُحْدَثَاتُهَا شِرَارُهَا . الْمَلِكُ يَكْتَسِبُ مِنْ إِنْفَاقِهِ ، وَالْعَامَّةُ تُنْفِقُ مِنْ تَكَسُّبِهَا [٧] . مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِى جَمْعِ الْمَالِ مَخَافَةَ الْعَدَمِ [٨] فَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلْعَدَمِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِى جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِى فَعَلَ الْفَقْرُ

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمْعِ الْفَضَائِلِ فَلْتَكُنْ فَضَائِلُهُ تَرْكَ الرَّذَائِلِ . إِذَا لَمْ تَكُنْ مِلْحًا تُصْلِحُ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ . اسْتِصْلَاحُ بَعْضِ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ مِنْ إِهْلَاكِهِ [٩] . مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُهُ وَيَرَى فِى عَدُوِّهِ مَا يَسُرُّهُ . خَيْرُ الْكُتُبِ مَا إِذَا أَعَادَ قَارِئُهُ النَّظَرَ فِيهِ زَادَ حُسْنُهُ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى خَيْرِهِ . أَثْقَلُ الأَحْمَالِ مَنِ اتَّسَعَتْ مُرُوءَتُهُ وَقَلَّتْ

---

(١) أغنى : أظهر وأهم .
(٢) فى « ط » : « عمل الله » .
(٣) الحَيْن : الهلاك .
(٤) فى « م » : أنفذ .
(٥) فى « م » : « من طلب » .
(٦) فى « م » : « به » تحريف .
(٧) فى « م » : « كسْبها » .
(٨) العَدَم ، بفتح الدال المهملة وسكونها : الفقر .
(٩) فى « م » : « هلاكه » .

مَقْدِرَتُهُ . اسْتَحِ (١) مِنَ اللهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْ عَقْلِكَ ، وَأَطِعْهُ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَخَفْهُ بَقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ (٢) ، وَاعْصِهِ بقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى النَّارِ ، وَاعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا ، وَاعْمَلْ لِلْآخِرَةِ بِقَدْرِ مُقَامِكَ (٣) فِيهَا .

الْمَلِكُ يُنْفِقُ لِيَكْتَسِبَ ، وَالْعَامَّةُ تَكْتَسِبُ لِتُنْفِقَ . الطَّاعَةُ بِقَدْرِ الْفَاقَةِ . يَفْحُشُ زَوَالُ النِّعَمِ (٤) إِذَا زَالَ مَعَهَا التَّجَمُّلُ . أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ . الدُّنْيَا الْعَافِيَةُ ، وَالشَّبَابُ الصِّحَّةُ . إِذَا أَقْبَلَ الْأَمْرُ أُسِرَّ بِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَ صَرَّحَ (٥) . إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءَ وَالتَّصَنُّعَ . الصَّدَقَةُ مِنْ سَعَةٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ . إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ ، تُرِكَتِ النَّوَافِلُ وَقُدِّمَتِ الْفَرَائِضُ . قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصَدَقَتُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ ، وَمَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حَظًّا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ رَوَّحَ قَلْبَهُ (٦) . شَرُّ مَالِكَ مَا لَزِمَكَ إِثْمُ مُكْتَسَبِهِ (٧) وَحُرِمْتَ مَنْفَعَةَ إِنْفَاقِهِ . رُبَّ مَغْبُوطٍ بِلَيْلَةٍ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهَا . لَا تَرْجُ خَيْرَ مَنْ لا يَرْجُو خَيْرَكَ ، وَلَا تَأْمَنْ جَانِبَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَانِبَكَ . تَارِكُ الطَّلَبِ ضَجَرًا (٨) أَرْجَى لِلْعَوْدَةِ مِنْ تَارِكِهِ خَوَرًا (٩) . ثَمَرَاتُ الشَّهَوَاتِ الْمَخَازِي . الْخُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقَلْبَ . أَعَمُّ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنِ

---

(١) في « م » و « ط » : « استحي » .

(٢) قوله : « وَخَفْهُ بقدْرِ قُدْرَته عليك » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) في « م » : « بقائك » .

(٤) يَفْحُش زوال النعم : تجاوز حَدَّها .

(٥) صرَّحَ : انكشف وظهر .. وفي « م » : « يشبه » مكان « أُسِير به » .

(٦) رَوَّحَ قلبَه : أراحَهُ .. وفي « م » : « رَوَّح عن قلبه » .

(٧) في « م » : « مالزِمَكَ إثمُه » أي : لم يُفارقك .

(٨) ضجراً : ضيقاً وتبرُّماً .

(٩) في « م » : « أرجى لعودِهِ » وخوراً : ضعفاً وانكساراً .

استَكْفَى الْكُفَاةَ كُفِىَ الأَعْدَاءَ . خَيْرُ مَالِكَ مَا أَغْنَاكَ . وَخَيْرٌ مِنْهُ مَا وَقَاكَ . صَوْلَةُ الْكَرِيمِ صَيْلَمٌ [١] . ذَنَبُ أَسَدٍ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِ كَلْبٍ . بِجَبْهَةِ الْعِيرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ . مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ خَفَّتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَزَّزَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ . كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْمِرْآةُ أَضْوَأَ مِنَ النَّاظِرِ فِيهَا ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدِّبُ أَفْضَلَ [٢] مِمَّنْ يُؤَدَّبُ .

مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَنْبَغِى عُومِلَ [٣] بِمَا لَا يَنْبَغِى . لَيْسَ فى الشَّرِّ أُسْوَةٌ ، وَلَا فى الْخَطَإِ قُدْوَةٌ . لَنْ تَكُونَ للهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ عَدُوَّكَ [٤] إِذَا أَطَاعَ اللهَ فى عَدَاوَتِكَ عَلَى عَدَاوَتِهِ ، وَتُقْلِعَ عَمَّا عَادَاكَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضَ وَلِيَّكَ إِذَا عَصَى اللهَ فى مُوَالَاتِكَ ، وَتَنْزِعَ عَمَّا وَالَاكَ عَلَيْهِ . لا تَكُنْ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ . الشَّقِىُّ مَنْ جَمَعَ لِغَيْرِهِ ، وَضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ . شَرُّ [٥] أَخْلَاقِ الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَ خَيْرَهُ . مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ رَأْسَ مَالِهِ كَانَتِ الدُّنْيَا رِبْحَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا رَأْسَ مَالِهِ كَانَتِ الآخِرَةُ خَسَارَتَهُ . أَفْضَلُ الْعِلْمِ [٦] وُقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ عِلْمِهِ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا قُضِيَتْ بِهِ الْحُقُوقُ . الْبِدَعِ فِخَاخٌ [٧] مَخْبُوءَةٌ قَدْ عُلِّقَتْ عَلَيْهَا أَلْفَاظٌ ظَاهِرَةٌ . رِضَاءُ [٨] الْعَامَّةِ أُمْنِيَّةٌ عَلَى ضَلَالَةٍ [٩] ، وَرِضَاءُ الْخَاصَّةِ يَقِينٌ عَلَى ثِقَةٍ . الْقَلِيلُ مِنَ الْمَلِكِ كَالْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ . عَطَاءُ الْمُلُوكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ [١٠] .

---

(١) صَيْلَمٌ : أى تستأصل ما تُصيب .. وفى « ط » : « سليمة » .

(٢) فى « م » : « خير مِمَّنْ يُؤَدَّب » والصواب : « خيراً » بالنصب .

(٣) فى « م » : « عمل » .

(٤) فى « م » : « غيرك » .

(٥) فى « م » : « من » مكان « شر » تحريف من الناسخ .

(٦) فى « م » : « أفضل العلوم » .

(٧) فِخاخ : مصائد .

(٨) فى « ط » : « رجاء » مكان « رضاء » فى الموضعين .

(٩) فى « م » : « على غير ثقة » .

(١٠) فى « م » : « عطاء الملك زينة ، وسؤاله شرف » .

وَفِي الأَمْثَالِ : جَاوِزْ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا . إِذَا كَذَبَ السَّفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ . أَخْبَثُ الأَزْمِنَةِ زَمَنٌ لا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الصَّوَابُ . لا تُعْطُوا فى الْفُضُولِ مَا خِفْتُمُ الْعَجْزَ عَنِ الْحُقُوقِ [١] . الآذَانُ أَقْمَاعٌ تُؤَدِّى [٢] ، وَالْقُلُوبُ قَوَابِلُ تَعِى . مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَمَّى دَاهِيًا [٣] لَمْ يُظْهِرْ دَهَاءَهُ . لا دَلِيلَ أَهْدَى مِنَ التَّوْفِيقِ . الْجَلاءُ الْبَلاءُ . مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهَمِ فَلا يَلُومَنَّ [٤] مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . الْحِفْظُ قَيْدُ الْعِلْمِ . الْمُدَارَسَةُ [٥] إِذْكَاءٌ لِلْفَهْمِ . الْمُقَايَسَةُ إِحْيَاءُ الْفِطَنِ [٦] . اسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْو . وَالطَّاعَةَ بِالتَّأَلُّفِ [٧] ، وَالنَّصْرَ بِالتَّوَاصُلِ للهِ وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ . اسْتِقْلالُ الْكَثِيرِ تَعَرُّضٌ لِلتَّغْيِيرِ .

ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِهَا : الْكِتَابُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ ، وَالرَّسُولُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُرْسِلِهِ ، وَالْهَدِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُهْدِيهَا . لَمْ يَحْكُمْ عَلَى الْعُقُولِ حَاكِمٌ كَالْعِبَرِ ، وَلَمْ يُحْكِمْهَا مُحْكِمٌ كَالتَّجْرِبَةِ . مَنْ عَابَ سِفْلَةً فَقَدْ رِفْعَةً [٨] ، وَمَنْ عَابَ سَيِّدًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ [٩] . أَحَقُّ النَّاس أَنْ يُؤْتَمَنَ [١٠] عَلَى الدُّنْيَا أَهْلُ الآخِرَةِ . صَحَّ مَنْ صَحَّتْ سَرَائِرُهُ ، وَسَقِمَ [١١] مَنْ سَقِمَتْ ظَوَاهِرُهُ . بِالْكَلامِ يُعْرَفُ فَضْلُ

---

(١) فى « م » : « العقوق » تحريف .

(٢) أقماع تؤدى : آلات تسمع وتعى .. ويُقال : « وَيْلٌ لأقماع القوم » أى : الذين يسمعون ولا يَعُون .

(٣) داهياً : بصيراً بالأمور .

(٤) فى « م » : « فلا يكون ممن » تحريف .

(٥) المُدارَسة : القراءة والمذاكرة .

(٦) المقايسة : القدرة على التقدير ، مِن قاسَ الشىء قياساً ومقايسة : إذا قَدَّره .. والفِطَنُ : جمع فِطْنَة ، وهى : الحِذق والمهارة .

(٧) فى « م » : « بالتأليف » .

(٨) الرفعة : الشرف ، وارتفاع القَدْر والمنزلة .

(٩) وضَعَ نفسه : أَذَلَّها .

(١٠) فى « ط » : « أن يُؤْمَنَ » .

(١١) سَقِمَ : طال مَرَضُه .

الْعَقْلِ ، كَمَا بِالرَّسُولِ يُعْرَفُ قَدْرُ الْمُرْسِلِ . مَلَاكُ أُمُورِكُمُ الدِّينُ ، وَعِصْمَتُكُمُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُكُم الأَدَبُ ، وَحِصْنُ أَعْرَاضِكُمُ الْحِلْمُ . إِذَا أُعْطِيتَ مَالَا تَرْضَى فَارْضَ بِمَا أُعْطِيتَ . كُلَّمَا ازْدَادَ الْخَيْرُ كَثْرَةً ، كَانَ الْخَارِجُ مِنْهُ أَشَدَّ حَسْرَةً ، وَبِقَدْرِ السُّمُوِّ فِي الرِّفْعَةِ تَكُونُ وَجْبَةُ الْوَقْعَةِ (١) . الإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ .

مِنَ التَّوَقِّى تَرْكُ الإِفْرَاطِ فى التَّوَقِّى (٢) ، وَتَوْرِيثُ الْحُرْمَةِ وَالذِّمَامِ سُنَّةٌ فى الْمُرُوءَةِ (٣) ، كَمَا أَنَّ وِرَاثَةَ التَّرِكَةِ فَرِيضَةٌ فى الدِّيَانَةِ . لا تَمْدَحَنَّ امْرَأً بِأَكْثَرَ مِنْ قَدْرِهِ فَتَكُونَ مُهِينًا لِنَفْسِكَ ، كَذَّابًا عَلَى غَيْرِكَ . لا تَفْرَحَنَّ بِسَقْطَةِ غَيْرِكَ (٤) ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِى مَتَى يُحْدِثُهَا الزَّمَانُ بِكَ . مِنَ الْجَفَاءِ الْكَلَامُ فى الأَمْرِ الْجَسِيمِ مِنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ . أَكْثَرُ النَّاسِ مُخَادَعَةً لِنَفْسِهِ فى أَمْرِ جَسَدِهِ عِنْدَ الْحِمْيَةِ ، وَفِى أَمْرِ مُرُوءَتِهِ عِنْدَ الشَّهْوَةِ ، وَفِى أَمْرِ دِينِهِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ . الْمَصَائِبُ بَغَتَاتٌ (٥) . الْعَاقِلُ الْمُدْبِرُ أَرْجَى مِنَ الأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ .

أَشْرَفُ الصَّنَائِعِ (٦) مَالَمْ يَكُنْ مُكَافَأَةً لِمَاضٍ ، وَلَا رَجَاءً لِبَاقٍ . أَرْضِ النَّظِيرَ ثُمَّ كَافِئْهُ ، وَآنِسِ الْمُلْهَى (٧) ثُمَّ اسْتَمِعْ مِنْهُ . لَمْ تَكُنْ غَوَايَةٌ وَلَا هِدَايَةٌ (٨) إِلَّا وَالِيهِمَا سَائِقٌ وَعَنْهُمَا نَاكِصٌ (٩) . إِحْسَانُكَ إِلَى الْحُرِّ يُحَرِّضُهُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى

---

(١) وَجْبَةُ الوَقْعَة : ثبوت السقطة ولزومها .

(٢) فى « م » : « الترق » بالراء .

(٣) فى « م » : « تورث الحرمة ، والذمام سُنّة فى المودّة » .. والحرمة : مالا يحل انتهاكه من ذِمَّة أو صُحْبَة .. والذمام : العهد والأمان والحق .

(٤) فى « ط » : « بسقطة عدوك » .

(٥) قوله : « المصائب بغتات » عن « ط » .. وبغتات ، أى : تفاجىء الإنسان على غير توقع .

(٦) الصنائع : ما صُنِعَ من خير ، والأفعال الحَسَنَة .

(٧) المُلْهَى : المشغول .

(٨) فى « م » : « هداية ولا غواية » .

(٩) السائق : القائد .. والناكص : المتراجع والمُحْجِم .

الْخَسِيسِ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ . لَيْسَ يُمْتَحَنُ الأَدِيبُ بِأَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ ، إِنَّما يُمْتَحَنُ بِأَنْ يَكُونَ تَارِكًا لِلشَّرِّ . مَنْ صَنَعَ مَعَكَ خَيْرًا فَأَضْعِفْهُ لَهُ ، وَإِلَّا فَلَا تَعْجَزْ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . الأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ مَسَاوِئَ النَّاسِ [١] وَيَغْفُلُونَ عَنْ مَحَاسِنِهِمْ ، كَمَا يَتَّبِعُ الذُّبَابُ الْمَوَاضِعَ النَّغِلَةَ [٢] مِنَ الْجَسَدِ وَيَدَعُ صَحِيحَهُ .

الظَّرْفُ [٣] فِطْنَةٌ مَازَجَتْهَا عِبَادَةٌ ، مَعَ حَذَرٍ وَتَوَقٍّ ، فَإِذَا خَلَتِ الْفِطْنَةُ مِنَ التَّوَقِّي فَصَاحِبُهَا لا يَسْتَمْتِعُ بِهِ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ ، وَإِذَا خَلَتِ الْفِطْنَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَارَنَتْهَا فَصَاحَةٌ فَصَاحِبُهَا غَيْرُ طَيِّبٍ [٤] . الظَّرْفُ [٥] الأَلْفَاظُ الَّتِي يَرْتَفِعُ عَنْهَا أَهْلُ الْجَلَالَةِ مِنَ الْمُخْلِصِينَ فِى بَاطِنِ الدُّنْيَا ، وَالْمُتْرَفِينَ فِى ظَاهِرِ الْحَالِ . وَسَمِعْتُ الْقَاضِيَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيَّ ، رَحِمَهُ اللهُ ، بِالْبَصْرَةِ يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أُتِيَ بِسَارِقٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَسَرَقْتَ ؟ قُلْ : لا . فَقَالَ الرَّجُلُ : لا . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَظَرِيفٌ .

جَهْدُ الْبَلَاءِ [٦] الإِقْلَالُ وَالْعِيَالُ . يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَطَامَنَ لِلْجَاهِلِ [٧] بِقَدْرِ مَا رَفَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ . الْعَقْلُ أَفْقَرُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالأَدَبِ مِنَ الْجَسَدِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . أَعْظَمُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ زَالَتْ نِعْمَتُهُ وَبَقِيَتْ [٨] شَهْوَتُهُ ، وَضَاقَتْ قُدْرَتُهُ [٩] . قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ [١٠] . مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ [١١] خَيْرٌ مِنَ انْتِظَارِ الْمَفْقُودِ . مَنْ

---

(١) يتّبعون مساوئ الناس : يتطلبونها .

(٢) النَّغِلَة : الفاسدة .

(٣) الظرف : الفطنة والكياسة .

(٤) فى « م » : « فصاحبها طيب » .

(٥) فى « م » : « الظرف فطنة معها بعض الإرسال » .. والإرسال : الإطلاق من غير تقييد .

(٦) جَهْد البلاء : كثرة العيال والفقر .

(٧) يتطامن للجاهل : يطمئن ويسكن له .

(٨) فى « ط » : « وبُعثت » .

(٩) فى « ط » : « مقدرته » .

(١٠) اليسارَيْن : السهولة والغِنَى .

(١١) معالجة الموجود : التعامل معه والرضا به .

عَدِمَ [١] الْحَيَاءَ عِنْدَ الْفَضِيحَةِ ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ النَّصِيحَةِ [٢] سَهُلَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِى كُلُّهَا . الْعَالِمُ مِثْلُ السِّرَاجِ ، مَنْ مَرَّ بِهِ اقْتَبَسَ مِنْهُ .

مَنْ تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ نَصَرَهُ التَّوْفِيقُ . لَنْ تَكُونَ للهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَكُونَ [٣] عَدُوُّكَ مُطِيعًا . مَنْ أَذَلَّ [٤] النَّاسَ بِلَا سُلْطَانٍ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ . مَادِحُكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مُخَاطِبٌ لِغَيْرِكَ [٥] ، فَجَوَابُهُ وَثَوَابُهُ سَاقِطَانِ عَنْكَ [٦] . الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِى النَّارِ . الأَحدَاثُ تَأْتِى عَلَى [٧] مَا مِنْهُ يُؤْتَى الْحَذِرُ . الْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَحْفُوظُ لِلْعَدُوِّ . مَنْ [٨] غَضِبَ عَلَى مَنْ لا يَقْدِرُ عَلَى غَمِّهِ عَذَّبَ نَفْسَهُ ، وَاشْتَدَّ غَيْظُهُ . اُطْلُبْ مَايَعْنِيكَ وَاتْرُكْ مَا لَا يَعْنِيكَ ، فَإِنَّ فِى تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ دَرَكَ مَا يَعْنِيكَ . مِنْ أَنْكَى الأَشْيَاءِ لِعَدُوِّكَ أَنْ تُرِيَهُ [٩] أَنَّكَ لا تُعَادِيهِ . كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .

الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الاسْتِغْنَاءِ بِهِ . وَمِنْ خَيْرِ خَبَرٍ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَطَرِ . لا فَخْرَ فِيمَا يَزُولُ ، وَلَا غِنًى فِيمَا لا يَبْقَى . شَرُّ الْعُيُوبِ مَا كَانَ مُعِينًا عَلَى الْعُيُوبِ [١٠] . شَرُّ الذُّنُوبِ مَا كَانَ عِلَّةً لِلذُّنُوبِ . أَبْلَغُ الرُّسُلِ الْكُتُبُ . حَاوِلِ الأُمُورَ بِالنَّصَفَةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظَّفَرِ [١١] . مَنْ أَرَادَ جَمَالاً لا تَهْدِمُهُ الأَيَّامُ فَلْيَصْحَبِ

---

(١) عَدِمَ : فقَدَ .

(٢) ف « م » : « الصبر على النصيحة » .

(٣) ف « م » : « أن يكون له » .

(٤) ف « ط » : « مَنْ آذى » .

(٥) ف « م » : « مخاطب بما ليس فيك » .

(٦) ف « ط » : « عندك » .

(٧) ف « ط » : « تأتى مِنْ على » .

(٨) ف « م » : « ومن » .

(٩) ف « م » : « أنك تريه » .. وأنكى : أغلب وأقهر .

(١٠) ف « م » : « ما كان مُضمناً للعيوب » .

(١١) النصفة : العدل والحق .. وأنا زعيم لك بالظَّفَر ، أى : وأنا كفيل لك بالفوز والغلبة .

الْمُرُوءَةَ وَالصِّيَانَةَ ، فَهُمَا ذِرْوَةُ [١] الشَّرَفِ . رُبَّ أَمْرٍ لَهُ مَا بَعْدَهُ . مَنْ سَبَقَ إِلَيْكَ كَانَ لَكَ صَفْوُهُ . مِنْ شُرُوطِ الْمُرُوءَةِ التَّغَابُنُ لِلضَّعِيفِ [٢] . الْمُرُوءَةُ تَرْكُ الرِّيبَةِ . يَكَادُ اسْتِقْصَاءُ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ أَنْ يَكُونَ ظُلْمًا . يَكَادُ اسْتِيفَاءُ الْغَنِيِّ مِنَ الضَّعِيفِ أَنْ يَكُونَ جَوْرًا . الْقُرْآنُ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، أَوَّلُهُ حُكْمٌ وَآخِرُهُ عِلْمٌ [٣] .

الْمُحَادَثَةُ [٤] عَلَى الطَّعَامِ تَزِيدُ فِى الشَّهْوَةِ ، وَتُذْهِبُ الْحِشْمَةَ ، وَتُزِيلُ الانْقِبَاضَ . لَنْ تَنَالَ مَا تُحِبُّ حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا تَكْرَهُ ، وَلَنْ تَنْجُوَ مِمَّا تَكْرَهُ حَتَّى تَصْبِرَ عَنْ كَثِيرٍ [٥] مِمَّا تُحِبُّ . ذَهَابُ الْبَصَرِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ [٦] . لا تَعُدَّ الْعَزْمَ عَزْمًا إِذَا سَاقَ غَمًّا . مَعَ الرَّأْيِ الأَوَّلِ الْوَهْمُ . النَّظْرَةُ بَعْدَ النَّظْرَةِ تَعَقُّبٌ لِمَا قَبْلَهَا وَتَزَيُّدٌ لِمَا بَعْدَهَا [٧] . لَيْسَ [٨] مَدْحُ الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ تَزْكِيَةً . أَنْعَمُ النَّاسِ مَنْ كُفِيَ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَلَا يُهِمُّهُ أَمْرُ دِينِهِ [٩] . الْغَرِيبُ مَنْ فَقَدَ إِخْوَانَهُ وَنُظَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِى وَطَنِهِ . الْغَرِيبُ مَنْ لا صَدِيقَ لَهُ . الْغَرِيبُ الْفَقِيرُ . الْغَرِيبُ الأَحْمَقُ . الْغَرِيبُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ .

شَيْئَانِ لا يَسْتَحِي الْعَاقِلُ مِنْهُمَا : الْمَرَضُ ، وَذُو الْقَرَابَةِ الْفَقِيرُ . مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا سَبَبَ صِلَتِهِ فَإِنَّهَا سَبَبُ قَطِيعَتِهِ ، فَاحْذَرْ أَنْ تَجْعَلَهَا وَسِيطًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ . عَلَامَةُ الأَشْرَارِ أَنَّ [١٠] مَنْ خَالَطَهُمْ لا يَسْلَمُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ تَرَكَهُمْ لا يَصْرِفُوا شَرَّهُمْ عَنْهُ ،

---

(١) الذِّروة ، بكسر الذال المعجمة وضمها : أعلى كل شىء .
(٢) التغابن للضعيف : أن يتغلب له رأفة به .
(٣) الحُكْم : القضاء .. والعِلْم : التفقه والحكمة .
(٤) فى « م » : « المخادعة » .
(٥) فى « م » : « على كثير » .. وصبر على الأمر : احتمله ولم يجزع .. وصبر عنه : حبس نفسه عنه .
(٦) يريد بالنظر هنا : النظر إلى المُحَرَّمات .
(٧) تعقُّبٌ لما قبلها ، أى : تتلوه وتأتى بعده .. والتَّزيُّد : الزيادة والتكلف .
(٨) فى « م » : « وليس » .
(٩) كُفِىَ أمر دنياه : وجد ما يكفيه منها فاستغنى به ، أو قنع به .. ولم يهمه دينه : لم يقلقه .. وفى « م » : « ولا يهمه أمر دينه » .
(١٠) « أنَّ » عن « ط » .

وَأَمَّا الأَخْيَارُ فَمَنْ خَالَطَهُمْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ غَالَطَهُمْ [١] تَرَكَ رُشْدَهُ . الْبِرُّ ثَلَاثَةٌ : الصِّدْقُ فِى الْغَضَبِ ، وَالْجُودُ فِى الْعُسْرِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ [٢] . سَتُسَاقُ إِلَى كُلِّ مَا أَنْتَ لَاقٍ .

إِذَا صَحِبَ الارْتِيَادُ الرَّشَادَ وُجِدَ الْمُرَادُ . مَا أُعْتِقَ [٣] مِنَ الذَّمِّ مَنْ مَلَكَهُ الْجَهْلُ . وَلَا ظَفِرَ بِالْعِزِّ مَنِ احْتَمَلَ مَا فِى الْمَعْصِيَةِ مِنَ الذُّلِّ [٤] ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الدَّنَاءَةِ مَنْ صَرَفَ جَمِيعَ عَقْلِهِ [٥] إِلَى الدُّنْيَا . أَخُو الظُّلْمَاءِ مُرِيبٌ . الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسَبَةِ [٦] . مَاعُدَّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَا [٧] مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى ، وَلَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى مَنْ حَادَ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى . مَنْ ذَمَّ أَدْنَى الإِحْسَانِ لامْتِنَاعِ أَقْصَاهُ لَمْ يَحْمَدْ شَيْئًا مِنْهُ . مِنْ دَوَاعِى الْهَلَكَةِ إِضَاعَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَاعَجَبًا لِمَنْ يَبْنِى دَارَهُ وَجِسْمُهُ يُهْدَمُ ، وَلِمَنْ يُبْرِمُ أُمُورَ الدُّنْيَا [٨] وَأُمُورُهُ فِى نَفْسِهِ تَخْتَلُّ [٩] .

قَالَ عَلِىٌّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا كَانَ عَلَيْنَا ، وَالسَّاكِتُ أَخُو الرَّاضِى . الْكَاتِمُ لِلْعِلْمِ كَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، أَوْ هُوَ غَيْرُ وَاثِقٍ فِيهِ بِالصَّوَابِ . الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ . الْعِلْمُ بِمَا فِى الْمُصِيبَةِ مِنَ الثَّوَابِ يُنْسِى الْمُصِيبَةَ . شَرٌّ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخُلُقِ [١٠] مِنْهَا . الْحِكْمَةُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ . الْخُصُومَةُ تَكْشِفُ

---

(١) غالَطَهم : أوقعهم فى الغلط .. وفى « م » : « ومَنْ جانَبهم » أى : فارقهم وابتعد عنهم .

(٢) مَعْتَبَتُه : ملامته .

(٣) فى « م » : « ماعُتِق » .

(٤) قوله « من الذل » عن « ط » .

(٥) فى « م » : « مَن صرف عقله » .

(٦) قوله : « أخو الظلماء مريب » و « المسألة آخر المكسبة » عن « ط » .. وأخو الظلماء : الإنسان الغامض الملتوى .. والمكسبة : ما يُكتسب .

(٧) الحِجَا ، بالكسر والقصر : العقل .

(٨) فى « م » : « أمْر الدنيا » .. ويبرم : يُحكم .

(٩) فى « م » : « تُخلِ » أى : تُترك .

(١٠) فى « م » : « سوء الخَلَف » .

الْعَوْرَةَ وَتُورِثُ الْمَعَرَّةَ . بَلَاءُ الْمُؤْمِنِ مِنْ عَافِيَتِهِ [١] كالنَّارِ حَرِيقُهَا مِنْ نُورِهَا . قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . مَنْ لَمْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ عَنْ قَدْرِ الْجَاهِلِ ، رَفَعَ الْجَاهِلُ قَدْرَهُ عَلَيْهِ . الذِّلَّةُ مَعَ الْقِلَّةِ . تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا [٢] . مَوْتٌ عَاجِلٌ خَيْرٌ مِنْ ضَنًى [٣] آجِلٍ . الْغَضَبُ عِنْدَ الْمُنَاظَرَةِ [٤] مَنْسَاةٌ لِلْحُجَّةِ .

الاخْتِصَارُ أَثْبَتُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَأَفْهَمُ لِلسَّامِعِ . الْكَلْبُ فِى الْحَاضِرَةِ [٥] يَنْبَحُ الضَّيْفَ وَيَدْفَعُ الزَّائِرَ ، وَيَرُدُّ السَّائِلَ ، وَالْكَلْبُ فِى الْبَادِيَةِ يُعِينُ الصَّاحِبَ ، وَيُنْذِرُ بِالضَّيْفِ ، وَيَدْفَعُ السَّارِقَ . لا تَغْتَرَّ بِقَوْلِ الْجَاهِلِ لَكَ : إِنَّ فِى يَدِكَ لُؤْلُؤَةً ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا بَعْرَةٌ . مَثَلُ الصَّلَاةِ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ مَثَلُ السَّفِينَةِ مَعَ جَمِيعِ مَنْ فِيهَا [٦] ، إِنْ سَلِمَتْ سَلِمَ الْكُلُّ ، وَإِنْ أُصِيبَتْ أُصِيبَ الْكُلُّ [٧] . الْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِتْنَةٌ [٨] . طَلَبُ الْمَطْمَعِ حَزْمٌ ، وَطَلَبُ الْمُؤْيِسِ عَجْزٌ [٩] . قَدْ يَنْظُرُ الْمَنْطِقَ مَنْ يُعْنَى بِهِ . إِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضَرَّتْ ، وَنَفَقَتِ [١٠] الرَّذَائِلُ وَنَفَعَتْ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمُوسِرِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ الْمُعْسِرِ .

---

(١) أى : مِنْ تمام صحته وبُرئه من العلل .. وفى « م » : « من عاقبته » .. والعاقبة : آخر كل شيء وخاتمته .

(٢) فى « م » : « بثديها » .. والمعنى : أنَّ الحُرَّة لا تكون ظِئراً وإنْ أذاها الجوع .. والظِّئر ، هى التى تُرضع ولَدَ غيرها .. ويُضرَب هذا المثل فى صيانة الإنسان نفسه عن خسيس المكاسب .

(٣) الضَّنَى : المرض .

(٤) المناظرة : المجادلة والمباحثة .

(٥) الحاضرة : خلاف البادية ، وهى المدن والقرى والريف .

(٦) فى « م » : « مافيها » .

(٧) فى « م » : « وإن أصَبْتَ أصبت الكل » .

(٨) فى « م » : « فيه » تحريف .

(٩) المَطمع : ما يُطْمَعُ فيه ويُرْغَبُ .. وفى « م » : « الطمع » تحريف .. والمُؤْيِس : الخاضع الذليل .. وفى « م » : « الموسر » تحريف أيضاً .

(١٠) نَفَقَتْ : راجتْ ورُغِبَ فيها .. وفى « م » : « نفعت » تحريف .

لِقَاءُ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ . لا يَصِيدُ الْكَثِيرَ مَنْ لا يَصِيدُ لِنَفْسِهِ [١] الْوَاحِدَة . بالْعَمَلِ يَحْسُنُ الْمَنْطِقُ ، وَبِالْقُوَّةِ يَتِمُّ الْعَمَلُ . الْفِكْرَةُ مِرْآةٌ . مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مِحْنَةً [٢] مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَكَثُرَ مَجْدُهُ . الأَدَبُ مَعَ الْعَقْلِ كَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالْعَقْلُ بِلا أَدَبٍ كَالرَّجُلِ الْعَقِيمِ . الْمَاءُ أَلْيَنُ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالْقَلْبُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ ، وَقَدْ يَثْلِمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ [٣] إِذَا كَثُرَ انْحِدَارُهُ عَلَيْهِ . أَشَدُّ الأَشْيَاءِ إِخْفَاءُ الفَاقَةِ [٤] . أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجْرِى عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ . لَمْ يَغِبْ مَنْ شَهِدَ رَأْيُهُ ، وَلَمْ يَفْنَ مَنْ بَقِيَ أَثَرُهُ ، وَلَمْ يَمُتْ مَنْ خَلَدَ عِلْمُهُ . وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : لَيْسَ بِهَالِكٍ مَنْ تَرَكَ مِثْلَ مَالِكٍ [٥] . كَمَا أَنَّهُ قَبِيحٌ إِذَا رَكِبْنَا الْخَيْلَ أَنْ تَجْرِىَ بِنَا حَيْثُ أَرَادَتْ دُونَ أَنْ نُدِيرَهَا ، كَذَلِكَ قَبِيحٌ أَنْ يَجْرِىَ الْبَدَنُ وَالنَّفْسُ بِالْعَقْلِ حَيْثُ أَرَادَتْ [٦] مِنَ الشَّهَوَاتِ .

أَشَقُّ الأُمُورِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . عَائِبُ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ مَحْجُوجٌ [٧] . لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ إِلَّا وَدُونَهُ عَقَبَةٌ مِنَ الصَّبْرِ . ضَرْبُ الإِنْسَانِ عَارٌ بَاقٍ وَوَتْرٌ مَطْلُوبٌ [٨] . قِيلَ لِلْحَكِيمِ : هَلْ لِلْغَضَبِ مَادَّةٌ تَحْسِمُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنْ يَعْلَمَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ لَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُطَاعًا أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُخْدَمَ أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُحْتَمَلَ خَطَؤُهُ أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُصْبَرَ عَلَيْهِ أَبَدًا ، بَلْ قَدْ يُطِيعُ وَيَخْدُمُ ، وَيَتَحَمَّلُ الْخَطَأَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى النَّوَائِبِ ، فَإِذَا عَقَلَ [٩] ذَلِكَ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ غَضِبَ [١٠] فَقَلِيلٌ .

---

(١) فى « م » : « نفسه » .
(٢) « محنة » عن « م » .
(٣) فى « م » : « فى الحجر » ويَثْلِمُ المَاءُ الحَجَرَ : يُحدِثُ فيه شقاً .
(٤) الفاقة : الفقر والحاجة .
(٥) أى : مثل مالك بن أنس فى العلم .
(٦) فى « م » : « أن يجرى على البدن والنفس العقل حيث أراد » .
(٧) أى : الذى يعيب شيئاً أجمع عليه الناس ، فالحُجّةُ قائمة عليه .
(٨) وَتْرٌ مطلوب : ثأر مُطالَب به .
(٩) فى « م » : وإذا فَعَل » .
(١٠) فى « م » : « وإذا غضب » .

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِنَفْسِهِ . لا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْعِلْمِ لِمَنْ لا يَعْمَلُ ، كَمَا لا يُغْنِي ضَوْءُ الشَّمْسِ عَمَّنْ لا يُبْصِرُ [١] . رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ بِتَرْكِ التَّوَرُّعِ ، وَأَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ . الْبِدَعُ فُخُوخٌ تَسْتُرُهَا [٢] زَخْرَفَةُ الْكَلَامِ وَخِدَعُ الْمَقَالِ [٣] . النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بِالإِخْوَانِ ، وَفِي الآخِرَةِ بِالأَعْمَالِ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ حُمْقُهُ . مَنِ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ [٤] النِّعْمَةُ أُدِيمَتْ لَهُ الرَّغْبَةُ . يُحْفَظُ الأَحْمَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ . لا جُودَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا صَدَاقَةَ إِلَّا بِوَفَاءٍ ، وَلَا فِقْهَ إِلَّا بِوَرَعٍ .

الْعَلِيلُ الَّذِي يَشْتَهِي أَرْجَى مِنَ الصَّحِيحِ الَّذِي لا يَشْتَهِي . قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ . اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُتْرَةً مِنَ الْحَلالِ . لِقَاءُ الرَّجُلِ أَخِلَّاءَهُ مَسْلَاةٌ [٥] لِلْهَمِّ . مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَدْبِيرِ اللهِ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَدْبِيرِ نَفْسِهِ ، والأَحْلامُ فَرَحٌ وَهَمٌّ كَاذِبٌ ، وَالعَامِلُ بِهَا كَالْمُعْتَمِدِ عَلَى الظِّلِّ الزَّائِلِ . الدُّنْيَا دُوَلٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَقْوَ عَلَى دَفْعِهِ [٦] . الْعَافِيَةُ خَيْرٌ مِنَ الْوَاقِيَةِ . الكَرِيمُ لَا يَسْتَحِي مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ . الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقِيرِ . الْكَرَمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ ، وَاللُّؤْمُ [٧] سوءُ التَّغَافُلِ . اخْتِلَافُ كَلَامِ الْمَرْءِ دَلِيلٌ عَلَى مَيْلِ الْهَوَى بِهِ . مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ يُرَى أَثَرُهَا .

مَنْ [٨] كَانَ شِبَعُهُ فِي الطَّعَامِ لَمْ يَزَلْ جَائِعًا ، وَمَنْ كَانَ غِنَاهُ فِي الْمَالِ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِحَوائِجِهِ الْخَلْقَ لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا ، وَمَنِ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللهِ لَمْ يَزَلْ مَخْذُولًا . مَنْ خَافَ مَنْ فَوْقَهُ خَافَهُ مَنْ تَحْتَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مَنْ فَوْقَهُ

---

(١) فى « م » : « لا يُبصره » .
(٢) فى « ط » : « يسترها » .
(٣) فى « ط » : « المال » .
(٤) فى « م » : « عليه » .
(٥) مَسْلاة : نسيان .
(٦) فى « م » : « دَفْعِه بقوَّتك » .
(٧) فى « م » : « والكرم » مكررة .. ولا تصح فى هذا الموضع .
(٨) فى « م » : « ومن » .

لَمْ يَخَفْهُ مَنْ دُونَهُ [١] . مَا تُحْسِنُهُ وَلَا [٢] تَعْمَلُ بِهِ ، لِغَيْرِكَ نُورُهُ وَعَلَيْكَ بُورُهُ [٣] . وَاعَجَبًا لِمَنْ يَخْتَارُ الْمَذَلَّةَ فى طَلَبِ مَا يَفْنَى عَلَى الْعِزِّ فى طَلَبِ مَا يَبْقَى . مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ . الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لا تَفْنَى ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّها لا تَبْقَى [٤] . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَنْفِقْ إِذَا أَيْسَرْتَ غَيْرَ مُقَتِّرٍ ... وَأَنْفِقْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ حِينَ تُعْسِرُ [٥]
فَلَا الْجُودُ يُفْنِى الْمَالَ وَالْحَظُّ مُقْبِلٌ ... وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِى الْمَالَ وَالْحَظُّ مُدْبِرُ [٦]

وَلِغَيْرِهِ :

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهْىَ مُقْبِلَةٌ ... فَلَنْ يَضُرَّ بِهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرَفُ [٧]
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا ... فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلَفُ [٨]

الْغَرِيبُ فى كُلِّ مَكانٍ مَظْلُومٌ . مَنْ سَلَكَ الْحِذَارَ [٩] أَمِنَ العِثَارَ . لَمْ يَحُرْ رَاكِبُ الْقَصْدِ [١٠] . عَجَبًا لِلَّئِيمِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِى مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَفُوتُهُ الْكَرَمُ الَّذِى أَتَاهُ يَطْلُبُهُ [١١] ، فَيَعِيشَ فى الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَراءِ ، وَيُحَاسَبُ فى الآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِياءِ . مَنْ يَطُلْ ذَيْلُهُ [١٢] يَكْثُرْ وَيْلُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُ [١٣] : مَا يَظَلُّ فِعْلُ اللهِ

---

(١) من قوله : « مَن استعان فى أمره بغير الله » إلى هنا عن « ط » .
(٢) فى « ط » : « وما » .
(٣) بُوره : كساده وتعطله .
(٤) فى « م » : « فالاتبقى » تحريف من الناسخ .
(٥) البيتان من الطويل : وخَيَّلَتْ : صَوَّرَتْ وشَبَّهَتْ .. وفى « ط » : « عَلَى ما خِلْتَ » .. والشطرة الأولى من البيت فى عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠١ : « فأَنْفِقْ إذا أَنْفَقْتَ إنْ كُنْتَ مُوسِراً » .
(٦) الحظُّ : النصيبُ .. وفى عيون الأخبار : « الْجَدُّ » مكان « الحظ » فى الموضعين ، وهى بمعناها .
(٧) البيتان من البسيط .. والشطرة الثانية من البيت فى المصدر السابق ص ٤٤ :
« فليس يَنْقُصُها التبذيرُ والسَّرَفُ » .. والسَّرَف : الإسراف والتبذير .
(٨) فى المصدر السابق : « فإن » مكان « وإنْ » و « فالحمد منها » مكان « فالشكر منها » .
(٩) فى « م » : « الْجَلَد » وهى : الأرض الغليظة الصُّلْبة .. وهى كناية عن الاستقامة .
(١٠) أى : لم يضل مَنْ سلك طريق الاستقامة .
(١١) فى « م » : « بطلب » .
(١٢) أى : مَنْ يتكبر ويسير مُتَبَخْتِراً بين العباد .
(١٣) فى « م » : « وقال على بن أبى طالب » .. و « رضى الله عنه » عن « ط » .

يُنْتَطَقُ بِهِ (١) . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لا يَفُوتَكَ مَاتَشْتَهِى ، فَاشْتَهِ مَا يُمْكِنُكَ . مَنْ قَصَدَ أَسْهَلَ (٢) ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَوْعَرَ . الْفَصْدُ أَخُو الْحِمَامِ (٣) . شَرُّ السَّيْرِ الْحَقْحَقَةُ (٤) . بَوِّىءْ لِنَفْسِكَ فى الْمَجَالِسِ مَجْلِسًا لا يَقْصُرُ بِكَ وَلَا تُقَامُ عَنْهُ (٥) . اقْطَعِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ يَقْطَعْهُ مِنْ صَدْرِكَ (٦) ، وَازْجُرِ الْمُسِيءَ بِإِثَابَةِ الْمُحْسِنِ لِكَىْ يَرْغَبَ فى الإِحْسَانِ .

لَنْ يَهْلِكَ مِنْ مَالِكَ مَاوَعَظَكَ (٧) . الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْىَ . خَيْرُ النَّاسِ لِغَيْرِهِ خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إِحْسَانُ اللهِ مَكْفُورٌ (٨) عِنْدَ مَنْ أَصْبَحَ مُصِرًّا عَلَى ذَنْبٍ مَسْتُورٍ . يَصِيرُ التَّخَلُّقُ خُلُقًا بِالِاجْتِهَادِ وَالِاعْتِيَادِ . الْحَجَرُ الْغَصْبُ فى الْبُنْيَانِ رَهْنٌ عَلَى الْخَرَابِ . رُبَّمَا شَرِقَ شارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ . رُبَّ رَأْيٍ أَنْفَعُ مِنْ مَالٍ ، وَحَزْمٍ أَوْقَى مِنْ رِجَالٍ . مَنِ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ . مَنْ ذَمَّ الزَّمَانَ لَمْ يَحْمَدِ الإِخْوَانَ . بِتَقَلُّبِ الأَحْوَالِ تُعْلَمُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . مَنْ عَرَفَ الزَّمَانَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تُرْجُمَانٍ . مَنْ (٩) عَرَفَ الأَيَّامَ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الاسْتِعْدَادِ . رَسُولُكَ تُرْجُمَانُ عَقْلِكَ . الطَّاعَةُ غَنِيمَةُ الأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَاجِزِ (١٠) . كُلَّمَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ حَسُنَ ضَوْءُ السِّرَاجِ . الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقَاقِ عَمًى (١١) أَوْ حَسَدٌ .

---

(١) فى « م » : « من يُظل » .. ويُنْتَطَقُ به : يُحْتَضَنُ به ويُعتمد عليه .

(٢) قصد ، أى : توسط فى الأمر ، لم يُفْرِطْ ولم يُفَرِّطْ .. وأسهل : كان سهلاً مقبولاً لدى الناس .

(٣) فى « م » : « أحد » .. والفَصْدُ : إخراج مقدار من الدم من الوريد بقصد العلاج .. والحِمَامُ : قضاء الموت وقدره .

(٤) الحَقْحَقَة : شِدَّةُ السَّيْرِ .

(٥) بَوِّىءْ لنفسك ، أى : أَعِدَّ لنفسك .. لا يقصر بك : لا يصير قصيراً بك ، أو مكاناً يُناسب مكانتك وقدرك .. ولا تُقام عنه : لا يُقيمك عنه أحد .

(٦) فى « م » : « اقلع الشر من صدر غيرك يقلعه من صدرك » .

(٧) فى « م » : « مَنْ وعظك » .. وتُستعمل « ما » لغير العاقل .

(٨) مكفور : لا يُحْمَد .

(٩) فى « م » : « ومَنْ » .

(١٠) فى « م » : « العَجزة » وهى جمعُ عاجز .

(١١) فى « م » : « وبالتقصير عن الاستحقاق عى » .

أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ مَنِ احْتَاجَ إِلَيْهَا فَحُرِمَهَا . مَنْ لَمْ يَدْرِ قَدْرَ الْبَلِيَّةِ لَمْ يَرْحَمْ أَهْلَهَا . كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِهَا . مُجَالَسَةُ الأَحْمَقِ غَرَرٌ [١] ، وَالْقِيَامُ عَنْهُ ظَفَرٌ . لا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فى الَّذِى كَانَ [٢] شُغْلٌ . الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ . إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ وَصَحَّ الْعَمَلُ كَانَ التَّوْفِيقُ . إِحْرَازُ الْعَوَاقِبِ بِالاجْتِهَادِ ، وَالاجْتِهَادُ أَرْبَحُ بِضَاعَةً . التَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ . كَمَالُ الْعَمَلِ التَّوْفِيقُ . مَنْ تَرَفَّقَ فى اسْتِتْمَامِ الْحَظِّ مِنَ الْبُغْيَةِ أَدْرَكَ وَبَلَغَ . مُقَارَبَةُ النَّاسِ فى أَخْلاقِهِمْ أَمْنٌ [٣] مِنْ غَوَائِلِهِمْ . لا تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ بِالْمَوْضِعِ الَّذِى رَتَّبَهُ فِيهِ زَمَانُهُ ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَيْهِ بِقِيمَتِهِ فى الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا مَكَانُهُ الطَّبِيعِىُّ .

أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ سَافَرَ فى طَلَبِ أَخٍ صَالِحٍ . لَيْسَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْكَثْرَةِ ، لَكِنِ الْكَثْرَةُ مِنَ الْبَرَكَةِ . وَقَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنْ كَانَ مَا تَرَى مِنَ الْجَهْلِ يَغِيظُكَ [٤] إِذَنْ يَكْثُرُ الْجَهْلُ وَيَطُولُ غَمُّكَ . قِيلَ لِبُزُرْجَمِهْرَ : مَالَكُمْ لا تُعَاتِبُونَ الْجَهَلَةَ ؟ قَالَ : لأَنَّا لَا نُرِيدُ [٥] مِنَ الْعُمْيَانِ أَنْ يُبْصِرُوا . الْعِشْقُ مَرَضُ نَفْسٍ فَارِغَةٍ لا هِمَّةَ لَهَا . إِجَالَةُ الْفِكْرَةِ اسْتِخْرَاجُ الْفِطْنَةِ . تَتَبُّعُ الإِسَاءَةِ بِالنَّدَمِ ، وَتَتَبُّعُ النَّدَمِ بِالإِقْلاعِ . الأَمْنُ بِالْبَرَاءَةِ [٦] ، وَكَثْرَة الصَّدِيقِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَأَعَمُّ الأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الأَشْرَارِ . مَنْ بَذَرَ عَدَاوَةً حَصَدَ نَدَامَةً . السُّمْنَةُ لِلنِّسَاءِ غُلْمَةٌ [٧] وَلِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ .

---

(١) غَرَرٌ : خطَرٌ .

(٢) فى « م » : « لا تَسَل عما لم يكن ، فإن فى الذى قد كان » .

(٣) فى « م » : « أمنا » لاتصح . وغوائلهم : فسادهم وشرورهم ، جمع غائلة .

(٤) فى « ط » : « يغيظ » .

(٥) فى « ط » : « ما نريد » .

(٦) بالبراءة : بالتخلص من العيوب والتُّهَم .. وفى « م » : « بالبراء » وهو مصدر يُوصَف به .

(٧) الغُلْمَة : شدة الشهوة للجماع .

قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا حِلْمُ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةُ مَنْ لَمْ يُرُدَّ الْغَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةُ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ ؟ عِيَادَةُ النَّوكَى (١) الْمَجِيءُ فِى غَيْرِ وَقْتٍ ، وَالْجُلُوسُ فَوْقَ الْقَدْرِ . إِذَا وَقَعَتِ الضَّرُورَةُ ارْتَفَعَتِ الْمَشُورَةُ . قِيلَ لِحَكِيمٍ : أَخْرِجِ الْهَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِذْنِى دَخَلَ . مَنِ اغْتَرَّ بِحَالِهِ قَصَّرَ فِى احْتِيَالِهِ (٢) . إِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الأُمُورِ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهَا فَيُغْنِيكُمْ (٣) طَلَبُهَا ، وَلَا تُدْرِكُوا حَظًّا مِنْهَا . هَيْبَةُ الزَّلَلِ تُورِثُ الْحَصَرَ (٤) . قِيلَ لِلْحَكِيمِ : لأَىِّ شَىْءٍ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً دَمِيمَةً (٥) وَأَنْتَ وَسِيمٌ ؟ قَالَ : اخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقَلَّهُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا تَقُولُ فِى الزَّوَاجِ ؟ قَالَ : لَذَّةُ شَهْرٍ وَهَمُّ دَهْرٍ . فِتْنَةُ عَالِمٍ إِلَى إِبْلِيسَ خَيْرٌ مِنْ غَوَايَةِ أَلْفِ جَاهِلٍ . تَمَنَّى الْمُعَاتِبِ (٦) وَلَا تَمَنَّى الْمَعَاذِيرِ . الْمُوَالَاةُ فِى الإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلِيفِ (٧) فِى الْجَاهِلِيَّةِ .

سَبُّ الْجَاهِلِ لِلْحُكَمَاءِ تَشْرِيفٌ لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَكَمَا أَنَّ الْحَكِيمَ يَتَأَلَّمُ بِحَدِيثِ الْجَاهِلِ ، كَذَلِكَ الْجَاهِلُ يَتَأَلَّمُ بِسَمَاعِ الْحِكْمَةِ . أَغْنَى النَّاسِ عَنِ الْحِقْدِ مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ عَنِ الْمُحَاذَاةِ (٨) . الْكَبِيرُ الْهِمَّةِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ عُنْفُ النَّاصِحِ عِنْدَهُ أَلْطَفَ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ الْكَاشِحِ . إِنْ كَانَتِ الْجُدُودُ (٩) هِىَ الْحُظُوظُ ، فَمَا بَالُ الْحِرْصِ ؟ وَإِنْ كَانَتِ الأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ

---

(١) عِيادة النَّوكى : زيارة الحمقى والجُهَّال .
(٢) قَصَّر فى احتياله : عجز وكفَّ عنه .
(٣) فى « ط » : « من غير وجهها فيُعنيكم » .
(٤) أى : الخوف من الوقوع فى الخطأ يُورثَ العجز .. وهذه الجملة عن « ط » ولم ترد فى « م » .
(٥) فى « م » : « ذميمة » .
(٦) المُعاتِب : الذى يلومك ويُعاتبك .. وفى « م » : « المعايب » بالياء .
(٧) الموالاة : النُّصْرَة والمُحاباة ، وشرعاً : أنْ يُعاهد شخصٌ شخصاً آخر .. والحِلْف : المعاهدة على التعاضُد والتساعُد والاتفاق .
(٨) المُحاذاة : العطاء .. وفى « م » : « المجازاة » .
(٩) الجُدود : الأرزاق ، جمع جَدٍّ .

فَمَا بَالُ السُّرورِ ؟ وَإِنْ كَانَتِ الدَّارُ غَدَّارَةً ، فَمَا بَالُ الطُّمَأْنِينَةِ ؟ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : مَا رَأَيْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١) أَعْطَى عِبَادَهُ أَجَلَّ مِنَ الْحِلْمِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خَمْسٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَا تُرْجِهِ لِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ : مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الْوَثِيقَةَ فِي أُرُومَتِهِ (٢) ، وَالدَّمَاثَةَ (٣) فِي خُلُقِهِ ، وَالْكَرَمَ (٤) فِي طَبْعِهِ ، وَالنُّبْلَ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّحَاقُرَ (٥) عِنْدَ رَبِّهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ حَمْدُونَ : كُنْتُ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ (٦) لَمَّا خَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَرَكِبَ يَوْمًا إِلَى رَصَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَظَرَ إِلَى قُصُورِهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَأَى دَيْرًا قَدِيمًا هُنَاكَ حَسَنَ الْبِنَاءِ ، بَيْنَ مَزَارِعَ (٧) وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بِرُقْعَةٍ (٨) قَدْ أُلْصِقَتْ فِي صَدْرِهِ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِهَا ، فَإِذَا فِيهَا هَذِهِ الأَبْيَاتُ :

أَيَا مَنْزِلًا بِالدَّيْرِ أَصْبَحَ خَالِيًا ... تَلَاعَبُ فِيهِ شَمْأَلٌ وَدَبُورُ (٩)
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بِيضٌ أَوَانِسُ ... وَلَمْ يَتَبَخْتَرْ فِي فِنَائِكَ حُورُ (١٠)
وَأَبْنَاءُ أَمْلَاكٍ غَوَاشِمُ سَادَةٌ ... صَغِيرُهُمُو عِنْدَ الأَنَامِ كَبِيرُ (١١)
إِذَا لَبِسُوا أَدْرَاعَهُمْ فَعَوَابِسُ ... وَإِنْ لَبِسُوا تِيجَانَهُمْ فَبُدُورُ (١٢)

---

(١) فى « م » : « الله تعالى » .
(٢) الأرومَة : الأصل والحَسَبُ .. والوثيقة : الثقة وما يُحْكَمُ به الأمر .
(٣) الدَّماثة : السهولة واللِّين .
(٤) فى « م » : « والكبر » تحريف .
(٥) التَّحاقُر : التَّصاغُر .
(٦) فى « م » : « عند المتوكل » .
(٧) فى « م » : « من مزارع » .
(٨) بَصُرَ برقعة : أبصَرها .
(٩) الأبيات من الطويل .. وتَلاعَبُ : تتلاعَبُ وشمأل : رياح الشمال .. والدَّبُور : ريح تهب من الغرب .
(١٠) الحُور : جمع حَوْرَاء ، وهى المرأة البيضاء الحسناء .
(١١) أبناء أملاك غواشم : أبناء ملوك أشداء .. والأنام : الخلق .. وفى « ط » : « صغيرهمو عند الإلٰه كبير » .
(١٢) أى : إذا ارتدوا زى الحرب تراهم عابسين متجهمى الوجوه ، وإنْ لبسوا تيجانهم فى زمن السلم ، فالواحد منهم يبدو كالقمر ليلة اكتماله .

عَلَى أَنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ ضَرَاغِمٌ ... وَأَنَّهُمْ يَوْمَ النَّوَالِ بُحُـورُ (١)

لَيَالِيَ هِشَامٍ بِالرُّصَافَةِ قَاطِـنٌ ... وَفِيكَ ابْنُهُ يَا دَيْرُ وَهْوَ أَمِيرُ (٢)

إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالْخِلَافَةُ لَذَّةٌ ... وَأَنْتَ طَرِيبٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ (٣)

وَرَوْضُكَ مُرْتَادٌ وَنَوْرُكَ مُزْهِرٌ ... وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فِيكَ نَضِيرُ (٤)

بَلَى فَسَقَاكَ الْغَيْثُ صَوْبَ سَحَائِبٍ ... عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرَّوَاحِ بُكُورُ (٥)

تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ ... بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيـرُ

فَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهْيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَى ... لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّةٌ وَزَفِيـرُ (٦)

لَعَلَّ زَمَانًا جَارَ يَوْمًا عَلَيْهِمُ ... لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النُّفُوسُ يَدُورُ (٧)

فَيَفْرَحُ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمُ بَـائِسٌ ... وَيُطْلَقُ مِنْ ضِيقِ الْوَثَاقِ أَسِيرُ

رُوَيْدَكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَتْبَعُهُ غَدٌ ... وَإِنَّ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ (٨)

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ ارْتَاعَ وَتَطَيَّرَ ، وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ (٩) أَقْدَارِهِ ، ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ الدَّيْرِ فَسَأَلَهُ عَمَّنْ كَتَبَهَا ، فَقَالَ : لا عِلْمَ لِي بِهِ .

---

(١) يوم اللقاء : يوم الحرب .. ضراغم : أسود .. النوال : العطاء .. بحور : كالبحور فى جودهم وسخائهم .

(٢) قاطن : مقيم .. وفى « م » : « وقّل » مكان « وفيك » .

(٣) هكذا البيت فى « ط » .. وقد سقطت الشطرة الثانية من البيت ، والأولى من الذى يليه من « م » .. وجاء البيت هكذا : « إذا العيش عيشٌ والخلافةُ غَضّة .. وعيش بنى مروان فيك نظير » .
والغض والغرير : الناعم من العيش .. والطريب : الطَّرِبُ والمُنْتشِي بهجة وسرورا .

(٤) النَّور : الزَّهْرُ الأبيض .

(٥) الصَّوْب : انصباب المطر .. والرَّواح : الوقت من زوال الشمس إلى الليل .. والبكور : أول النهار .

(٦) الأنَّةُ : مصدر المَرَّة مِنَ الأنين .. والزفير : إخراج النَّفَس بعد مَدِّه ، وهو هنا كناية عن الألم والحُزن .. وفى « ط » : « إنه لزفير » .

(٧) جَارَ عليهم : ظلمهم .

(٨) صروف الدائرات : أحداث الأيام .

(٩) فى « م » : « من سوء » .

وَأَمَّا الْكُتُبُ وَصِفَاتُهَا فَتَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْجَهْمِ [١] فى قَوْلِهِ :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتَهُ كَانَ مُسْلِيًا فُؤَادَكَ مِمَّا فِيهِ مِنْ أَلَمِ الْوَجْدِ [٢]
يُفِيدُكَ عِلْمًا أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً وَغَيْرُ حَسُودٍ أَوْ مُصِرٌّ عَلَى الْحِقْدِ
وَيَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ غَيْرَ غَافِلٍ وَلَا خَائِنٍ عَهْدًا عَلَى قِدَمِ الْعَهْدِ
زَمَانُ رَبِيعٍ فى الزَّمَانِ بِأَسْرِهِ يُبِيحُكَ رَوْضًا غَيْرَ ذَاوٍ وَلَا جَهْدِ [٣]
يُنَوِّرُ أَحْيَانًا بِوَرْدٍ بَدَائِعٍ أَخَصُّ وَأَوْلَى بِالنُّفُوسِ مِنَ الْوَرْدِ

وَأَنْشَدَ [٤] بَعْضُ الْعَجَمِ :

إِذَا مَاخَلَا النَّاسُ فى دُورِهِمْ بِخَمْرٍ سُلَافٍ وَخَوْدٍ كَعَابِ [٥]
وَأُنْسُهُمُ فى ظَلَامِ اللَّيَالِى لِغَيْرِ النَّدَامَى وَرَهْوِ السَّحَابِ [٦]
خَلَوْتُ وَصَحْبِى كُتُبُ الْعُلُومِ وَبَيْتُ عَرُوسِى بَيْتُ الْكِتَابِ [٧]
وَدَرْسُ الْعُلُومِ شَرَابُ الْعُقُولِ فَدُورُوا عَلَىَّ بِذَاكَ الشَّرَابِ
وَمَا يَجْمَعُ الْمَرْءُ فى دَهْرِهِ سِوَى الْعِلْمِ يَجْمَعُهُ لِلتُّرَابِ

---

(١) هو : أبو الحسن على بن الجهم بن بدر ، شاعر رقيق الشعر ، وأديب ، من أهل بغداد ، كان معاصراً لأبى تمّام ، وخص بالمتوكل العباسى ، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خُراسان ، ثم انتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فُرسانٌ من بنى كلب ، فقاتلهم ، وجُرِحَ ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .
[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغانى ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨] .
(٢) الأبيات من الطويل .. والسمير : المُسامِر الذى يُسامرك ويحدثك .. وهو وصف للكتاب .. ومُسْلياً فؤادك : يكشف عمّا بقلبك من الهم والحزن .
(٣) ذاوٍ : ذابِل .. والجَهْد : المنقبض والقليل .
(٤) فى « م » : « وأنشدنى » .
(٥) الأبيات من المتقارب .. والخَوْد : الشابَّة الناعمة الحَسنة الخلْق ، وجمعها : خُودٌ .. والكَعاب : الفتاة التى تَهَدَ ثَدْيُها : وجمعها : كواعب .
(٦) الرَّهو : الساكن والمُنخفض .. والبيت فى « م » :
« وآنسهُنَّ حساب الليالى لغير النَّدامَى وزهو الشباب »
(٧) الشطرة الثانية من البيت فى « ط » .
« وبيت العروس بيت الكتاب »

وَمِنْ مَلِيحِ مَا يُنْشَدُ فِى الْكُتُبِ (١) :

إذا مَا خَلَوْتُ مِنَ الْمُؤْنِسِينَ ... جَعَلْتُ الْمُؤَانِسَ لِى دَفْتَرِى (٢)
فَلَمْ أَخْلُ مِنْ شَاعِرٍ مُحْسِنٍ ... وَمِنْ عَلَمٍ صَالِحٍ مُنْذِرِ (٣)
وَمِنْ حِكَمٍ بَيْنَ أَثْنَائِهَا ... فَوَائِدُ لِلنَّاظِرِ الْمُفْكِرِ (٤)
وَإِنْ ضَاقَ صَدْرِى بِأَسْرَارِهِ ... وَأَوْدَعْتُهُ السِّرَّ لَمْ يُظْهِرِ
وَإِنْ صَرَّحَ الشِّعْرُ بِاسْمِ الْحَبِيـ ... ـبِ لَمْ أَحْتَشِمْهُ وَلَمْ أُحْصَرِ (٥)
وَإِنْ عُذْتُ مِنْ ضَجْرِهِ بِالْهِجَا ... وَسَبِّ الْخَلِيفَةِ لَمْ أُحْذَرِ (٦)
وَنَادَمْتُ فِيهِ كَرِيمَ الْمَغِيـ ... ـبِ لِنُدْمَائِهِ طَيِّبَ الْمَخْبَرِ (٧)
فَلَسْتُ أَرَى مُؤْنِسًا مَاحَيِيتُ ... عَلَيْهِ نَدِيمًا إِلَى الْمَحْشَرِ (٨)

وَأَنْشَدَ ابْنُ حَزْمٍ لِبَعْضِ الأُدَبَاءِ (٩) :

---

(١) الأبيات من المتقارب .. وجاء فى كتاب « مجمع الحِكَم والأمثال » فى الشعر العربى لأحمد قبش – ص ٤٣٠ – أنها لعلى بن هارون بن يحيى .

(٢) الشطرة الثانية من البيت فى المصدر السابق :

« جعلتُ المُحَدِّثَ لى دفترى »

(٣) الشطرة الثانية من البيت فى المصدر نفسه :

« ومِنْ مُضْحِكٍ طيبٍ مُنْذِرٍ »

(٤) المُفْكِر : مِنَ الفعل : أَفْكَرَ فى الأمر ، إذا فكر فيه وأعمل العقل .

(٥) لم أحتشمه : لم أخجل منه ، ولم أسمعه مايكره .. ولم أُحْصَر ، أى : لم أَحْبِسْ عنه ما أريد . وهو مِنْ حَصَرَ : إذا عَيَّ فى منطقه ولم يقدر على الكلام .

(٦) فى « م » : « ضجرة » بالتاء .. وضَجِرَ بالأمر ، ومنه ضَجَرًا : ضاق وتبرَّمَ .. والهجا : الهجاء والذَّم .

(٧) نادَمْتُ : صَحِبْتُ ووافَقْتُ .. والنُّدماء : المصاحبين على الشراب ، والمسامرين .. والمَخْبَر : خلاف المنظر ، يُقال : طابَق مَخْبَرُهُ مَنْظَرَهُ .

(٨) الشطرة الأولى من البيت فى المصدر الأسبق :

« فلستُ أرى مؤثرًا ما حييتُ » .

(٩) فى « م » : « وأنشدنى ابن حزم » .. وابن حزم هو : على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى ، عالم الأندلس فى عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، وله الكثير من المؤلفات والمُصنَّفات .. وُلد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء ، فتمالئوا على بغضه ، وحَذَّروا سلاطينهم منه ، ونهوا العامة عن الدنو منه ، فأقْصَتْهُ =

إنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا عَلَيْنَا ... وَاسْتَبَدُّوا بِالرَّأْيِ دُونَ الْجَلِيسِ [١]

أَوْ صَحِبْنَا التُّجَارَ عُدْنَا إِلَى الْفَقْـ ... ـرِ وَصِرْنَا إِلَى حِسَابِ الْفُلُوسِ

فَلَزِمْنَا الْبُيُـوتَ نَتَّخِـذُ الْحِبْـ ... ـرَ وَنَمْلَا بِهِ وُجُوهَ الطُّرُوسِ [٢]

لَوْ تُرِكْنَا وَذَاكَ كُنَّا ظَفِرْنَـا ... مِـنْ أَمَانِينَـا بِعِلْـقٍ نَفِـيسِ [٣]

غَيْرَ أَنَّ الزَّمَـانَ أَعْنِـي بَنِيـهِ ... حَسَدُونَا عَلَى حَيَاةِ النُّفُـوسِ [٤]

وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ [٥] :

أَنِسْتُ إِلَى التَّفَرُّدِ طُولَ عُمْرِى ... فَمَالِى فى الْبَرِيَّةِ مِنْ أَنِيسِ [٦]

جَعَلْتُ مُحَادِثِى وَنَدِيمَ نَفْسِى ... وَأُنْسِىَ دَفْتَرِى بَدَلَ الْعَـرُوسِ

قَدِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ فَرَسِى بِرِجْلِى ... إِذَا سَافَرْتُ أَوْ نَعْلٍ كَبُوسِ [٧]

وَلِى عُرْسٌ جَدِيدٌ كُلَّ يَـوْمٍ ... بِطَرْحَ الْهَمِّ فى أَمْرِ الْعَرُوسِ [٨]

= الملوك وطاردته ، فرحل إلى « لَبْلَة » من بلاد الأندلس ، وتوفى بها سنة ٤٥٦ هـ وكان عمر الطرطوشى – صاحب سراج الملوك – عند وفاة ابن حزم ست سنوات ، إذ أنه ولد سنة ٤٥٠ هـ ، لذا فإن قوله : « أنشدنى » هنا لا يُعقل ، ويُعد تحريفاً من الناسخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٥ – ٣٣٠ ، والمغرب فى حُلَى المغرب ج ١ ص ٣٥٤ – ٣٥٧ ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ – ٢٥٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠] .

(١) الأبيات من الخفيف .. وتاهوا : تكبروا .. واستبدوا بالرأى .. انفردوا به .

(٢) الطُّروس : الصحائف والكتب ، جمع طِرس .

(٣) العِلْق : النفيس من كل شىء يتعلق به القلب .

(٤) أعنى بنيه : أقصد أبناء الزمان .. وحياة النفوس : يريد بها العِلم ، فبه تحيا النفوس وتسمو .

(٥) فى « م » : « وأنشدوا » .

(٦) الأبيات من الوافر .. ويريد بالتفرد : الوحدة والانفراد .. والبريَّة : الخَلْق .

(٧) فى « م » : « قد استغنيت عن فَرسِ » .. والنعل الكبوس : الذى يخفى القدمين ويحميهما .. وفى « م » : « بغل كبوس » أى : ضخم .

(٨) فى « م » : « بطرح الهم فى بيت العروس » .. والعُرس ، بضم العين : الزفاف والتزويج . وبكسرها : العروس والزواج .

فَبَطْنِي سُفْرَتِي وَالْخُرْجُ جِسْمِي ... وَهِمْيَانِي فَمِي أَبَدًا وَكِيسِي (١)
وَبَيْتِي حَيْثُ يُدْرِكُنِي مَسَائِي ... وَأَهْلِي كُلُّ ذِي عَقْلٍ نَفِيسِ

وَلَئِنْ كَانَ النَّاظِمُونَ (٢) قَدْ وَصَفُوا فَجَوَّدُوا ، وَقَالُوا : فَأَبْلَغُوا ، فَلَقَدْ قَصَّرُوا ، وَأَجَلُّ مَمْدُوحٍ مَنِ اسْتُقْصِرَ فِي مَدْحِهِ الْمُنْتَهَى ، وَاسْتُنْزِرَ فِي تَفْرِيطِهِ الْمُحْتَفَلُ (٣) ، وَكَيْفَ لا وَالْكِتَابُ نِعْمَ الأَنِيسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنِعْمَ الْمَعْرِفَةُ بِبِلَادِ الْغُرْبَةِ ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ وَالدَّخِيلُ ، وَنِعْمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ ، وَعَالِمٌ مُلِيءَ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفًا (٤) ، وَإِنَاءٌ مُلِيءَ مِزَاجًا (٥) ، وَحَبَّذَا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي رُدْنٍ (٦) ، وَرَوْضَةٌ نُقِلَتْ فِي حِجْرٍ (٧) ، هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ سَاعَةٍ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لا تَذْوِي (٨) ، وَزَهْرٍ لا يَثْوِي (٩) ، وَثَمَرٍ لا يَفْنَى ؟ .

وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُكَ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ ، يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى ، وَيُتَرْجِمُ عَنِ الأَحْيَاءِ ، إِنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ سَخِطْتَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ ، أَكْتَمُ مِنَ الأَرْضِ ، وَأَنَمُّ (١٠) مِنَ الرِّيحِ ، وَأَلْهَى مِنَ الْهَوَى ، وَأَخْدَعُ مِنَ الْمُنَى ،

---

(١) السُّفْرة : ما يحمل فيها الطعام .. والخرج والهميان مرّ التعريف بهما .

(٢) فى « ط » : « الناطقون » .

(٣) استُنْزِر : استُقِل واستُحْقِر .. والمُحْتَفَل : معظم الشىء .

(٤) الظَّرْف : الوعاء .. وظَرْف حُشِىَ ظَرَفاً ، أى : وعاء مُلِىء بلاغَةً وحُسْناً .. وهذا الوصف لأبى عثمان ابن بحر الجاحظ .

(٥) المِزَاج : ما يُمْزَج به الشراب ونحوه ، وكل نوعين امتزجا فكل واحدٍ منهما مِزاج .. وفى « م » : « مُلِىء راح » والأخيرة تحريف .. وعبارة الجاحظ : « وإناءٌ مُلِىء مُزاحاً وجِدًّا » بالحاء المهملة .

(٦) الرُّدْنُ : كُمُّ الثوب .

(٧) فى « ط » : « تتقلب فى حِجْرٍ » .. وعبارة الجاحظ : « روضة تتقلب فى حِجْرٍ » .. والحِجْر ، بكسر الحاء وفتحها : وهو من الإنسان : حِضْنه ، ومن المكان : ناحيته .

(٨) لا تَذْوِى : لا تيبَسُ ولا تذبل .

(٩) لا يَثْوِى : لا يقيم ولا يستقر .. وفى « ط » : « لا يتوى » بالتاء : أى : لا يهلك .

(١٠) أنَمّ : أنْقل وأظْهَر .. وفى « م » : « أمر » تحريف .

وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى ، وَأَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ (١) وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ (٢) .

هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ وَاحِدٍ تَحَلَّى بِحُلَلٍ كَثِيرَةٍ ، وَجَمَعَ أَوْصَافًا غَزِيرَةً (٣) : عَرَبِيٌّ ، فَارِسِيٌّ ، هِنْدِيٌّ ، سِنْدِيٌّ ، رُومِيٌّ ، يُونَانِيٌّ ، إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ ، وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعَ ، وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ ، وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ ، يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ (٤) مِنْكَ ، وَيَزِيدُكَ وَيَسْتَزِيدُكَ ، إِنْ جَدَّ فَيُسْرٌ ، وَإِنْ مَزَحَ فَنُزْهَةٌ ، قَبْرُ الأَسْرَارِ ، وَحِرْزُ الْوَدَائِعِ ، قَيْدُ الْعُلُومِ ، وَيَنْبُوعُ الْحِكَمِ ، وَمَعْدِنُ الْمَكَارِمِ ، وَمُؤْنِسٌ لا يَنَامُ ، يُفِيدُكَ عِلْمَ الأَوَّلِينَ ، وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَنْبَاءِ الآخَرِينَ .

هَلْ سَمِعْتَ فِى الأَوَّلِينَ ، أَوْ بَلَغَكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّالِفِينَ جَمْعُ (٥) هَذِهِ الأَوْصَافِ مَعَ قِلَّةِ مُؤْنَتِهِ ، وَخِفَّةِ مَحْمَلِهِ ؟ لا يَرْزَؤُكَ (٦) شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ ، نِعْمَ الذُّخْرُ وَالْعُدَّةُ (٧) ، وَالْمُسْتَغَلُّ وَالْحِرْفَةُ (٨) ، جَلِيسٌ لا يَضُرُّكَ (٩) ، وَرَفِيقٌ لا يَمَلُّكَ ، يُطِيعُكَ بِاللَّيْلِ طَاعَتَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيُطِيعُكَ فِى السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِى الْحَضَرِ (١٠) ، إِنْ أَدَمْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ ، وَجَوَّدَ بَنَانَكَ ، وَفَخَّمَ

---

(١) سَحْبَانُ : رجل مشهور بفصاحته وبلاغته ، وهو من وائل .

(٢) أَعْيَا : عجز فى منطقه وحُجته ولم يستطع بيان مراده منه .. وباقل : رجل من ربيعة ، يُضْرَبُ به المثل فى الفهاهة والعِىِّ : وبلغ من عِيِّه أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمر بقومٍ ، فقالوا له : بكم اشتريت الظبى ؟ فمَدَّ يديه ودَلَع لسانه ، يريد : أحد عشر ، فشَرَدَ الظبىُ ، وكان تحت إبطه .

(٣) فى « م » : « عزيزة » .

(٤) فى « م » : « ويستفيد منك » بسقوط « لا » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٥) فى « م » : « مَنْ جَمَع » .

(٦) لا يرزؤك : لا يصيبك برزءٍ .

(٧) الذُّخر : المُدَّخر لوقت الحاجة .

(٨) عبارة الجاحظ : « ونِعْمَ الْمُشتَغَلُ والحِرْفَةُ » بالشين .

(٩) فى « ط » : « جليس لا يضرُّ بك » وفى « م » : « لا يضرك » . وقد سقطت منها كلمة « جليس » قبلها .

(١٠) الحَضَر : المكان الذى تقيم فيه .

أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلَّدَ عَلَى الأَيَّامِ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِى الْخَلْقِ قَدْرَكَ ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ نَوَّهَ (١) عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ ، يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِى مَقَاعِدِ السَّادَةِ ، وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِى مَجْلِسِ الْمُلُوكِ ، فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ ، وَأَعْزِزْ بِهِ مِنْ مُرَافِقٍ . وَقَدْ قَالَ فِيهِ الأَوَّلُ :

لَنَا جُلَسَاءُ مَانَمَلُّ حَدِيثَهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا (٢)

يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَامَضَى ... وَرَأْيًا وَتَأْدِيبًا وَعَقْلًا مُسَدَّدَا (٣)

فَلَا فِتْنَةً نَخْشَى وَلَا سُوءَ عِشْرَةٍ ... وَلَا نَتَّقِى مِنْهُمْ لِسَانًا ولَا يَدَا (٤)

فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَمَا أَنْتَ كَاذِبٌ ... وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا (٥)

فَهَذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نُمْلِيَهُ فِى هَذَا الْكِتَابِ ، فَاكْتُبُوا إِنْ شِئْتُمْ أَنْفَاسَهُ ، إِنْ كَانَتِ الأَنْفَاسُ مِمَّا يُكْتَبُ (٦) .

تم الكتاب بحمد الله

* * *

---

(١) نَوَّه : أشادَ .

(٢) الأبيات من الطويل .. وأَلِبَّاء : عُقلاء ، جمع لَبِيب .

(٣) مُسَدَّدًا ، أى : مستقيماً موفقاً .. وفى « م » : « وعقلاً وسُؤْدَدًا » .. والسُّؤْدد : المجد والشرف والسيادة .

(٤) فى « ط » : « بلا فتنة » .. وفى « م » : « فلا غشة » .. وفى « ط » : « تتقى » بالتاء .

(٥) فلسْتَ مُفَنَّدًا : لست مُخطِئاً .

(٦) فى « م » : « تُكْتَب » .

« فهارس الكتاب » (*)

(*) هذه الفهارس خاصة بمتن الكتاب فقط .



(١)
« فهرس القرآن الكريم »

* * *

(٢)
« فهرس الأحاديث النبوية »
« حرف الألف – الهمزة »

مطلــع الحديــث	الصفحة

مطلــع الحديــث	الصفحة

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

« حــرف البــاء »

« حــرف التــاء »

« حــرف الثــاء »

« حــرف الجيــم »

« حــرف الحــاء »

« حــرف الخــاء »

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

« حــرف الــدال »

« حــرف الــذال »

« حــرف الــراء »

« حــرف الســين »

« حــرف الشــين »

« حــرف الصــاد »

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

مطلـــع الحديـــث	الصفحة

* * *

(٣)
« فهرس القوافي »

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
كأنّى	منازِلُهْ	الطويل	٢	٨٢،٨٠
أتبنى	قليلُ	الطويل	٢	١٠٢
تعلّمْ	جاهلُ	الطويل	٢	١٤٠
إذا رابَ	مفاصلُ	الطويل	٢	٣٠٣
إذا أنتَ	جاهلُ	الطويل	١	٣٤٥
وآمِرَةٍ	سبيلُ	الطويل	٤	٣٨٢،٣٨١
سأسكتُ	فلولُ	الطويل	٣	٤٠٥
ويمنعنى	عليلُ	الطويل	٢	٤٠٦
تَعزَّ	مُعَوَّلُ	الطويل	٨	٤١٢،٤١١
ألا أيها الموتُ	خليلِ	الطويل	٢	٤٩
يُسَوِّدُ	نَوْفَلِ	الطويل	١	٣٣٨
وجهلٍ	بالجهلِ	الطويل	٢	٣٤٠
كَسَوْتِنِى	حُلَلَا	البسيط	٤	٣٨٠
باتُوا	القُلَلُ	البسيط	٦	٣٨
أصونُ	المالِ	البسيط	٢	٣٨٣
إذا لَعِبَ	بالرجالِ	الوافر	٢	٤٠٧
صبرًا	فَمَنْ لَهَا	الكامل	٣	٤٠٥،٤٠٤
صَبَّرتِنِى	لَعَلَّهَا	الكامل	٢	٤٠٥
ياخدُّ	الجندلِ	الكامل	٢	٥٨
الحربُ	جَهُولِ	الكامل	٣	٦٩٠،٦٨٩
لى حيلةٌ	حِيلَهْ	مجزوء الكامل	٢	٢٣٦
مَن رآنا	زوالِ	الرَّمَل	٥	٥٦ ، ٥٥
إنك فى دارٍ	العاملِ	السريع	٤	٥٩
إنَّا إذَا	للقائلِ	السريع	٣	٣٥٦،٣٥٥
لم أكُن	صالِى	الخفيف	١	٦٨٩

* * *

(*) رتبت المواد هنا حسب ظاهر اللفظ تسهيلًا على الباحث .

(٤)
« فهرس الأعلام »

(أ)

(ش)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(و)

* * *

(٥)
« فهرس الأماكن والبلاد والبقـاع »

٥ ٥ ٥

(٦)

فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف

***

(٧)
« مصادر ومراجع التحقيق والتعليق »

القرآن الكريم (*) .
أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد الثائر ، للدكتور جمال الدين الشيال ، سلسلة أعلام العرب رقم ٧٤ - القاهرة ١٩٦٨ م .
أبو جعفر المنصور ، لعبد السلام رستم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علاء الدين الفارسي وضبط كمال الحوت ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
الأحكام السلطانية ، للماوردى ، دار الفكر - القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
إحياء علوم الدين ، لأبى حامد الغزالى ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة .
أدب الدنيا والدين ، للماوردى ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ، دار الشعب - القاهرة ، ١٩٧٠ م .
إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقى اليمانى ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
إعجام الأعلام ، لمحمود مصطفى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
إعراب القرآن ، المنسوب للزجّاج ، تحقيق إبراهيم الأبيارى - دار الكتاب المصرى - اللبنانى ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
الأعلام ، للزركلى ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م .
أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، للدكتور جمال الشيال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م .
أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الشعب - القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(*) بمقتضى الترتيب الأبجدى وضع كتاب الله تعالى فى حرف القاف ، وقد قدمناه هنا احتراماً وتقديراً .

أفلاطون ، للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧١ م .
الإكمال ، لابن ماكولا ، دائرة المعارف العثمانية – الهند ١٩٦٢ م .
أمالى السيد المرتضى ، ضبط وتعليق السيد محمد بدر الحلبى ، مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٧ م .
الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .
إيران والعراق فى العصر السلجوقى ، للدكتور عبد النعيم حسنين ، دار الكتاب المصرى – اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، للضّبّى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى – اللبنانى القاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت .
البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف ، لابن حمزة الحسينى ، المكتبة العلمية – بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
تاج العروس ، للزبيدى ، المطبعة الخيرية بالجمالية – مصر ١٣٠٦ هـ .
تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٦ م .
تاريخ الأدب العربى ، العصر العباسى الأول ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٦ م .
تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ م .
تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩ م .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، دار الكتب العلمية – بيروت .
تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ، بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، للدكتور أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٢ م .
تاريخ الدولة الفاطمية ، للدكتور حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٨١ م .
تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٩ م .

تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، للدكتور جمال الشيَّال ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٧ م .

تذكرة الحفَّاظ ، للذهبى ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧ هـ – ١٩٦٨ م .

الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذرى ، بتعليق مصطفى عمارة ، دار الحديث – القاهرة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

تفسير القرآن الكريم ، لمحمود حمزة وآخرين ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .

تفسير القرطبى ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار الشعب – القاهرة .

تمثال الأمثال ، لأبى المحاسن الشيبى ، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان ، دار المسيرة – بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٥ م .

الجاحظ ، حياته وآثاره ، للدكتور طه الحاجرى ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩ م .

جامع كرامات الأولياء ، ليوسف النبهانى ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ .

الجدول فى إعراب القرآن ، تصنيف محمود صافى ، دار الرشيد – دمشق ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، لأبى عبد الله الحميدى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى – اللبنانى – القاهرة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصفهانى ، دار الفكر – بيروت .

حياة الصحابة ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، المكتبة الإسلامية بالأزهر – القاهرة .

حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

خزانة الأدب ، للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، ترجمة الشنتناوى وآخرين – دار الشعب – القاهرة .
دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة – بيروت ١٩٧١ م .
دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، للدكتور محمود قاسم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٢ م .
درة الغواص فى أوهام الخواص ، للحريرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر – القاهرة ١٩٧٥ م .
الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهانى ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧١ م .
ديوان الأمير أبى العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق الدكتور محمد بديع شريف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ م .
ديوان أبى العتاهية ، دار صادر – بيروت ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .
ديوان أبى نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
ديوان الإمام علىّ ، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي ، دار ابن زيدون – بيروت .
ديوان الإمام علىّ ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم – بيروت .
ديوان الإمام علىّ ، ضبط وشرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت .
ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٤ م .
ديوان بَشّار بن بُرد ، شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر – تونس ١٩٧٦ م .
ديوان بَشّار بن بُرد ، تحقيق وتعليق محمد الطاهر ومحمد رفعت فتح الله ومحمد شوقى أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .
ديوان أبى تمّام ، بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٦ م .
ديوان تميم بن المُعز ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م .
ديوان حسّان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفى ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٣ م .
ديوان حسّان بن ثابت ، بشرح محمد العنانى ، مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٣١ هـ .
ديوان الخوارج ، جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق – القاهرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

ديوان دريد بن الصِّمَّة ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٥ م .
ديوان الشريف الرّضى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات – بيروت .
ديوانا عروة بن الورد والسَّمَوْأل ، دار صادر – بيروت ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ .
ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر – بيروت ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .
ديوان كعب بن زهير ، تحقيق وشرح على فاعور ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
ديوان النابغة الذبيانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٥ م .
رسالة الغفران ، لأبى العلاء المعرّى ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطىء) ، دار المعارف – القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .
الرسالة القشيرية ، لأبى القاسم القشيرى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٧٢ م .
الزهد ، لأحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
سنن أبى داود ، لأبى داود السجستانى ، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق ، المكتبة العلمية – بيروت .
سنن الدّارمى ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمى ، دار إحياء السُّنَّة النبوية – القاهرة .
سنن النسائى ، بشرح جلال الدين السيوطى ، دار الكتاب العربى – بيروت .
سير أعلام النبلاء ، للذهبى ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
سيرة النبى – ﷺ ، لابن إسحاق ، وتهذيب ابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة صبيح – القاهرة ١٩٧١ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ، دار المسيرة – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، لأبى العلاء المعرى ، المعروف « بمعجز أحمد » تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٦ م .
شرح ديوان الفرزدق ، لإيليا الحاوى ، دار الكتاب اللبنانى – ١٩٨٣ م .
شرح ديوان المتنبى ، لعبد الرحمٰن البرقوقى ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبى بكر الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
شعراء النصرانية في الجاهلية (*) ، للأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٨٢ م .
الصبح المُنْبِي عن حيثية المتنبي ، للشيخ يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ م .
الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الشعب – القاهرة .
صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي ، دار الكتاب العربي – بيروت .
صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
الصِّلَة ، لابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري اللبناني – القاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
صور من حياة الرسول ، أمين دويدار ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الأولياء ، لابن الملقن ، تحقيق نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
طبقات الحُفَّاظ ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الشافعية ، لابن هداية الله الحسيني ، وبذيله «**طبقات الفقهاء**» للشيرازي ، دار القلم بيروت .
طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السُّلمي ، بتحقيق نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت – بيروت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
الطبقات الكبرى ، للشعراني ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(*) ليس كل ما ورد بهذا الكتاب من الشعراء يدينون بالنصرانية .

طبقات المفسرين ، لشمس الدين الداودى ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠ هـ - ١٩٨٣ م .

طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤ م .

العِبَر فى خبر مَنْ غبر ، للذهبى ، بتحقيق أبى هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

علل الحديث ، للإمام أبى محمد عبد الرحمٰن الرازى ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، لابن الجوزى ، ضبط الشيخ خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

عمرو بن العاص ، لعباس محمود العقاد ، دار الهلال - القاهرة .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣ م .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ، بتقديم أحمد عبد الغفور عطار ، دار بيروت - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

الفاروق عمر ، للدكتور محمد حسين هيكل ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .

فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، بتحقيق عبد العزيز بن باز وآخرين ، دار المعرفة - بيروت .

فقه اللغة وسر العربية ، لأبى منصور الثعالبى ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٩٧٣ م .

الفيصل فى ألوان الجموع ، عباس أبو السعود ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، لمحمد رمزى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٤ م .

قاموس الفارسية ، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، دار المأمون – القاهرة ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م .
قصص الأنبياء ، لابن كثير ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار ، دار الرائد العربى – بيروت .
قصص الأنبياء ، بإشراف محمد أحمد برانق ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٣ م .
قضاة قرطبة ، لأبى عبد الله الخشنى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى – القاهرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
القطامى – حياته وشعره ، للدكتور زكى عابدين غريب ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٦ م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، بتعليق ومراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
كتاب الأمالى ، لأبى علىّ القالى ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
كتاب التاريخ الكبير ، للبخارى ، دار الكتب العلمية – بيروت .
كتاب التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
كتاب الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد – الهند ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م .
كتاب الخراج ، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية – القاهرة ١٣٩٧ هـ .
كتاب دول الإسلام ، للذهبى ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٤ م .
كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ م .
كتاب السنن الكبرى ، للبيهقى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد – الهند ١٣٤٤ هـ .
كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق بوران الضناوى ، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
كتاب الضعفاء الكبير ، للعقيلى ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

كتاب طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق سوسنّه دِيفَلْد – فِلْزر ، دار مكتبة الحياة – بيروت .
كتاب فتوح البلدان ، للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية – القاهرة ١٣١٨ هـ .
كتاب كليلة ودمنة ، لابن المقفع ، بتعليق وضبط الشيخ خليل اليازجى ، المطبعة الأدبية – بيروت ١٩٠٧ م .
كتاب المُحَبَّر ، لابن حبيب ، دار الآفاق الجديدة – بيروت .
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ١٩٨٧ م .
كتاب نسب قريش ، للمصعب الزبيرى ، نشرة بروفنسال ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢ م .
كتاب الوحشيات ، لأبى تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٠ م .
الكشّاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشرى ، دار المعرفة ، بيروت .
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة – استانبول ١٣١١ هـ .
كشف المحجوب ، للهجويرى – مترجم عن الإنجليزية – تحقيق ومراجعة الدكتور إبراهيم شتا وإسماعيل ماضى أبو العزايم ، دار التراث العربى – القاهرة ١٩٧٧ م .
لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨١ م .
لقمان الحكيم ، لعبد الله كنون ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩ م .
مجالس ثعلب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٠ م .
مجمع الأمثال ، للميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السُّنّة المحمدية – القاهرة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م .
مجمع الحِكَم والأمثال فى الشعر العربى ، لأحمد قبش ، دار الرشيد – دمشق ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى ، بتحرير الحافظين : العراقى ، وابن حَجَر ، المعارف – بيروت ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
المحرر فى الحديث ، لأبى عبد الله الحنبلى ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمٰن وآخرين – دار المعرفة – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
مختار الصحاح ، للرازى ، مراجعة وتحقيق لجنة من العلماء ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٣ م .
مروج الذهب ، للمسعودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .
المصباح المنير ، للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ م .

المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف – القاهرة ١٩٨١ م .
معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، دار بيروت – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الشعب – القاهرة .
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين ، نشر د . ونسنك ، طبعة بريل – ليدن ١٩٣٦ م .
معجم مقيدات ابن خلكان ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٨٧ م .
المعجم الفلسفى ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى – بيروت ١٩٨٢ م .
معجم قبائل العرب ، لعمر كحالة ، دار العلم للملايين – بيروت ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ، دار إحياء التراث العربى – بيروت .
المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار المعارف – القاهرة ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
المُغرب فى حُلَى المَغرب ، لابن سعيد المغربى ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٨ م .
المغنى فى توجيه القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محيسن ، دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
المغنى فى ضبط أسماء الرجال ومعرفة كُنى الرواة وألقابهم وأنسابهم ، للمحدث محمد بن طاهر ابن على الهندى ، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد على ، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٦ م .
مقاصد الفلاسفة ، للغزالى ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف – القاهرة .
مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمٰن بن خلدون المغربى ، دار الكتاب البنانى – بيروت ١٩٨٢ م .
المِلَل والنِّحَل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٦٩ م .
منهاج اليقين ، شرح أدب الدنيا والدين ، لأويس وفا الأرزنجانى ، طبعة الآستانة – ١٣٢٨ هـ .
منهج عمر فى التشريع ، للدكتور محمد بلتاجى ، دار الفكر العربى – القاهرة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م .

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حِبَّان ، للهيثمي ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية – بيروت .
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى ، للآمدى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف – القاهرة ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
الموسوعة الفلسفية المختصرة ، بإشراف الدكتور زكى نجيب محمود ، دار القلم – بيروت .
ميزان الاعتدال ، للذهبى ، تحقيق على البجاوى ، دار المعرفة – بيروت .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣ م .
نصيحة الملوك ، للماوردى ، تحقيق محمد جاسم الحريثى ، دار الحرية ، والشئون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٦ م .
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، للقلقشندى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى – القاهرة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
نهج البلاغة ، بشرح الشيخ محمد عبده ، دار البلاغة – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
نهج البلاغة ، ضبط وتحقيق الدكتور صبحى الصالح ، دار الكتاب اللبنانى – ١٩٨٣ م .
الورقة ، لابن الجرّاح ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد ، دار المعارف – القاهرة .
والموعد الله ، لخالد محمد خالد ، دار ثابت – القاهرة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت .
يتيمة الدهر ، للثعالبى ، المطبعة الحنفية – دمشق .

* * *



(٨)

« فهرس المحتويات »

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *

تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً .

* * *